

البَيْتَةُ النَّبَوِيَّةُ الْكَرِيمَةُ
فِي

التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ

الدكتور أحمد مجازي الشفا

٢-١

دار البيان العربي

خلفنا سماح الازهر

البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل

تأليف

الدكتور محمد مجازي الشفا

الأستاذ المساعد في كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض

جزءان في مجلد واحد

مكتبة المطبع والنشر

دار البيان العربي بمصر

درب الأثران - خلف جامع الأزهر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ملاحظة :

حقوق الطبع والنشر محفوظة لدار البيان العربي لصاحبها
الأستاذ عبد البديع فوده - ١٨ درب الاتراك خلف جامع الازهر بالقاهرة .

طبعة مصر سنة ١٩٧٧ م
مطبعة دار التضامن بلاطوغلي
رقم الايداع ٧٨٤٥ / ١٩٨٥

كَلِمَاتُ النَّاسِرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله
أجمعين ، سيدنا محمد رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله
وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين .

وبعد

يسعدنى أن أقدم للقارئ هذا الكتاب . ألا وهو كتاب : « البشارة
بنبى الاسلام فى التوراة والانجيل » .

ذلك الموضوع القيم ، الجديد . الذى أثار جدلا طويلا عبر
السنين الماضية .

أقدم هذا الكتاب لطالب الحقيقة .

أيا كانت عقيدته . لنقطع الشك باليقين ، ونصل معا الى شاطئ
الايمان الثابت المؤكد . الذى يؤدى بنا الى طريق النجاة .

وقد حرصت كما حرص المؤلف على توثيق هذا الكتاب بصورة
من آيات التوراة والانجيل المكتوبة بلغات مختلفة ، ومنها العبرانية
والانجليزية والعربية . وعلى تحقيق الكلمة « فيراقليط » فى أصلها
اليونانى وقد ذكر المؤلف ترجمتها بلغات مختلفة . متحملا فى ذلك كل
جهد ومشقة .

• وأنا أقدم هذا الكتاب الى القراء • مسلمين وغير مسلمين •

وأؤمن بلا عصبية حمقاء، أن اسلامنا وعقيدتنا بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام الذى أخبر عنه موسى فى التوراة ، وبشر به عيسى فى الانجيل ، عقيدة صحيحة كاملة •

ولهذا فنحن مكلفون بدعوة الناس كافة ، بالحكمة والبوعظة الحسنة الى اتباع هذه العقيدة •

• وانى لتسعيد كل السعادة بنشر هذا الكتاب • وانه لشرف لى •

واتقرب به الى الله سبحانه وتعالى راجيا أن يكون فى ميزان حسناتى « يوم لا ينفع مال ولا بنون • الا من أتى الله بقلب سليم » •

عبد البديع عيد المنعم فوده



o

« البشارة بنبي الاسلام في التوراة والانجيل »

رسالة دكتوراه من كلية أصول الدين جامعة الازهر باشراف الاستاذ
الدكتور محمد أبو شهبه عميد كلية أصول الدين في أسيوط .
وتتم مناقشتها في قاعة الشيخ « محمد عبده » من الأساتذة
المشايخ :

١ - الدكتور عوض الله حجازي

٢ - الدكتور عبد الغنى الراجحي

٣ - الدكتور محمد أبو شهبه

في ٢٤/٩/١٩٧٧م

...

...

البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل

الجزء الأول



http://www.kotob.com

اختصار أسماء أسفار : التوراة والانتجيل

ما قبل النقطتين رقم الاصحاح أو الفصل . وما بعد النقطتين رقم
الفقرة أو الآية .

تك :	مقطوعة من تكوين	أم :	أمثال
خر :	خروج	جا :	جامعة
لا :	لاويين	نش :	نشيد الانشاد
عد :	عدد	اش :	اشعيا
قت :	تثنية		

يش :	يشوع	ار :	ارميا
قض :	قضاة	مرا :	مراثي ارميا
را :	راعوث	حز :	حزقيال

١ صم :	صموئيل الأول	دا :	دانيال
٢ صم :	صموئيل الثاني	هو :	هوشع
١ مل :	الملوك الأول	يؤ :	يوئيل
٢ مل :	الملوك الثاني	عا :	عاموس
١ اى :	أخبار الأيام الأول	عو :	عوبيديا
٢ اى :	أخبار الأيام الثاني	يون :	مقطوعة من يونان
عز :	عزرا	مي :	ميخا
نح :	نحميا	ناحوم :	ناحوم
اس :	استير	حب :	حبقوق
اي :	أيوب		

مز : “ مزامير	صف : “ صفنيا
حجج : “ حجي	حك : “ الحكمة
زك : “ زكريا	سمر : “ سمورع بن سيراخ
ملا : “ ملاخي	با : “ باروخ
طو : “ طوبيا	١ مك : “ المكابيين الأول
يه : “ يهوديت	٢ مك : “ المكابيين الثاني

مت : “ متي	٢ تس : “ تسالونيكي الثانية
مر : “ مرقس	١ تي : “ تيموثاوس الأولى
لو : “ لوقا	٢ تي : “ تيموثاوس الثانية
يو : “ يوحنا	تي : “ تيطس
بر : “ برنابا	فل : “ فليمون

اع : “ أعمال	عب : “ عبرانيين
رو : “ رومية	يع : “ يعقوب
١ كو : “ كورنثوس الأولى	١ بط : “ بطرس الأولى
٢ كو : “ كورنثوس الثانية	٢ بط : “ بطرس الثانية
قل : “ غلاطية	١ يو : “ يوحنا الأولى
اف : “ افسس	٢ يو : “ يوحنا الثاني
في : “ فيليبي	٣ يو : “ يوحنا الثالثة
كو : “ كولوسي	يه : “ يهوذا
١ تس : “ تسالونيكي الأولى رؤ : “ رؤيا يوحنا اللاهوتي	

نَبِيَّ الْإِسْلَامِ فِي التَّوْرَةِ

بَرَكَتُهُ إِسْمَاعِيلَ

وَأَنَا

إِسْمَاعِيلَ قَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. مَا أَنَا أَبَارِكُهُ وَأَنْبِيؤُهُ وَأَكْثَرُهُ كَثِيرًا جَدًّا. إِنِّي عَشْرَ
رَبِّسًا يَلِدُ وَأَحْمَلَةٌ أُمَّةٌ كَبِيرَةٌ.

وَقَالَ
Abraham and-he-said

أَلَيْسَ الْإِسْمَاعِيلُ لِي إِسْمَاعِيلَ قَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. مَا أَنَا أَبَارِكُهُ وَأَنْبِيؤُهُ وَأَكْثَرُهُ كَثِيرًا جَدًّا. إِنِّي عَشْرَ
but God then-he-said (19) before-you he-might-live Ishmael li-only the-God to

وَأَنَا إِسْمَاعِيلَ قَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. مَا أَنَا أَبَارِكُهُ وَأَنْبِيؤُهُ وَأَكْثَرُهُ كَثِيرًا جَدًّا. إِنِّي عَشْرَ
name-of-him and-you-will-call son for-you bearing wife-of-you Sarah

وَأَنَا إِسْمَاعِيلَ قَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. مَا أَنَا أَبَارِكُهُ وَأَنْبِيؤُهُ وَأَكْثَرُهُ كَثِيرًا جَدًّا. إِنِّي عَشْرَ
everlasting as-covenant-of with-him covenant-of-me and-I-will-establish

وَأَنَا إِسْمَاعِيلَ قَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. مَا أَنَا أَبَارِكُهُ وَأَنْبِيؤُهُ وَأَكْثَرُهُ كَثِيرًا جَدًّا. إِنِّي عَشْرَ
see I-heard-you and-for-Ishmael (20) after-him for-descendant-of-him

وَأَنَا إِسْمَاعِيلَ قَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. مَا أَنَا أَبَارِكُهُ وَأَنْبِيؤُهُ وَأَكْثَرُهُ كَثِيرًا جَدًّا. إِنِّي عَشْرَ
greatly him and-I-will-increase him and-I-will-make-fruitful him I-will-bless

وَأَنَا إِسْمَاعِيلَ قَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. مَا أَنَا أَبَارِكُهُ وَأَنْبِيؤُهُ وَأَكْثَرُهُ كَثِيرًا جَدًّا. إِنِّي عَشْرَ
great into-nation and-I-will-make-him he-will-father rulers ten two greatly

وَأَنَا إِسْمَاعِيلَ قَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. مَا أَنَا أَبَارِكُهُ وَأَنْبِيؤُهُ وَأَكْثَرُهُ كَثِيرًا جَدًّا. إِنِّي عَشْرَ
to-you she-will-bear whom Isaac with I-will-establish covenant-of-me but (21)

وَأَنَا إِسْمَاعِيلَ قَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. مَا أَنَا أَبَارِكُهُ وَأَنْبِيؤُهُ وَأَكْثَرُهُ كَثِيرًا جَدًّا. إِنِّي عَشْرَ
the-next in-the-year the-this by-the-time Sarah

« وَقَالَ لَهَا مَلَكَ الرَّبِّ تَكْبِيرًا أَكْثَرَ نَسْلِكَ فَلَا بَعْدَ مِنْ الْكَيْرَةِ. » وَقَالَ لَهَا مَلَكَ
 الرَّبِّ مَا أَنْتِ حُلِي فَتِلْدِينَ أَبْنَا. وَتَدْعِينَ أَسْمَهُ إِسْمَاعِيلَ لِأَنَّ الرَّبَّ قَدْ سَمِعَ لِنَدْلِكَ.
 « وَإِنَّهُ يَكُونُ إِنْسَانًا وَحْشِيًّا. يَدُهُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ وَيَدُ كُلِّ وَاحِدٍ عَلَيْهِ »

הָיָה וְהָיָה בֶן וְהָיָה שְׁמוֹ יִשְׁמָעֵאל כִּי-שָׁמַע
 he-heard for Ishmael name-of-him and-you-shall-call son and-you-will-have
 יָדָה אֶל-עַנְיָדָה : הָיָה וְהָיָה יָדָה פָּרָא אֱדָם יָדָה
 hand-of-him man wild-donkey-of he-will-be and-he (12) misery-of-you to Yahweh
 כָּל-פָּנֵי וְיָדָה כָּל-בְּנֵי וְעַל-פָּנֵי
 faces-of and-against against-him everyone and-hand-of against-everyone
 כָּל-אָדָם יִשְׁקֵן :
 he-will-live brothers-of-him all-of

شِيلُونَ

. « أَلَا يَزُولُ قَضِيبٌ مِنْ يَهُودًا وَمُشْتَرَعٌ مِنْ
 بَيْنَ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَ شِيلُونَ. وَلَهُ يَكُونُ خُضُوعٌ شُعُوبٍ. » رَابِعًا بِالْكَرْمَةِ جَحْنَةٌ
 وَبِالْجَنَّةِ أَيْ أَنْتَابِهِ غَسَلَ بِالتَّخْمِيرِ لِيَأْسَهُ وَيَدْمُرَ الْعَيْبَ تَوْبَةً. « مُسَوِّدُ الْعَيْنَيْنِ مِنَ
 التَّخْمِيرِ وَمَيِّضُ الْأَسْنَانِ مِنَ اللَّبَنِ. »

יָדָה יָדָה יָדָה יָדָה יָדָה יָדָה
 feet-of-him from-between nor-ruling-staff from-Judah accepted he-will-depart
 עַד כִּי יָבֵן וְהָיָה שִׁלְיָה וְהָיָה וְהָיָה עַמִּים :
 peoples obedience-of and-to-him whose-he he-comes when until
 אָסַף לְיַיִן עֵלָה וְהָיָה לְיַיִן עֵלָה וְהָיָה לְיַיִן עֵלָה
 colt-of and-to-choices-branch donkey-of-him to-the-vine tethering-of (11)
 אָסַף וְהָיָה בְּכֶסֶף בִּינָה לְבָשָׁתוֹ וְהָיָה בְּכֶסֶף עֵינָיו
 grapes and-in-blood-of garment-of-him in-the-wine he-will-wash donkey-of-him
 סִיָּה : הַקָּלָלִי עֵינָיו מִן-הַיַּיִן וְהָיָה מִן-הַיַּיִן מִן-הַיַּיִן מִן-הַיַּיִן
 than-milk teeth and-whiter than-wine eyes darker (12) robe-of-him

التبى الهى

سفر تثنية الأشتراع

٣٣٠

٣٣٠ لا يُوجد فيكم من يُجزأه أو أبته في النار ولا من يتعاطى عرافة
ولامسعد ولا متقابل ولا سائر ٣٣١ ولا من يرقى رقية ولا من يسأل جانا أو تامة
ولا من يستشير الموتى ٣٣٢ لأن كل من صنع ذلك يموت عند الرب ولأجل
بنت الرجاسات سطرذ الرب إلهك أولئك من ونجك ٣٣٣ بل كن كما يلاذى
الرب إلهك ٣٣٤ لأن أولئك الأمم الذين أنت طاردتهم يسمعون للمشعبين
والترافين وأما أنت فلم تجز لك الرب إلهك مثل ذلك . ٣٣٥ نعيم لك الرب
إلهك نيا من بينكم من إخوانك مثل له يسمعون . ٣٣٦ حريا على كل ما سأله الرب
إلهك في حوريب في يوم الأجتاع قائلا لا عدت أسمع صوت الرب الهى ولا
أرى هديه النار العظيمة أيضا لا أموت . ٣٣٧ قال لي الرب قد أحسنوا فيما قالوا .
٣٣٨ أقيم لهم نيا من بين إخوانهم مثلك وألقى كلامي في فيه فيعاطبهم بجميع ما
أمره به ٣٣٩ وأي إنسان لم يطع كلامي الذي تكلم به بأسمى فاني أحاسبه عليه .
٣٤٠ وأي نبي تجبر فقال بأسمى قولا لم أمره أن يقوله أو تبا بأسم الهة أخر فليقتل
ذلك النبي . ٣٤١ فإن قلت في نفسك كيف يعرف القول الذي لم يقاه الرب .
٣٤٢ فإن تكلم النبي بأسم الرب ولم يتم كلامه ولم يقع فذلك الكلام لم يتكلم به
الرب بل يتعبوه تكلم به النبي فلا تحاوه

النص العبري من الآية ١٥ الى الآية ٢٢ هو :

נְבִיא
prophet (15)

מִקִּרְבֶּךָ מֵאֲחֵיךָ כְּגִמְי קָמוּ לְךָ יְהוָה
Yahweh for-you he-will-raise-up like-me from-brothers-of-you from-among-you

אֲלֵיךָ אֱלֹהֵי אֱשֶׁר שָׁאַלְתָּ מֵעַם
from-with you-asked that as-all (16) you-must-listen to-him God-of-you

וְהָיָה אֲלֵיךָ כְּחֹלֵב בַּיּוֹם הַהוּא לֵאמֹר לֹא אֶסֶף
let-me-continue not to-say the-assembly on-day-of at-Horeb God-of-you Yahweh

לִשְׁמוֹעַ אֶת-קוֹל יְהוָה אֱלֹהֶי וְאֶת-הָאֵשׁ הַגְּדֹלָה הַזֹּאת לֹא
not the-this the-great the-fire and God-of-me Yahweh voice-of ... to-hear

אֵרָאָה עוֹד וְלֹא אֶמּוֹת : וְהֵאמֵר יְהוָה אֵלֵי הַיּוֹשִׁיבִי
they-are-good to-me Yahweh and-he-said (17) I-die so-not anymore let-me-see

אֲשֶׁר דִּבְרוּ : וְנִבֵּא אֲקִים לָהֶם מִמֵּינֵם אֲחֵיהֶם
brothers-of-them from-among from-them I-will-raise prophet (18) they-say what

כְּמוֹד וְנָסַח דִּבְרֵי בְּפִי וְדַבֵּר אֲלֵיהֶם
to-them and-he-will-tell in-mouth-of-him words-of-me and-i-will-put like-you

אֵת כָּל-אֲשֶׁר אֶמְצֵוּ : וְהָיָה הָאִישׁ אֲשֶׁר לֹא יִשְׁמָע
he-listens not who the-man and-he-will-be (19) I-command-him that all ...

אֶל-דִּבְרֵי אֲשֶׁר יְדַבֵּר בִּשְׁמִי אֲדַרְשׁ
I-will-all-account I in-name-of-me he-speaks that words-of-me to

מֵעַמּוֹ : אֵיךְ תִּבְיֵא אֲשֶׁר חָדַל לְדַבֵּר דְּבַר בְּשֵׁם
in-name-of-me word to-speak he-presumes who the-prophet but (20) hopes-with-him

אֵת אֲשֶׁר לֹא צִוִּיתִי לְדַבֵּר וְאֲשֶׁר יְדַבֵּר בְּשֵׁם אֱלֹהִים
god in-name-of he-speaks or-who to-say I-commanded-him not that ...

אֲחֵרִים יִסַּח תִּבְיֵא הַהוּא : וְכֵן תֵּאמַר
ou-may-say but-now (21) the-that the-prophet then-he-must-die other-ones

כִּלְבָבְךָ אֵיכָה נֵדָע אֵת הַדְּבָר אֲשֶׁר לֹא דִבַּר
s-speak-him not when the-message ... can-we-know how? in-heart-of-you

יְהוָה : אֲשֶׁר יְדַבֵּר תִּבְיֵא בְּשֵׁם יְהוָה וְלֹא-
god-not Yahweh in-name-of the-prophet he-proclaims when (22) Yahweh

יְהוָה הַדְּבָר וְלֹא יָבוֹא הוּא הַדְּבָר אֲשֶׁר לֹא
not then the-thing that he-comes-true or-not the-thing he-takes-place

דָּבַר יְהוָה בְּדוֹן דִּבְרוּ תִבְיֵא לֹא תֵאָר
ou-be-afraid not the-prophet to-speak-him in-presumption Yahweh to-speak-him

סֵפֶר :
of-the

وَمِنْ يَمِينِهِ
 نبي في إسرائيل موسى الذي عرفه الرب وجها إلى وجهه ﴿٢٠٨﴾ في جميع آيات
 والمعجزات التي بعثه الرب ليصنمها في أرض مصر بفرعون وجميع عبديه وجميع
 أرضه ﴿٢٠٩﴾ وفي كل يد قديرة وكل تحفة عظيمة صنمها موسى على عيون جميع بني
 إسرائيل

﴿٢١٠﴾ فرأى الرب وانتاظ لما أغضبه بؤه وبأنه ﴿٢١١﴾ قال أحب ونجني عنهم
 وأرى ماذا تكون آخرتهم لأنهم جيل متقلب بؤن لا أمانة فيهم ﴿٢١٢﴾ هم أنا وفي
 عن ليس إلهما وأغضبوني بأباطلهم وأنا أفيرهم من ليسوا شعبا يقوم أفضيهم
 ﴿٢١٣﴾

יהוה ובנותיו
 Yahweh and-daughters-of-him (19)

ובנותיו	בניו	מקעם	רואו
and-daughters-of-him	sons-of-him	because-of-anger-of	and-he-rejected
מה	מהם	פני	ואמר
what	from-them	faces-of-me	and-he-said (20)
אראה	המהם	אסתירה	אחריתם
I-will-see	children	I-will-hide	for end-of-them
אמן	לא	תהפכות	כי
faithful	not	perverse-ones	generation-of
קעסוני	אל	קנאני	הם
they-angered-me	god	they-made-jealous-me	they
קם	בלא	ואני	בהבליותם
people	by-not	I-will-make-jealous-them	so-I with-worthless-idols-of-them
		אקעסם:	בני
		I-will-anger-them	foolish by-nation

البركات الثلاث

الفصل الثالث والثلاثون

وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته
 فقال: أقبل الرب من سيناء وأشرق لهم من سيمير وتخلي من جبل فاران وأني
 من ربي القدس وعن يمينه قبس شريعة لهم. إنه أحب الشعب جميع قديسيه
 في يدك وهم ساجدون عند قدمك يتسبون من كلمة أتك. أمرنا موسى بالتوراة
 ميراثا لجماعة يعقوب.

זאת חבֿרַכַּח אֲשֶׁר בִּרְךָ מֹשֶׁה אִישׁ
 man-of Moses he-pronounced that the-blessing and-this
 הָאֱלֹהִים אֶת־בְּנֵי יִשְׂרָאֵל לִפְנֵי מוֹתוֹ: וַיֹּאמֶר יְהוָה
 Yahweh and-he-said (2) death-of-him before Israel sons-of ... the-God
 מִסִּינַי בָּא וְהִשְׁעִיר מִשֵּׁעִיר לָמוֹ הוֹפִיעַ מִהַר
 from-Mount-of he-shone over-them from-Seir and-he-dawned he-came from-Sinar
 פָּאֵרָן וַאֲמַר מְרִבְבַּת קִדְשׁ קִימוֹתָ אֲשַׁחַת
 mountain-slope from-south-of-him holy-one with-myrriads-of and-he-came Paran
 לָמוֹ: אֵף חֶבֶב עַמִּים כָּל־קִדְשֵׁי בְיָדְךָ
 in-hand-of-you holy-ones-of-him all-of peoples one-loving surely (3) to-them
 וְהֵם יִכְּבוּ לְרַגְלֶךָ וְאַתָּה מְדַבֵּרֶנּוּ:
 from-instructions-of-you he-receives at-foot-of-you they-bow and-they
 וַתִּתֵּן צִוְיָהּ לָנוּ מֹשֶׁה מִדְּרֹשָׁה קַהְלַת יַעֲקֹב:
 Jacob assembly-of possession Moses to-us he-gave law (4)

١٨
 ١٨٧٤ - ١٩٧٤

تغيب القبلة

١٢ فقال الرب ليهوشافان هكذا تقول ليني اسرائيل . انتم رايتم اني من السماء
تكلمت معكم . لا تصنعوا معي الهة فضة ولا تصنعوا لكم الهة ذهب . ١٣ مذبحا من
تراب تصنع لي وتذبح عليه محرقاتك وذبايح سلامتك غنمك وبقرتك . في كل الاماكن
التي فيها اصنع لاسعيا ذكر آبي ايلك وباركك . ١٤ وان صنعت لي مذبحا من حجارة
فلا تنبه منها محبوتة . اذا رفعت عليها ازميلك تدنيسها . ١٥ ولا تصعد يد رح الى مذبحي
كالا شكفت عورتك عليه

١٦ قالت له المرأة يا سيد
ارے انك نبي . ١٧ اباونا سجدوا في هذا الجبل وانتم تقولون ان في اورشليم الموضع الذي
ينبغي ان يسجد فيه . ١٨ قال لها يسوع يا امرأة صدقيني انه ناتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في
اورشليم تسجدون للآب . ١٩ انتم تسجدون لهما لستم تعلمون . اما نحن فنسجد لهما تعلم . لان
الخلاص هو من اليهود . ٢٠ ولكن ناتي ساعة وفي الان حين الساجدون الخفيفون يسجدون
للآب بالروح والحق . لان الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له . ٢١ الله روح . والذين
يسجدون له فبالروح والحق ينبغي ان يسجدوا . ٢٢ قالت له المرأة انا اعلم ان مسيا الذي
يقال له المسيح ياتي . فمتى جاء ذاك يجيزنا بكل شيء .

المسيَّا المنتظر

٢٤. أما الفريسيون فلما سمعوا أنه أتى الصِّدِّوقَيْنِ اجتمعوا معاً. ٢٥. وسأله واحدٌ منهم وهو تَامُوسُ الجِزْيَةِ قائلاً: ٢٦. يا معلِّمُ آيةٌ وصِيبةٌ هي العُطْيُ في التَّامُوسِ. ٢٧. فقال له يَسُوعُ نَحِبُ الرَّبِّ الهِكْ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ. ٢٨. هذِهِ هي الوَصِيَّةُ الأُولَى والعُطْيُ. ٢٩. والثَّانِيَةُ مِنْهَا. نَحِبُ قَرِيْبِكَ كَنَفْسِكَ. ٣٠. هَاتَيْنِ الوَصِيَّتَيْنِ يَتَعَلَّقُ التَّامُوسُ كُلَّهُ وَالْأَنْبِيَاءُ.

٣١. وفيما كَانَ الفريسيونُ جُمُوعاً سَأَلَهُ يَسُوعُ: ٣٢. قائلاً مَاذَا نَظَنُّونَ فِي الْمَسِيحِ. أَيْنَ مَنْ هُوَ. قَالُوا لَهُ أَيْنَ دَاوُدُ. ٣٣. قَالَ لَهُمْ فَكَيْفَ يَدْعُوهُ دَاوُدُ يَا رُوحَ رَبِّا قَائِلاً: ٣٤. قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي اجْلِسْ عَن يَمِينِي حَتَّى أَضَعُ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئاً لِقَدَمَيْكَ. ٣٥. فَإِن كَانَ دَاوُدُ يَدْعُوهُ رَبِّا فَكَيْفَ يَكُونُ ابْنَهُ. ٣٦. قَلَّمَ بَسْطَطِ أَحَدٌ أَنْ يُجِيبَهُ بِكَلِمَةٍ. وَمِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ لَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ أَنْ يَسْأَلَهُ بَنَةً.

الأصحاح الثالث والعشرون

١. حينئذٍ خاطبَ يَسُوعُ الجُمُوعَ وتلاميذهُ قائلاً: ٢. على كَرْبِيِّ مُوسَى جَلَسَ الكَتِيبَةُ وَالْفريسيونُ. ٣. فكلُّ با قَالُوا لَكُمُ أَنْ تَحْفَظُوهُ فَاحْفَظُوهُ وَافْعَلُوهُ. وَلَكِنْ حَسَبَ أَعْمَالِهِمْ لَا تَعْمَلُوا لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ وَلَا يَفْعَلُونَ. ٤. فَإِنَّهُمْ يَجْزِمُونَ أَحْمَالاً قَبِيلَةَ عَسِيرةِ الْحَمَلِ وَيَضَعُونَهَا عَلَى أَكْتافِ النَّاسِ وَهُمْ لَا يُزِيدُونَ أَنْ يُجْرِكُوهَا بِأَصْعِمِهِمْ. ٥. وَكُلُّ أَعْمَالِهِمْ يَعْمَلُونَهَا لِكَيْ نَنظُرَهُمُ النَّاسُ. فَيَرْضَوْنَ عَضَائِهِمْ وَيُعْظِمُونَ أَهْدَابَ نِيَابِهِمْ. ٦. وَيُجْعِلُونَ الْمَنَسْكَ الأَوَّلَ فِي الرُّوَالِمِ وَالْجَالِسِ الأَوَّلِ فِي الْجَمَاعِ. ٧. وَالنَّحِيَاتِ فِي الأَسْوَأِ وَأَنْ يَدْعُوهُمْ النَّاسُ سَيِّدِي سَيِّدِي. ٨. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَا تَدْعُوا سَيِّدِي لِأَنَّ مَعْلِمَكُمْ وَاحِدَ الْمَسِيحِ وَأَنْتُمْ جَمِيعاً إِخْوَةٌ. ٩. وَلَا تَدْعُوا لَكُمْ أَمَا عَلَى الأَرْضِ لِأَنَّ آبَاكُمْ وَاحِدَ الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ. أَوْلَا تَدْعُوا مَعْلِمِينَ لِأَنَّ مَعْلِمَكُمْ وَاحِدَ الْمَسِيحِ. ١٠. وَأَكْبَرُكُمْ يَكُونُ خَادِمًا لَكُمُ. ١١. فَمَنْ يَرْفَعُ نَفْسَهُ يَضَعُهَا وَيَنْقِصُ وَيَضَعُ نَفْسَهُ يَرْفَعُ.

نبى إيسا لمر فى الالنجيل

المسيح عيسى بن مريم
حياته ودعوته

١٧. من ذلك الزمان ابتداء يسوع يكرز ويقول توبوا لانه قد اقترب ملكوت السموات
١٨. واذا كان يسوع ماشيا عند بحر الجليل ابصر اخوين سمعان اللبى يقال له
بطرس واندراوس اخاه بلقيان شبكة في البحر فانها كانا صيادين. فقال لهما هلم
وراني فاجعلكما صيادي الناس. فللوقت تركا الشباك وتبعاه. ثم اجاز من هناك
فرأى اخوين آخرين يعقوب بن زبدي ويوحنا اخاه في السفينة مع زبدي ابيهما يصلحان
شبا كهما فدعاهما. فللوقت تركا السفينة واباهما وتبعاه
٢٢. وكان يسوع بطوف كل الجليل بعلم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت ويشفي
كل مرضي وكل ضعف في الشعب.

مَلَكَاتِ السَّمَوَاتِ

٢٢ أَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنْتَ تَنْظُرُ وَإِذَا تَيْمَنَالٍ عَظِيمٍ هَذَا التَّيْمَنَالُ الْعَظِيمُ
 أَلَيْبِي حِدًّا وَقَفَتْ قِبَالَكَ وَمَنْظَرُهُ هَائِلٌ ٢٣. رَأْسُ هَذَا التَّيْمَنَالِ مِنْ ذَهَبٍ حَيِّدٍ. صَدْرُهُ
 وَذِرَاعَاهُ مِنْ فِضَّةٍ. بَطْنُهُ وَخَنَاقُهُ مِنْ نِحاسٍ ٢٤. سَاقَاهُ مِنْ حَدِيدٍ. قَدَمَاهُ بَعْضُهُمَا مِنْ
 حَدِيدٍ وَالْبَعْضُ مِنْ خَرْفٍ ٢٥. كُنْتَ تَنْظُرُ إِلَى أَنْ فُطِحَ حَجَرٌ بَعْضُ يَدَيْهِ فُضِرَبَ
 التَّيْمَنَالُ عَلَى قَدَمَيْهِ اللَّتَيْنِ مِنْ حَدِيدٍ وَخَرْفٍ فَسَخَّنَهُمَا ٢٦. فَانْتَحَقَ حَبْنِيذُ الْحَدِيدِ
 وَخَرْفٍ وَالنِّحاسِ وَالْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ مَعًا وَصَارَتْ كَهَصَافَةِ الْبَيْدْرِ فِي الصَّبِّ فَعَمَلَتْهَا
 الرِّيحُ فَلَمْ يُوجَدْ لَهَا مَكَانٌ. أَمَّا الْحَجَرُ الَّذِي ضَرَبَ التَّيْمَنَالُ فَصَارَ جَبَلًا كَبِيرًا وَمَلَأَ
 الْأَرْضَ كُلَّهَا ٢٧. هَذَا هُوَ الْحَجَرُ. فَتَغَيَّرَ بِتَغْيِيرِهِ فَدَامَ الْمَلِكُ

٢٧ أَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ مَلِكُ مُلُوكٍ لِأَنَّ إِلَهَ السَّمَوَاتِ أَعْطَاكَ مَمْلَكَةً وَأَفْدَارًا
 وَسُلْطَانًا وَخَزَا ٢٨. وَحِينَهَا يَسْكُنُ بَنُو الْبَشَرِ وَوُحُوشُ الْبَرِّ وَطَيْرُ السَّمَاءِ دَفَنَهَا لِيَدِكَ
 وَسَلْطَتِكَ عَلَيْهَا جَمِيعًا. فَأَنْتَ هَذَا الرَّأْسُ مِنْ ذَهَبٍ ٢٩. وَبَعْدَكَ نَوْمٌ مَمْلَكَةٌ أُخْرَى
 أَصْفَرُ مِنْكَ وَمَمْلَكَةٌ ثَالِثَةٌ أُخْرَى مِنْ نِحاسٍ تَنْسَلِطُ عَلَى كُلِّ الْأَرْضِ ٣٠. وَتَكُونُ
 مَمْلَكَةٌ رَابِعَةٌ صَلْبَةٌ كَالْحَدِيدِ لِأَنَّ الْحَدِيدَ يَدْفِقُ وَيَحْقِقُ كُلَّ شَيْءٍ وَكَالْحَدِيدِ الَّذِي
 يُكْبِرُ تَحْقِقُ وَتُكْبِرُ كُلُّ هَوْلَاءٍ ٣١. وَبِهَا رَأَيْتَ الْقَدَمَيْنِ وَالْأَصَابِعَ بَعْضُهَا مِنْ خَرْفٍ
 وَالْبَعْضُ مِنْ حَدِيدٍ فَالْمَمْلَكَةُ تَكُونُ مُنْسَبَةً وَيَكُونُ فِيهَا قُوَّةُ الْحَدِيدِ مِنْ جَيْتِ
 أَنْكَ رَأَيْتَ الْحَدِيدَ مُخْتَلِطًا بِخَرْفِ الطِّينِ ٣٢. وَأَصَابِعُ الْقَدَمَيْنِ بَعْضُهَا مِنْ حَدِيدٍ
 وَالْبَعْضُ مِنْ خَرْفٍ فَبَعْضُ الْمَمْلَكَةِ يَكُونُ قَوِيًّا وَالْبَعْضُ فَصَمًا ٣٣. وَبِهَا رَأَيْتَ
 الْحَدِيدَ مُخْتَلِطًا بِخَرْفِ الطِّينِ فَإِنَّهُمْ يَخْتَلِطُونَ بِنَسْلِ النَّاسِ وَلَكِنْ لَا يَتَلَاصِقُ هَذَا
 بِذَاكَ كَمَا أَنَّ الْحَدِيدَ لَا يَخْتَلِطُ بِخَرْفٍ ٣٤. وَفِي أَيَّامِ هَوْلَاءِ الْمَلُوكِ يُبِيمُ إِلَهَ السَّمَوَاتِ
 مَمْلَكَةً لَنْ تَنْفِرَ أَبَدًا وَمَلِكُهَا لَا يَبْرُكُ لِنَسَبِ آخَرٍ وَتَحْقِقُ وَتُنْفِي كُلَّ هَذِهِ الْمَمَالِكِ
 وَهِيَ تَلْبَسُ إِلَى الْأَبَدِ ٣٥. لِأَنَّكَ رَأَيْتَ أَنَّ قَدْ فُطِحَ حَجَرٌ مِنْ جَبَلٍ لَا يَدِينُ فَحَقَّقَ
 الْحَدِيدَ وَالنِّحاسَ وَالخَرْفَ وَالْفِضَّةَ وَالذَّهَبَ. اللَّهُ الْعَظِيمُ قَدْ عَرَفَ الْمَلِكُ مَا سَيَلِي
 بَعْدَ هَذَا. الْحَجَرُ حَقٌّ وَتَغْيِيرُهُ بَيِّنٌ

ابن الإنسان

حتى ياتي ابن الانسان

ثُمَّ دَعَا تَلَامِيذَهُ الْإِثْنَيْ عَشَرَ وَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا عَلَى أَرْوَاحِ نَجَسَةٍ حَتَّى يُخْرِجُوهَا
وَيَسْفِنُوا كُلَّ مَرَضٍ وَكُلِّ ضَعْفٍ. ^{٢٠} وَأَمَّا أَسْمَاءُ الْإِثْنَيْ عَشَرَ رَسُولًا فَبَقِيَ هَذِهِ. الْأَوَّلُ سِمَعَانُ
الَّذِي يُقَالُ لَهُ يُطْرُسُ وَأَنْدَرَاوُسُ أَخُوهُ. يَعْقُوبُ بْنُ زَبْدِي وَيُوحَنَّا أَخُوهُ. ^{٢١} فِيلِيسُ
وَبَرْتُولِمَاوُسُ. ثَوْمَا وَمَتَّى الْعَشَّارُ. يَعْقُوبُ بْنُ حَلْفَى وَبَلَاوُسُ الْمَلْتَبِيُّ تَدَاوُسَ. ^{٢٢} سِمَعَانُ
الْقَانَوِيُّ وَيَهُوذَا الْإِسْخَرِيوطِيُّ الَّذِي اسْلَمَهُ

هؤُلاءِ الْإِثْنَا عَشَرَ أَرْسَلَهُمْ يَسُوعُ وَأَوْصَاهُمْ قَائِلًا: إِلَى طَرِيقِ أُمَمٍ لَا تَمْضُوا وَإِلَى
مَدِينَةٍ لِلسَّامِرِيِّينَ لَا تَدْخُلُوا. بَلْ أَذْهَبُوا بِالتَّحْرِي إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ.
^{٢٣} وَفِيمَا أَنْتُمْ ذَاهِبُونَ أَكْرِزُوا قَائِلِينَ إِنَّهُ قَدْ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَوَاتِ. ^{٢٤} اسْتَمُوا مَرْضَى
طَهَّرُوا بَرَصًا. أَقْبِسُوا مَوْتَى. أَخْرِجُوا شَيَاطِينَ. مَجَانًا أَخَذْتُمْ مَجَانًا أَعْطُوا. لَا تَقْتَنُوا ذَهَبًا
وَلَا فِضَّةً وَلَا نَحَاسًا فِي مَنَاطِقِكُمْ. ^{٢٥} وَلَا مِزْوَدًا لِلطَّرِيقِ وَلَا نَوْبِينَ وَلَا أَحْذِيَّةً وَلَا عَصًا.
لِأَنَّ النَّاعِلَ مُسْتَحِقَّ طَعَامِهِ

^{١١} وَأَيُّهُ مَدِينَةٌ أَوْ قَرْيَةٍ دَخَلْتُمُوهَا فَانْحَصُوا مِنْ فِيهَا مُسْتَحِقِّ. وَأَقْبِسُوا هُنَاكَ حَتَّى
تَخْرُجُوا. ^{١٢} وَحِينَ تَدْخُلُونَ الْبَيْتَ سَلِّمُوا عَلَيْهِ. ^{١٣} فَإِنْ كَانَ الْبَيْتُ مُسْتَحِقًّا قَلْبَاتِ سَلَامَتِكُمْ
عَلَيْهِ. وَلَكِنْ إِنْ لَمْ يَكُنْ مُسْتَحِقًّا فَلْيَرْجِعْ سَلَامَتُكُمْ إِلَى الْبَيْتِ. ^{١٤} وَمَنْ لَا يَقْبَلُكُمْ وَلَا يَسْمَعُ كَلَامَكُمْ
فَأَخْرِجُوا خَارِجًا مِنْ ذَلِكَ الْبَيْتِ أَوْ مِنْ تِلْكَ الْمَدِينَةِ وَأَنْفِضُوا غَبَارَ أَرْجُلِكُمْ. ^{١٥} أَلَمْ يَحْسَبْ

أقول لكم ستكونون لأرض سدوم وعمورة يوم الدين حالة أكثر أخطاراً مما لبلد تلك المدينة
^{١١} ها أنا أرسلكم كنتم في وسط ذناب. فكونوا حكماء كالحيات وسطاء كأحمام.
^{١٢} ولكن احذروا من الناس. لأنهم سيشلبونكم إلى مجالس وفي مجامعهم يجلدونكم.
^{١٣} وتساقون أمام أمراء ولاة وملوك من أجل شهادة لهم وللأمة. فإني أسألوكم فلا تهتموا
كيف أو بما تتكلمون. لأنكم تستطون في تلك الساعة ما تتكلمون به. ^{١٤} لأن لستم أنتم
المتكلمين بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم. ^{١٥} وسيسلم الأخ أخاه إلى الموت والآب
ولده. ويقوم الأولاد على والديهم ويقتلونهم. ^{١٦} وتكونون مبغضين من الجميع من أجل
اسمي. ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص. ^{١٧} ومنى طردوكم في هذه المدينة فاهربوا
إلى الأخرى. فإني الحق أقول لكم لا تكلمون مدن إسرائيل حتى ياتي ابن الإنسان
^{١٨} ليس التلميذ أفضل من المعلم ولا العبد أفضل من سيده. ^{١٩} يكفي التلميذ أن
يكون كعلميه والعبد كسيده. إن كانوا قد لقبوا رب البيت بعلمبول فكم بالبحري أهل
بيته. ^{٢٠} فلا تخافوهم. لأن ليس مكنوم لن يستعلن ولا خفي لن يعرف. ^{٢١} الذي أقوله لكم
في الظلمة قولوه في النور. والذي سمعوه في الأذن نادوا به على السطوح. ^{٢٢} ولا تخافوا
من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدر أن يقتلوا. بل خافوا بالبحري من
الذي يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما في جهنم. ^{٢٣} أليس عصفوران يباعان بفلس.
وواحد منهما لا يسقط على الأرض بدون أبيكم. ^{٢٤} وأما أنتم فحتى شعور رؤوسكم جميعها
محصاة. ^{٢٥} فلا تخافوا. أنتم أفضل من عصفير كثير. ^{٢٦} فكل من يعترف بي قدام الناس
أعترف أنا أيضاً به قدام أبي الذي في السموات. ^{٢٧} ولكن من ينكرني قدام الناس أنكره أنا
أيضاً قدام أبي الذي في السموات

^{٢٨} لا تظنوا أنني جئت لأتقي سلاماً على الأرض. ما جئت لأتقي سلاماً بل سباً.
^{٢٩} فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه وأبنة ضد أمها والكننة ضد حماتها. ^{٣٠} وأعداء

الإنسان أهل بيته. ٣٧ من أحب أباً أو أما أكثر مني فلا يستحقني. ومن أحب أباً أو
 أخته أكثر مني فلا يستحقني. ٣٨ ومن لا يأخذ صليبه ويبتغي فلا يستحقني. ٣٩ من وجد جبانته
 بضيقاً. ومن أضاع جبانته من أجلي مجدّها. ٤٠ من يقبلكم يقبلني ومن يقبلني يقبل الذي
 أرسلني. ٤١ من يقبل نبياً باسم نبي فأجر نبي يأخذ. ومن يقبل باراً باسم بار فأجر بار
 يأخذ. ٤٢ ومن سقى أحد هؤلاء الصغار كأس ماء بار فقط باسم تلميذ فأحق أقول
 لكم إنه لا يضيع أجره
 ولما أكمل يسوع أمره لتلاميذه الأثني عشر أنصرف من هناك ليعلم ويكرّر في مدنهم

مائدة من السماء

٤٤ فلما رأى الجمع أن يسوع ليس هو هناك ولا تلاميذه دخلوا هم
 أيضاً السفن وجاءوا إلى كفرناحوم يطلبون يسوع. ٤٥ ولما وجدوا في غير البحر قالوا له
 يا معلم متى صرت هنا. ٤٦ أجابهم يسوع وقال الحق الحق أقول لكم أنتم تطلبونني ليس
 لأنكم رأيتم آيات بل لأنكم أكلتم من الخبز فشيتم. ٤٧ اعملوا لا للطعام البائس بل للطعام
 الباقي للحياة الأبدية الذي يعطيكم ابن الإنسان لأن هذا الله الآب قد خصه. ٤٨ فقالوا
 له ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله. ٤٩ أجاب يسوع وقال لم هنا هو عمل الله أن تؤمنوا
 بالذي هو أرسله. ٥٠ فقالوا له فآية تصنع لئري وتؤمن بك. ماذا نفعل. ٥١ وأنا أكلوا
 ألن في البرية كما هو مكتوب أنه أعطاهم خبزا من السماء ليأكلوا
 ٥٢ فقال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء بل أبي
 يعطيكم الخبز الحقيقي من السماء. ٥٣ لأن خبز الله هو النازل من السماء الزاهب حياة
 للعالم. ٥٤ فقالوا له يا سيد أعطنا في كل حين هذا الخبز. ٥٥ فقال لهم يسوع أنا هو خبز
 الحياة. من يقبل إلي فلا يجوع ومن يؤمن بي فلا يعطش أبداً. ٥٦ ولكني قلت لكم إنكم قد
 رأيتموني ولم تؤمنون. ٥٧ كل ما يعطيني الآب فأبني يقبل ومن يقبل إلي لا أخرجته
 خارجاً. ٥٨ لأنني قد ترلت من السماء ليس لأعمل مشيئة بل مشيئة الذي أرسلني. ٥٩ وهذه
 مشيئة الآب الذي أرسلني أن كل ما أعطاني لأتلف منه شيئاً بل أفيقه في اليوم الأخير.
 ٦٠ لأن هذه هي مشيئة الذي أرسلني أن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية
 وأنا أفيقه في اليوم الأخير

علامات ابن الانسان

٢٠ وفيما هو جالس على جبل الزيتون تقدم إليه التلاميذ على أفراد قائلين قل لنا متى يكون هذا وما هي علامة مجيئك وأفضاء الدهر. فأجاب يسوع وقال لهم أنظروا لا بصلبكم أحد. ٢١ فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين أنا هو المسيح ويضلون كثيرين. ٢٢ وسوف يسمعون مجروب وأخبار حروب. أنظروا لا ترتاعوا. لأنه لا بد أن تكون هذه كلها. ولكن ليس المنتهى بعد. ٢٣ لأنه تقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة وتكون مجاعات وأزفة وزلازل في أماكن. ٢٤ ولكن هذه كلها مبتدأ الأوجاع. ٢٥ حينئذ يسلمونكم إلى يدين ويقتلونكم وتكونون مبغضين من جميع الأمم لأجل اسمي. ٢٦ وحينئذ يعذب كثيرون ويسلمون بعضهم بعضاً ويبغضون بعضهم بعضاً. ٢٧ ويقوم أنبياء كذبة كثيرون ويضلون كثيرين. ٢٨ ولكن كثرة الأمم تزيد بحجة الكثيرين. ٢٩ ولكن الذي يصير إلى المنتهى فهذا مختص. ٣٠ وتكرر بشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم. ثم يأتي المنتهى

٣١ فمتى نظرتهم رجسة الخراب التي قال عنها داوود النبي قائمة في المكان المقدس. ٣٢ لهم الفاري. ٣٣ حينئذ ليهرب الذين في اليهودية إلى الجبال. ٣٤ والذي على السطح فلا ينزل ليأخذ من بيته شيئاً. ٣٥ والذي في الحقل فلا يرجع إلى ورائه ليأخذ ثيابه. ٣٦ وويل للبهالي والمريضات في تلك الأيام. ٣٧ وصلوا لكي لا يكون هربكم في شتاء ولا في سبت. ٣٨ لأنه يكون حينئذ صيف عظيم لم يكن مثله منذ ابتداء العالم إلى الآن ولن يكون. ٣٩ ولو لم تقصر تلك الأيام لم يخلص جسد. ولكن لأجل المختارين تقصر تلك الأيام. ٤٠ حينئذ إن قال لكم أحد هوذا المسيح هنا أو هناك فلا تصدقوا. ٤١ لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون آيات عظيمة وعجايب حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضاً. ٤٢ ها أنا قد سمعت وأخبرتكم. ٤٣ فإن قالوا لكم ها هو في البرية فلا تخرجوا. ها هي في البعاج فلا تصدقوا. ٤٤ لأنه كما أن البرق يخرج من المشرق ويظهر إلى المغرب

هَكَذَا يَكُونُ أَيْضًا حَيُّ ابْنِ الْإِنْسَانِ. ^{٢٨} لِأَنَّهُ حَيْثُمَا تَكُنِ الْجَنَّةُ فَهَنَّاكَ تَجْمَعُ السُّورُ
وَاللَّوْفَتِ بَعْدَ صَبِيحِ تِلْكَ الْأَيَّامِ فَظَلِمَ النَّهْمُ وَالْقَبْرُ لَا يُعْطِي ضَوْءَهُ وَالْحَبْرُ تَسْفُطُ
مِنَ السَّمَاءِ وَقَوَاتُ السَّمَوَاتِ تَنْزَعُ عُرُوقًا. ^{٢٩} وَحَيْثُمَا تَظْهَرُ عَلَامَةُ ابْنِ الْإِنْسَانِ فِي السَّمَاءِ.
وَحَيْثُمَا تَنُوحُ جَمِيعُ قِبَائِلِ الْأَرْضِ وَيَبْصُرُونَ ابْنَ الْإِنْسَانِ آتِيًا عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ بِقُوَّةٍ
وَبِحَيْثُ كَثِيرٍ. ^{٣٠} فَيُرْسِلُ مَلَائِكَتَهُ يَبْفِقُ عَظِيمَ الصَّوْتِ فَيَجْمَعُونَ مَخَارِيهَ مِنَ الْأَرْبَعِ الرِّيَاحِ
مِنَ أَقْصَاءِ السَّمَوَاتِ إِلَى أَقْصَائِهَا. ^{٣١} فَيَهِنُ شَجَرَةُ النَّيْنِ تَعْلَمُوا النَّهْلَ. مَتَى صَارَ غُضْبُهَا
رَخْصًا وَأُخْرِجَتْ أَوْ رَأَتْهَا تَعْلَمُونَ أَنَّ الصَّيْفَ قَرِيبٌ. ^{٣٢} هَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا مَتَى رَأَيْتُمْ هَذَا كَلِمَةً
فَاعْلَمُوا أَنَّهُ قَرِيبٌ عَلَى الْأَبْوَابِ. ^{٣٣} الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ لَا يَبْهِي هَذَا الْمَجِيءُ حَتَّى يَكُونَ هَذَا كَلِمَةً.
^{٣٤} السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ تَزُولَانِ وَلَكِنَّ كَلَامِي لَا يَزُولُ. ^{٣٥} وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلَا
يَعْلَمُ بِهَا أَحَدٌ وَلَا مَلَائِكَةُ السَّمَوَاتِ إِلَّا أَبِي وَحْدَهُ. ^{٣٦} وَكَمَا كَانَتْ أَيَّامُ نُوحٍ كَذَلِكَ يَكُونُ
أَيْضًا حَيُّ ابْنِ الْإِنْسَانِ. ^{٣٧} لِأَنَّهُ كَمَا كَانُوا فِي الْأَيَّامِ الَّتِي قَبْلَ الطُّوفَانِ يَأْكُلُونَ
وَيَشْرَبُونَ وَيَتَزَوَّجُونَ وَيُزَوَّجُونَ إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ نُوحٌ الْفُلْكَ. ^{٣٨} وَلَمْ يَعْلَمُوا حَتَّى
جَاءَ الطُّوفَانُ وَأَخَذَ الْجَمِيعَ. كَذَلِكَ يَكُونُ أَيْضًا حَيُّ ابْنِ الْإِنْسَانِ. ^{٣٩} حَيْثُمَا يَكُونُ ابْنَانِ
فِي الْمَقْتَلِ. يُؤَخِّدُ الْوَاحِدَ وَيَتْرُكُ الْآخَرَ. ^{٤٠} ابْنَانِ تَحْتَابِ عَلَى الرَّحْمَى. يُؤَخِّدُ الْوَاحِدَةَ
وَيَتْرُكُ الْآخَرَى

^{٤١} اسْمُهُوَ إِذَا لَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ فِي أَيَّةِ سَاعَةٍ يَأْتِي رَيْكُمُ. ^{٤٢} وَاعْلَمُوا هَذَا أَنَّهُ لَوْ عَرَفَ رَبُّ
الْيَمِينِ فِي أَيِّ هَرِيعٍ يَأْتِي السَّارِقُ لَسَهَرَ وَلَمْ يَدْعُ بَيْتَهُ بِنَفْسِهِ. ^{٤٣} لِذَلِكَ كَلِمًا أَنْتُمْ أَيْضًا
مُسْتَعِدِّينَ لِأَنَّهُ فِي سَاعَةٍ لَا تَظُنُّونَ يَأْتِي ابْنُ الْإِنْسَانِ. ^{٤٤} فَهِنَّ هُوَ الْعَبْدُ الْأَمِينُ الْحَكِيمُ الَّذِي
أَقَامَهُ سَيِّدُهُ عَلَى خَدَمِهِ لِيُعْطِيَهُمُ الطَّعَامَ فِي حَيْثُوهُ. ^{٤٥} طَوِي لِدُنْكَ الْعَبْدُ الَّذِي إِذَا جَاءَ سَيِّدُهُ
يَجِدُهُ يَنْعَلُ هَكَذَا. ^{٤٦} الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ يُقِيمُهُ عَلَى جَمِيعِ أُمُورِهِ. ^{٤٧} وَلَكِنْ إِنْ قَالَ ذَلِكَ
الْعَبْدُ الرَّدِي فِي قَلْبِهِ سَيِّدِي يُعْطِي قُدُومَهُ. ^{٤٨} فَيَبْتَدِي بِضَرْبِ الْعَبْدِ رُفْقَاءَهُ وَيَأْكُلُ وَيَشْرَبُ

مَعَ الشُّكَّارَى . يَا بَنِي سَيِّدِ ذَلِكَ الْعَبْدِ فِي يَوْمٍ لَا يَنْتَظِرُهُ وَفِي سَاعَةٍ لَا يَبْرَحُهَا . ١٠ فَيَنْقَطِعُ
وَيَجْعَلُ نَصِيبَهُ مَعَ الْمَرَاتِينِ . هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الْأَسْنَانِ
الْأَضْحَاجُ الْخَامِسُ وَالْعِشْرُونَ

١ حِينَئِذٍ يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَوَاتِ عَشْرَ عَشْرَةَ أَخَذَنَ مَصَابِيحَهُمْ وَخَرَجَنَ لِلِنِّعَاءِ
الْعَرِيسِ . ٢ وَكَانَ خَمْسُ مِنْهُنَّ حَكِيمَاتٍ وَخَمْسُ جَاهِلَاتٍ . ٣ أَمَّا الْجَاهِلَاتُ فَأَخَذْنَ
مَصَابِيحَهُنَّ وَلَمْ يَأْخُذْنَ مَعَهُنَّ زَيْتًا . ٤ وَأَمَّا الْحَكِيمَاتُ فَأَخَذْنَ زَيْتًا فِي أَنْبِيقَاتٍ مَعَ
مَصَابِيحِهِنَّ . ٥ وَبِمَا أَبْطَأَ الْعَرِيسُ نَعْسَنَ جِيصِمَهُنَّ وَبَيْنَ ٦ فِي نِصْفِ اللَّيْلِ صَارَ صُرَاحٌ
هُوَ ذَا الْعَرِيسِ مُنْبِلٌ فَأَخْرَجَنَ لِلْقَائِمَةِ . ٧ فَقَامَتِ جَمِيعُ أَوْلِيَاكَ الْعَذَارَى وَأَطْلَعْنَ مَصَابِيحَهُنَّ .
٨ فَقَالَتِ الْجَاهِلَاتُ لِلْحَكِيمَاتِ اعْطِينَا مِنْ زَيْتِكُنَّ فَإِنَّ مَصَابِيحَنَا تَنْطَفِئُ . ٩ فَأَجَابَتِ
الْحَكِيمَاتُ قَائِلَاتٍ لَعَلَّهُ لَا يَكْفِي لَنَا وَلَكِنْ بَلْ أَذْهَبْنَ إِلَى الْبَاعَةِ وَاتَّعِنَ لَكُنَّ . ١٠ وَفِيمَا هُنَّ
ذَاهِبَاتٍ لِيَتَّعِنَ جَاءَ الْعَرِيسُ وَالْمُسْتَعِدَّاتُ دَخَلْنَ مَعَهُ إِلَى الْعُرْسِ وَأُغْلِقَ الْبَابَ . ١١ أَخِيرًا
جَاءَتِ بَقِيَّةُ الْعَذَارَى أَيْضًا قَائِلَاتٍ يَا سَيِّدُ يَا سَيِّدُ انْفُخْ لَنَا . ١٢ فَأَجَابَ وَقَالَ انْحَقِي أَقُولُ
لَكُنِّي إِنِّي مَا أَعْرِفُكُمْ . ١٣ فَاسْهَرُوا إِذَا لَا تَعْرِفُونَ الْيَوْمَ وَلَا السَّاعَةَ الَّتِي يَأْتِي فِيهَا
أَبْنُ الْإِنْسَانِ

١٤ « وَكَانَهَا إِنْسَانٌ مُسَافِرٌ دَعَا عِيْدَهُ وَسَلَّمَهُمْ أَمْوَالَهُ . ١٥ فَأَعْطَى وَاحِدًا خَمْسَ وَزَنَاتٍ
وَآخَرَ وَزَنَتَيْنِ وَآخَرَ وَزَنَةً . كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى قَدْرِ طَائِفَتِهِ . وَسَافِرٌ لِلْوَقْتِ . ١٦ فَمَضَى الَّذِي
أَخَذَ الْخَمْسَ وَزَنَاتٍ وَتَاجَرَ بِهَا فَرَجَّ خَمْسَ وَزَنَاتٍ أُخَرَ . ١٧ وَهَكَذَا الَّذِي أَخَذَ الْوَزَنَتَيْنِ
رَجَعَ أَيْضًا وَزَنَتَيْنِ أُخْرَيْنِ . ١٨ وَأَمَّا الَّذِي أَخَذَ الْوَزَنَةَ فَمَضَى وَحَفَرَ فِي الْأَرْضِ وَأَخْفَى فِضَّةَ
سَيِّدِهِ . ١٩ وَبَعْدَ زَمَانٍ طَوِيلٍ أَتَى سَيِّدُ أَوْلِيَاكَ الْعِيْدِ وَجَاسَهُمْ . ٢٠ فَجَاءَ الَّذِي أَخَذَ الْخَمْسَ
وَزَنَاتٍ وَقَدَّرَ خَمْسَ وَزَنَاتٍ أُخَرَ قَائِلًا يَا سَيِّدُ خَمْسَ وَزَنَاتٍ سَلَّمْتَنِي . هُوَذَا خَمْسُ
وَزَنَاتٍ أُخَرَ رَجَعَتْهَا فَرَمَتْهَا . ٢١ فَقَالَ لَهُ سَيِّدُهُ نِعِمَّا أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ وَالْآمِنُ . كُنْتُ أَمِينًا
٢٢

في القليل فأفيمك على الكثير. أدخل إلى فرح سيدك. ٢٢ ثم جاء الذي أخذ الوزنين وقال يا سيد وزنتين سلمتني. هوذا وزنتان أخريان رحمتهما فوثقهما. ٢٣ قال له سيده نعيما أيها العبد الصالح الأمين. كنت أميناً في القليل فأفيمك على الكثير. أدخل إلى فرح سيدك. ٢٤ ثم جاء أيضاً الذي أخذ الوزنة الواحدة وقال يا سيد عرفت أنك إنسان قاسي تحصد حيث لم تزرع وتجمع من حيث لم تبدر. ٢٥ فحُفَّتْ وَمَضَتْ وَأَخْفِيَتْ وَزنتك في الأرض. هوذا الذي لك. ٢٦ فأجاب سيده وقال له أيها العبد الشرير والكسلان عرفت أنني أحصد حيث لم أزرع وأجمع من حيث لم أبدر. ٢٧ فكان ينبغي أن تضع قضيتي عند الصيارفة. فعند محبي كنت أخذ الذهب لي مع ربا. ٢٨ فخذوا منه الوزنة وأعطوها للذي له العشر وزنات. ٢٩ لأن كل من له يعطى فزيداد ومن ليس له فالذي عنده يؤخذ منه. ٣٠ والعبد البطال أطرحوه إلى الظلمة الخارجية. هناك يكون البكاء وصريد الأسنان

١١ ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة اليبسين معه يجتهد يجلس على كرسي مجده. ١٢ وتجميع أمانة جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الخنازير. ١٣ فيقيم الخراف عن يمينه والخنازير عن اليسار. ١٤ ثم يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يا مباركي أبي ربوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم. ١٥ لا تاتي جعت فاطعمتموني. عطشت فسقيتموني. كنت غريباً فأوتتموني. ١٦ عزبانا فكسوتوني. مريضاً فزرتموني. محبوساً فأنتم إلي. ١٧ فسيب الأبرار حينئذ قائلين يا رب متى رأيناك جائعاً فاطعمناك. أو عطشنا فسقيناك. ١٨ ومتى رأيناك غريباً فأوتناك. أو عزبانا فكسوتناك. ١٩ ومتى رأيناك مريضاً أو محبوساً فأتينا إليك. ٢٠ فسيب الملك ويقول لهم اتمتعوا قول لكم بها أنكم فعلتموه يا أحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتموه ٢١ ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة

لِإِبْلِيسَ وَمَلَائِكَتِهِ. ٢٥ لِأَنِّي جَعْتُ فَلَمْ تُطِعُونِي. عَطِشْتُ فَلَمْ تَسْقُونِي. ٢٦ كُنْتُ غَرِيبًا
 فَلَمْ تَأْوُونِي. غَرِيبَانَا فَلَمْ تَكْسُونِي. مَرِيضًا وَمَجْبُوسًا فَلَمْ تَرْوُونِي. ٢٧ حِينَئِذٍ يُجِيبُونَهُ هُمُ أَيْضًا
 قَائِلِينَ يَا رَبُّ مَنِّي رَأَيْنَاكَ جَائِعًا أَوْ عَطْشَانًا أَوْ غَرِيبًا أَوْ مَرِيضًا أَوْ مَجْبُوسًا وَلَمْ
 نَعْمَدْكَ. ٢٨ فَجِيبَهُمْ قَائِلًا الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ بِمَا أَنْتُمْ لَمْ تَفْعَلُوهُ بِأَحَدٍ هَؤُلَاءِ الْأَصَاغِرِ فَيَلَمْ
 تَفْعَلُوا. ٢٩ فَيَنْضِي هَؤُلَاءِ إِلَى عَذَابِ آبَائِي وَالْآبَرَارُ إِلَى حَيَوةٍ أَبَدِيَّةٍ

مُبَارَكُ الْآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ

٤١ وَفِيمَا كَانَ الْفَرِيسِيُّونَ مُجْتَمِعِينَ سَأَلَهُمُ يَسُوعُ ٤٢ قَائِلًا مَاذَا تَنْظُرُونَ فِي الْمَسِيحِ. أَبْنٌ مِنْ
 هُوَ. قَالُوا لَهُ ابْنُ دَاوُدَ. ٤٣ قَالَ لَهُمْ فَكَيْفَ يَدْعُوهُ دَاوُدُ يَا لِرُوحِ رَبِّا قَائِلًا ٤٤ قَالَ الرَّبُّ
 لِرَبِّي اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِنًا لِقَدَمَيْكَ. ٤٥ فَإِنْ كَانَ دَاوُدُ يَدْعُوهُ رَبًّا فَكَيْفَ
 يَكُونُ ابْنَهُ. ٤٦ فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يُجِيبَهُ بِكَلِمَةٍ. وَمِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ لَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ أَنْ يَسْأَلَ لَهُ بِنْتَهُ
 الْأَصْحَاحُ الثَّلَاثُ وَالْعِشْرُونَ

٤٧ حِينَئِذٍ خَاطَبَ يَسُوعُ الْجُمُوعَ وَتَلَامِيذَهُ ٤٨ قَائِلًا. ٤٩ عَلَى كُرْسِيِّ مُوسَى جَلَسَ الْكَتِيبَةُ
 ٤١ ج

وَالْفَرِيسِيِّينَ. فَمَثَلٌ مَا قَالُوا لَكُنْ أَنْ تَحْفَظُوهُ فَاحْفَظُوهُ وَأَفْعَلُوهُ. وَلَكِنْ حَسَبَ أَعْمَالِهِمْ لَا تَعْمَلُوا لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ وَلَا يَفْعَلُونَ. فَإِنَّهُمْ يَحْرِمُونَ أَحْمَالَ نَفِيلَةَ عَسِيرَةَ أَفْجَحِيلٍ وَيَضَعُونَهَا عَلَى أَكْتَابِ النَّاسِ وَمَنْ لَا يَرِيدُونَ أَنْ يَحْرِكُوهَا بِأَصْبَعِهِمْ. وَكُلُّ أَعْمَالِهِمْ يَعْمَلُونَهَا لِكَيْ تَنْظُرَهُمُ النَّاسُ. فَيَعْرِضُونَ عَصَائِبَهُمْ وَيُعْظِمُونَ أَهْدَابَ ثِيَابِهِمْ. وَيُحِبُّونَ الْمَنَسَكَ الْأَوَّلَ فِي الْوَلَايَمِ وَالْجَالِسِ الْأَوَّلِي فِي الْجَامِعِ. وَالنَّحِيَاتِ فِي الْأَسْوَاقِ وَأَنْ يَدْعُوَهُمُ النَّاسُ سَيِّدِي سَيِّدِي. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَا تَدْعُوا سَيِّدِي لِأَنَّ مَوْلِيكُمْ وَاحِدَ الْمَسِيحِ وَأَنْتُمْ جَمِيعًا إِخْوَةٌ. وَلَا تَدْعُوا لَكُمْ أَمَا عَلَى الْأَرْضِ لِأَنَّ آبَاكُمْ وَاحِدَ الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ. وَلَا تَدْعُوا مَوْلِيَيْنِ لِأَنَّ مَوْلِيَكُمْ وَاحِدَ الْمَسِيحِ. وَكَثِيرٌ كَرُمُ بَكُونُ خَادِمًا لَكُنْ. فَمَنْ يَرْفَعُ نَفْسَهُ يَضَعُهَا وَمَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ يَرْفَعُهَا.

١١ لَكِنْ وَيَلْ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَنَبَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ الْمُرَاوُونَ لِأَنَّكُمْ تَقْلُبُونَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ قَدَامَ النَّاسِ فَلَا تَدْخُلُونَ أَنْتُمْ وَلَا تَدْخُلُونَ الْبَاخِلِينَ يَدْخُلُونَ. وَيَلْ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَنَبَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ الْمُرَاوُونَ لِأَنَّكُمْ تَأْكُلُونَ بُيُوتَ الْآرَامِلِ. وَتَلْعَلُّوْنَ نَطْلُونَ صَلَوَاتِكُمْ. لِذَلِكَ تَأْخُذُونَ دِينَونَةَ أَعْظَمَ. وَيَلْ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَنَبَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ الْمُرَاوُونَ لِأَنَّكُمْ تَطُوفُونَ الْبَحْرَ وَالْبَرَّ لِتَكْتَبُوا دَخِيلًا وَاجِدًا. وَمَنْي حَصَلَ تَصْنَعُونَهُ أَنْبَا لِحَمَتِهِمْ أَكْثَرَ مِنْكُمْ مَضَاعِفًا. وَيَلْ لَكُمْ أَيُّهَا الْفَادَةُ الْعَمِيَانُ الْقَائِلُونَ مَنْ حَلَفَ بِالْهَيْكَلِ فَلَيْسَ بِنَبِي. وَلَكِنْ مَنْ حَلَفَ بِنَهْبِ الْهَيْكَلِ يَلْتَرِ. أَيُّهَا الْجَهَالُ وَالْعَمِيَانُ أَيُّهَا أَعْظَمُ الذَّهَبِ أَمْ الْهَيْكَلُ الَّذِي يَفْدِسُ الذَّهَبَ. وَمَنْ حَلَفَ بِالْمَذْحَجِ فَلَيْسَ بِنَبِي. وَلَكِنْ مَنْ حَلَفَ بِالْقُرْبَانِ الَّذِي عَلَيْهِ يَلْتَرِ. أَيُّهَا الْجَهَالُ وَالْعَمِيَانُ أَيُّهَا أَعْظَمُ الْقُرْبَانِ أَمْ الْمَذْحَجُ الَّذِي يَفْدِسُ الْقُرْبَانَ. فَإِنْ مَنْ حَلَفَ بِالْمَذْحَجِ فَقَدْ حَلَفَ بِوَيْكَلِ مَا عَلَيْهِ. وَمَنْ حَلَفَ بِالْهَيْكَلِ فَقَدْ حَلَفَ بِوَيْكَلِ الْبَاكِينَ فِيهِ. وَمَنْ حَلَفَ بِالسَّمَاءِ فَقَدْ حَلَفَ بِعَرْشِ اللَّهِ وَبِالْجَالِسِ عَلَيْهِ. وَيَلْ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَنَبَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ الْمُرَاوُونَ لِأَنَّكُمْ تَعْتَشِرُونَ النَّعْنَعَ وَالسِّبْتِ

وَالْكُفْرَ وَتَرْكُنْمُ أَثَلُ النَّامُوسِ الْحَقِّ وَالرَّحْمَةَ وَالْإِيمَانَ. كَانَ بِنْتِي أَنْ تَعْمَلُوا هُنْدِي
 وَلَا تَنْزِكُوا يَلِك. ٢٠ أَيُّهَا الْفَادَةُ الْعَمِيثَاتُ الَّذِينَ يَصُونُونَ عَنِ الْبُعُوضَةِ وَيَلْعَبُونَ الْجَمَلِ
 ٢٠ وَيَلْ كُمْ أَيُّهَا الْكُتْبَةُ وَاللَّرِيْسِيُونَ الْمَرَاوُونَ لِأَنْكُرُ تَنْفُونَ خَارِجَ الْكَلَّاسِ وَالصَّخْفَةِ
 وَهَمَّا مِنْ دَاخِلِ مَمْلُوكَانَ أَخِطَاطًا وَدَعَارَةً. ٢١ أَيُّهَا الْفَرِيْسِيُّ الْأَعْمَى نَبِيٌّ أَوْلَادًا دَاخِلِ الْكَلَّاسِ
 وَالصَّخْفَةِ لَكِي يَكُونُ خَارِجُهُمَا أَيْضًا نَبِيًّا. ٢٢ وَيَلْ كُمْ أَيُّهَا الْكُتْبَةُ وَاللَّرِيْسِيُونَ الْمَرَاوُونَ
 لِأَنْكُرُ تَنْفِيهُونَ قُبُورًا مَبِيضَةً تَطْهَرُ مِنْ خَارِجِ حَبِيلَةٍ وَهِيَ مِنْ دَاخِلِ مَسْلُوءَةٍ عِظَامِ
 أَمْوَاتٍ وَكُلِّ مَجَاسِدَةٍ. ٢٣ هَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا مِنْ خَارِجِ تَطْهَرُونَ لِلنَّاسِ أُرْبَارًا وَكَلِّكُمْ مِنْ دَاخِلِ
 مَسْخُونُونَ رِيَاءٍ وَرَائِيًّا. ٢٤ وَيَلْ كُمْ أَيُّهَا الْكُتْبَةُ وَاللَّرِيْسِيُونَ الْمَرَاوُونَ لِأَنْكُمْ تَبْنُونَ قُبُورَ
 الْأَنْبِيَاءِ وَتَرْبِيُونَ مَدَافِنَ الصِّدِّيقِينَ. ٢٥ وَتَقُولُونَ لَوْ كُنَّا فِي أَيَّامِ آبَائِنَا لَمَا شَارَكْنَاكُمْ فِي دَمِ
 الْأَنْبِيَاءِ. ٢٦ فَانْتُمْ تَشْهَدُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْكُمْ أَبْنَاءُ قَتَلَةِ الْأَنْبِيَاءِ. ٢٧ فَامْلَأُوا أَنْتُمْ مِكْيَالَ
 آبَائِكُمْ. ٢٨ أَيُّهَا الْحَيَاتُ أَوْلَادُ الْأَفَاعِي كَيْفَ تَهْرَبُونَ مِنْ دَبْنُونَةِ جَهَنَّمَ. ٢٩ لِذَلِكَ مَا
 أَنَا أَرْسِلُ إِلَيْكُمْ أَنْبِيَاءَ وَحُكَمَاءَ وَكُتْبَةً فَمِنْهُمْ تَقْتُلُونَ وَتَصْلُبُونَ وَتَمْنَعُونَ تَجْلِدُونَ فِي مَجَامِعِكُمْ
 وَتَطْرُدُونَ مِنْ مَدِينَةٍ إِلَى مَدِينَةٍ. ٣٠ لَكِي يَأْتِي عَلَيْكُمْ كُلُّ دَمٍ رَكِي سَفِكَ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ
 دَمِ هَابِيلِ الصِّدِّيقِ إِلَى دَمِ زَكَرِيَّا بْنِ بَرَخِيَا الَّذِي قَتَلْتُمُوهُ بَيْنَ الْهَيْكَلِ وَالْمَذْبَحِ. ٣١ الْحَقُّ
 أَقُولُ لَكُمْ إِنْ هَذَا كُلُّهُ يَأْتِي عَلَى هَذَا النَّجِيلِ

٣٢ يَا أُورُشَلِيمُ يَا أُورُشَلِيمُ يَا قَائِلَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا كَمْ مَرَّةً أَرَدْتُ أَنْ
 أَجْمَعَ أَوْلَادِكَ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاحَهَا تَحْتَ حَنَاحِهَا وَلَمْ تُرِيدُوا. ٣٣ هُوَذَا بَيْنَكُمْ يَهْرُكُ
 لَكُمْ خَرَابًا. ٣٤ لِأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ أَنْكُمْ لَا تَرَوُنِي مِنَ الْآنَ حَتَّى تَعْمَلُوا مَبَارَكَةَ الْآبِي بِاسْمِ الرَّبِّ.

پبراكيت

١٠ قد كلمتكم بهذا لكي لا تغروا. ١١ سخر جونكر من الجميع بل تأتي ساعة فيها يظن
 كل من يتكلم أنه يقدر خدمة الله. ١٢ وسيفعلون هذا بكم لأنهم لم يعرفوا الآب ولا
 عرفوني. ١٣ لكني قد كلمتكم بهذا حتى إذا جاءت الساعة تذكرون أنني أنا قلته لكم.
 ١٤ ولم أقل لكم من البداية لاني كنت معكم. ١٥ وأما الآن فأنا ماضي إلى الذي أرسلني وليس
 أحد منكم يسألني أين تضي. ١٦ لكن لاني قلت لكم هذا فدملاً اتعزب قلوبكم. ١٧ لكني أقول
 لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق. ١٨ لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزيه. ولكن إن
 ذهبت أرسله إليكم. ١٩ ومتى جاء ذلك يبيث العالم على خطية وعلى بري وعلى دينونة.
 ٢٠ أما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بي. ٢١ وأما على بري فلأنني ذاهب إلى أبي ولا تروني
 أيضاً. ٢٢ وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين.
 ٢٣ إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن.
 ٢٤ وأما متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه.
 بل كل ما سمع يتكلم به ويخبركم بأمر آية. ٢٥ ذلك يحدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم.

وجاهة بني اسما عيل

٦٠ فقام رئيس الكهنه وقال له أما تحببني. ٦١ ماذا يشهد به هذان عليك. ٦٢ وأما
 يسوع فكان ساكناً. فأجاب رئيس الكهنه وقال له أستخلفك يا الله الحي أن تقول لنا هل
 أنت المسيح ابن الله. ٦٣ قال له يسوع أنت قلت. وأيضاً أقول لكم من الآن تبصرون
 ابن الإنسان جالساً عن يمين القوي وأتياً على سحب السماء. ٦٤ فبقر رئيس الكهنه
 حبله وثابه قائلاً قد جلدت. ما حاجتنا بعد إلى شهود. ٦٥ ما قد سمعتم تجديفه. ٦٦ ماذا ترون.
 فأجابوا وقالوا إنه مستوجب الموت. ٦٧

يُوحَنَّا الْمَعْدَن

حَيَاتِهِ وَدَعْوَتِهِ

١ وفي السنة الخامسة عشرة من سلطنة طيباريوس قيصر إذ كان يلاطس النبطي
والي على اليهودية وهيرودس رئيس ربيع على الجليل ويوليس أخوه رئيس ربيع على بطورية
وكوروز تراخونينيس وليسايبوس رئيس ربيع على الألبنة ٢ في أيام رئيس الكهنة حنان
وقبافا كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا في البرية ٣ فجاء إلى جميع الكوروز العيطة
بالأردن بخر بعمودية التوبة ليفتره الخطايا ٤ كما هو مكتوب في سفر أنوال اشعيا
النبي القائل صوت صارخ في البرية أعدها طريق الرب اصنعوا سبلة مستقيمة ٥ كل
وادي يعلو وكل جبل وأكمة تخفض وتصبير المعوجات مستقيمة والنعاب طرقا سهلة
ويصير كل بشر خلاص الله

٦ وكانت يقول للجميع الذين خرجوا ليعتيدوا منه يا أولاد الأفاعي من أراكم أن
تهربوا من الفصب الآتي ٧ فاصنعوا ثمارا تليق بالتوبة ٨ ولا تبدنوا تقولون في أنفسكم
لنا إبراهيم أبانا لاني أقول لكم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاد إبراهيم ٩ والآن
قد وضعت الناس على أصل الشجر فكل شجرة لا تصنع ثمرا حينا تقطع وتلقى في النار
١٠ وسأله التجموع قائلين فماذا نفعل ١١ فأجاب وقال لهم من له ثوبان فليعط من لبس
له ومن له طعام فليفعل هكذا ١٢ وجاء عشائرون أيضا ليعتيدوا فقالوا له يا معلم ماذا
نفعل ١٣ فقال لهم لا تستوفوا أكثر مما فرض لكم ١٤ وسأله جنديون أيضا قائلين وماذا
نفعل نحن فقال لهم لا تظلموا أحدا ولا تشوا بأحد واكنفوا بعلانكم

١٥ وإذا كانت السمب ينظر والتجموع يفتكرون في قلوبهم عن يوحنا لعله المسيح
١٦ أجاب يوحنا التجموع قائلا أنا أعبدكم بياه ولكن يأتي من هو أقوى مني الذي ليس له
أهلا أن أحل سيور جلاله هو سيميدكم بالروح القدس ونار ١٧ الذي رفضه في يده
وسيفني بدمه ويجمع الجميع إلى محزبه وأما الذين يعرفه بيار لا نطقنا ١٨ وبأنياء أخر كثيره
كان يعط الشعب ويشير لهم ١٩

فَلَمَّا رَأَى كَثِيرِينَ مِنَ الْفَرِيسِيِّينَ وَالصُّدُوفِيِّينَ يَأْتُونَ إِلَى مَعْبُودِيهِ قَالَ لَهُمْ
 يَا أَوْلَادَ الْآفَاعِي مَنْ أَرَأَيْتُمْ أَنْ يَهْرَبُوا مِنَ الْفَضْبِ الْآفِي . فَأَضَعُوا أَيْمَانًا تَلِيقًا بِالْتَّوْبَةِ .
 وَلَا تَتَفَكَّرُوا أَنْ تَقُولُوا فِي أَنْفُسِكُمْ لَنَا إِبْرَاهِيمُ أَبَا . لِأَيِّ أَقْوَالِكُمْ إِنْ اللَّهُ قَادِرٌ أَنْ يُعِيمَ
 مِنْ هَذِهِ الْحَجَارَةِ أَوْلَادًا لِإِبْرَاهِيمَ . وَالْآنَ قَدْ وَضِعَتِ الْفَأْسُ عَلَى أَصْلِ الشَّجَرِ . فَكُلُّ
 شَجَرَةٍ لَا تَضَعُ ثَمَرًا جِدًّا نَقْطَعُ وَتَلْقَى فِي النَّارِ . « أَنَا أَعْبِدُكُمْ بِمَاءِ التَّوْبَةِ . وَلَكِنَّ الَّذِي
 يَأْتِي بَعْدِي هُوَ أَقْوَى مِنِّي الَّذِي لَسْتُ أَهْلًا أَنْ أَحْمِلَ جِلْدَهُ . هُوَ سَيُعْبِدُكُمْ بِالْبَيْعِ
 الْقُدْسِيِّ وَتَأْرَهُ . » الَّذِي رَفَعَهُ فِي بَيْتِي وَسَيُنْفِي يَدْرَهُ وَيَجْمَعُ قَعْدَهُ إِلَى الْخَزَنِ . وَأَمَّا الَّذِي
 قَبَّرَهُ بِنَارٍ لَا تُنْفَأُ

« حِينَئِذٍ جَاءَ يَسُوعُ مِنَ الْجَلِيلِ إِلَى الْأَرْضِ إِلَى يُوحَنَّا لِيَعْتَمِدَ مِنْهُ . « وَلَكِنَّ يُوحَنَّا
 مَنَعَهُ قَائِلًا أَنَا مَحْتَاجٌ أَنْ أَعْتَمِدَ مِنْكَ وَأَنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ . « فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ اسْمَعْ
 الْآنَ . لِأَنَّهُ مَكَلَّا يَلِيقٌ بِنَا أَنْ نَكُونَ كُلُّ بَرٍّ . حِينَئِذٍ سَمِعَ لَهُ . »

« وَهَذِهِ فِي شَهَادَةِ يُوحَنَّا حِينَ أُرْسِلَ الْيَهُودُ مِنَ أُورُشَلِيمَ كَهَنَةً وَكَاهِنِينَ لِيَسْأَلُوهُ مَنْ
 أَنْتَ . « فَأَعْتَرَفَ وَلَمْ يَنْكِرْ وَأَمَرَ إِلَى أَنِّي لَسْتُ أَنَا الْمَسِيحُ . « فَسَأَلُوهُ إِذَا مَاذَا . إِيَّيَا أَنْتَ .
 « فَقَالَ لَسْتُ أَنَا . النَّبِيُّ أَنْتَ . فَأَجَابَ لَا . »

« أَنَا يُوحَنَّا فَلَمَّا سَمِعَ فِي السَّعِينِ بِأَعْمَالِ الْمَسِيحِ أُرْسِلَ اثْنَيْنِ مِنَ تَلَامِيذِهِ . « وَقَالَ
 لَهُ أَنْتَ هُوَ الْآفِي أَمْ نَنْتَظِرُ آخَرَ . « فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمَا أَذْهَبَا وَخَبِّرَا يُوحَنَّا بِمَا
 تَسْمَعَانِ وَتَنْتَظِرَانِ . « أَلْتَقِي بِبُصْرُونَ وَالْعُرْجُ يَمْشُونَ وَالْبُرْصُ يَطْهَرُونَ وَالصُّمُّ يَسْمَعُونَ
 وَالْمَوْتَى يَقُومُونَ وَالسَّكِينُ يَبْشُرُونَ . « وَطُوبَى لِمَنْ لَا يَعْثُرُ فِيَّ

« وَسَيُنْمَا ذَهَبَ هَذَا أَنْتَ يَسُوعُ يَقُولُ لِلْجَمُوعِ عَنْ يُوحَنَّا مَاذَا خَرَجْتُمْ إِلَى الْبَرِّيَّةِ
 لِنَنْظُرُوا . « أَقَصَبَ تَحْرُكَهَا الرِّيحُ . « لَكِنَّ مَاذَا خَرَجْتُمْ لِنَنْظُرُوا . « إِنْسَانًا لَا يَسَا نِيَابًا نَاعِمَةً .
 هَذَا الَّذِي يَلْبَسُونَ الْبِيَابَ النَّاعِمَةَ ثُمَّ فِي بُيُوتِ الْمَلُوكِ . « لَكِنَّ مَاذَا خَرَجْتُمْ لِنَنْظُرُوا .
 « نَبِيًّا . نَعَمْ أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْضَلُ مِنْ نَبِيِّ . « إقَارَنَّ هَذَا هُوَ الَّذِي كَتَبَ عَنْهُ هَا أَنَا أُرْسِلُ أَمَامَ
 وَجْهِكَ مَلَكًا الَّذِي يَهْبِي طَرِيقَكَ قَدَامَكَ . « الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ لَمْ يَهْمُ بَيْنَ التَّوْلُودِيِّينَ مِنْ
 النَّسَاءِ أَغْطَرُ مِنْ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ . وَلَكِنَّ الْأَصْفَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ أَغْطَرُ مِنْهُ . « وَمِنْ
 أَيَّامِ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ إِلَى الْآنَ مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ يَفْضَبُ وَالْفَاعِصُونَ يَخْطَفُونَ . « لِأَنَّ
 جَمِيعَ الْآبِيَاءِ وَالنَّامُوسِ إِلَى يُوحَنَّا تَبَلَّوْا . « وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَبَلَّوْا فَمَا هُوَ إِلَّا التَّزْمِيعُ
 أَنْ يَأْتِيَ . « مِنْ لَهُ أَدْنَانِ لِلْسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ

وسم الكلمة اليونانية التي يدور الخلاف حول ترجمتها
باسم «أحمد» في الأصحاح الرابع عشر من إنجيل يوحنا

παράκλητος
پيراكليت أم پاركليت ؟

تفسير كلمة «پيراكليت» perokletos

في القواميس الأجنبية

work of such angels is described in Zech. 1:12; 3:1-10 in a way similar to that found in Job; ⁶⁹ the accusations of Satan are again resisted in 3:1-10.

b. In the Apocrypha and Pseudepigrapha. Here we find the same thoughts in established and extended form. Judaism is proud of being able to look back to a long history in which righteous men and prophets stood at the side of the fathers in advocacy before God, ⁷⁰ as helpers (אֱלֹהֵינוּ, S. Bar. 85:1 f.), with the functions of the *defensor, qui ferat eis preces domino*, like the *magnus nuntius Moses, qui singulis horis diebus et noctibus habebat genua sua infixa in terra, orans . . .* Ass. Mos. 11:17. If the previous rule was: *oraverunt, qui potuerunt, pro invalidis* (4 Esr. 7:112), it is now felt to be incumbent on all who fear God to pray for one another, e.g., 2 Macc. 1:2-6; 8:14 f.; 12:39-45. Even stronger, however, is the sense that the people and pious individuals need and have superhuman, heavenly helpers: the blessed righteous (Eth. En. 39:5; Enoch, 83:10; 13:4-7; 15:2 f.; Slav. En. 64:5), and esp. angels (Eth. En. 47:2; 104:1). ⁷¹ The true office of the interceding angel, who does not merely mediate human prayers to God (Eth. En. 99:3) but is the advocate of the community and its members before God's judgment throne (Test. L. 6:5: ὁ ἄγγελος ὁ παραιτούμενος τὸ γένος Ἰσραήλ), ⁷² rests in the hands of the supreme angels (Tob. 12:15; Eth. En. 40:6 f.; Test. L. 3:5), esp. Michael (Gr. Bar. 11 ff.; Eth. En. 68:4; Test. N. [Heb.] 9:2: מוֹרֵם עַל־מַלְאָכֵי "your advocate on high"). ⁷³ They can both defend and prosecute, for in heaven they bring forth both the good and evil in a man's life (Jub. 30:20; 28:6, cf. 4:6; Eth. En. 9:3-11; 89:76; 99:3). That the advocate is also the teacher and adviser of those committed to his protection may be seen, e.g., in Eth. En. 81:5 f. (Jub. 4:15 ?). New and distinctive is the listing of the Spirit, the → πνεῦμα τῆς ἀληθείας, in the ranks of advocates in Test. Jud. 20:1: δύο πνεύματα σχολάζουσι τῷ ἀνθρώπῳ, τὸ τῆς ἀληθείας καὶ τὸ τῆς πλάνης, v. 5: καὶ τὸ πνεῦμα τῆς ἀληθείας μαρτυρεῖ πάντα καὶ κατηγορεῖ πάντων, ⁷⁴ καὶ ἐμπεπύρισται ὁ ἀμαρτωλὸς ἐκ τῆς ἰδίας καρδίας καὶ ἀραι πρόσωπον πρὸς τὸν κριτὴν οὐ δύνανται, → 811, 15 ff. Features of the interceding angel are transferred to the hypostatized Spirit of God: acting before God's judgment seat and witness (→ 809, 28), combined with the role of accuser (→ 809, 29). The judicial action in heaven is reflected (Wis. 1:5-10) in the conscience of man (→ συναίδησις). ⁷⁵ From this it is only a step to the idea of the ministry of intercession which the voice of conscience itself discharges in the sinner's prayer for forgiveness, cf. Philo (Spec. Leg., I, 237, → 802, 33 ff.), whose theological statements concerning παράκλητοι (→ 802, 21-803, 7) are simply a development or reconstruction of OT and Jewish ideas in accordance with his own way of thinking. ⁷⁶

c. In the Rabbis. The idea of the advocate is vigorously maintained in the Rabb. Their terms are מוֹרֵם and מַלְאָכֵי → 802, 4-11. These are fully interchangeable, though the latter is rather less common. A new feature is the listing of the personified Torah

⁶⁹ In this context we cannot discuss the constructive attempt of Johansson, 49-62 to understand the Ebed Yahweh of Dt. 10 in terms of the concept of advocate (48: "The Ebed Yahweh is the most striking intercessory figure in OT religion," 57: "Intercessory angels are the most important formal models for the Ebed Yahweh").

⁷⁰ Cf. B. Stade-A. Bertholet, *Bibl. Theol. d. AT*, II (1911), and Johansson, 65-95.

⁷¹ It has not been proved that the Son of Man is also an advocate in Eth. En. (Johansson, 97-119), cf. Kummel, 124. Gr. En. 104:1 (ed. C. Bonner, *The Last Chapters of Enoch in Greek* = *Studies and Documents*, 8 [1937]).

⁷² The unclear statement about the ἄγγελος ὁ παραιτούμενος ἡμῶν in Test. D. 6:2 οὗτός ἐστι μεστής θεοῦ καὶ ἀνθρώπων (→ IV, 617, 17-20) does not make any solid contribution to our understanding of the concept of the advocate.

⁷³ Cf. W. Lucken, *Michael* (1898), 7-12.

⁷⁴ Text acc. to § A (Charles).

⁷⁵ Cf. R. Volz, *Der Geist Gottes* (1910), 150 f., 184 f.; Bousset-Gressam., 348 f., 403; esp. Mowinckel, 98-109, 115-118.

⁷⁶ Cf. also the observation of Mowinckel, 108 f.

among the heavenly advocates, Cant. r., 8, 17 on 8:14.⁷⁷ Also new is the idea that sacrifices and works of piety are advocates at God's judgment seat, S. Lv. on 14:19, (277a), → 802, 16 ff.; jBer., 7b, 32 (the two lambs which are to be offered daily acc. to Nu. 28:3): "two advocates daily"; Pesikt., 191b (S. Levi): "There are no better advocates than sacrifices" etc.; conversion and good works, bShab., 32a, → 802, 11-13 (with appeal to Job 33:23); cf. Ab., 4, 11a, → 802, 8-10; benevolence and works of charity, bBB, 10a, → 802, 13-16 etc.⁷⁸ Other advocates are again the righteous of earlier days, esp. Moses, whose intercession for Israel after the apostasy with the golden calf (Ex. 32:11) is constantly regarded as the great act by which he saved the people from destruction by God's anger, e.g., Ex. r., 43, 1 on 32:11: "R. Chama b. Chanina spoke: The good advocate comes forward at the trial with friendliness. Moses was one of the two advocates who arose and made speeches in defence of Israel."⁷⁹ Among the interceding angels who represent man before God (e.g., jRH, 57b, 13-19; Ex. r., 31, 15 on 22:26;⁸⁰ there is often allusion to Job 33:23-30),⁸¹ Michael is again the chief, "the סניגור of Israel," Midr. Rt. on 1:1 (122b),⁸² cf. Ex. r., 18, 5 on 12:29.⁸³ The idea that the Spirit is an advocate (→ 810, 22 ff.) was also maintained and developed (the word is סניגור). In exposition of Prv. 24:28 Lv. r., 6, 1 on 5:1 quotes this saying of R. Acha: "This holy Spirit conducted the defence (סניגורית) on both sides: He said to Israel: 'Do not be in vain a witness against thy friend (i.e., God),' and he then said to God (Prv. 24:29): 'Do not say, as he has done to me, so will I do to him.'"⁸⁴ Here the Holy Spirit as סניגור has the twofold function of pleading with God for grace to His people and of reminding Israel of its duty to God.⁸⁵ The related Dt. r., 3, 12 on 9:1⁸⁶ has the Spirit exercise His intercessory office in connection with that of Moses. In Cant. r., 8, 11 on 8:10, where the Bath-Qol, the meagre remnant of the Spirit still to be found after the quenching of prophecy, is called a סניגור of Israel during its dispersion among the nations, the basic idea is that of the intercessory Spirit. The offices of defender and accuser are now very largely distinct (Ex. r., 15, 29 on 12:12 etc.).⁸⁷ That the advocate is not just a representative in the court of heaven but has also to warn men on earth and keep them on the right way, is shown esp. clearly by what is said about the advocacy of the Spirit, → *supra*.⁸⁸

d. In the NT. The idea of the advocate in the OT and later Judaism is linked directly to the thought in 1 Jn. 2:1 (Jesus Christ a paraclete of sinful Christians before the Father). Dominant is the same forensic idea of the judgment of God before which sinners are arraigned and where they need an advocate. In the Paraclete sayings in the Gospel there are many features for which analogies may be found in the advocates of Israel and Judah. The Paraclete is an authoritative teacher of believers (14:26, cf. v. 16; 15:26; 16:7, 13 f.), a witness of revelation (15:26); a speaker in the trial of the world before the forum of God (16:8-11). In the religious heritage of later Judaism parallels may also be found for the idea

⁷⁷ Johansson, 174 f.

⁷⁸ For further examples cf. *ibid.*, 175-178; Str.-B., II, 561 f.

⁷⁹ Str.-B., I, 141 f.; Johansson, 163 f. For further source materials cf. also Str.-B., II, 561; Johansson, 162-166.

⁸⁰ Johansson, 148 f.

⁸¹ jQid., I, 10, 61d, 32 etc., v. Str.-B., II, 560 f.; Johansson, 146-150.

⁸² Str.-B., IV, 1206.

⁸³ Johansson, 149 f., cf. also Lueken, 22-27, 48 for more material.

⁸⁴ Str.-B., II, 138, 562 (with textual emendation acc. to Jalqut Shim'on, 2 § 961 on Prv. 24:28), cf. Johansson, 157 f.

⁸⁵ Mowinckel, 99-104.

⁸⁶ Johansson, 159 f.

⁸⁷ *Ibid.*, 150-152.

⁸⁸ Cf. also in Heb. Ea. the figure of the Metatron as preacher and proclaimer of secrets, v. Johansson, 133-138.

of the Holy Spirit or Spirit of truth as Paraclete (14:16 f., 26; 15:26). The varying statements that the office of advocacy is exercised both in the court of heaven and also among men on earth are common to the OT and Jewish sources and to the NT material. The fact that they are linked in the former helps to overcome the difficulty of cleavage in the latter (between 1 Jn. and Jn.). In this hearing up of conceptual relationships agreement in the use of the term παράκλητος = אֱלֹהֵי אֱמֶת (or — more commonly — the synonymous רִצְיָה) strongly supports the thesis that there is a historico-religious connection between the concept of advocacy in the OT and Jewish world and the concept of the παράκλητος in the NT. Even on this answer certain difficulties still remain in connection with the origin of the concept παράκλητος. For instance, how does the title "advocate" tally with the functions of the one who bears this title in Jn., and how did Jesus come to be called paraclete (Jn. 14:16)? But these are not insuperable problems (→ C).

If it is asked whether the ideas which the NT connects with the word παράκλητος have their root in the "helper" idea of Mandaeen Gnosis or the "advocate" concept of the OT and Judaism, there is a very strong probability that in the last analysis our decision must be in favour of the ancient biblical tradition.⁹⁰

C. The NT Concept.

1. Of the various ideas linked with the word παράκλητος in the NT the most clearly etched is that of the advocate at the bar of God in heaven.⁹⁰ In place of the many advocates which Judaism found to defend the righteous before the forum of the heavenly Judge, primitive Christianity recognises only one advocate with the Father, Jesus Christ, who as the Righteous can intercede for sinners (1 Jn. 2:1). The thought is common to primitive Christianity even though the word παράκλητος does not occur in the non-Johannine writings (a caprice of tradition?). The living Christ intercedes at the right hand of the Father (R. 8:34: → ἐν-τυγχάνω). In intercession He places His incorruptible life at the service of His people (Hb. 7:25).⁹² The advocacy of Jesus is also presupposed in Jn. 16:26. One may also see from Mt. 10:32 f. and par. (cf. Mk. 8:38 and par.) that when Jesus looked ahead to the end of the days He not merely claimed for Himself the office of Judge of the world (→ υἱός, ὁ υἱός τοῦ ἀνθρώπου) but was also conscious of being the defender of those who confess Him (and the accuser of those who deny Him) at the judgment seat of the Father. The Christian concept of a transcendent eschatological Paraclete, traces of which may be found throughout the NT,⁹² goes back to Jesus.

⁹⁰ Acc. to the formula of Stauffer Theol., 5.

⁹⁰ The figure of the adversary, the κατήγωρ, the devil (→ III, 636, 23-27), is unequivocally found in the NT only at Rev. 12:10.

⁹¹ In the picture of the exalted Christ in 1 Jn. 2:1 f. and Hb. 7:23-25 (cf. 9:24; 4:14-16; 2:17), also in 1 Cl., 36, 1, the forensic idea of the office of the Paraclete is very closely connected with the cultic conception of the (high-)priestly office (→ III, 278-282), v. also Mi. Hb.⁹, 176; O. Moe, "Das Priestertum Christi im NT ausserhalb d. Hb.," ThLZ, 72 (1947), 338. But in accordance with the word "paraclete" the special feature of Christ as such is His coming forward with the Word. This also sets the limit to combinations of the Pauline "through Christ" and the Johannine παράκλητος (cf. A. Schettler, *Die paul. Formel "durch Christus"* [1907], 28 f., also Deissmann LO, 286), → II, 68, 36-69, 6. The same applies to the relation between μεσίτης (→ IV, 620-624 etc.) and παράκλητος in NT Christology.

⁹² As in other early Chr. texts, it is probably echoed in P. Oxy., VI, 850, 10 (→ n. 36), but the state of the text does not allow us to say for certain.

2. More richly developed if more difficult to define is the idea, expressly attested only in Jn., of a Paraclete at work in the world both in and for the disciples.⁹³ Jesus Himself is regarded as such during His earthly ministry (14:16).⁹⁴ The only description, however, is that of the ἄλλος παράκλητος who after the departure of Jesus will continue His work and remain for ever with and in the disciples (14:16 f., 26; 16:7, 13 f.). This is the Spirit (→ πνεῦμα).⁹⁵ Sent by God or Jesus to the disciples (14:16, 26; 15:26; 16:7) — not to the world, which has no organ for Him (14:17) — He teaches with all-embracing authority and yet with strict adherence to Jesus and His message, maintaining, expanding and completing the work of Jesus, leading the disciples into all truth (14:26; 15:26; 16:13 f.). His witness to Jesus (15:26),⁹⁶ however, is also an accusation of the world before God's judgment seat: He convicts the world in respect of sin, righteousness and judgment. That is, He shows that sin is on the side of the world, right and triumph on that of Jesus (16:8-11).⁹⁷ The puzzle of the combination of kerygmatic and forensic features in the picture of the Spirit-Paraclete⁹⁸ is solved if we trace back the tradition historically to the OT and Jewish idea of the advocate (→ 809, 12-810, 2) in which there is reference already to an advocacy of the divine Spirit for man in the here and now of his earthly life (→ 810, 20-30).⁹⁹ But the idea of the Spirit as παράκλητος is not unfamiliar to the rest of the NT even if the word is not used. Paul is aware that as the believer wrestles in prayer for assurance of the consummation of salvation the Spirit comes to aid him in his weakness and represents him before God by the babbling of glossolalia (R. 8:26 f.; → I, 376, 4 ff., συναντιλαμβάνω, → ἐντυγχάνω, ὑπερεντυγχάνω). Jesus promised His disciples that when they had to give an account before earthly powers the Spirit would speak for them at the decisive moment, Mk. 13:11 and par. The picture of the intercessory Jesus in the Synoptic and Johannine tradition (Lk. 13:6-9; 22:32; [23:34]; Jn. 17) may be added to these testimonies to the advocacy of the Spirit in the world. It would seem, then, that the idea of a Paraclete in the earthly life of the disciples goes back ultimately to Jesus Himself.

If Jesus took the concept from the OT and Jewish world and found in it a term well adapted to express certain aspects of His own self-awareness, one can under-

⁹³ Johansson is wide of the mark here (181-256). Cf. also Kümmel, 125 ff.

⁹⁴ P. Oxy., VI, 850, 10 (→ n. 92) may be cited in this connection, since the tenor of the prayer does not allow us to conclude that the address ὁ παράκλητος refers to the historical Jesus or the risen Christ.

⁹⁵ Since our concern is only with the predicate παράκλητος and its meaning, not the subject of whom it is used, we cannot discuss the understanding of πνεῦμα in Jn. 14-16, nor take up what is said by others (e.g., Sasse, 275-277 or R. Eisler, "Das Rätsel d. J.," *Erano-Jahrbuch* [1935], esp. 391-422, also Windisch, 130-137 and Bu. J., 437-440) about figures to whom the designation παράκλητος might originally and properly apply.

⁹⁶ Cf. Bu. J., 426 f.

⁹⁷ On ἐλέγχειν (→ II, 474, 4 ff.) and the meaning of 16:8-11 cf. Bau. J., 196 f.; Lagrange, 418-420; Bu. J., 432-437.

⁹⁸ It is, however, a very moot pt. whether the Spirit is herewith described as a revealer, and thus as a par. figure to Jesus Himself (Bu. J., 437). On the other hand a purely forensic view: "defender of the disciples in their fight for right and truth before the judgment of men" (v. Schl. J., 298, cf. Theol. d. Ap., 152), or "advocate of the disciples esp. in conflict with the world" (F. Büchsel J., *NT Deutsch*, on 14:16), does not do justice to the Johannine predicate παράκλητος.

⁹⁹ The attempt of C. K. Barrett to ignore derivation from the religious world around and to find the background of the Johannine use of παράκλητος simply in apostolic proclamation is not very convincing in view of the wealth of comparative material available [Seesemann].

stand the concealed reference to Himself as παράκλητος put on His lips in Jn. (14:16), and the Greek word may well recall the term used by Jesus Himself in His mother tongue: מְקַלְטֵי.¹⁰⁰

As regards the translation of παράκλητος in Jn., the history of the word and concept shows that in the course of religious history subsidiary senses were interwoven into the primary sense of "advocate," so that no single word can provide an adequate rendering.¹⁰¹ If we are to avoid the alien Paraclete, favoured by many translators and exegetes both old and new (→ 806, 23 ff.), "supporter"¹⁰² or "helper" is perhaps the best, though the basic concept and sustaining religious idea is that of "advocate."

Behm

¹⁰⁰ Cf. Zn. J. 5, 6, 564. F. Delitzsch, ספר הברית החדשה (1877) has מְקַלְטֵי for παράκλητος in Jn., מְקַלְטֵי in 1 Jn. 2:1.

¹⁰¹ Mowinckel, 130, also Lagrange, 383.

¹⁰² So H. Strathmann J. (*NT Deutsch*⁴ [1951]) on 14:16 f., 26; 15:26.

إلى هنا نهاية الكلام عن ميراثية في قاموس

THEOLOGICAL DICTIONARY



بیرا کلتی فی قاموس

GREEK-ENGLISH

παράκλητος, ου, ο originally meant in the passive sense (BGU 601, 12 [II ad] παράκλητος δίδωκε αὐτῷ = 'when I was asked I gave to him'), 'one who is called to someone's aid'. Accordingly the Latin translators commonly rendered it, in its NT occurrences, with 'advocatus' (Tertullian, Prax. 9; Cyprian, De Domin. Orat. 3, Epist. 55, 18; Novatian, De Trin. 28; 29; Hilary, De Trin. 8, 19; Lucifer, De S. Athanas. 2, 26; Augustine, C. Faust. 13, 17, Tract. in Joh. 94; Tractatus Orig. 20 p. 212, 13 Batiffol. Likew. many Bible mss.: a c e m q J 14: 16; a m q 14: 26; e q r 15: 26; e m q 16: 7. Euseb., H.E. 5, 1, 10 παράκλητος = advocatus, Rufinus. Field, Notes 102). But the technical mng. 'lawyer', 'attorney' is rare (e.g. Bion of Boryathenes [III bc] in Diog. L. 4, 50). In the few places where the word is found in pre-Christian and extra-Christian lit. it has for the most part a more general mng.: *one who appears in another's behalf, mediator, intercessor, helper* (Demosth. 19, 1; Dionys. Hal. 11, 37, 1; Heraclit. Sto. 59 p. 80, 19; Cass. Dio 46, 20, 1). The pass. idea of παρακλησθαι retreated into the background, and the active idea of παρακαλεῖν took its place (on the justification for equating παράκλητος with παρακαλῶν s. Kühner-Bl. II 289). So the Jews adopted it as a loanw. (פִּרְקָא, Pirqa Aboth 4, 11.—SKrauss, Griech. u. latein. Lehnwörter in Talmud, Midrasch u. Targum '98/'99 I 210; II 493; Dalman, Gramm. 185; Billerb. II 560-2). In Job 16: 2 Aq. and Theod. translate פִּרְקָא (= comforters) as παράκλητοι; LXX has παρακλήτορες. In Philo our word somet. means 'intercessor' (De Jos. 239, Vi. Mos. 2, 134, Spec. Leg. 1, 237, Exsecr. 166; Adv. Flacc. 13; 22), somet. 'adviser', 'helper' (Op. M. 23; 165). The Gk. interpreters of John's gosp. understood it in the active

sense = παρακαλῶν or παρακλητῶρ (Euseb., Theol. Eccl. 3, 5, 11 p. 161, 26 Kl.; Theodore of Mop-suestia in the comm. on John p. 307f Chabot; Ammonius in the Corderius-Catena 365), and so did Ephraem the Syrian (Evang. Concord. Expos., ed. Aucher-Moesinger '76, 225 = RHarris, Fragments of the Comment. of Ephrem S. '95, 86). In our lit. the act. sense *helper, intercessor* is suitable in all occurrences of the word (so Gdspd., Probs. 110f). τίς ἡμῶν παράκλητος ἔσται; 2 Cl 6: 9. πλουσίων παράκλητοι *advocates of the rich* B 20: 2; D 5: 2.—In 1 J 2: 1 (as Acta Jo. in a damaged fragment: POxy. 850, 10) Christ is designated as παράκλητος; παράκλητον ἔχομεν πρὸς τὸν πατέρα Ἰησοῦν Χριστὸν δίκαιον *we have Jesus Christ the righteous one, who intercedes for us*. The same title is implied for Christ by the ἄλλος παράκλητος of J 14: 16. It is only the Holy Spirit that is expressly called παρ. = *Helper* in the Fourth Gosp.: 14: 16, 26; 15: 26; 16: 7.—HUsener, Archiv für lat. Lexikographie 2, '85, 230ff; HSasse, Der Paraklet im J: ZNW 24, '25, 260–77; HWindisch, Johannes u. die Synoptiker '26, 147f. Die fünf joh. Parakletsprüche: Jühicher-Festschr. '27, 110–37; RAsting, 'Parakleten' i Johannes-evangeliet: Teologi og Kirkeliv. Avh. etc. '31, 85–98; SMowinckel, D. Vorstellungen d. Spätjudentums v. Hl. Geist als Fürsprecher u. d. joh. Paraklet: ZNW 32, '33, 97–130; JMusger, Dicta Christi de Paraclete '38; EPercy, Untersuchgen. üb. den Ursprung d. joh. Theol. '39; Bultmann '40, 437–40; NJohansson, Parakletoi: Vorstellgen. v. Fürsprechern f. d. Menschen vor Gott in d. atl. Rel., im Spätjudent. u. Urchristent. '40.; NHsnaith, ET 57, '45, 47–50 (*Convincer*); WFHoward, Christianity acc. to St. John '47, 71–80; WMichaelis, Con. Neot. 11, '47, 147–62; GBornkamm, RBultmann-Festschr. '49, 12–35; CKBarrett, JTS n. s. 1, '50, 8–15; JGDavies, ibid. 4, '53, 35–8.—JBehm, TW V 798–812. M.-M.*

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ،
أيك نعبد وأيك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت
عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » . والصلاة والسلام على النبي
الأسى الكريم محمد بن عبد الله بن اسماعيل بن ابراهيم . وعلى النبيين
السابقين ، والتابعين لهم بخير الى يوم الدين .

وبعد ..

فقد كنت أعد رسالة الدكتوراه في كلية أصول الدين - جامعة
الأزهر - في موضوع (مجلة الأزهر وأثرها في الدعوة الإسلامية) في سنة
١٩٧٣م وذات يوم التقيت بـ « قبص » نصراني ظن أنني نصراني ومثله ،
لأنى كتبت اقرأ في الكتاب للبقيتي وأحمل منه نسخة أخرى ، لصديق لى .
فسألنى قائلا : أتعرف أن الأصحاح الثامن من سفر دانيال النبي يشير
الى معركة سنة ١٩٦٧م التي حدثت بين المسلمين وبين اليهود في
أرض فلسطين ؟ قلت : قد قرأت ذلك في كتاب « اظهار الحق » ولكنى
لم أدرس جيدا قال : أحب أن أطلع عليه . ونزلنا من القطار الى منزل
« الشيخ حامد عبد الحميد ابراهيم قلبه* » في محطة المطرية بمصر . وفي
الطريق سألته : امحمد نبي المسلمين لا يشير اليه الكتاب المقدس لقتل :
يشير اليه في آيات كثيرة . ثم سرد لى كثيرا من هذه الآيات .
وفي منزل هذا الشيخ الذى كنت نازلا عليه ضيفا ، قرأ ما أراد .
ثم انصرف ندهشا لما عرف أنني مسلم فيما بعد .

(*) من قرية « اخطاب » دقهلية .

وكان بين الشيخ وبين أستاذنا صاحب الفضيلة الدكتور « الشيخ محمد بن محمد أبو شهبه » موعد آخر النهار ، فاصطحبني معه . وقصصنا عليه ما حدث فتبسم ضاحكا وقال : « يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » وكررها كثيرا . ثم قال : وددت لو يكتب أحد رسالة في موضوع : « البشارة بنبي الإسلام في التوراة والانجيل » فشرح الله صدرى للذي قال ، وتنازلت عن الموضوع الاول . وأشرف هو عليه وساعدنى فيه كثيرا .

ومن عجيب المصادفات أننى التقيت بهذا القمص ، واسمه « جرجس سلمون فيلمون » وكيل الدير المحرق في القوصية بأسبوط ، في مسجد للجامع الأزهر بعد سنتين من الزمان في حجرة الأساتذة وذكر لى نصوصا أخرى .

ذلك هو السبب المباشر لاختيار هذا الموضوع والكتابة فيه .

وأما الهدف من الكتابة ، فإنه يتلخص فى هذين الهدفين :

أولا : اثبات نبوة نبي الإسلام ﷺ وصدق القرآن الكريم فى ما أشار إليه من أن أهل الكتاب « يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » (البقرة ١٤٦) .

ثانيا : تصحيح مسار الدعوة العالمية التى ينفرد بها النصارى ، فان الدعوة العالمية الصحيحة هى لنبي الإسلام ﷺ . وليست لعيسى عليه السلام ، لأنه من بنى اسرائيل . وقد خاطب هو لليهود فى هيكل سليمان بأورشليم — القدس — بقوله : « ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لامة تعمل اثاره » (متى ٢١ : ٤٣) .

ومنهجنا فى هذه الدراسة قائم على ما يلى :

أولا : بالنسبة للتوراة . نستعمل الاستدلال الكامل من الأسفار

الخمسة المنسوبة لموسى عليه السلام وذلك لانزام جميع اليهود والنصارى .
ونستدل من أسفار الأنبياء لانزام اليهود العبرانيين والنصارى .

ثانيا : بالنسبة للانجيل : نستدل الاستدلال الكامل من الاناجيل الاربعة
المعترف بهم عند جميع النصارى . وهم : متى ومرقس ولوقا ويوحنا .
ونستدل من غير الاناجيل الاربعة بانجيل برنابا للايضاح والتأكيد .

ثالثا : نذكر وجهة نظر أهل الكتاب ، وناقشها بأدلة من التوراة
والانجيل وأقوال المؤرخين الثقات .

رابعا : قد وجدنا اعترافات كثيرة فى الكتب ليهود ونصارى بأن نبى
الاسلام ﷺ مكتوب عنه فى التوراة وفى الانجيل . ولكننا بصدد انزام اليهود
والنصارى بالاسلام لا يمكن أن تكون هذه الاعترافات مقتعة وملزمة لهم .
ولذلك لا نعتد عليها كثيرا .

ومن هذه الاعترافات : يقول مؤرخ يهودى سامرى لم يسلم (1) :
ان ثلاثة رجال احدهم من اليهود السامريين فى « نابلس » ويسمى صرماصة .
وثانيهم من اليهود العبرانيين فى « اورشليم » ويلقب بكعب الأحبار .
وثالثهم نصرانى راهب ويسمى عبد السلام . هؤلاء الثلاثة اجتمعوا معا
وانطلقوا الى مقابلة النبى ﷺ يقول ما نصه : « وجاعوا حتى وصلوا
الى المدينة التى هو فيها . وقالوا لبعضهم بعض : من يتقدم أولا ؟ فقال
كعب الأحبار : أنا . فتقدم اليه وسلم عليه . فرد عليه السلام . وقال
له : من أنت من أولاد اليهود ؟ فقال له : أنا رجل من مقدمى اليهود ،
وجدت فى توراتى أن يقوم ملك من نسل اسماعيل ويملك الدنيا ولا يقف .

(1) أبو الفتح بن أبى الحسن السامرى لم يسلم . له كتاب يسمى
(التاريخ مما تقدم عن الآباء) كتبه سنة ٧٥٦ هجرية فى نابلس . وطبع
هذا الكتاب بألمانيا سنة ١٨٦٥ ميلادية وله أصل المانى ومقدمة باللاتينية .
وملاحظت باللمفة العبرية للمسيو « ادوارد هلمار » وترجمته العربية ركيكة .

بين يديه أحد . فتقدم عبد السلام بعده وقال : هكذا وجدت في الانجيل .
وتقدم اليه صرماصة . وقال له : أنت تدين بدين وسيعة وتهلك وقاب
العالم (٢) »

ثم يقول بعد ذلك ما نصه : « ومحمد ما أساء الي أحد من أصحاب
الشرايع ، وسمعت من لفظ الحكيم وهو نقل عن كتابه المنقول منه العلامة
فاضل الوجود الشيخ نفيس الدين أبو الفرج بن كثار انه جاء في نقل
السلف عن محمد وهو . . . الخ »

وهذا الذي نقله عن السلف ، كتبه في كتاب . باللغة العبرية السامرية
التي كانت شائعة قبل تغيير العبرانيين للحخط العبرى ، بعد الرجوع من
بابل .

(انظر الصورة الفوتوغرافية) .

مفتوحا وخرج منه كلب فلما رأوه جازوا وزاءه الى الباب وما علم
بهم ذرهبوا وبقي القتل في المدينة واقاموا يوما كاملا يقتلوا في
السوق السفلى قبل يعلم الفرقان لانها كانت مبنية مدينة فوق
مدينة ومن قدر يهرب في البحر ومن استسلم لهم سلم وانفجحت
المدينة وسكنوا فيها فلما فتحوها حلت هيبتهم على سائر الاماكن
فولاء بني اسمعيل احاطوا كل الاماكن ورتب الجزية اربعة دراهم ومخلاة
شعير من سوى خراج الارض ومحمد ما اساء الى احد من اصحاب
الشرايع وسمعت من لفظ الحكيم وهو نقل عن كاتبه المنقول منه
العلامة فاضل الوجود الشيخ نفيس الدين ابى الفرج بن كثر ان
جاء في نقل السلف عن محمد وهو ٩٧٠٠٩٩١٠٩٩٢٠٩٩٣

$\text{٩٩٤٠٩٩٥٠٩٩٦٠٩٩٧٠٩٩٨٠٩٩٩٠١٠٠٠}$

واقام محمد في المملكة عشر سنين وكل العالم طائعين له ومنذ
انتقلت مملكته الى اقربه بنى امية على ما اوصاهم لم يزيديا ولا
ينقصوا ولا اسوا الى احد قط وقام منهم تسعة عشر ملكا اولهم
محمد عاش ثلاثة وستين سنة ثلاثة واربعين سنة لم يتعرض الى
شيء وعشر سنين للروب وعشر سنين نبى وملك ومنذ ملكه
الاسلام الى مروان الاخر من بنى امية مائة وواحدة وثلاثون سنة

— الشوق cod. السورق. 3 — مفتوح cod. مفتوحا. 1 —
7. Ab hinc sequitur primum hujus chronici additamentum, quod
in codicibus A. C. legitur. — 14. ملك codd. ملكا.

وقد قسمت موضوع الرسالة بعد التقديم الى بابين :

الباب الأول : نبي الإسلام في التوراة .

ويتدرج تحته الفصول الآتية :

الفصل الأول : بركة اسماعيل .

وفيه نبين :

١ — ان الله وعد ابراهيم عليه السلام بأن يكون من ذريته هداة للأمم ،
وملوك على الشعوب .

٢ — وأن الوعد منصرف الى اسماعيل واسحق عليهما السلام .

٣ — وأن اليهود حذفوا اسم (محمد) ﷺ من التوراة ووضعوا بدله
عبارتين يشيران الى محمد ﷺ بحساب الجمل هما « بماد ماد »
و « لجوى جدول »

٤ — وأن الذبيح هو اسماعيل عليه السلام وكان الذبح في مكة المكرمة .

الفصل الثاني : شيلون

وفيه نبين : أن يعقوب عليه السلام وصى اولاده من بعده .
وعرفهم بمجىء نبي من بنى اسماعيل عليه السلام لينسخ الشريعة ويزيل
الملك من بنى اسرائيل .

الفصل الثالث : النبي الأبي

وفيه نبين : الأوصاف التسعة التي ذكرها موسى عليه السلام
عن نبي يأتي من بنى اسماعيل عليه السلام وهي ١ — نبي ٢ — من بنى
اسماعيل ٣ — مثل موسى ٤ — ينسخ شريعة موسى ٥ — أمي ٦ — أمين
على الوحي ٧ — سوف يقضى على بنى اسرائيل اذا لم يؤمنوا برسالته
— أى سينسخ شريعتهم ويزيل من العالم ملكهم — ٨ — لن يقتل ٩ — سوف
يتحدث عن أمور تحدث فى مستقبل الايام ، وتحدث كما يقول .

الفصل الرابع : البركات الثلاث

وفيه نبين : ان التوراة قسمت بركة آل ابراهيم في الأمم بين سينااء

وساعير وفاران وأن الاشارة بسيناء لموسى عليه السلام ، والاشارة
بساعير علماء بنى اسرائيل وهنهم النبی عيسى عليه السلام ، والاشارة بفاران
لمصه ﷺ .

الفصل الخامس : تغيير القبلة

وفيه نبين : أن موسى عليه السلام لم يحدد لبنى اسرائيل قبلة ، وانهم
اختلفوا من بعده فى شأن القبلة . فالساهريون قدسوا جبل جرزيم ،
والعبرانيون قدسوا جبل صهيون . وأن نصوص الانجيل تشير
الى نزع القبلة من بنى اسرائيل الى مدينة أخرى .

الفصل السادس : المسيا المنتظر

وفيه نبين : أن النبی الأملی الذى اخبر عن ظهوره موسى لينسخ
شريعته فى الاصحاح الثامن عشر من سفر التثنية وهو محمد ﷺ ، قد لقبه
اليهود بلقب المسيا الذى تفسره المسيح ، كما يلقبون أنبياءهم وعلماءهم
وملوكتهم ، ثم أوهوا العالم بأن المسيا سيأتى من بنى اسرائيل ، لا من بنى
اسماعيل .

الباب الثانى : نبى الاسلام فى الانجيل :

وبندرج تحته الفصول الآتية :

الفصل الأول : المسيح عيسى بن مريم — حياته ودعوته .

الفصل الثانى : ملكوت السموات .

وفيه نبين :

١ — أن أصل فكرة الملكوت من سفر دانيال .

٢ — أن الملكوت يتأسس بعد مملكة الرومان (الروم)

٣ — أن أمثال الملكوت التى ضربها عيسى عليه السلام لجيء الملكوت
وبيان حقيقته ومنها مثل الأمة الاسلامية الذى ذكره القرآن الكريم
تشير الى المسلمين .

الفصل الثالث : ابن الانسان

وفيه نبين

١ — ان لقب ابن الانسان الذى ذكره دانيال فى سفره ، هو لقب لنبي الاسلام ﷺ صاحب ملكوت السموات .

٢ — ان عيسى عليه السلام بين ان ابن الانسان سيأتى من بعده .

الفصل الرابع : مبارك الآتى باسم الرب

وفيه نبين :

١ — أن أصل التعبير من مزامير داود عليه السلام الذى هو الزبور .

٢ — وأن عيسى عليه السلام بين أن المبارك الآتى من بعده هو نبي غيره من بنى اسماعيل عليه السلام

الفصل الخامس ، بيركليت

وفيه نبين : أن اسم أحمد ﷺ هو بيركليت باللغة العبرانية . و « بيركليتوس » باللغة اليونانية . والنصارى حرفوه الى « باراكليت » و « باراكليتوس » وبيركليت جاءت فى بعض الكتب « بيراكليت » وجاءت « بيريكليت » وجاءت « فيرقليط »

الفصل السادس : وجاهة بنى اسماعيل

وفيه نبين : أن محاكمة عيسى عليه السلام المذكورة فى الأناجيل الأربعة لا تظهر أنه هو النبي المنتظر الذى هو (المسيا) المائل لوسى عليه السلام . وأن علماء بنى اسرائيل ائتمروا على قتله لقوله : ان النبي المنتظر — وهو محمد ﷺ — لن يأتى من بنى اسرائيل . بل سيأتى من بنى اسماعيل . وبرروا فعلهم بأنهم لو تركوه حيا ، فسيأتى الرومانيون ليأخذوا موضعهم وأمتهم ، مع أن الرومانيين كانوا يحتلون موضعهم وأمتهم من قبل ولادة عيسى عليه السلام بثلاث وستين سنة . وقيل : بمائة عام .

الفصل السابع : يوحنا المعمدان — حياته ودعوته

وفيه نبين : قصته ونذكر الفصوص التي يشير بها عن نبي السلام

ﷺ .

والنصوص التي سنذكرها من التوراة والانجيل هي من ترجمة البروتستانت بمصر سنة ١٩٧٠م وترجمة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩٦٨م وهما يفايران التراجم القديمة في بعض الآيات . ومثال ذلك : أنه في ترجمة لندن سنة ١٨٤٨م وسنة ١٨٨٤م وسنة ١٨٤١م أن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام قال لتلاميذه عن نبي الاسلام ﷺ : « وأنا أطلب من الآب فيعطيكُم فارقليط آخر ، ليثبت معكم الى الابد . . . الخ » (يوحنا ١٤) وهذه الترجمة موافقة للتراجم القديمة . ومنها الترجمة التي نقل عنها في تفسيره الامام فخر الدين الرازي . محمد بن عمر ، المتوفى سنة ٦٠٦ هـ ونصها : « وأنا أطلب لكم الى أبى ، حتى يمنحكم ويعطيكم الفارقليط ، حتى يكون معكم الى الابد . . . الخ » وفي ترجمة الكتاب المقدس سنة ١٩١٢م في المطبعة الاميركانية تعليق على لفظ « المعزى » في الهامش بنه باواكليت (٣) .

واقصرنا على نبوءات الاسفار الخمسة في هذه الرسالة ، وعلى

(٣) « بيركليت » كلمة عبرانية ، تترجم « أحمد » في اللغة العربية . وهي في اليونانية بيركليتوس . والنصارى ينطقونها « باراكليت » لتعنى الآتى عوضا عن المسيح ليعزى بنى اسرائيل في ضياع ملكهم ونبوتهم . والدليل على أنها اسم : ورودها في التراجم المترجمة عن اليونانية رأسا بزيادة حرف السين . وحرف السين لا يضاف في اليونانية الا الى الاسماء . ومن هذه التراجم ترجمة

The Jer usalem Bible Alexander Jones – 1968 with Abridged Introductions and Notes, London DARTON LONGMAN & TODD

another Avocate

ففيها ما نصه على التعليق على كلمة

(يوحنا ١٤ : ١٦)

It a. parokletos : advocate or counsellor or protector.

نبوءات أسفار الانبياء التي اقتبسها المسيح عليه السلام فى تبشيريه عن نبي الاسلام ﷺ كما ورد فى الاناجيل الاربعة ، وكما ورد فى انجيل برنابا مما هو شبيه بما فيها . وذلك ليتطابق عنوان الرسالة مع ما فيها من للنصوص التي يسلمون بقدسيته .

وما سنتركه فى هذه الرسالة من النبوءات التي لم يقتبسها المسيح من أسفار الانبياء ، ومن النصوص التي أوردها برنابا عن المسيح ، سنذكره فى كتاب « اقتباسات كتاب الاناجيل من التوراة » وفى كتاب « دفاع عن انجيل برنابا » .

وكمادة المؤلفين من قبلى فى الموضوعات المهمة ، سأختصر موضوع هذه الرسالة فى كتاب صغير يسمى بـ « نبوءات عن محمد فى الكتاب المقدس » وسأفرد الكلام عن المسيا فى كتاب مستقل ، لان علماء أهل الكتاب عندهم مباحث مشهورة تحت هذا الاسم . واذا كتبت عن « يوحنا المعمدان بين الاسلام والنصرانية » سأذكر فيه كلاما من هذا الموضوع . وسوف يجد القارئ فى كل كتاب معلومات جديدة ليست فى غيره من الكتب . باذن الله وعونه .

أما بخصوص التوراة والانجيل . فاننا نذكر عنها ما يلى

التوراة

يقول اليهود العبرانيون واليهود السامريون (٤) والنصارى أيضا :

(٤) اليهود دخلوا الأرض المقدسة أرض كنعان (أرض فلسطين) فى عهد داود عليه السلام . سنة ١٠٥٦ تقريبا . وكان موسى عليه السلام سنة ١٥٧١ ق.م تقريبا . وبعد موت سليمان عليه السلام انقسم اليهود الى مملكتين . مملكة عاصمتها شكيم (نابلس) وسموا بالسامريين أو إسرائيل أو المملكة الشمالية . ومملكة عاصمتها أورشليم (القدس) وسموا بالعبرانيين أو يهوذا أو المملكة الجنوبية . وقد وقعت المملكة الأولى فى سبى آشور . ٧٤٠ ق.م تقريبا وقعت المملكة الثانية فى سبى بابل سنة ٥٨٦ ق.م ثم استولى ملك بابل على مدينة آشور ، وصار جميع اليهود فى سبى بابل . وفى بابل قام عزرا بتحريف التوراة عمدا . وسنظهر ذلك فى كتابنا « نقد التوراة أسفار موسى الخمسة »

أن كتاب موسى عليه السلام يسمى التوراة حقيقة . وهو عبارة عن خمسة أسفار هي ١ - التكوين ٢ - والخروج ٣ - واللاويين (الأحبار) ٤ - العدد ٥ - التثنية (تثنية الاثتراع) ويقول العبرانيون والنصارى بكتب تسمى التوراة مجازا لأنبياء أتوا من بعد موسى - عليه السلام - ويسمونها بـ « كتب الأنبياء »

أولا : كتاب موسى

ومن يمعن النظر فى كتاب موسى عليه السلام لا يجد أنه من عهد موسى ولا من كتابته ، كما يزعم اليهود والنصارى ، بل يجد أنه كتب من بعد موسى بزمان طويل . بدليل :

١ - أن فيه خبر موته ففى سفر التثنية « فبات هناك موسى عبد الرب فى أرض موآب . حسب قول الرب ودفنه فى الجواء فى أرض موآب مقابل بيت فغور . ولم يعرف انسان قبره الى هذا اليوم . وكان موسى ابن مئة سنة وعشرين سنة حين مات » (التثنية ٣٤ : ٥ - ٧)

٢ - وفيه أحداث وقعت فى عصر داود عليه السلام ففى سفر التثنية : « ان عوج ملك باثان وحده من بقية الرفائيين . هو ذا سريره . سرير من حديد . أليس هو فى ربة بنى عمون ؟ طوله تسع أذرع وعرضه أربع أذرع بذراع رجل . فهذه الأرض امتلكتها فى ذلك الوقت » (التثنية ٣ : ١١ - ١٢) قوله : « أليس هو فى ربة بنى عمون ؟ » يدل على أن السرير كان موجودا زمن الكاتب . وأن هذا السرير بقى فى حوزة بنى اسرائيل بعد موت عوج بن عنق . وأنه محفوظ فى « ربة بنى عمون » وربة بنى عمون لم يستول عليها بنو اسرائيل فى زمن موسى بل بعده بخمسمائة عام وخمسة عشر تقريبا ، لقول كاتب سفر أخبار الأيام الأول : « وكان عند تمام السنة . فى وقت خروج الملوك ، اقتاد يوأب قوة الجيش وأخرب

أرض بنى عمون وأتى وحاصر ربة . وكان داود مقبياً في اورشليم
فضرب يواب ربة وهدمها « (الأخبار الأول ٢٠ : ١)

٣ - واعترف بعض السامريين والعبرانيين والنصارى بأن كتاب موسى
مكتوب في مدينة بابل بالعراق ، من بعد سبى نبوخذ ناصر ستة
٥٨٦ ق.م

(أ) يقول أبو الفتح بن أبي الحسن السامري : « قام عزرا
هزربيل ، ووضعوا لهم - لليهود العبرانيين - خطاً غير الخط العبراني ،
وجعلوا الحروف سبعة وعشرين حرفاً . وتطرقوا الى الشريعة المقدسة
ونقلوها بالخط الذي ابتدعوه وحذفوا كثيراً من سور الشريعة المقدسة
بسبب السورة الرابعة من العشر كلمات ، وذكر هرجزيم وحدوده فيها ،
وزاموا وانقصوا وبدلوا وحرفوا (٥) »

(ب) وقال سبينوزا الفيلسوف اليهودي : « والمسألة الأساسية
وهي أن عزرا الذي أعده المؤلف الحقيقي ، طالما لم يبرهن لى أحد على مؤلف
آخر ببرهان أكثر يقيناً لم يكن آخر من صاغ الروايات المتضمنة في هذه
الأسفار . وأنه لم يفعل أكثر من أنه جمع روايات موجودة عند كتاب متعددين .
وفي هذه الأحيان كان يقتصر على نسخها ونقلها على هذا النحو ، الى
الخلف دون فحصها أو ترتيبها . ولا أستطيع أن أخمن الاسباب التي منعت
من اتمام عمله هذا ، بحيث يوليه كل عنايته ، الا اذا كان موتاً مبكراً (٦) »

(ج) ويقول ول ديورانت في قصة الحضارة : « كيف كتبت هذه
الأسفار ؟ ومنى كتبت ؟ وأين كتبت ؟ ذلك سؤال كتب في الاجابة عنه آلاف
المجلدات . ولكن يجب أن نفرغ منه هنا في فقرة واحدة : ان العلماء مجمعون
على أن أقدم ما كتب من أسفار التوراة هو سفر التكوين . وقد كتب

(٥) ص ٦٤ - ٦٥ التاريخ مما تقدم عن الآباء - وجزريم جبل سينا
الحديث عنه .

(٦) ص ٢٨٣ رسالة في اللاهوت والسياسة .

بعضه في يهوذا وبعضه في اسرائيل ثم تم التوافق بين ما كتب هنا وهناك بعد سقوط دولتي اليهود . والرأى الغالب : ان سفر التثنية من كتابة عزرا . ويبدو أن أسفار التوراة الخمسة قد اتخذت صورتها الحاضرة حوالي عام ٣٠٠ ق.م (٧) «

(د) ويقول الآباء اليسوعيون في أسفار موسى الخمسة : « كثير من علامات التقدم تظهر في روايات هذا الكتاب وشراثة . فما من عالم كاثوليكي في عصرنا يعتقد أن موسى ذاته قد كتب كل البانثاتيكا (٨) منذ قصة الخلق الى قصة موته . كما أنه لا يكفى أن يقال ان موسى أشرف على وضع النص الملهم الذي دونه كقبة عديدون في غضون أربعين سنة بل يجب القول مع لجنة الكتاب المقدس البابوية سنة ١٩٤٨ م أنه يوجد ازدياد تدريجي في الشرائع الموسوية ، سببته مناسبات العصور التالية ، الاجتماعية والمدنية ، تقدم يظهر في الروايات التاريخية (٩) «

وهذه الأسفار الخمسة التي كتبها « عزرا » في « بابل » ونسبها الى موسى عليه السلام ، يسلم بها السامريون والعبرانيون من زمان عزرا الى يومنا هذا . غير أنه يوجد اختلاف في بعض الآيات والمعاني . ومثال ذلك : النص على يوم القيامة ، فانه غامض في العبرانية وواضح في السامرية يقول المكاتب على لسان الله عز وجل : « اليس ذلك مكنوزا عندي مختوما عليه في خزائني . لي النعمة والجزاء في وقت تزل أقدامهم » ؟ (تثنية ٣٢ : ٢٤-٢٥) ونصه في السامرية : « اليس ذلك مكنوزا عندي مختوما عليه في خزائني الى يوم الانتقام ... الخ » فبين قوله : « لي النعمة والجزاء » وبين قوله « ان أعمالهم عندي مذخورة الى يوم الانتقام » بون عظيم وفرق

(٧) ص ٣٦٧ ج ٢ قصة الحضارة .

(٨) لما ترجمت الأسفار الخمسة الى اللغة اليونانية أطلقوا عليها « بانثاتيكا » أي الكتاب ذو الأسفار الخمسة (ص ٣ مقدمة الكتاب المقدس للكاثوليك) .

(٩) ص ٤ المجلد الأول من الكتاب المقدس للكاثوليك .

كبير — كما يقول أبو الفتح — لأنه بمقتضى نصهم يجوز أن ينتقم الساعة
وغدا وما قبل وما بعد ، ويجوز أن يكون ذلك فى الدنيا ويجوز أن يكون
فى الآخرة (١٠) «

وما ذكرناه عن اليهود والنصارى فى تحريف كتاب موسى عليه السلام
ينقض قول ابن كمونة فى تنقيح الابحاث . وهو : « وعزرا الذى ينسبون
اليه تحديد التوراة بعد ذهابها — كما زعموا — هو من المشهورين بالتعظيم
وكثرة الخير والدين . وهو الذى يسميه المسلمون بـ «عزيز» ويدعون هم
وبعض اليهود نبوته . ومن يخالف فى نبوته فلا يخالف فى عظم شأنه فى
الدين والخير ، فلا يتصور فى حقه أن يستحل تحريف كتاب الله وتبديله «
أ. هـ. وسنبين فى كتابنا « نقد التوراة » أنه ما كان نبيا . وما كان وليا .

والتوراة التى بأيدى العبرانيين والتى تسمى التوراة العبرانية قد
ترجمت الى اللغة اليونانية ٢٨٥ — ٢٤٧ قبل الميلاد . يقول صاحب
تاريخ الاسرائيليين : « فى عهد بطليموس فيلادلفوس ٢٨٥ — ٢٤٧ ق.م
ترجمت التوراة العبرية الى اللغة اليونانية . وقد قام بها اثنين وسبعين
علما من علماء اليهود ، وانتهوا منها فى اثنين وسبعين يوما . وكان
يهود فلسطين يعتبرونها مزيفة لكثرة التحريفات والزيادة التى اوتعمها
ففيها النساخ (١١) «



ومن الأمثلة على الاختلافات بين العبرانية واليونانية :

١ — فى العبرانية : لما وضع يوسف عليه السلام السقاية فى رحل
أخيه وخرج اخوته من مصر « قال يوسف للذى على بيته : قم اسح وراء
الرجال ومتى أدركتهم فقل لهم : اذا جازيتهم شرا عوضا عن خير ؟ اليس

(١٠) ص ٩٧ التاريخ مما تقدم عن الآباء .

(١١) ص ٢٧ تاريخ الاسرائيليين .

هذا هو الذى يشرب سيدى فيه وهو يتفاعل به ؟ أسأتم فى ما صنعتم ؟
(تكوين ٤٤ : ٤ - ٥) وفى اليونانية توضع عبارة « لم سرقتم صواعى ؟ »
هكذا : « لم سرقتم صواعى ؟ أليس هذا ... الخ » فعبارة « لم سرقتم
صواعى » ؟ محذوفة من العبرانية .

٢ - من آدم عليه السلام الى نبي الاسلام ﷺ على وفق السامرية
٤٨٢٥ سنة ، وعلى وفق العبرانية ٤٥١٤ وعلى وفق اليونانية ٥٦٠٠
سنة . والمؤرخ السامرى أبو الفتح يحدد الجملة ٥٠٤٧ سنة .

ومن الزمان الذى ترجمت فيه التوراة الى اليونانية ، انتشرت
التوراة فى العالم ، وظهرت ترجمات أخرى مثل الآرامية واللاتينية ، فصعب
على اليهود تحريفها وزاد من صعوبة التحريف بعد ذلك الزمان ظهور
النصرانية وتمسك النصارى بالتوراة وتفرقتهم بها فى جميع البلاد . وذلك لأنهم
كانوا يكتبونها ويضعونها مع كتب الأناجيل الاربعة فى مجلد واحد . ويسمون
مجموع كتب التوراة والانجيل (ببيل) باللغة اليونانية أو الكتاب المقدس
أو كتب العهد القديم (التوراة) وكتب العهد الجديد (الانجيل) .

وانتشر ذلك الكتاب المقدس فى العالم ، وجاء الاسلام فنقد هذا
الكتاب نقدا عنيفا ، وبين أنه حرف عمدا .

يقول الأنبا اثناسيوس : « وأقدم النسخ الكاملة للمعهدين هى :

١ - النسخة الفاتيكانية : وقد كتبت فى مصر فى أوائل القرن

الرابع .

٢ - النسخة السينائية وترجع الى أواخر القرن الرابع .

٣ - النسخة الاسكندرية وترجع الى أوائل القرن الخامس (١٢)»

(١٢) ص ١٣ تفسير متى .

والقرآن الكريم قد اعترف بتحريف التوراة والانجيل عمدا . وهذا الاعتراف عليه أدلة موجودة في التوراة وفي الانجيل المتداولين . وقد اعترف ابن نبي الاسلام ﷺ مكتوب في التوراة وفي الانجيل ، وهذا الاعتراف عليه أدلة موجودة في التوراة وفي الانجيل المتداولين . لأن التوراة والانجيل المتداولين . كانا متداولين في العالم من قبل ظهور نبي الاسلام ﷺ . فقد كانت التوراة متداولة من القرن الثالث قبل الميلاد ، والانجيل كان متداولا من القرن الرابع بعد الميلاد . ونبي الاسلام ﷺ قد ظهر في القرن الميلادي السادس .

ولم يقل القرآن بأن التوراة كلها محرفة . بل قال ان البعض محرف ، ولم يقل بأن الانجيل كله محرف بل قال ان البعض محرف . يقول تعالى : « ألم تر الى الذين أتوا نصيبا من الكتاب » (آل عمران ٢٣) ويقول تعالى : « ومن الذين قالوا : انا نصارى ، أخذنا ميثاقهم . فنسوا حظا مما فكروا به » (المائدة ١٤) لم يقل أتوا الكل ولا نسوا الكل . ومن هذا البعض نستشهد على نبوة النبي ﷺ ولا يصح أن يعترض علينا النصارى بقولهم كيف تستدلون من كتب أنتم تعتبرونها محرفة ؟ فانهم مع اعترافهم بتغيير التوراة وتبديلها نجدهم يستشهدون بنصوصها ولا يجدون غضاضة في ذلك .



وكاتب التوراة في « بابل » لم يحذف منها النصوص التي هل على محمد ﷺ وذلك لكي يرضى المتدينين من بني اسرائيل . وفرق النصوص على الأسفار الخمسة ، ولم يضعها كلها في مكان واحد ، لئلا تدل عليه بسهولة ويسر . واتبع طريقة لبس الحق بالباطل . وتحريف الكلم من بعد مواضعه في كتابة نصوص النبوءات عليه .

وبيان طرق التحريف هكذا :

(١) في قصة الذبيح عليه السلام قال تعالى لابراهيم عليه السلام :-

« خذ ابنك وحييدك الذي تحبه » وهذا هو الحق . لأن الابن الوحيد هو اسماعيل المولود قبل اسحق أخيه بأربعة عشر عاما . والكاتب وضع بعده كلمة : « اسحق » وهذا هو الباطل ، لأن اسحق ليس وحيد أبيه . وقد وضع الكاتب الباطل بعد الحق ليلغز المعنى . وهذا هو النص بتمامه : « وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن ابراهيم . فقال له يا ابراهيم . فقال : ها انذا . فقال : خذ ابنك وحييدك الذي تحبه اسحق ، واذهب الى أرض المريا ، وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك . . . الخ » (تك ٢٢ : ١ - ١٤)

(ب) في تنبيه التوراة على مجيء النبي المنتظر هذا النص وهو : « يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك من اخوتك مثلى . له تسمعون » (تث ١٨ : ١٥) وقد وضع الكاتب « من اخوتك » ليحتل أنه من الممكن أن يأتي من بنى اسرائيل ، ومن الممكن أن يأتي من بنى اسماعيل . فان اسماعيل « أمام جميع اخوته يسكن » (تك ١٦ : ١٢) واحتمال الكلمة لمعنيين هو تحريف للكلم من بعد مواضعه .

(ج) وبعدها استقرت نصوص التوراة في العالم ، من أيام الاسكندر الاكبر ، ولم يعد بمقدور اليهود أن يحرفوها تحريفا لفظيا ، لجأوا الى تأويل النصوص تأويلا فاسدا . وهذا هو تحريف الكلم عن مواضعه .

ونبوءات التوراة عن محمد ﷺ قد فرقها كاتب التوراة على أسفار موسى الخمسة ، لكي لاتدل عليه بسهولة في نظر الاميين ، وهى تدل عليه في نظر الأمي والعالم اذا تضامت كلها في موضع واحد ، وصارت كنبوءة واحدة . وبيان ذلك :

أولا : تبين التوراة أنه « لما كان ابرام ابن تسع وتسعين سنة ، ظهر الرب لابرام . وقال له : انا الله القدير سر أمامي وكن كاملا ، فأجعل عهدي بيني وبينك وأكثر كثيرا جدا » أى امش بالدعوة الى بين الناس ،

وكن قدوة لهم في عمل الخير ، وأنا اجعل عهدي معك ، وفي نسلك
ان مشوا وكانوا قدوة .

ثم وضع الله له أن العهد بالنبوة والملك على الأمم ، محصور في
ولديه الكبيرين اسماعيل واسحق — عليهما السلام — في هذا النص :
« وقال الله لابراهيم : ساراي امرأتك لا تدعو اسمها ساراي ، بل
اسمها سارة . وأباركها واعطيك أيضا منها ابنا . أباركها فتكون أما
وملوك شعوب منها يكونون ... »

وقال ابراهيم لله : ليت اسماعيل يعيش أمامك . فقال الله : بل
سارة امرأتك تلد لك ابنا وتدعو اسمه اسحق . وأقيم عهدي معه عهدا
أبديا لنسله من بعده . وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها انا أباركها
وأثمره وأكثره كثيرا جدا . اثني عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة .
ولكن عهدي أقيم مع اسحق الذي تلده لك سارة في هذا الوقت في السنة
الآتية » (تك ١٧ : ١٥ — ٢١)

وهذا النص يبين أن البركة تعني « أما وملوك شعوب » ونبوة .
وأن اسماعيل مبارك فيه . والكتب قد لبس الحق بالمبطل في قوله ان
العهد بالنبوة سيقام مع اسحق الذي ما كان قد ولد بعد ، وسيحرم
اسماعيل منه ، ثم ذكر قبل ذلك أن العهد مع ابراهيم في ولديه هذين
ليس عهد نبوة ، بل عهد ختان في هذا النص : « هذا هو عهدي الذي
تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك . يختن منكم كل ذكر »
(تك ١٧ : ١٠) ثم ذكر أن ابراهيم ختن اسماعيل ابنه « وكان اسماعيل
ابنه ابن عشرة سنة حين ختن في لحم غرلته » (تك ١٧ : ٢٥)

والعلماء الدارسون يقولون في ما قدمنا : ان كان العهد للختان ،
فان اسماعيل داخل فيه . وان كان العهد للنبوة ، فان اسماعيل داخل
فيه . وذلك لانه قد اختتن بالفعل ، ولان له بركة كبركة اسحق أخيه .
ثانيا : اذا وضعنا النص على بركة اسماعيل ، قيل قول موسى

عليه السلام عن نبي مثله ناسخ لشريعته : وهو « يقيم لك الرب المهك قريبا من وسطك ، من اخوتك مثلى . له تسمعون » (تث ١٨ : ١٥) فان قوله هذا يدل على نبي من آل اسماعيل ، يظهر ، لتبدأ من ظهوره بركة اسماعيل في قومه وفي الامم . واذا قرانا قول موسى عليه السلام وهو أنه لمن يقوم في بنى اسرائيل نبي مثله الى الأبد (تث ٣٤ : ١٠) لتأكدنا أن هذا النبي الآتى لن يكون من بنى اسرائيل . وحيث لاسماعيل بركة ، فانه سيكون منه .

ثالثا : اذا وضعنا بعد النص على بركة اسماعيل ، والنص على النبي الأسمى : قول يعقوب عليه السلام : « لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه ، حتى يأتى شيلون . وله يكون خضوع شعوب » (تث ٤٩ : ١٠)

ومعناه : أن الملك ينتضى من اليهود ، والتوراة تنسخ ، اذا أتى « شيلون » الذى ستخضع له الشعوب . فان شيلون يكون هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لثبوت بركة في نسل اسماعيل عليه السلام .

رابعا : ولأن النص على بركة اسماعيل هو رأس النبوءات المدالة على مجيء محمد ﷺ ، قال كاتب التوراة مؤكدا على بركته : « وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله بنى اسرائيل قبل موته . فقال : جاء الرب من سيناء وأشرق من سعير وتلألا من جبل فاران ، وأتى من ربوات القدس ، وعن يمينه نار شريعة لهم . فأحب الشعب . جميع قديسيه فى يدك وهم جالسون عند قدمك يتقبلون من أقوالك » (تث ٣٣ : ١ - ٣) وقال : ان فاران هو مكان سكنى اسماعيل المبارك « وسكن فى برية فاران » (تث ٢١ : ٢١) وقصده : أن ستنزل شريعة الهيئة فى فاران كما نزلت التوراة فى طور سيناء .

ثانيا : أسفار الأنبياء

١ - فى التوراة العبرانية بالاضافة الى الأسفار الخمسة ، كتب تسمى بأسفار الأنبياء . هذا بيانها :

- ٦ - يشوع ٧ - القضاة ٨ - راعوث ٩ - صموئيل الأول
 ١٠ - صموئيل الثاني ١١ - الملوك الأول ١٢ - الملوك الثاني ١٣ - أخبار
 الأيام الأول ١٤ - أخبار الأيام الثاني ١٥ - عزرا ١٦ - نحميا ١٧ - أستير
 ١٨ - أيوب ١٩ - المزامير (الزبور) ٢٠ - الأمثال ٢١ - الجامعة
 ٢٢ - نشيد الأنشاد ٢٣ - أشعيا ٢٤ - ارميا ٢٥ - مراثى ارميا
 ٢٦ - حزقيال ٢٧ - دانيال ٢٨ - هوشع ٢٩ - يونس ٣٠ - عوبيديا
 ٣١ - يونس (يونس) ٣٢ - عاموس ٣٣ - ميخا ٣٤ - ناحوم
 ٣٥ - حبقوق ٣٦ - صفيان ٣٧ - حجي ٣٨ - زكريا ٣٩ - ملاخي .

ب - وأضيف الى التوراة اليونانية مع الأسفار السابقة الأسفار
 التالية :

اسم السفر	عدد الأصطحات	موضع السفر من أسفار العهد القديم
١ - طوبيا	١ - ١٤	بعد سفر نحميا
٢ - يهوديت	١ - ١٦	بعد سفر طوبيا
٣ - تثمة أستير	١٠ - ١٦	مع سفر أستير
٤ - الحكمة	١ - ١٩	بعد نشيد الأنشاد
٥ - يشوع بن سيراخ	١ - ١٥	بعد سفر الحكمة
٦ - باروخ	١ - ٦	بعد مراثى ارميا
٧ - تثمة دانيال	٣ و ١٣ -	مع سفر دانيال
٨ - المكابيين الأول	١ - ١٦	بعد سفر ملاخي
٩ - المكابيين الثاني	١ - ١٥	بعد المكابيين الأول

وأسفار الأنبياء هذه ليست أسفار عقائد وشرائع . فان العقيدة

والشريعة من سفر موسى وحده ، وإنما هي أسفار تاريخية تحكى تاريخ
اليهود من أيام آدم — عليه السلام — الى وقوع بنى اسرائيل فى أسر نبوخذ
ناصر ملك بابل ، وبعضها حكم وأمثال ، وفى بعضها تنبؤات عن نبي الاسلام
وبعضها غزل وعشق وهيام ، وبعضها يحكى الى عصر المكابيين ١٦٧ ق.م.
وهي أسفار مشكوك فى صحتها من اليهود والنصارى — كما هو واضح
مما بينا —



الانجيل

لا يقول النصارى ان عيسى سلمنا انجيلا مكتوبا ، كما استلم بنو اسرائيل التوراة من موسى عليه السلام ، وانما يقولون : ان عيسى خطب كثيرا امام اليهود ووعظ في هيكل سليمان ، وفسر لتلاميذه كل شيء ، ولما رفع الى السماء بدأ البعض يكتبون قصة حياته ، ووضعوا في ثنايا القصة قبسا من تعاليه التي كان يلقيها على الناس .

يقول الانبا اثناسيوس : «بدأ التبشير بالمسيحية بالتعليم الشفهي . فلما قال الرب لتلاميذه : « اذهبوا الى العالم واكرزوا بالانجيل للخليفة كلها » (مرقس ١٦ - ١٥) لم يسلمهم انجيلا مكتوبا على ورق ، واستعمل كلمة « اناجيليون » لا كاسم كتاب ، بل حسب معناها العام : « البشرى المفرحة » أى أن ينشروا خبر الخلاص في العالم اجمع ، وجال الرسل في سائر البلاد يبشرون بالمسيح مخلص العالم . وجاءت الحاجة للأسفار المكتوبة في مرحلة تالية ، فالبعض يريدون سيرة الرب في الجسد مكتوبة ، فيرشد الروح احد الرسل ليكتب لهم انجيلا وآخرون يحتاجون لشرح بعض نقاط فتكتب لهم رسالة » (١٣)

والمسلمون يقولون : قد كان لعيسى عليه السلام انجيل مكتوب ، قد عمل اليهود على ضياعه أولا ، ثم عملوا على لبس الحق بالباطل فيما كتبه التلاميذ ثانيا ، كما عملوا في كتاب موسى من قبل . لأن عيسى كان كاتباً وقارئاً ، ولا يستبعد على قارئ كاتب مثل هذا أن يكتب مبادئ دعوته في كتاب ، خاصة وأنه مرسل من الله برسالة . ومن عادة الرسل أن يكونوا حريصين على رسالتهم ومهتمين بها ومحافظين عليها . ولأنه توجد اشارات واضحات على وجود انجيل حقيقى كان بيد عيسى عليه السلام ، ومن تلك الاشارات « جاء يسوع الى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ويتول :

(١٣) ص ١٠ انجيل متى للأنبا اثناسيوس .

قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله ، فتوبوا وآمنوا بالانجيل » (مرقس ١ : ١٤ - ١٥) أى الانجيل للذى بيدي . والذى سوف أسلمه لكم من قبل أن أترك الدنيا — والنصارى يفسرون قوله « وآمنوا بالانجيل » بقولهم : آمنوا بما القيه من فمى عليكم —

ولانه قد وجد من علماء النصارى من اعترف بانجيل قد فقد لمعيسى عليه السلام . فقد « كتب الفاضل (نورتن) كتابا فى الاسناد . وطبع هذا الكتاب فى بلدة بوستن سنة ١٨٣٧م وقال فى المجلد الأول من هذا الكتاب فى الديباجة : «قال أكهارن فى كتابه : انه كان فى ابتداء الملة المسيحية فى بيان احوال المسيح رسالة مختصرة يجوز أن يقال : انها هى الانجيل الاصلى . والغالب : ان هذا الانجيل كان قد سوى للمريدين الذين كانوا لم يسمعوا اقوال المسيح بأذانهم ، ولم يروا احواله بأعينهم ، وكان هذا الانجيل بهنقلة القلب (١٤) » ولأنه أيضا كما يجوز العقل نقل التلاميذ من كلام مسموع ، يجوز نقلهم من كلام مكتوب .

لقد كتب عيسى انجيله اذن ، فما معنى الانجيل ؟ ولماذا اختفى ؟ وما هى التعاليم التى كانت مكتوبة فيه ؟ وهل هو شريعة منفصلة عن شريعة التوراة ؟ وما خبر الأنجيل الاربعة المتداوله الى اليوم فى ايدي النصارى ؟

يجمع النصارى على أن كلمة الانجيل معربة عن الكلمة اليونانية « افانجيليوس » او القبطية « افانجيليون » ومعناها : البشارة أو الخبر المفرح . واذا سألناهم ما هو هذا الخبر المفرح ؟ لأجابوا : « السبب فى اطلاق هذا الاسم عليه : أنه يعلن للمأ محبة الله المطلقة للخطاة ، وموت المسيح كفارة عنهم ، حتى لا يهلك كل من يؤمن به منهم ايماناً حقيقياً ، بل تكون له الحياة الابدية » (١٥)

(١٤) نقلا عن اظهار الحق ص ١٢١ ج ١ .

(١٥) ص ٧ انجيل برنابا فى ضوء التاريخ والعقل والدين .

يعنون أن آدم لما أكل من شجرة اللخلة ، صار مخطئا بالاكل . لان الله كان قد نهاه عن الاكل . وانتقلت عنه الخطيئة الى أبنائه وأحفاده ، وكل من يموت فانه يدخل النار ، سواء كان بارا أو غير بار . الى أن جاء المسيح فقتل عن الجنس البشرى كله ، ليحوا الخطايا ويزيل الآثام .

وفرد عليهم : ان البشارة أو الخبر المفرح : هي أو هو تبشير عيسى بهجى نبي الاسلام — عليهما السلام — لأنه خير مفرح حقا . واليهود قد طال انتظارهم له ، وتشوقهم اليه . لأنه ألهم في هذه الحياة الدنيا ، وفي ظله يعيشون بين الأمم . فان موسى فى سفر التثنية قد أخبر عنه ، وجاء المسيح ليشر باقتراب الزمان الذى سيحقق فيه هذا الخبر . فهوسى أخبر ، وعيسى بشر . وقولهم : ان هذا الخبر هو موت المسيح كفارة عن الخطاة ، قول لا يصدقه عقل ، لأن كثيرين من النصارى الأوائل قد اعترفوا بأن المسيح لم يقتل ولم يصلب (١٦) ولأن التوراة التى يقدها كل النصارى كما يقدها اليهود ، نصت على أنه « لا يقتل الآباء عن الأولاد ، ولا يقتل الأولاد عن الآباء ، كل انسان بخطيته يقتل » (تثنية ٢٤ : ١٦)

وتصرح التوراة بأن الانسان مخير لا مسير ، ليتحقق وعد الله بتعذيب المعاصى واکرام المطيع . ففي سفر التثنية على لسان الله تعالى : « ان هذه الوصية التى أوصيك بها اليوم ليست عسرة عليك ولا بعيدة منك . ليست هي فى السماء حتى تقول : من يصعد لأجلنا الى السماء ويأخذها لنا ويسمعنا اياها لتعمل بها . ولا هي فى عبر البحر حتى تقول : من يعبر لأجلنا البحر ويأخذها لنا ويسمعنا اياها لتعمل بها . بل الكلمة قريبة منك جدا . فى فمك وفى قلبك ، لتعمل بها » (تث ٣٠ : ١١ — ١٤)

ويصرح الانجيل بأن الانسان حر فى اختيار أفعاله ، ليتحمل المرء نتيجة عمله . ففي انجيل متى يقول عيسى عليه السلام : « فكل من يسمع

(١٦) انظر : تاريخ الارطقات مع دحضها — بدع الجيل الأول .

أقوالى هذه ، ويعول بها ، أشبهه برجل عاقل بنى بيته على الصخر ، فنزل المطر وجاءت الأنهار ، وهبت الرياح روتعت على ذلك البيت فلم يسقط ، لأنه كان مؤسسا على الصخر . وكل من يسمع أقوالى هذه ولا يعمل بها ، يشبهه برجل جاهل بنى بيته على الرمل ، فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح ، وصدمت ذلك البيت فسقط . وكان سقوطه عظيما « (مت ٧ :

٢٤ - ٢٧)

وإذا كانت نصوص التوراة ونصوص الانجيل صريحة وواضحة فى أن الله قد خلق الانسان حرا ، وحمله مسئولية أعماله . فكيف يكون موت المسيح عيسى عليه السلام كفارة عن الأثمين والمذنبين والمنسدين والخاطئين ؟

ولقد اختنى الانجيل الحقيقى بسبب اليهود ، فانهم ائتمروا على المسيح وأرادوا قتله ، لقوله ان النبى الآتى من بعدى هو من بنى اسماعيل لا من بنى اسرائيل . يقول يوحنا : « جمع رؤساء الكهنة والفريسيون مجعما . وقالوا : ماذا نصنع ؟ فان هذا الانسان يعمل آيات كثيرة . ان تركناه هكذا يؤمن الجميع به ، فيأتى الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا » (يوحنا ١١ : ٤٨ - ٤٧) ويحكى برنابا هذا القول بصراحة عن رؤساء الكهنة والفريسيين هكذا : « ماذا يكون الثمر اذا تركنا هذا الانسان يعيش من المؤكد أن الاسماعيليين يصيرون نوى وجاهة عند الرومانيين ؟ فيعطونهم بلادنا مليكا ، وهكذا يصير اسرائيل عرضه للعبودية كما كان قديما » (برنابا ١٤.٢ : ١٩ - ٢١) . وكلام برنابا هو الصحيح ، لأن الرومانيين يحتلون بلادهم من قبل مجيء المسيح ، بثلاث وستين سنة .

واثتمارهم على الداعى ، هو ائتمارهم على الدعوة ، ولقد اختنى الانجيل بسبب محاولات اليهود المستهينة لقصر الشريعة عليهم وحدهم ، واحتقار بنى اسماعيل والأمم . ولقد اضطهدوا النصارى وعذبوهم وقتلوا منهم الكثيرين من بعد رفع المسيح الى السماء ، كما قد حاولوا من قبل قتل عيسى عليه السلام . كما هو مبين فى سفر أعمال الرسل .

والتعاليم التي كتبت في الانجيل الحقيقي ، يمكن الاستدلال على بعضها بما هو مكتوب في الأناجيل المتداولة الآن . لأنها — مع تحريفها — اقرب الكتب التي كتبت الى عهد عيسى عليه السلام .

ومن ينظر في هذه الأناجيل . لا يجد أنها شريعة منفصلة عن شريعة التوراة ، بل يجد ان عيسى يحترم التوراة ، ويحيل أتباعه الى العمل بها ، ويهددهم بالعقاب اذا نقضوا أية وصية فيها ، ويجد فيهم حكما ، ووصايا خلقية وارشادات نافعة . ففي الأناجيل : الدعوة الى عبادة الله وحده كما في انجيل متى على لسان المسيح : « للرب الهك تسجد ، واياها وحده تعبد » (متى ٤ : ١٠) والتبشير باقتراب ملكوت السموات — هذا الملكوت الذي تحدث عنه النبي دانيال — ويضرب الأمثال لجيئه . وهو ملكوت نبي الاسلام ﷺ بمجده وسلطانه ، وأن اسمه المبارك هو : أحمد .

ففي الأناجيل يقول عيسى عليه السلام لأتباعه : « لا تظنوا اني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل — أي لاصحح — فأني الحق أقول لكم : الى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد ، أو نقطة واحد من الناموس حتى يكون الكل » (متى ٥ : ١٧ — ١٨)

يتول متى هنرى : أن كلمة « أكمل » في نصها اليوناني « ليملأ كل ثغرة فيه » ويقول : « الانجيل هو وقت الإصلاح » (عبرانيين ٩ : ١٠) ولم يقصد به نقض أو نسخ الناموس بل اصلاحه (١٧) «

ويقول متى « حينئذ خاطب يسوع الجوع وتلاميذه قائلا : على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون ، فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه ، وافعلوه ، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا ، لأنهم يقولون ولا يفعلون » (متى ٢٣ : ١ — ٣) ويقول برنابا : « قال يسوع :

(١٧) ص ٢١٠ ج ١ تفسير متى لمتى هنرى .

انتظنون انى جئت لأحل الشريعة والانبياء ؟ الحق أقول لكم : لعمر الله انى لم آت لأبطلها ولكن لأحفظها » (برنابا ٣٨ : ٢ - ٣) .

واليهود يقولون بما قلنا . ففى تنقيح الأبحاث ما نصه : « وتغيير أحكام التوراة ، كإباحة لحم الخنزير وترك الختان والفسل ، مروى عن الحواريين ، لا عن السيد المسيح ، فانه لم يزل متمسكا بأحكامها الى أن قبضت اليهود عليه ، وكان يأمر بها . وقال : « ما جئت لأنتفضها » وحيث أنكروا عليه ما توهموه بتفريطا فى بعض أحكامها ، بين لهم أنه ليس بتفريط ، وأوضح لهم ذلك ، مما يقتضيه فقههم وشرعهم — كما هو مذكور فى الانجيل —

وبقى أصحابه على التمسك بها مدة طويلة ، الى أن أظهروا المخالفة لها والاعلان بنسخها ، وأنها انما كان يلزم العمل بها ، الى حين ظهور السيد المسيح ، لا غير ، وأكثر ذلك عن رأى « فولوس » الرسول (١٨) اهـ

وأما خبر الأنجيل الاربعة المتداولة الى اليوم فى أيدى النصارى . فان النصارى يقولون : ان اليهود اضطهدوا التلاميذ الأوائل اضطهادا بشعا لم يسمع بمثله فى التاريخ ، وعذبوا المؤمنين بدعوة عيسى عليه السلام عذابا اليما وكان من الذين تفتنوا فى تعذيبهم من اليهود : « شاول » المسمى أيضا « بولس » أو « بول » . يقول عن نفسه : « أنا رجل يهودى ولدت فى طرسوس » (أعمال الرسل ٢٢ : ٣)

وبولس هذا « كان يسطو على الكنيسة ، وهو يدخل البيوت ، ويجر رجالا ونساء ، ويسلمهم الى المسجن » (أعمال ٨ : ٣) وقد كان راضيا بقتل استفانوس اول شهيد فى النصرانية ، ويوم قتله « حدث

(١٨) تنقيح الأبحاث ص ٤٥ .

في ذلك اليوم اضطهادا عظيما على الكنيسة التي في اورشليم ، فنشيتت
الجميع في كور اليهود والسامرة ما عدا الرسل ، وحمل رجال أتقياء
استفانوس ، وعملوا عليه مناحة عظيمة « (ا ع ٨) ولم يستمع
اليهود لنصيحة غملائيل الذي قال لهم : « تنحوا عن هؤلاء الناس ، فسوف
ياتقض ، وان كان من الله فلا تقدرُوا أن تقتضوه ، لئلا تجدوا محاربين
الله أيضا » (ا ع ٥ : ٣٨ - ٣٩) ورجموا « استفانوس » الذي كان
« لا يفتر عن أن يتكلم كلاما تجديفا ، ضد هذا الموضع المقدس والناموس »
(ا ع ٦ : ١٣) وارسلوا شاول برسائل الى رؤساء مجامعهم في دمشق
ليأتى بالنصارى الذين هم فيها مقرنين بالأصفاذ . ففكر وهو في الطريق
أن يقتل لن يبحو دعوة عيسى عليه السلام ولن يثني عزائم الاتباع ، ورأى
أن التظاهر بالنصرانية والكيد لها هو أفضل الطرق للقضاء عليها وعلى
الفور تظاهر بالنصرانية . وقال للنصارى اننى حزين جدا على اليهود
الذين لم يتنصروا قال ما نصه : « ان لى حزنا عظيما ووجعا فى قلبى لا ينقطع ،
فانى كنت أود لو أكون أنا نفسى محرورا من المسيح لأجل اخوتى
أنسبائى حسب الجسد ، الذين هم اسراييليون ، ولهم القبنى والمجد
والعهد والاشتراخ والعبادة والمواعيد ولهم الآباء ، ومنهم المسيح حسب
الجسد الكائن على الكل لها مباركا الى الأبد » (رومية ٩ : ١ - ٥) .

وبعد ما أظهر حزنه ، وبين أن المسيح « لها مباركا الى الأبد »
شرع يوضح لهم بما لا لبس فيه ولا خفاء : ان التوراة لا فائدة فيها ،
ولا داعى للعمل بأحكامها . وذلك في قوله « ان كنتم قد متم مع المسيح عن أركان
العالم . فلماذا كنتم عاثسون فى العالم تفرض عليكم فرائض لا تمس .
ولا تذيق . ولا تجس ، التى هى جميعها للفتاء فى الاستعمال ، حسب
وصايا وتعاليم الناس » (كو ٢ : ٢٠ - ٢٢) وفى قوله : « فلا يحكم
عابكم أحد فى أكل أو شرب ، أو من جهة عيد أو هلال أو سبت التى هى
ظل الأمور العتيدة » (كو ٦ : ١٦ - ١٧) وهكذا ألفى بولس ناموس
موسى وانجيل عيسى بجرة قلم . ولما اختنى الانجيل الحقيقى - وهذا هو

المسيح — قام التلاميذ الأمانة بكتابة ما تذكره من حياة عيسى ودعوته في كتب ، سموها بالإنجيل — وقد لعب فيها اليهود من بعدهم — وهذا على رأى القائلين بأن المسيح كان قد ألقى على تلاميذه الإنجيل الإلهي النازل عليه من السماء . وأما على رأى القائلين بأن المسيح قد ترك وعظا شفها ، سونه التلاميذ في كتب بعد رفعه وسموها بالإنجيل ، فان اليهود بعد انتشارها قد وضعوا فيها أيديهم للبس الحق بالباطل .

وقد كثرت هذه الإنجيل بكثرة الأتباع وانتشارهم في القرن والين للرجوع اليها أثناء تبشيرهم ، ومن هذه الإنجيل كما يقول القس عوض سمعان : « إنجيل يعقوب ونيقوديموس وتوما ، واندرائوس ، وبرثاموس ، والتلاميذ الاثنى عشر ، ومتى ، وبرنابا ، وانجيل الميبرانيين وانجيل المصريين ، وانجيل الطفولة (١٩) »

وقد استقر رأى المنصاري على اختيار الإنجيل الأربعة وهي :

١ — متى — ٢ — مرقس — ٣ — لوقا — ٤ — يوحنا

ورفض ما عداها ، بالرغم من أن المنصاري جميعا مختلفون في شخصية كل كاتب من هؤلاء الكتاب وزمن تدوينه لانجياه ، وهي اما أن تكون قد نسبت لمن تحمل أسماءهم وهم لم يكتبوها ، أو هم الكاتبون لها . ثم قد دخل فيها اليهود المنافقون عبارات للبس الحق بالباطل وهذا هو الأقرب إلى الصواب . ولما رضى المنصاري بهذه الإنجيل الأربعة ، أشاعوا في الناس أن الله لهم كتاب هذه الإنجيل بواسطة الروح القدس ، الأقتنوم الثالث في الثالث المقدس ، وأن الروح القدس عصم الكتاب من الخطأ ، وهو يملى عليهم ، وبذلك تكون هذه الإنجيل الهامية من وحى السماء ولا يجوز، الخروج عليها بل يجب التعبد بتلاوتها والعمل بالوصايا التي فيها .

وقد ذكرنا من قبل أن هذه الإنجيل المتداولة هي التي كانت في زمن

غنى الاسلام صلى الله عليه وسلم ، وهى التى قصدتها القرآن بالحكم
عايها .

ونبين هنا عن ترجمة الكتاب المقدس ما يلى :

يقول صاحب تاريخ الأقباط : ان كتب التوراة ترجمت الى اليونانية
من العبرانية ، ثم ان النسخة القبطية ترجمت عن اليونانية بين القرنين
الثالث والخامس بعد الميلاد على يد الفيلسوف بنتينوس (٢٠) وأما عن
الترجمة الى اللغة العربية : فيذهب البعض الى أن ترجمة للمهدين
معا ، كانت عام ٧٥٠ ميلادية بمعرفة يوحنا أسقف أثبيلية أسبانيا نقلا عن
اللاتينية . الا أن ذلك غير مقطوع به وان كان يحتمل أن الأناجيل الأربعة
قد ترجمت فى القرنين الثامن والتاسع من اليونانية أو السريانية أو القبطية
وقد اشتغل أولاد العسال وهم من علماء القبط فى القرن الثالث عشر بمراجعة
الأناجيل الأربعة والرسائل فى اللغات القبطية واليونانية والسريانية والعربية
وضبطوا ترجمتها العربية ودونوها بخطهم فى نسخة موجودة الآن بالمتحف
القبطى .

ثم فى القرن السابع عشر قام الأب سركيس الرزى مطران دمشق ،
مع نفر من العلماء بجمع عدة نسخ عربية ، وقابلوها بنسخ عبرية ويونانية ،
وانتهوا الى نسخة ، بنقحه طبعت فى روما سنة ١٦٧١ ميلادية ثم فى القرن
التاسع عشر قام المعام فارس الشدياق بترجمة الكتاب كاهن ، وطبع
العهد الجديد عن هذه الترجمة سنة ١٨٥١ م ثم طبع العهدان فى لندن

(٢٠) يقول الأبا اثناسيوس أن بنتينوس كان سنة ١٩٠ م يقول :
وما أن انتصف القرن الثانى حتى ظهرت الترجمات الاولى لهذه الأسفار
فظهرت الترجمة اللاتينية — وهى قبل الترجمة اللاتينية الشائعة المعروفة
باسم الفولجاتا التى قام بها القديس جيروم فى القرن الرابع — والترجمة
السريانية والترجمة القبطية وقد قام بها بنتينوس (٤ — ١٩٠ م)
(تفسير انجيل متى للابا اثناسيوس)

سنة ١٨٥٧ م وفي سنة ١٨٥٦ م ظهرت الطبعة الأولى الكتاب المقدس بعناية القس غالى سميث المرسل الابرىكى ، وبمساعدة العلم بطرس البستانى ، والدكتور كرفيايوس فنديك فى مدينة بيروت ، وهى الأكثر شيوعا اليوم فى الاقطار العربية ، وقد تمت الترجمة اليسوعية بعناية الرهبان اليسوعيين فى بيروت سنة ١٨٧٦ ميلادية (٢١) «

وبالاضافة الى الانجيل الاربعة يقدس النصارى الكتب الآتية .

أعمال الرسل — رسائل بولس الى : ١ — أهل رومية ٢ — أهل كورنثوس ٣ — الثانية الى أهل كورنثوس ٤ — أهل غلاطية ٥ — أهل افسوس ٦ أهل فيلبى ٧ أهل كولوسى ٨ — الأول الى أهل تسالونيكى ٩ — الثانية الى أهل تسالونيكى ١٠ — الأولى الى تيموثاوس ١١ — الثانية الى تيموثاوس ١٢ الى تيطس ١٣ الى فيلمون ١٤ — الرسالة الى العبرانيين — رسالة يعقوب — بطرس الأولى — بطرس الثانية — يوحنا الأولى — يوحنا الثانية — يوحنا الثالثة — رسالة يهوذا — رؤيا يوحنا اللاهوتى (الجميع سبعة وعشرون سفرا) .

ونذكر تعريفا موجزا باصحاب الانجيل الاربعة ليتبين به أنها ضعيفة فى الاتن وفى السند :

جاء فى قاموس الكتاب المقدس لجورج بوست ما يلى :

(١) انجيل متى :

متى (عطية الله) هو أحد الاثنى عشر رسولا ، وكاتب الانجيل الأول المنسوب اليه ، وكان اسمه فى الأول : لاوى ، وتغير الى متى عندما

(٢١) ص ٩٤ ج ١ تاريخ الأقباط .

تتخذ وظيفة الرسول . **انجيل متى** : يرجح أن هذا الانجيل كتب في فلسطين لأجل المؤمنين ، من البلة اليهودية ، الذين اعتنقوا الديانة المسيحية ، واختلف القول بخصوص لغة هذا الانجيل الاصلية ، فذهب بعضهم الى أنه كتب أولا بالعبرانية ، أو السريانية التي كانت لغة فلسطين في تلك الايام ، وذهب آخرون الى أنه كتب في اليونانية كما هو الآن . وذهب بعض القدماء الى أنه كتب في السنة الثامنة بعد الصعود . وآخرون الى أنه كتب في الخامسة عشرة . ويظن البعض : أن انجيلنا الحالي كتب بين سنة ٦٠ و سنة ٦٥ م ، وأن انجيل مرقس ولوقا كتبا في نفس تلك المدة .

(٢) انجيل مرقس :

مرقس لقب ليوحنا يهودى يرجح أنه ولد في اورشليم ، لان أمه سكنت هناك . ولا يعرف شيء حقيقى عن حياته ، ألف انجيله في اليونانية ، والمشابهة بين انجيلى متى ، ومرقس ، جعلت البعض يفكر ان الاخير مختصر الاول . ولا توجد الايات المدونة في ص ١٦ : ٩ - ٢٠ . في اثنتين من النسخ القديمة . فلذلك زعم البعض أنها مضافة في الأزمنة المتأخرة ، أضافها بعض آباء الجيل الثانى كايبرنيوس الذى تأليفاته أقدم من أقدم النسخ .

٢ - لوقا :

مسيحى في أيام الرسل . وكان من الأمم ، وظن بعضهم أنه مولود في انطاكية ويرجح أنه لم يكن من السبعين ، وكان طبيبا محبوبا . وجاء في التقليد أنه كان مصورا أيضا ، وكان رفيق بولس في أسفاره المتأخرة . وبقي معه الى أن أسر وأخذ الى روميه ، ولم يعلم شيء من حياته بعد ذلك . وهو كاتب انجيل لوقا وأعمال الرسل . وقد كتب هذا الانجيل قبل خراب اورشليم ، وقبل سفر الأعمال ، ويرجح أنه كتب في قيصرية في فلسطين مدة أسر بولس سنة ٥٨ - ٦٠ غير أن البعض يظنون أنه كتب قبل ذلك .

(٤) يوحنا :

يرجح أنه كان ابن خالة المسيح ، على افتراض أن مريم كانت أخت
سالمه . عهد اليه المسيح بكفالة أمه مريم واستحفظه أياها .

إنجيل يوحنا :

وهو آخر الأناجيل كتابة . ويظن أنه كتب في أفسس بين
سنة ٧٠ ، ٩٠ م .

هذا بخصوص التوراة والإنجيل اللذين سنظهر منهما أن محمدا
مكتوب فيها .

وأما بخصوص المسيح الذي تكلم به المسيح . فإن في التوراة نبوءات
عن نبي واحد سيأتي من بعد موسى ليقيم الدين ، ففي الإصحاح الثامن عشر
من سفر المثنى : « أقيم لهم نبيا . من وسط أخوتهم . مثلك . واجعل
كلامي في فيه . فيكلمهم بكل ما أوصيه به » (تث ١٨ : ١٨) وهذا النبي
الأمي ، قد أطلق عليه بنو اسرائيل لقب « المسيح » وهو لقب معظم يطلقونه
على أ — أنبيائهم ب — وعلمائهم ت — وملوكهم . وقد أشاع علماء بني
اسرائيل من زمان سبى بابل : أن هذا النبي الأمي الملقب بالمسيح ، سيظهر
في بني اسرائيل .

وقد أرسل الله يحيى وعيسى عليهما السلام في الأيام الأخيرة لبركة بني
اسرائيل بين الامم ، ليعرفنا الناس بأن هذا النبي قد أظل زمانه ، وأنه لن
يظهر من بني اسرائيل . بل سيظهر من بني اسماعيل ، لان الله قد بارك
فيه كما بارك في اسحق أخيه . ونطق عيسى باسم النبي الأمي وهو «محمد»
في رواية برنابا ، وهو « أحمد » في رواية لوقا ويوحنا . ولقبه عيسى
« بالروح القدس » أي الذي سيستمد قوته من الله القدوس الطاهر .
وقد ذهب اليهود — نكاية فيه وغيظا منه — الى « بيلاطس » الوالى

عليهم من قبل الروم ، من بعد ما عرفوا — وقالوا له : ان يسوع ليس مسيحا نبيا ولا مسيحا عالما ، وانها هو مسيح ملك . ويريد أن يطرد الرومان ويقيم مملكة لن تنقراض أبدا . وأوهموه أنه هو النبي الملك الذي ذكره موسى فى سفر التثنية ، وزعموا أنه هو المسيا الذى تفسيره المسيح . وقد سأله الوالى وقال له : « أنت ملك اليهود ؟ » أى المسيا الرئيس « فأجاب وقال له : أنت تقول » أما أنا فلم أقل . وبعدما نفى عن نفسه أنه هو المسيا الرئيس ، قال لرئيس الكهنة « وسوف تبصرون ابن الانسان جالسا عن يمين القوة ، وآتيا فى سحب السماء » وابن الانسان كما يقول أهل الكتاب هو لقب من الألقاب المسيا فى سفر دانيال .

وتد تأكد اليهود — من كلام عيسى ويحيى ومعجزاتهما — من زوال النبوة منهم الى يوم القيامة . فهاذا فعلوا ؟ قال منهم من غضب الله عليهم ولعنهم : تختم النبوة فى جنسنا من الآن والى الأبد ، فى شخص المسيح عيسى بن مريم . وندعى أنه هو النبي الأسمى المكتوب فى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية . بدل ختمها فى بنى اسماعيل بمحمد . وغرضهم من ذلك : قفل باب النبوة فى وجه محمد صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة ، وبقى قوم من اليهود على ما هو المكتوب فى الأسفار عن النبي الأسمى . وقالوا : اذا ظهر فانه يسهل علينا رده ، بأنه ليس هو . اذ من الممكن أن يظهر فيما بعد .

وهؤلاء الذين غضب الله عليهم ولعنهم استعانوا بالرومان فى سبيل عرضهم وكتبوا سفر أعمال الرسل ليختموا النبوة به فى بنى اسرائيل بعيسى الى يوم القيامة . وختموا به النبوة على هذا النحو :

١ — حدد دانيال زمان ظهور النبي الأسمى بزوال مملكة الرومان وبين أنه سيكون نبيا ملكا ، ومحاربا منتصرا . ولأنهم ختموا النبوة بعيسى ، -- وعيسى لم يكن ملكا ولا محاربا ولن يأتى الى الأرض من بعد ما كان فيها — قالوا : انه سيأتى بالملك الروحي وليس لأحد أن يسأل عن زمان مجيئه ،

حتى ولو زالت مملكة الرومان عن وجه الأرض « ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه » (١ ع ٧)

٢ — لما وصف عيسى عليه السلام النبي الأمي بلقب « المعزى الروح القدس » وأرادوا أن يقولوا انه قد جاء في شخص الاقنوم الالهى . كتبوا : أن عيسى بعد ما رفع الى السماء ، نزل منها في الحال ، والتقى بالتلاميذ ونفخ في وجوههم « وقال لهم : اقبلوا الروح القدس . من غفرتم خطاياهم ، تغفر له . ومن أمسكتم خطاياهم ، أمسكت » (يو . ٢٠ : ٢٢ — ٢٣) ثم نسوا ما كتبوه في انجيل يوحنا عن النفخ في وجوههم . وكتبوا في سفر الأعمال : أن « الروح القدس » الذي هو « المعزى » سينزل ، وسيببل السنة للتلاميذ ، وسيغيرها الى لغات العالم وقد نزل بالفعل ، وليس هو أحمد صلى الله عليه وسلم (١ ع ٢ : ١ — ٤)

٣ — لما رجع اليهود من سبى بابل ، ادعى العبرانيون منهم : أن الملقب بلقب المسيا ، سيأتي من نسل داود ، من سبط يهوذا ، ولما ظهر عيسى عليه السلام وبين أنه لن يكون من نسل داود ، وأرادوا ختم النبوة في جنسهم ، ادعوا أن عيسى هو النبي الأمي المسيا ، وغيروا نسبه من هرون من سبط لاوى الى داود عليه السلام ، وكتبوا في سفر الأعمال ما يؤكد ذلك (١ ع ٢ : ٢٩ — ٣٦) مع أن عيسى نفسه قد ناقش اليهود العبرانيين أنفسهم في قولهم ان المسيا سيأتي من داود . وقال لهم : ان داود نفسه في سفر المزبور عبر عن المسيا بأنه سيده ، وحيث أن الابن لا يكون سيدا لأبيه ، فاذن المسيا ليس من داود (مت ٢٢ : ٤١ — ٤٦) ويكون من اسماعيل لان له بركة منصوص عليها في سفر التكوين .

٤ — ادعى بطرس أن عيسى هو النبي الامي . وقال لليهود : ان « الموعد هو لكم ولادكم ، وكل الذين على بعد ، كل من يدعوه الرب الهنا » (١ ع ٢ : ٣٩ و ٣ : ٢٢)

٥ — ادعى استفانوس نفس ادعاء بطرس (١ ع ٧ : ٣٧)

٦ — ادعى بولس نفس ادعاء بطرس واستقنانوس . وزعم أن عيسى هو المسيا الذى تفسره المسيح (أ ع : ٢٠ — ٢٢)

٧ — ولما كان من صفات النبى الامى ان يسمع له بنو اسرائيل فى كل ما يكلمهم به ، لأنهم طلبوه اذا اراد الله أن يتكلم معهم . والله وعدهم به اذا اراد أن يكلمهم — وهذا يدل على أنه سيفير عوائد موسى — وقد اراد النصارى أن يقولوا لليهود وللأمم ان عيسى هو النبى الامى ، زعم بطرس أن الله أوحى اليه بنسخ شريعة موسى فى حلم الليل (ا ع ١٠ : ١١ — ١٦) وذلك لكى يسهل على الوثنيين الدخول فى دين المسيح ، بايهاهم أنه هو النبى الذى سيفير عوائد موسى . واذا دخلوا فى دين المسيح ، فإن اليهود يتقوون بهم فيما بعد على مائة بنى اسماعيل ، اذا ظهر النبى الامى منهم .

٨ — كل التنبؤات التى نطقها يوحنا المعمدان عن نبى الاسلام صلى الله عليه وسلم طبقا بولس على عيسى عليه السلام (ا ع ١٩ : ٦)

٩ — كل النبوءات التى نطقها عيسى عليه السلام عن نبى الاسلام صلى الله عليه وسلم طبقا بولس على مجيء المسيح فى آخر الزمان بالملك الروحى ، وبين بولس أن قتل المسيح وصلبه قد كان لمغفرة الخطايا ، ولا داعى للأعمال على وفق شريعة التوراة ، فان الايمان بالمسيح يكفى فى دخول الجنة . يقول بولس : « ايها الرجال الاخوة بنى جنس ابراهيم ، والذين بينكم يتقون الله . اليكم أرسلت كلمة هذا الخلاص ، لان الساكنين فى اورشليم ورؤساءهم لم يعرفوا هذا . وأقوال الانبياء التى تقرأ كل سبت تموها . اذ حكموا عليه ... الخ » (ا ع ١٣ : ٢٦ —)

وقد استعان اليهود باهل الروم فى ختم النبوة فى جنس اسرائيل بعيسى عليه السلام . وذلك لأن اهل الروم كانوا يحتلون فلسطين من قبل ييلاد

عيسى عليه السلام بثلاث وستين سنة . ودانيال النبي فى سفره قد بين أن
النبي الامى الذى سيأتى مثل موسى ليسمع له بنو اسرائيل ويطيعون ،
سيأتى ليزيل مجد الروم من ارض فلسطين ، ويقيم مملكة لن تنقرض ابدا .
وذلك فى قوله : « سبعون أسبوعا قضيت على شعبك وعلى مدينتك
المقدسة ، لتكميل المعصية وتتهيم الخطايا ، ولكفارة الاثم ، وليؤتى بالبر
الابدى ولختم الرويا والنبوة ولسح قدوس القديسين » (دا ٩ : ٢٤)
وفى قوله بعد ذكر مملكة بابل وفارس واليونان والرومان : « كنت ارى
فى رؤى الليل ، واذا مع سحب السماء مثل ابن انسان ، اتى وجاء الى
القديم الأيام ، فقربوه قدامه ، فاعطى سلطانا ومجدا وملكوتا ، لتتعبد له كل
الشعوب والامم والالسنة . سلطانه سلطان ابدى ما لن يزول ، وملكوته
ما لا ينتقرض » (دا ٧ : ١٣ - ١٤)

ولما فسر عيسى عليه السلام كلام دانيال لبني اسرائيل وغيرهم ،
نظروا الى اهل الروم كنظر المقيم الى الغريب . ولذلك لم يعطوهم حقهم
من السمع والطاعة . ولما رأى الروم أن الناس قد تجرأوا عليهم ، وضاعت
حقوق الراعى والرعية ، طلبوا من أتباع عيسى عليه السلام أن يسكتوا عن
قولهم بأن مجد الروم قد اقترب زواله كما يسكت اليهود لثلاث تخرب الدولة ،
فأبوا وأصروا على قولهم . ولما أبوا عن المسكوت وأصروا على القول ،
قام الروم بأذيتهم بعذاب لا قبل لهم به ، ولم يسمع بمثله فى التاريخ
فى أى وقت . وعندئذ تعاون اليهود مع الروم ، وضعاف الايمان من
النصارى على أن يلصقوا كل نبوءات التوراة وأسفار الانبياء بعيسى
عليه السلام وعلى أن ينقلوا عقائد الروم الى دين ، ينسبونه الى عيسى
عليه السلام .

مع أن التوراة مكتوب فيها أن ختم النبوة يكون بمحمد ﷺ لان لاسماعيل
بركة ، منصوص عليها فى سفر التكوين ، فى قوله : « باسحق يدعى لك
نسل . وابن الجارية أيضا سأجعله أمة ، لانه نسلك » وفى قوله : « وأما
اسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه ، وأثمره ، وأكثره . كثيرا جدا

إبنى عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة » وفى قوله : « يا هاجر جارية ساراي من أين أتيت ؟ وإلى أين تذهبين ؟ فتألت : أنا هاربة من وجه مولاتى ساراي . فقال لها ملاك الرب : ارجعى الى مولاتك واخضعى همت يديها . وقال لها ملاك الرب : تكثيرا أكثر نسلك ، فلا يعد من المكثرة . وقال لها ملاك الرب : ها أنت حبلى فتلدن ابنا وتدعين اسمه إسماعيل ، لأن الرب قد سمع لك ، وأنه يكون انسانا وحشيا . يده على كل واحد ، ويد كل واحد عليه ، وأمام جميع أخوته يسكن »

والآن الى موضوع « البشارة بنبي الاسلام فى التوراة والانجيل » نذكر النصوص المسلم بصحتها عند أهل الكتاب ، والنصوص المشابهة لها من كتبهم ، ونبين وجهة نظر علمائهم فيها كما دونوها فى الكتب . ثم نناقشهم فيها مناقشة جادة وهادئة .

وقد جمعت مادة هذه الرسالة فى أيام طويلة ، وصغفها فى أيام طويلة . ثم اختصرتها . ثم أعدت صياغتها وكررت بعض المعانى لربط الموضوعات بعضها ببعض وذلك كله لأسول على الأميين غير الدارسين من أهل الكتاب فهم هذا الموضوع النفيس .

« وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب »

والله نسأل أن يوفقنا لخدمة العلم والدين .

د / أحمد هجازى أحمد على السقا

ميت طريف — دنياية فى ١٠/٧/١٩٧٥ م

الباب الأول

نبي الاسلام في التوراة

(أسفار موسى الخمسة)

الفصل الأول

في

بركة اسماعيل

من « أور » الكلدانيين (١) خرج ابراهيم — عليه السلام — ليذهب الى أرض كنعان ، حوالي سنة ألف وتسعمائة وستة وتسعين قبل الميلاد — كما يحسب النصارى — ولما أتى الى « حاران » قال الرب لابرام — كما في التوراة — : اذهب من أرضك ، ومن عشيرتك ومن بيت أبيك الى الأرض التي أريك . فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم أسمك . وتكون بركة وأبارك مباركك ، ولاعنك المعنة . وتبارك فيك ، جميع قبائل الأرض . فذهب أبرام كما قال له الرب ، وذهب معه لوط . وكان أبرام ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران . فأخذ أبرام ساراي امراته ، ولوطا ابن أخيه ، وكل مقتنياتهما التي اقتنيا ، والنفوس التي امتلكا في حاران . وخرجوا ليذهبوا الى أرض كنعان . فأتوا الى أرض كنعان . واجتاز أبرام في الأرض الى مكان شكيم (٢) الى بلوطة مورة وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض « (تكوين ١٢ : ١ — ٦)

(١) في « أور الكلدانيين » . يقول الدكتور جورج بوست في قاموس الكتاب المقدس : «هي مسقط رأس ابراهيم ، وللجغرافيين ثلاث آراء بخصوص موضعها ١ — انها أورفا . مدينة واقعة شرقي نهر الفرات على بعد ٢٠ ميلا شمالي حاران ٢ — انها ورقة . الواقعة على بعد ١٢٠ ميلا الى الجنوب الشرقي من بابل و٤ أميال شرقي الفرات ٣ — انها مغير . في كلدية على بعد ١٢٥ ميلا الى الشمال الغربي من رأس خليج العجم بالقرب من ملتقى الفرات ودجلة »

(٢) شكيم : هي نابلس في أرض كنعان (أرض فلسطين) وجبوزون هي مدينة الخليل الآن . وأرض كنعان : حوالي ٢٥٠٠ ق.م نزلت قبائله =

ثم انه ارتحل « ارتحالا متواليا نحو الجنوب (٣) وحدث جوع ضى
الأرض . فانهدر أبرام الى مصر ليتغرب هناك » ثم « صعد أبرام من
مصر هو وامراته وكل ما كان له ولوط معه الى الجنوب »

واعتزل لوط عن ابراهيم « وقال الرب لابرام بعد اعتزال لوط عنه :
ارفع عينيك وانظر من الموضع الذى أنت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا .
لأن جميع الأرض التى أنت ترى ، لك أعطيها ولنسلك الى الأبد وأجعل
نسلك كتراب الأرض . حتى اذا استطاع أحد أن يعد تراب الأرض فنسلك
أيضا يعد . قم امش فى الأرض طولها وعرضها . لانى لك أعطيها .
فنتقل أبرام خيامه ، واتى وأقام عند بلوطات ممرا التى فى حبرون »

ثم « صار كلام الرب الى أبرام فى الرؤيا قائلا : لا تخف يا أبرام
انا ترس لك . أجرك كثير جدا . فقال أبرام : أيها السيد الرب : ماذا
تعطينى وأنا ماض عقيما . ومالك بيتى هو اليعازر الدمشقى ؟ وقال
أبرام أيضا : انك لم تعطنى نسلا وهوذا ابن بيتى وارث لى . فاذا كلام
الرب اليه قائلا : لا يرتك هذا . بل الذى يخرج من أحشائك هو يرثك .
ثم أخرجه الى خارج وقال : انظر الى السماء ، وعد النجوم ان استطعت
أن تعدها . وقال له : هكذا يكون نسلك . فأمن بالرب ، فحسبه له
برا » (تك ١٥ : ١ - ٦)

**ومن هذه النصوص يتبين : أن الله — عز وجل — وعد ابراهيم
النبي — عليه السلام — : بأن تتبارك فيه ، جميع قبائل الأرض . وبأن
وارثه ليس هو « اليعازر الدمشقى » بل وارثه سيكون من صلبه .**

من عربية الى اللغة السريية انزل الاردين نحو البحر المتوسط فسميت هذه
المنطقة باسمهم فسموها ناس كنعان ، وحوالى سنة ٢٠٠٠ ق.م
نزلت بالساحل المطل على البحر الابيض جماعات من جزيرة كريت تسمى
قبائل فلسطين . وقد نزلت بين يافا وغزة . واختلط الكنعانيون بالقبائل
الوافدة من كريت . وغلب الاسم الأخير على سكان المنطقة فاصبحت
تدعى فلسطين . (ص ٣٥ اليهودية — شلبي)

(٣) مكة المكرمة جنوب أرض كنعان ، أى أرض فلسطين .

وتتصّل التوراة نبأ تحقق وعد الله عز وجل لإبراهيم — عليه السلام —
بشأن البركة ، وبشأن الموارثين له من صلبه فتقول : ان إبراهيم عليه
السلام بعد اقامته في أرض كنعان بعشر سنين ، أمرته زوجته « سارة »
بالدخول على جاريتها المصرية « هاجر » لعل الله يرزقه منها بأولاد تقرّبهم
عنه لأنها الى ذلك الحين لم تنجب ولدا . ولما دخل على هاجر أنجب
منها : « اسماعيل » الذي سيكون من صلبه من ستكون « يده على كل
واحد . ويد كل واحد عليه » أى يكون مخالفاً للامم ، غالباً عليهم ومغلوباً منهم .
ففى الاصحاح السادس عشر من سفر التكوين : « واما ساراي امرأة
ابرام فلم تملك له . وكانت لها جارية مصرية اسمها هاجر . فقالت ساراي
لابرام : هو ذا الرب قد أمسكنى عن المولادة . ادخل على جاريقتى .
لعلى أزرق منها بنين . فسمعت أبرام لقول ساراي : فآخذت ساراي امرأة
ابرام ، هاجر المصرية جاريتها من بعد عشر سنين لاقامة أبرام فى أرض
كنعان وأعطتها لأبرام رجلها زوجة له . فدخل على هاجر فنجبت . ولما
رأت أنها حبلت صغرت مولاتها فى عينيها . فقالت ساراي لأبرام :
ظلمى عليك . أنا دفعت جاريتى الى حضنك . فلما رأت أنها حبلت صغرت
فى عينيها . يقضى الرب بينى وبينك . فقال أبرام لساراي : هو ذا
جاريتك فى يدك . افعلى بها ما يحسن فى عينك . فأذلتها ساراي .
فهربت من وجهها .

فوجدها ملاك الرب على عين الماء فى البرية . على العين التى
فى طريق شور . وقال : يا هاجر جارية ساراي . من أين أتيت ؟ والى
أين تذهبين ؟ فقالت : انا هاربة من وجه مولاتى ساراي فقال لها ملاك
الرب : ارجعى الى مولاتك واخضعى تحت يديها . وقال لها ملاك
الرب : تكثيرا أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة . وقال لها ملاك الرب :
ها أنت حبلى فتلدين ابنا . وتدعين اسمه اسماعيل ، لأن الرب قد
سمع لذلك ، وأنه يكون انسانا وحشيا . يده على كل واحد ويد كل
واحد عليه . وأمام جميع اخوته يسكن . فدعت اسم الرب الذى تكلم
معها : أنت ايل رئى . لأنها قالت : أهونا أيضا رأيت بعد رؤية ؟ لذلك
دعيت البئر بئر لحي رئى . ها هى بين قادش وبارد .

تولدت هاجر لأبرام ابنا . ودعا أبرام اسم ابنه الذى ولدته هاجر :
اسماعيل . كان أبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر اسماعيل
لأبرام »

وقد بين ذلك النص : أن وعد الله — عز وجل — لابراهيم بشأن
الوارثين له من صلبه قد تحقق بولادة اسماعيل — عليه السلام — ووضح
النص أيضا : أن بركة الله للأمم في آل ابراهيم ، سيكون اسماعيل طرفا
فيها ، لقول ملاك الله لهاجر : « ها أنت حبلى فتلدن ابنا وتدعين اسمه
اسماعيل . لأن الرب قد سمع لذنك . وأنه يكون انسانا وحشيا . يده
على كل واحد . ويد كل واحد عليه » أى سيكون نسله قويا كالوحوش في
القوة ، وسيكون مرة ، رئيسا على الأمم « يده على كل واحد » ومرة
مروءسا « يد كل واحد عليه » أو مرة يكون غالبا بواسطة الأمم ومرة
تكون الأمم غالبية به ، حسب الترجمة السامرية ، فان النص فيها هكذا :
« وهو يكون وحشيا من الناس . يده بالكل ويد الكل به »



وتبين التوراة بعد ذلك : ان الله — تعالى — غير اسم « أبرام »
للى « ابراهيم » ومعناه : « أب لجمهور من الأمم » وفسر له معنى قوله
له من قبل « وتبارك فيك جميع قبائل الأرض »

وذلك فى قوله « انا الله القدير . سر أمانى وكن كاملا . فاجعل
عهدى بينى وبينك وأكثر كثيرا جدا . فسقط أبرام على وجهه . وتكلم
الله معه قائلا : أما أنا فهو ذا عهدى معك وتكون أبا لجمهور من الأمم .
فلا يدعى اسمك بعد أبرام ، بل يكون اسمك : ابراهيم . لأنى اجعلك أبنا
لجمهور من الأمم . وأثرك كثيرا جدا واجعلك أبنا . وملوك منك يخرجون .
وأقيم عهدى بينى وبينك . وبين نسلك من بعدك فى أجيالهم عهدا أبديا »
(تكوين ١٧ : ١ — ٧)

نفسه نهر الله البركة له ، بنسل كثير ، لا يعد من الكثرة .
هذا النسل « أهم وملوك » .



وتبين التوراة بعد ذلك : أن الله تعالى بعدما
غير اسم أبرام الى ابراهيم ، غير اسم « ساراي » الى « سارة »
ووعده الله — تعالى — ابراهيم بولد من سارة يكون مباركا مثل اسماعيل .
ففى الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين : « وقال الله لابراهيم :
ساراي امرأتك لا تدعو اسمها ساراي ، بل اسمها سارة . وأباركها
وأعطيك أيضا منها ابنا . أباركها فتكون أما وملوك شعوب منها يكونون .
فسقط ابراهيم على وجهه وضحك . وقال فى قلبه : هل يولد لابن مئة
سنة ؟ وهل تلد سارة وهى بنت تسعين سنة ؟ »

ولما سمع ابراهيم — عليه السلام — وعد الله — عز وجل — بمباركة
الأمم فى نسل اسحق — عليه السلام — الذى ستلده سارة تمنى ان يعده
الله عز وجل بمباركة الأمم فى نسل اسماعيل — عليه السلام — الذى
ولدته هاجر فقال لله : « ليت اسماعيل يعيش أمامك » أو حسب الترجمة
السامرية « يا ليت اسماعيل يحيا فى طاعتك » فقال الله له سأحقق لك
ما تمنيت فى اسماعيل ، من البركة . ففى الاصحاح السابع عشر من
سفر التكوين : « وقال ابراهيم لله : ليت اسماعيل يعيش أمامك ؟ فقال
الله بل سارة امرأتك تلك لك ابنا وتدعو اسمه اسحق . وأقيم عهدي
معه عهدا أبديا لنسله من بعده . وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا
أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا . اثنى عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة .
ولكن عهدي أقيمه مع اسحق الذى تلده لك سارة فى هذا الوقت فى السنة
الآنية » (تكوين ١٧ : ١٨ — ٢١) .

وقد وضح النص : أن الله — تعالى — عظم اسماعيل — عليه
السلام — « كثيرا جدا » وجعل ذريته « أمة كبيرة » والرجل لا يعظم
ولا يشرف فى الناس بكثرة نسله فقط بل يعظم ويشرف بكثرة النسل اذا
كانوا مؤمنين مطيعين لله . والأمة الكبيرة التى وعد الله بها اسماعيل

عليه السلام — على لسان أبيه ان لم تكن مسلمة لله . ومنقادة اليه .
غاي فائدة من وعد اسماعيل بها ؟ وهذا التعظيم لم يظهر . وهذه الأمة
الكبيرة لم تظهر . الا من محمد — ﷺ فان به بدأت بركة اسماعيل
— عليه السلام — .



وبعدما تحدثت التوراة عن ثبوت بركة في نسل اسماعيل — عليه السلام —
تحدثت عن ولادة اسحق — عليه السلام — الذي ذكرت من قبل ثبوت
بركة في نسله بركة اسماعيل أخيه . قالت التوراة : « وافتقد الرب
سارة كما قال : وفعل الرب لسارة كما تكلم . فحبلت سارة وولدت
لابراهيم ابنا في شيخوخته . في الوقت الذي تكلم الله عنه . ودعا ابراهيم
اسم ابنه المولود له الذي ولدته له سارة : اسحق . وختن ابراهيم :
اسحق (٤) ابنه وهو ابن ثمانية أيام كما امره الله . وكان ابراهيم ابن
مئة سنة حين ولد له اسحق ابنه . وقالت سارة : قد صنع الى الله
ضحكا . كل من يسمع يضحك الى . وقالت : من قال لابراهيم : سارة
برضع بنين . حتى ولدت ابنا في شيخوخته ؟ فكبر الولد وفطم وصنع
ابراهيم وليمة عظيمة يوم فطام اسحق » (تكوين ٢١ : ١ — ٨)



وذكرت التوراة : انه لما كبر اسماعيل — عليه السلام — ورأته
سارة يمزح تملكها الغيرة وأفصحت عن غيرها لزوجها ابراهيم . وطلبت
منه ان يطرد اسماعيل وأمه هاجر من مكان سكنى سارة وابنها اسحق .
وعطلت هذا الطرد برغبتها في عدم ارث اسماعيل من أبيه في بركة النبوة ،

(٤) اختلف علماء المسلمين في وجوب الختان على ذكور المسلمين . فذهب
الجمهور الى أن الختان فرض لانه ننكشف له العورة ، ولا يباح كشفها
الا في الواجب . وبال البعض الى أنه سنة . وما رواه أبو داود عن أم عطية
في ختان النساء . فهذا الحديث ضعيف . ورواه مجهول « تفسير القرطبي
في البقرة ١٢٤)

لا فى بركة المال ، فان الأرزاق بيد الله . والفخر بالنبوة والعلم ، لا بالحاجه
والمال .

ولما طلبت منه ذلك ساء فى عينى ابراهيم لحبه لاسماعيل ، فقال الله
— عز وجل — لابراهيم : ليس من مانع فى أن تسكن هاجر بعيدا عن
ساره . وذلك لئلا تنفد نار الغيرة نائها بين الامراتين . وأما عن البركة
التي وعدتك بها فى نسلك . فان اسماعيل وارث للبركة كما يرث اسحق
بسواء بسواء .

فى الاصحاح الحادى والعشرين من سفر التكوين : « ورأت ساره
ابن هاجر المصرية الذى ولدته لابراهيم يمزح . فقالت لابراهيم : اطرد
هذه الجارية وابنها . لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابنى اسحق .
ففيح الكلام جدا فى عينى ابراهيم لسبب ابنه . فقال الله لابراهيم :
لا يقبح فى عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك . فى كل ما تقول
لك ساره اسمع لتولها . لانه باسحق يدعى لك نسل . وابن الجارية
ايضا ساجعله أمة لانه نسلك » (تكوين ٢١ : ٩ — ١٣)

وفى التوراة عقب ذلك مباشرة : أن ابراهيم — عليه السلام —
لما صرف هاجر وولدها اسماعيل عن ساره لتسكن فى بنية فاران ، قابلها
ملاك الله وذكرها بوعد الله — عز وجل — فى حق ارث اسماعيل فى بركة
أبيه . وأكد لها على هذا الموعد بقوله « لا تخافى . لأن الله قد سمع
لصوت الغلام حيث هو . قومن اعلمى السلام وشدى يديك به . لئلى
ساجعله أمة عظيمة » فى التوراة : « فبكر ابراهيم مسابحا وأخذ خبزا
وقربة ماء وعلماها هاجر وانساها نائها على كتفها والولد وصرفها .
فتمدت وانامت فى بنية بار سبع . ولما فرغ الماء من المثربة طرحت الولد
تحت احدى الأشجار . ومضت وجلست مقابله بعيدا نحو رمية قوس .
لأنها قالت : لا أنظر موت الولد فجلست مقابله ورفعت صوتها وبكت .

فسمع الله صوت الغلام . ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها :
مالك يا هاجر لا تخافى . لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو .
قوى احلى الغلام وشدى يدك به . لأنى سأجعله أمة عظيمة . وفتح
الله عينها فأبصرت بئر ماء . فذهبت وملات القربة ماء وسقت الغلام .
وكان الله مع الغلام فكبر . وسكن فى البرية . وكان ينمو رامى قوس .
وسكن فى بيرة فاران . وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر « (تكوين
٢١ : ١٤ - ٢١)

وبعدما تحدثت التوراة عن سكنى اسماعيل — عليه السلام —
فى بيرة فاران . وعن تأكيد ملاك الله لهاجر بوعد الله — عز وجل —
لاسماعيل فى البركة تحدثت عن اقدم ابيه على ذبحه لما طلب الله منه
أن يذبحه فقالت ما نصه :

« وحدث بعد هذه الأمور . أن الله امتحن ابراهيم فقال له :
يا ابراهيم . فقال : هانذا . فقال : خذ ابنك وحيدك الذى تحبه اسحق .
واذهب الى أرض المريا ، وأصفده هناك محرقة على أحد الجبال
الذى أقول لك . فبكر ابراهيم صباحا وشد على حماره وأخذ اثنين من
غلماناه معه وأسحق ابنه وشقق حطبا لمحرقة وقام وذهب الى الموضع
الذى قال له الله . وفى اليوم الثالث رفع ابراهيم عينيه وأبصر الموضع
من بعيد . فقال ابراهيم لفلاميه : اجلسا أنتما ههنا مع الحمار
وأما أنا والغلام فنذهب الى هناك ونسجد ثم نرجع اليكما . فأخذ
ابراهيم حطب المحرقة ووضع على اسحق ابنه وأخذ بيده النار والسكين .
فذهبا كلاهما معا .

وكلم اسحق ابراهيم اياه . وقال : يا أبى . فقال : هانذا يا ابنى .
فقال : هو ذا النار والحطب ولكن أين الخروف للمحرقة ؟ فقال ابراهيم :
الله يرى الخروف للمحرقة يا ابلى . فذهبا كلاهما معا .

فلما أتيا إلى الموضع الذي قال له الله ، بنى هناك إبراهيم المذبح وربب الحطب وربط اسحق ابنه ووضع على المذبح فوق الحطب . ثم مد إبراهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه فناداه ملاك الرب من السماء . وقال : إبراهيم . إبراهيم . فقال : هاأنذا . فقال : لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئا . لأنى الآن علمت أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عنى . فرفع إبراهيم عينيه ونظر وإذا كبش وراءه مهسكا فى الغابة بقرنيه . فذهب إبراهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضا عن ابنه . فدعا إبراهيم اسم ذلك الموضع : يهوه يراه (٥) . حتى انه يقال اليوم : فى جبل الرب يرى .

ونادى ملاك الرب إبراهيم ثانية من السماء . وقال : بذاتى أقسمت يقول الرب . انى من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك ، أبارك مباركة وأكثر نسلك كثيرا كنجوم السماء وكالرمال الذى على شاطئ البحر . ويرث نسلك باب أعدائه . ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض . من أجل أنك سمعت لقولى . ثم رجع إبراهيم إلى غلاميه . فقاموا وذهبوا معا إلى بئر سبع . وسكن إبراهيم فى بئر سبع « (تكوين ٢٢ : ١ - ١٩) ومن هذا النص يتبين :

ان الله امتحن ايمان ابراهيم ليرى العالم السبب الذى من أجله أحب ابراهيم ، واصطفى ذريته على العالمين ، فأمره بذبح ابنه الوحيد . الذى هو اسماعيل . لا اسحق ، لأنه مولود قبل أخيه بأربعة عشر عاما - كما تصرح التوراة - وكيف يكون اسحق وحيدا وقبلة ولد ما يزال على قيد الحياة ؟

ولرضا اسماعيل بالذبح ، كان ابراهيم يحبه . والدليل على الله

(٥) فى ترجمة ١٦٢٢م « الله ينظر » بدل « يهواه يراه » وفى ترجمة الكاثوليك « الرب يرى » وفى السامرية « ودعى ابراهيم اسم ذلك الموضع : الله ينظر ، الذى يقال اليوم فى جبل الله يستجاب »

كان يحبه : أن سارة لما طلبت منه قائلة : اطرد هذه الجارية وابنها « قبح الكلام . جدا فى عينى ابراهيم لسبب ابنه » فلو كان اسماعيل مكروها ما كان يقبح كلام سارة فى عينى ابراهيم . وأن الله لما وعده بالبركة فى اسحق قال له : « ليت اسماعيل يعيش أمامك » فى دعوة الناس الى معرفتك والمعول بأحكامك والتعبد بكلامك . فأجابه الله الى طنبه ووعده بالبركة أيضا فى اسماعيل . وكيف يكون مكروها وهو الابن المكر الذى أنجبه على الكبر ؟

ولقد تعمد كاتب التوراة لبس الحق بالباطل فى مواضع من هذا النص منها :

١ — وضعه « اسحق » بجانب « ابنك وحيدك الذى تحبه »

٢ — وضعه كلمة عبرانية تترجم بالوحيد أو تترجم بالبكر . ليقول كذبا : — ان شاء — ان اسحق كان وحيدا بعدما سكن اسماعيل مع أمه فى « فاران » .

٣ — وضعه لفظ « المريا » لكان الذبح . ومريا جبل فى بلاد الشام . وهو لم يعين مكانا مقدسا الا بعد زمن داود — عليه السلام — أى بعد ابراهيم بألف عام تقريبا . وقول الكاتب : « حتى أنه يقال اليوم : فى جبل الرب يرى » يدل على أن التوراة محرفة ومكتوبة بعد زمان داود وسليمان — عليهما السلام — لأن جبل الرب الذى هو موضع هيكل سليمان فى اورشليم — كما يقول العبرانيون — لم يعين قبلة ، ولم يسم بجبل الرب الا فى عهد داود .

يقول الدكتور جورج بوست فى قاموس الكتاب المقدس « مريا : الجبل الذى بنى سليمان عليه الهيكل فى اورشليم (أخبار الأيام الثانى ٣ : ١) وكان فى القسم الشرقى من المدينة ويشرف على وادى قدرون ، ويظن الأكثرون أن موضع الهيكل هو نفس الموضع الذى فيه أمر ابراهيم أن يستعد لتقديم اسحق غير أن التقليد السامرى يقول : ان موضع الذبح لاسحق كان على جبل جزريم . وبعض العلماء يوافقونهم على ذلك » أ. هـ

واختلافهم دليل على لبس التثق بالباطل .

والصحيح أن مكان الذبح فى مكة المكرمة لأسباب منها :

١ — أن هاجر أخذت ولدها ، وأسكنته بريبة فاران .

٢ — أن الذبح حصل للابن البكر لأن الكاتب عبر عن الذبيح بالابن

البكر ، وحيث ان الابن البكر هو اسماعيل ، فان موضع الذبح يكون مكان سكنى اسماعيل . وهو بريبة فاران .

٣ — فى ترجمة ١٦٢٢م (٦) ترجم الكاتب لفظ « مريا » بأرض

المعبادة هكذا : « والله امتحن لإبراهيم ، وقال له يا ابراهيم . وقال :

نعم . وقال : خذ الآن ولدك وحيدك الذى أحببت ليصحق ، وأض

الى أرض المعبادة » وفى الترجمة السادسية « الأرض المرشدة » بدل

« مريا » وهذا يعنى أن أرضا للمعبادة معلومة ومعروفة ، قد وقع الامر

بالذبح فيها ، وحيث ان بلاد الشام لم تعين أرض عبادة الا فى عهد داود

سنة الف وستة وخمسين من قبل الميلاد فان الأرض التى كانت من زمن

ابراهيم ومن قبله هى الأولى بالمكان (٧) . وفى ذلك يقول الله تعالى

« ان أول بيت وضع للناس الذى ببكة مباركا ، وهدى للعالمين ، فيه

آيات بينات . مقام ابراهيم » (آل عمران ٩٦ — ٩٦)

٤ — ان ابراهيم قام فى الصباح الباكر ، وتوجها الى الموضع الذى

عينه الله له . وبعد سفر ثلاثة أيام رفع ابراهيم عينيه ، وأبصر الموضع

من بعيد . وتقدير جبل الرب فى مكة المكرمة بعد سفر ثلاثة أيام ، ثم يرى

الموضع من بعيد أولى من تقدير جبل الرب فى أرض الفلسطينيين لطول

السفر بين أى بلد من بلاد الفلسطينيين ومكة . وعلى جهة الخصوص

من بئر سبع .

٥ — وقول ابراهيم لغلاميه : « اجلسا أنتما ههنا مع الحمار ،

(٦) فى دار الكتب المصرية — لاصوت ٦٩١ أو ٣١٥

(٧) انظر فصل تغيير القبلة من هذا الكتاب .

وأما أنا والفلان فنذهب . الى هناك ونسجد . ثم نرجع اليكما « يدلُّ
على أن مكانا للعبادة كان مقاما ومعدا للسجود والناس جميعا يعرفونه ،
والفلانان يعرفان ذلك الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه .

... ..

وقد امتدى الله الذبيح اسماعيل بكبش عظيم . وعلى أثر ذلك ظهرت
محبة ابراهيم لله في نظر الناس . فناداه ملاك الرب ثانية من السماء .
وأكد له الوعد الذي حصل له من الله من قبل . بناء على نجاحه بالأعمال
في امتحان الايمان بقوله : « ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض » .

وليس هنا تفرقة بين ولد وولد من أولاد ابراهيم . ولكن لما كانت
البركة حاصلة بالتساوي فانها ههنا مؤكدة تأكيدا عظيما بسبب الابن الذي
جاء بنفسه ذبيحة لله . وكما كان الوعد لابراهيم بناء على تضحيات منه
في سبيل الله ، فان الوعد لاسماعيل حاصل لتضحيات منه . أيضا .
وأى تضحية في سبيل الله أقوى من الجود بالنفس ، والجود بالنفس
أقصى غاية الجود ؟

وهذا المعنى هو الذي حدا باليهود أن يقولوا : ان الذبيح اسحق
لتأكدهم أن البركة حاصلة بيقين أن جاد بنفسه . ولكي يصدوا الناس
عن بنى اسماعيل : ادعو أن الذبيح جدهم لا جد العرب .

... ..

وتحدثنا التوراة بعد ذلك أن ابراهيم — عليه السلام — تزوج بعد
سارة وهاجر بأمرأة اسمها « قطورة » وأنجب منها ستة اولاد . وأيضا
كانت له سرارى أنجب منهن أولادا . ولما حضره الموت عن مئة وخمسة
وسبعين عاما ، قام على دفنه ولداه اللذان جعلهما الله وارثين لبركته
وهما اسماعيل واسحق — عليهما السلام — ففي الأصحاح الخامس
والعشرين من سفر التكوين : « وعاد ابراهيم فأخذ زوجة اسمها قطورة »

خولدت له زهران ويقشمان ومدان ومديان ويشباق وشوفا . وولد
يقشمان : شبا وددان . وكان بنو ددان : آشوريم ولطوشيم ولأميم . وبنو
مديان : عيفة وعفر وحنوك وابيداع والدعه .

جميع هؤلاء بنو قطورة . وأعطى ابراهيم اسحق كل ما كان له .
واما بنو السراى اللوانى كانت لابراهيم فأعطاهم ابراهيم عطايا
وصرفهم عن اسحق ابنه شرقا الى أرض المشرق وهو بعد حى .

وهذه أيام سنى حياة ابراهيم التى عاشها . مئة وخمس وسبعون
سنة . وأسلم ابراهيم روحه ومات بشيية سالحة شيخا وشبعان اياما
وانضم الى قومه . ودفنه اسحق واسماعيل ابناه فى مغارة المكفيلة فى
حقل عفرون بن صوحر الحثى الذى أمام ممرا . الحقل الذى اشتراه
ابراهيم من بنى حث . هناك دفن ابراهيم وسارة امرأته ، وكان بعد
موت ابراهيم أن الله بارك اسحق ابنه ، وسكن اسحق عند بئر لحي
رئى .

وهذه مواليد اسماعيل بن ابراهيم الذى ولدته هاجر المصرية جارية
سارة لابراهيم .

وهذه أسماء بنى اسماعيل بأسمائهم حسب مواليدهم : نبايوت بكر
اسماعيل (٨) وقيدار وأدبئيل ومبسام ومشماع ودومة ومسا وحدار وتيما

(٨) فى كتب التواريخ : قيدار — حمل — ثابت — سلامان —
الهيسع — أود — نزار — اياد — مضر — الياس — مدركة — خزيمة —
كتانة — النضر — مالك — فهر — غالب — لوعى — كعب — مرة —
كلاب — قصى — عبد مناف — هاشم — عبد المطلب — عبد الله — محمد
ويقول المسعودى فى مروج الذهب : « وكانت وصية ابراهيم الى
ابنه اسماعيل عليه السلام . ووصى اسماعيل الى أخيه اسحق عليهما
السلام . وقد قيل : الى ولده قيدار بن اسماعيل . وكان عمر اسماعيل
الى أن قبضه الله مئة سنة وسبعا وثلاثين سنة ودفن بالمسجد الحرام فى
الموضع الذى كان فيه الحجر الأسود . ودبر أمر البيت بعده نبايوت بن
اسماعيل عليه السلام على منهج اسماعيل وملته . وقيل أيضا : انه كان
وصى ابنه اسماعيل عليه السلام » (ص ٦٢ مروج الذهب ج ١) .

ويطور ونافيش وقدمة . هؤلاء هم بنو اسماعيل وهذه أسماؤهم بديازهم وحصونهم . اثنا عشر رئيسا حسب قبائلهم . وهذه سنو حياة اسماعيل . مئة وسبع وثلاثون سنة وأسلم روحه ومات ، وانضم الى قومه . وسكنوا من حويلة الى شور التي أمام مصر حينما تجيء نحو أشور . أمام جوبع اخوته نزل .

وهذه مواليد اسحق بن ابراهيم . ولد ابراهيم اسحق . وكان اسحق ابن أربعين سنة لما اتخذ لنفسه زوجة : رفقة بنت بتوئيل الأرامي ، أخت لابان الأرامي من فدان آرام . وصلى اسحق الى الرب لأجل امرأته لأنها كانت عاقرا . فاستجاب له الرب فحبلت رفقة امرأته . وتزاحم الولدان فى بطنها . فقالت : ان كان هكذا فلماذا أنا ؟ فمضت لتسأل الرب . فقال لها الرب : فى بطنك أمتان . ومن أحشائك يفترق شعبان . شعب يقوى على شعب . وكبير يستعبد لصغير .

فلما كملت أيامها لتلد اذا فى بطنها توأمان . فخرج الأول أحمر . كله كفروة شمعر فدعوا اسمه : عيسو . وبعد ذلك خرج أخوه ويده قابضة بعقب عيسو فدعى اسمه : يعقوب . وكان اسحق ابن ستين سنة لما ولدتها « (تكوين ٢٥ : ١ - ٢٦)

وبعد حديث التوراة عن دفن ابراهيم — عليه السلام — وتفرق أولاده فى الأرض . تتحدث عن بركة اسحق — عليه السلام — وتخصها فى نسل يعقوب الذى هو اسرائيل دون نسل عيسو . وبهذا التخصيص تكون بركة ابراهيم بين اسماعيل فى أحد أولاده وبين يعقوب — عليهما السلام —

فى سفر التكوين : ان يعقوب طبخ طبيخا ، ولما طلب منه عيسو أخوه أن يطعمه من هذا الطبيخ قال له : « بعنى اليوم بكوريتك . فقال

عيسو : ها أنا ماض الى الموت فلماذا لى بكورية ؟ فقال يعقوب : اخلف لى اليوم . فحلف له . فباع بكوريته ليعقوب . فأعطى يعقوب عيسو خبزا وطبيخ عدس . فأكل وشرب وقام ومضى . فاحتقر عيسو البكورية « (تكوين ٢٥ : ٣٢ — ٣٤)

وفى سفر التكوين : ان اسحق — عليه السلام — قد منح بركته ليعقوب — عليه السلام — فقد قال له : « انظر . رائحة ابنى كرائحة حقل قد باركه الرب . فليعطك الله من ندى السماء . ومن دسم الأرض . وكثرة حنطة وخمر . ليستعبد لك شعوب . وتسجد لك قبائل . كن سيدا لاختوك . وليسجد لك بنو أمك . ليكن لاعنوك ملعونين . ومباركوك مباركين » (تكوين ٢٧ : ٢٧ — ٢٩)

ولما أرسل اسحق ابنه يعقوب الى مدينة « فدان آرام » قال له : « والله التقدير يباركك ويجعلك مئرا ويكثرك فتكون جمهورا من الشعوب . ويعطيك بركة ابراهيم لك ولنسلك معك . لتراث أرض غربتك التى أعطاها الله لابراهيم » (تكوين ٢٨ : ٣ — ٤)

وفى طريق يعقوب الى مدينة « فدان آرام » خاطبه الله بقوله : « أنا الرب اله ابراهيم أبيك واله اسحق . الأرض التى أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك . ويكون نسلك كتراب الأرض وتمتد غربا وشرقا وشمالا وجنوبا . ويتبارك نيك وفى نسلك . جميع قبائل الأرض » (تكوين ٢٨ : ١٣ — ١٤)

... ..

وخلاصة الذى ظهر مما تقدم :

١ — أن الله عز وجل وعد ابراهيم — عليه السلام — بأن تتبارك فيه : جميع قبائل الأرض . وذلك فى قوله له : « اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك الى الأرض التى أريك . فأجعلك أمة عظيمة . وأباركك

وأعظم اسمك . وتكون بركة . وأبارك مباركك . ولاعذك العنه . وتبارك
بيك جميع قبائل الأرض » (تكوين ١٢ : ١ - ٣)

٢ - وأن بركة ابراهيم تكون فى نسله . فانه لما قال ابراهيم لله :
« انك لم تعطنى نسلا . وهو ذا ابن بيتى وارث لى » قال الله - عز وجل -
له : « لا يرثك هذا ، بل الذى يخرج من أحشائك هو يرثك . ثم أخرجه
الى خارج وقال : أنظر الى السماء وعد النجوم ان استطعت أن تعدها .
وقال له : هكذا يكون نسلك » (تكوين ١٥ : ٣ - ٥)

٣ - وعلى اثر هذا الوعد أنجبت هاجر اسماعيل لابراهيم » وقال
لها ملك الرب : تكتريا أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة . وقال لها ملك
الرب : ها أنت حبلى فتدلين ابنا . وتدعين اسمه اسماعيل .
لأن الرب قد سمع لمذلتك . وانه يكون انسانا وحشيا . **يده على كل
واحد . ويد كل واحد عليه** » (تكوين ١٦ : ١٠ - ١٢)

وواضح من تبشير ملك الله : أنه لا يبشر بظالمين للناس من نسل
هاجر ، لأنه أى شر عملت هاجر ، حتى يعدها الملك بنسل ظالم ؟ انه
حيث يبشرها بخبر سار ليربط على قلبها ، يبشر بمن يكون على القدر ،
وعظيم المنزلة ، ورفيع الدرجة .

٤ - وأن الله - عز وجل - وضع عهدا بينه وبين ابراهيم فقد
« تكلم الله معه قائلا أما أنا فهو ذا عهدى معك وتكون أبا لجمهور من
الأمم فلا يدعى اسمك بعد أبرام ، بل يكون اسمك ابراهيم . لأنى أجعلك
أبا لجمهور من الأمم . وأثرك كثيرا جدا وأجعلك أمما . وملوك منك
يخرجون . وأقيم عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك فى أجيالهم
عهدا أبديا » (تكوين ١٧ : ٣ - ٧)

٥ - وأن هذا العهد هو عهد النبوة . لقول ابراهيم لله : « ليت
اسماعيل يعيش أمامك » أى يحيا فى طاعتك والدعاء الى دينك . ولأن
البركة تعنى الملك والنبوة .

٦ — وأن الله — عز وجل — قال لابراهيم عن سارة — رضى الله عنها — : « أباركها وأعطيك أيضا منها أبنا . أباركها فتكون أمما وملوك شعوب منها يكونون » (تكوين ١٧ : ١٦)

٧ — وأن ابراهيم لما سمع بتخصيص بركته فى اسحق « قال ابراهيم لله : ليت اسماعيل يعيىش أمامك » ورد الله عليه بقوله : « وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا . اثنى عشر رئيسا يلد . وأجعله أمة كبيرة » (تكوين ١٧ : ١٨ — ٢٠)

ومن هذا النص صارت لاسماعيل بركة . كما لاسحق بركة وأن سارة لما تأكدت من ازث اسماعيل لأبيه فى البركة كابنها اسحق سواء بسواء ، طلبت أن يكون حق الارث لاسحق وحده . فقال الله لابراهيم : « باسحق يدعى لك نسل . وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك » (تكوين ٢١ : ١٢ — ١٣)

٨ — ولما ابتعدت هاجر — رضى الله عنها — عن مكان سكنى سارة — رضى الله عنها — الى مكان غير ذى زرع « نادى ملاك الله هاجر من السماء . وقال لها : مالك يا هاجر . لا تخافى لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو . قومي احملى الغلام وشدى يدك به . لأنى سأجعله أمة عظيمة » (تكوين ٢١ : ١٧ — ١٨)

٩ — وان الله عز وجل لما امتحن ايمان ابراهيم بذبح ابنه البكر الوحيد . وامتثل ابراهيم للامر هو وابنه ، ناداه بقوله : « بذاتى أقسمت يقول الرب : انى من أجل أنك فعلت هذا الأمر ، ولم تمسك ابنك وحيدك . أباركك مباركة وأكثر نسلك كثيرا كنجوم السماء ، وكالرمل الذى على شاطئ البحر . ويرث نسلك باب أعدائه . ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض . من أجل أنك سمعت لمقولى » (تكوين ٢٢ : ١٦ — ١٨)

١٠ — وان الذى حضر دفن ابراهيم : ولداه وارثا بركته . وهما : اسماعيل واسحق « ودفنه اسحق واسماعيل » (تكوين ٢٥ : ٩)

١١ — وأن بركة اسحق ، خصصت في ذرية يعقوب ابنه دون عيسو أخاه . فقد باركه أبوه بقوله : « انظر . رائحة ابني كرائحة حقل قد باركه الرب . فليعطك الله من ندى السماء . ومن دسم الأرض . وكثرة حنطة وخمر . ليستعبد لك شعوب . وتسجد لك قبائل . كن سيذا لآخوتك . وليسجد لك بنو أمك . ليكن لآعنوك ملعونين . ومباركوك مباركين » (تكوين ٢٧ : ٢٧ — ٢٩) وعلى ذلك يكون هو المقابل لاسماعيل في البركة .

فماذا يقول علماء بنى اسرائيل فى « العهد » وفى « البركة » ؟

انهم يقولون : ان البركة تعنى أمران . الأمر الأول : الملك . والأمر الثانى : النبوة . أى يخرج من نسل ابراهيم من يكون ملكا على المشعوب . ومن يكون نبيا يهدى الناس الى الله بأوامر منه . ويقولون : ان بركة اسحق قد تحققت من الوقت الذى ظهر فيه موسى — عليه السلام — فقد ظهر من نسل يعقوب من وقت موسى من كان ملكا على المشعوب . ومن كان نبيا هاديا الى الله بأمره — وهو موسى — ألم يكن موسى نبيا ورئيسا مطاعا ؟ ويقولون : ان بركة اسماعيل منصوص عليها فى التوراة . ولكنها تفسر بالملك دون النبوة . فان العهد بالنبوة فى اسحق دون اسماعيل — عليه السلام — هذا قولهم .

فموسى بن ميمون المتوفى سنة ٦٠٣ هـ فى « دلالة الحائرين وتلخيص مناهج السائرين » يقول : « ان دعوة سيدنا موسى لنا ، لم يتقدم مثلها لأحد ، ممن علمناه من آدم اليه . ولا تأخرت بعده دعوة مثلها لاحد من انبيائنا . وكذلك قاعدة شريعتنا : أنه لا يكون غيرها أبدا . فلذلك — بحسب رأينا — لم تكن ثم شريعة ، ولا تكون غير شريعة واحدة . وهى شريعة سيدنا موسى » (٩)

(٩) ص ٤١١ — ٤١٢ دلالة الحائرين .

يريد يقوله : « ولا تكون غير شريعة واحدة ، وهى شريعة سيدنا موسى . » أنه لا نبي من بعد موسى الى يوم القيامة . وعليه فان بركة اسماعيل — بحسب رايه — لا تدل على نبي يأتى من نسله ، ليكون هاديا للأمم .

ونرد عليه بهذا السؤال وهو : أنتم تقولون ان لاسحق عليه السلام ملك ونبوة . فما هو الدليل من التوراة على ذلك ؟ وانهم يجيبون بقولهم : الدليل على الملك والنبوة فى اسحق هو قول التوراة : « وقال الله لابراهيم : ساراي امراتك لا تدعو اسمها ساراي ، بل اسمها سارة . وأباركها وأعطيك أيضا منها ابنا . أباركها فتكون أمنا وملوك شعوب منها يكونون » (تك ١٧ : ١٥ — ١٦)

وإذا كان هذا القول هو الذى يدل على الملك والنبوة فى اسحق عليه السلام ، فان عن اسماعيل قول مثله . وهو : « وأما اسماعيل فقد سمعتك فيه . ها انا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا » (تك ١٧ : ٢٠) وكما دل دليل اسحق على ملك ونبوة ، ودليل اسماعيل مثله ، فانه على ملك ونبوة يدل . اذ لا فرق بين الدليلين ، لا فى اللفظ ولا فى المعنى .

وكاتب التوراة قد وضع « العهد » محتملا للختان ، ومحتملا للنبوة . وأشرك فى الختان اسماعيل واسحق . وذلك لبيعده عن عهد النبوة — على طريقة لبس الحق بالباطل — فقد كتب أن الله قال لابراهيم : « وأقيم عهدي بينى وبينك وبين نسلك من بعدك » — « هذا هو عهدي الذى تحفظونه بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك ، يختن منكم كل ذكر » — « فأخذ ابراهيم اسماعيل ابنه ، وجميع ولدان بيته وجميع المتباعين بفضته . كل ذكر من أهل بيت ابراهيم وختن لحم غر لهم »

ووضع الكاتب بين العهد بالختان وبين تنفيذه على يد ابراهيم — عليه السلام — العبارات الدالة على تقسيم البركة بين اسماعيل واسحق

— عليها السلام — ليوهم الناس أن العهد كان على الختان وليس على
النبوة .

وإذا كان العهد على الختان وحده في اسحق ، فلماذا اختن
اسماعيل ؟ وإذا كان العهد على النبوة في اسحق وحده ، فلماذا نص على
بركة لاسماعيل ؟ لأن علماء بني اسرائيل يقولون بأن النص على اثبات
البركة في اسحق ، هو النص على اثبات الملك والنبوة في نسله .

وانه لو كان العهد في قوله : « ولكن عهدي أقيم مع اسحق الذي
تلد له لك سارة في هذا الوقت في السنة الآتية » هو عهد الختان . ما كان
ابراهيم يأخذ اسماعيل بنفسه ليختن لحم غرلته . وحيث قد أخذ اختن
لحم غرلته ، فان مقصود الكاتب من العهد هو عهد النبوة .

ولو كان اسماعيل محروما من عهد النبوة ، ما كانت التوراة تنص
على بركة لاسماعيل — عليه السلام — وكانت تصرح ببلوك منه ، كالمملك
الذين خرجوا من اولاد ابراهيم الذين لم تنص التوراة على بركة لهم .
وهم : زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوحا .

فلقد خرج من نسل هؤلاء الاولاد الستة ملوك . ولم يخرج من نسلهم
نبي أوحى الله اليه بشرع وأمره بتبليغه للعالم أجمع . وعلى سبيل
المثال فان «ملك أدوم» — وأدوم هو عيسو — يرسل اليه موسى عليه السلام
ليستأذنه في أن يمر هو وبنو اسرائيل في تخوم مملكته فلا يأذن له .

قال له : « دعنا نمر في أرضك . لا نمر في حقل ولا في كرم ولا نشرب
ماء بئر . في طريق الملك نمشي . لا نميل يمينا ولا يسارا حتى نتجاوز
تخومك . فقال أدوم : لا تمر بي لئلا أخرج للقائك بالمسيف » (عدد ٢٠ :

(١٧ — ١٨)

وهذا هو نص العهد بتمامه :

« وقال الله لابراهيم : وأما أنت فتحفظ عهدي . أنت ونسلك

من بعدك فى أجيالهم . هذا هو عهدى الذى تحفظونه بينى وبينكم وبين
نسلك من بعدك : يختن منكم كل ذكر . فتختنون فى لحم غرلتكم فيكون
علامة عهد بينى وبينكم . ابن ثمانية أيام يختن منكم ، كل ذكر فى أجيالكم ،
وليد البيت والمبتاع بفضة ، من كل ابن غريب ليس من نسلك . يختن
ختانا ، وليد بيتك والمبتاع بفضتك . فيكون عهدى فى لحمكم عهدا أبديا .
وأما الذكر الأغلف الذى لا يختن فى لحم غرلته فتقطع تلك النفس من
شعبها انه قد نكث عهدى .

وقال الله لابراهيم : ساراي امراتك لا تدعو اسمها ساراي . بل
اسمها سارة . وأباركها وأعطيك أيضا منها ابنا . أباركها فتكون أما
وملوك شعوب منها يكونون . فسقط ابراهيم على وجهه وضحك . وقال
فى قلبه : هل يولد لابن مئة سنة ؟ وهل تلد سارة وهى بنت تسعين
سنة ؟ وقال ابراهيم لله : ليت اسماعيل يعيش أمامك . فقال الله :
بل سارة امراتك تلد لك ابنا وتدعو اسمه : اسحق . وأقيم عهدى معه
عهدا أبديا لنسله من بعده . وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا
أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا . اثنى عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة
ولكن عهدى أقيم مع اسحق الذى تلده لك سارة فى هذا الوقت فى السنة
الآتية . فلما فرغ من الكلام معه ، صعد الله عن ابراهيم .

**فاخذ ابراهيم اسماعيل ابنه وجميع ولدان بيته وجميع المبتاعين
بفضته . كل ذكر من أهل بيت ابراهيم وختن لحم غرلتهم فى ذلك اليوم
عينه ، كما كلمه الله » (تك ١٧ : ٩ - ٢٣)**

هذا هو النص بتمامه . فهل يفهم منه أن اسماعيل محروم من عهد
النبوة أو من عهد الختان ؟ وكيف يكون محروما من النبوة . وفى التوراة
أن الابن البكر لا يحرم من حقه فى ارث أبيه حتى ولو كان مكروها ؟
ونصيب البكر فى التوراة ضعف نصيب غير البكر ، ومعنى ذلك : أنه
إذا كانت لاسحق بركة ول اسماعيل بركة تكون مدة البركة فى آل اسماعيل
أطول منها فى آل اسحق . وفى الأصحاح الحادى والعشرين من سفر

الثنية : « اذا كان لرجل امرأتان احدهما محبوبة ، والأخرى مكروهة فولدتا له بنين ، المحبوبة والمكروهة . فان كان الابن البكر للمكروهة فيوم يتقسم لبنيه ما كان له ، لا يحل له ، أن يقدم ابن المحبوبة بكرا ، على ابن المكروهة البكر ، بل يعرف ابن المكروهة بكرا ليعطيه نصيب اثنين من كل ما يوجد عنده ، لأنه هو أول قدرته ، له حق البكرية » (تث ٢١ : ١٥ - ١٧)

... ..

ولقد شاع في زمن المسيح عيسى بن مريم — عليه السلام — من علماء بني اسرائيل : أن بنى اسماعيل محرومون من النبوة . فسأل عيسى تلميذ من تلاميذه وهو « يعقوب » عن « العهد » وأجاب المسيح عيسى — عليه السلام — بأن بنى اسماعيل غير محرومين من النبوة . واستدل على اجابته من التوراة بدليلين . الدليل الأول : من زبور داود — عليه السلام — والدليل الثانى : من أسفار موسى الخمسة . الدليل الأول : أن داود — عليه السلام — قال عن النبى المنتظر : انه سيده . وحيث انه عبر عن النبى المنتظر بأنه سيده . اذن لا يكون النبى المنتظر من نسل داود ، كما يزعم اليهود العبرانيون بل من نسل آخر . لأن الابن مهما علا قدره وارتفعت منزلته لا يكون سييدا لأبيه . ولا يعبر الأب عن ابنه بلقب « سيدى » يقول داود فى المزمور المئة والعاشر : « قال الله لربى (١٠) » أى قال الله لسيد داود : « اجلس عن يمينى حتى أجعل أعداك موطئا لقدميك » أى كن معى وأنا أمكنك من رقاب أعدائك وأنصرك عليهم « يرسل الرب قضيبك الذى سيكون ذا سلطان فى وسط أعدائك » أى أن ملك النبى المنتظر سيكون قويا بين أعدائه ... الخ (مزمور ١١٠)

هذا هو الدليل الأول . وأما الدليل الثانى : فهو قول الله لابراهيم « خذ ابنك وحيدك الذى تحبه ... الخ » (تكوين ٢٢ : ٢)

(١٠) ترجمة اليسوعيين : « قال الرب لسيدى : اجلس عن يمينى حتى أجعل أعداك موطئا لقدميك . عصا عزتك يرسلها الرب من صهيون ... الخ » (مزمور ١٠٩)

قال المسيح عيسى — عليه السلام — ان الابن الوحيد لو كان هو اسحق كما هو ظاهر نص التوراة ما كان الله يعبر بجانب اسحق بالابن الوحيد . لأن الابن الوحيد هو اسماعيل لا اسحق .

فقد روى برنابا عن المسيح عيسى بن مريم — عليه السلام — مانصه :

« أجاب يعقوب : يا معلم قل لنا : بمن صنع هذا العهد فان اليهود يقولون : باسحق . والاسماعيليون يقولون : باسماعيل ؟ أجاب يسوع : ابن من كان داود ؟ ومن أى ذرية ؟ أجاب يعقوب من : اسحق . لأن اسحق كان أبا يعقوب ، ويعقوب كان أبا يهوذا الذى من ذريته داود . فحينئذ قال يسوع : ومتى جاء رسول الله فمن نسل من يكون ؟ أجاب التلاميذ : بن داود . فأجاب يسوع : لا تغشوا أنفسكم . لأن داود يدعو في الروح ربيا . قائلا هكذا : قال الله لربي : اجلس عن يمينى حتى أجد أعدائك . ووطنا لقدميك . يرسل الرب . قضيك الذى سيكون ذا سلطان فى وسط أعدائك ، فاذا كان رسول الله الذى تسمونه : مسيا ، ابن داود . فكيف يسميه داود ربيا ؟ صدقونى — لأنى أقول لكم الحق — : ان العهد صنع باسماعيل لا باسحق .

حينئذ قال التلاميذ : يا معلم هكذا كتب فى كتاب موسى : ان العهد صنع باسحق ؟ أجاب يسوع وتأوها : هذا هو المكتوب . ولكن موسى لم يكتبه ، ولا يشوع . بل أبحارنا الذين لا يخافون الله .

الحق أقول لكم : انكم اذا أعلمتم النظر فى كلام الملك جبريل ، تعلمون خبث كتبنا وفقهائنا ، لان الملك قال : يا ابراهيم سيعلم العالم كله كيف يحبك الله ؟ ولكن كيف يعلم العالم محبتك لله ؟

حقا يجب عليك أن تفعل شيئا لأجل محبة الله . أجاب ابراهيم : ها هو ذا عبد الله مستعد أن يفعل كل ما يريد الله .

فكلم الله حينئذ ابراهيم قائلا : خذ ابنك بكرك اسماعيل ، واصعد الجبل لتقدمه ذبيحة . فكيف يكون اسحق البكر ، وهو لما ولد كان

اسماعيل ابن سبع سنين » ؟ (برنابا ٤٣ : ٢٠ - ٣١ و ٤٤ : ١ - ١١)
ولما قال « اندراوس » للمسيح عيسى بن مريم - عليه السلام - : « تكرم
بالتصريح لنا بكل شيء عن رسول الله - ﷺ - » صرح المسيح عيسى
ابن مريم بأن دعوة رسول الله - ﷺ - دعوة عالمية لجميع الأمم . واستدل
بآية من التوراة على ما يقول . وهى قول الله عز وجل لابراهيم - عليه
السلام - « ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض » (تكوين ٢٢ : ١٨)

قال المسيح عيسى بن مريم - عليه السلام - لأصحابه « الحق
أقول لكم : ان كل نبي متى جاء . فانه انما يحمل لامة واحدة فقط علامة
رحمة الله . ولذلك لم يتجاوز كلامهم الشعب الذى أرسلوا اليه . ولكن
رسول الله متى جاء يعطيه الله ما هو بمثابة خاتم يده . فيحمل خلاصا
ورحمة لأمم الارض الذين يقبلون تعليمه . وسيأتى بقوة على الظالمين .
ويبيد عبادة الأصنام . بحيث يخزى الشيطان . لأنه هكذا أوعد الله
ابراهيم قائلا : أنظر . فانى بنسلك أبارك كل قبائل الأرض . وكما حطمت
يا ابراهيم الأصنام تحطيا . هكذا سيفعل نسلك » (برنابا ٤٣ : ١٣ - ١٩)

... ..

وكما بين المسيح بن مريم عليه السلام . بين كثيرون من علماء بنى
اسرائيل . وكما أنكر بيان المسيح كثيرون أنكر بيان علماء بنى اسرائيل
كثيرون . فعز الدولة أبو الرضاسعد بن نجم الدين ، منصور بن سعد بن
الحسن بن هبة الله بن كمونة الاسرائيلى البغدادى المتوفى سنة ثلاث
وثمانين وستمائة من الهجرة فى مدينة « الحلة » يقول فى كتابه « تنقيح
الأبحاث فى الملل الثلاث » : ان البعض قد فهم من قول ملك الله لهاجر
عن اسماعيل : « يده على الكل ويد الكل عليه » أنه سيخرج من نسل
اسماعيل ملوك على الشعب يحكمون بشرع من الله ، لئلا يظلموا . يقول
ابن كمونه عنهم : « ان الملاك بشر هاجر بأن اسماعيل يكون عين الناس .
وأن يده تكون فى الكل ويد الكل فيه . وأنه يسكن على تخم أرض جميع
أخوته . وقوله « فى الكل » يحتمل أن يده متصرفه فى الكل . أو أنه يكون

مخالطاً للكل . ومعلوم أن إسماعيل وولده لم يكونوا متصرفين في معظم الأمم ، ولا كانوا مازجين لهم إلا بالاسلام . والملاك من قبل الله لا يبشر بالظلم والجور والمكذب «

ومن البعض الذين يعينهم « ابن كهونة » بقوله هذا ، الشيخ الامام محمد بن عمر الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ في قوله في تفسيره الكبير : « جاء في الفصل التاسع من المسفر الأول من التوراة : أن هاجر لما غضبت عليها سارة تراءى لها ملك من قبل الله . فقال لها : يا هاجر . أين تريدين ؟ ومن أين أقبلت ؟ قالت : أهرب من سيدتى سارة . فقال لها : ارجعى الى سيدتك ، واخضعى لها ، فان الله سيكثر زرعك وذريتك . وستحبلين وتلدن ابناً وتسمينه اسماعيل ، من أجل أن الله سمع تبتلك وخشوعك . وهو يكون عين الناس . وتكون يده فوق الجميع . ويد الجميع مبسوطة اليه بالخضوع . وهو يسكن على تخم ارض جميع اخوته « .

واعلم : أن الاستدلال بهذا الكلام : أن هذا الكلام خرج مخرج البشارة وليس يجوز أن يبشر الملاك من قبل الله بالظلم والجور ، وبأمر لا يتم إلا بالمكذب على الله تعالى . ومعلوم : أن اسماعيل وولده لم يكونوا متصرفين فى الكل — أعنى فى معظم الدنيا ومعظم الامم ولا كانوا مخالطين للكل على سبيل الاستيلاء — إلا بالاسلام ، لانهم كانوا قبل الاسلام محصورين فى البادية ، لا يتجاسرون على الدخول فى أوائل العراق وأوائل الشام ، إلا على أتم خوف . فلما جاء الاسلام استولوا على المشرق والغرب بالاسلام ، ومازجوا الامم ، ووطنوا بلادهم ومازجتهم الامم ، وحجوا بيوتهم ، ودخلوا باديتهم بسبب مجاورة الكعبة . فلو لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم صادقاً ، لكانت هذه المخالطة منهم للامم ، ومن الامم لهم ، معصية لله تعالى وخروجاً عن طاعته الى طاعة الشيطان . والله يتعالى عن أن يبشر بها هذا سبيله « أ.هـ .

ثم يرد ابن كهونة عليهم بقوله : « ان قوله : « يده فى الكل وييد

الكل فيه » لا نسلم أنه يريد به معظم الأمم . بل قد يريد كل أخوته وأهله .
وكونه يسكن على تخوم أرض جميع أخوته بيان لذلك » (١١)

•••••

ونرد عليه بما يلي — وقد سبقت ردود وستأتي ردود — :

١ — أنت لا تسلم بمعظم الأمم . مع أنك تعلم بأن هذه النبوءة في المستقبل
عن نسل اسماعيل — عليه السلام — الذى قال عنه ملك الله : « تكثيراً
أكثر نسلك ، فلا يعد من الكثرة » والنسل الذى لا يعد من الكثرة ، أكبر
من أن يحصر فى دائرة ضيقة من الأرض ، كما لم ينحصر
نسل بنى اسحق فى الزمان القديم . فانهم شرقوا وغربوا فى الأرض
طولاً وعرضاً . ولو كان المراد بلفظ : « يده على كل واحد . ويد كل واحد
عليه » : عموم أخوته وأهله فقط ، لخصص ذلك بمثل قوله : يده على كل
واحد من أهله ، بدل لفظ « الكل » الذى يفيد ما هو أكبر من عموم أخوته
وأهله فقط .

ولو سلمنا جدلاً بكلامك . وهو : كل أخوته وأهله . فان نجم
بنى اسماعيل قد علا على بنى اسرائيل فى ظهور الاسلام ، لأول مرة فى
حياتهم ، وورثوا بلاد الشام التى سكنها بنو اسرائيل من قبلهم ، وأصبحوا
ظاهرين .

ولا يمكن أن يكون ملك موعود به بدون شريعة ، تمنع الملوك من
أن يظلموا لأن العقل الانسانى لا يقدر على سن تشريعات لجميع الناس ،
لاختلاف الأمزجة والطبائع . وكفى من ملك حكم بحكم معتقداً على حسب
مزاجه وطبعه أنه صواب ، وهو على الناس فى حكم الخطأ ، فلكى يكون
ميزان للمعدل لجميع الناس ، للملوك وللعامية ، تفضل الله على الناس
بالشرائع التى ينزلها على نبي يصطفيه منهم . وهكذا كان الحال مع

(١١) ص ٩٤ — ٩٦ تنقيح الأبحاث فى الملل الثلاث .

ملوك من بنى اسرائيل على شريعة موسى — عليه السلام — ليحققوا الحق
ويزهقوا الباطل . وهو نفس الحال مع الملوك من بنى اسماعيل على
شريعة محمد — ﷺ — ليحققوا الحق ، ويزهقوا الباطل .

٢ — ولا يمكن أبدا أن يكون العهد خاصا في نسل اسحق وحده .
لأنه مشروط في نسلهم بشرط العدل الى مجيء النبي الذي أعبر عنه موسى في
سفر التثنية . فقد ورد في التوراة مشابها لقوله تعالى في القرآن الكريم :
« لا ينال وعهدى الظالمين » أى من كان ظالما من ذرية ابراهيم لا يناله
استخلافى وعهدى اليه بالامامة . ورد أن موسى — عليه السلام — عاهد بنى
اسرائيل بهذا العهد — والله ى يعلم ما كان وما يكون — :

« أنتم واقفون اليوم جميعكم أمام الرب . رؤسائكم ، أسباطكم ،
شيوخكم ، وعرفاؤكم . وكل رجال اسرائيل ، وأطفالكم ، ونسائكم
وغربيكم الذى فى وسط محلتكم ، ممن يحتطب حطبتكم ، الى من يستقى
ماءكم ، لكى تدخل فى عهد الرب ، وقسمه الذى يتطعه الرب الهك معك
اليوم . . . وليس معكم وحدكم أقطع أنا هذا العهد وهذا القسم ،
بل مع الذى هو هنا معنا واقفا اليوم أمام الرب الهنا . ومع الذى
ليس هنا اليوم . . . لئلا يكون فيكم رجل أو امرأة أو عشيرة أو سبط
قلبه اليوم منصرف عن الرب الهنا . لكى يذهب ليعبد آلهة تلك الأمم .
لئلا يكون فيكم أصلا يثمر علقما وأفسنتينا . . لايشاء الرب أن يرفق به . . .
ويقول جميع الأمم : لماذا فعل الرب هكذا بهذه الأرض ؟ لماذا حمو هذا
الغضب العظيم ؟ فيقولون : لأنهم تركوا عهد الرب اله آبائهم الذى
قطعه معهم حين أخرجهم من أرض مصر » (التثنية ٢٩ : ١٠ — ٢٥)

والمفهوم من هذا العهد : انه دائم الى مجيء النبي الذى أخبر عنه
موسى فى سفر التثنية . واذا عدلوا الى مجيئه ، فان الله يفتح عليهم
بركات من السماء والأرض ، وهم لم يعدلوا فقد عبدوا آلهة آخر ولم يتبعوا
وصايا الرب . واذا كان هذا حالهم وهم فى عهد محدد بجيء آخر ، فكيف
يكون الحال لو كان العهد معهم الى يوم الدين ؟

ففى سفر النبى حزقيال ، يقول الله تعالى : « ان بيت اسرائيل لما سكنوا ارضهم نجسوها بطريقتهم وبانفعالهم ، كانت طريقتهم امامى كنجاسة الطامث ، فسكبت غضبى عليهم لاجل الدم الذى سفكوه على الارض ، وبأصنامهم نجسوها ، فبددتهم فى الأمم ، فتذروا فى الاراضى . كطريقتهم وكأنفعالهم دننتهم فلما جاءوا الى الامم حيث جاءوا نجسوا اسمى القدوس » (حز ٣٦ : ١٧ — ٢٠)

وفى الانجيل يقول المسيح عليه السلام : « يا اورشليم . يا اورشليم . ياقاتلة الانبياء ، وراجة المرسلين اليها . كم مرة أردت أن أجمع اولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا . هو ذا بيتكم يترك لكم خرابا » (مت ٢٣ : ٢٧ — ٣٨) يشير بخراب البيت الى هدم هيكل سليمان — وهو رمز النبوة فى بنى اسرائيل — واذا زال رمز النبوة ، فقد اقترب زوال الملك .

٣ — وبركة الأمم فى نسل ابراهيم على ادعاءاتكم لم تتحقق . لأنكم تقولون : ان شريعة موسى عليه السلام لنا وحدنا وللغريب الساكن فى وسطنا فقط . وليست للأمم جميعا .

ففى سفر العدد « مثلكم يكون مثل الغريب امام الرب ، شريعة واحدة . وحكم واحد يكون لكم وللغريب النازل عندكم » (عدد ١٥ : ١٥ — ١٦)

وعلى ادعاء النصارى يمكن القول بتحققها فى الظاهر . لأنهم يقولون بعالية النصرانية استنادا على قول المسيح لله تعالى عن تلاميذه « كما أرسلتنى الى العالم ، أرسلتهم أنا الى العالم » (يو ١٧ : ١٨)
والمسيح أرسلهم الى العالم للتبشير بمحمد ﷺ ، ولم يرسلهم بشريعة مغايرة لشريعة موسى .

وهم ينشرون التوراة مع الانجيل ويدعون أن الانجيل شريعة مغايرة لشريعة موسى . ووجه الاعتراض عليهم : هو : أنهم خرجوا تماما

عن ملّة ابراهيم بادعائهم ما ادعوا من عقيدة التثليث
والفائهم ناموس موسى ، وأحكام الله . استنادا على قول
بولس في رسالته الأولى الى اهل كورنثوس : « الدعوة التي دعى فيها
كل واحد ، فليثبت فيها » (١ كو ٧ : ٢٠) أى اذا دعى اليهودى الى
النصرانية وقبل الدعوة ، فليعمل بحسب شريعته التي درج عليها ، وهى
شريعة موسى . واذا دعى اليونانى الى النصرانية ، وقبل الدعوة ،
فليعمل بحسب قوانين بلاده التي تحكم المواطنين وبحسب العادات
والتقاليد التي درج عليها .

٤ — والتوراة لم تنص على حرمان نسل اسماعيل — عليه السلام —
من عهد النبوة . فان من يمعن النظر جيدا يجد أن البركة فى نسله ،
أكثر من البركة فى نسل اسحق — عليه السلام —

(أ) فقد قال الله عن اسماعيل : « أباركه وأثره ، وأكثره كثيرا
جدا ... وأجعله أمة كبيرة »

(ب) وقالت سارة لابراهيم : ابن هاجر لا يرث البركة منك ،
كما يرث ابنى اسحق . فقال الله لابراهيم : « باسحق يدعى لك نسل .
وابن الجارية أيضا ، سأجعله أمة لأنه نسلك » (تك ٢١ : ١٢ — ١٣)

(ج) ولما أرادت هاجر أن تسكن بعيدا عن سارة ، ناداها ملاك
الله بقوله : « لا تخافى . لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو . قومى
أحملى الغلام وشدى يدك به . لأنى سأجعله أمة عظيمة » (تك ٢١ :
١٧ — ١٨)

(د) وأكد على هذا المعنى ملاك الله من قبل ولادة اسحق . فانه
قابل هاجر وخاطبها بقوله : « ها أنت حبلى فتلدين ابنا ، وتدعين اسمه
اسماعيل . لأن الرب قد سمع لمذلتك ، وأنه يكون انسانا وحشيا . يده
على كل واحد ، ويد كل واحد عليه » (تك ١٦ : ١١ — ١٢)

(هـ) وكاتب التوراة يقول : ان موسى من قبل موته ، قد قسم

البركة على سيناء وسعير وفاران . ويشير بفاران الى وطن اسماعيل ،
 تأكيدا للبركة فى نسله . ففى الأصحاح الثالث والثلاثين من سفر
 التثنية : « وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله بنى اسرائيل
 قبل موته . فقال : جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألا من
 جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم . فأحب
 الشعب . جميع قديسيه فى يدك ، وهم جالسون عند قدمك ، يتقبلون
 من أقوالك » (تث ٣٣ : ١ - ٣) والدليل على أن فاران وطن لآل
 اسماعيل : « ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها مالك يا هاجر .
 لا تخافى . لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو . قومي احملى
 الغلام وشدى يدك به لانى سأجعله أمة عظيمة . وفتح الله عينها فأبصرت
 بئر ماء فذهبت وملأت القرية ماء وسقت الغلام . وكان الله مع الغلام
 فكبر . وسكن فى البرية . وكان ينمو رامى قوس . وسكن فى برية فاران
 وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر » (تك ٢١ : ١٧ - ٢١)

(و) وقد نص موسى على نبي يأتى من بعده ليقيم الدين . فى قوله
 « يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك من أخوتك مثلى . له تسمعون »
 (تث ١٨ : ١٥) وبين أنه لن يظهر نبي مثله من بنى اسرائيل ، فى قوله :
 « ولم يقم بعد نبي فى اسرائيل مثل موسى » (تث ٣٤ : ١٠) وحيث
 لاسماعيل بركة ، فان هذا النبى يكون من نسله لاقامة الدين .

(ز) وفى التوراة أن يعقوب عليه السلام قال لبني اسرائيل فى
 شخص يهوذا ابنه : « لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه
 حتى يأتى شيلون . وله يكون خضوع شعوب » (تك ٤٩ : ١٠) وحيث
 لاسماعيل بركة ، فان شيلون يكون هو الآتى منه ، لينهى بركة اسحق
 فى الأمم .

٥ — وان التاريخ ليشهد بتحقق وعد الله — عز وجل — لأبراهيم
 فى مباركة الأمم بولديه . اسحق واسماعيل — عليهما السلام — فان الله
 اصطفى من نسل اسحق ، آل يعقوب للبركة . ومن موسى بن عمران بن

قهاث بن لاوى بن يعقوب ، بدأ الملك ، وبدأت الشريعة فى نسل اسحق . ولم يكن لنسل اسحق من قبل موسى ملك ، ولم تكن معهم شريعة كاملة « موعظة وتفصيلا لكل شىء » — « نورا وهدى للناس » فقد كانوا متفرقين فى أرض سيناء ، يخافون ان يتخطفهم الناس . وعند آل فرعون فى مصر كان بنو اسرائيل يسامون سوء العذاب ، كما جاء فى سفر الخروج . * فاستعبد المصريون بنى اسرائيل بعنف ، ومرورا حياتهم بعبودية ناسية « (خر ١ : ١٣ — ١٤)

وفى ذلك الوقت ظهر موسى — عليه السلام — ليظهر ميثاق الله مع ابراهيم واسحق ويعقوب ، فخرج بينى اسرائيل من مصر ، وسكنوا معا فى صحراء سيناء ، وعند جبل الطور نزلت الشريعة على موسى عليه السلام ، ووحد قلوب بنى اسرائيل على الاخلاص لله ، ونظم صفوفهم للجهاد فى سبيله ، وأمرهم بفتح البلاد لنشر الشريعة ، ووعد المطيعين منهم بجفة عرضها السموات والأرض . ومن ذاك الزمان بدأ ملك بنى اسرائيل فى الظهور ، وأصبح يتلى فى العالم كتاب موسى (١٢)

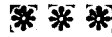
(١٢) يقول الامام القرطبى فى آخر سورة الشورى :

« وتكلم العلماء فى نبينا صلى الله عليه وسلم . هل كان متعبدا بدين قبل الوحى أم لا ؟ فمنهم من منع ذلك مطلقا وأحاله عقلا . قالوا : لأنه يبعد أن يكون متبوعا من عرف تابعا . وبنوا هذا على التحسين والتقييح . وقالت فرقة أخرى : بالوقف فى أمره عليه السلام وترك قطع الحكم عليه بشىء فى ذلك . اذ لم يحل الوجهين منها العقل ولا استقبان عندهما فى أحدهما طريق النقل . وهذا مذهب أبى المعالى . وقالت فرقة نائلة : انه كان متعبدا بشرع من قبله وعاملا به . ثم اختلف هؤلاء فى التعمين . فذهبت طائفة الى أنه كان على دين عيسى ، فانه ناسخ لجميع الأديان والملل قبلها . فلا يجوز أن يكون النبى على دين منسوخ . وذهبت طائفة الى أنه كان على دين ابراهيم . لانه من ولده وهو أبو الأنبياء . وذهبت طائفة الى أنه كان على دين موسى ، لانه أقدم الأديان . وذهبت المعتزلة الى أنه لايد أن يكون على دين . ولكن عين الدين غير معلومة عندنا » أه وانظر أيضا فصل الدعوات العالمية السهاوية من كتابنا نقد التوراة أسفار موسى الخمسة .

ووجد صفوفهم من بعد موسى يشوع بن نون ، وحارب بهم قبائل
بني سينا ، وأسس ملكهم في الأرض التي بارك الله فيها للعالمين :
طالوت وداود ، وفي عهد سليمان كان الملك ملكا عظيما ، ثم اتاهم من
الذل ما يأتي على العصاة في كل زمان ، فأدبهم الله بسوط الملوك الأجانب ،
لكن لم يهلكهم شفقة عليهم .

ومن بعد موسى كان علماء بني اسرائيل يقومون بالدعوة خير قيام ،
غير شرذمة منهم أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات . وظهر في بني
اسرائيل أنبياء من بعد موسى كالياس واليسع ويونس — عليهم السلام —
لا ليغيروا شيئا من كتاب موسى ، بل ليصلحوا الناس على ما فيه من
أحكام .

وعند اقتراب تهاية البركة من آل اسحق ، أرسل الله المسيح
عيسى بن مريم عليه السلام لينذرهم بالنهاية ويحذرهم من عصيان النبي
الآتي من ولد اسماعيل لتبدأ من وجوده بركة الأمم في آل اسماعيل .



هذا عن تاريخ بني اسحق . وأما عن بني اسماعيل . فانهم كانوا
مقتربين في الأرض ، يحكم بعضهم بعضا ، ولم يكن لهم نظام ولا ملك ،
حتى ظهر محمد — ﷺ — والتفوا حوله ففتح بهم البلاد ، وأصلح بهم
العباد ، ومن ظهوره بدأ ملك بني اسماعيل في العالم ، بشرية تختلف
في الأحكام عن الشريعة التي كانت في أيدي بني اسحق .

وهذا واضح من قول الله عز وجل : « قل : من أنزل الكتاب الذي
جاء به موسى نورا وهدى للناس (١٣) تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون

(١٣) يقول ابن كمونة : « وجميع ما وصاهم الله به — أي اليهود
والأمم — على لسان رسوله الأمين . موسى — صلوات الله عليه —
هو : اعتقاد التوحيد وترك عبادة الاصنام ، وأن لا يشركوا بالله شيئا ،
وأن ينزهوه عن الشبيه والنظير والمثير ، وأن يعبدوه وحده ويحجوه

كثيرا . وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم . قل : الله . ثم تدرهم في
خوضهم يلعبون .

وهذا كتاب أنزلناه مبارك ، مصدق الذي بين يديه ، ولتنذر أم
المقرى ومن حولها ، والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به ، وهم على
صلاتهم يحافظون « (الأنعام ٩١ — ٩٢) فقد قرن بين الكتاب الذي كان
في آل اسحق والكتاب الذي نزل على آل اسماعيل .

وبعدما عرفنا وجهة نظر اليهود في نبوة ملاك الله لهاجر عن
اسماعيل عليه السلام وهي : « **يده على كل واحد ، ويد كل واحد عليه** » وردنا
عليهم في شخص ابن كمونة ، نعرف وجهة نظر النصارى فيها فانهم واليهود
شركاء في تقديس ذلك الكتاب . يقول الدكتور جورج بوست في « قاموس
الكتاب المقدس » : « وكان نسله ينمو ويكثر جدا ، حتى أنهم أصبحوا
بعد قليل أمة كثيرة العدد فوصفوا بالتجارة ، وعرفوا بها . وتحققت النبوة
في اسماعيل ، فكان رجلا يقطن البرارى والقفار ، ومن أسناله أكثر قبائل

بكل قلوبهم وأنفسهم وجهدهم ويخافوه ويستعينوا به ، ويتوكلوا عليه ،
وأن يعتقدوا أنه المعالم الذى لا يعزب عن علمه شيء ، والقادر على كل
شيء والمخالق لكل شيء . وأنه هو الذى يهت ويحيى ويمرض ويشفى ، ولا
منجى من قدرته ، وأنه الأول والآخر ، لا اله آخر سواه وأمرهم بمكارم
الأخلاق وبالصلاة والصوم والصدقة والعدل والانصاف والوفاء بالعهد
والنذر واکرام الوالدين والعلماء واطاعة الولاة واکرامهم وأن يجبوا
لغيرهم من الخير ما يحبونه لأنفسهم ، وعرفهم ما يسلكون من طريق
السياسات المنزلية والمدنية والنفسية ، ونهاهم عن الرذائل والجور
والقتل والسرقة والزنا وتمنى مال الغير ، وأمرهم بأشياء ونهاهم عن
أشياء لا نعقل نحن فائدة التكليف بها . وقد حصرت أوامر التوراة ونواهيها
المستمرة الموجوب في ستمائة وثلاثة عشر ، وهى عدا ما أمر به ونهى
عنه فيها ، لا على الدوام والاستمرار « أ.هـ (ص ٢٦ تنقيح الأبحاث)

البدو والرحل في المشرق ، وقد يصادف السياح بعض التعدييات من بعض قبائل البدو في سياحتهم » (١٤)

والنصارى في قولهم : ان النبوءة تشير الى هجيرة بنى اسماعيل ، وتعديهم على جيرانهم مخطنون خطأ بينا ، لأن الموعد الالهى منصرف الى نبى كريم لم يولد بعد ، ولم يسوء . حتى يظن الناس في نسبه ظن السوء . ولو لم يكن نبيا كريما ، ما سر الله به ابراهيم على الكبر ، ووهبه اثنى عشر ولدا ، وجعله لشعب كبير ، وما قبل الله فيه دعاء ابراهيم . وقد اتخذ الله ابراهيم خليلا .

•••••

والنصارى وجهة نظر في « العهد » غير وجهة نظر اليهود . فاليهود يجعلون « العهد » بالنبوة في نسل اسحق مع التخصيص في نسل اسرائيل والنصارى يجعلونه في نسل المسيح عيسى بن مريم — عليه السلام — يعنون من يؤمن به ، أى أن العهد بالنبوة عندهم فى اسحق عليه السلام لم يتحقق من مجيء موسى بالناموس ، بل من مجيء عيسى بالانجيل . وكيف يجعلونه فى المسيح عيسى بن مريم — عليه السلام — وهو لم يأت بجديد على ما جاء به موسى — عليه السلام — ؟ يقول بولس : « وأما المواعيد فقبلت فى ابراهيم وفى نسله . لا يقول : وفى الأنسال كأنه عن كثيرين ، بل كأنه عن واحد . وفى نسلك الذى هو المسيح » ويبرهن بولس على رأيه هذا بأن ابراهيم — عليه السلام — لما وعده الله بتكثير نسله ، وعده بناء على ايمان فى ابراهيم ، لا عن أعمال صدرت من ابراهيم . لأن التوراة لم تكن قد نزلت على موسى وما كانت قررت ما يجب على الناس أن يعملوه . اذ قد جاء موسى بعد ابراهيم بأربعمئة وثلاثين عاما تقريبا ، ثم لما جاء عيسى ألغى التوراة وأبطل العمل بها . وأرجع الناس الى الايمان الذى عاش به ابراهيم قبل مجيء الناموس . فوجه المشابهة

(١٤) ص ٩٨ المجلد الأول . قاموس الكتاب المقدس طبعة بيروت

سنة ١٩٠١م

اذن هو واضح بين ابراهيم وبين عيسى فى ان كلا منهما قد برره الله ورضى عنه لا بسبب الأعمال ، بل بسبب الايمان وحده . هذه نظرية بولس .

وبهذه النظرية كان يبشر بولس ، وكان له معارضون يخطئهم العد . ومنهم أهل غلاطية الذين كتب اليهم قائلا :

« ايها الغلاطيون الأغبياء من رفاكم (١٥) حتى لا تدعونا للحق . أنتم الذين أمام عيونكم قد رسم يسوع المسيح بينكم مصلوبا ؟ أريد أن اتعلم منكم هذا فقط ؟ أباعمال الناموس أخذتم الروح أم بخبر الايمان ؟ أهكذا أنتم أغبياء ؟ أبعد ما ابتدأتم بالروح تكلمون الآن بالجسد ؟ أهذا المقدار احتملتم عبثا ؟ ان كان عبثا . فالذى يمنحكم الروح ويعمل قوات فيكم . أباعمال الناموس أم بخبر الايمان ؟ كما آمن ابراهيم بالله فحسب له برا .

اعلموا اذا أن الذين هم من الايمان ، أولئك هم بنو ابراهيم . والكتاب اذ سبق فرأى أن الله بالايمان يبرر الأمم ، سبق فبشر ابراهيم أن فيك تتبارك جميع الأمم . اذا الذين هم من الايمان يتباركون مع ابراهيم المؤمن . لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة لأنه مكتوب : ملعون كل من لا يثبت فى جميع ما هو مكتوب فى كتاب الناموس ليعمل به . ولكن أن ليس أحد يتبرر بالناموس عند الله فظاهر . لأن البار بالايمان يحيا . ولكن الناموس ليس من الايمان ، بل الانسان الذى يفعلها سيحيا بها . المسيح افتدانا من لعنة الناموس اذ صار لعنة لأجلنا لانه مكتوب : ملعون كل من علق على خشبة . لتصير بركة ابراهيم للأمم فى المسيح يسوع لننال بالايمان موعد الروح .

أيها الاخوة بحسب الانسان أقول : ليس أحد يبطل عهدا قد تمكن ، ولو من انسان ، أو يزيد عليه ، وأما المواعيد فقبلت فى ابراهيم

(١٥) فى ترجمة اليسوعيين « من سحرهم »

وفى نسله . لا يتول وفى الأنسال كأنه عن كثيرين بل كأنه عن واحد .
وفى نسلك الذى هو المسيح .

وانما أقول هذا : أن الناموس الذى صار بعد أربعمئة وثلاثين سنة
لا يفسخ عهدا قد سبق فتمكن من الله نحو المسيح حتى يبطل الموعد .
لأنه ان كانت الوراثة من الناموس فلم تكن أيضا من موعد . ولكن
الله وهبها لإبراهيم بموعد .

فلماذا الناموس ؟ قد زيد بسبب التعديت الى أن يأتى التسل الذى
قد وعد له مرتبا بملائكة فى يد وسيط . وأما الوسيط فلا يكون لواحد .
ولكن الله واحد . فهل الناموس ضد مواعيد الله ؟ حاشا . لأنه لو أعطى
ناهوس قادر أن يحيى لكان بالحقيقة : البر بالناموس . لكن الكتاب أغلق
على الكل تحت الخطية ليعطى الموعد من إيمان يسوع المسيح للذين
يؤمنون . ولكن قبلما جاء الايمان كنا محروسين تحت الناموس مغلقتا
علينا الى الايمان المعتيد أن يعلن . اذا قد كان الناموس مؤدبنا الى
المسيح لكى نتبرر بالايمان . ولكن بعدما جاء الايمان لسنا بعد تحت
مؤدب . لأنكم جميعا أبناء الله بالايمان بالمسيح يسوع . لان كلكم الذين
اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح . ليس يهودى ولا يونانى . ليس عبد
ولا حر . ليس ذكر وأنثى لأنكم جميعا واحد فى المسيح يسوع . فان
كنتم للمسيح فأنتم اذا نسل إبراهيم ، وحسب الموعد ورثة .

وانما أقول : مادام الوارث قاصرا لا يفرق شيئا عن العبد مع كونه
صاحب الجميع . بل هو تحت أوصياء ووكلاء الى الوقت المؤجل من
أبيه . هكذا نحن أيضا لما كنا قاصرين ، كنا مستعبدين تحت أركان
العالم . ولكن لما جاء ملاء الزمان أرسل الله ابنه مولودا من امرأة ،
مولودا تحت الناموس ليفتدى الذين تحت الناموس لننال التبنى ، ثم
بما أنكم أبناء : أرسل الله روح ابنه الى قلوبكم صارخا يا أبا الآب .
اذا لست بعد عبدا ، بل ابنا . وان كنت ابنا فوارث لله بالمسيح .

لكن حينئذ اذ كنتم لا تعرفون الله استعبدتم للذين ليسوا بالطبيعة
آلهة . وأما الآن اذ عرفتم الله . بل بالحرى عرفتم من الله . فكيف
ترجعون أيضا الى الأركان الضعيفة الفقيرة التى تريدون أن تستعبدوا
لها من جديد ؟

اتحفظون أياما وشهورا ، وأوقاتا وسنين ؟ اخاف عليكم أن أكون
قد تعبت فيكم عبثا .

أتضرع اليكم أيها الأخوة كونوا كما أنا . لأنى أنا أيضا كما أنتم .
لم تظلمونى شيئا ولكنكم تعلمون انى بضعف الجسد بشرتكم فى الأول ،
وتجربتى التى فى جسدى لم تزدروا بيا ، ولاكرهتموها . بل كمالك من
الله تبتلمونى كالمسيح يسوع . فماذا كان اذا تطويبيكم ؟ لأنى أشهد لكم .
أنه لو أمكن لقلعتكم عيونكم وأعطيتونى . أفقد صرت اذا عدوا لكم لأنى
أصدق لكم ؟

يفارون لكم ، ليس حسنا . بل يريدون أن يصدوكم . لكى تغاروا
لهم . حسنة هى الفيرة فى الحسنى كل حين . وليس حين حضورى عندكم
فقط . يا أولادى الذين أتمخض بكم أيضا الى أن يتصور المسيح فيكم .
ولكنى كنت أريد أن أكون حاضرا عندكم الآن . وأغبر صوتى لأنى متحير
فيكم .

قولوا لى أنتم الذين تريدون أن تكونوا تحت الناموس : ألستم
تسمعون الناموس ؟ فإنه مكتوب : أنه كان لابراهيم ابنان واحد من الجارية ،
والآخر من الحرة . لكن الذى من الجارية ولد حسب الجسد ، وأما
الذى من الحرة فبالوعد . وكل ذلك : رمز . لأن هاتين هما العهدان .
أحدهما : من جبل سيناء الوالد للعبودية الذى هو هاجر . لأن هاجر جبل
سيناء فى العربية ولكنه يقابل أورشليم الحاضرة فأنها مستعبدة مع
بنيها . وأما أورشليم العليا التى هى أمنا جميعا فهى حرة . لأنه مكتوب .
أفرحى أيتها العاقرة التى لم تلد . اهتفى واصرخى أيتها التى لم تتمخض .
فان أولاد الوحشة أكثر من التى لها زوج .

وأما نحن أيها الأخوة فنظير اسحق أولاد الموعد . ولكن كما كان حينئذ الذى ولد حسب الجسد يضطهد الذى حسب الروح هكذا الآن أيضا . لكن ماذا يقول الكتاب ؟ اطرد الجارية وابنها لأنه لا يرث ابن الجارية مع ابن الحرة . اذا أيها الاخوة لسنا أولاد جارية ، بل أولاد الجره فاثبتوا اذا فى الحرية التى قد حررنا المسيح بها ، ولا ترتبكوا أيضا بنير عبودية « (غلاطية ٣ ، ٤ ، ٥)



لقد اقتبس بولس مما اقتبس من التوراة عبارات خمسة فى الاصحاح الثالث من رسالته الى اهل غلاطية ليبرهن بهن على ما يريد اثباته من الغاء العمل باحكام التوراة . وجعل الايمان بعبسى ربا مصلوبا كاف فى دخول الجنة . وأن نسل ابراهيم ينحصر فى المؤمنين بعبسى فقط للمشابهة بينه وبين ابراهيم فى الايمان . لا فى الأعمال .

المعبارة الأولى : « كما آمن ابراهيم بالله فصحب له برا » ونصها فى التوراة « فأمن بالرب فصحب له برا » (تك ١٥ : ٦)

المعبارة الثانية : « والمكتاب اذ سبق فرأى أن الله بالايهان يبرر الأمم ، سبق فبشر ابراهيم أن فيك تتبارك جميع الأمم » ونصها فى التوراة « ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض » (تك ٢٢ : ١٨)

المعبارة الثالثة : « لانه مكتوب : ملعون كل من لا يثبت فى الناموس ليعمل به » ونصها فى التوراة « ملعون من لا يقيم كلمات هذا الناموس ليعمل بها » (تث ٢٧ : ٢٦)

المعبارة الرابعة : « مكتوب ملعون كل من علق على خشبة » ونصها فى التوراة « واذا كان على انسان خطية حقها الموت فقتل وعلقتة على خشبة ، فلا تبت جثته على الخشبة ، بل تدفنه فى ذلك اليوم ، لأن المعلق ملعون من الله » (تث ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣)

العبارة الخامسة : « وأما المواعيد فقبلت في ابراهيم وفي نسله »
ونصها في التوراة « ويرث نسلك باب أعدائه » (تك ٢٢ : ١٧)

ونرد عليه قائلين :

في المعبارتين الأوليين . نقول : ان بر ابراهيم — عليه السلام —
البر الكامل لم يكن بالايمان وحده ، بل بالايمان والأعمال .

وأن وعد الله عز وجل بتكثير نسله لم يكن مجازفة . وإنما كان
بسبب سماع ابراهيم لكلام الله . واقدمه على تنفيذ الأقوال بالفعل .
كما هو صريح الناموس : ففيه : « من أجل أنك سمعت لقولي » لم يقل
من أجل الايمان وحده ، بل من أجل سماع الأقوال . وفوق هذا التصريح
الذى يعتمد بولس غض الطرف عنه ، نجد أن الناموس مصرح بأعمال
لابراهيم قبل أن يرزق بنسل . من ذلك : أنه بنى أكثر من مكان لعبادة
الله — تعالى — في أرض كنعان كما في التوراة : « فبنى هناك مذبحا
للرب » (تك ١٢ : ٧) ولم يقتصر الأمر على بناء أمكنة للعبادة فقط .
بل دعا الناس الى عبادة الله ، ففي التوراة : « فبنى هناك مذبحا للرب ،
ودعا باسم الرب » (تك ١٢ : ٨)

وتعيد التوراة هذا القول مرة أخرى بعد رجوع ابراهيم من مصر
الى أرض كنعان « الى مكان المذبح الذى عمله هناك أولا ، ودعا هناك
أبرام باسم الرب » (تك ١٣ : ٤) وبعدها اعتزله لوط — عليه السلام —
« ثقل أبرام خيامه وأتى واقام عند بلوطات ممرا التى فى حبرون . بنى
هناك مذبحا للرب » (تك ١٣ : ١٨) ولما ذهب لوط فى الأسر . شن
ابراهيم الحرب على آسريه . مراعىا أخوة القرابة وأخوة المدين « واسترجع
كل الأملاك ، واسترجع لوطا أخاه أيضا ، وأملاكه والنساء أيضا
والشعب » (تك ١٤ : ١٦) ويقول الناموس : ان ابراهيم كان منفذا
لأوامر الهية . لقد عهد الله اليه بالختان فى قوله : « هذا هو عهدى

الذى تحفظونه بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك . يختن منكم كل
ذكر » (تك ١٧ : ١٠) فنفذ ابراهيم عهد الله ، ليس لنفسه فقط ،
بل ولأولاده ، وغلماه أيضا .

ففى التوراة « فأخذ ابراهيم اسماعيل ابنه ، وجميع ولدان بيته ،
وجميع المتباعين بفضته ، كل ذكر من أهل بيت ابراهيم ، وختن لحم
غرلتهم فى ذلك اليوم عينه ، كما كلمه الله . وكان ابراهيم ابن تسع
وتسعين سنة ، حين ختن فى لحم غرلته . وكان اسماعيل ابنه ابن
ثلاث عشرة سنة ، حين ختن فى لحم غرلته » (تك ١٧ : ٢٣ — ٢٥)
« وختن ابراهيم اسحق ابنه ، وهو ابن ثمانية أيام كما أمره الله »
(تك ٢١ : ٤)

وفوق ذلك ، فان الناموس صريح بتكثير نسل ابراهيم ومباركة
الامم فى نسله ، اذا كان ابراهيم يوصى أولاده بأن يعملوا بأوامر الله . أى
أن وعد الله مرتين بالأعمال لا بالايمان وحده . ففى التوراة « فقال الرب :
هل أخفى عن ابراهيم ما أنا فاعله ؟ وابراهيم يكون أمة كبيرة وقوية .
ويتبارك به جميع أمم الأرض ، لأنى عرفته لكى يوصى بنيه وبيته من بعده :
أن يحفظوا طريق الرب ليعملوا برا وعدلا . لكى يأتى الرب لابراهيم بما
تكلم به » (تك ١٨ : ١٧ — ١٩) ففى هذا النص قوله : « ليعملوا
برا وعدلا » ولم يقل ليؤمنوا فقط . وفى هذا النص أيضا : « لكى يأتى
الرب لابراهيم بما تكلم به » أى اذا عملوا : البر والعدل .

ولما أخذ ابراهيم ابنه الى مكان الذبح الذى قلنا من قبل انه فى مكة
قال لغلاميه : « اجلسا أنتما ههنا مع الحمار ، وأما أنا والغلام فنذهب
الى هناك ونسجد ، ثم نرجع اليكما » (تك ٢٢ : ٥) فذهب ابراهيم
ليسجد فى موضع معد للسجود من قبل ، هو دليل على تأكيد الايمان
بالأعمال . واقدماه على ذبح ولده فى هذا الموضع المأمور بالذهاب اليه
هو أيضا تأكيد للايمان بالأعمال .

وإذا نظرنا الى عيسى — عليه السلام — نجده يقرر قيمة الاعمال

في النجاة من هول الدنيا وهول الآخرة . فهو نفسه كان يعمل مع كونه مؤمنا . لقد « كان يصلى لله » (لوقا ٩ : ٢٨) وكان يسبح الله بالادعية الواردة في مزامير داود (مرقس ١٤ : ٢٦) وقال بصريح العبارة : « لا تظنوا انى جئت لأنتقض الناموس » (متى ٥ : ١٧)

وإذا نظرنا في القرآن الكريم نجده يقرر ما قرره موسى وعيسى بشأن الأعمال ، وان النجاة في الدنيا والآخرة بالأعمال والايان ، لا بالايان وحده . لقد ذكر القرآن أن الله اختبر ابراهيم بوصايا فنفذهما . وبهذا اقترن الايمان بالأعمال . يقول تعالى : « واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن » والتهام عمل . ثم أن الله — تعالى — خاطب ابراهيم بعد تمام التنفيذ بقوله : « قال انى جاعلك للناس اماما » فطلب أيضا أن تكون الامامة فى ذريته . فحددها الله بمن يعمل صالحا « قال : ومن ذريتي . قال : لا ينال عهدي الظالمين » (البقرة ١٢٤)

والعبارة الثالثة : تدين أهل الكتاب جميعا لأن فى الناموس الايمان بالنبي الذى سيأتى مستقبلا من نسل اسماعيل لتتبارك الأمم بالشرية التى معه . ومن لا يؤمن به يكون ملعونا . لأنه آمن ببعض الناموس وكفر بالبعض .

وليس فى الناموس ما يفهم منه أدنى فهم أن بولس سيأتى وينسخ الناموس بجرة قلم .

والعبارة الرابعة : لا تنطبق على عيسى باى وجه من الوجوه . لأن التوراة تنص على أن الذى يصلب على خشبة لابد وأن يكون مقترفا جرما يستوجب به الصلب ، وباقترافه الجرم يكون متعديا لكلمات الناموس . فيكون مستوجب اللعنة . فما هى الخطية التى استوجب بها عيسى المقتل والصلب وحقت عليه بسببها اللعنة ؟ لا خطية له . اذا لا يكون ملعونا . والانجيل مصرح بذلك ففيه ما نصه : « قال له بيلاطس : ما هو الحق ؟ ولما قال هذا خرج أيضا الى اليهود . وقال لهم : انا لست أجد

فيه علة واحدة « (يوحنا ١٨ : ٣٨) والقرآن أيضا يشهد ببراءته وعصمته .
فقد قال تعالى عنه : « وجيها في الدنيا والآخرة ، ومن المقربين ، ويكلم
الناس في المهدي وكهلا ومن الصالحين » (آل عمران ٤٥ — ٤٦)

والعبارة الخامسة : تدل على تطرف بولس ، التطرف الزائد عن
الحد لأن « نسلك » هي في قوة « الأنسال » كلاهما يفيد الجمع . النسل
جمع ، والأنسال جمع . والجمع في « نسلك » كالجمع في « الأنسال » ،
سواء بسواء وكل كلمة منها تدل على من ينتسل من ابراهيم — عليه
السلام — .



والكلام الذي قاله بولس . نقضه يعقوب من أساسه ، فقد بين
ان الايمان بدون أعمال « ميت » وبين أن تبرير ابراهيم ليس
بالايمان كما قال بولس ، بل بالأعمال أيضا . يقول يعقوب : « من
حفظ كل الناموس ، وانما عثر في واحدة فقد صار مجرما في الكل . لأن
الذي قال : لا تزن . قال أيضا : لا تقتل . فان لم تزن ولكن قتلت ،
فقد صرت متعديا للناموس . هكذا تكلموا . وهكذا افعلوا كمتيدين ان
تحاكموا بناموس الحرية . لأن الحكم هو بلا رحمة لمن لم يعمل رحمة .
والرحمة تفتخر على الحكم ، ما المنفعة يا اخوتي ان قال أحد : ان له
ايمانا . ولكن ليس له أعمال ؟ هل يقدر الايمان أن يخلصه ؟ ان كان أخ
واخت عريانين ، ومعتازين للقوت اليومي . فقال لهما أحدهم : امضيا
بسلام استدفئا واثبعا . ولكن لم تعطوهما حاجات الجسد . فما المنفعة ؟
هكذا الايمان أيضا ان لم يكن له أعمال : ميت في ذاته .

لكن يقول قائل : أنت لك ايمان . وأنا لى أعمال . أرني ايمانك
بدون أعمالك ، وأنا أريك بأعمالي ايماني ؟ أنت تؤمن أن الله واحد
حسنا تفعل . والشياطين يؤمنون ويقتسمرون . ولكن هل تريد أن تعلم
أيها الانسان الباطل : أن الايمان بدون أعمال ميت ؟

الم يتبرر ابراهيم أبونا بالأعمال ؟ إذ قدم اسحق ابنه على المذبح ،
فترى أن الايمان عمل مع أعماله . وبالأعمال أكمل الايمان . وتم الكتاب
القائل : فآمن ابراهيم بالله فحسب له برا ودعى خليل الله (١٦) . ترون
إذا أنه بالأعمال يتبرر الانسان ، لا بالايمان وحده . كذلك راحب
الزانية (١٧) أيضا أما تبررت بالأعمال إذ قبلت المرسلين وأخرجتهم في
طريق آخر .

لأنه كما أن الجسد بدون روح ميت ، هكذا الايمان أيضا بدون
أعمال ميت « (يعقوب ٢ : ١٠ - ٢٦)

وفى الأصحاح الرابع من رسالة بولس الى أهل غلاطية يقيم دليلين
من التوراة على أن بركة نسل ابراهيم مصروفة الى من يؤمن بالمسيح
ربا والها . فقد عقد مقارنة بين ديار العرب سكنى بنى هاجر وبين
أورشليم سكنى بنى سارة ، وخلص من المقارنة الى أن نسل الامراتين
الجارية والحرّة ، كان واقعا تحت العبودية . الى أن جاء عيسى المسيح ،
وأصبحت مملكته روحية على قلوب المؤمنين به . لأن الموعد — عنده — لابراهيم
كان بالروح وقد تحقق بمجىء عيسى — عليه السلام — ثم بين أن اسماعيل
جاء من الجسد ، أى بالرغبة الجنسية الطبيعية من ابراهيم نحو هاجر ،
أما اسحق فقد جاء بوعد من الله .

ولقد فات بولس أن اسماعيل جاء بالوعد كما جاء اسحق . فان
ابراهيم لما قال لله انك لم تعطنى نسلا وسيرننى الدمشقى العازر قال
له : لن يرثك العازر الدمشقى بل الذى سيخرج من أحشائك هو يرثك .

(١٦) « ودعى خليل الله » : عبارة زائدة عما فى التوراة العبرانية
الحالية . وهذا يعنى أن التوراة التى اقتبس منها يعقوب غير هذه
التوراة المتداولة .

(١٧) قصتها فى الأصحاح الثانى من سفر يشوع .

— كما فى الأصحاح الخامس عشر من سفر التكوين — وبعد هذا الوعد
انجبت هاجر اسماعيل . وأن ملاك الله بشر هاجر باسماعيل من قبل
ولادته — كما فى الأصحاح السادس عشر من سفر التكوين —

ولقد فات بولس أيضا أن نسل هاجر ، وإن كان نسل الجارية
لم يقع تحت العبودية كما وقع نسل الحرة ، وطبيعة بلاد العرب شاهدة
على ذلك ، فإنه لا يطعم فى احتلال أراضيها طامع لوعورة مسالكها
ولقسوة الحياة فيها . أما نسل الحرة فإنه هو الذى ذاق هوان العبودية
من كثيرين من المستعمرين . فقد أذلهم أهل بابل والمصريون والفرس
واليونان والرومان .

وفى سفر الأخبار الثانى تفاصيل غارة شنها العرب على «يهورام»
ملك اورشليم . ففيه ما نصه : « وأهاج الرب على يهورام روح الفلسطينيين
والعرب الذين بجانب الكوشيين ، فصعدوا الى يهوذا وافتتحوها ،
وسبوا كل الأموال الموجودة فى بيت الملك مع بنيه ونسائه أيضا ، ولم
يبق له ابن الياهو آحاز أصغر بنيه » (٢ أخ ٢١ : ١٦ — ١٧) ولم
يرفع عن بنى سارة ذل الرومان الا نبي الاسلام — ﷺ — من ولد
هاجر .

وسبق أن تحدثنا فى الدليل الثانى الذى أورده بولس . وبيننا أن
الأمر لابراهيم فى شأن الجارية هو عدم مساكنتها مع سارة ، لكن
حقوق الارث محفوظة . وقول بولس « فان ابن الأمة لا يرث مع ابن
الحررة » ينقضه نص التوراة « وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه
نسلك »

وأما عن الدليل الأول فهو من سفر أشعياء — وهو من أسفار
الأنبياء ، وأسفار الانبياء مرفوضة عند السامريين — ونصه هكذا :
« ترنمى أيها العاقر التى لم تلد ، أشيدى بالترنم أيتها التى لم تمخض
لأن بنى المستوحشة أكثر من بنى ذات البعل قال الرب . أوسعى مكان

خيمتك ولنيسط شقق مساكنك . لا تمسكى . أطلى اطنابك وشهدى
أوتادك . لأنك تمتدين الى اليمين ، وإلى اليسار ، ويرث نسلك أمما
ويعمر مدنا خربة . لا تخافى لأنك لا تخزين ، ولا تخجلى لأنك لا تستحين .
فانك تنسين خزى صباك ، وعار ترمك لا تذكرينه بعد .

لأن يعلك هو صانعك ، رب الجنود اسمه ، وويلك قديوس اسرائيل .
إله كل الأرض يدعى ، لأنه كإبرآة مهجورة ، ومجزونة الروح ، دعاك
الرب . وكزوجة الصبا اذا رذلت قال اليك .

لحظة تركتك ، ويبراجم عظيمة ساجمعك . بفيضان الغضب
حجبت وجهى عنك لحظة ، وباحسان أبدى أرحمك قال وليك الرب .
لأنه كمياه نوح هذه لى . كما حلفت أن لا تعبر بعد مياه نوح على
الأرض هكذا حلفت أن لا أغضب عليك ولا أزجرك . فان الجبال تزول
والاكام تتزعزع . اما احسانى فلا يزول عنك وعهد سلامى لا يتزعزع قال
راحمك الرب .

أيتها الذليلة المضطربة غير المتعزية هانذا أبنى بالأثمىد حجارتك ،
وباليقاوت الزرق أوسسك ، وأجعل شركك ياقوتا ، وأبوابك حجارة
بهر مانية . وكل تخومك حجارة كريمة . وكل بنيك تلاميذ الرب وسلام
بنيك كثيرا . بالبر تثبتين . بعيدة عن الظلم فلا تخافين ، وعن الارتعاب
فلا يدنو منك . ها أنهم يجتمعون اجتماعا ليس من عندى ، من اجتمع
عليك فاليك يسقط . ها أنذا قد خلقت الحداد الذى ينفخ الفحم فى
النار ، ويخرج آلة لعمله . وانا خلقت المهلك ليخرب . كل آلة صورت
ضدك لا تنجح ، وكل لسان يقوم عليك فى القضاء تحكين عليه ، هذا
هو ميراث عبيد الرب وبرهم من عندى ، يقول الرب « (أشعيا ٥٤)

لقد تأكد بولس أن هذا الكلام يعنى مملكة أرضية . بقرائن كثيرة
منها : « ويرث نسلك أمما » لكنه نظر فوجد المملكة لأرضية لم يؤسسها
المسيح عيسى — عليه السلام — ووجد اليهود من بعده كفتهم لا راعى

لها . ووجد أورشليم مدوسة من كل جنود روما . وعلى ذلك فانه قد تاكد من أن الملكة التى تتحدث عنها هذه النبوءة ، لم تقم بعد . وعرف انها آتية من بعد عيسى حتما .

ولما كان هدفه مركزا بالضرورة على جعل عيسى هو صاحب هذه الملكة ، لجأ الى حيلة طريفة وهى : أن المسيح عيسى بن مريم أسس الملكة فعلا بالملك الروحى كالرؤى فى عالم الأحلام ، وأن أورشليم الارضية استبدلت بأورشليم السماوية .

وبولس باستشهاده بهذه النبوءة من سفر أشعيا يؤكد لنا أن النبوءة لم تكن قد تحققت من قبل عيسى عليه السلام .

والنزاع محصور بيننا وبينه فى من المراد بالمعاقر ؟ هل هى مكة ؟ أم أورشليم (القدس) ؟ وهو لا يريد مكة ولا أورشليم بالملك الأرضى المؤسس على صولجان وسلطان . وانما يريد أورشليم التى تأسست فيها مملكة روحية فى السماء .

وبيان ذلك :

المراد بالمعاقر : مكة المكرمة . لأنه لم يظهر فيها نبى من بعد ابراهيم واسماعيل — عليهما السلام — الى زمن نبى الاسلام — ﷺ وهى مدة تقدر بنحو الفين وخمسمائة وستين سنة تقريبا — على حسابهم — أما أورشليم ففيها كان يتلى كتاب موسى . وفيها كان أنبياء كثيرون جدا . وعبارة « بنى المستوحشة » تشير الى بنى اسماعيل فان فى التوراة عنه : « وانه يكون انسانا وحشيا » (تك ١٦ : ١٢)

وعبارة « بنى المستوحشة أكثر من بنى ذات البعل » تشير الى نسل اسماعيل فان هاجر أنجبت اثنى عشر ولدا . ولم تنجب سارة غير ولد واحد . و « بنى ذات البعل » اشارة الى سارة امراة ابراهيم . وعبارة « لأنك تمتدين الى اليمين والى اليسار ، ويرث نسلك أمما ويعمر مدنا خربة » . اشارة الى امتداد نفوذ اولاد اسماعيل الى جميع أمم الأرض

مصلحين لا مفسدين . وعبارة « لحيفة تركتك » تشير الى أن العرب ما أتاهم من نذير من قبل الاسلام . وعبارة « باحسان أبدى أرحمك » تشير الى أن الله لا ينزع رحمته من المسلمين . وعبارة « حلفت أن لا أغضب عليك ولا أزجرك » تشير الى أن الله لا يعذبهم وفيهم يتلى كتاب الله . وعبارة « هاأنذا أبني بالأثم حجارتك » تشير الى نعم الله التي سيفقدونها من فضله على أرض الحجاز .

وعبارة « كل بنيك تلاميذ الرب » تشير الى أن شعائر الدين الاسلامي ستكون لجميع المسلمين ، بعدما كان الدين في أمة بني اسرائيل قصرا على بني لاوي دون بقية الأسباط . وعبارة « بالبر تثبتين ، بعيدة عن الظلم فلا تخافين » اشارة الى ملك بني اسماعيل الثابت الى الأبد . وعبارة « من اجتمع عليك فاليك يسقط » اشارة الى أن الاسلام غالب لا مغلوب . وعبارة « هاأنذا قد خلقت الحداد لينفخ في النار » اشارة الى أنه في مجيء الاسلام ستكون حرب مدمرة يشنها بنو اسماعيل على بني اسرائيل ويقضون عليهم .

وعبارة « كل آلة صورت ضدك لا تنجح » اشارة الى أن من يقصد « مكة » بسوء يقصمه الله . وعبارة « كل لسان يقوم عليك في القضاء تحكمن عليه » اشارة الى أن شريعة الاسلام هي الحق الذي توزن به الأمور ، ويعرف به الصحيح من المفسد .

... ..

ويقول كثيرون من علماء بني اسرائيل : أن اسم (محمد) — ﷺ — في التوراة ، قد ورد في سياق بركة اسماعيل عليه السلام بحساب « الجبل » وقد ورد في سياق بركة اسماعيل ليعرف الناس أنه بظهوره يبدأ ملك بني اسماعيل — عليه السلام — كما عرفوا بدء ملك بني اسحق — عليه السلام — بظهور موسى .

قال هؤلاء العلماء : ان قول الله — عز وجل — لابراهيم : « وأما اسماعيل

فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه . وأثمه . وأكثره كثيرا جدا .
انثى عشر رئيسا يلد . وأجعله أمة كبيرة « (تكوين ١٧ : ٢٠) . قالوا :
ان « كثيرا جدا » في اللغة العبرانية : « بماد ماد » وأن « أمة كبيرة » في
اللغة العبرانية : « لجوى جدول » و « بماد ماد » بحساب الجمل :
تساوى حساب حروف « محمد » و « لجوى جدول » بحساب الجمل :
تساوى حساب حروف « محمد »

يقول العلامة شموئيل بن يهوذا بن أيوب — رحمه الله — الذي سمي
نفسه بعد اسلامه « السموهل بن يحيى » (١٨) فى كتابه « بذل المجهود
فى افحام اليهود » تحت عنوان : الاشارة الى اسمه ﷺ ما نصه :

« قال الله تعالى فى الجزء الثالث من السفر الأول من التوراة
مخاطبا لابراهيم الخليل عليه السلام : « وأما فى اسماعيل فقد قبلت
دعائك . قد باركت فيه . وأثمه ، وأكثره جدا جدا » ذلك قوله :
ولشيماعيل . شمعتيخا . هنى . بيراختى . أوتو . وهفريتى . أوتو .
وهربيتى . أوتو . بماد ، ماد » فهذه الكلمة « بماد ماد » اذا عددنا
حساب حروفها بالجمل . وجدناه اثنين وتسعين . وذلك عدد حساب
حروف (محمد) — ﷺ — فإنه أيضا : اثنان وتسعون . وانما جعل
ذلك فى هذا الموضوع ملغزا . لأنه لو صرح به لبدلته اليهود وأسقطته
من التوراة كما عملوا فى غير ذلك .

فان قالوا : انها يوجد فى التوراة عدة كلمات مما يكون حساب حروفه
مساويا لعدد حساب حروف اسم زيد وعمرو وخالد فيكونون أنبياء ؟

(١٨) هو الذى سمي بعد اسلامه : السموهل بن يحيى . ولد فى
مدينة « فاس » بأقصى المغرب ، وتوفى — رحمه الله — بالمرافة من أعمال
أذربيجان سنة ٥٧٠ هـ الف كثيرا من الكتب منها بذل المجهود فى افحام
اليهود . وقد تولى الرد عليه فيما نعلم ابن كمونة المتوفى ٦٨٣ هـ فى
« تفحيح الأبحاث فى الملل الثلاث » ومكتوب عنه فى : « رحلة بنيامين » تعليق :
عزرا حداد .

فالجواب : أن الأمر كما يقولون لو كان لهذه الآية أسوة بغيرها من كلمات التوراة . لكننا نقيم البراهين والأدلة على أنه لا أسوة لهذه الكلمة بغيرها في سائر التوراة . وذلك أنه ليس في التوراة من الآيات ما حاز به اسماعيل الشرف كهذه الآية . لأنها وعد من الله تعالى لإبراهيم بما يكون من شرف اسماعيل . وليس في التوراة آية أخرى مشتملة على شرف لقبيلة زيد وعمرو وخالد وبكر .

كما أنه ليس في هذه الآية كلمة تساوى (بما دماذ) التي معناها « جدا جدا » وذلك أنها كلمة المبالغة من الله — سبحانه وتعالى — فلا أسوة لها من كلمات الآية المذكورة . وإذا كانت هذه الآية أعظم الآيات مبالغة في حق اسماعيل وأولاده . وكانت تلك الكلمة أعظم مبالغة من باقى كلمات تلك الآية . فلا عجب أن تتضمن الإشارة الى أجل أولاد اسماعيل شرفا وأعظمهم قدرا : محمد — ﷺ — وإذ قد بينا أنه ليس لهذه الكلمة أسوة بغيرها من كلمات هذه الآية ، ولا لهذه الآية أسوة بغيرها من آيات التوراة ، فقد بطل اعتراضهم « (١٩) أ.هـ

و « شموييل » كما نرى يبين أن نص الآية من كلام الله — تعالى — وإنما جعل اسم محمد في هذا الموضع . مغلظا ، لأنه لو صرح به لبدلته اليهود وأسقطته من التوراة . ولم لا يقول شموييل : ان الله تعالى قد صرح به من قبل أن تغير التوراة . واليهود هم الذين غيرو الاسم الصريح بالرمز في مدينة بابل ليعرفوه هم أنفسهم إذا جاء ويسهل عليهم جحد نبوته إذا جاءهم بما لا تهوى أنفسهم ؟

والدليل على ذلك : أنهم لبسوا الحق بالباطل ، وحرفوا الكلم من بعد مواضعه . في آيات كثيرة . منها آيات ذبح الابن البكر الوحيد .

وابن كموثة الذى يرد على شموييل وغيره في نصوص النبوءات ،

تتصل من الرد عليه — مع أن حساب الجمل صحيح —
بقوله : « وأما ما استدل به صاحب كتاب « الانعام » بحساب الجمل ،
فهو أرك من أن يتكلم فيه . ومع ذلك . فاللفظ الذى قد كملت حروفه
بالجمل اثنين وتسعين قد ورد فى عدة مواضع فى غير حق اسماعيل ،
ولو فسرت الكتب النبوية بحساب حروفها بالجمل لخرجت النصوص
عن ظواهرها ولتوجه على المستشهد بها من الاعتراض أكثر مما يتوجه
له » (٢٠)

وابن كمونة لا شك فى انه يحرف الكلم عن مواضعه بالتأويلات
الفاسدة فان قوله : « اللفظ الذى قد كملت حروفه بالجمل اثنين وتسعين
قد ورد فى عدة مواضع فى غير حق اسماعيل » ينقضه الدليل . وكان يجب
عليه أن يأتى بأمثلة على وروده فى عدة مواضع فى غير حق اسماعيل .
خاصة وأن شموئيل الذى يرد عليه ابن كمونة قد أحسن عرض وجهة
نظره ولم يترك للمعترض مجالاً الا أن يأتى بأمثلة لنقض دعواه .

وحساب الجمل من الاهمية بمكان عظيم فى الأمم القديمة من قبل
ظهور الاسلام ، فلقد كان القدماء يكتبون الاعداد بالفاظ ، أو يعبرون
عنها بالاحرف الهجائية . وكان بنو اسرائيل على علم به ، ويتخاطبون
به فيما بينهم . بدليل أنه لما اشتد العداء بين العبرانيين والسامريين .
لجأ السامريون الى خلف أرقام الحروف الأبجدية حتى لا يكشف العبرانيون
أسرارها فى مدينة بابل . وبعد مدة ظهر من يهود المغرب خلف لارقام
الحروف كما فعل السامريون من قبل . ولقد اهتم النصرى أيضاً
بهذا الحساب ورمزوا به فى الانجيل الى شىء مهم عندهم اسمه (الوحش)
فى نهاية الاصحاح الثالث من سفر الرؤيا .

(٢٠) ص ٩٧ تنقيح الأبحاث

وفي كتب تفسير القرآن الكريم رأى يقول ان « ألم – المر – حم – طه – يس ... الخ » أشار الله بحروفها الى حساب الجمل هذا – وفي نظرنا أنه هو الصواب – ويعنى بها : أن دين الاسلام باق الى الأبد . وأنها من الاعجاز لهذا النبي الأُمى فإنه ما كان يكتب وما كان يحسب ، وعرف طريقة الحساب التي يتفاهم بها الناس في العالم وتشير الى اسمه المبارك . ولما كان من الثابت ان النبي كان أميا لا يعرف الكتاب ولا الايمان ، يثبت أن هذا القرآن من عند الله لفظا ومعنى .

ولقد رمز علماء بنى اسرائيل فى كتاب موسى الى اسم محمد – ﷺ – بكلمتين هما :

١ – (بماد ماد) ٢ – و (لجوى جدول) واننا لعلى ثقة من صحة ذلك ثقة تامة . لأننا لسنا القائلين بأن ذلك يشير الى اسم (محمد) بادىء ذى بدء ، وانما البادئون بهذا القول هم علماء بنى اسرائيل أنفسهم . ونحن ننقل ذلك عنهم . ولو لم يكن ذلك صوابا ما احتج به علماء بنى اسرائيل الذين أسلموا على اخوانهم ليهدوهم الى الرشاد ، ولو لم يكن ذلك صوابا ما كانوا يعمدون بالذات الى هاتين الكلمتين دون غيرهما من سائر كلمات التوراة أثناء الحديث عن بركة لاسماعيل . ولو لم يكن ذلك صوابا ما كانت تتفق وجهة نظر اليهود السامريين والعبرانيين من أسلم منهم ومن لم يسلم على أن « بماد ماد » و « لجوى جدول » يشيران الى الاسم المبارك . ولو لم يكن حساب الجمل له وزنه وقيمه ، ما اعتمد عليه النصارى أيضا .

... (000) ...

وهذا بيان بهذا الحساب :

حساب الجمل : هو الحساب بالحروف الأبجدية ، وطريقته تختلف

عند اليهود العبرانيين والسنسكريتيين ، وتختلف عند العبرانيين المشاركة والمقاربة (٢١) .

نعمند المشاركة يرمز اليه بالكلمات الآتية :

١ - ا ب ج د - ٢ هوز - ٣ حطى - ٤ كلمن - ٥ سغفص - ٦ قرشت -
٧ - شخذ - ٨ - ضنظخ .

وأرقام الحروف هكذا :

عند اليهود العبرانيين :

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
ا	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط	ي
١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠
ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص	ش	ت
٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠

عند اليهود السنسكريتيين :

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
ا	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط	ي
١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠
ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص	ش	ت
٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠

وانطبق الكلمتين « بباد ماد » و « لجوى جدول » على « محمد »

-- هـ هـ -- هكذا :

(٢١) انظر : مجلة الأزهر عدد مايو سنة ألف وتسعمائة وثلاثة وسبعين من الميلاء ، فى طريقة المشاركة والمقاربة .

أولاً : الباء في « بهاد ماد » تساوي اثنان ، والميم أربعون ، والألف واحد ، والمدال أربعة . والميم — الثانية — أربعون ، والألف واحد ، والمدال أربعة . فالمجموع يساوي ، اثنان وتسعون . والميم في « محمد » تساوي أربعون ، والحاء ثمانية ، والميم — الثانية — أربعون ، والمدال أربعة . فالمجموع يساوي : اثنان وتسعون . اذن « بهاد ماد » تشير الى « محمد » النبي سيأتي من نسل اسماعيل لتبدأ من وجوده بركة ابراهيم في الأمم ، لتساوي مجموع الكلمتين .

ثانياً : اللام في « لجوى جدول » تساوي ثلاثون ، والجيم ثلاثة ، والواو ستة ، والياء عشرة ، والجيم — الثانية — ثلاثة ، والمدال أربعة ، والواو ستة ، واللام ثلاثون . فالمجموع يساوي : اثنان وتسعون . اذن « لجوى جدول » تشير الى « محمد » ﷺ

وعند المغاربة يرمز اليه بالكلمات السابقة ، مع اختلاف في الترتيب هكذا :

١ — أبجد ٢ — هوز ٣ — حطى ٤ — كلن ٥ — صغفض ٦ — قرست ٧ — ثخذ ٨ — ظفش .
وأرقام الحروف هكذا ..

٢٠ = ك	٨ = خ	٥ = هـ	١ = ا
٣٠ = ل	٩ = ط	٦ = و	٢ = ب
٤٠ = م	١٠ = ي	٧ = ز	٣ = ج
٥٠ = ن			٤ = هـ
٨٠٠ = ظ	٥٠٠ = ث	١٠٠ = قى	٦٠ = ص
٩٠٠ = غ	٦٠٠ = ح	٢٠٠ = ر	٧٠ = ع
١٠٠٠ = ش	٧٠٠ = ذ	٣٠٠ = س	٨٠ = ف
		٤٠٠ = ت	٩٠ = ض

وينتج عن اختلاف المشاركة والمغاربة :

- ١ — الصاد في المشرق ٩٠ وفي المغرب ٦٠٠
- ٢ — الضاد في المشرق ٨٠٠ وفي المغرب ٩٠

- ٣ — السين في المشرق ٦٠ وفي المغرب ٣٠٠
 ٤ — الظاء في المشرق ٩٠٠ وفي المغرب ٨٠٠
 ٥ — المعين في المشرق ١٠٠٠ وفي المغرب ٩٠٠
 ٦ — الشين في المشرق ٣٠٠ وفي المغرب ١٠٠٠

هذا هو الذي ذكره الكاتب في مجلة الأزهر . ونبين ما يلي :

ان الكلمتين ١ — تخذ ٢ — ضغط . ليستا من الحروف العبرانية .
 فان الحروف العبرانية تنتهي عند حرف التاء . والأرقام عند العبرانيين
 تنتهي عند رقم ٤٠٠ .

وفي اللغة العبرانية ستة احرف تنطق على نطتين وهذه الاحرف هي :
 ١ — الباء ٢ — والجيم ٣ — والذال ٤ — والكاف ٥ — والفاء
 (فاء ثقيلة) ٦ — والتاء . هؤلاء ينطقون اذا خلا الحرف العبراني من النقطة
 على هذا النحو : ١ — فاء ٢ — غين ٣ — ذال ٤ — خاء ٥ — غاء
 (فاء خفيفة) ٦ — ثاء (٢٢)

وينطقون الحروف الأبجدية هكذا : أليف — بيت — جمل — غمل —
 دالت — هيه — فاف — زابن — حيت — طيت — يود — كاف — خاف —
 لذ — مم — نون — سمخ — عاين — بيه — فيه — صدق — او (صادى) —
 توف — ريش — شين — سين — تاف .

وطريقة هذا الحساب عند اليهود السامريين هكذا :

٨ = ح	٥ = هـ	١ = أ
٩ = ط	٦ = ز	٢ = ب
١٠٠ = ي	٧ = ز	٣ = ج
		٤ = د
٥٠٠ = ق	٢٠ = س	٢٠٠ = ك
٦٠٠ = ر	٣٠ = ع	٣٠٠ = ل
٧٠٠ = ش	٤٠ = ف	٤٠٠ = م
٨٠٠ = ت	٩٠٠ = ص	٥٠ = ن

(٢٢) ص ٦٠ الكنز في قواعد اللغة العبرية .

يقول أبو الفتح بن أبي الحسن السامري : « قام سنبلط الليواني ، وحزقوية الامام ورتبوا حروف ا ب ج على غير ترتيبها ... واذا اعتبرت الحرف وما جعل عوضه في الجملة ، تجده من الألف الى المطاء عشرة عشرة ، خلا الهاء مع النون خمسة وخمسين ، ومن الياء الى الصاد : مائة مائة . خلا النون مع الهاء : خمسة . وخمسين . ومن القاف الى التاء : خمس مائة خمس مائة ، وكتب سنبلط وجماعته كتابا الى أنى شروان الملك بهذا الترتيب » (٢٣) .

ولاهمية هذا الحساب استخدمه الشعراء في التاريخ بالشعر وكانوا يؤرخون على طريقة العبرانيين المشاركة ، وهذا مثل للايضاح :

بعدها تم تأليف كتاب « المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الانجيل » قرظه الشيخ عبد الصمد أحمد الحسيني السنان فكان مما قال .

فاغتنيه أخا الحجا واتخذهُ لارتداع الخصوم سيفا صقيلا
وبه فاحتقل أخى وأرخ ها هو الطبع حسن التخجيلا
٦ ١١ ١١٢ ١١٨ ١٠٧٥

ه = ٥ ، ا = ١ ، ه = ٥ ، و = ٦ الخ المجموع = ١٣٢٢ فتكون سنة ١٣٢٢ هجرية هي سنة تأليف الكتاب .

وما يزال هذا الحساب مستخدما لدى اليهود العبرانيين والسامريين الى الآن . فقد حكى مؤلف كتاب « ثورة الاسلام وبطل الأنبياء » أنه « في ٢١ أغسطس سنة ١٩٣٣م نشر العالم المحقق المرحوم أحمد زكي باشا المشهور بتدقيقه وسعة اطلاعه قبل وفاته بعام (٤ يوليو سنة ١٩٣٤م) في جريدة البلاغ أنه استطاع أن يصل الى نسخة قديمة من التوراة ذكر فيها اسم

(٢٣) ص ٧٣ التاريخ مما تقدم عن الآباء .

محمد رسول الله ، وروى أن شلبي السامري من طائفة (السمرة) (٢٤)
 عنده نسخة من التوراة منقولة عن أقدم نسخة من التوراة تحتفظ بها طائفة
 السامريين المتوطنة في مدينة نابلس ، فاشتراها المرحوم نور الدين بك
 مصطفى ، وأن زكي باشا ذهب الى جبل جرزيم بنابلس في سنة ١٩٢٢ .
 واجتمع بشلبي سامري ، وبكبير كهنة الطائفة اسحاق بن عمران ، وهي
 التي أشار اليها أحمد باشا . وقد رآها شاهد عيان ، ووصفها بأنها مجلد
 يحتوي ٦١٥ صفحة من قطع الورق الصغير ، وأن الله أمر الناس بالعمل
 بها ، ولم يبق من يعمل بها الى اليوم سواهم وأنهم وحدهم على الحق ،
 أما غيرهم فعلى خلاف ذلك ، وهم في نظريهم أجناس ومجنونون .
 فالسامريون لا يتناولون منهم شيئا الا الماء

وفي الصفحة الأخيرة من هذا المجلد ما يأتي :

« كان النجاشي من كتابت (٢٥) هذه التوراة المقدسة في نهار الأحد
 الموافق الى أربعة خلعت من شهر صفر الخير من شهر سنة ١٣٢٠ عربية
 الذي هو الشهر الثاني عندنا الموافق الى خمسة عشر من الخماسين
 المفروض عددهم على بني اسرائيل . على يد عبده وابن عبده : اسحق
 ابن عمران ابن سلامة بن غزال بن اسحق بن ابراهيم كهنة (كاهن)
 هلتوى بشكم (٢٦) عنى الله عنه ، وغفر له ، ولن علمه . آمين ، وسلام
 الله على من هو سيد الأولين والآخرين (٢٧) . آمين آمين » .

وكل صفحات الكتاب مكتوبة بلغة عربية ، وقد تخللتها كتابات باللغة
 السامرية . ومن هذه العبارات جملة في الاصحاح السابع عشر ، أي
 في الصفحة الـ ٣٩٦ من الكتاب . وقد كتب الكاهن السامري الأعظم بخط
 يده على هامشها عبارات رتبها كما يأتي :

- (٢٤) من اليهود السامريين .
- (٢٥) هكذا بدون تاء مزبوظة .
- (٢٦) شكيم (نابلس) .
- (٢٧) يقصد موسى عليه السلام .

بماد ماد اى محمد
 اى جدا جدا
 لمجوى جدول
 ٤٠٠ ٤ ٣

اى شعبا عظيما

اى محمد

٩٢

ثم وضع فى ذيلها الجملة الآتية :

« انظريا زكى . كيف أن الله فى كل كلمة من كلامه تعالى فيها اسرار مدهوجة ، وآيات عظيمة ؟ حرره العبد الفقير اسحق الكاهن السامرى » (٢٨) ا. ه .

وقد تعجب مؤلف الكتاب من تلك الرموز وتفسيرها هكذا :

ب = ٢ ، م = ٤٠ ، ا = ١ ، د = ٤ ، م = ٤٠ ، ا = ١ ، د = ٤ المجموع = ٩٢
 = و م = ٤٠ ، ح = ٨ ، م = ٤٠ ، د = ٤ المجموع = ٩٢
 ويلاحظ أن اسحق الكاهن السامرى أكد كلام الحبر الذى نقل عنه الامام القرطبي صاحب الاعلام . وسيأتى كلامه . واعتبر الغين عند اليهود فى مقام الجيم ، وحسب على الجيم ولم يحسب على الغين ، ثم ذكر الرقم ٤٠٠ وهو رقم الميم عند يهود السامرة كما أسلفنا نقلا عن أبى الفتح ورقم ٣ للجيم ، ورقم ٤ للدال و « لمجوى جدول » عبرانية تعنى فى العربية « شعبا عظيما » أو « أمة كبيرة » « وبماد ماد » عبرانية تعنى فى العربية « جدا جدا » أو « كثيرا جدا » .

وعبد السلام كان من أبحار اليهود العبرانيين ، ثم أسلم فى عهد

(٢٨) ص ٣١٩ — ٣٢٠ ثورة الاسلام وبطل الأنبياء .

السلطان المرحوم بايزيد خان ، وصنف رسالة صغيرة ، سماها بالرسالة الهادية . فقل فيها « ان أكثر أدلة أحبار اليهود بحرف الجمل الكبير ، وهو حرف أبجد ، فان أحبار اليهود حين بنى سليمان النبي — عليه السلام — بيت المقدس اجتمعوا ، وقالوا يبقى هذا البناء أربعمئة وعشرة سنين ، ثم يعرض له الخراب . لأنهم حسبوا لفظة بزات » .

ثم قال « واعترضوا على هذا الدليل بأن الباء فى « بماد ماد » ليست من نفس الكلمة بل هى أداة وحرف جىء به للمصلة (٢٩) ، فلو أخرج منه اسم محمد لاحتاج الى باء ثانية ويقال : « بمبا ماد » قلنا : من المشهور عندهم : اذا اجتمع الباءان أحدهما أداة ، والآخر من نفس الكلمة . تحذف الأداة وتبقى التى هى من نفس الكلمة ، وهذا شائع عندهم فى مواضع غير معدودة فلا حاجة الى ايرادها « انتهى كلامه بلفظه . ولو كان حساب الجمل عندهم لا قيمة له ما احتج به الحبر عبد السلام . وما كان يكون الاعتراض منهم على الباء بل على الانكار التام لهذا الحساب .

وقال الامام القرطبى فى كتابه : « الاعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام » : « وقد تفتن بعض النبهاء ممن نشأ على لسان اليهود ، وقرأ بعض كتبهم . فقال : فى التوراة موضعان يخرج منهما اسم محمد — ﷺ — بالعدد ، على ما تستعمله اليهود فيما بينهم . الأول : قوله : « جدا جدا » بتلك اللغة : « بماد ماد » وعدد هذه الحروف : اثنان وتسعون ، لأن الباء : اثنان . والميم : أربعون . والألف : واحد . والمدال : أربعة . والميم الثانية : أربعون . والألف : واحد . والمدال : أربعة . وكذلك الميم من محمد : أربعون . والحاء : ثمانية . والميم : أربعون . والمدال : أربعة . والثانى : قوله : « لشعب عظيم » بتلك اللغة « لغوى غدول » فاللام عندهم : ثلاثون . والغين : ثلاثة ، لأنها عندهم فى مقام الجيم ، والواو : ستة . والياء : عشرة . والغين أيضا : ثلاثة .

(٢٩) أى حرف من حروف الجر .

والدال : أربعة . والواو : ستة . واللام : ثلاثون . فمجموع هذم أيضا : اثنان وتسعون . وهذا من رشيق الفهم وملح البحث وغرائب العلم (٣٠) « أ.هـ.

وقد اطلعت بنفسى على النص الذى اعتمد عليه هؤلاء النبهاء الذين أشار اليهم القرطبى ، فوجدت ترجمته هكذا :

« وليشماعيل شمعتيخا . هنى بيراختى . أوتو وهفريقتى . أوتو وهريبتى . أوتو بهاد ماد . اثنينم عشر انسييم . يوليد . ونقتيو . لجوى . جدول « (٣١) ووجدت الأبجدية العبرانية تنطق الجيم غينا اذا لم يضعوا نقطة وسط الجيم الذى يسمى عندهم « جمل » يكسر الجيم . والجيم والفين عندهم برقم واحد هو رقم ثلاثة . وحساب الأعداد الذى ذكره هؤلاء صحيح (٣٢) .

والنصارى يعترفون بحساب الجمل كما يعترف به اليهود ، فى سفر رؤيا يوحنا اللاهوتى ما نصه : « هنا الحكمة . من له فهم ، فليحسب عدد الوحش فانه عدد انسان ، وعدده ستمئة وستة وستون « (رؤيا ١٣ : ١٨) وحساب لفظ « الوحش » على طريقة المشاركة يساوى ٣٤٦ وعلى طريقة المغاربة ١٠٤٦ وعلى طريقة السامريين ١٠١٥ وعلى ذلك فاما أن يكون لهم طريقة خاصة . واما أن الكاتب يرمز به الى شىء يعرفونه هم أنفسهم ولا يعرفه غيرهم .

يقول الدكتور وليم أدى الأمريكانى « ست مئة وستة وستون » فى الأصل اليونانى ثلاثة أحرف معناها : ست مائة وستة وستون

(٣٠) الاعلام للقرطبى . مخطوط من تركيا — له صورة فى معهد المخطوطات العربية .

(٣١) من التوراة بالخط العبرانى — انظر ثبت المراجع .

(٣٢) الكنز فى قواعد اللغة العبرانية صفحة ٥٥ .

وليس هذه الأحرف كلمة تفيد معنى ، بل كل منها يشير الى عدد .
فالأحرف الأول من اليسار الى اليمين يشير الى العدد ستمائة ، والحرف
الثاني الى ستين ، والحرف الثالث الى ستة . والثلاثة معا تشير الى
٦٦٦ ولا يخفى أن الأرقام الهندية المستعملة اليوم في الحساب هي من
القرن الرابع عشر ، وكان القدماء يكتبون الأعداد بألفاظ أو يعبرون عنها
بالأحرف الهجائية .

ويقول البعض : ان المشار اليه بالعدد ستمائة وستة وستون
هو نيرون القيصر الذي كان امبراطورا في أيام بولس الأخيرة ، واشتهر
بقتلواؤه . ومقاومته للمسيحيين ، وفي طبيعه وأعماله كان مثل وحش .
ويبنون رأيهم على أن الأحرف العبرانية التي تجتمع في اللفظتين : نيرون
القيصر ، تنطبق على العدد ٦٦٦ لأن كل حرف يفيد عددا ، وإذا جمعت
هذه الأعداد يكون المجموع ٦٦٦ والاعتراض على هذا الرأي : هو أنه مبنى
على الأحرف العبرانية مع أن اللغة اليونانية هي لغة العهد الجديد .

ويقول غيرهم : ان الاسم المشار اليه : لاتينوس ، أى الملكة
الرومانية بالاجماع ، ويبنون رأيهم على أن الأحرف اليونانية ، المركبة منها
كلمة لاتينوس . اذا جمعت أعدادها ، يبلغ مجموعها ٦٦٦ وهذا الرأي
أفضل من الأول لانه يستعمل أحرفا يونانية ، وليسيت أحرفا عبرانية ،
والكلمة لاتينوس : تشير الى نيرون وغيره من ملوك رومية الذين تكلموا
باللغة اللاتينية . وتشير أيضا الى القوة الروحية التي كانت تضطهد
الكنيسة اللاتينية التي تستعمل اللغة اللاتينية الى اليوم (٣٣) «

واذ قد صح ما ذكرناه عن اليهود والنصارى في حساب الجمل ،
فان ما رواه برنابا عن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام من انه صرح باسم

(٣٣) ص ١٠٥ - ١٠٦ ج ٥ الكنز الجليل .

محمد ﷺ يكون صحيحا . وبيان ذلك : أن « بهاد ماد » لما كانت دالة على اسم محمد ، الآتى من بنى اسماعيل لتبدأ بركة اسماعيل به فى الأمم ، وكذلك « لجوى جدول » وأن المسيح كان يفسر ما فى التوراة عن النبى المنتظر لعلماء بنى اسرائيل . فهما لا جدال فيه : أن المسيح قد نطق باسم محمد كتفسير لبهاد ماد ولجوى جدول . وهو يحكى عن بركة اسماعيل لعلماء بنى اسرائيل .

ومن كلامه عليه السلام :

« صدقتى يا برنابا . أن الله يعاقب على كل خطيئة مهما كانت طفيفة ، عقابا عظيما لأن الله يغضب من الخطيئة . فلذلك لما كانت أمى وتلاميذى الأبناء الذين كانوا معى أحبونى قليلا حبا عالميا ، أراد الله البر أن يعاقب على هذا الحب بالحزن الحاضر ، حتى لا يعاقب عليه بلهب الجحيم . فلما كان الناس قد دعونى الله وابن الله ، على أنى كنت بريئا فى العالم ، أراد الله أن يهزأ الناس بى فى هذا العالم بموت يهوذا ، معتقدين أننى أنا الذى مت على الصليب لكيلا تهزأ الشياطين بى فى يوم الدينونة . وسيبقى هذا الى أن يأتى محمد رسول الله . الذى متى جاء كشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله » (بر ٢٢٠)

ولقد جاء فى الكتب الاسلامية القديمة ما يدل على اهمية هذا الحساب عند الريانيين والأخبار من بنى اسرائيل . فقد روى محمد بن اسحق بن يسار صاحب المغازى قال : حدثنى الكلبي عن أبى صالح ، عن ابن عباس عن جابر ابن عبد الله بن رباب قال : « مر أبو ياسر بن أخطب فى رجال من يهود برسول الله - ﷺ - وهو يتلو فاتحة سورة البقرة « ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه » فأتى أخاه حبي بن أخطب فى رجال من اليهود ، فقال :

تعلمون والله لقد سمعت محمدا يتلو فيما أنزل الله تعالى عليه « ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه » فقال : أنت سمعته ؟ قال : نعم . قال : فمشى

حتى بن أخطب في أولئك الثغر من اليهود إلى رسول الله — ﷺ — فقالوا :
يا محمد ألم يذكر أنك تتلو فيما أنزل الله عليك « ألم . ذلك الكتاب » ؟
فقال رسول الله — ﷺ — : « بلى » فقالوا : جاءك بهذا جبريل من
عند الله ؟ فقال : « نعم » قالوا : لقد بعث الله قبلك أنبياء . ما نعلمه
بين لنبي منهم . ما مدة ملكه ؟ وما أجل أمته ؟ غيرك فقام حتى بن أخطب ،
وأقبل على من كان معه فقال لهم : الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم
أربعون . فهذه إحدى وسبعون سنة . أفنتدخلون في دين نبي إنما
مدة ملكه ، وأجل أمته : إحدى وسبعون سنة ؟

ثم أقبل على رسول الله — ﷺ — فقال يا محمد . هل مع هذا
غيره ؟ فقال : نعم . قال : ما ذاك ؟ قال « المص » قال : هذا أثقل وأطول .
الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون . والصاد تسعون .
فهذه إحدى وثلاثون ومائة سنة . هل مع هذا يا محمد غيره ؟ قال : نعم
قال : ماذا ؟ قال « المر » قال : هذا أثقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام
ثلاثون ، والراء مائتان فهذه إحدى وثلاثون ومائتا سنة . فهل مع هذا
يا محمد غيره ؟ قال : نعم . قال : ماذا ؟ قال « المر » قال : هذا
أثقل وأطول . الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والراء
مائتان . فهذه إحدى وسبعون ومائتان . ثم قال : لقد لبس علينا أمرك
يا محمد ، حتى ما ندري أقلبها أم كثرها ؟ ثم قال : قوموا عنه .
ثم قال أبو ياسر لأخيه حتى بن أخطب ولئن معه من الأخبار : ما يدريكم
لعله قد جمع هذا لمحمد كله ؟ : إحدى وسبعون ، وأحدى وثلاثون ومائة ،
وأحدى وثلاثون ومائتان ، وأحدى وسبعون ومائتان . فذلك سبعمائة
وأربع ستين فقال : لقد تشابه علينا أمره « (٣٤) أ.هـ



(٣٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير — سورة البقرة .
وفي تفسير فخر الدين الرازي : « اشتبه علينا أمرك كله ، فلا ندري
أبا لتليل نأخذ أم بالكثير ؟ فذلك قوله تعالى : « هو الذي أنزل عليك الكتاب »
وهذا الرأي المذكور في مدة أقوام وآجال آخرين أ.هـ ، وعندى : أنه هو
الصواب .

وفي القرآن الكريم . يصرح الله عز وجل بأن سكنى اسماعيل — عليه السلام — كانت في « مكة المكرمة » وبأن الذبيح كان هو اسماعيل — عليه السلام — وبأن الله عز وجل قد استجاب دعاء ابراهيم — عليه السلام — في طلبه البركة في نسل اسماعيل . وبهذا التصريح تكون نبوءات التوراة عن بركة اسماعيل متطابقة تمام المطابقة مع القرآن الكريم . وهذه نصوص من القرآن الكريم في هذا الشأن :

يقول ابراهيم عز وجل : « ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع ، عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم ، وأرزاقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » (ابراهيم ٣٧) . « من ذريتى » تعنى : بعض اولاده ، وهم اسماعيل ، ومن ولد منه . دليل : « واذا يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ، ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك . ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا ، وتب علينا انك أنت الثواب الرحيم ، ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم » (البقرة ١٢٧ — ١٢٩)

وقد استجاب الله هذا الدعاء ، وبعث فيهم نبي الاسلام — ﷺ — لقوله : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين ارعوف رحيم » (التوبة ١٢٨) وصرح بأن اسمه محمداً في قوله تعالى : « ما كان محمداً ابا أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين » (الأحزاب ٤٠)

ولو كان « محمد » خاتم النبيين — ﷺ — كاذبا في دعوى النبوة ، لكان ظلما لنفسه ظلما بينا ولو كان ظلما لنفسه ما قال عنه الله تعالى : « ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ، أو قال : أوحى الى ولم يوح اليه شيء » (الأنعام ٩٣) وما بقى ملكه ، ولا دامت دعوته ، لأنه أخبر عن الله تعالى : « ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ،

ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحد عنه حاجزين » (الحاقه ٤٤ — ٤٧) ولأن في الانجيل هذا النص : « ان كان هذا الرأى ، او هذا العمل من الناس فسوف ينتقض . وان كان من الله فلا تقدر ان تنتقضوه » (أعمال ٥ : ٣٨ — ٣٩) ودعوة محمد — ﷺ — لم تنتقض . ولن تنتقض . لأنها من الله .

هذا عن سكنى اسماعيل وبنيه ، وقبول دعاء الله لابراهيم فى اسماعيل . وأما عن الذبيح :

١ — يقول تعالى حاكيا عن ابراهيم : « وقال : انى ذاهب الى ربى سيهدين . رب هب لى من الصالحين ، فبشرناه بغلام حليم ، فلما بلغ معه السعى ، قال : يا بنى انى أرى فى المنام انى اذبحك . فانظر ماذا ترى ؟ قال : يا أبت افعل ما تؤمر . ستجدنى ان شاء الله من الصابرين . فلما أسلما وتله للجبين ، وناديناه : ان يا ابراهيم . قد صدقت الرؤيا . انا كذلك نجزى المحسنين . ان هذا لهو البلاء المبين ، وفديناه بذبح عظيم ، وتركنا عليه فى الآخريين ، سلام على ابراهيم . كذلك تجزى المحسنين . انه من عبادنا المؤمنين . وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين (٣٥) . وباركنا عليه وعلى اسحق ، ومن ذريتهما : محسن ، وظالم لنفسه مبين » (الصافات ٩٩ — ١١٣)

تبيين الآيات الكرييات : أن الله — عز وجل — وهب لابراهيم عليه السلام مولودا على الكبر بعد هجرته من العراق الى بلاد الشام لقوله : « فبشرناه

(٣٥) وقوله تعالى : « واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادقا الوعد » اذا كان على معنى مصدوق الوعد ، فانه يكون من الآيات المتطابقة مع القرآن فى بركة اسماعيل . ذلك لأن كل الأنبياء كانوا اذا وعدوا صدقوا ، فلماذا خص اسماعيل من دونهم بصدق الوعد ؟ ومعنى مصدوق الوعد : أن الله تعالى وعد ابراهيم أباه بأن تتبارك فى ذريته الأهم ، أى يجعل فيهم ملكا ونبوة ، فوفى بما وعد وصار فى نسله الملوك ، لما جاء من نسله النبى محمد ﷺ (تكوين ١٧ : ٢٠)

(انظر فى اسم الفاعل ص ٢٤٦ ج ١ حاشية البنانى على شرح جمع الجوامع) .

بغلام حلیم» وهو اسماعیل . ويعد ولادته بأربعة عشر عاماً — كما تقول التوراة — ولد لإبراهيم اسحق ، فقد بينت أن الله وهب له مولوداً آخر اسمه اسحق في قوله « وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين » وعلى الولدين الصالحين : ١ — اسماعيل المبشر به أولاً ٢ — واسحق المبشر به ثانياً ، حلت بركة الله — عز وجل — لقوله : « وباركنا عليه ، وعلى اسحق » وقد تحققت البركة فيهما . فظهر من بنى اسحق نبي صاحب شريعة الالهية هو موسى — عليه السلام — وظهر من بنى اسماعيل نبي صاحب شريعة الالهية هو محمد — ﷺ — ومن الولدين الصالحين ستثنياً ذرية منها المحسن لنفسه والمسيء . ولو كان المبشر به ثانياً هو نفسه المبشر به أولاً ، لما أتى بالواو في « وبشرناه » التي نفيذ المغايرة بين المبشر به أولاً ، والمبشر به ثانياً .

٢ — وان الله عز وجل بشر ابراهيم باسحق في قوله « وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين » بعد قصة الذبيح فكيف يأمره بذبحه ، وقد وعده بأن يكون نبيا .

فان الله — عز وجل — بشر ابراهيم باسحق عن طريق الملائكة ، وفي نفس الوقت أخبر بأن اسحق سيتزوج وينجب يعقوب ، فلو كان اسحق هو الذبيح لكان خلفاً للموعد في يعقوب ، لأنه ما كان قد ولد بعد ، يقول عز وجل : « وامرأته قائمة . فضحكت . فبشرناها باسحق . ومن وراء اسحق يعقوب » (هود ٧١)

٣ — وقد وصف الله اسماعيل بالصبر ، وبصنق الموعد ، وهما صفتان مناسبتان لحالة الذبيح ، فقال تعالى : « واسماعيل وادريس ، وذا الكفل كل من الصابرين » (الأنبياء ٨٥) وقال تعالى « واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الموعد ، وكان رسولا نبيا » (مريم ٥٤)

٤ — وقد وصف الله اسماعيل بالحلم ، ووصف اسحق بالعلم . يقول

تعالى : « هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين ؟ إذ دخلوا عليه ،
مقاتلوا : سلاها . قال سلام . قوم منكرون . فراغ الى أهله فجاء بعجل
سمين . فقربه اليهم . قال : إلا تأكلون ؟ فأوحس منهم خيفة . قائلوا : لا نخف
وبشروه بسلام عليم » (المذاريات ٢٤ - ٢٨) وهذا السلام العليم هو
اسحق ، ولما كان هو النبي لقال بسلام عليم ، كما هو وصف النبي
في سورة اصافات .

الفصل الثاني

في

شيلون

تمهيد :

حينما حضر يعقوب الموت جمع أولاده الاثنى عشر حوله وباركهم وأوصاهم . وأخبرهم بما يصيبهم في مستقبل الأيام . وقال لهم في شخص يهوذا ابنه الرابع : « لا يزول قضيب من يهوذا . ومشرق من بين رجله حتى يأتي شيلون . وله يكون خضوع شعوب » (التكوين ٤٩ : ١٠) . وقد فسر النصارى هذا النص بقولهم : لا يزول الملك من بني إسرائيل . ولا تنسخ شريعة التوراة ، حتى يأتي المسيح ، وتخضع له الشعوب خضوعاً روحياً ، كخضوع التلاميذ للمدرس . واليهود العبرانيون يفسرون هذا النص بقولهم : لا يزول من الحياة سبط يهوذا حتى يملك على مدينة شيلوه في أرض فلسطين . ويقولون قد تحققت النبوءة في شخص داود — عليه السلام — فإنه من سبط يهوذا وقد ملك على مدينة « شيلوه » سنة ١٠٥٧ ق.م واليهود السامريون يفسرون النص بمجيء سليمان — عليه السلام — .

نريد أن نبين هنا :

أن كاتب التوراة قد حرف الكلم من بعد مواضعه ، فوضع النبوءة تحتل معنيين هكذا :

١ — وضع كلمة عبرانية تترجم أ — بالقضيب ب — وبالسبط

٢ — ووضع كلمة عبرانية تترجم أ — باسم قرية شيلون ب — وصفة

لشخص . ويكون المعنى ١ — لا يزول الملك من اليهود . والشريعة
يعمل الناس بها في ظل ملك بنى اسرائيل ، حتى يأتي النبي المنتظر
نبي الأمان والسلام ٢ — لا يزول من الحياة سبط يهوذا والشريعة يعمل
الناس بها في ظل الملوك من سبط يهوذا ، حتى يملك السبط على مدينة
شيلون .

ونريد أن نبين : أن هذه النبوءة لنبي الاسلام — ﷺ — لثبوت
بركة في نسل اسماعيل — عليه السلام — .

« النص » :

قال يعقوب — عليه السلام — ليهوذا ابنه : « يهوذا اياك يحمي
اخوتك . يدك على قفا أعدائك . يسجد لك بنو أبيك . يهوذا جرو أسد .
من فريسة صعديت يا ابني . جئا وربض كأسد وكلبوة . من ينهضه ؟

لا يزول قضيب من يهوذا . ومشترع بين رجليه . حتى ياتي شيلون .
وله يكون خضوع شعوب . رابطا بالكرمة جحشه . وبالجفنة ابن أتانه .
فسل بالخير لباسه . ويدم العنب ثوبه . مسود العينين من الخير .
ومبيض الأسنان من اللبن » (التكوين ٤٩ : ٨ — ١٢) والمعنى : أن
سبط يهوذا يحمده أخوته . وانه سيكون فائزا منصورا . وسيكون رئيسا
على بنى اسرائيل . وانه مثل ابن أسد قوى جدا ، رجع من صيد افترسه ،
كناية عن انتصاره في الحروب . وأنه سوف يكون مطمئنا على الأرض
بقوة ، ولا يستطيع أحد أن يبعده عن مكانه . والتعبير برابطا بالكرمة جحشه .
... الخ . هو كناية عن الخصب والنماء وكثرة الخير في أرض
يهوذا .

ولما كان هذا النص مشكلا جدا . فاني أذكر له تراجم أخرى ليتضح
المراد من كلام يعقوب وضوحا جليا .

في التوراة السامرية هكذا : « لا يزول القضيب من يهوذه . والمرسم

من بين بنوده ، حتى أن يأتي سليمان . واليه تفقاد الشعوب ... الخ «
 . وفى ترجمة الموصل سنة ١٨٧٥م « لا يزول القضيبي من يهوذا ،
 والمدير من بين رجليه ، حتى يجيء الذى له . وله يكون خضوع الشعوب .
 يربط بالكرمة جحشه ، وبالجفنة بن أثنائه . غسل بالخير حلتة ، وبدم
 العنب رداءه . عيناه من الخمر مسودة ، وأسنانه مبيضة من اللبن » ١٠هـ

فى ترجمة ١٦٢٢ م : « ولا يزول القضيبي من يهوذه ، والراسم
 من بين رجليه . الى أن يجيء شيله . واليه يجتمعون الأمم »

. وفى ترجمة الآباء اليسوعيين : « لا يزول صولجان من يهوذا
 ومشترع من صلبه . حتى يأتي شيلو . وتطيعه الشعوب »

وفى ترجمة ١٨٨٤م باللغة العربية : « فلا يزول القضيبي من يهوذا .
 والرسم من تحت أمره . الى أن يجيء الذى هوله . واليه تجتمع الشعوب »

وفى الترجمة التى يحتج بها على بنى اسرائيل سموئيل بن يهوذا
 ابن أيوب ، المتوفى سنة ٥٧٠هـ : « لا يزول الملك من آل اليهود . والرسم
 من بين ظهرانيهم . الى أن يأتي المسيح »

والقس الدكتور ابراهيم لوقا فى شرح بشارة لوقا ٣ : ١ قال
 ما نصه : « لا يزول قضيبي من يهوذا ، ومشترع من بين رجليه ، حتى يأتي
 شيلون » وفى العبرى « شيلوه » أى المسيح «

ولما رد ابن كمونة المتوفى ٦٨٣هـ على سموئيل هذا ، ترجم النص
 هكذا : « لا يزول القضيبي من يهوذا . والراسم من بين أقدامه . الى
 أن يجيء الذى له الأمر . وله تجتمع الشعوب »

وفى ترجمة الكتاب المقدس المطبعة الأمريكية سنة ١٩١٢ تعليق
 على كلمة « شيلون » فى الهامش هكذا : « أى أمان . وعند البعض :
 الذى له . أنظر حزقيال ٢١ : ٢٧ » انتهى .

الشرح والبيان :

من التراجم التي ذكرناها عن اليهود والنصارى قديما وحديثا ، يتضح : أن المراد بالمقضيبي : الملك والصولجان . والمراد بالراسم أو المشرع : الأنبياء والعلماء الذين يعلمون الناس : شريعة التوراة ، ويستنبطون الأحكام منها . والمراد بشيلون : النبي المنتظر ، الذي يلقبونه بلقب « مسيا » (١) الذي تفسره المسيحية . هو نبي الإسلام — ﷺ — الذي متى جاء تخضع له الشعوب وتطيع . والمعنى العام : يظل لبني اسرائيل ملك ظاهر في الأرض ، وأنبياء بني اسرائيل الذين أسلموا ، وعلمائهم يعلمون الناس شريعة الله في ظل ملك من بني اسرائيل . ويظل ذلك قائما حتى يأتي نبي من غير بني اسرائيل ، ليتسلم منهم الملك والشريعة . وهو المعبر عنه بشيلون .



والنصارى يقولون : ان المراد بشيلون : عيسى — عليه السلام — يقول الدكتور هاني رزق : ان يعقوب عليه السلام نبيا بخروج المسيح عيسى بن مريم — عليه السلام — من نسل ابنه يهوذا في مستقبل الأيام وأن داود — وهو من ذرية يهوذا — تنبا أيضا بخروج المسيح من نسله . ويذكر الدكتور « هاني » هذه النبوءات : ١ — « أقسم الرب لداود بالحق لا يرجع عنه — : من ثمرة بطنك أجعل على كرسيك » (مزمور ١٣٢ : ١١) « هناك أنبت قرنا لداود ، رتبت سراجا لمسيحي » (مزمور ١٣٢ : ١٧) ٢ — « لا يزول قضيب من يهوذا ، ومشتهر من بين رجليه . حتى يأتي شيلون . وله يكون خضوع شعوب » (التكوين ٤٩ : ١٠) ويعلق الدكتور هاني على هذه النبوءات بقوله : « في هذه التنبؤات نجد اعلانا صريحا عن خروج المسيح — له المجد — من نسل داود ابن يسي من

(١) مسيا : بفتح الميم وكسر السين وتشديد الياء مفتوحة (انظر الفصل السادس من الباب الأول من هذا الكتاب — وكتابنا المسيا المنتظر)

سيبط يهوذا بحسب الجسد . فيعقوب (إسرائيل) نبياً بخروج المسيح
من نسل ابنه يهوذا ، ثم أتى داود من نسل يهوذا فتنبأ بخروج المسيح
من نسل داود ابن يسى من سبط يهوذا (٢) «

ويقول أصحاب تفسير الكتاب المقدس : « حتى يأتي شيلون :
هذه عبارة صعبة . لكن يبدو أن أفضل تفسير هو ذلك الذي يعتبرها
نوعاً من الحديث عن المسيا ، إذا تحرك الجرف الساكن . وهذا أمر
يسهوج به في اللغة العبرية ، فإن الكلمة يمكن أن تترجم : « الذي له »
وهذا له صلة واضحة مع ما ذكر في حزقيال (٢ : ٢٧ (٣) «

وقد أنكر اليهود على النصارى قولهم هذا . فقد ثل عنهم ابن كموثة
ما نصه :

« فان قالوا : ان يعقوب لما جميع أولاده ؛ وأخبرهم بما يكون منهم
في آخر الزمان ، فلما بلغ الى « يهوذا » قال في جملة قوله له : « لا يزول
القتضيب من يهوذا والراسيم من بين أقدامه الى أن يجيء الذي له الأمر
وله تجتمع الشعوب » والمراد بالقتضيب : قضيب الملك ، وبالراسيم :
النبى . ومعلوم : أنه لما ظهر المسيح بطل الملك منهم ، وانقطعت النبوة
عنهم .

وجاء فى موضع آخر من التوراة : ان « نبيا أقيم لهم من وسيط
أخوتهم . مثلك . به فليؤمّنوا » والضمير فى « لهم » عائد الى بنى إسرائيل ؛
« مثلك » الى موسى عليه السلام . وهذه اشارة الى السيد المسيح . فان
بذلك فسره « شمعون » الصفا .

- (٢) ص ٣٩ يسوع المسيح فى نياسوته والوهيته .
(٣) ص ٢٠٢ تفسير الكتاب المقدس — فرنسيس .

قلت : الملك زال من آل يهوذا قبل أيشوع المسيح بزيادة على أربعمائة سنة . والملوك في البيت الثانى كانوا من بنى حشمو ناى (٤) . وهم هارونيون من سبط لاوى . وكان الملك من بعدهم فى هيرودوس ، وبعده فى اولاده . وما كان أيضا من سبط يهوذا .

وليس لهم أن يقولوا : ان يعقوب كنى يهوذا عن اليهود بأسرهم تسمية لكل المشىء بأشرف ما فيه . لأنه يقال لهم : ان هذا غير محتمل فان يعقوب خص كل واحد من اولاده بما يكون منه ، وخص يهوذا بهذا القول . فلا يكون اسمه عبارة عن الجملة . ثم قولكم : ان القضيبي هو قضيبي الملك . والمراسم هو النبى غير متيقن . والنبوة انقطعت قبل ظهور المسيح بما يزيد على ثلاثمائة سنة واللفظة المستعملة فى اللفة العبرانية بمعنى : القضيبي تستعمل بمعنى السبط أيضا . فقد يمنع المانع أنها استعملت للقضيبي ، أو أن المراد بالقضيبي — ان استعملت له — قضيبي الملك ...

والأظهر أن المراد به : البشارة بداود — عليه السلام — بمعنى : أنه لايزول السبط من يهوذا ولا الرئاسة من بين ظهرانيهم ، الى أن تبلغ رئاستهم فى الزيادة ، الى أن يملك داود ويتفق على تملكه جميع شعوب اسرائيل .

وقول شمعون : « ان النبى الذى وصى بنو اسرائيل بقبول أمره ، والايمان به هو المسيح » غير مسلم . بل هو اشارة الى كل نبى يأتى على دين موسى ، وسياسة الكلام المنزل فى هذا المعنى لا تقتضى التخصيص بنبى دون غيره . وبتقدير أن تقتضى ذلك ، نمنع أن المقصود بالتخصيص هو المسيح (٥) « أ . هـ

(٤) حشمو ناى هم المكابيون ١٦٧ ق.م ويقصد بالبيت الثانى : فترة هيكل سليمان من بعد سبى بابل .
(٥) ص ٦٣ — ٦٤ تنقيح الأبحاث .

مما يستدل به ابن كمونة فى نقد رأى النصارى : ١ — أن الملك قد زال
من بنى اسرائيل قبل مجيء عيسى بن مريم ٢ — وأن المسيح عيسى بن
مريم ليس هو من سبط يهوذا ٣ — وأن يعقوب يتحدث عن ابنه فقط
ولا يريد به جميع بنى يعقوب ٤ — وأن النبوة قد انقطعت من قبل ظهور يسوع
المسيح. ويحدد زمن الانقطاع للنبوة بما يزيد على ثلاثمائة سنة. وزمن الانقطاع
للملك بما يزيد على الأربعمئة ، ليؤكد أن النص ليس نبوءة عن عيسى
أر نبي الاسلام ٥ — وأن الكلمة العبرانية المترجمة بـ (القضيبي) تترجم
ايضا (سبط) وإذا كان الدليل محتملا للرأيين فان أحدهما لا يكون دليلا
ملزما . لأن الدليل اذا تطرق اليه الاحتمال ، يسقط به الاستدلال .

ويميل ابن كمونة الى الرأى الثانى ، ليبين أن النص ليس الانبوءة
عن داود . ويكون المعنى على تفسيره : لا يزول من الوجود سبط يهوذا ،
حتى يملك السبط على مدينة (شيلوه) (٦) وهى المدينة التى اجتمع
فيها كل جماعة بنى اسرائيل ونصبوا فيها (خيمة الاجتماع) بعد احتلالها
بقيادة يشوع بن نون فتى موسى ووصيه . وظلت مدينة شيلوه ، بلدا
مقدسا عند بنى اسرائيل يحجون اليه كل سنة لأن فيه بيت الرب ، وتابوت
العهد . الى أن جاء داود وهو من سبط يهوذا من (بيت لحم) واستطاع
أن يقود الجنود . وأن يقضى على الخلافات القائمة بين الأسباط يومئذ ،
وأن يبسط نفوذه على مدينة شيلوه ، وأن ينقل منها تابوت العهد الى
أورشليم (القدس) .

وعلى ذلك — فى رأيه — تكون النبوءة قد تحققت بالفعل فى شخص داود .
يوم أن احتل مدينة شيلوه فى أرض كنعان ، وخضع له جميع أسباط بنى
اسرائيل (كما فى يشوع ١٨ : ١ وقضاة ٢١ : ١٢ — ١٩) .

(٦) تسمى الآن (سيلون) بسكون الياء . وهى تبعد ١٧ ميلا
شمالى أورشليم (قاموس الكتاب المقدس) .

وابن كمونة بالتاكيد يحرف الكلم عن مواضعه . ولم يصب الا في قوله عن عيسى — عليه السلام — : « وما كان أيضا من سبط يهوذا » لأن عيسى — عليه السلام — من سبط لاوى من نسل هارون — عليه السلام — وبهذا فانتنا نحن المسلمين واليهود متفقون معا على أن عيسى ليس من سبط يهوذا — كما يدعى النصارى — بل من سبط لاوى .

ذلك لأن التوراة صرحت بزواج كل امرأة في سبطها — ان أرادت الزواج من يهودى — فمن تكون من سبط لاوى مثلا لا تتزوج من سبط يهوذا بل تتزوج رجلا من سبط لاوى . ففى سفر العدد : « وكل بنت ورثت نصيبا من أسباط بنى اسرائيل تكون امرأة لواحد من عشيرة سبط أبيها » (عدد ٣٦ : ٨)

وفى انجيل لوقا أن زكريا — عليه السلام — قد تزوج من اليصابات وهى وهو من نسل هارون — عليه السلام — من سبط لاوى ففى الاصحاح الاول من هذا الانجيل : « كان فى أيام هيرودوس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا من فرقة ألبيا ، وامرأته من بنات هرون واسمها اليصابات » (لوقا ١ : ٥) ويقول لوقا : ان ملاك الله جبرائيل لما بشر مريم رضى الله عنها بالحمل ببسوع المسيح من غير ولد ، واستبعدت ذلك قائلة : « كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلا ؟ » قال لها « وهو ذا اليصابات نسيبتك هى أيضا حبلى بابن فى شيخوختها . وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقرا » (لوقا ١ : ٣٦) .

فتصريح لوقا بأن مريم نسيبة لاليصابات ، يدل على أن مريم من نفس السبط الذى منه اليصابات ، ولما ثبت أن اليصابات من نسل هرون يتبنت أن مريم من نسل هارون . وهرون هو ابن عمرام بن قهات بن لاوى بن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم — عليهم السلام — (أخبار الأيام الاول ٦ : ١ — ٣)

أما داود فهو ابن يسى بن عوبيد بن بوغز بن سلمون بن نحشون ،

ابن عمينا داب ، بن آرام بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب —
عليه السلام — (متى ١ : ١ — ٦)

والأسباط هم أولاد يعقوب الاثنى عشر وما يتناسل منهم . وهم
بالترتيب : رأوبين — شمعون — لاوى — يهوذا — زبولون — يساكر —
دان — جاد — أشير — نفتالى — يوسف — بنيامين (التكوين ٤٩)
وقد فسر بولس النسب بالثرابية فى قوله عن اليهود : « اتى كنت أود
لو أكون أنا نفسى محروما من المسيح لأجل أختى أنسبائى حسب الجسد
الذين هم اسرائليون » (رومية ٩ : ٣ — ٥)

وفى الانجيل : أن المسيح بن مريم عليه السلام كان يعظ ويبشر فى
هيكل سليمان . ولا يقوم بهذا العمل داخل الهيكل الا من يكون من سبط
لاوى . وفيه أن مريم المجدلية نادته بلقب « ربونى » وتفسره يا معلم
(يو ٢٠ : ١٦) وفيه أن تلميذين من تلاميذه ، قالاه : « ربى الذى تفسره
يا معلم أين تمكث » ؟ (يو ١ : ٢٨) ولا يلقب بالربى أو بالربانى ، الا من
يكون من نسل هرون عليه السلام . وفيه أن قميصه كان بغير خياطة منسوجا
كله من فوق (يو ١٩ : ٢٣) وهذا لبس الكهنة (خر ٢٨)

والقرآن الكريم قد صرح بتسبب عيسى — عليه السلام — الى هرون
— عليه السلام — فى قوله تعالى : « يا أخت هرون » (مريم ٢٨) أى يا واحدة من
بنات هرون النبى أخى موسى . كما يقال : : يا أخت العرب ، أى يا واحد
منهم .

وأنا والمنصارى متفقون معا على أن النص نبوءة . والخلاف بيننا فى
من المراد من النبوءة ؟ عيسى أم محمد — عليهما السلام — ؟ ليس هو
عيسى عليه السلام فانه لم ينسخ التوراة . ولم يزل الملك من اليهود
على يديه . واسماعيل صاحب بركة .

ومن يتأمل فى كلام ابن كميونة يعرف أن النص نبوءة . . وأنها . .
عن نبى بعد زمن داود . لأن قوله : « والأظهر أن المراد به البشارة
بداود . . الخ » يدل على أن رأيه رأى اجتهادى وينتقض اجتهاده هذا :

كتابة التوراة في بابل من بعد داود كما سبق بيانه ، فكيف تكون النبوءة لداود ؟ وينتض اجتهاده : ترجمة كلمة « شيلون » بما يفيد اسم شخص ، لا بما يفيد اسم مدينة . فلقد ترجمت بمعنى : « الذى هو له » أو « الذى له الأمر » أو « الذى له الحكم » أو « سليمان » أو « المسيح » الذى هو المسيا . وفسرت كلمة شيطون : بأمان وسلام .

ففى سفر حزقيال : « وأنت أيها النجس الشرير رئيس اسرائيل ، الذى قد جاء يومه فى زمان اثم النهاية ، هكذا قال السيد الرب . انزع العمامة ، ارفع التاج ، هذه لا تلك . ارفع الوضيع ، وضع الرفيع . منقلبا . منقلبا . منقلبا . اجعله . هذا أيضا لا يكون حتى يأتى الذى له الحكم فأعطيه اياه » (حزقيال ٢١ : ٢٥ — ٢٧) والذى له الحكم يكون شخصا .

واليهود الذين احتج عليهم الامام ابن حزم الأندلس المتوفى سنة ٤٥٦هـ بأن الملك زال من آل يهوذا — حسب ظاهر النبوءة — جادلوه — حسب الظاهر أيضا — بقولهم : لم ينته الملك الى الآن من نسل يهوذا . فالملك الى الآن فى نسله . قال له شموئيل بن يوسف اللاوى : « لم تنزل رؤوس الجواريت ينتسلون من ولد داود ، وهم من بنى يهوذا ، وهى قيادة وملك ورياسة (٧) » فلو لم تكن عبارة يعقوب نبوءة لغير داود ، ما احتج شموئيل بن يوسف اللاوى بأن نسل يهوذا ما يزال حاكما .

(٧) ص ١٥٢ — ١٥٣ ج ١ الفصل فى الملل والنحل — ويقول ابن حزم عن شموئيل هذا « وقد قررت على هذا الفصل أعلمهم وأجدلهم وهو شموئيل بن يوسف اللاوى المكاتب المعروف بابن المنفرال فى سنة أربع وأربعمئة فقلت : هذا خطأ ، لأن رأس الجالوت لا ينفذ أمره على أحد من اليهود ولا من غيرهم » وفى كتاب : الرد على ابن النفريله اليهودى ص ١٦ الذى يتحدث عنه ابن حزم ذكر المؤلف انه ينطق بالغيين لا بالفاء . وانه يلقب ابن النفريلة أو ابن المنفرال .

ويقول عزرا حداد عن رئاسة الجالوت : « منذ أن استقر اليهود فى العراق بعد سبى بابل كانوا يوكلون بأمرهم عبيدا ، يرجعون اليه فى =

وينقض اجتهاد « ابن كمونة » ما جاء فى النبوءة : « والمرسم من بين بنوده » أو « ومشترع من بين رجله » أو « الراسم من بين أقدامه » فان هذه العبارة تعنى نسخ الشريعة اذا ظهر النبي المفيظ . وهى لم تنسخ فى زمن داود أو سليمان — عليهما السلام — ولا فى عهد عيسى — عليه السلام — فانه صرح بعدم نسخها ونقضها .

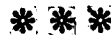
وينقض اجتهاد ابن كمونة أيضا : « وله يكون خضوع شعوب » أو « واليه يجتمعون الأمم » أو « واليه تجتمع الشعوب » فان هذه القرائن كلها تمنع أن يكون المراد بشيلون : المدينة المعروفة فى أرض كنعان . وتمنع أن يكون المراد بذلك الذى تخضع له الشعوب : داود — عليه السلام — أو سليمان ابنه . لأن جميع الأسباط يسمون شعبا . أو يسمون أمة واحدة لا أما . ولأن حزقيال صرح بانتظار هذا الذى سيأتى « الذى له الحكم » وهو بعد عصر داود بنحو أربعمئة واثنيتين وستين سنة تقريبا .

وهذا بيان بأعمار الأنبياء (٨) :

= أمدهم ، وينيطون به تنظيم شئون جماعتهم الصغيرة التى كانت منتشرة فى مدن الفرات وديارهم وقراه . وكان اليهود يطلقون على هذا العيد لقب « ريش جالتوتا » وهى لفظة بالآرامية تعنى رأس الجالية . وغنها أخذ العرب لفظة رأس الجالوت » (ص ١٩٦ — ١٩٧ رحلة بنيامين) .

(٨) ص ١٧ — ١٨ يسوع المسيح فى ناسوته والوهيته — ولاحظ أن الباحث جعل المدة من نوح لإبراهيم ٩٥٢ سنة وخالف بذلك التوراة العبرية التى تجعل المدة ٢٩٢ سنة . لقد اعتمد صحة السامرية وزاد عليها عشر سنوات . ومن آدم الى نبي الاسلام على وفق السامرية ٨١٥ وعلى وفق العبرية ٥١٤ وعلى وفق اليونانية ٥٦٠ . وأبو الفتح بن أبى الحسن السامرى فى تاريخه يجعل المدة ٥٠٤٧ (انظر التاريخ مما تقدم عن الآباء ص ١٧٢) ولا يصح الاعتماد على أى تاريخ .

نوح	نحو سنة	٢٩٤٨	قبل الميلاد
ابراهيم	نحو سنة	١٩٩٦	قبل الميلاد
اسرائيل (يعقوب)	نحو سنة	١٨٣٧	قبل الميلاد
يوسف	نحو سنة	١٧٤٥	قبل الميلاد
أيوب (قبل موسى)	نحو سنة	١٥٧١	قبل الميلاد
موسى	نحو سنة	١٥٧١	قبل الميلاد
داود	نحو سنة	١٠٥٦	قبل الميلاد
يونس (يونان) ويوثيل	نحو سنة	٨٣٠	٨٠٠ ق.م
عاموس وهو شع وعوبيديا	نحو سنة	٧٨٤	قبل الميلاد
أشعيا	نحو سنة	٧٦٠	قبل الميلاد
ميخا	نحو سنة	٧٥٨	قبل الميلاد
ناحوم	نحو سنة	٧٢٣	قبل الميلاد
صفنيا وحبقوق	نحو سنة	٧٢٦	قبل الميلاد
حزقيال ودانيال	نحو سنة	٥٩٤	قبل الميلاد
حجي وزكريا	نحو سنة	٥٢٠	قبل الميلاد
ملاخي	نحو سنة	٤٣٥	قبل الميلاد
عيسى	أول التاريخ الميلادي غير محقق		
نبي الاسلام	٥٧٠ أو ٥٧١ بعد الميلاد		



وبعدما نقضنا اجتهاد « ابن كهونة » وبيننا أن قول يعقوب عليه السلام هو نبوءة عن مجيء محمد رسول الله ﷺ ليظهر بركة اسماعيل في العرب وفي الأمم ، نتناول حجج « ابن كهونة » حجة بعد حجة بالبيان والنقد .

الحجة الأولى : ملك بنى اسرائيل :

ابراهيم النبي — عليه السلام — أنجب اسحق ، واسحق أنجب يعقوب ، المسى أيضا باسرائيل . واسرائيل أنجب الاسباط الاثنى عشر . وهم : ١ — رأوبين ٢ — شمعون ٣ — لاوى ٤ — يهوذا ٥ — زبولون ٦ — يساكر ٧ — دان ٨ — جاد ٩ — أشير ١٠ — نفتالى ١١ — يوسف ١٢ بنيامين .

وقد ائتمر على « يوسف » نفر من اخوته ، والقوه فى الجب ليخل لهم وجه أبيهم . لكن الله أنقذه من الهلاك ، وجعله رئيسا مسلطا فى أرض « مصر » وأرسل الى أبيه واخوته أن يأتوا من البدو ، ويعيشوا معه فى مصر ، ويزرعوا ما يقدرون على زراعته فى أرض « جاسان » (٩) على أن يؤدوا الخمس للملك المصريين (تك ٤٧ : ٢٤)

« ثم قام ملك جديد على مصر ، لم يكن يعرف يوسف . فقال لشعبه : هوذا بنو اسرائيل شعب أكثر وأعظم منا . هلم نحتال لهم لئلا يبنوا ، فيكون اذا حدثت حرب أنهم ينضمون الى أعدائنا ، ويحاربوننا ويصعدون من الأرض . فجعلوا عليهم رؤساء تسخير ، لكى يذلوهم بأثقالهم » (خر ١ : ٨ — ١١)

وفى هذا الوقت ظهر موسى عليه السلام ، وقاد بنى اسرائيل الى صحراء سيناء . وفيها على جبل الطور أنزل الله التوراة عليه ليعمل بها بنو اسرائيل والأمم .



وبعد موسى رغب بنو اسرائيل فى أن يجعلوا عليهم ملكا ، فاختر الله لهم « طالوت » الذى هو (شاول) . ولما توجه لمحاربة أهل فلسطين — جاهدا فى سبيل الله — برز داود من جيش طالوت وقتل جالوت قائد جيش فلسطين . ثم أصبح داود ملكا على بنى اسرائيل . واتخذ أورشليم (القدس) عاصمة للكه .

(٩) هى الآن مدينة « فاقوس » من مدن « مصر » الشرقية .

وبعد موت سليمان ابن داود انقسم بنو إسرائيل إلى فريقين كبيرين :
أ - سبطى يهوذا وبنيامين وبعض اللاويين وجعلوا عليهم ملوكا من ذرية داود .
وسميت مملكتهم بمملكة يهوذا ، أو المملكة الجنوبية أو العبرانيين ، أو مملكة
أورشليم ب - والباقيون سموا بإسرائيل ، أو بالسامريين .

وكان يعقوب عليه السلام قد حسب سبط يوسف بسطين نظير
فضله على اخوته وصار ولداه : أفرايم ومنسى بمثابة أولاد ليعقوب
(التكوين ٤٨ - ١٦) ووصى موسى أن لا يكون لسبط لاوى نصيب
في أرض كنعان ليعيشوا متفرقين بين بنى إسرائيل ليعلموهم مما علمهم
الله ، ووصى موسى بأن تقسم أرض كنعان بالقرعة على الأسباط ، ولذلك
عاش بعض اللاويين في مملكة يهوذا وبعضهم مع بقية الأسباط الآخرين
وكونوا مملكة مستقلة تسمى بمملكة إسرائيل أو نابلس أو المملكة الشمالية
أو السامريين (١٠) وكان لكل مملكة ملوكا وكهنة . أى علماء يعرفون
بالربانيين والأخبار .



وبعد مدة قليلة من الزمان جاء (تغلث فلاسر) ملك (آشور)
وسبى الأسباط القاطنة شرقى نهر الأردن وهى : رأوبين وجاد ومنسى
نحو سنة ٧٤٠ ق.م ثم أغار (سرجون) ملك (آشور) على الأسباط
الباقية في مملكة إسرائيل . وبذلك صارت مملكة إسرائيل في قبضة ملك
(آشور) أما مملكة يهوذا فقد حاربها (سنحاريب) ملك (آشور) سنة
٧١٢ ق.م ولكنه لم يلبث أن ارتد عنها ، ثم جاء (نبوخذ ناصر) ملك (بابل)

(١٠) سبب تسميتهم بالسامريين : أن عمرى ملك إسرائيل اشترى
مدينة على جبل من رجل اسمه « شامر » « ودعا اسم المدينة التى بناها
باسم شامر صاحب الجبل : السامرة » (الملوك الأولى ١٦ : ٢٤) ويقول
أبو الفتح فى تاريخه : « وتوجه شخص من السامرة الى سبسطية ، واشترىها
بقنطارين ذهباً وبنائها ولهذا سميت سامرية » (ص ٥٤ التاريخ ما تقدم
عن الآباء) .

سنة ٥٨٨ فاستولى على أورشليم ، وهدم أسوارها وأحرق الهيكل ، وساق وجهاء الشعب الى (بابل) (١١) ثم أن أهل فارس استولوا على مملكتي آشور وبابل (١٢)

ويحكى صاحب تاريخ الاسرائيليين كيف عاد بنو اسرائيل من بابل ؟ وكيف سموا باليهود لأول مرة ؟ فيقول : « انه لما تولى (قورش) ملك فارس سنة ٥٣٧ ق.م أصدر أمرا سنة ٥٣٦ ق.م يأذن فيه لليهود بالعودة الى بلادهم — من أراد ذلك منهم — وعين (زربابل) واليا على اليهود ، وصارت اليهودية ولاية من ولايات الفرس ، وفى سنة ٥١٩ ق.م ثبت (داريوس هستاسب) أمر (قورش) المذكور فتم بناء الهيكل سنة ٥١٥ واحتفل بتدشينه احتفالا باهرا . ومن ذلك الزمان يختفى ذكر الأسباط العشرة . فمن عاد منهم الى فلسطين اختلط بسبطنى يهوذا وبنيامين . وفى ذلك الحين سمى الاسرائيليون : يهودا . ودعيت بلادهم : اليهودية وفى أيام (ارتكزر كسيس) (لوغيامانس) الفارسى . عاد جزء من اليهود المتغربين فى بابل الى بلادهم بقيادة عزرا . وذلك سنة ٤٥٨ ق.م وظل عزرا واليا على البلاد الى سنة ٤٤٥ ق.م وجاء بعده نحميا فبنى

(١١) انظر الجزء الأول من تاريخ الأقباط . ويقول عزرا حداد فى ص ١٨٥ من رحلة بنيامين : ان سبى (تغلت فلاسر) كان سنة ٧٣٨ ق.م ويقول كثيرون من المؤرخين : أن (نبوخذ ناصر) كان سنة ٥٨٦ ق.م ويقول جورج بوست « (آشور) : واقعة على (دجلة) يحدها من الشمال جبال أرمينية ، ومن الجنوب بغداد وجوارها . ومن الشرق سلسلة جبال الزاكروس . ومن المغرب ما بين النهرين والفرات و (بابل) : هذه البلاد محاطة بنهرى الفرات ودجلة . وتمتد من هذين النهرين غربا حتى البادية ومساحتها نحو ٤٠٠ ميل طولاً و ١٠٠ عرضاً وأراضيها بطاح سهلة .

(١٢) انظر سفرا أخبار الأيام الأول والثانى فى تاريخ بنى اسرائيل الى استيلاء فارس على مملكة بابل . واذنهم لبني اسرائيل بالعودة الى فلسطين بعد سبعين عاما من الأسر ، كما يكتبون .

أسوار اورشليم ، ورغم حصونها . واعاد اليها بعض رونقها القديم .
وظل واليا الى سنة ٤٢٠ ق.م « (١٣)

انظر قوله « وفي ذلك الحين سمي الاسرائيليون : يهودا . ودعيت بلادهم : اليهودية » أى أن جميع بنى اسرائيل من بعد بابل أصبح يطلق عليهم لقب « يهود » نسبة الى يهوذا الابن الرابع باعتبار أن مملكته صمدت طويلا عن مملكة السامريين . فأصبح يهوذا أشهر من ملك وأكثر مدة وأشد ذكرا . وفى بابل اتفق العبرانيون والسامريون على تحريف التوراة — كما سنبين فى كتاب « نقد التوراة » — ووضعوا وصية يعقوب وهى « لايزول قضيب من يهوذا ... الخ » لتعبر عن اليهود بأسرهم ، لا عن سبط يهوذا وحده . بدليل : أن النص مكتوب بعد سبى « بابل » أى من بعد داود بما يقرب من اربعمائة وسبعين عاما . وظلت اليهودية خاضعة لحكم الفرس الى سنة ٣٣٣ ق . م الى مجيء الاسكندر الأكبر ملك اليونان . وقد غلب كثيرا من الممالك وتوجه لاحتلال (اورشليم) ولما سمع اليهود بمقدمه خافوا منه وسلموا له بدون قتال . يقول يوسيفوس : « رحل اسكندر عن موضعه متوجها الى (اورشليم) . فلما سمع اليهود بمجيئه اليهم خافوا منه . ولما علم الكاهن الأكبر جمع اليهود الذين هناك وأمرهم فصاموا وصلوا وتصدقوا وقصدوا الله عز وجل وسألوه الكفاية . ثم خرجوا يستقبلون اسكندر لما قرب من المدينة وعظيم الكهنة قدامهم » (١٤)

...

...

...

(١٣) ص ٣١ — ٣٣ تاريخ الاسرائيليين .
ولاحظ انه خطأ فى قوله باختلاط الأسباط العشرة فانهم لم يختلطوا قط كما جاء فى الانجيل فى قصة المرأة السامرية فى الاصحاح الرابع من يوحنا وكما فى سفرى عزرا ونحميا وكما جاء فى التاريخ مما تقدم عن الآباء وأيضا فى رحلة بنيامين .
(١٤) ص ٢٧ تاريخ يوسيفوس وانظر تاريخ الاسرائيليين ص ٣٧ .

وبعد موت الاسكندر فى (بابل) سنة ٣٢٣ ق.م انقسمت امبراطوريته بين قواده فيبليموس قبض على زمام الأمور فى مصر ، واختار الاسكندرية عاصمة له . وسلوقس أصبح بعد سنوات سيدا فى الشمال وكانت له عاصمتان : أنتيوخ فى سورية على نهر العاصى . وسلوقيا فى بابل (أطلالها بالقرب من بغداد) وبعد صراع بين بطليموس ، وسلوقس انتصر بطليموس وأصبحت اورشليم فى القرن التالى خاضعة لأسرته .

ثم انتصر السلوقيون أتباع سلوقس . وفى عهد أنتيوخس الرابع ابيفانس ١٧٥ ق.م ائتمد الاضطهاد على اليهود من السلوقيين . وكانت نتيجةه أن قام اليهود بثورة بقيادة الكاهن ماتائيس عام ١٦٧ ق.م ومعه اولاده الخمسة :يونان والعازر ويهوذا وسيمون ويونانان . ولما مات ماتائيس انتقلت الزعامة الى ولده يهوذا الملقب بالمكابى . وعرفت هذه الحركة بالمكابية . ولكن الأسرة كانت تسمى الحشمونية لأن حشمون كما ذكر يوسيفوس هو الجد الأعلى لماتائيس ، واستطاع المكابيون أن يحققوا الاستقلال التام .

ولما مات يهوذا انتقلت للزعامة الى أخيه يونانان . ولما مات يونانان انتقلت الزعامة الى أخيه سيمون . ولما مات سيمون خلفه ابنه هيركانوس . ومن بعد هيركانوس أخوه يئان . وقد أوصى بالملك لزوجته الكسندرا . لأن ولديه هيركانوس واريستوبولس لم يبلغا سن الرشد . وقد عينت الكسندرا ابنها البكر هيركانوس كبيرا للكهنة . ولما كبر الأخ الأصغر حدثت حرب بينه وبين أخيه الأكبر على المنصب . فانتهزت روما هذه الفرصة وتقدم القائد بومبيوس واحتل اورشليم . وأبقى هيركانوس كاهنا . وأخذ إخاه الى روما وكان ذلك عام ٦٣ ق.م .

...

...

...

ولما احتل الرومان اورشليم وبلاد اليهودية عينوا قائدا عليها يسمى انتيباتور . وقام انتيباتور بتعيين ولده البكر (فاسيل) حاكما على اورشليم

وابنه الثانى (هيرودوس) حاكما على الجليل . ثم وافقت روما على تعيين هيرودوس على منطقة السهل الساحلى فى بلاد فلسطين وأن يستقل فى الشؤون الداخلية ، مع تبعيته لروما . ومات هيرودوس عام ٤٤ ق.م .

وفى ذاك الزمان ولد المسيح عيسى — عليه السلام — فى (بيت لحم) التابعة لأورشليم وجاء من بعد هيرودوس أحد أبنائه وهو (أرخيلوس) واستمر فى حكم اليهود الى سنة ٦ بعد الميلاد . وقبل أن يعزله الرومان قرروا أن يضعوا البلاد تحت بصر حاكم رومانى مباشر .

وبذلك أصبحت ملكيتهم متصلة . فيما عدا السنوات من ٤١ — ٤٤ بعد الميلاد فقد كانت المنطقة محكومة بواسطة موظفين رومانيين ، سموا حكام أقاليم . وقد وضع هذا التخطيط عام ٤١م عند تعيين (هيرودوس أغريباس) ملكا على البلاد — وكان (أغريباس) الحفيد البكر لهيرودوس الكبير — ولما مات تولى بعده أغريباس الثانى . ثم حدث نزاع شديد بين اليهود وبين الرومان انتهى بخراب أورشليم وهدم الهيكل عام ٧٠ ميلادية على يد (تيطوس) الرومانى .

...

...

...

وفى عام ١٣٢ ميلادية ثار من تبقى من اليهودية على الرومان بقيادة (باركوخبا) ونجحت الثورة واستقل اليهود عن الرومان لمدة ثلاث سنوات . وأصبحت أورشليم عاصمة ومركزا دينيا وانتهت الثورة عام ١٣٥م وقبض الرومان بقيادة (أدريانوس) على (باركوخبا) ونكل به وهدم (أورشليم) وبنى فوقها مدينة (ايليا كويتولينا) . وصدر الكلمة : (ايليا) لقب عائلة ادريانوس و (كويتولينا) هو (جوبيتر) الاله الرومانى الكبير . وهدم ما تبقى من الأسوار والمباني وحرق الموقع تماما وبنى فوقه مدينته الجديدة على مساحة أقل . ولم يسمح لأى من اليهود بدخولها والاقتراب منها . وبنى معبد (جوبيتر) على أنقاض المعبد القديم . وأقام تمثالا لنفسه أمام المعبد ، وبنى أسوارا جديدة للمدينة الجديدة (ايليا)

وفي عام ٣١٣م أصبحت الديانة النصرانية دين الدولة الرومانية الرسمية .
وهدم معبد جوبيتر . وفي سنة ٣٢٦م جاءت « هيلانة » أم الإمبراطور
(قسطنطين) وبنت في أورشليم كنيسة القيامة . وفي القرن الرابع بعد
الأياد سمح النصارى لليهود بزيارة موقع الهيكل يوماً واحداً كل عام .
وهو المتاسع من آب (أغسطس) يوم هدمه . وفي القرن الخامس
سعت الإمبراطورة (ايدوكسيا) أرملة الإمبراطور (ثيود سيوس الثاني)
لدى الرومان ليسمحوا لليهود بالإقامة الدائمة في المنطقة ، فسمح لهم
الرومان .

••••

••••

••••

وفي عام ٦١٤ (١٥) ميلادية غزا الفرس بلاد الشام وانتصروا على
الرومان (١٦) . وهدموا كنيسة القيامة . ثم غلب الرومان الفرس . ثم
جاء الفتح الاسلامى سنة ٦٣٦م وهزم المسلمون الرومان وكتب أمير المؤمنين

(١٥) في كتاب الاسلام يتحدى : السنة ٦١٦م بدل السنة ٦١٤م .
(١٦) وفي ذلك الزمان كان اسراء النبي - ﷺ - الى المسجد
الأقصى . جاء فى كتاب بيت القدس فى الاسلام ص ٦٨ - ٩٦ انه يوجد
سور فى أورشليم يحيط بمسجد الصخرة المعروف الآن وبعض الأبنية وأن
المسجد الأقصى قديماً يطلق على المساحة التى يضمها هذا السور .
يقول الكتاب : « كان المكان الموجود الآن بين أسوار الحرم الشريف
بالقدس مخصصاً لعبادة الله سبحانه . وهو المكان الذى وقع الاسراء
اليه ليلا بسيدنا محمد - صلوات الله وسلامه عليه - وكان المكان الموجود
الآن بين أسوار الحرم الشريف بالقدس مخصصاً لعبادة الله سبحانه .
وهو المكان الذى وقع الاسراء اليه ليلا بسيدنا محمد صلوات الله وسلامه
عليه وحصل معراجه منه الى السماء العلى . الى حيث علم الله . وفي
تلك الليلة تم فرضية الصلاة على الرسول والمسلمين . وحينئذ لم يكن فى
ذلك المكان بناء معروف بالمسجد الأقصى . ولا آخر معروف بمسجد الصخرة
المشرفة ، ولا سائر الأبنية المنتشرة فى ساحة المسجد الأقصى . وانما سمى
فى الآية بالمسجد ، لانه مكان العبادة » (انظر أيضا : تاريخ الطبرى
ج ٣ ص ١٠٦ ومجلة منبر الاسلام المصرية عدد رجب ١٣٩٣هـ أغسطس
١٩٧٣) وانظر وصف هيكل سليمان بالرسم فى كتاب مرشد الطالبين .

عمر بن الخطاب رضى الله عنه « المهدة العمرية » مع البطريك (صفرونيوس) وكان من أهم شروطها : عدم السماح لليهود بالاقامة فى ايلياء .

وهكذا قضى على اليهود نهائيا ، ولم تقم لهم قائمة الا حينما اعترفت منظمة الأمم المتحدة بدولة اسرائيل عام ١٩٤٨ (١٧) واعترافها فنتة فى الأرض ، وفساد كبير .

...

...

...

ذلك هو مختصر تاريخ بنى اسرائيل من كتب أهل الكتاب . فهل ترى ضياع ملكهم من قبل عيسى عليه السلام أم من بعده ؟

لا يرى من له ادنى بصر بعلوم التواريخ : أن ضياع ملكهم من قبل عيسى عليه السلام . ألم يقل لليهود فى كتبهم : « وفى عام ١٣٢ ميلادية ثار من تبقى من اليهود على الرومان بقيادة «باركوخبا» ونجحت الثورة واستقل اليهود عن الرومان لمدة ثلاث سنوات وأصبحت أورشليم عاصمة ومركزا دينيا » ؟ كيف تنجح الثورة ويستقل اليهود عن الرومان ، وتصبح أورشليم عاصمة ومركزا دينيا اذا لم تكن لليهود أنفسهم قوة من قبل ؟

...

...

...

الحق يقال : ان اليهود أمة عديمة الراى ولا بصيرة فيهم (تث ٣٢ : ٦ و ٣٢ : ٢٨) وقد بلغ بهم غباؤهم الى حد التمرد على أنبيائهم فكانوا يقتلون بعضا ويتركون بعضا . ولذلك كان الله يرسل عليهم من يسومهم سوء العذاب .

ولقد وقعوا تحت نفوذ الأجانب من بعد داود عليه السلام . ولكن الأجانب كانوا يتركونهم أحرارا فى حكمهم لأنفسهم . كان يحكم بعضهم

(١٧) انظر : تاريخ الاسرائيليين . وتاريخ يوسيفوس . وانظر أيضا : القدس الخالدة فى أوائل كل فصل . وتاريخ الأقباط الجزء الأول والجزء الثامن .

بعضاً . ولم يكن للجانب الا جنود تضمن الأرض لصالحهم بالضرورة اذا
داهمهم عدو . وجزية يأخذونها من أهل الأرض مقابل حمايتهم لهم (١٨) .
وبدليلنا على ذلك : هو ما بينا من كتب التاريخ ، وما جاء فى الانجيل نفسه .
ففيه أن اورشليم كانت عامرة باليهود ، وكان هيكل سليمان مركزا دينيا
عظيما . وكان لليهود مجلس استشارى يسمى (المجمع) أو (السنهدريم)
وفى هذا المجمع قرر اليهود قتل عيسى عليه السلام لولا أن كف الله أيديهم
عنه وقدموه للوالى الرومانى لينفذ الحكم — كما يدعون — .

ولما اعتذر الوالى عن تنفيذ الحكم لعلمه ببراءة عيسى عليه السلام
هددوه بالشكوى الى الامبراطور الرومانى نفسه . فاستجاب لهم . وهذا
يعنى : أنهم هم الحاكمون لأنفسهم ، لا الحاكم الاجنبى . يقول يوحنا فى
انجيله : « فسأل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه وعن تعليمه ؟ أجابه
يسوع : أنا كلمت العالم علانية . أنا علمت كل حين فى المجمع ، وفى الهيكل
حيث يجتمع اليهود دائما ، وفى الخفاء لم أتكلم بشيء . لماذا تسألنى أنا ؟
اسأل الذين قد سمعوا ماذا كلمتهم ؟ هوذا هؤلاء يعرفون ماذا قلت أنا ؟ .
ومن هذا الوقت كان بيلاطس يطلب أن يطلقه . ولكن اليهود كانوا يصرخون
قائلين : ان أطلق هذا فلست محبا لقيصر » (يوحنا ١٨ / ١٩)

...

...

...

(١٨) وابن كمونة الذى يقول بانقطاع الملك من بنى اسرائيل قبل
المسيح يقول فى دفاعه عن تواتر التوراة : ان الدنيا دول ، مرة تغلب ،
دولة ومرة تنهزم . والغالبة تهزم ، والمهزومة تغلب . ولا يقال فى هذه الاحوال
بذهاب الملك واضاعة المجد . يقول : « وأما قتل بختنصر وغيره لهم فليس
فيه ما يدل على انقطاع تواترهم . اليس الروم ظفر بهم الفرس ، وقتلوا
رجالهم ، واستباحوا ذراريهم ؟ والروم فى أيام الاسكندر جاؤوا الى فارس ،
ونزلوا بلادهم حتى بعث ملك الفرس من هزمهم ؟ ثم ان اليهود لم يكن
جمعهم ببيت المقدس حين ظفر بهم فيها بختنصر ، ولم يقتل كل من بها .
فان فى يرميا — أى فى سفره — ان عامة بنى اسرائيل خرجوا مستأمنة .
وقد كانوا بعد ذلك موجودين فى بلاد لا يحصى عددها » (ص ٢٨ تنقيح
الأبحاث) .

وبعد رفع عيسى الى السماء — وكان قد آمن به البعض من بنى اسرائيل ونادوا في كل مكان بدعوته — تحير اليهود في أمر هؤلاء الذين آمنوا ماذا يفعلون بهم ؟ « فسألهم رئيس الكهنة قائلاً : أما أوصيناكم وصية أن لا تعلموا بهذا الاسم . وها أنتم قد ملأتم اورشليم بتعليمكم ؟ ... فأجاب بطرس والرسل — التلاميذ — وقالوا : ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس ... فلما سمعوا حنقوا وجعلوا يتشاورون أن يقتلوهم . فقام في المجمع رجل فريسي اسمه غملائيل معلم للناموس ، مكرم عند جميع الشعب وأمر أن يخرج الرسل قليلاً . ثم قال لهم .

أيها الرجال الاسرائيليون : احترزوا لأنفسكم من جهة هؤلاء الناس في ما أنتم مزعمين أن تفعلوا . لأنه قبل هذه الأيام قام ثوداس قائلاً عن نفسه : انه شيء . الذى التصق به عدد من الرجال نحو أربعمائة . الذى قتل ، وجميع الذين انتقادوا اليه تبددوا وصاروا لا شيء . بعد هذا قام يهوذا الجليلي في أيام الاكتاب وأزاغ وراءه شعبا غفيرا ، فذاك أيضا هلك . وجميع الذين انتقادوا اليه تشتتوا . والآن أقول لكم : تنحوا عن هؤلاء الناس واتركوهم . لأنه ان كان هذا الرأى ، أو هذا العمل من الناس فسوف ينتقض . وان كان من الله فلا تقدرُونَ أن تنقضوه . لئلا تجدوا محاربين لله أيضا . فانقادوا اليه » (أعمال ٥ : ٢٧ — ٤٠) وهذا يعنى أن النصرارى طائفة من بنى اسرائيل آمنت فأصبحت ظاهرة على الطائفة التى لم تؤمن بعيسى — عليه السلام — كما يقول تعالى في القرآن الكريم : « يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين : من أنصارى الى الله ؟ فأمنت طائفة من بنى اسرائيل . وكفرت طائفة . فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم . فأصبحوا ظاهرين » (الصف ١٤) وجاء الاسلام والطائفة التى آمنت ظاهرة . فتسلم المسلمون

(١٩) ظاهرة أى عالية . وهذا يدل على أن الملك كان مع النصرارى بدلا من اليهود ، قال مجاهد : « أيدوا في زمانهم على من كفر بعيسى » (تفسير القرطبي) وزال الملك على يد المسلمين .

منها مفاتيح أورشليم ، وهي العاصمة الدينية لبني اسرائيل . تسلم
(عمر) من البطريك (صفرنيوس) المفاتيح وكتب له « العهدة العمرية »
كتاب امان وذمة .

...

...

...

وكان اليهود يقولون على النصارى : انهم طائفة منهم خرجوا على
تعاليمهم ، كما عبر القرآن تماما ، كانوا يقولون : انهم « شيعة » عيسى
واتباعه . ففى سفر الأعمال : أن « حنانيا » رئيس كهنة اليهود ذهب مع
الشيوخ وخطيب اسمه « ترتلس » يشكون « بولس » للوالى ، فقال
ترتلس : « اننا اذ وجدنا هذا الرجل مفسدا ، ومهيج فتنة بين جميع
اليهود ، الذين فى المسكونة ، ومقدام شيعة الناصريين » فأشار الوالى
لبولس أن يتكلم ، فكان مما قال : « ولكننى اقر لك بهذا : أننى حسب
الطريق الذى يقولون له شيعة . هكذا أعبد اله آبائى ، مؤمنا بكل ما هو
مكتوب فى الناموس والأنبياء » (أ ع ٢٤ : ٥ و ١٤)

**وعلى ما قدمنا : فالملك لم يزل من بنى اسرائيل ، الا على يد بنى
اسماعيل ، أتباع محمد ﷺ .**

الحجة الثانية : سبط يهوذا :

يدعى ابن كهنة : أن حديث يعقوب — عليه السلام — خاص بسبط
يهوذا نفسه ، لا ببني اسرائيل جميعا ودعواه باطلة لما ذكرنا . ولأن
اليهود يطلقون اسم « التوراة » على جميع الأسفار المقدسة عندهم ، من
باب اطلاق اسم الجزء على الكل ، فان توراة موسى على الحقيقة خمسة
أسفار ، وما بعد الأسفار الخمسة يطلق عليه اسم التوراة مجازا . وغير
بعيد أن يكون اليهود جميعا فى « بابل » قد اتفقوا على الإشارة بيهوذا ، لليهود
بأسرهم ورضى السامريون بذلك ، للحظوة التى كانت لليهود العبرانيين
عند ملوك الفرس — كما جاء فى سفر أستير — ويؤيد عدم الاستبعاد :
اطلاق الفرس على بلادهم اسم « اليهودية » بعد رجوعهم من « بابل »
باعتبار أن « يهوذا » أشهر من ملك ، وأكثر مدة ، وأشد ذكرا .

ولأن سموئيل بن يهوذا بن أيوب ، الذى عاند اليهود وأسلم — كما يقول عنه ابن كهونة — احتج على اليهود بقوله : « نقول لهم : اليس فى السورة التى مى أيديكم : (لو ياسور شديط ميهوداه رمحقق مابين دغلاو تمسيره : « لا يزول الملك من آل يهود ، والراسم من بين ظهرائهم . الى أن يأتى المسيح » فلا يقدرين على جحده . نقول لهم : أما علمتم أنكم أصحاب دولة وملك الى ظهور المسيح ، ثم انقضى ملككم . فان لم يكن لكم ملك . فقد لزمكم من التوراة أن المسيح قد أرسل » (٢٠)

فقوله عن اليهود : « أصحاب دولة وملك الى ... الخ » يدل على أن عبارة يعقوب عن يهوذا مقصود بها جميع اليهود . وابن كهونة لم يعارض فى الدولة والملك . وانما ادعى سقوط الدولة وذهاب الملك من قبل عيسى — عليه السلام — .

ولأن النصرانى لو لم يكونوا عارفين بأن هذه النبوءة اشارة الى النبى الذى تنتظره الأمم بعد زوال الملك من اليهود وزوال الشريعة ما احتجوا بها على اليهود . والا لماذا لم يحتجوا بجميع عبارات التوراة ؟

ولأنه لو كانت الملوك من آل يهوذا ، ما كان طالوت ملكا على بنى اسرائيل ، فان « طالوت » من سبط بنيامين أخى يوسف . لقد قال لصموئيل لما أخبره أن الله اصطفاه ملكا : « أما أنا بنيامينى من أصغر أسباط اسرائيل وعشيرتى أصغر كل عشائر أسباط بنى بنيامين ؟ » (صموئيل الأول ٩ : ٢١) وأيضا ما كان موسى يقول لهم على لسان الله تعالى : « متى أتيت الى الأرض التى يعطيك الرب الهك ، وامتلكتها ، وسكنت فيها ، فان قلت : أجعل على ملكا كجميع الأمم الذين حولى ،

(٢٠) ص ٢٩ بذل المجهود . وبقية الآية هكذا : « عاد كى بيا شيلوه . ولو يتهاات عميم » وليس المراد بالمسيح : عيسى بن مريم عليه السلام . بل بحسب اصطلاح اليهود : محمد — ﷺ — وسيأتى البيان فى فصل « المسيا » .

فإنك تجعل عليك ملكا ، الذى يختاره الرب الهك . من وسط اخوتك
تجعل عليك ملكا . لا يحل لك أن تجعل عليك رجلا أجنبيا ، ليس هو
أخاك » (تثنية ١٧ : ١٤ — ١٥) فان موسى بهذا القول لا يحصر الملك
فى سبط يهوذا ، بل فى من يصلح للملك من يهوذا ، ومن غيره ، حتى لو
كان من بنى اسماعيل فانه من وسط اخوتهم (تك ١٦ : ١٢) . ولانه لو كانت
الملوك من آل يهوذا ، ما رجع الكهنة اللاويون من بابل وفى أيديهم الملك
بجانب الكهنوت .

وفى النص نفسه قرائن تدل على أن المراد قضيب لا سبط :

الأولى : هى قول يعقوب لأولاده قبل أن يتبأ عن كل واحد منهم : « اجتمعوا
لأبنتكم بما يصيبكم فى آخر الايام » (تك ٤٩ : ١) وآخر أيام بركته فى الارض
المقدسة كان من بعد عيسى ، لا من بعد داود — عليهما السلام — والثانية :
هى قوله : « وله يكون خضوع شعوب » ولم يخضع لداود فى الارض
المقدسة غير بنى اسرائيل وسكان الارض . والثالثة : ان سبط يهوذا لم يفن
من العالم بعد ما ملك داود على أرض « شيلوه » فى أرض فلسطين .
والرابعة : أن التوراة مكتوبة فى « بابل » من بعد داود بقرون كثيرة . فأى
فائدة من الاخبار عن أمر قد تم من قبل الكتابة بمئات من السنين ؟

...

...

...

الحجة الثالثة : انقطاع النبوة :

فسر ابن كمونة « ومشترع من بين رجليه » بالأنبياء ، ليحرف الكلم
عن مواضعه . والحق أنها تفسر بالنبیین الذين أسلموا ، وبالربانيين والأخبار
الذين يشرعون للناس حسب أحكام التوراة ، لأنهم جميعا متبعون للتوراة ،
يعلمون الناس بما فيها وظلوا عاكفين على العلم والتعليم الى مسخوط
الدولة . والدليل على أن « مشترع من بين رجليه » تفسر بالأنبياء والعلماء :
ترجمتها بالرسم من تحت أمره ، أو الرأس من بين أقدامه ، أى المعلمون ،
الذين يرسمون للناس طرق حياتهم باستنباط الأحكام من التوراة . وهؤلاء
المعلمون كانوا من سبط لاوى . فان التوراة تنص على أن بنى

لاوى يتفرغون لطلب العلم ، ويقومون بالدرس والافتاء . وتخص نسل هرون (٢١) من سبط لاوى بأن يكون الكهنة العظام منهم .

وهذا بيان نسبهم وعملهم :

يعقوب عليه السلام أنجب لاوى (وهو الولد الثالث من أولاده الذكور)

ولاوى أنجب : ١ - جرشون ٢ - قهات ٣ - مرارى .

وقهات أنجب : ١ - عهرام ٢ - يصهار ٣ - حبرون ٤ - عزيزيل .

وعهرام أنجب : ١ - هرون ٢ - موسى ٣ - مريم (أختها)

(٢١) يقول ابن كبونة : « وأتاهم موسى — عليه أفضل الصلاة والسلام — أعنى لبني اسرائيل بالشرعية المقدسة ، ولم ينسخ الشرعية التى أمر بها الأمم من لدن آدم ونوح — عليهما السلام — ولم يفسخها . ولكن أكد الوصية بها وزاد عليها ما خصص به بنى اسرائيل دون غيرهم من الأمم ، وخصص سبط ليوى ، لا سيما هرون ونسله بفرائض وتكاليف غير لازمة لسائر بنى اسرائيل . فكل الأمم داخلون تحت التكليف بما أمرهم الله به ، على لسان أنبيائه قبل موسى — عليه السلام — وعلى لسانه أيضا . وبنو اسرائيل مكلفون بما أمر به الأمم قبل موسى وبزيادة خصهم الله بها على لسان رسوله موسى — عليه السلام — وتثريفا لهم وعناية بهم ، واختص هارون وبنيه بزيادة تكاليف عليهم تميزا لهم بمزيد تشريف واختصاص وتعظيم . وجعل من الأمم بما كلف به بنو اسرائيل كالمسبب وغيره مما يخصهم جاريا مجراهم بحيث لو عاد عن المتزام ذلك قتله ، ولم يجعل لأحد سبيلا الى الالتحاق ببنى هرون — عليه السلام — لا من بنى اسرائيل ولا من غيرهم ، وفضلوا على من سواهم تفضيلا كثيرا . وفضل الامام الأعظم منهم ، وهو الذى بمنزلة هارون فى البيت المقدس ، بمزيد تكليف وتفضيل على بقية المهاونيين » (ص ٢٥ — ٢٦ تنقيح الأبحاث) وقد كذب فى قوله « ولم ينسخ الشرعية التى أمر بها الأمم من لدن آدم ونوح » فانه على سبيل المثال كان نكاح الأخت حلالا . وقد حرمه فى التوراة موسى والتحرير ناسخ للحل .

وصدق فى قوله : « فكل الأمم داخلون تحت التكليف بما أمرهم الله به على لسان أنبيائه قبل موسى عليه السلام وعلى لسانه أيضا » فان دين موسى كان عاما لجميع الأمم من قبل السبى البابلى . وسنوضح هذا فى كتابنا (نقد التوراة أسفار موسى الخمسة)

وأوصى موسى - عليه السلام - بأن يكون الملايون جميعا متفرغين
لشريعة الله .

فقد قال عنهم الله في سفر التثنية « يعلمون يعقوب أحكامك . واسرائيل
ناموسك » (تثنية ٣٣ : ١٠) وكان من عملهم بجانب العلم والتعليم :
حفظ تابوت العهد ، وذلك بنصب خيمة له . لكى يضعوه فيها اذا ارتحلوا
من مكان الى مكان . وهذه الخيمة تسمى (خيمة الاجتماع) او (مسكن
الرب) . وهذا المسكن له دار تسمى (دار مسكن الرب) .

والليك وصفا موجزا لدار مسكن الرب وما فيها :

١ - التابوت : طوله ٢ ذراعين و عرضه ١ ذراعين و ارتفاعه ١ ذراع . ويصنع من
خشب السنط ، ويفشى من الداخل والخارج بالذهب النقى ، وله حلقتان
على جانب ، وعلى جانبه الثانى حلقتان وعصوين من خشب السنط
مقشيان بالذهب ، ريوضع فيه « العهد » ويسمى (الشهادة) .

٢ - غطاء التابوت : طوله ٢ ذراعين و عرضه ١ ذراع . ويصنع من
الذهب النقى ، ويصنع له كروبين من ذهب . على طرف كروب ، وعلى
الطرف الثانى كروب « ويكون الكروبان باسطين أجنحتها الى فوق .
مظللين بأجنحتها على المغطاء ، ووجهاهما كل واحد الى الآخر . نحو
المغطاء يكون وجها الكروبين » .

٣ - المائدة : طولها ٢ وعرضها ١ وارتفاعها ١ ذراع . وتفشى
بالذهب على هيئة ترابيزة الطعام فى منازل المصريين الآن « وتجعل على
المائدة خبز الوجوه أمامى دائما » .

٤ - المنارة : تصنع من ذهب نقى على هيئة نجفة كريستال كبيرة
كالتى نشاهدها فى بيوت المصريين الآن .

٥ - مسكن الرب : على هيئة سرادق كبير من القماش . يصنع
المسكن من عشرة شقق ، طول الشقة الواحدة ٢٨ ذراع وعرض الشقة

٤ أذرع . وعلى حاشية الشقة تصنع خمسون عروة ثم توصل كل شقة بالأخرى في العروات بواسطة شظ من ذهب — والمشتظ هو كدبوس القميص المعكوف الذى يوضع فى عروتى الكم — خمس شقق توصل . وخمس شقق توصل . ثم يصنع سقف مكون من احدى عشرة شقة طول شقة السقف ٣٠ والعرض ٤٠ — خمس شقق توصل ، وست شقق توصل — ثم تسقف الخيمة ، والفاضل من السقف يدلى على جانبي المسكن ويوضع فوق قماش السقف جلود كباش محموة . ثم يصنع جدران للمسكن من خشب السنط طول اللوح ١٠ أذرع و عرض اللوح ١ ١/٢ ذراع . عشرون لوحا الى جهة الجنوب ، وعشرون لوحا الى جهة الشمال . ونحو المغرب ستة ألواح ، ولوحين للزوايا ، ويجعل لكل جانب خمس عوارض من الخشب لضبط الألواح وضمها معا . والمعارضة الوسطى من كل جانب تمتد من أحد طرفى الخيمة الى الآخر .

٦ — الحجاب و قدس الأقداس والقدوس : يصنع الحجاب من قماش نفيس على أربعة أعمدة داخل مسكن الرب ، وكان يحتل ثلث مساحة المسكن ، وما وراء الحجاب يسمى قدس الأقداس . وما هو خارجي يسمى : القدوس . وفى قدس الأقداس وراء الحجاب التابوت ، وعليه الغطاء . وفى القدوس توضع المنارة على الجانب الأيمن ، والمائدة على الجانب الأيسر .

٧ — المذبح : يصنع من خشب السنط على شكل مربع ٥ × ٥ وارتفاعه ٣ أذرع ومجوف من الوسط ، وعلى الزوايا الأربع : قرون تربط فيهم البهائم قبل ذبحها قربانا لله . ويصنع له شبكة من النحاس كانت تحيط بالمذبح من نصفه الى أسفله لتلقى جوانب المذبح من أرجل الكهنة بنى هارون .

وأدوات المذبح هى :

١ — قدور : لرفع الرماد وفضلات الذبيحة ٢ — رفوش : أدوات يرفع بها الرماد الى القدور ٣ — مراكن : الأتية التى يؤخذ فيها دماء الذبائح

٤ - المناشل : أدوات مثل المشوكة التي تستخدم في الأكل لترتيب قطع الذبيحة على المذبح ٥ - المجامر : الآنية التي يوضع فيها الجمر للتبخير . وكان مذبح النحاس هذا يشبه التابوت ، ومائدة خبز الوجوه ، في أن الكهنة كانوا يحملونه في الانتقال من مكان الى آخر . وكان يوضع في دار المسكن ، لا في المسكن نفسه .

٨ - مذبح البخور : مربع ذراع في ذراع ، وارتفاعه ذراعان . وله فرون ، ويحمل بعصوين كالتابوت ويوضع قدام الحجاب الذي أمام التابوت .

٩ - المرحضة : على هيئة قدح ذي قاعدة مستديرة ، تملأ ماء لغسل الكهنة ، وغسل بعض أجزاء الذبائح ، وتوضع بين مسكن الرب وبين المذبح في دار المسكن .

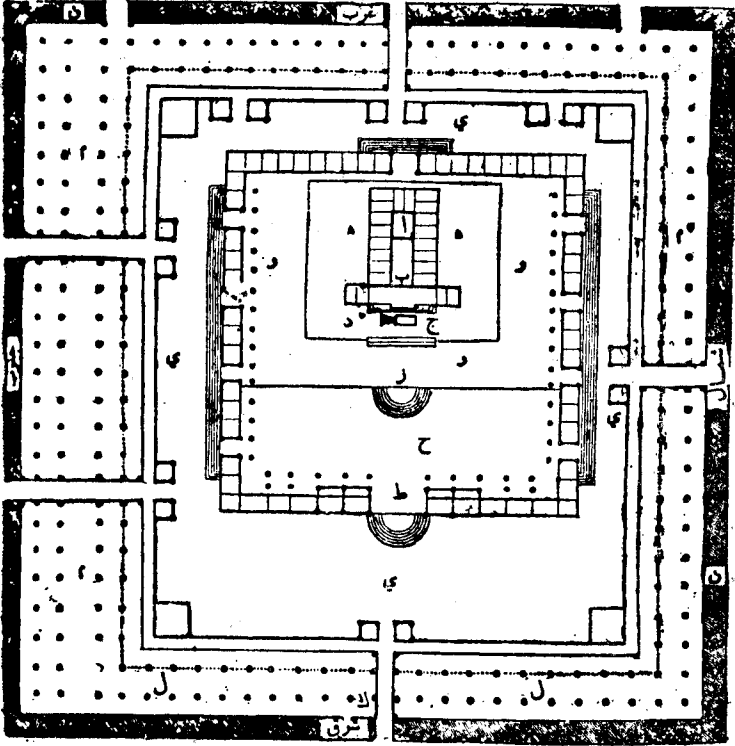
١٠ - دار المسكن : ما قدمناه عن مسكن الرب بما فيه من قدس الأقداس والقدس ، وما فيها . هذا المسكن يوضع بجملته في دار تسمى دار المسكن . ومساحتها :

جهة الجنوب ووجه الشمال ، كل جهة مائة ذراع . جهة المشرق ووجه المغرب . كل جهة خمسون . وفي جهتي الجنوب والشمال أربعون عمودا لكل جهة عشرون . وفي جهتي الغرب والشرق عشرون . لكل جهة مشرا . ولباب الدار سجد عشرون ذراعا . وارتفاع جدار الدار خمسة أذرع فتكون المساحة ١٠٠ × ٥٠ × ٥٠ ودار المسكن هذه كانت مثل سور مقدس لمسكن الرب . وكانت مكشوفة غير مسقوفة الا من جهة مسكن الرب (٢٢) .

(٢٢) ورد هذا في سفر الخروج وقد استرشدنا بتفسير : السنن القويم . ومرشد الطالبين الى الكتاب المقدس الثمين .

صفحة بالزنكو غراف من كتاب مرشد الطالبين

صورة الميكل في أيام السيد المسيح



معنى الاشارات في هذه الصورة

ح دار النساء	ا قدس الاقداس
ط الباب الجميل اع ٢٠٣	ب القدس
ي دار الام	ج مذبح المحرقة
ك الباب الشرقي	د مرحة النحاس
ل رفاق سليمان يو ١٠٣٠١ اع ١١٠٣	هـ دار الكهنة
م الرواق السلطاني	و دار اسرائيل
ن الحائط الخالجي	ز باب نيكانور

هذا هو بيت الله . كان بنو لاوى يشتركون فى حملة واقامته فى اى مكان حلوا فيه بالاضافة الى انتشارهم فى كل مكان ليعلموا التوراة . اما بنو هارون خاصة من سائر سبط لاوى فان فى التوراة عنهم « واما هرون وبنوه فكانوا يوقدون على مذبح المحرقة ، وعلى مذبح البخور مع كل عمل قدس الأقداس وللتكفير عن اسرائيل . حسب كل ما أمر به موسى عبد الله » (أخبار الأيام الاول ٦ : ٤٩) وفى عهد داود عليه السلام نظم هو عمل بنى لاوى بعد استقرار الملك فى اورشليم ، واستقرار المخيمة . وجعل بنى موسى عليه السلام من العلماء المعادين كائى عالم من بنى لاوى « واما موسى رجل الله فدعى بنوه مع سبط لاوى » (أخبار الأيام الأول ٢٣ : ١٤) .

ثم قال داود : « قد أراح الرب اله اسرائيل شعبه فسكن فى اورشليم الى الأبد » ويتحدث كاتب سفر الأخبار الأول عن عمل اللاويين بعد تنظيم داود فيقول « كانوا يفتقون بين يدي بنى هرون على بيت الرب فى الدور والمخادع ، وعلى تطهير كل قدس ، وعمل خدمة بيت الله . وعلى خبز الوجوه ودقيقى المقدمة ورقاق الفطير ، وما يعمل على الصباح والمربوكات وعلى كل كيل وقياس . ولأجل الوقوف كل صباح لحمد الرب وتسبيحه وكذلك فى المساء ، ولكل اصعاد محرقات للرب فى المسبوت والأهله والمواسم بالمعدد حسب المرسوم عليهم دائما أمام الرب ، وليحرسوا حراسة خيمة الاجتماع وحراسة القدس ، وحراسة بنى هرون اخوتهم فى خدمة بيت الرب » (٢٣ : ٢٦ - ٣٢)

ومن أجل هذا وصى موسى أن لا يكون لسبط لاوى نصيب فى أرض كنعان . لا يزرعون ولا يحصدون . بل يعيشون على التبرعات والنذور ، ليتفرغوا لعملهم . فقد قال عنهم « لا يكون للكهنة اللاويين كل سبط لاوى قسم ولا نصيب مع اسرائيل . يأكلون وقائد الرب ونصيبه فلا يكون له نصيب فى وسط اخوته . الرب هو نصيبه كما قال له » (تثنية ١٨ : ١ - ٢) .

•••

{••••}

•••

هذا بيان نسبهم وعلمهم . فأين عملهم الآن ؟ أين الخيمة ؟ وأين الهيكل ؟ لقد حل الهيكل محل الخيمة . وهدم الهيكل الى الأبد .

لقد وضع داود القبى — عليه السلام — أساس الهيكل في «أورشليم» ليحل محل خيمة الاجتماع ، ولما ورث سليمان داود أكمله وحسنه وجعله زينة للناظرين . وفى أيام النبى عيسى — عليه السلام — « كان قوم يقولون عن الهيكل : انه مزين بحجارة حسنة وتحف » فرد عليهم بقوله : « هذه التى ترونها ستأتى أيام لا يترك فيها حجر على حجر لا ينقض » وبين لهم أن أورشليم نفسها ستخرب بعد رفعه الى السماء مع خراب الهيكل فى قوله : « ومتى رأيتم أورشليم محاطة بجيوش فحينئذ أعلموا انه قد اقترب خرابها » ويقول لوقا فى نهاية هذا الحديث عن المسيح : « وكان فى النهار يعلم فى الهيكل ، وفى الليل يخرج ويبيت فى الجبل الذى يدعى جبل الزيتون . وكان كل الشعب يبكرون اليه فى الهيكل ليسمعه » (لوقا ٢١) ومعنى ذلك : أن الهيكل كان مركزا دينيا عظيما أيام المسيح عيسى بن مريم عليه السلام . فكيف يقول ابن كمونة بذهاب النبوة قبل ذلك الزمان بثلاثمائة سنة أو يزيدون ؟ كيف وقد اعترف الشعب اليهودى بنبوة عيسى ونبوة يحيى — عليهما السلام — ؟

يقول متى عن المسيح : « ولما دخل أورشليم ارتجت المدينة كلها قائلة : من هذا ؟ فقالت الجموع : هذا يسوع النبى » (مت ٢١ : ١٠ — ١١) ويقول متى عن يحيى : « لأن يوحنا كان يعد عند جميعهم نبيا » (مت ٢١ : ٢٥ — ٢٦ ترجمة اليسوعيين)

وكيف يقول بذهاب الملك من اليهود قبل المسيح عيسى بزيادة على أربعمئة سنة ؟ مع أن الملوك على اليهود بعد الرجوع من بابل كانوا — كما يقول — من بنى حشموئى وهم هارونيون من سبط لاوى .

فابن كمونة حين يقول بانقطاع النبوة من بنى اسرائيل قبل عيسى بما يزيد على ثلاثمائة سنة . يقول منكرا من القول وزورا ، لأن المقصود

من نبوءة يعقوب ليست النبوة وحدها ، بل والعلماء أيضا الذين يرسمون للناس حياتهم . ولقد كان عيسى ويحيى نبيان في وقت واحد ، وذكريا من قبل يحيى . وكان علماء من بنى اسرائيل يعيشون من بعد رفع المسيح سواء من آمن به ، أو من صد عنه . وظل هيكل سليمان عامرا بالعلماء الى سنة ١٣٢ بعد الميلاد سنة هدم ادريانوس لهيكل سليمان ، ثم تفرقوا أيدي سبا ، وتخلت عنهم المشيع .

وبعدما نقضنا اجتهاد ((ابن كهونة)) ونقدنا حججه ، نتجه الى كتب التاريخ لننقل منها ما يدل على شعور علماء بنى اسرائيل في ذلك الزمان ، عن زوال بركة اسرائيل الى الأبد .

في كتب تواريخ بنى اسرائيل : انه كان لدى اليهود شعور عام ، لا يعرفون له سببا بزوال الملك منهم والشريعة بعدما رفع المسيح عيسى بن مريم الى السماء .

ومرد هذا الشعور — الذى لا ينصحون عن سببه — وهم يعرفونه جيدا — الى المفهم الذى يفهمونه من بركة اسماعيل — عليه السلام — فان له ملكا كلهم ، ومنه نبي سيأتى كما كان فيهم موسى نبيا مشرعا ، ولابد من بدء ملكه فى يوم من الأيام على يد النبي الآتى من ذريته لأن وعد الله لا يتخلف . ولما جاءهم عيسى بالبينات . وعرفوا من أقواله أنه غير ناسخ للتوراة ، أدركوا أن النبوة ماتزال فيهم ، ولما رفع الى السماء والدولة فى الاضحلال ، وتسير من سييء الى أسوأ وقد عرفوا من تبشيره أن ملكوت محمد قد اقترب حينه ، أدركوا أن ملكهم قد أوشك على الانتهاء ، وأن عيسى عليه السلام كان هو النبي الأخير من أنبيائهم .

جاء فى كتب التواريخ :

انه بعد عيسى عليه السلام جاء (تيطس) الرومانى عام ٧٠م الى

اليهود وشدد عليهم الحصار فمات منهم نحو مليون نفس . وهذا يدل على كثرتهم في ذلك الوقت . وشدة بأسهم . يقول شاهين مكاريوس: « وكان تيطس هذا قائدامدربا . ذاق منه اليهود الأمرين ، ولقى منهم المقاومة والدفاع والثبات في الحرب والحصار مما كاد يثنيه عن عزمه من اخضاعهم لكنه ثابر على منازلتهم بالجنود الرومانية المشهورة ، ومنى اليهود بالانقسام الداخلى والفتن والمنازعات بينهم ، حتى ضعف امرهم وتقلص ظلمهم ، وتقوى تيطس عليهم فمزق شملهم ودخل أورشليم فذكا ودمرها تدميرا . ومات من اليهود في ذلك الحصار نحو مليون نفس . فسالت الدماء كالأنهار . وأبدى اليهود من البسالة ما لو كان لهم مثله من الوفاق والوثاق لقهروا تيطس وجيوشه » (٢٣) .

ثم يقول : ان فئة من اليهود نما عددها ، وكثروا بعد ثلاثين سنة فأحدثوا شغباً على روما فقصت عليهم « وبعد خراب أورشليم على يد تيطس ظل قسم من اليهود في بلاد اليهودية ، ولم يمر بهم ثلاثون سنة حتى تقدموا وازداد عددهم وأثروا وأفلحوا . ولكن حب الثورة عاودهم فانقضوا على الرومان مرة ثانية في بلدان مختلفة كقيروان وقبرص وما بين النهرين وفلسطين . وذلك بين سنة ١١٥ وسنة ١٣٠ بعد الميلاد . ولكن الرومان قهروهم وأثخنوا فيهم قتلا وذبحا ونهبا وأصبحت اليهودية فقرا بلقما . فبلغ عدد المدن الخربة والقرى ٩٨٥ وهدم ٥٠ حصنا وأبدل اسم أورشليم وحظر على اليهود السكن فيها » (٢٤) .

ويذكر يوسيفوس في تاريخه : أن تيطس ما كان يريد هدم الهيكل ولاخراب أورشليم . وكان خائفا من الله تعالى ان فعل ذلك . وقد نصح اليهود بأن لا يدفعوه الى الحرب .

ولكنهم لم ينتصحووا . ومن يقرأ الحوار الذى جرى بين تيطس ،

(٢٣) ص ٧١ تاريخ الاسرائيليين .

(٢٤) ص ٧٧ تاريخ الاسرائيليين .

وبين اليهود قبل الحرب يتبين له : أن الحرب قضاء أزلى سبق فى علم الله تقديره لأمر يريده . وهذا نصه كما ذكره يوسيفوس :

« يا معشر اليهود : أخبرونى ما الذى يدعوكم أن تجلبوا الخراب على هذا الموضع المقدس ، وأمكم على مخالفتنا ومنازعتنا ؟ فان كنتم انما تفعلون ذلك اجلالا لهذا البيت واشفاقا عليه من الخراب . فقد علمتم انى لا أريد خرابه ، وأنى ما جئت لذلك . على أنكم قد دنستموه وبذلتموه لكل نجس . ولم تجلوه ، ولم تكرموه ، وأكثرتم فيه من سفك الدماء وارتكاب المحارم . وهذا اليوم هو لكم عيد جليل . وهو ذا قد اشتغلتم فيه بمحاربة بعضكم بعضا ، وأهملتم بواجب ما يتعين عليكم من حق العبد . فان كان قصدكم أن تظهروا شدة بأسكم ، ووفور شجاعتكم فاخرجوا خارج المدينة الى الصحراء حتى نحاربكم . وهناك أظهروا على ما نركم ورفيع هممكم الى أن يغلب منا من غلب .

ووقروا قدس الله ، وتزهوه عن الحرب ، ولا تنجسوه بسفك الدماء ، ولا تعطلوا منه القرايين والعبادة . فانا لا نريد ذلك ولا نختاره ، ولا نقصد محاربتكم من أجله . وانما نحاربكم من أجل مقاومتكم لنا ومحاربتكم ايانا . فان كنتم قد عجزتم عن القتال فانزلوا على حكمتنا واقبلوا أمرنا .

فقال له يوحانان : أعلم أيها الملك أنه ليس لنا قرايين نقربها فى هذا الهيكل أجل من لحومنا ودمائنا . ونحن نختار أن نبذل مهجنا ونسفك دماغنا فيه . ونسبسل فى محاربتنا عنه . معتقدين أن ذلك لنا قربانا مرضيا وضحية مقبولة .

قال تيطس : كيف تطعمون أنفسكم أنكم تكونون عند الله كالقرايين المرضية اذا قتلتم فى قدسه . وأنتم قد عصيتموه وأغضبتموه بما ارتكبتموه من الأفعال ؟ وهل يقبل الله عز وجل من الضحايا والقرايين الا ما كان سالما من كل عيب ؟

فانتقم هؤلاء قد اجتمعت فيكم المساوية والمعائب . وليس يجب قتالكم
عن هذا الهيكل اعزازا له . وتستحقون ان توصفوا بفضيلة البأس
والشجاعة . لأن الشجاع انما يقاتل عن مدينته وقومه لمعونتهم وينع
عنهم الأذى ؟ ليس ليهلكهم ويخرب مدينتهم . أيرضى أحدكم أن تؤخذ
مائدته من قدماه بغير رضاه ؟ فاذا كنتم لا تختارون ذلك ولا ترضونه .
فايف استجزتم ان تعطلوا قرابين الهكم من هيكله وجعلتم فيه عوضا
عن ذلك قتلا وجث موتى وسفك دماء ؟

وقد أخبرتمك أننى ما قدمت اليكم لأقاتلكم ، ولا لأخرب مدنكم ،
ما جئت الا لى أذعوكم الى مسالمتنا ، والرجوع الى ما كنتم عليه من
طاعتنا . وقد ظهر لكم اشفاقنا عليكم وايثارنا الخير لكم مع مخالفتكم
ايانا ، ومحاربتكم لنا . مما لم يكن غيرنا من الأمم يفعل بهكم ، ولا يريده
لكم . ولعمري ان هذه السجية سجيتنا . ومثل هذا المذهب مذهبنا وطريقتنا
مع جميع من قاومنا وخالفنا وشق العصا علينا . وذلك أنا لما ظفرنا
بهم أحسننا اليهم ، وعفونا عنهم .

وقد علمتم ان ملككم (يكنيا) لما حاصره (بختنصر) (٢٥) ملك بابل
خرج اليه مستأنا . وسلم نفسه وجميع أهله اليه . لاشفاقه على المدينة
وعلى القدس من الخراب وعلى قومه من الهلاك فانقذ بذلك ونفع رعيته
وسلم وسلموا . وأما (صدقيا) الملك لما لج في مخالفة الملك (بختنصر)
ولم يسر اليه كما أشار عليه ارمياء النبي ، اهلك المدينة والأمة والقدس (٢٦)
ولم يسلم .

(٢٥) فى بعض النسخ من التوراة : نبوخذ ناصر — نبوخذ ناصر —
نبوكد ناصر — بختنصر .

(٢٦) لاحظ ان الاهلاك لم يكن شاملا ، والسبب الى بابل لم يكن
لكل . لقد تركوا الكرامين والفلاحين « ولكن رئيس الشرط أبقي
من مساكين الأرض كرامين وفلاحين . . الخ » (الملوك الثانى ٢٥ :
١٢ — ٢٤)

فسبيلكم أن تعتبروا بهذين الملكين فتقتدوا بأصوبها فعلا ، وأحدهما عاقبة ولا تلجوا فى المخالفة التى قد تبين لكم مضرتها ، وسوء عاقبتها . فرجوعكم الى ما كنتم عليه من طاعتنا أجود ، ونحن نرجع الى أفضل مما كنا عليه من الاحسان اليكم والاشفاق عليكم وصنيع الجميل معكم .

وها أنا أعاهدكم عهدا مجددا ، قدام اله هذا البيت ، وأجعله الشاهد على وعليكم وأضمن لكم ان أطعمم حسن الصنيع اليكم ، والعفو عن جميع ما تقدم منكم ، ومعاملتكم بالجميل الذى عهدتموه قبل ان تعصونا . وأعطيكم يوسفوس الكاهن وجماعة من وجوه أصحابى يكونون رهائنى عندكم ، حتى تسكن أنفسكم الى قولى ، وثثقوا بى ، وبعهدى وضمانى . فاقبلوا نصحى لكم ، واكتفوا بما جرى عليكم ، وارجعوا الى ما كنتم عليه من طاعتنا ليحسن حالكم وحال بلدكم ، وتعود قرايبتكم وعبادتكم الى ما كانت عليه .

وقد جعلت كلامى هذا حجة عليكم ، واعتذارا الى الله عز وجل فى أمركم (٢٧) «



يوسفوس يذكر اليهود بنبوءات دانيال

عن محمد صلى الله عليه وسلم

ومن شواهد التاريخ : أن دانيال النبى فى سفره قد حدد الوقت المعين لانتهاى الملك والشريعة من بنى اسرائيل فى حديث طويل مذكور فى الاصحاح الثانى والسابع والتاسع من سفره ، وفى أثناء حرب تيطس ذكر يوسفوس علماء بنى اسرائيل بنبوءات دانيال وبين لهم أن الحرب تمهيد لمجىء النبى الذى تنتظره الأمم . يقول يوسفوس : « انى لمست أعجب

(٢٧) ص ٢٩٤ — ٢٩٧. تاريخ يوسفوس

من خراب هذا البيت ، وهذه المدينة لعلى أن مدتها قد انتهت ، لكنى .
أعجب منكم وأنتم تقرأون كتاب النبي المعظم دانيال • وتعلمون ما ذكره
من ابطال القرايين ، وعدم الكاهن المسيح ، وزوال المسحة ، وترون
ذلك قد صح وثبت ، وأنتم بعد ذلك لا تخضعون لله عز وجل ،
ولا تستسلمون » .

ثم يقول يوسيفوس : أن جماعة من العلماء والأعيان قد فهموا ذلك
فلم يحاربوا ، يقول : « ان جماعة من الكهنة ومن كبراء اليهود خرجوا في
ذلك اليوم الى تيطس فأمنهم وأحسن اليهم ، ومنع الروم من أذيتهم» (٢٨)
ويقول يوسيفوس في تاريخه : انه كان لدى اليهود في ذلك الوقت شعور
عام • بخراب الهيكل قبل أن يخربه تيطس .

يقول « ظهر بعد ذلك على بيت القدس في الهواء ، صورة وجه انسان
شديد الحسن عظيم الجمال والبهاء ، ساطع النور والضياء ، وظهر
في الجو أيضا في تلك الأيام صور ركبان من نار ، على خيل من نار ،
يطيرون في الهواء ، قريبا من الأرض ، وكان ذلك يرى على أورشليم ،
وعلى جميع أرض اليهود ، وبعد ذلك سمعت الكهنة في القدس ليلة عيد
المنصرة (٢٩) : حس جماعة كثيرة يذهبون ويجيئون ويمشون ويذهبون
في الهيكل من غير أن يروا شخص أحد ، بل كانوا يسمعون حسهم فقط ،
ثم كانوا يسمعون صوتا عظيما يقول : امض بنا حتى نرحل من هذا
البيت » (٣٠)

وأعتقد بعد هذا الذي ذكرته : أن من جاء من الأنبياء بعد خراب

(٢٨) ص ٢٩٨ تاريخ يوسيفوس .

(٢٩) عيد المنصرة : أمر الله بنى اسرائيل في التوراة اذا حصدوا
زرعهم أن يأتي كل زارع بحزمة اول الحصيد الى الكاهن ليرضى الله عنه .
وببارك في زرعه • ثم يحسب الزارعون سبعة أسابيع من باكورة الحصيد ،
ويجتمعون معا في يوم واحد للفرح والسرور « لاويين ٢٣ : ٩ - ٢٢ » .
(٣٠) ص ٢٢٩ تاريخ يوسيفوس .

الهيكل وتدمير اورشليم احق بالنبوءة من كان حيا وقت عمارة الهيكل وتدمير اورشليم . خاصة وقد روى عنه يوحنا انه رفض الملك وقد روى عنه متى تصريحه بعدم نسخ الشريعة .

ومن شواهد التاريخ : أنه في كتاب « التلمود » شواهد على زوال الملك من بنى اسرائيل ، في الزمان الذي سيولد فيه محمد ﷺ . وكتابه يصرحون بزواله في ذلك الوقت ، ويعبرون عنه بعصر « المسيا » ولكنهم لا يصرحون بزواله على يد رسول الله . ففي التلمود البابلي : يقول الرابي « شارينا » عن عصر المسيا : « بعد أربعمئة سنة من خراب الهيكل ، ان قال لك واحد : اشتر منى فدانا بنصف دينار ، لا تشتتر منه . أو بمعنى آخر : بعد انقضاء أربعة آلاف سنة ومائتين وواحد وثلاثين من السنين بعد خلق العالم ، ان قال واحد : اشتر منى فدانا من الأرض بنصف دينار ، لا تشتتر منه » لماذا ؟ لماذا في هذا الوقت بالذات ؟ هل لأن القيامة ستقوم وتنتهي الحياة الدنيا ؟ كلا . فان العبرانيين لا يصرحون بالقيامة والبعث من الأموات . وقد خرب الهيكل في سنة مائة واثنين وثلاثين على يد « أدريانوس » وإذا أضفنا عليهم أربعمئة سنة . فان المدة تكون خمسمئة واثنين وثلاثين . ومحمد ﷺ ولد في خمسمئة وسبعين . فالزمان قريب منه . ولو كان « المسيا » من بنى اسرائيل لباعوا واشتروا في مجيئه بأثمان عالية . ولأنه ليس منهم ، ودعوا الدنيا وبكوا عليهم بقولهم : « لأن هذا ميعاد رجوعك الى الجبال المقدسة ، فعلام تدفع ثمننا فيما سترئه مجاناً » (٣١) وهذا سبب وهمي . فان عكسه هو مرادهم .

(٣١) ص ١٤٩ الأخلاقيات في محيط الفكر والديانات — للدكتور عزت زكى — ولاحظ حساب رجسة خراب دانيال الذي ذكرناه في مبحث علامات ابن الانسان في الباب الثاني من هذا الكتاب ، فصل ابن الانسان .

ومن كلام دانيال عن مجيء النبي ﷺ ، قوله للملك « نبوكد ناصر »
عن الحلم الذى رآه :

(٣١) « انك أيها الملك رأيت فاذا بتمثال عظيم . كان هذا التمثال
الكبير والكثير البهاء ، واقفا أمامك وكان منظره هائلا (٣٢) وكان رأس
التمثال من ذهب خالص . وصدرة وذراعه من فضة . وبطنه وفخذه
من نحاس (٣٣) وساقاه من حديد . وقدماه بعضهما من حديد والبعض
من خزف (٣٤) وفيما أنت راء ، اذ انقطع حجر لا باليدين ، فضرب
التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف وسحقهما (٣٥) فانسحق الحديد
والخزف والنحاس والفضة والذهب معا ، وصارت كفى المبير فى
الصيف . فذهبت بها الريح ولم يوجد لها مكان . أما الحجر الذى ضرب
التمثال ، فصار جبلا كبيرا وملا الأرض كلها .
(٣٦) هذا هو الحلم .

أما تعبيره . فنخبر به أمام الملك :

(٣٧) أنت أيها الملك ملك الملوك . لأن اله السماء ، آتاك الملك
والمقدرة والسلطان والمجد (٣٨) وكل ما يسكنه بنو البشر ووحوش
البر وطيور السماء ، جعله فى يدك وسلطك على جميعه . فأنت الرأس
الذى من ذهب (٣٩) . وبعدهك تقوم مملكة أخرى أصغر منك . ثم مملكة
ثالثة أخرى من نحاس فتسلط على كل الأرض (٤٠) . ثم مملكة رابعة
تكون صلبة كالحديد ، لأن الحديد يسحق ويطحن كل شىء ، فكما أن
الحديد يحطم ، كذلك هى تسحق وتحطم جميع تلك (٤١) وما رأيت من
أن القدمين والأصابع بعضها من خزف الفخار والبعض من حديد فهو أن
المملكة تكون منقسمة ويكون فيها من قوة الحديد . فلذلك رأيت الحديد
مختلطا بخزف من الطين (٤٢) فكما أن أصابع القدمين بعضها من حديد
وبعضها من خزف ، فكذلك يكون بعض المملكة صلبا والبعض قصفا (٤٣)

وما وأيت من أن الحديد مختلط بخزف الطين ، فهو أنهم يختلطون بذراوى
من البعير ، ولكن لا يلتحم هذا بذلك ، كما أن الحديد لا يختلط بالخزف .

(٤٤) وفى أيام هؤلاء الملوك يقيم اله السهوات ملكة لا تنقض
الى الأبد ، وملكه لا يترك لشعب آخر ، فتسحق وتفتنى جميع تلك
الممالك . وهى تثبت الى الأبد .

(٤٥) أما ما رأيت من أن حجرا انقطع من الجبل ، لا باليديين ، فسحق
الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب ، فهو أن الاله العظيم اعلم
الملك ما سيكون بعد ذلك .

الحلم حق ، وتمبيره صدق « (دانيال ٢ : ٣١ - ٤٥ كاثوليك)

وفى هذا الحلم نجد فى التمثال المهائل : ١ - رأس من ذهب ٢ - وصدر
من فضة ٣ - وفخذان من النحاس ٤ - وساقان من حديد ٥ - وقدمان
من حديد وخزف ٦ - والحجر الذى ضرب التمثال .

وقد فسر دانيال الحلم بممالك تقوم على الأرض ثم تزول الى أن
تأتى الملكة المرموز لها بالحجر . وتظل الى الأبد ، وملكها لا يترك لشعب
آخر ، أى لا يأتى ناسخ لكتابها ولا مذل لأتباعها . وفى هذا الحلم ممالك
أربع : الأولى : مملكة الكلدانيين . والثانية : مملكة الفارسيين . والثالثة :
مملكة اليونانيين . والرابعة : مملكة الرومانيين . ويقول النصارى : أن رمز
الحجر يشير الى مملكة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام . مع أن المسيح
قد ولد بعد احتلال الرومانيين لفلسطين بثلاث وستين عاما . وظل الرومان
من بعده فيها الى أن جاء محمد ﷺ . وتسلم المسلمون من الرومانيين أرض
الشام كلها . والمسيح أيضا لم يحارب ولم يؤسس مملكة لا تنقض الى الأبد .

يقول اليسوعيون ما نصه فى التعليق على كلام دانيال :

« ٣٩ مملكة أخرى أصفر منك . هى مملكة ماداي وفارس . وكانت .

ديون مملكة يابل اتساعا واقصر امدة واضعفت شوكة . ثم مملكة ثالثة .
هى مملكة اليونان التى أسسها الاسكندر الكبير (٤٠٠) ثم مملكة رابعة . هى
المملكة الرومانية ، التى حطمت كل مملكة قبلها فى أوربا وافريقية واكثر
آسية ٤٤ و ٤٥ هذه المملكة مملكة المسيح . وهذا الحجر هو يسوع المسيح ،
المولود من عذراء ، والذى أقام مملكته على الأرض بغير مؤازرة قوة
بشرية . وقد كسر قائمتى التمثال العظيم (انظر الآية ٣١ — ٣٤) أى
قاعدة المملكة الرومانية ذات العبادة الوثنية « ا. ه .

وسنوضح بطلان كلامهم فى فصل ملكوت السموات باذن الله وعونه .

...

...

...

وقد ذكر الله عز وجل فى القرآن الكريم : أن ملك بنى اسرائيل وشريعتهم
قد زالوا بظهور الاسلام . وبين الله عز وجل : أن كل أنبياء بنى اسرائيل
الذين ظهروا من بعد موسى عليه السلام كانوا على شريعته . فقد حكى
على لسان الجن قولهم « انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى ، مصدقا
لما بين يديه ، يهدى الى الحق والى طريق مستقيم » (الأحقاف ٣٠)
وهذا يعنى أن عيسى بن مريم عليه السلام لم يكن صاحب شريعة منفصلة
عن شريعة موسى عليه السلام ، والا قالوا : من بعد عيسى .

ويقول الله عز وجل : « سبحانه الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد
الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو
السميع البصير . وآتينا موسى الكتاب ، وجعلناه هدى لبنى اسرائيل :
ألا تتخذوا من دونى وكيفا . ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا .
وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن
علوا كبيرا . فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد
فجاسوا خلال الديار ، وكان وعد مفعولا . ثم رددنا لكم الكرة عليهم .
وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا . ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم
وأن أسأتم فلها . فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد
كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا . عسى ربكم أن يرحمكم وان

عدتم عدنا . وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا . ان هذا القرآن يهدى
للتي هي اقوم » (الاسراء ١ - ٩)

فقد قرن بين المسجد الحرام - رمز الشريعة الاسلامية الناسخة
للشريعة الموسوية - وبين المسجد الأقصى - رمز الشريعة الموسوية التي
زالت - وقرن بين كتاب موسى - عليه السلام - الذي بدأت به بركة
اسحق - عليه السلام - وبين القرآن الكريم كتاب محمد - ﷺ - الذي
بدأت به بركة اسماعيل - عليه السلام - وبين أنه سيكون لليهود من بعد
الاسلام فساد كبير وعلو كبير ، وأن المسلمين سينهون فسادهم وعلوهم
من أرض فلسطين التي بارك فيها الله للعالمين .

وفي القرآن الكريم « أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت ؟ إذ
قال لبنيه : ما تعبدون من بعدى ؟ قالوا : نعبد الهك ، واله آباءك :
ابراهيم واسماعيل واسحق ، الها واحدا ، ونحن له مسلمون . تلك أمة
قد خلت . لها ما كسبت ولكم ما كسبتم . ولا تسئلون عما كانوا يعملون »

فقد قرن الله عز وجل بين أمتين اثنتين . واحدة قد خلت وهي أمة
بنى اسرائيل ، وأخرى باقية هي أمة بنى اسماعيل . وقد قال الله هذا
القول بعد حديثه مباشرة عن بركة اسماعيل ليدل به على أن أمة بنى
اسرائيل قد زال ملكها وزالت شريعته . على يد النبي الآتى من اسماعيل
للبركة .

يقول تعالى : « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل .
ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك . ومن
ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا ، وتب علينا : انك أنت التواب
الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويزكيهم . انك أنت العزيز الحكيم . ومن يرغب عن ملة ابراهيم
الا من سفه نفسه . ولقد اصطفيناه في الدنيا . وانه في الآخرة لمن
الصالحين . اذ قال له ربه : أسلم قال : أسلمت لرب العالمين . ووصى

بها ابراهيم بنيه ويعقوب : يا بنى . ان الله اصطفى لكم الدين ، فلا
تموتن الا وانتم مسلمون . أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت ؟ اذ قال
لبنيه : ما تعبدون من بعدى ؟ قالوا : نعبد الهك واله آبائك : ابراهيم
واسماعيل واسحق . الها واحدا . ونحن له مسلمون . تلك امة قد خلت .
لها ما كسبت ولكم ما كسبتم . ولا تسئلون عما كانوا يعملون « (البقرة
١٢٧ - ١٣٤) .

وبذلك تكون نبوءة شيلون متطابقة مع القرآن الكريم .

الفصل الثالث

في

النبي الأمي

تمهـد :

بيننا من قبل : أن الله — تعالى — وعد إبراهيم النبي — عليه السلام — بأن تتبارك الأمم في نسله . ووعد الله لابن كائن ، وأن الله قد اختار لتحقيق هذا الوعد : نسل اسماعيل ونسل اسحق عليها السلام ، ففي التوراة يقول الله لإبراهيم عن اسماعيل : « وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه » وفيها يقول الله لإبراهيم عن اسحق : « ساراي امرأتك لا تدعو اسمها : ساراي ، بل اسمها سارة ، وأباركها » وهي لم تنجب غير اسحق وقد أصطفى الله من نسل اسحق : ولده يعقوب لتحمل ذريته البركة الى الأمم نيابة عن بني اسحق جميعا ، حتى يأتي دور بني اسماعيل . ففي التوراة يقول الله ليعقوب — عليه السلام — : « أنا الرب اله إبراهيم أبوك ، واله اسحق . الأرض التي أنت مضجع عليها ، أعطيها لك ولنسلك . ويكون نسلك كتراب الأرض ، وتمتد غربا وشرقا وشمالا وجنوبا . ويتبارك فيك ، وفي نسلك جميع قبائل الأرض » .

وقد بينت التوراة أوصاف النبي الآتي من بني اسماعيل لتتبارك الأمم في نسله كما تباركت من قبل في نسل بني اسحق . بينت أنه : نبي ومن بين اخوة بني اسرائيل — أي من بني اسماعيل — ومثل موسى . وناسخ لشريعة موسى . وانه نبي أمي لا يقرأ ولا يكتب ، وأمين على

الوحى . وسوف يقضى على بنى اسرائيل اذا لم يؤمنوا برسالته . ولن يقتل . وسوف يتحدث عن أمور غيبية وتحدث في مستقبل الأيام (١) .

ولأن اليهود لا يودون أن ينزل على الناس خير من ربهم حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ، زعموا : أن هذا النبي المنتظر الى الآن لم يأت ، واذا أتى فانه سيكون من بنى اسرائيل أنفسهم . وهذا منهم تحريف للكلم عن مواضعه . لأن التوراة نصت على أنه لن يأتى في مستقبل الأيام نبي من بعد موسى مماثلا له . وحيث نصت شريعة موسى على أن المائل لموسى لن يكون من بنى اسرائيل . وحيث نصت شريعة موسى على أن بركة الله للامم في نسل ابراهيم ، هي على حد سواء : بين بنى اسماعيل وبين بنى اسرائيل ، فان النبي المنتظر الذى وعد به موسى مماثلا له : هو نبي الاسلام ﷺ . اذ لم يأت من نسل اسماعيل نبي ذو شريعة الا هو .

وهذا هو النص الذى يمنع قيام نبي من بنى اسرائيل كهوسى ، فى التوراة العبرانية : « ولم يقم بعد نبي فى اسرائيل مثل موسى الذى عرفه الرب وجها لوجه . فى جميع الآيات والعجائب ، التى أرسله الرب ليعملها فى أرض مصر ، وفرعون ، وبجميع عبده ، وكل أرضه وفى كل اليد الشديدة ، وكل المخاوف العظيمة التى صنعها موسى أمام أعين جميع اسرائيل »

(١) نستدل نحن المسلمين على صحة نبوة محمد - ﷺ - ورسالته بأمر سبعة : ١ - اعجاز القرآن ٢ - الاخبار عن المفيبات ٣ - المعجزات الحسية (على رأى من يثبتها) ٤ - تنبؤات التوراة والانجيل عنه ٥ - انتفاع أهل الدنيا بدعوة محمد - ﷺ - أكمل من انتفاع سائر الأمم بدعوة سائر الأنبياء . وحيث أنهم به انتفعوا اذن يكون نبيا لأنه قادر على الكمال فى نفسه - بمعرفة الله وطاعته وقدر على تكميل الغير - ٦ - قد اجتمع لحمد - ﷺ - عدة أمور لا يجتمع مثلها الا لنبي مثل المعجزات ومثل صفاته وقرائن أحواله منذ الصغر فلم يكذب ولم يخن . . الخ . واعجاز القرآن هو المعتمد . وسائر الأمور بالتبع للاعجاز (محصل أفكار المتقدمين - للرازي)

(التثنية ٣٤ : ١٠ - ١٢) وهذا هو النص في التوراة السامرية :
« ولا يقوم أيضا نبي في اسرائيل كهوسى الذى ناجاه الله شفاها بجميع
الآيات والمعجزات التى أرسله للفعل الى أرض مصر بفرعون وبكل عبيده
وبكل أرضه وبكل اليد الشديدة ، وبكل المناظر العظيمة التى صنع موسى
بمشاهدة كل اسرائيل » .

والذين يعترفون بأن التوراة من كتابة موسى نفسه . يقولون مع
السامريين : حقا لا نبي من بعد موسى مماثلا له من بنى اسرائيل الى
الأبد . والذين يقولون بأن التوراة من صنع الربانيين والأخبار فى
(بابل) سيقولون ان الكاتب يقول : حتى زمنى هذا وأنا فى بابل « لم
يقم بعد نبي فى اسرائيل مثل موسى » وهو يشير بذلك الى بنى اسرائيل
أن يتربوا ظهوره من بعد ذلك الزمان . وقولهم يلزمهم بأن التوراة
محرفة — وهم لا يعترفون للعوام بأنها قد حرقت —

وايا ما كان الأمر . سواء كان القائل هو موسى ، أو كان هو
الكاتب فى مدينة « بابل » — وهو الصحيح — فانه لمن يأتى فى المستقبل
نبي مماثل لموسى ، الى الأبد . لثبوت بركة فى نسل اسماعيل — عليه
السلام — .

ويقول اليهود : الى الآن لم يظهر هذا النبي . واذا ظهر سيكون
من بنى اسرائيل . ويقول النصارى : ان ذلك النبي هو عيسى وقد جاء
ولا نبي من بعده الى يوم القيامة . ونقول نحن المسلمين : انه هو نبي الاسلام
— ﷺ — وأنه خاتم النبيين واذا ظهرت الأوصاف منطبقة على نبي الاسلام
.. ﷺ — فلا داعى لأن ينتظر اليهود آخر . وعليهم أن يعترفوا شريعته
حتى لا يبيعوا بغضب من الله . وعلى النصارى مثل ذلك لئلا يكونوا من
الضالين . والميهود السامريون يقولون : ان عدم ظهور نبي فى المستقبل مماثل
لموسى فى بنى اسرائيل هو أمر مسلم به صراحة . يقول أبو الفتح بن أبى الحسن
السامرى وهو يحكى عن الخلافات بين السامريين والعبرانيين « فقد منعت

الشريعة الموسوية أن يقوم بعد موسى نبي بقوله . . . الخ « (٢) ويقول
العبرانيون : ان المثلية الممنوعة لنبي من بنى اسرائيل هى فى صفة
واحدة فقط وهى : « الكلام المباشر بين الله ، وبين موسى » . يقول
ابن كهونة : « وأما النبى الذى يقيمه الله من اخوة بنى اسرائيل . فالمراد
بذلك : أنه يكون منهم ، لأنه أكثر ما وردت لفظة « اخوتكم » فى مخاطبة
بنى اسرائيل (يعنى) بها : من هو منهم ، الا فى المنادر . مثل قوله : « اخوتكم بنى
عيسو » وقوله : « لا يقوم نبي من بنى اسرائيل كموسى » أريد به : فى كونه
خوطب شفاهاً من غير واسطة فى كل شئ » (٣) وابن كهونة يحرف
الكلم عن مواضعه لأن النص لا يفيد ذلك . وانما يفيد المثلية فى أمور ثلاثة :

الأمر الأول : جميع الآيات والعجائب أمام المصريين وفرعون . والأمر
الثانى : كل الميد الشديدة . أى الحروب والانتصار على الأعداء . والأمر الثالث :
كل المخاوف العظيمة التى صنعها موسى أمام أعين جميع بنى
اسرائيل . ولا ينبغى أن نمر على الأمور الثلاثة بغير توضيح وبيان ، فانها
من الأهمية بمكان لدرجة أن اليهود أطلقوا على هذا النبى لقب « المنقذ »
أو « المخلص » لأنه سيكون صاحب عجائب كما كان موسى من قبل .

وقبل التوضيح والبيان نبين : أن الأمم السابقة كانت تطلب من
الأنبياء والمرسل معجزات تدل على أنهم آتون من قبل الله ونبين أن رسول
الله ﷺ نبي ورسول اتى الى أمة أمية لتنطلق برسالته الى الأمم . فهل
كانت له معجزات حسية كمعجزات الأنبياء والمرسل السابقين عليه ، أم لا ؟

لقد كانت الأمم السابقة تطلب معجزات ، أى تطلب أموراً من النبى أو
الرسول خارقة للعادات التى ألفوها فى الحياة الدنيا . فان حصل الأمر
الذى ما كان متوقفاً ، دل ذلك على أن خالق العالم هو الذى أجرى الأمر على يد

(٢) ذكر النص السامري الذى سبق ذكره وهو « ولا يقوم أيضاً نبي
فى اسرائيل كموسى . الخ » وسياتى هذا القول فيما بعد بتمامه .
(٣) ص ٩٦ تنقيح الأبحاث .

ذلك النبي أو الرسول ليؤمن الناس بما يقول . فموسى مثلا — عليه السلام — كان يلقي العصا فى أرض مصر فتصير ثعبانا أمام فرعون والسحرة . وكان لصالح — عليه السلام — ناقة تأكل فى أرض الله ، لها شرب ، ولهم شرب يوم معلوم ، وكان عيسى — عليه السلام — يبرىء الأكمه والابصر ويحيى الموتى باذن الله . وهذه المعجزات لم تكن فى يوم من الأيام دليل تصديق كامل للامم ، فانهم كانوا ينسبون هذه الخوارق أحيانا الى السحر ، ويتهمون النبي أو الرسول بالكذب .

وعلى سبيل المثال لما صنع موسى — عليه السلام — أمام فرعون والمصريين وبنى اسرائيل معجزات كثيرة منها : ١ — الغصن ٢ — واليد البيضاء ولم يؤمنوا أرسل الله على أهل مصر : ١ — الطوفان ٢ — والجراد ٣ — والقمل ٤ — والضفادع ٥ — والدم ٦ — والذباب ٧ — والوبأ الثقيل ٨ — والداهل ٩ — والظلام ثلاثة أيام ١٠ — وموت الأبقار — كما فى الأصحاح السابع والحادى عشر من سفر الخروج — ولما صنع موسى ذلك ، لم يكن ايما ولا تقوى عند الأكثرين وكان فرعون والمصريون معه اذا نزل بلاء عليهم . يقولون لموسى : « يا أيها الساحر : ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون . فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكتون . ونادى فرعون فى قومه ، قال : يا قوم اليس لى ملك مصر ، وهذه الأنهار تجرى من تحتى ؟ أفلا تبصرون ؟ أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ، ولا يكاد يبين ؟ فلولا ألقى عليه اسورة من ذهب ، أو جاء معه الملائكة مقترنين ؟ فاستخف قومه فأطاعوه . انهم كانوا قوما فاسقين ، فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين ، فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين » (الزخرف ٥٠ — ٥٦)

وفى التوراة فى هذا الذى قتلته ما نصه : « فأرسل فرعون ودعا موسى وهرون . وقال لهما : أخطأت هذه المرة . الرب هو البار ، وأنا وشعبى الأشرار ، صليا الى الرب ، وكفى حدوث رعود الله والبرد (الطوفان) فأطلقكم ، ولا تعودوا تلبثون . فقال له موسى : عند خروجى من المدينة

أبسط يدي الى الرب فتنقطع الرعود ، ولا يكون البرد أيضا ، لكى تعرف ان للرب الأرض . وأما أنت وعبيدك فانا أعلم أنكم لم تخشوا بعد من الرب الاله . . . فخرج موسى من المدينة من لدن فرعون ، وبسط يديه الى الرب . فانتقطعت الرعود والبرد ، ولم ينصب المطر على الأرض . ولكن فرعون لما رأى المطر والبرد والرعود انتقطعت . عاد يخطيء وأغلظ قلبه هو وعبيده « (خروج ٩ : ٢٧ - ٣٤)

فالمعجزات — كما هو واضح — لم تكن صارفة للناس عن الكفر . واذا كان الأمر كذلك فهل محمد نبي الاسلام — ﷺ — كان بدعا من الرسل ؟ ان معجزة نبي الاسلام — ﷺ — هي القرآن « كتاب أحكمت آياته ، ثم فصلت من لدن حكيم خبير » (هود ١)

ولقد كان النبي — ﷺ — أميا كقومه لا يقرأ ولا يكتب ، فأوحى الله اليه لقرآن لفظا ومعنى ، فكان النبي اذا تلا على الكفار منه شيئا ، يعجبون بفصاحة الكلام وبلاغته ، ويعرفون من الكلام معاني ما كانوا يعرفونها مثله من قبل . فيقولون « أساطير الأولين اكتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا » (الفرقان ٥) ولقد عجز العرب عن الاتيان بالكل أو بعشر سور أو سورة . وعجزهم راجع الى أنهم أميون ، وقد كانوا فصحاء . والفصاحة لم تكن عندهم شيئا . لأنهم لا يعرفون معانى يصوغونها فى أساليب فصيحة . وكيف يعرفون معانى وليس عندهم مدارس للعلم . ولا معارف ولا فنون . واليهود من حولهم لا يبصرونهم ، ولا يقبلون أبناءهم فى مدارسهم . والنصارى وان كانوا يقبلون فى مدارسهم أبناء من كل الأمم . لا يودون يومئذ خيرا للعرب ، بدليل هجومهم على مكة عام النيل فمن أين اذا يعرف العرب معانى ليصوغوا بعضها فى أساليب فصيحة ليتحدوا محمدا — عليه السلام — ؟

ولو قبل اليهود والنصارى تعليم أبناء العرب فى مدارسهم . فان العلم الذى عندهم ما هو الا دين خرجوا به عن أصوله وقواعده . والقرآن

يذكر غير هذا الدين فيها يذكر أنواعا من التواريخ القديمة ، وما سيأتى به الزمن ، وشيئا من العلوم الكونية التى عرفها الناس حديثا فى عصرنا هذا ، وعلوم كثيرة .

لقد كان القرآن — لذلك — فى نظر العرب معجزا من جهة أن محمدا — ﷺ — راعى غنم مثلهم وكان تاجرا لم يتعلم ، وأتى بهذه المعارف والعلوم فى أسلوب محكم ودقيق . ومن جهة أخرى أنهم غير قادرين على المعارضة لأنهم لا يعرفون معنى يضعونها فى أساليب فصيحة . فلذلك اعترفوا بأن محمدا نبي صادق وأن القرآن تنزيل من حكيم حميد .

ولما حمل العرب رسالة الله الى الأمم . ونظرت الامم فى القرآن . وجدوه كتابا يحتوى على معارف وعلوم لا ينقض بعضها بعضها . ووجدوا كل لفظ موضوع على المعنى المناسب بدقة واحكام فأرادوا محاكاته . ولكنهم عجزوا . لأنه ليس فى مقدور فرد واحد ان يحيط بجميع العلوم والمعارف ثم يصوغها بأسلوب محكم ورسين . ولا يستطيع البشر جميعا حتى ولو طلبوا مساعدة الجن لهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن . لأنهم ما أوتوا من العلم الا قليلا . وعجز العرب وعجز العالم دليل على أن القرآن من الله ، وأن النبي حق (٤) .

لنشرع بعد ذلك فى تفسير الأمور الثلاثة : ١ — الآيات والعجائب التى عملها موسى — عليه السلام — أمام فرعون والمصريين ٢ — واليهب الشديدة ٣ — المخاوف العظيمة التى صنعها موسى أمام بنى اسرائيل . ولنعتقد المقارنة بين : موسى — وعيسى — ومحمد — عليهم السلام — باعتبار أن موسى هو المشبه به . وأن عيسى هو المشبه فى نظر النصارى ،

(٤) انظر كتابنا اعجاز القرآن — زد على كتاب الفن القصصى فى القرآن الكريم — نشر الانجلو المصرية ولاحظ أننا لم نشر الى المعجزات الحسينية — وهى فى الكتب — للخلاف فيها . وسبب الخلاف : ورودها بطريق الأحاد ، وورودها بطريق المتشابه (محصل أفكار المتقدمين للامام فخر الدين الرازى)

رأن محمدا هو المشبه في نظر المسلمين . وإذا تمت الماثلة الحقيقية بين موسى وبين محمد — عليهما السلام — فقد صح أن محمدا خاتم النبيين ولا نبي بعده .

الأهر الأول : الآيات والمعائب (المعجزات) :

بينت التوراة أن موسى عليه السلام رمى العصا فصارت حية في طور سيناء وثمانينا في مصر ، ووضع يده في جيبه فصارت بيضاء من غير سوء . ولما صنع ذلك أمام فرعون لم يؤمن به ، وجمع له للسحرة في يوم معلوم فطلبهم موسى ، ثم أرسل الله عليهم لما استنكفوا واستكبروا : الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم . . . الخ وهذه معجزات عظيمة أجراها الله أمام فرعون وأهل مصر على يد عبده موسى — عليه السلام — .

نفى التوراة عن مثل موسى أمام الله في سيناء هكذا « فقال له الرب ما هذه في يدك ؟ فقال : عصا . فقال : اطرحتها الى الأرض . فطرحها الى الأرض . فصارت حية . فهرب موسى منها . ثم قال الرب لموسى : مد يدك وأمسك بذنبها فمد يده وأمسك به . فصارت عصا في يده . . . ثم قال له الرب أيضا : أدخل يدك في عبك . فأدخل يده في عبه . ثم أخرجها وإذا يده برصاء مثل الثلج . ثم قال له : رد يدك الى عبك . فرد يده الى عبه . ثم أخرجها من عبه . وإذا هي قد عادت مثل جسده » (خروج ٤ : ٢ — ٧)

وتنص التوراة نبا مثل موسى وهارون أمام فرعون هكذا : « دخل موسى وهارون الى فرعون ، وفعلا هكذا كما أمر الرب : طرح هارون عصاه أمام فرعون وأمام عبده فصارت ثعبانا . فدعا فرعون أيضا الحكماء والسحرة : ففعل عرافو مصر أيضا بسحرهم كذلك . طرحوا كل واحد عصاه ، فصارت العصى ثعابين . ولكن عصا هرون ابتعلت عصيهم . فاشتد قلب فرعون . فلم يسمع لها كما تكلم الرب » (خروج ٧ : ١٠ — ١٣) .

ثم تنقص التوراة خبر الآيات التسع (٥) فتقول « تحول كل الماء الذي فى النهر دما » (خروج ٧ : ٢٠) « فهد هارون يده على مياه مصر . فصعدت الضفادع » (خروج ٨ : ٦) « فصار البعوض على الناس وعلى البهائم » (خروج ٨ : ١٧) « وفى كل أرض مصر خربت الأرض من الذبان » (خر ٨ : ٢٤) « يد الرب تكون على مواشيك التى فى الحقل . على الخيل والحمير والجمال والبقر والغنم وبأثقيلا جدا » (خروج ٩ : ٣) « فأخذا رماد الأتون ووقفا أمام فرعون وذراه موسى نحو السماء ، فصار دماهل بثور طالعة فى الناس وفى البهائم » (خر ٩ : ١٠) « فانقطعت المرعود والبرد ، ولم ينصب المطر على الأرض » (خر ٩ : ٣٣) « ثم قال الرب لموسى : مد يدك على أرض مصر لأجل الجراد ، ليصعد على أرض مصر ، ويأكل كل عشب الأرض ، كل ما تركه البرد » (خر ١٠ : ١٢) « فهد موسى يده نحو السماء ، فكان ظلام دامس فى كل أرض مصر ثلاثة أيام » (خر ١٠ : ٢٢) « يموت كل بكر فى أرض مصر من بكر فرعون الجالس على كرسيه الى بكر الجارية التى خلف الرعى ، وكل بهيمة » (خر ١١ : ٥) .

هذه آيات موسى — عليه السلام — وعجائبه أمام فرعون وأهل مصر . فهل لعيسى — عليه السلام — آيات وعجائب أمام هيروُدس وببلاطس الواليان على بلاد بنى اسرائيل من قبل الرومان ؟ وهل لعيسى عليه السلام آيات وعجائب لتخويف الرومان كما أخاف موسى أهل مصر ؟

بالتأكيد : لا . ففى انجيل لوقا : « وأما هيروُدس فلما رأى يسوع فرح جدا ، لأنه كان يريد من زمان طويل أن يراه لسماعه عنه أشياء كثيرة ، وترجى أن يرى آية تصنع منه . وسأله بكلام كثير فلم يحبه بشيء . ووقف رؤساء الكهنة والكتبة يشكون عليه باشتداد . فاحتقره هيروُدس مع عسكره واستهزأ به والبسبه لباسا لامعا وردة الى ببلاطس ،

(٥) فى القرآن تسع ، وفى التوراة عشر .

فصار بيلاطس وهيرودس صديقين مع بعضهما في ذلك اليوم لأنها كانت
من قبل في عداوة بينهما « (لوقا ٢٣ : ٨ - ١٢)

وفي انجيل يوحنا : « فحينئذ أخذ بيلاطس يسوع وجلده وضفر العسكر
اكليلا من شوك ووضعوه على رأسه والبسوه ثوب أرجوان » (يوحنا
١٩ : ١ - ٢) ولم يخف عيسى الرومان كما أخاف موسى أهل مصر .
بل كان يدفع لهم الجزية ، وكان يوصى أصحابه أن لا يمسوهم بأذى .
ففي انجيل متى : « ولما جاءوا الى كفر ناحوم تقدم الذين يأخذون الدرهمين
الى بطرس . وقالوا : أما يوفى معلمكم الدرهمين ؟ قال : بلى . فلما دخل
البيت سبقه يسوع قائلا : ماذا تظن يا سمعان ؟ ممن يأخذ ملوك الأرض
الجباية أو الجزية ؟ أمن بنينهم أم من الأجانب ؟ قال له بطرس : من
الأجانب . قال له يسوع : فاذا البنون أحرار . ولكن لئلا نعثرهم : اذهب
الى البحر ، وألق صنارة ، والسمكة التي تطلع أولا خذها . ومتى فتحت
فأها ، تجد أستارا فخذها . وأعطهم غني وعنك » (متى ١٧ : ٢٤ - ٢٧)

وفي انجيل مرقس « ثم أرسلوا اليه قوما من الفريسيين والهيرودسيين
لكي يصطادوه بكلمة . فلما جاءوا . قالوا له : يا معلم نعلم أنك صادق ،
ولا تتبالي بأحد . لأنك لا تنظر الى وجوه الناس ، بل بالحق تعلم طريق
الله . أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا ؟ نعطي أم لا نعطي ؟ فعلم رياءهم
رقال لهم : لماذا تجربونني ؟ أيتوني بدينار لأنظره . فأتوا به . فقال لهم :
لمن هذه الصورة والكتابة ؟ فقالوا له : لقيصر . فأجاب يسوع ، وقال
لهم : أعطوا ما لقيصر لقيصر . وما لله لله » (مرقس ١٢ : ١٣ - ١٧)

هذا ما كان من أمر عيسى - عليه السلام - وأما ما كان من أمر نبي
الاسلام - ﷺ - فان رؤساء مكة طلبوا منه « آيات من ربه » فقال الله
تعالى : « أو لم يكنهم أنا أنزلنا عليك الكتاب ينل عليهم » (العنكبوت
٥١) وإذا كان القرآن كافيا ؟ لأنهم كانوا قد سمعوا عن آيات موسى ، أمام
مرعون وأهل مصر ، وسمعوا عن الأمم السابقة ما قد جرى لهم فنزل
سماعهم منزلة الرؤية خاصة وأنهم لم يكونوا منكرين لله ، كفرعون وغيره .

بل كانوا يعرفونه حق المعرفة كما قال تعالى : « قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون ؟ سيقولون ، لله قل : أفلا تذكرون ؟ قل : من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ؟ سيقولون : لله . قل : أفلا تتقون ؟ قل : من بيده ملكوت كل شيء . وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون ؟ سيقولون : لله . قل : فأنى تسحرون ؟ » (المؤمنون ٨٤ — ٨٩)

وكان اليهود والنصارى ينشرون بينهم خبر نبوته وينشرون في العالم كما قال تعالى : « وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا » (البقرة ٨٩) فكان أكثرهم على يقين من صحة ما يقول . غاية الأمر ان بعضهم كان يريد التأكد من نبوته ، وكان البعض منهم يريد نبيا من ذوى اليسار والمنى . كما قال تعالى : « وقالوا : لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » (الزخرف ٣١)

ولقد كانوا من أهل الفصاحة والبيان . وها هو القرآن مناسب لما يعرفون كما كانت عصا موسى ویده مناسبتان لما برع فيه أهل مصر يومئذ . يقول الامام محمود بن عمر الزمخشري — رحمه الله تعالى — « أو لم يكنهم آية مغنية عن سائر الآيات . ان كانوا طالبين للحق ، غير متعنتين : هذا القرآن الذى تدوم تلاوته عليهم فى كل مكان وزمان . فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ، ولا تضهل ، كما تزول كل آية بعد كونها . وتكون فى مكان دون مكان »

ويقول الامام محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى — رحمه الله تعالى — « أو لم يكف المشركين من الآيات هذا الكتاب المعجز الذى قد تحديتهم بأن يأتوا بمثله ، أو بسورة منه فعجزوا . ولو أتيتهم بآيات موسى وعيسى لقاتلوا : سحر . ونحن لا نعرف السحر . والكلام مقدور لهم ، ومع ذلك عجزوا عن المعارضة » .

ولقد أخاف نبي الاسلام — ﷺ — رؤساء مكة وحذرهم من بطش الله وروبهم ، ومع ذلك لم يستطع أحد منهم أن يصيبه بأذى . كما قال

تعالى « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك . وأن لم تفعل فما بلغت رسالته . والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين » (المائدة ٦٧) .

لقد أخاف نبي الإسلام رؤساء مكة ، كما أخاف موسى فرعون . أخافهم بقدرة الله على إهلاكهم كما أهلك الأمم السابقة ، الذين كانوا يبررون عليهم مصيبتهم وبالليل . وفي كثير من آيات القرآن يعبر الله بالرؤية ويقصد العلم كأنه يتحدث عن شيء يروونه بأبصارهم كأنه واقع بهم يقول تعالى « ألم تر كيف فعل ربك بعاد ؟ » (الفجر ٦) والرسول — ﷺ — لم ير ، وإنما يريد منه علم ذلك علما مؤكدا . ويقول : « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ؟ » (الفيل ١) وما كان مشاهدا للحادثة . وإنما هو يخوفهم بما هو في حكم الرؤية . وفي ذلك يقول تعالى بعد ذكر آيات وعجائب « وأذ لنا لك : إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس ، والشجرة الملعونة في القرآن ، ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا » (الاسراء ٦٠) .

وبالإضافة الى التخويف بذكر ما جرى على الأمم السابقة ، وجدوا آثار قدرة الله ظاهرة في شخص النبي نفسه . فقد تأمر أهل مكة على قتله هنجام من أيديهم كما نجا موسى من فرعون . وما كانوا يتوقعون نجاة . فقد قال تعالى « وأذ يكر بكم الذين كفروا ليثبتوك ، أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون . ويبكر الله ويكر الله والله خير الماكرين » (الأنفال ٣٠) .

وكما استغاث أصحاب موسى لما هربوا من بطش فرعون كما في التوراة « فلما اقترب فرعون رفع بنو إسرائيل عيونهم وإذا المصريون راحلون وراءهم . ففزعوا جدا ، وصرخ بنو إسرائيل الى الرب ... الخ » (خروج ١٤ : ١٠) كذلك استغاث أصحاب النبي لما اقترب منهم أهل مكة ففي القرآن الكريم « اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم : أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين » (الأنفال ٩) .

وكما كان نصر موسى على فرعون بمعجزة خارقة للعادة لأن من معه كان عددا قليلا ضعيفا مغتربا لا يقوى على جيش كثير قوى صاحب وطن . كذلك كان نصر النبي بنفس المعجزة الخارقة للعادة . فقد كان مغتربا في المدينة ، والعدد الذى خرج به للقاء أهل مكة كان قليلا وضعيفا في العدة . ولذلك قال تعالى ممتنا عليه « وما رميت اذ رميت ، ولكن الله رمى ، وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا . ان الله سميع عليم . ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين » (الأنفال ١٧ - ١٨) .

الأهر الثانى : الديد الشديدة :

لقد كان موسى عليه السلام بطل حرب مظفرا منصورا . أعانه الله وقواه . وسهل له طريق الغلبة . فهزم المصريين هزيمة منكرة . وخرج من أرضهم سليما معافى الى صحراء سيناء . وحارب كثيرا من قبائل بدو سيناء وهزمهم وحارب مدنا محصنة وقتل ملوكها .

يقول موسى فى التوراة « ثم تحولنا ، وصعدنا فى طريق باشان ، فخرج عوج ملك باشان للقائنا هو وجميع قومه للحرب فى اذرعى ، فقال لى الرب : لا تخف منه لأنى قد دفعته الى يدك وجميع قومه وأرضه . فتفعل به كما فعلت بسيحون ملك الآموريين الذى كان ساكنا فى حشبون . ندفع الرب الهنا الى أيدينا عوج ملك باشان ، وجميع قومه فضربناه حتى لم يبق له شارد . وأخذنا كل مدنه فى ذلك الوقت ، لم تكن قرية لم نأخذها منهم . ستون مدينة . كل كورة أرجوب مملكة عوج فى باشان . كل هذه كانت مدنا محصنة بأسوار شاهخة وأبواب ومزاليج ، سوى قرى الصحراء الكثيرة جدا ... الخ » (تثنية ٣ : ١ - ٥)

ولم يحارب عيسى - عليه السلام - كما ذكرنا - وقد رفض أن يكون ملكا . وفى انجيل يوحنا « وأما يسوع فاذا علم أنهم مزعمون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكا ، انصرف أيضا الى الجبل وحده » (يوحنا ٦ : ١٥) وفى انجيل لوقا : « وقال له واحد من الجمع : يا معلم قل لأخى أن يقاسمنى .

الميراث . فقال له : يا انسان من اقامنى عليكما قاضيا أو مقسما ؟
(لوقا ١٢ : ١٣ - ١٤) وقال لبيلاطس « مملكتى ليست من هذا العالم .
لو كانت مملكتى من هذا العالم لكان خدامى ، يجاهدون . لكى لا اسلم
الى اليهود » (يوحنا ١٨ : ٣٦)

هذا ما كان من أمر عيسى عليه السلام . وأما ما كان من أمر
نبي الاسلام - ﷺ - فإنه كان فى حروبه كموسى فقد حارب رؤساء
مكة وانتصر عليهم ، كما حارب موسى أهل فرعون . وحارب اليهود
فى المدينة ، وانتصر عليهم ، كما حارب موسى فى سيناء لما بعد عن
فرعون ، وحارب كثيرا من القبائل فى الأرض العربية لنشر الاسلام
كما حارب موسى فى سيناء . ووجه الجيوش ناحية الشام ولم ينتقل الى
الرفيق الأعلى حتى دانت له بسيفه ورمحه جزيرة العرب . فقد قال تعالى
« لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ، ويوم حنين اذ أعجبكم كثرتكم فلم
تفنع عنكم شيئا ، وضافت عليكم الأرض بما رحبت ، ثم وليتم مدبرين .
ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها
وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين » (التوبة ٢٥ - ٢٦)

ويقول تعالى : « انا فتحنا لك فتحا مبينا » ويبين أنهم فتحوا
بلادا وسوف يفتحون بلادا أخرى فى المستقبل فى قوله : « لقد رضى الله عن
المؤمنين اذ يبأيعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم . فأنزل السكينة
عليهم وأثابهم فتحا قريبا . ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما
وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه ، وكف أيدى الناس عنكم
ولتكون آية للمؤمنين ، ويهديكم صراطا مستقيما ، وأخرى لم تقدروا عليها
قد أحاط الله بها ، وكان الله على كل شىء قدير » (الفتح ١٨ - ٢١)

وكما حارب موسى فى سيناء ومات من قبل ان تتم فتوحاته فى
الأرض المقدسة وقام من بعده على سنته : يشوع بن نون . كذلك حارب
نبي الاسلام ووجه الجيش لغزو الروم فى نفس الارض المقدسة التى

كان يريدھا موسى ، وقام من بعدھ على سنتھ : ابو بكر الصديق رفيقھ في
الغار .

الأمر الثالث : المخاوف العظيمة :

لما رجع موسى من أرض مدين الي مصر قابل هارون أخاه ، قبل
أن يذهب الي فرعون « ثم مضى موسى وھارون وجمعا جميع شيوخ بني
اسرائيل ، فتكلم هرون بجميع الكلام الذي كلم الرب موسى به ، وصنع
الآيات أمام عيون الشعب . فأمن الشعب . ولما سمعوا أن الرب انتقد
بني اسرائيل وأنه نظر مذلتھم خروا وسجدوا » (خروج ٤ : ٢٩ - ٢١)
ولقد كانت الآيات التسع مثلا أمام أعين بني اسرائيل على قوة
الله ، وصدق موسى . وكان غرق فرعون وجنودھ كذلك . ثم لما استقر
موسى وبني اسرائيل في سيناء « قال الرب لموسى : مر قدام الشعب ، وخذ
مغك من شيوخ اسرائيل ، وعصاك التي ضربت بها النھر خذھا في يدك .
واذهب . ها أنا أقف أمامك هناك على الصخرة في حوريب فتضرب للصخرة
فيخرج منها ماء ليشرب الشعب . ففعل موسى هكذا أمام عيون شيوخ
اسرائيل » (خر ١٧ : ٥ - ٦)

ولما بعث قاريون على موسى لأنه اعطى الكهنوت لھارون وبنيه « قال
موسى : « بهذا تعلمون أن الرب قد أرسلني لأعمل كل هذه الأعمال ، وأنها
ليست من نفسي . ان مات هؤلاء كهوت كل انسان ، وأصابتھم مصيبة
كل انسان فليس للرب قد أرسلني . ولكن ان ابتدع الرب بدعة ،
وفتحت الأرض فاھا وابتلعتمھم وكل ما لھم ، فهبطوا أحياء الي الهاوية ،
تعلمون : ان هؤلاء القوم قد ازدروا بالرب فلما فرغ من التكلم بكل هذا
الكلام ، انشقت الأرض التي تحتھم ، وفتحت الأرض فاھا ، وابتلعتمھم
وبيوتھم وكل من كان لقورح مع كل الأموال . فنزلوا هم وكل ما كان لھم
أحياء الي الهاوية وانطبقت عليهم الأرض فبادوا من بين الجماعة . وكل
اسرائيل الذين حولھم هربوا من صوتھم . لأنھم قالوا لعل الأرض

تبتلعنا « (عدد ١٦ : ٢٨ - ٢٣) وأشياء كثيرة من هذا القبيل أخافت
بنى اسرائيل من موسى ، وجعلته مهابا فى أعينهم وجعلتهم يتقبلون شريعته
ويرضون بها .

وهذا مثل على قبول حكمه من التوراة : « لما كان بنو اسرائيل فى
البرية وجدوا رجلا يحتطب حطبا فى يوم السبت ، فقدمه الذين وجدوه
يحتطب حطبا الى موسى وهارون وكل الجماعة فوضعه فى المحرس .
لأنه لم يعلن ماذا يفعل به ؟ فقال الرب لموسى : قتلا يقتل الرجل .
يرجمه بحجارة كل الجماعة خارج المحلة . فأخرجه كل الجماعة الى خارج
المحلة ورجموه بحجارة فمات » (عدد ١٥ : ٣٢ - ٣٦)

ولم يخف عيسى بنى اسرائيل كما أخافهم موسى . ففى الانجيل
أنه أرسل أمام وجهه رسلا الى السامريين ليستعدوا لاستقباله . فلم
يقبله السامريون « فلما رأى ذلك تلميذاه يعقوب ويوحنا قالا : يارب
أتريد أن نقول : أن تنزل نار من السماء فتفتيهم كما فعل ايلياء أيضا ،
فالتفت وانتهرهما . وقال : لستما تعلمان من أى روح أنتما ؟ » (لوقا
٩ : ٥٤ - ٥٥)

وما كانت المعجزات التى يعملها ، الا ليعلموا أنه رسول الله اليهم (٦).

(٦) كانت معجزة موسى عليه السلام من جنس ما برع فيه أهل زمانه .
فقد كانوا يوهون على الناس بالسحر والتنجيم . وما شابه ذلك .
فغلبهم موسى عن أمر الله تعالى لأن سحره كان قلبا لحقائق الأشياء ،
لا تمويهها على الناس . وفى زمان عيسى عليه السلام كان علماء بنى اسرائيل
يوهون الناس بأنهم يستخدمون الجان والملائكة فى جلب النفع ومنع
الضرر ، ويستخدمون اسم الله الأعظم فى قضاء الحاجات ، وكانوا يكتبون
آيات من التوراة فى ورق ويحفظونه فى جلد سميك ويعلقون المكتوب فى
رقبة المريض ، ويوهونه بأنه حجاب من الحسد والأرواح الشريرة .
وكانوا يتفلون فى الماء ويعزمون عليه بتلاوة أقسام معينة ويأمرون بشر به
للتداوى من الصرع وشبهه . ويتفلون على التراب ويصنعون منه طينا =

... ..
... ..
... ..

= ويضعونه على الجرح وموضع الداء ، ويوهمون المريض بأنه سيشفى
وأشياء من هذا القبيل كانوا يعملونها للحبب والكرف والحل والربط وغير ذلك .
فكانت معجزة عيسى عليه السلام من جنس ما شاع في زمانه على أيدي علماء
بنى إسرائيل . لكن الله تعالى كان يعطيه سؤله في الحال ، ليميز فعله عن
فعل العلماء . وعندئذ اعتقد الناس أنه نبي ورسول .

ففي انجيل مرقس : « وكان عند البحر وأذا واحد من رؤساء المجمع
اسمه ياييرس جاء . ولما رآه خر عند قدميه . وطلبه اليه كثيرا قائلا : ابنتي
الصفيرة على آخر نسبة . ليتك تأتي وتضع يدك عليها لتشفى فتحيا .
فمضى معه وتبعه جمع كثير وكانوا يزحمونه .

وبينما هو يتكلم جاؤا من دار رئيس المجمع قائلين : ابنتك ماتت .
لماذا تتعب المعلم بعد ؟ فسمع يسوع لوقته الكلمة التي قيلت . فقال
لرئيس المجمع : لا تخف . آمن فقط . ولم يدع احد يتبعه الا بطرس ويعقوب
ويوحنا أخوا يعقوب . فجاء الى بيت رئيس المجمع ورأى ضجيجا . ويكون
ويولولون كثيرا . فدخل وقال لهم : لماذا تضحجون وتبكون ؟ لم تمت الصبية
لكنها نائمة . فضحكوا عليه . أما هو فأخرج الجميع وأخذ أبا الصبية
وأما والذين معه ودخل حيث كانت الصبية مضطجعة وأمسك بيد الصبية ،
وقال لها : طليثا قومي . الذي تفسره : يا صبية لك أقول : قومي . وللوقت
قامت الصبية ومشت . لأنها كانت ابنة اثنتى عشرة سنة . فبهتوا بهتاً
عظيماً » (مر ٥ : ٢١ - ٤٢)

ولما رأى علماء بنى إسرائيل فعله . لم يقولوا : ان الله معه ، وانها
قالوا : ان الشيطان معه . وذلك ليشوشوا على فعله : وعلى تعاليمه . قالوا :
انه يستخدم « بعلزبول » رئيس الشياطين في اخراج الشيطان من
المصروع ، أما نحن فنستخدم اسم الله الأعظم . أى أنه يتعاون مع
الأرواح الشريرة في فعل المعجزات . ورد عليهم عليه السلام بأن الشياطين
لا تتعاون مع الناس في فعل الخير ، والخير الذى أقعله يغيظ الشياطين .
ولذلك لست معهم ولاهم يتعاونون معى . يقول مرقس في الاصحاح
الثالث من انجيله : « وأما الكتبة - أى العلماء - الذين نزلوا من اورشليم .
فقالوا : ان معه بعلزبول . وانه برئيس الشياطين يخرج الشياطين .
فدعاهم وقال لهم بأمثال : كيف يقدر شيطان أن يخرج شيطانا ؟ وان انقسم =

يقول يوحنا « وفيما هو مجتاز رأى انسانا أعمى منذ ولادته . فسأله تلاميذه قائلين : يا معلم من أخطأ ؟ هذا أم أبواه حتى ولد أعمى ؟ أجاب يسوع : لا هذا أخطأ ، ولا أبواه . لكن لظنهم أعمال الله فيه ، ينبغي أن أعمل أعمال الذي أرسلنى ... »

قال هذا وتفل على الأرض ، وصنع من التفل طينا ، وطفى بالطين عينى الأعمى . وقال له : اذهب اغتسل فى بركة سلوام الذى تفسره مرسل . فمضى واغتسل واتى بصيرا . . فقال قوم من الفريسيين : هذا الانسان ليس من الله ، لأنه لا يحفظ السبت آخرون قالوا : كيف بقدر انسان خاطيء أن يعمل مثل هذه الآيات ؟ وكان بينهم انشقاق . قالوا

= بيت على ذاته لا يقدر ذلك البيت أن يثبت . وان قام الشيطان على ذاته وانقسم لا يقدر أن يثبت ، بل يكون له انقضاء ... الخ «
وفى انجيل يوحنا ، أن عيسى عليه السلام كان يعمل مثل ما كان يعمل علماء بنى اسرائيل فى قوله : « قال هذا . وتفل على الأرض ، وصنع من التفل طينا . وطفى بالطين عينى الأعمى . وقال : اذهب اغتسل فى بركة سلوام الذى تفسره مرسل . مضى واغتسل واتى بصيرا » (يو ٩ : ٦ - ٧) وفى نفس الانجيل : « فحدث أيضا انشقاق بين اليهود بسبب هذا الكلام . فقاتل كثيرون منهم : به شيطان وهو يهذى . لماذا يستمعون له ؟ آخرون قالوا : ليس هذا كلام من به شيطان . ألع شيطاننا يقدر أن يفتح أعين العميان ؟ » (يو ٩ : ١٩ - ٢٠)

والترق بينه وبينهم : أن الله يسمع له ، ولا يسمع لهم .

ومما يدل على شيوع كتب السحر والبتنجيم ، وعلى استعمال علماء بنى اسرائيل للسحر فى زمان عيسى عليه السلام : ما جاء فى الاصحاح التاسع عشر من سفر أعمال الرسل . وفيه : « فشرع قوم من اليهود الطوائف المعزمين أن يسموا على الذين بهم الأرواح الشريرة باسم الرب يسوع قائلين : نقسم عليك بيسوع الذى يكرز به بولس ، وكان سبعة بنين لسكاو رجل يهودى رئيس كهنة الذين فعلوا هذا ... الخ » وفى نهاية القصة : « وكان كثيرون من الذين يستعملون السحر يجمعون الكتب ويحرقونها أمام الجميع ، وحسبوا أثمانها فوجدوها خمسين ألفا من الفضة » (أ ع ١٩ : ١٣ - ٢٠)

أيضا للأعمى : ماذا تقول أنت عنه من حيث انه فتح عينيك ؟ فقال :
انه نبي ...

فدعوا ثانية الانسان الذي كان أعمى . وقالوا له : أعط مجدا لله .
نحن نعلم أن هذا الانسان خاطيء . فأجاب ذلك . وقال : اخاطيء هو ؟
لست أعلم . انما أعلم شيئا واحدا أنى كنت أعمى والآن أبصر . فقالوا
له أيضا : ماذا صنع بك ؟ كيف فتح عينيك ؟ أجابهم : قد قلت لكم ولم
تسمعوا . لماذا تركدون أيضا ؟ ألعلمكم أفتم تريدون أن تصيروا له تلاميذ ؟
فشتموه . وقالوا له : أنت تلميذ ذلك . وأما نحن فاننا تلاميذ موسى .
نحن نعلم أن موسى كله الله . وأما هذا فما نعلم من أين هو ؟

أجاب الرجل وقال لهم : ان فى هذا عجبا . انكم لستم تعلمون من
أين هو ، وقد فتح عينى ؟ ونعلم أن الله لا يسمع للخطاة . ولكن ان كان
أحدثنى الله ويفعل مشيئته فلماذا يسمع . منذ الدهر لم يسمع أن أحدا
فتح عينى مولود أعمى . لو لم يكن هذا من الله لم يقدر أن يفعل شيئا .
أجابوا وقالوا له : فى الخطايا ولدت أفت بجملتك وأنت تعلمنا .

فقال يسوع : لدينونة أتيت أنا الى هذا العالم ، حتى يبصر الذين
لا يبصرون ويعمى الذين يبصرون . فسمع هذا الذين كانوا معه من
الفريسيين . وقالوا له : ألعنا نحن أيضا عميان ؟ فقال لهم يسوع :
لو كنتم عميانا لما كانت لكم خطية . ولكن الآن تقولون اننا نبصر .
فخطيتكم باقية ...

فحدث أيضا انشقاق بين اليهود بسبب هذا الكلام . فقال كثيرون
منهم : به شيطان وهو يهذى . لماذا تستمعون له ؟ آخرون قالوا : ليس
هذا كلام من به شيطان . ألع شيطاننا يقدر أن يفتح أعين العميان ؟
(يوحنا ٩/١٠)

لقد قال عيسى عليه السلام « يشغى أن أعمال أعمال المذى أرسلنى »

وقال الأكمه الذى ولد أعمى عن عيسى : « انه نبى » ولم يرض قوم من الفريسيين أن يصيروا له تلاميذ ، لأنهم « تلاميذ موسى » وأخيرا قال كثيرون من اليهود « به شيطان وهو يهذى . لماذا تستمعون له ؟ » فهل ذلك الذى صنعه عيسى — عليه السلام — كان مخيفا لبنى اسرائيل ؟ انه لم يكن مخيفا لهم قط ، بما قدمنا ، وبدليل أنهم تشاوروا على قتله بعد ذلك ، وكان يخاف أن يظهر لهم . فقد قال يوحنا : « تشاوروا ليتتلوه . فلم يكن يسوع أيضا يعيش بين اليهود علانية ، بل مضى من هناك الى الكورة القريبة من البرية الى مدينة يقال لها : أمرايم ، ومكث هناك مع تلاميذه » (يو ١١ : ٥٣ — ٥٤) ثم انهم أمسكوه — كما كتبوا — وقدموه لبيطلاس لكى يقتله ففى الانجيل : « فحينئذ أخذ بيلاطس يسوع وجلده ، وضفر العسكر اكليل من شوك ، ووضعوه على رأسه ، وألبسوه ثوب أرجوان . الخ » (يو ١٩ : ١ — ٢)

هذا ما كان من أمر عيسى — عليه السلام — وأما ما كان من أمر نبى الاسلام — ﷺ — فانه قد صنع مخاوف فى أعين العرب كما صنع موسى فى أعين بنى اسرائيل . لقد قرأ عليهم القرآن فآفروا باعجازه ، ونجا من رؤساء مكة ليلة الهجرة وما كان أحد يتوقع نجاته . وعندئذ علموا : انه فى حماية الله . وانتصر على أهل مكة بمعجزة ، فتأكدوا من نصر الله له ثم اجتمع أهل مكة ، ونفر من اليهود والعرب للاحاطة به فاهلكهم الله كما قال تعالى : « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ، وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قويا عزيزا . وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصبيهم ، وقذف فى قلوبهم الرعب ، فريقتا تقتلون وتأسرون فريقتا . وأورثكم أرضهم وديارهم ، وأموالهم ، وأرضا لم تطئوها . وكان الله على كل شىء قديرا » (الأحزاب ٢٥ — ٢٧)

وما كان مقدرًا فى عقول الناس أن يحارب اليهود فى عقر دارهم ، ويقضى عليهم . ذلك لأنهم أهل حصون وقلاع ، ومكر وخداع . فحاربهم وانتصر عليهم يقول تعالى « هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب

من ديارهم . لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا ، وظنوا أنهم ما نعتمهم
 حصونهم من الله . فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، وقذف في
 قلوبهم الرعب ، يخربون بيوتهم بأيديهم . وأيدي المؤمنين ، فاعتبروا يا أولى
 الأبصار ، ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ، ولهم
 في الآخرة عذاب النار » (الحشر ١٧ - ٣) وما كان أحد يتوقع يوم
 أن بدأ دعوته أن يؤمن به نفر من قومه . فأمنوا . وما كان أحد يتوقع
 أن ينجو من أذاهم فنجا . وما كان أحد يتوقع أن يفتح مكة ففتحها . وتمت
 له الرئاسة على العرب جميعا كما في القرآن الكريم : « انا فتحنا لك
 فتحنا مبينا » (الفتح ١) ليس في هذا كله ما يضيف العرب منه ،
 ويجعله عزيزا مهابا في أعينهم ؟

وإذا كان الهدف من المخاوف العظيمة التي صنعها موسى أمام أعين
 بنى إسرائيل ، هو أن تتم له الرئاسة ، فقد تمت لنبي الاسلام على قومه
 كما كان موسى . ففي القرآن الكريم يقول تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون
 حتى يحكموك في ما شجر بينهم . ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت
 ويسلموا تسليما » (النساء ٦٥) .

ننتقل بعد ذلك الى نص التوراة الذي يحدد أوصافا تسعة لنبي
 الاسلام — ﷺ — وهذا نصه في التوراة السامرية ، مع تمهيد التوراة
 للنص :

التمهيد :

« في الشهر الثالث لخروج بنى اسرائيل من أرض مصر . في اليوم
 هذا دخلوا بركة سينين ، ورحلوا من رفيديم . وجاءوا الى بركة سينين
 ونزلوا في البرية . ونزل هناك اسرائيل مقابل الجبل . وموسى صعد
 الى الله وناداه الله من الجبل قائلا : هكذا تقول لأل يعقوب وتخبر بنى

اسرائيل : انتم مظلومين ما تصنعون بالمصريين وحلفائكم على اجنحة النسور
واخضرتكم الى والآن ان سحبا تصنعون من قواي وتحفظون عهدي تكونون
لى خاصة من كل الشعوب . ان لى كل الارض وانتم تكونون لى مملكة
ائمة ، وانتمبا مقدسا ، هذه المظلمة التي تخاطب بنى اسرائيل . فجاء
موسى واستدعى بشيوخ القوم ونك بين ايديهم كل الخطوب هذه التى
وصاه الله . فاجابوا كل القوم قاطبة . وقالوا : كل ما قال الله
نمىل . فاعاد موسى له خطاب التسون الى الله : فقل الله لموسى :
هوذا انا آتيا فى غليظ من الغمام حتى يسمع القوم خطابى معك .
وايضا بك يؤمنون الى الابد . وخبر موسى خطاب القوم الى الله .

وقال الله لموسى : امضى الى القوم وقد سهم اليوم وغدا .
وليفسلا كسواتهم ويكونون مستعدين لليوم الثالث . فان فى اليوم
المثالث ينحدر ملاك الله بمشاهدة كل القوم الى طور سينين فلتحدد
الجبل دائرا . وللقوم . فلتقل : اجذروا من الصعود الى الجبل والذنو
بطرفه . كل الدانى بالجبل قتلا يقتل . لا تدن به يد ، بل حصبا يحصب ،
ورشقا يرشق . ان بهيمة او انسان فلا يحيا . عند جذب البوق . هم
يصعدون الى الجبل فانحدر موسى من الجبل الى القوم وقدس القوم .
وغسلا كسواتهم . وقال للقوم : كونوا مستعدين للثلاثة ايام . لا تدنوا
الى امرأة .

وكان فى اليوم الثالث عند كون الصباح كان رعود وبروق وغمام
عظيم على الجبل وصوت البوق شديد جدا . فارتعد كل القوم الذين فى
المعسكر ، واخرج موسى القوم للقاء ملائكة الله من المعسكر ووقفوا
فى أسفل الجبل ، وجبل سينين دخان كله من قبل انحدار ملائكة الله عليه
بالثار ، وضعد دخان كدخان الأتون وارتعد كل الجبل جدا وكان صوت
البوق يزيد ويشدد جدا . ولمضى يخاطب والملة يهده بالصوت .

وانحدر ملاك الله على جبل سينين الى رأس الجبل ونادى الله

بموسى الى رأس الجبل : فصعد موسى . وقال الله لموسى : انحدر
اشهد على القوم كى لا يتعجبوا على الله للظن فيسقط به كثير . وأيضا
الأئمة المقدمون الى الله يتقدسون كى لا يثغر فيهم الله . فقال موسى
لله : لا يستطيع القوم المصعود الى جبل تسنينين لأنك أشهدت علينا
قائلا : حدد الجبل وقدسسه . فقال له الله : امض فانحدر ولتصعد أنت
وهرون معك والأئمة والعامة لا يتعجبون للضعوف الى الله كى لا يثغر
فيهم . فانحدر موسى من الجبل الى القوم . وقال لهم « . الخ .

والكلام الذى قاله الله هو « الموصايا العشر » وبعدنا فرغ
من الموصايا العشر . تنص التوراة السامرية على ما يلى : « وكل الشعب
سمع الأصوات وصوت البوق ونظروا الشهب والجبل دخانا ونظر
كل القوم وتشردوا ووقفوا من بعد . وقالوا لموسى : ان أرانا الله الهنا
جلاله وعظمته وصوته سمعنا من وسط النار . اليوم هذا نظرنا أن
يخاطب الله الانسان فيصيا . والآن كى لا نموت اذ تحرقنا النار
العظيمة هذه ، ان معاودين نحن الى سماع صوت الله الهنا منا .
الا من كل البشر من سمع صوت الله الحى مخاطبا من وسط النار
مثلنا فعاش ؟ أذن أنت واسمع كل ما يقول الله الهنا وأنت تخاطبنا بكل
ما يخاطب الله الهنا لك . لنسمع ونتمثل ولا يخاطبنا الله كى لا نهلك .

فقال موسى للقوم : لا تخافوا ان بسبب امتحانكم جاءت ملائكة
الله . وحتى تكون مخافته على وجوهكم كى لا تخطئوا ، ووقف القوم
من بعد ، وموسى دنا الى الضباب الذى هناك ملائكة الله .

وخاطب الله موسى قائلا : سمعت صوت خطاب الشعب هذا الذى
خاطبوك . أحسنوا فى كل ما قالوا يا ليت يبقى ضميرهم هذا لهم
مخافة منى وحفظا لموصاياى كل الأيام حتى يحسن إليهم وآلى بنبيهم الى
الأبد «

النص :

« نبيا أقمتم لهم من جملة اخوتهم مثلك وجعلت خطابى بفيه فيخاطبهم بكل ما أوصيه ويكون الرجل الذى لا يسمع من خطابه باسمى . انا أطلابه والمتنبىء الذى يتتج على الخطاب باسمى ما لم أوصه من الخطاب . ومن يخاطب باسم آلهة أخر فليقتل ذلك المتنبىء . واذا تقول فى سرك : كيف يتبين الأمر الذى لم يخاطبه الله ؟ ما يقوله المتنبىء باسم الله ولا يكون ذلك الأمر ولا يأتى . هو الأمر الذى لم يقله الله . باتقاح قاله المتنبىء . لا تخف منه » (خروج ١٩ و ٢٠)

وقد ذكرت التوراة السامرية النص على النبى المنتظر فى سفر التثنية مرة ثانية هكذا :

« كاملا تكون مع الله الهك . ان الشعوب هؤلاء الذين أنتم قارضونهم من المتطيرين ومن المنجمين يسمعون . وأنت ليس كذلك . نبيا من جملة اخوتك مثلى ، يقيم لك الله الهك . ككل ما طلبت من الله الهك فى حوريب فى يوم الجوق قائلا : لا اعاود لسماع صوت الله الهى وناره العظيمة هذه لا انظر أيضا كى لا أهلك .

قال الله لى : أحسنوا فيما قالوا . نبيا أقمتم لهم من جملة اخوتهم مثلك . وجعلت خطابى بفيه . فيخاطبهم بكل ما أوصيه . ويكون الرجل الذى لا يسمع من خطابه الذى يخاطب باسمى انا أطلابه . والمتنبىء الذى يتتج على الخطاب باسمى ما لم أوصه من الخطاب . ومن يخاطب باسم آلهة أخر . فليقتل ذلك المتنبىء . واذا تقول فى سرك : كيف يتبين الأمر الذى لم يخاطبه الله ؟ ما يقوله المتنبىء باسم الله . ولا يكون ذلك الأمر ولا يأتى هو الأمر الذى لم يقله الله باتقاح قاله المتنبىء لا تخف منه » (تثنية ١٨ : ١٣ - ٢٢)

وفى التوراة العبرانية واليونانية — وهى ترجمة عن العبرانية — نجد النص مذكورا مرة واحدة فى سفر التثنية هكذا :

« تكون كاملا لدى الرب الهك . ان هؤلاء الأمم الذين تخلفهم
يسمعون للعائفين والعرافين . وأما أنت فلم يسمح لك الرب الهك هكذا ،
يقيم لك الرب الهك نبيا ، من وسطك ، من اخوتك . مثلى . له تسمعون .
حسب كل ما طلبت من الرب الهك فى حوريب يوم الاجتماع قائلًا :
لا أعود أسمع صوت الرب الهى ، ولا أرى هذه النار العظيمة أيضا
لئلا أموت .

قال لى الرب : قد أحسنوا فى ما تكلموا ، أقيم لهم نبيا ، من وسط
اخوتهم مثلك ، وأجعل كلامى فى فمه ، فيكلمهم بكل ما أوصيه به ، ويكون
أن الانسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطلبه ، وأما
النبى الذى يطفى فيتكلم باسمى كلاما لم أوصه أن يتكلم به أو الذى
يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبى .

وان قلت فى قلبك : كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب ؟ فما
تكلم به النبى باسم الرب ، ولم يحدث ولم يصر . فهو الكلام الذى
لم يتكلم به الرب ، بل بطغيان تكلم به النبى فلا تخف منه « (التثنية
١٨ : ١٣ - ٢٢)

وموضع الشاهد فى ترجمة ١٦٢٢م هكذا « نبيا من وسطك ،
من اخوتك مثلى ، يوقف لك الله ريك . منه تقبلون . كجميع الذى
سألت من الله ريك فى حوريب ، فى يوم الجوق ، قائلًا : لا أعود
أن أسمع صوت الله ريبى ، وهذه النار العظيمة لا أرى أكثر ولا
أسموت .

وقال الله لى : أحسنوا الذى تكلموا . نبيا أوقف لهم ، من وسط
اخوتهم ، مثلك ، وأعطى كلامى فى فمه ، ويتكلم معهم جميع الذى أمره .
ويكون الرجل الذى لا يسمع كلامى ، الذى يتكلم باسمى أنا أطلب منه .
لكن النبى الذى يتوالمح ليتكلم كلاما باسمى ، الذى لا أمرته أن يتكلم ،
والذى يتكلم باسم معبودات آخرين ، يقتل ذلك النبى .

وإذا تقول على طلبك : كيف نعرف الكلام الذى لا تكلمه الله ؟ الذى يتكلم النبى باسم الله ، ولا يكون الأمر ، ولا يجىء ، هو الكلام الذى لا تكلمه الله . بوقاحة تكلمه النبى ، لا تخف منه »

وفى ترجمة الآباء اليسوعيين هكذا : « يقيم لك الرب الهك نبيا ، من بينكم ، من اخوتك . مثلى له تسمعون . جريا على كل ما سألته الرب الهك فى حوريب يوم الاجتماع قائلا : لاعدت أسمع صوت الرب الهى ، ولا أرى هذه النار العظيمة أيضا لئلا أموت .

فقال لى الرب : قد أحسنوا فيما قالوا . أقيم لهم نبيا . من اخوتهم . مثلك . وألقى كلامى فى فيه . فيخاطبهم بجميع ما أمره به ، وأى انسان لم يطع كلامى الذى يتكلم به باسمى فانى أحاسبه عليه ، وأى نبى تجبر . فقال باسمى قولا ، لم أمره أن يقوله ، أو تنبأ باسم آلهة أخرى . فليقتل ذلك النبى .

فان قلت فى نفسك : كيف يعرف القول الذى لم يقله الرب ؟ فان تكلم النبى باسم الرب ، ولم يتم كلامه ، ولم يقع . فذلك الكلام . لم يتكلم به الرب ، بل لتجبره تكلم به النبى . فلا تخافوه »

الشرح والبيان

طلب الله عز وجل من موسى عليه السلام أن يجمع بنى اسرائيل الى جبل الله حوريب — جبل طور سيناء — ليسمعوا صوت الله وهو يتحدث مع موسى فيخافوه أبد الدهر . فجمع موسى بنى اسرائيل ، وسار بهم الى الجبل فوقفوا فى أسفله « وكان جميع الشعب يرون الرعود والبروق ، وصوت البوق ، والجبل يدخن . ولما رأى الشعب ارتعدوا ووقفوا من بعيد ، وقالوا لموسى : تكلم أنت معنا فنسمع . ولا يتكلم معنا الله لئلا نموت . فقال موسى للشعب : لا تخافوا . لأن

الله انما جاء لى يمتحنكم ، ولكى تكون مخافته امام وجوهكم حتى لا تخطئوا » (خروج ٢٠ : ١٨ - ١٠) وعقب هذا المنظر المهيب والمخوف طلب بنو اسرائيل من موسى ان يطلب من الله عز وجل الا يحدث هذا مرة اخرى . قائلين : اذا اراد الله ان يكلمنا مرة اخرى فليكلمنا عن طريقك ونحن نسمع ونطيع . فاستجاب الله لطلبهم ووعدهم بارسال نبي اليهم مثل موسى له يسمعون ويطيعون .

وقد حدد النص اوصافا تسعة لذلك النبي الهائل لموسى وهى :

الوصف الاول : نبي . الوصف الثانى : من بين اخوة بنى اسرائيل — اى من بنى اسماعيل — الوصف الثالث : مثل موسى . الوصف الرابع : ينسخ شريعة موسى . الوصف الخامس : اى لا يقرأ ولا يكتب . الوصف السادس : امين على الوحي . الوصف السابع : سيقضى على بنى اسرائيل اذا لم يؤمنوا برسالته — اى سيزيل ملكهم وينسخ شريعتهم — الوصف الثامن : لا يقتل . الوصف التاسع : يتحدث عن امور غيبية وتحدث فى مستقبل الأيام .

واليهود والنصارى متفقون معا على ان هذا النبي ما كان قد اتى قبل عيسى — عليه السلام — وما يزال بنو اسرائيل الى الآن ينتظرونه . ويطلقون عليه لقب : مسيا — الذى تفسيره المسيح — .

يقول الانبا اثناسيوس فى تفسيره لإنجيل يوحنا : « كان موسى النبي قد قال لليهود : « يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك من اخوتك مثلى . له تسمعون » (تث ١٨ : ١٥) وقد كان المفهوم المباشر لهذه النبوءة : انها عن « يشوع » الذى جاء بعد موسى . ولكن اليهود فهموها دائما : انها عن نبي من نوع آخر ، يقيم عهدا جديدا معهم . هو عهد المسيا »

والنصارى يقولون : ان ذلك النبى الامى هو عيسى — عليه السلام — ويقولون : انهم لم يعرفوا انه هو المراد بهذه النبوءة الا بعد عروجه الى السماء ، وحلول الاله الثالث ، الذى هو الروح القدس عليهم بعد خمسين يوما من العروج .

لقد كتبوا فى سفر أعمال الرسل : أن بطرس ويوحنا صعدا الى هيكل سليمان للصلاة فرأيا رجلا أعرج يسأل صدقة « فقال بطرس ليس لى فضة ولا ذهب . ولكن الذى لى فاياه أعطيك . باسم يسوع المسيح الناصرى : قم وامش . وأمسكه بيده اليمنى . وأقامه . ففى الحال تشددت رجلاه وكعباه . فوثب ووقف وصار يمشى ودخل معهما الى الهيكل ، وهو يمشى ويطفر ويسبح الله « عندئذ التف حولهما جميع الشعب فى رواق سليمان وهم مندهشون « فلما رأى بطرس ذلك . أجاب الشعب : أيها الرجال الاسرائيليون ما بالكم تتعجبون من هذا ؟

ولماذا تشخصون الينا كأننا بقوتنا أو تقوانا قد جعلنا هذا يمشى ؟ ان اله ابراهيم واسحق ويعقوب اله آبائنا مجد فتاه يسوع الذى أسلمتموه . أنتم ، وأنكرتموه أمام وجه بيلاطس ، وهو حاكم باطلاته . ولكن أنتم أنكرتم القدوس البار ، وطلبتم أن يوهب لكم رجل قاتل . ورئيس الحياة قتلتموه الذى أقامه الله من الأموات ونحن شهود لذلك . وبالايمان باسمه شدد اسمه ، هذا الذى تنظرونه وتعرفونه . والايمان الذى بواسطته أعطاه هذه الصحة أمام جميعكم .

والآن أيها الاخوة انا أعلم أنكم بجهالة عملتم ، كما رؤساؤكم أيضا . واما الله فما سبق وأنبا به بأفواه جميع أنبيائه ان يتالم المسيح قد تممه هكذا . فتوبوا وارجعوا لتمحى خطاياكم ، لى تاتى أوقات الفرج من وجه الرب ، ويرسل يسوع المسيح المبشر به لكم قبل . الذى ينبغى أن السماء تقبله الى أزمنة رد كل شىء التى تكلم عنها الله بضم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر . فان موسى قال للآباء : ان نبيا مثلى سيقم

لكم الرب الهكم من اخوتكم له تسمعون فى كل ما يكلمكم به . ويكون
ان كل نفس لا تسمع لذلك النبى تباد من الشعب « (أعمال الرسل
٣ : ١٢ - ٢٣)

ونفس الكلام الذى قاله بطرس قاله استفانوس . فقد اتهمه اليهود
بأنه « يتكلم بكلام تجديد على موسى وعلى الله » فوجه اليهم كلاما
طويلا منه « هذا هو موسى الذى قال لبنى اسرائيل : نبيا مثلى سيقم
لكم الرب الهكم من اخوتكم له تسمعون » (أعمال ٧ : ٣٧)

وقد اتفق النصارى على أن بطرس واستفانوس يطبقان نبوءة
التوراة هذه على عيسى - عليه السلام - يقول الآباء اليمسوعيون فى
تعليقهم على هذه النبوءة : « فى هذه الآفة نبوءة مختصة بالمسيح وحده ،
لأن الروح القدس عينه فسرها فى هذا المعنى ووجهها الى مخلص العالم
جليا فى كتاب أعمال الرسل (٣ : ٢٢ و ٧ : ٣٧) وقد اتفق الآباء
القديسون كلهم على هذا التفسير « (٧) .

... ..

ولو سألنا النصارى فى ماذا مائل موسى عيسى ؟ لأجابوا بما يلى :

« كان موسى رمزا للمسيح فى حياته ووظيفته ، فهو كيمسوع
أنقذ من الموت عندما كان طفلا وقد ترك القصر الملكى لكى يشارك اخوته
فى أحوالهم ، وسار رئيس خلاص للشعب . وكان أمينا ومتواضعا وممئلنا
بالحنان والحب وشفيعا قويا لشعبه وتكلم مع الله وجها لوجه معلنا مجد
الله وكان مقتدرا فى القول والفعل وزعيما وقائدا للشعب » (٨)

وقد سبق أن قلنا : ان اليهود فى انتظار هذا النبى الى الآن .

-
- (٧) ص ٦ حواش على الكتاب المقدس للكاثوليك - المجلد الأول .
(٨) ص ٤٣٧ تفسير الكتاب المقدس - فرانسييس دافدسون .

ولكى لا أسرف في النقل عن أخبارهم أكتفي بمحاورة بين اثنين منهم .
أحدهما اعترف بنبي الاسلام — ﷺ — ويلزم اليهود ان يعترفوا به محتجا
عليهم بهذه النبوءة وهو سموئيل بن يهوذا بن أيوب . وثانيهما ألف كتابا
براعيا فيه تكذيب سموئيل وهو ابن كموثة .

يقول سموئيل « انهم لا يقدرّون على أن يجحدوا هذه الآية من الجزء
الثاني من السفر الخامس من التوراة . وهي : « لاهيم وهي تابی أقيم
مقارب أحييم كاموفا ابلا وشيماعون » تفسيره : « نبيا أقيم لهم من
وسط اخوتهم مثلك . به فليؤمنوا » وانما أشار بهذا الى أنهم يؤمنون
بمحمد — ﷺ — فان قالوا : انه قال : « من وسط اخوتهم » وليس في عادة
كتابنا أنه يعنى بقوله « اخوتهم » الا بنى اسرائيل . قلنا : بلى . قد
جاء في التوراة « اخوتهم » لبنى عيسو . وذلك في الجزء الأول من السفر
الخامس وهو قوله « ايهم عوبريم يقبول احييم بنى عيسو وهيوشيم
بسيغير . . . » تفسيره : « أنتم عابرون في تخم اخوتكم بنى عيسو
المقيمين في سيعير » (تث ٢ : ٤) فاذا كان بنو عيسو اخوة لبنى
اسرائيل لأن عيسو واسرائيل ولدا اسحاق . فكذلك بنو اسماعيل
اخوة لجميع ولد ابراهيم .

وان قالوا : ان هذا القول انما أشير به الى سموئيل (٩) النبي
— عليه السلام — لأنه قال « من وسط اخوتهم مثلك » وسموئيل كان
مثل موسى لأنه من اولاد لاوى — يعنون من السبط الذى كان منه
مرسى — عليه السلام — قلنا لهم : فان كنتم صادقين فإى حاجة بكم الى
أن يوصيكم بشموئيل . وأنتم تقولون ان سموئيل لم يأت بزيادة
ولا نسخة ؟ أنتم أسبق الناس الى الايمان به ، لأنه انما يخاف تكذيبكم
لم ينسخ مذهبكم ، ويغير أوضاع ديانتكم . فالوصية بالايمان به مما لا

(٩) هو سموئيل الذى قال بنو اسرائيل له من بعد موسى : « ابعث
لنا ملكا فنقاتل في سبيل الله » .

يستغنى مثلكم عنه ، ولذلك لم يكن موسى حلجة الى أن يوصيكم بالايمان بنبوته
ارمياء واشعياى وغيرهما من الانبياء . وهذا دليل على أن التوراة امرتهم
فى هذا الفصل بالايمان بالمصطفى ، واتباعه — ﷺ — « (١٠) »

ويذكر ابن كونه : أن من المسلمين من احتج بهذه النبوءة مع شموئيل
على أن المقصود بها نبى الاسلام — ﷺ — يقول عنهم « وفى التوراة أيضا
أن الرب قال لموسى : « انى مقيم لهم نبيا من اخوتهم مثلك ، وأجعل كلمتى
فى فيه ، وأيما رجل لم يسمع لقول الذى يتكلم باسمى فانى انا أنتقم
منه » ولو كان هذا النبى من بنى اسرائيل لقال : من أنفسهم ، ولم يقل
من اخوتهم . ولأن فى التوراة : « أنه لا يقوم نبى من بنى اسرائيل
كموسى » . فالبشارة اذا بنى من غيرهم هو « محمد »

ثم يرد ابن كونه على الجميع بقوله : « وأما النبى الذى يقميه الله
من اخوة بنى اسرائيل فالمراد بذلك أنه يكون منهم ، لأنه أكثر ما وردت
لفظة « اخوتكم » فى مخاطبة بنى اسرائيل ، أريد بها من هو منهم . الا فى
النادر مثل قوله : « اخوتكم بنى عيسو » (١١) »

ويرد ابن كونه على النصارى فى قولهم ان النبى الذى وعد به
موسى فى سفر التثنية هو عيسى ، لأن شمعون هو الذى قال بذلك .
بقوله : « وقول شمعون (١٢) : ان النبى الذى وصى بنو اسرائيل
بقبول أمره والايمان به هو المسيح » غير مسلم . بل هو إشارة الى
كل نبى يأتى على دين موسى ، وسياق الكلام المنزل فى هذا المعنى
لا تقتضى التخصيص بنبى دون غيره . وبتقدير أن تقتضى ذلك ، نمنع أن
المقصود بالتخصيص هو المسيح « (١٣) »

(١٠) ص ٣٢ — ٣٣ بذل الجهود .

(١١) ص ٩٤ — ٩٦ تنقيح الأبحاث .

(١٢) شمعون هو : سمعان بطرس .

(١٣) ص ١٤ تنقيح الأبحاث .

يريد ابن كهونة أن يقول : ان النبي الذي وعد به موسى في سفر
التثنية : موفىا يكون من بني اسرائيل ولنا ليس نبيا مقصودا بذاته ، بل
كل نبي من بني اسرائيل مثل موسى ، يكون السماع له واجب .

وابن كهونة — كما هو واضح — يحرف الكلم من مواضعه ، لأن
النبوة تجهد أوصافا تسعة للنبي واحد لا لأنبياء كثيرين .

ولنتقل بعد ذلك الى الأوصاف التسعة التي تطبق على نبي الاسلام
تمام الانطباق (١٤) .

(١٤) من حسن كلام القرطبي صاحب الاعلام في تفسير هذه النبوة
ما نصه : « جاء في التوراة ان الله قال لموسى بن عمران : « انى أقيم
لبنى اسرائيل من اخوتهم نبي مثلك . أجعل كلامى على فيه ، فمن عصاه
انتقمت منه » فان قلت : انما هو يشوع بن نون . قلنا : لا . فقد قال
في آخر التوراة « لا يخلف من بني اسرائيل نبي مثل موسى » فلا محالة
أن ذلك الذى بشرت به التوراة لا يكون من بني اسرائيل . لكن من أخوة
بنى اسرائيل ؟ فلننظر من هم أخوة بنى اسرائيل ؟ فلا محالة أنهم العرب
او الروم . فأما الروم فلم يكن منهم نبي سوى أيوب وكان قبل موسى
بزمان ، فلا يجوز أن يكون هو الذى بشرت به التوراة . فلم يبق الا العرب .
فهو اذن محمد عليه السلام . وقد قال في التوراة حين ذكر اسماعيل جد
العرب : « أنه يضع فسطاطه فى وسط بلاد اخوته » فكفى عن بنى اسرائيل
باخوة اسماعيل كما كفى عن العرب باخوة بنى اسرائيل فى قوله : « انى
أقيم لبنى اسرائيل من اخوتهم نبي مثلك » ويبدل ذلك أيضا قوله : « أجعل
كلامى على فيه » فان هذا تصريح بالقرآن . اذ هو كلام الله الذى جاء به
محمد — ﷺ — وتلقيناه من فلق فيه . ويبدل أيضا على ذلك قوله « من
عصاه انتقمت منه » اذ قد فعل ذلك بصناديد قريش وعظماء ملوك الروم
وغيرهم ، فهم بين أسير وقتيل ومعطى الجزية على وجه الصغار والذلة »

الوصف الأول : نبي

« أقيم لهم نبيا » وهذا الوصف مشترك بين عيسى ومحمد عليهما السلام . ففي الانجيل عن المسيح عليه السلام « لأنه كان عندهم مثل نبي » (متى ٢١ : ٤٦) وفي القرآن عن محمد - ﷺ - « يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا » (الأحزاب ٤٥) فكل واحد منهما نبي ، ومعها معجزات ، ولكن انطباق الوصف على نبي الاسلام - ﷺ - أحق وأولى لأن عيسى - عليه السلام - لم ينظر أتباعه من صفة ٣٢٥ هو الله نفسه مع كونه نبيا في نظر الأرثوذكس ، وهو اله من آلهة ثلاثة مع كونه نبيا في نظر الكاثوليك والبروتستانت . أما محمد - ﷺ - في نظرنا نحن المسلمين فلم يزد عن كونه « بشرا رسولا » ولا يحق لليهود أن ينكروا هذا الوصف على نبي الاسلام - ﷺ - لأن من شروط النبي عندهم : آتيان النبي بمعجزات ، وقد آتى النبي بمعجزة .

يقول ابن كرمونة « ومما يدل على صدق المدعين للنبوات : المعجزات .

والمعجز على موجب اللغة هو ما عجز البشر عنه ، ولم يتمكنوا منه إما لفقد قدرة أو علم أو آلة . والمعجز في مصطلح جمهور أهل الشرائع هو الدال على صدق النبي في دعواه النبوة . فيشترطون في كونه دالا على النبوة شروطا كثيرة منها أن يعجز البشر عنها وعما يقاربها ومنها أن تكون ناقضة للعادات ، ومنها أن تكون في زمان التكليف ، ومنها أن تكون في زمن يدعى فيه النبوة . ومنها أن تكون من فعل الله . أو بأمره . وتمكينه . فهذه شروط خمسة (١٥)

وانما شرطنا أن لا يقدر العباد عليها ، لأن ما يقدر عليه يشترك فيه الصادق والكاذب فيصح أن تتقارن دعوى كل واحد منهما ، فلا

(١٥) الشروط الخمسة : ١ - أن لا يقدر العباد عليها ولا على مقاربها ٢ - ناقضة للعادة ٣ - في زمان تكليف ٩ - في حال دعواه النبوة ٥ - تكون بأمر الله .

يميز الصادق منهما . وكذا لو تدر على ما يتارباها فانه قد (لا) يندر صاحب علم أو حرفة يفوق فيهما أهل زمانه وغيرهم ، ولا يدل ذلك على نبوة ، لو فرضنا أنه تحدى به . وإنما يكون ذلك دليلا على النبوة لو بلغ في ذلك المبلغ الذي يقع معه الجزم بأن ما فعله ليس في مقدور نوع البشر الاتيان به أو بمقاربه .

وانما شرطنا أن يكون ناقضا للعادة لأنه إنما يدل على صدق الدعوى ، إذ لو لا نقضها لما ظهر (صدقه) ولا يمكن أن يقال : لو لا صدق هذا النبي لما طلعت الشمس اليوم لأنها طلعت اليوم لما له طلعت أمس . وانما شرطنا كونه زمان تكليف لما ورد أنه عند اشراط الساعة تنتقض العادات . فيكون لإنتقاضها سبب هو غير صدق الدعوى . وانما شرطنا أن تكون في حال دعوى النبوة ، لأن صدق الدعوى صفة الدعوى . ولا يجوز حصول الصفة من دون حصول الموصوف . وانما شرطنا أن تكون من فعل الله أو بأذنه لأنه لا يدل تصديق الدعوى على صدقها الا إذا كان المصدق أو الأمر بالتصديق أو الممكن منه حكما .

ولا فرق عند العقلاء بين أن يعطى الانسان آياته لمن يجعله علامة ودلالة على أنه رسوله ، وبين أن يمكنه من أخذه وهو يعلم أنه يدعى انه رسوله . ولهذا استوى فعل التصديق والتمكين منه في الدلالة على الصدق» (١٦) أ . هـ

ولقد كان النبي — ﷺ — أميا ، ونشأ في بيئة أمية وأتى بالقرآن الكريم الذي يعجز الأنس والجن عن الاتيان بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا . ويعجز العرب والعالم . أليس هذا يدل على صدقه في دعوى النبوة . بناء على هذه الشروط الخمسة ؟

الوصف الثالثى : من بين اخوة بنى اسرائيل . أى من بنى اسماعيل :
«من وسطك من اخوتك» — «من وسط اخوتهم» لقد يريد الكاتب

« من وسطك — من وسط » التأكيد على أن هذا النبي إذا جاء فانه سيكون من بنى ابراهيم — عليه السلام — لا من تسل غير نسله . ذلك لأن اسماعيل واسحق أخوان . وفى ذريتهما النبوة والكتاب . وفى نص التوراة هذا نجد أن « من وسطك » — « من وسط » هما زيادة على النص الذى نطق به بطرس واستفانوس فى سفر أعمال الرسل يقول بطرس : « فان موسى قال للآباء : ان نبيا مثلى سيقم لكم الرب الهكم من اخوتكم . له تسمعون » ويقول استفانوس : « هذا هو موسى الذى قال لبنى اسرائيل : نبيا مثلى سيقم لكم الرب الهكم من اخوتكم . له تسمعون » وهذا الموصف مشترك بين عيسى ومحمد — عليهما السلام — فان عيسى من بنى اسرائيل ، ومحمد من بنى اسماعيل . وهم اخوة . بعضهم لبعض .

ففى التوراة ان أبناء اسماعيل : اخوة لبنى اسحق . ففى سفر التكوين : « وقال لها ملك الرب : ها أنت حبلى فلتدين ابنا ، وتدعين اسمه اسماعيل . لأن الرب قد سمع لمذلتك . وانه يكون انسانا وحشيا . يده على كل واحد ويد كل واحد عليه ، وأمام جميع اخوته يسكن » (تك ١٦ : ١١ — ١٢) وفيه أيضا : « وهذه سنو حياة اسماعيل : مئة وسبع وثلاثون سنة : وأسلم روحه ومات وانضم الى قومه ، وسكنوا من حويلة الى شور التى أمام مصر . حينما تجيء نحو اشور . أمام جميع اخوته نزل » (تك ٢٥ : ١٧ — ١٨)

وكما جاء لفظ الاخوة عن بنى اسماعيل بالنسبة لبنى اسحق ، جاء أيضا عن بنى عيسو بالنسبة لبنى يعقوب . باسمه الأول : عيسو ، واسمه الثانى : أدوم (١٧) فقد أمر الله موسى بأن يقول : « أوصى الشعب قائلا : أنتم مارون بتخم اخوتكم بنى عيسو الساكنين فى سعيم » (تك ٢ : ٤) وقال كاتب التوراة : « وأرسل موسى رسلا من قادش الى ملك أدوم : هكذا يقول أخوك اسرائيل » (عد ٢٠ : ١٤) وقد كان يمكن أن يكون هذا النبي من بنى عيسو لولا أن التوراة قد نصت على حرمانهم من مباركة

(١٧) فى التوراة : « فسكن عيسو فى جبل سعيم ، وعيسو هو أدوم » (تك ٣٦ : ٨)

لأمة في نسلهم . فقد بارك اسحق يعقوب بقوله « ليعطك الله من
قدي السماء . ومن دسم الأرض . وكثرة حنطة وخبز . ليستعبد لك
شعوب . وتسجد لك قبائل . كن سيدا لآخوتك . وليسجد لك بنو
أمك . ليكن لآخوتك ملعونين ، ومباركوك مباركين » (تكوين ٢٧ :
٢٨ - ٢٩)

ولما علم عيسو بأن يعقوب قد أخذ منه البركة . جزن جدا « وقال
لأبيه : باركني أنا أيضا يا أبي . فقال : قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك »
(تكوين ٢٧ : ٣٤ - ٤٥)

وقد كان يمكن أن يكون هذا النبي من بني قطورة - امرأة ابراهيم -
لولا أن التوراة قد نصت على حرمانهم من مباركة الأمم في نسلهم أيضا
ففيها : « وأما بنو السراي اللواتي كانت لابراهيم فأعطاهم ابراهيم عطيا ،
وصرفهم عن اسحق ابنه شرقا الى أرض كنعان وهو بعد حي » (تك
٢٥ : ٢٦)

لم يبق اذا من نسل ابراهيم من لم تنص التوراة على حرمان الأمم من
بركة نسلهم غير بني اسماعيل ففيها : « وأما اسماعيل فقد سمعت لك
فيه ، ها أنا أباركه » (تك ١٧ : ٢٠) فيكون هذا النبي منهم .

وابن كمونة لما نزل احتجاج شموئيل وغيره وفيه : « لو كان هذا
النبي من بني اسرائيل لقال « من أنفسهم » ولم يقل : « من آخوتهم »
ولأن في التوراة « أنه لا يكون نبي من بني اسرائيل كموسى » لم يستطع
أن ينكر قولهم وهو : « لا يكون نبي من بني اسرائيل كموسى » فان ذلك ثابت
وواضح . وانما استطاع أن يدعى أن هذا النبي سيكون من بني اسرائيل .
وكيف يكون من بني اسرائيل و « لا يكون نبي من بني اسرائيل كموسى ؟ »
وهذا الموصف كما بيثا ينطبق على المسيح عيسى عليه السلام ، فانه
من بني اسرائيل . وينطبق على محمد - ﷺ - فانه من بني اسماعيل .
وانطباقه على محمد - ﷺ - أحق وأولى . لأنه لو كان هذا النبي من بني

اسرائيل لمكان يقول « من انقلبهم » وما كان يصعب بل لفظ الاخوة الذي ينصرف الى اسماعيل بالهزيرة لثبوت البركة في نسله .

ولأن كاتب التوراة من عادته اذا اراد بالاخوة بنى اسرائيل يضع كلمة بنى اسرائيل بعد لفظ الاخوة . فاذا كان نبي النبوة من بنى اسرائيل ، كان يقول من اخوتك بنى اسرائيل حسب عادته . كما قال في الاصحاح الرابع والعشرين من سفر التثنية : « اذا وجد رجل قد سرق نفسا من اخوته بنى اسرائيل واسترقه وباعه يموت ذلك للسارق » (تك ٢٤ : ٧) فهو لم يقل من اخوته فقط ، بل قال من اخوته بنى اسرائيل .

الوصف الثالث : مثل موسى

« من اخوتك مثلى » — « من وسط اخوتهم مثلك » وقد سبق ان تحدثنا في مثلية نبي الاسلام بموسى — عليهما السلام — في الأمور الثلاثة التي حددتها التوراة بالنص وهم :

- ١ — في جميع الآيات والعصائب . ٢ — وفي كل اليد المسديده
- ٣ — وفي كل المخاوف العظيمة .

واما قول للتلمذ الذي أعلن عيسى كموسى في : الامالة والمتناضع والمهلان والخب وما شابه ذلك فهو قول ضعيف القيمة . واهون من ان نتحدث فيه . لأنه لا يمت الى نص مثلية التوراة بصلية . وقول ابن كيوثة ان المثلية في صفة الكلام فقط هو قول ضعيف أيضا . لأن المثلية محددة بهذا النص في أمور ثلاثة وليس من بينها الكلام المباشر بين الله وبين موسى — ولا اجتهاد مع النص . كما يقول الفقهاء — .

وفي القرآن الكريم ما يفيد مثلية نبي الاسلام بموسى ، يقول تعالى « انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما ارسلنا الى فرعون رسولا . فعصى فرعون الرسول فاخذناه اخذا وبيلا » (الزمل ١٥ — ١٦) . وليس في الانجيل ما يفيد مثلية عيسى بموسى ، فقد قال عيسى — عليه السلام — في مخاطبة اليهود الذين انكروه « كيف تقدر ان تؤمنوا ، وانتم تقبلون

مجدا بعضكم من بعض ، والمجد الذى من الاله الواحد لستم تطلبونه ؟
لا تظنوا انى اشكركم الى الآب . يوجد الذى يشكركم وهو موسى الذى
عليه رجاؤكم « (يوحنا ٥ : ٤٤ — ٤٥)

...

...

...

الوصف الرابع : ينسخ شريعة موسى

« له تسمعون » وسباع بنى اسرائيل لكلامه يستلزم الايمان بكل
ما يقول به ، حتى ولو امرهم بنبذ التوراة وراء ظهورهم . وعيسى — عليه
السلام — جاء مصدقا للتوراة غير ناسخ لحكم من احكامها . فلقد روى
عنه متى : « لا تظنوا انى جئت لانتقض الفاموس » (متى ٥ : ١٧) وروى
عنه ايضا : « على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون . فكل ما قالوا
لكم ان تحفظوه فاحفظوه وافعلوه » (متى ٢٣ : ٢ — ٣) فقد اوصى بالحفظ
وبالفعل . اوصى بالحفظ من علماء بنى اسرائيل ومنهم من يؤمن به ومنهم
من لا يؤمن به . واوصى بالعمل بما يقولون — وهم لا يقولون الا بما قال
به موسى — .

اما نبي الاسلام — ﷺ — فقد جاء مصدقا للتوراة ومهيئا عليها ،
اى مفرا للبعض وناقضا للبعض ، فالذى اقره يكون مصدقا له ، والذى
نقضه من احكامها يكون بالنتقض له مصرحا بنسخه . فقد قال تعالى :
« وأنزلنا اليك الكتاب بالحق . مصدقا لما بين يديه من الكتاب . ومهيئا
عليه » (المائدة ٤٨)

وقد حدثت مباحثة بين اليهود السامريين والعبرانيين قبل ظهور
الاسلام بكثير بشأن اسفار الانبياء الذين اتوا من بعد موسى كاشعيا وارميا
وحزقيال وغيرهم . فالعبرانيون سلبوا بهم لانهم يجوزون النسخ فى
شريعة موسى عليه السلام ، والسامريون لم يسلموا بهم البتة .
واحتجوا بعدم التسليم الى انكار النسخ فى شريعة موسى . يقول
ابو الفتح بن ابي الحسن السامرى ان الملك فلطمة (فيلادلفيوس)

سأل السامريين بحضرة العبرانيين في مدينة « الاسكندرية » فقال لهم :
« ماذا تقولونه في هؤلاء الذين قد ادعوا اليهود بأنهم أنبياء ولهم هذه
الأسفار ؟

فقالوا : أما هؤلاء فما نعرف بنبوتهم ولا بأسفارهم لأنها أيها الملك إما
أن تكون وردت على يد أنبياء أو غير أنبياء . فان كانت على يد أنبياء ،
فقد منعت الشريعة الموسوية أن يقوم بعد موسى نبي
بقوله (.) (١٨) ولو صادرناهم على ادعائهم مع منعها
عدنا لكأن كانت إما ترد بمثل ما في التوراة سواء فلا حاجة إليها .

أو بانتص مما فيها فاتباع الأفضل لوجب * أو بأزيد مما فيها . وقد
نهى الشرع عدنا وعندهم من قبوله . بمعنى أنها شريعة كاملة . أو بما
ليس فيها فيكون ذلك نسخا . والنسخ فغير جائز عندنا .

فقال من حضر عند الملك : ان حجة اليونان في النسخ : أن ما حرم
في وقت . وما هو قبيح في وقت يجوز أن يصير حسنا في وقت آخر .
وذلك يتبع غرض الشارع وأخلاق المكلفين . وليست هذه الأشياء مما يكون
الحكم قد تعلق بها . بحيث يكون الوصف لازما لها مادامت تلك العين موجودة
بل هذا تكليف يتعلق بمصالح المكلفين في وقت ما بحسب أخلاقهم وأحوالهم .

فقالوا : تأمل الجواب . لو كان هذا كما ذكرتم لأجل الاخلاق والاحوال ،
لكان يصح الاختلاف في العصر الواحد . لأن أخلاق أهل العصر الواحد
ليست بمتساوية ولا بمتشابهة . بل مشائية ومختلفة . وأما قولكم : انها
ليست من الأشياء التي يتعلق الحكم بها بحيث يكون الوصف لازما لها
مادامت العين . وانما قصورنا وعجزنا لا ينهض بعرفة عليها وأسبابها .
وليست اذا امتنعت العقول من معرفة شيء يكون ذلك الشيء مستحيلا في
ذاته .

(١٨) ما بين القوسين نص عبري سامري قديم ترجمته : « ولا يقوم
أيضا نبي في اسرائيل كهوسى » .

ولما علم اليليرى تعالى بسابق علمه : عجزنا ، وتمسور عقولنا عن الإدراك معرفة ذلك . وأسجله كشلفها لنا شرها ، ودلنا على حكمها وصفاتها دلالة كلية ، ودلنا على بعضها تفصيلا . فلم يجر نعتبر الحكم يتبع عنها كما حرم علينا الجمل لعدمه بعض علامات الطهر ، والمخزير كذلك وغيرها وهذه العلامات فيها ، وهى علة الحكم ، والحكم يتبع العلة ، والعلة مؤبدة مادام النوع . فالحكم مؤبد مادام الخلق . ويكتفينا ما ورد من تأييدها ، وتكرها : علها على الجملة كالحيوانات المباحة والمحظورة مثلا .

ومن التأييد نعلم لزوم الحكم لها أبدا . وذلك إنما اتباع أوصافها . ولا يصح أن يتبع أغراض المتعبدين بها ، ولا أخلاقهم ولا عاداتهم . وإنما يتبع الأعيان منها ، والذوات قسما ، والأرضيات الأخرى فى الحكم جملة ، ولزوم الحكم لها دائما شرعا (١٩) .

هذا كلامه . وكيف يفكر النسخ فى المشرع . وعنده فى التوراة فى سياى من بعد موسى ليقم لهم الدين . وله يسمعون ويطيعون ؟ فكيف نترض أنه أتى وقال قولاً يلغى به حكما من أحكام موسى . أيسمعون له أم لا يسمعون ؟ ويطيعون أم لا يطيعون ؟ انهم ان سمعوا ، فهذا هو اثبات النسخ فى أحكام موسى . وان لم يسمعوا . فانهم بعدم سماعهم لا يكونون مصدقين بنبو موسى وهذا النبى ، أو يكونوا مصدقين بالنبى ، ويريدون عناد الله بالبعد عنه .

وانا لثبت لهم جواز النسخ من كتبهم بأمثلة :

المثال الأول : كان آدم عليه السلام يزوج ابنة ابنته لتعمد الأرض حيث لا نسل يأتى . وقتئذ الامنه وزوجه . وظل الحال كذلك حتى جاء موسى عليه السلام فحرم الله على يديه نكاح الأخت فأصبح هذا التحريم ناسخا لحل نكاحها من قبل أن تنزل التوراة . يقول موسى « عورة أختك بنت أبيك أو بنت أمك المولودة فى البيت ، أو المولودة خارجا لا تكشف عورتها . . . عورة بنت امرأة أبيك المولودة من أبيك لا تكشف عورتها . انها أختك »

(لاويين ١٨ : ١٢-١٤) .

« عورة بنت امرأة أبيك لا تكشف عورتها » .

(١٩) ص ٩٩ - ١٠١ التاريخ مما تقدم عن الآباء .

المثال الثاني : ان يعقوب عليه السلام جمع بين الأختين فى نكاح صحيح . فلقد تزوج من ليثة وراحيل ابنتى خاله لابان . كما فى الاصحاح التاسع والاعشرين من سفر التكوين . وفى شريعة موسى تحريم الجمع بين الأختين فى سفر الاحبار « ولا تأخذ امرأة على أختها للضرر لتكشف عورتها معها فى حياتها » (لاويين ١٨ : ١٨) .

المثال الثالث : ان عمران ابا موسى وهرون — عليهما السلام — كان متزوجا بعمته « يوكابد » تقول العجوة « وأخذ عمران يوكابد عمة زوجته له ، فولدت له هرون وموسى » (خروج ٦ : ٢٠) وفى شريعة موسى بحريم نكاح العمه . ففي سفر اللاويين : « عورة أخت ابيك لا تكشف . انها قريبة ابيك » (اللاويين ١٨ : ١٢) .

المثال الرابع : يقول ارميا « ها أيام تاتى يقول الرب ولتقطع مع بيت اسرائيل ومع بيت يهوذا عهدا جديدا . ليس كالعهد الذى قطعته مع آباءهم يوم أمسكت بيدهم لأخرجهم من أرض مصر حين تقضوا عهدى فرغضهم يقول الرب . بل هذا هو العهد الذى قطعته مع بيت اسرائيل بعد تلك الأيام يقول الرب : أجعل شريعتى ... الخ » (ارميا ٣١ : ٣١ — ٣٣) والمراد من العهد الجديد : الشريعة الجديدة لأنه يقول « أجعل شريعتى ... الخ » فيلزم أن تكون الشريعة الجديدة ناسخة للشريعة القديمة .

والنصارى يعترفون بنسخ الشرائع . ويقولون : ان الانجيل قد نسخ أحكام التوراة .

فقد ادعى « بولس » : ان العهد الجديد مراد به : عهد الانجيل . وأنه لولا عيب التوراة لما جاء الانجيل . وأنه لما جاء الانجيل أصبح العهد القديم قريبا من الاضمحلال لأنه قد عتق وشاخ .

يقول بولس « فانه لو كان ذلك الأول بلا عيب لما طلب موضع لثان . لأنه يقول لهم لانها : هوذا أيام تاتى يقول الرب حين أكمل مع بيت اسرائيل ، ومع بيت يهوذا عهدا جديدا . لا كالعهد الذى عملته مع آباءهم يوم أمسكت بيدهم لأخرجهم من أرض مصر لأنهم لم يثبتوا فى عهدى ،

وأنا أهلتهم يقول الرب ، لأن هذا هو العهد الذي أعهده مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام يقول الرب . أجعل نواميسي في أذهانهم ، وأكتبها على قلوبهم . وأنا أكون لهم الها . وهم يكونون لى شعبا . ولا يعلمون كل واحد قريبه ، وكل واحد أخاه قائلا : أعرف الرب . لأن الجميع سيعرفوننى من صغيرهم الى كبيرهم . لأنى أكون صفوحا عن آثامهم . ولا اذكر خطاياهم ، وتعدياتهم فى ما بعد . فاذا قال جديدا عتق الأول . وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الإضمحلال » (عبرانيين ٨ : ٧ - ١٣)

ولو قلنا على حد قوله : لولا تحريف التوراة لما كان القرآن الكريم للرحمة . ولولا ثقلها وشدتها لما كان القرآن للتخفيف - وهو العهد الجديد - ما توجه علينا لوم . لأن دفاعنا عن اللوم ان وجد ، شبيه بدفاع أتباعه اذا دانعوا .

ولنناقش السامريين فى « علة الحكم » التى بسببها عندهم لا يجوز النسخ فى شرائع الله . ونقول : ان الحكم الإلهى الذى يحرم شيئا على الناس قد يكون لعله فى الشيء المحرم ، وقد يكون لغير علة فى الشيء المحرم كالميتة فان العلة فى تحريمها ضرر الجسم ولذلك هى محرمة فى التوراة وفى القرآن . وقد يكون لغير علة مثل تحريم لحم الجمل فى التوراة وتحليل أكله فى القرآن الكريم . فانه حرم عليهم للضرر بهم . كما قال تعالى : « فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم . . . الخ » (النساء ١٦٠) وأبيح لنا نحن المسلمين لأن الله خفف علينا كما قال تعالى : « يريد الله أن يخفف عنكم » (النساء ٢٨)

ومن أحكام التوراة : ان من يحضر ميتا عند موته ، أو يمسه عظامه ، أو يطأ قبراً ، فانه يتنجس ولا يتطهر الا برماد البقرة التى كان الامام المهارونى يحرقها . فهل لهذا الحكم من علة الا التشديدات ؟ وان استغنى اليهود الآن فى الطهارة عن ذلك الرماد لعجزهم عنه فقد أقروا بالنسخ لحال اقتضاها هذا الزمان لا لعله الحكم . وان لم يستغنوا عن ذلك كانوا على غير طهارة ، وهو بخلاف معتقدهم . لأنهم يصلون ويصومون .

والعبرانيون بهولهم أسفار الأنبياء ، يسلمون بالفسخ . لأنه إذا كان
هذه أحكام غير أحكام موسى — وليس فيها — « يكون ذلك نسخا » على
حد تعبير السامري أبى الحسن . ولو كانت شريعة موسى الى الأبد ما كان
ينبئ على نبي من بعده له يسمعون ويطيعون . إذ أى فائدة تكون من قوله
عنه « له تسمعون » إذا كانت شريعة موسى الى الأبد ؟ ومع ذلك يدعى العبرانيون
كما يدعى السامريون دوام شريعة موسى الى يوم القيامة . وغرضهم من
هذا الادعاء : انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم . يقول ابن كونة :
« انا نحن نعلم باضطرار من الفاظ التأييد ، ومن قرائن غيرها من التوراة ،
وكتب الأنبياء ، وكلام حملة الشريعة : أن موسى — عليه السلام — كان
بيندين بدوام شريعته (٢٠) » أ.هـ

ومن الفاظ التأييد فى التوراة هذا النص : « يحفظ بنو اسرائيل المسبب
ليصنعوا المسبب فى أجيالهم عهدا أبديا . هو بينى ، وبين بنى اسرائيل علامة
الى الأبد » (خروج ٣١ : ١٦ — ١٧) ونرد عليهم : بأن هذا التأييد
بمعنى مدة محددة ، تنتهى بمجىء النبي الناسخ لشريعة موسى . ودليلنا
على ذلك فوق تنبيه موسى على نبي من بعده بقوله « له تسمعون » :
قصة العبد المؤبد فان العبد العبرانى يستخدم ست سنين ، ثم يعتق
فى السابعة ، فان رفض العتق ، تثقب أنه ، ويستخدم أبدا . وأراد
يلفظ « أبدا » مدة طويلة . هى خمسون سنة فقط .

فى الاصحاح الحادى والعشرين من سفر الخروج : « اذا اشتريت
عبدا عبرانيا فست سنين يخدم وفى السابعة يخرج حرا مجانا . ان دخل
وحده فوحده يخرج . ان كان بعل امرأة تخرج امراته معه . ان اعطاه
سيده امرأة وولدت له بنين أو بنات ، فالمرأة وأولادها يكونون لسيده
وهو يخرج وحده . ولكن ان قال العبد : احب سيدي وامراتى وأولادى
لا أخرج حرا ، يقدمه سيده الى الله ، ويقربه الى الباب أو الى القائمة ،

(٢٠) ص ٤٩ تنقيح الأبحاث .

ويُتَّهَبُ سَيِّدُهُ أَذْفَهُ بِالْمَقْتَبِ . فيخدمه الثَّانِي «الأبداء» (خر ١٢١ : ٢ - ٦
تث ١٥ : ١٢ - ١٧)

وفي تشریحهم : أنه عند رأس كل خمسين سنة ، تكون السنة
الخمسون سنة مقدسة . وتسمى سنة « اليوبيل » وفيها لا يزرعون
ولا يحصدون ، وفيها « تنادون بالعتق في الأرض لجميع سكانها » (لاويين
٢٥ : ١٠) فاذن لفظ الأبد محدد بمدة .

للموصف الخامس : أمي لا يقرأ ولا يكتب

« واجعل كلامي في فمه » أي يكون نبيا أميا . والأي منسوب إلى
الأمّة الأمية التي هي على أصل ولادتها لم تتعلم الكتابة ولا القراءة . ومن
الأمم التي هي على أصل ولادتها : أمّة العرب بنو اسماعيل . ونبي الإسلام
واحد منهم ، أمي مثلهم . لقوله تعالى : « هو الذي بعث في الأميين رسولا
منهم ، يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من
قبل لفي ضلال مبين » (الجمعة ٢) .

واليهود يطلقون على أي أمّة غير أمّتهم لقب : « الأمّة الأمية » . وفي
ذلك يقول تعالى « ذلك بأنهم قالوا : ليس علينا في الأميين سبيل »
(آل عمران ٧٥)

واليهود كتبوا في التوراة : أن الله سيغيظهم في آخر أيام بركتهم بأمة
غبية ، ولكنهم لم يعينوا هذه الأمّة من هي من سائر الأمم ؟
ولا نستبعد أن تكون هذه الأمّة أمّة العرب ، لأن الصراع في النبوة قائم على نسل
اسماعيل واسحق — عليهما السلام — وهم متاكفون من ميساركة الأمم في
نسل اسماعيل بنبي من أولاده ، وأشاروا إليه بغير وضوح للعوام من
الناس . ففي سفر التثنية :

« فرأى الرب . وركز من الغيظ بنيه وبناته . وقال : أحجب وجهي
عنهم ، وانظر ماذا تكون آخرتهم ؟ انهم جيل متقلب . أولاد لا أمانة فيهم .

هم أغابونى بما ليس الها . أغابونى بأباطيلهم ، فانا أغيرهم بما ليس
شعبا ، بأمة غيبية أفيظهم « ٢٤ : ١٩ - ٢١ »

وقد فسر بولس الأمة الغيبية فى رسالته الى أهل رومية بأمة اليونان
ومن يدخل من النصرانية من غير اليهود ، يقول : « لا فرق بين اليهودى
واليونانى . لأن ربا واحدا للجميع ، غنيا لجميع الذين يدعون به لأن كل من
يدعو باسم الرب يخلص . . . لكنى أقول : العن اسرائيل لم يعلم ؟ أولا
موسى يقول : انا افيزكم بما ليس أمة . بأمة غيبية أفيظكم . ثم اتشعباء يتجاسر
ويقول : وجدت من الذين لم يطلبونى ، وصرت ظاهرا للذين لم يسألوا
عنى ، اهد من جهة اسرائيل فيقول : طولى النهار بسطت يدى الى شعب
مخاند ومخاوم « (رومية ١١ : ١٢ - ١٤)

وتفسيره ظاهر الخطأ لأنه هو نفسه فى رسالته الى أهل كورنثوس
يقول « لأن اليهود يسألون آية ، واليونانيين يطلبون حكمة » (كورنثوس
١ : ٢٢) وحقا هم يطلبون حكمة لأن اليونانيين قبل عيسى - عليه السلام -
بنات من المسنين مشهورون بالعلم والفن . فقلقت كان منهم « سقراط »
و « أفلاطون » و « جالينوس » وغيرهم . لهذا التعزيب فقد كانوا فى غاية
الجهل . ولا علم عندهم ولا دين ، واليهود منعوا الشريعة عنهم من زمن
بابل ، وكانوا يحقرونهم لأنهم من أبناء هاجر جارية ابراهيم - عليه
السلام - و « أرسطوطاليس » منهم قد ألف فى علم المنطق - وهو العلم
الذى يصمم الذهن من الخطأ فى الفكر - ثمانية كتب . وهى :
١ - قاريغورياس ٢ - باريريفياس ٣ - أنولوطيقا الأولى ٤ - أنولوطيقا
الثانية ٥ - طوميقى ٦ - سوفسطيقى ٧ - ريطوريقى ٨ - فويطيقى -
كما جاء فى « الفهرست » لابن النديم ، وتهافت الفلاسفة للفخرالى حجة الاسلام
أبى حامد ، وشرح عيون الحكمة للإمام فخر الدين الرازى .

وأياها كانت هذه الأمة - وهى أمة بنى اسماعيل فى
نظرنا - فليس منها عيسى عليه السلام ، لأنه من بنى
اسرائيل ، وهم يشيرون بالأمة الغيبية الى غيرهم . وأيا ما كان
هذا النبى الأمى فليس هو عيسى عليه السلام لأنه منذ صغره فى هيكل

سليمان يتعلم التوراة والحكمة . وكان عيسى قارنا وكاتبنا . يقول لوقا عنه « وكان الصبي ينمو ويتقوى بالروح مثلنا حكمة . وكانت نعمة الله عليه ، وكان أبواه يذهبان كل سنة الى اورشليم في عيد الفصح ، ولما كانت له اثنتا عشرة سنة صعدوا الى اورشليم كعادة العيد ، وبعدما اكملوا الأيام بقي عند رجوعهما الصبي يسوع في اورشليم ويوسف وأمه لم يعلما ... وبعد ثلاثة أيام وجداه في الهيكل جالسا في وسط المعلمين يسمعهم ، ويسألهم ، وكل الذين سمعوه بهتوا من فهمه وأجوبته . فلما ابصره اندهشا . وقالت له أمه : يا بني . لماذا فعلت بنا هكذا ؟ هوذا ابوك (٢١) وأنا كنا نطلبك معذبين . فقال لهما : لماذا كنتما تطلبانني ؟ ألم تعلما أنه ينبغي أن أكون في ما لأبوي (٢٢) ؟ » (لوقا ٢ : ٤٦ - ٤٩)

وفي الأناجيل أن عيسى عليه السلام كان من علماء بنى اسرائيل الهارونيين الكبار ، الذين يلتقون بالريانيين . وكان يدخل مجامع اليهود يوم السبت ليحفظ الناس ويعلمهم المشريعة . يقول لوقا « وجاء الى الناصرة حيث كان قد تربى ، ودخل المجمع حسب عادته يوم السبت ، وقام ليقرأ » (لوقا ٤ : ١٦) ويقول يوحنا « وأما يسوع فانحنى الى أسفل وكان يكتب » (يوحنا ٨ : ٦) وكان تلايذه يدعوهم بلقب « ربي » أي المعلم . ويحكى يوحنا كاتب الانجيل أن يوحنا المعمدان كان واقفا هو واثنان من تلاميذه . فنظر الى عيسى ماشيا وتحدث عنه . فلما سمعه التلميذان ، تركاه وتبعوا عيسى — عليه السلام — فالتفت يسوع ونظرهما يتبعان .

فقال لهما : ماذا تطلبان ؟ فقالا : ربي ، الذي تفسره يا معلم : أين تمكث ؟ » (يوحنا ١ : ٣٨)

(٢١) يقول النصارى أن عيسى عليه السلام قد ولد من غير أب كما يقول القرآن . ويقولون أن مريم كانت مخطوبة لرجل يسمى يوسف . ولما قالت له أمه « هو ذا أبوك » كانت تعنى الأبوة المجازية (انظر تفسير متى هنرى)

(٢٢) في ما لأبى ، أى في طاعة الله ، أبوة مجازية ، ويترجمها البعض (في بيت أبى) أى في هيكل سليمان . (انظر حياة المسيح لفردريك وتفسير متى هنرى)

ويعرف من ذلك : أن هذا النبي الأُمى ليس هو عيسى — عليه السلام — وإنما هو نبي الإسلام — ﷺ — لأنه لم يكن قارئاً ولا كاتباً . فقد قال تعالى : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ، ولا تحطه بيمينك إذا لارتاب المبتلون » (العنكبوت ٤٨)

ومع أنه كان أمياً ، كان حافظاً للكلام وواعياً له . لقوله تعالى : « سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله . انه يعلم الجهر وما يخفى » (الأعلى ٦-٧) وكان دائب القراءة لحرصه على حفظه . يقول تعالى : « لا تحرك به لسانك لتعجل به . ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه . ثم ان علينا بيانه » (القيامة ١٦ - ١٩)

ومن عظيم فضل الله تعالى على الأمة الإسلامية انه جعل القرآن سهل الحفظ . ولذلك يحفظونه في صدورهم كما كان يحفظ النبي في صدره ، ويقلونه حق تلاوته بأموأهم كما كان يتلو النبي من فمه . أما أسفار التوراة وأسفار الانجيل فلا تجد القدرة من أصحابها على حفظ شيء ، حتى ولو كان يسيراً .

الوصف السادس : أمين على الوحي

« فيكلمهم بكل ما أوصيه به » وأي نبي من قبل الله يتصف بهذه الصفة ، وعلى ذلك فهذا الوصف منطبق على نبي الإسلام وعيسى — عليهما السلام —

وانطباقه على نبي الإسلام — ﷺ — أحق وأولى . لأن عيسى — عليه السلام — من بنى إسرائيل وهو وغيره من أنبياء بنى إسرائيل لا يحتاجون الى هذه التزكية ، وتلك الشهادة . لأن أى نبي منهم اذا جاء على وفق التوراة فان التوراة تشهد بصدقه ، واذا جاء مخالفاً لها فان التوراة تبيح لليهود أن يرفضوه . واستدل على ذلك بالتهمة التى وجهها اليهود لأول شهيد فى النصرانية . ففى سفر الأعمال « واقاموا شهوداً كذبة . يقولون : هذا الرجل لا يفتر عن أن يتكلم كلاماً تجديفاً ضد هذا الموضع المقدس ، والناموس . لأننا سمعناه يقول : ان يسوع الناصرى هذا سينقض هذا الموضع ، ويغير العوائد التى سلمنا اياها موسى » (أعمال الرسل ٦ : ١٣ - ١٤)

فلو كانت العوائد التي سئلهم اياها اموسى محل نقض من نبي منهم
ما كان للاتهام معنى .

ولو تأمل المتأملون فى كلام القرآن الكريم ، فانهم سيجدون
فى أكثر الآيات كلمة « قل » التى تفيد أمرا من الله للنبي بتبليغ وصايا
معينة .

ومعنى ذلك : أن النبي ليس منفردا بهذه الشريعة المفراء . يقول
تعالى : « قل : هو الله أحد » (الاخلاص ١) « قل : يا ايها الكافرون .
لا أعبد ما تعبدون » (الكافرون ١ - ٢) « قل للمؤمنين : يغضوا من
أبصارهم ، ويحفظوا فروجهم » (النور ٣) وهكذا آيات كثيرة من هذا
القبيل .

ولو تأمل المتأملون فى كلام الانجيل فانهم سيجدون أن عيسى عليه السلام قد
أمر باحترام التوراة والعمل بها ، وصحح لهم ما كانوا فيه يخطئون . إذ لم
يأت هو بجديد على ما عندهم . ما أتى الا بتفسير وإيضاح . فضلا عن ذلك :
فأين هو انجيله حتى نعلم ما فيه ؟ لا نجد الا أنجيل منسوبة الى تلاميذ
يؤرخون لحياته وما وقع بينه وبين اليهود ، وهى لا تتفق فى كثير من
المعاني .

ولقد ظهر بولس بعد رفع عيسى الى السماء وشرع للنصارى من
تلقاء نفسه .

ومما قال لهم « أقول لغير المتزوجين وللأرامل : انه حسن لهم اذا
لبثوا كما أنا . ولكن ان لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا لأن الزوج أصلح
من التحرق » وأما المتزوجون فأوصيهم لا أنا ، بل الرب : أن لا تفارق
المرأة رجلها . وان فارقته فلتلبث غير متزوجة ، أو لتصلح رجلها . ولا يترك
الرجل امرأته . وأما الباقون فأقول لهم أنا . لا الرب : أن كان أخ له امرأة
غير مؤمنة ، وهى ترضى أن تسكن معه فلا يتركها . والمرأة التى لها رجل
غير مؤمن ، وهو يرتضى أن يسكن معها فلا تتركه وأما العذارى فليس
عندى أمر من الرب فيهن . ولكنى أعطى رأيا » (كورنثوس الأولى ٧ : ٨

(٢٥) .

تأين هذا من نبي الاسلام — ﷺ — الذى طلب منه الكافرون بقاء الله :
تبديلا وتغيرا للتعالميم الالهية فالضر على التاكيد بأنه لا يزيد عن كونه
بشرا رسولا . يقول تعالى : « واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ، قال الذين
لا يرجون لقاءنا : انت بقرآن غير هذا او بدله . قل : ما يكون لى أن
أبدله من تلقاء نفسى . ان اتبع الا ما يوحى الى . انى أخاف ان عصيت
ربى عذاب يوم عظيم . قل : لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به
فقد لبثت فيكم عمرا من قبله . أفلا تعقلون ؟ فمن أظلم ممن افترى على
الله كذبا ، أو كذب بآياته انه لا يفلح المجرمون » (يونس ١٥ — ١٧)
وهذا يؤكد أن النبي المعين فى هذه النبوءة — الذى هو أمين على وحي
الله — هو نبي الاسلام — ﷺ — لا غير .

الموصف السابع : سيقضى على ملك بنى اسرائيل

« ويكون أن الانسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى .
انا أطالبه » — « أنا أطلب منه » — « فانى أحاسبه عليه »
وقد فسر عيسى — عليه السلام — « أنا أطلب منه » بالعذاب الشديد ،
أى أن من لا يسمع ويطيع لذلك النبي الآتى الى العالم فان الله على يده يعطيه
العذاب الشديد على عدم السمع والطاعة . يقول لوقا عن المسيح : « وضرب
لهم مثلا قائلا : انسان غنى أخصبت كورته . ففكر فى نفسه قائلا : ماذا
أعمل ؟ لأن ليس لى موضع أجمع فيه أثمارى . وقال : أعمل هذا : أهدم
مخازنى وأبنى أعظم وأجمع هناك جميع غلاتى وخيراتى . وأقول لنفسى :
يا نفس لك خيرات كثيرة موضوعة لسنين كثيرة استريحى وكلى ، واشربى
وافرحى . فقال له الله : يا غبى هذه الليلة تطلب نفسك منك . فهذه
النى أعددتها لمن تكون ؟ هكذا الذى يكنز لنفسه ، وليس هو غنيا لله »
(لوقا ١٢ : ١٦ — ٢١) فقله « تطلب نفسك منك » — بضم التاء —
يدل على أن الغنى الغبى هالك ، لأنه ما تصدق وما صلى ، ولكن كذب
وتولى . وقد فسرها بطرس بنفس تفسير عيسى — عليه السلام — فقال
« ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبي تباد من الشعب » (ا ع ٣ : ٢٣)

وعذاب هؤلاء الذين لا يسمعون ولا يطيعون يكون عقب سماعهم كلام هذا النبي المنتظر ثم اعراضهم عنه . ولما كان النزاع محصورا بين عيسى ونبي الاسلام — عليها السلام — فان المراد هو نبي الاسلام وحده . لأن عيسى قال : « أنا لست اطلب مجدى ، يوجد من يطلب ويدين » (يوحنا ٨ : ٥٠) ولانه دفع الجزية للرومان (متى ١٧ : ٢٧) وقال بصريح المبارة : « أعطوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله » (مرقس ١٢ : ١٧) وقد بين عيسى — عليه السلام — أنه عقب الانتقام الالهى يتأسس ملك هذا النبي ويقوى الى الأبد ، فقد ضرب لهم مثلا ، سمى فيه اليهود بالكراميين الأردياء .

وفيه يقول عنهم فى رواية متى « أولئك الأردياء يهلكهم هلاكا رديا ، وبسلم الكرم الى كرامين آخرين يعطونه الأثمار فى أوقاتها » وفى رواية لوقا : أنهم لما سمعوا هذا الهلاك ، استنكروه واستبعدوه « فلما سمعوا قالوا : حاشا » ولقد أزال عيسى استنكارهم واستبعادهم بدليل من الزبور مبين فيه : انتقال النبوة الى بنى اسماعيل . بقوله فى رواية متى : « أما قرأتم قط فى الكتب : الحجر الذى رفضه البناؤون هو (٢٤) قد صار رأس الزاوية ، من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا . لذلك أقول لكم : ان ملكوت الله ينزع منكم ، ويعطى لأمة تعمل أثماره . ومن سقط على هذا الحجر يترضى ، ومن سقط هو عليه يسحقه » وزاد لوقا عقب هذا قوله « فطلب رؤساء الكهنة والمكتبة ان يلقوا الأيادى عليه ، فى تلك الساعة . ولكنهم خافوا الشعب . لأنهم عرفوا أنه قال هذا المثل عليهم » (متى ٢١ لوقا ٢٠) .

فانت ترى ان عيسى — عليه السلام — لما ذكر لليهود انتقال النبوة

(٢٣) مثل الكراميين الأردياء فى الاصحاح الحادى والعشرين من انجيل متى وسنذكره باذن الله فى فصل ملكوت السموات فى الجزء الثانى .
(٢٤) كلمة « هو » ساقطة من الزبور .

والملك منهم الى امة اخرى . الى الامة التى يرفضها اليهود ويحتقرونها لأن
الأم جارية لابراهيم ، طلبوا قتله . واستبعدوا هلاكهم .

وبعد رفعه الى السماء كانوا فى نعمة وقوة . ثم اضطهدوا
اتباعه وعذبوهم عذاب أليما . ثم هاجر فريق منهم الى أرض
العرب ، وصارت لهم ديار عظيمة وحصون منيعة وزروع وأثمار . وفى
كتب التواريخ : أنه لما ظهر الاسلام حاربهم النبي ﷺ وهزمهم
فى عقر دارهم فى أرض العرب ، ثم أرسل اتباعه للاستيلاء على الأرض
المقدسة التى كان الله قد كتبها لهم . فاستولوا عليها . وقضوا على ملكهم
فى الأرض العزيزة عليهم ، المحببة الى نفوسهم . وفتح المسلمون مدينة
اورشليم — القدس — وكتبوا كتاب صلح لبطريك النصارى — والنصارى
طائفة من اليهود — واتفقوا فيه على أن لا يدخلها يهودى أبدا .

ومن ذلك الوقت زالت بركة اسرائيل فى الأمم فلا ملك لهم ولا شريعة
لهم من بعدئذ .

وهذا نص الكتاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين ،
أهل ايلياء — القدس — من الأمان . أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم .
ولكنائسهم وصلبانهم . وسقيمتها وبريئتها وسائر ملتها أنه لا تسكن كنائسهم
ولا تهدم ، ولا ينقص منها . ولا من حيزها ، ولا من صلبهم . ولا من شئ
من أموالهم . ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم .

ولا يسكن بايلياء معهم أحد من اليهود . وعلى أهل ايلياء أن يعطوا
الجزية كما يعطى أهل المدائن . وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوت (٢٥)
فمن خرج منهم فانه آمن على نفسه وماله ، حتى يبلغوا مأمنهم . ومن أقام منهم
فهو آمن . وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية . ومن أحب من أهل ايلياء أن

(٢٥) فى بعض النسخ : الروم واللصوت . واللصوت : اللصوص .

يُضِرُّ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ مَعَ الرُّومِ ، وَيَخْلَى بِيَعْمَهُمْ وَصَلْبَهُمْ . فَانْهَمَ آمَنُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ .
 وَعَلَى بِيَعْمَهُمْ وَصَلْبَهُمْ حَتَّى يَبْلُغُوا مَأْمَنَهُمْ . وَمَنْ كَانَ بِهَا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ
 (قَبْلَ مَقْتَلِ فُلَانِ) (٢٦) فَمِنْ شَاءَ مِنْهُمْ قَعَدَ . وَعَلَيْهِ مِثْلُ مَا عَلَى أَهْلِ أَيْلِيَاءَ
 مِنَ الْجِزْيَةِ وَمَنْ شَاءَ سَارَ مَعَ الرُّومِ . وَمَنْ شَاءَ رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ . وَإِنَّهُ
 لَا يُؤْخَذُ مِنْهُمْ شَيْءٌ حَتَّى يَحْصِدَ حِصَادَهُمْ . وَعَلَى مَا فِي هَذَا الْكِتَابِ
 عَهْدُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ ، وَذِمَّةُ الْخُلَفَاءِ ، وَذِمَّةُ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا أَعْطُوا الَّذِي
 عَلَيْهِمْ مِنَ الْجِزْيَةِ

شهد على ذلك : خالد بن الوليد وعمرو بن العاص ، وعبد الرحمن بن
 عوف ، ومعاوية بن أبي سفيان . وكتب وحضر سنة : خمسة عشر (٢٧) «

الموصف الثامن : لا يقتل

« (وأى نبي تجبر . فقال باسمي قولا . لم أمره أن يقوله ، أو تنبا
 بأسم آلهة أخرى . فليقتل ذلك النبي) » أى النبى الذى يعترف بالله ثم
 يكذب عليه ، ويزعم : أنه صاحب هذه النبوة يكون جزاؤه من الله القتل . والنبي
 الذى ينكر وجود الله ويدعو الناس الى اله غيره يكون جزاؤه من الله القتل .
 وفرق يعرفه الناس بين الموت والقتل : فالموت أعم والقتل أخص . فالموت قد
 جرت به العادة على كل حى . والقتل تعجل الموت لأى حى . فهل مات نبي
 الاسلام أم قتل ؟ وهل مات عيسى أم قتل ؟ ما قتل نبي الاسلام ، ولا عيسى —
 عليهما السلام — فلذلك يستويان فى هذه الصفة .

ولو نظرنا فى القرآن وفى الانجيل . نجد القرآن مصرح بعدم
 قتلها ، ونجد الانجيل مصرح بقتل عيسى . فعلى ما كتبوا فى الانجيل .
 لا يكون ذلك النبي : هو عيسى . وعلى ما ذكره الله فى القرآن يكون ذلك
 النبي : هو محمد — ﷺ — .

(٢٦) فى بعض النسخ : لا يوجد (قبل مقتل فلان) (اظهار الحق

ج ٢ ص ٢١٢)

(٢٧) تاريخ بن جرير الطبري ج ٣ ص ١٠٥ .

فى الانجيل : يقول لوقا : « ولما مضوا به أمسكوا سيمان رجلا
قبرانيا ، كان آتيا من الجبل ووضعوا عليه الصليب ليحمله خلف يسوع .
وتبعه جمهور كثير من الشعب والنساء اللواتى كن يطمهن أيضا وينحن
عليه . فالتفت اليهن يسوع . وقال : يا بنات اورشليم لا تبكين على
بل ابكين على أنفسكن ، وعلى أولادكن . لأنه هو ذا ايام تأتي . يقولون
فيها : طوبى للعواقر والبطنون التى لم تلد . والثدى التى لم ترضع .
حينئذ بيتدنون يقولون للجبال : أسقطى علينا . وللاكام غطينا . لأنه
ان كانوا بالعود الرطب يفعلون هذا ، فماذا يكون باليابس ؟ وجاعوا
أيضا باثنين آخرين مذنبين ليقتلا معه .

ولما مضوا به الى الموضع الذى يدعى جمجمة ، صلبوه هناك مع
المذنبين ، واحدا عن يمينه ، والآخر عن يساره . فقال يسوع : يا ابتاه
اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون ؟ ...

وكان نحو الساعة السادسة . فكانت ظلمة على الأرض كلها الى
الساعة التاسعة وأظلمت الشمس ، وانشق حجاب الهيكل من وسطه ،
ونادى يسوع بصوت عظيم وقال : يا ابتاه فى يديك أستودع روحى .
ولما قال هذا أسلم الروح . فلما رأى قائد المئة ما كان . مجد الله قائلا :
بالحقيقة كان هذا الانسان باراً » (لوقا ٢٣ : ٢٦ - ٤٧)

لقد صرح لوقا بأنه قتل مع مذنبين آخرين . ونحن لا نفر بذلك .
ولكننا ننقل عنهم ما يعتقدون . وصرح القرآن الكريم بعصمة النبی من
القتل فى قوله تعالى : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك . وان
لم تفعل فما بلغت رسالته . والله يعصمك من الناس . ان الله لا يهدى
القوم الكافرين » (المائدة ٦٧)

وقد شدد الله على النبی فى الدعوة اليه فقال : « ولو تقول علينا
بعض الأثاويل ، لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين . فما
منكم من أحد عنه حاجزين » (الحاقة ٤٤ - ٤٧)

ولم يتقول ، بل كان أمينا على الوحي . ولذلك ما قتل .

يقول الامام محمود بن عمر الزمخشري : « التقول : افتعال القول . لأن فيه تكلفا من المتعمل ، وسمى الأقوال المتقولة : أقاويل : تصغيرا بها وتحقيرا ، كقولك : الأعاجيب والأصاحيك . كأنها جمع أفعوله من القول . والمعنى : ولو ادعى علينا شيئا لم نقله لقتلناه صبورا . كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام . فصور قتل الصبر بصورته . ليكون أهول . وهو أن يؤخذ بيده وتضرب رقبته . وخص اليمين عن اليسار لأن القتال اذا أراد أن يوقع الضرب فى قفاه أخذ بيساره . واذا أراد أن يوقعه فى جيده وأن يكفحه بالسيف — وهو أشد على المصبور لنظره الى السيف — أخذ بيمينه . ومعنى « لأخذنا منه باليمين » لأخذنا بيمينه . كما أن قوله « لقطعنا منه الموتين » لقطعنا وتينه . وهذا بين . والموتين : نياط القلب ، وهو حبل الوريد اذا قطع مات صاحبه .

والضمير فى عنه — فى الآية : « فما منكم من أحد عنه حاجزين » ... للقتل ، أى لا يقدر أحد منكم أن يحجزه عن ذلك ويدفعه عنه . أو لرسول الله . أى لا تقدرون أن تحجزوا عنه القاتل ، وتحولوا بينه وبينه . والخطاب للناس « أ.هـ

وقد جاء فى التوراة أمر صريح بأن من يزعم أنه نبي ، ويدعو الى اله غير الله تعالى يكون مستوجب القتل ، فى هذا النص : « اذا قام فى وسطك نبي ، أو حالم حلما ، وأعطاك آية أو أعجوبة ، ولو حدثت الآية ، أو الأعجوبة التى كلمك عنها . قائلا : لنذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها ونعبدها . فلا تسمع لكلام ذلك النبي أو الحالم ذلك اللحم ، لأن الرب الهكم يمتحنكم لكي يعلم : هل تحبون الرب الهكم من كل قلوبكم ، ومن كل أنفسكم ؟ وراء الرب الهكم قسرون ، وإياه تتقون ، ووصاياهم تحفظون ، وصوته تسمعون ، وإياه تعبدون ، وبه تلتصقون . وذلك النبي أو الحالم ذلك اللحم يقتل . لأنه تكلم بالزيف من وراء الرب الهكم » (التثنية ١٣ : ١ — ٥)

ونبي الاسلام — ﷺ — دعا باسم الله وحده ، وحرّم على أتباعه
أن ياكلوا مما ذبح لغير الله . فقد قال تعالى : « ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم
الله عليه ، وانه لفسق » (الأنعام ١٢١) فلا يكون مستوجب القتل بحكم
التوراة .

ويبدو أن الله رمز بهذا الوصف : الى قساوة قلوب اليهود وبغضهم
للأنبياء بغير حق . ومعنى الرمز : أن هذا رغم اهانتهم لكم ، وانتصاره عليكم ،
وسلبه الملك والنبوة منكم . بالرغم من هذا كله . لمن تستطيعوا أن تهزموه
ولا أن تقتلوه .

الوصف التاسع : يتحدث عن غيب فيكون

« وان قلت في قلبك : كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب ؟
فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ، ولم يصر . فهو الكلام الذي
لم يتكلم به الرب ، بل بطغيان تكلم به النبي فلا تخف منه »
أى أن من أوصاف هذا النبي : أن يتحدث عن أمور غيبية ، تحدث في مستقبل
الأيام ، ثم تقع كما تحدث عنها . وهذا الموصف مع الأوصاف السابقة يؤكد صدق
نبي الاسلام — ﷺ — في دعوى النبوة فهو تحدث عن أمور كثيرة تحدث
في المستقبل ، وما كان احد يتوقع أنها ستكون ، ووقعت كما أخبر
تماما . وقد تحدث عيسى — عليه السلام — عن غيب أيضا وصار .
ولكن يوجد فرق بين حديث النبيين الكريمين عن الغيب . فحديث
عيسى — عليه السلام — عنه كان عن علامات اذا وقعت ، يعلم أتباعه بها أن
نبي الاسلام سيأتى . وحديث نبي الاسلام — ﷺ — هو عن علامات اذا
وقعت ، يعلم أتباعه انه خاتم النبيين .

ففي الانجيل تحدث عيسى عليه السلام عن ملكوت السموات (٢٨)
ومجىء ابن الانسان صاحب ملكوت السموات . فقال كما روى لوقا :

(٢٨) انظر فصل ملكوت السموات — في الباب الثاني من هذا
الكتاب .

« وإذ كان قوم يقولون عن الهيكل انه مزين بججارة حسنة وتحف .
قال : هذه التي ترونها سنأتى أيام لا يترك فيها حجر على حجر لا ينفض
فسألوه قائلين : يا معلم . متى يكون هذا ؟ وما هي العلامة عندما يصير
هذا ؟ فقال : انظروا لا تضلوا . فان كثيرين سيأتون باسمى قائلين : انى
انا هو والزمان قد قرب . فلا تذهبوا وراءهم . فاذا سمعتم بحروب
وقلاقل فلا تجزعوا لأنه لا بد أن يكون هذا أولا . ولكن لا يكون المنتهى
سريعا . ثم قال لهم : تقوم أمة على أمة ، ومملكة على مملكة وتكون
زلازل عظيمة فى أماكن ومجاعات وأوبئة ، وتكون مخاوف وعلامات عظيمة من
السماء .

وقبل هذا كله يلقون أيديهم عليكم ويظردنكم ويسلمونكم الى مجامع
وسجون ، وتساقون أمام ملوك وولاة لأجل اسمى فيؤول ذلك لكم شهادة .
مضعوا فى قلوبكم أن لا تهتموا من قبل لكى تحتجوا . لانى أنا أعطيك
نما وحكمة لا يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها أو يناقضوها . وسوف
تسلمون من الموالدين والاخوة والأقرباء والأصدقاء ويقتلون منكم .
وتكونون مبغضين من الجميع من أجل اسمى . ولكن شعرة من رؤوسكم
لا تهلك . بصبركم اقتنوا أنفسكم .

ومتى رايتم أورشليم محاطة بجيوش فحينئذ اعلموا أنه قد اقترب خرابها .
حينئذ ليهرب الذين فى اليهودية الى الجبال ، والذين فى وسطها فليفروا
خارجا ، والذين فى الكور فلا يدخلوها . لأن هذه أيام انتقام لىتم كل
ما هو مكتوب : وويل للجبالي والمرضعات فى تلك الأيام . لانه يكون
ضيق عظيم على الأرض ، وسخط على هذا الشعب ، ويقعون بقم
السيف ، ويسبون الى جميع الأمم ؛ وتكون أورشليم مدوسة من الامم
حتى تكمل أزمنة الأمم :

وتكون علامات فى الشمس والقمر والنجوم ، وعلى الأرض كرب
أمم بحيرة . البحر والأمواج تضج . والناس يغطى عليهم من خوف وانتظار
ما يأتى على المسكونة لأن قوات السموات تتزعزع . وحينئذ يبصرون
ابن الانسان آتيا » (لوقا ٢١ : ٥ - ٢٧)

وهذا الخبر قد تحقق في استيلاء المسلمين على بلاد فلسطين في عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فان « ابن الانسان » في قوله : هو محمد ﷺ وسنين هذا في الجزء الثانى من هذا الكتاب .

وفى القرآن ما يدل على ان النبى - ﷺ - أخبر عن غيب قبل حدوثه . ومثال ذلك قوله عن امر الله تعالى لليهود : « قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ، ولن يتموه أبدا بما قدمت أيديهم . والله عليم بالظالمين ، ولتجدنهم أحرص الناس على حياة » (البقرة ٩٤ - ٩٦) والمعنى : قل لليهود تمنوا الموت ان كنتم صادقين فى زعمكم انكم أبناء الله وأحباؤه . لأن الجنة اذا كانت خالصة لكم وحدكم ، لاشتقتم اليها وتمنيتم سرعة الوصول اليها للتخلص من شوائب الدنيا .

ثم أخبر الله أنهم لن يتموه أبدا طوال حياتهم بسبب ما أسلفوا من موجبات النار كالكفر بالنبى ، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم . والعقلاء يعلمون : أن النبى ، وهو يبعث انتشار دينه ، وعدم مناوئة اليهود له لا يجوز له - وهو غير واثق من جهة الله بالوحى - أن يتصدى أعدى الأعداء بأمر لا يأمن عاقبة الحال فيه ، ولا يأمن خصمه أن يقهره بالدليل والحجة فيظهر الخصم أمام الناس أنه قد تمنى الموت فيحرجه ولما كان معروفا للعالم أجمع : أن اليهود لا يتمنون الموت الى يومنا هذا . وأنهم جبناء فى ساحة الحرب حتى أنهم لا يقاتلون الا فى قرى محصنة أو من وراء جدر ، فقد ثبت صدق النبى - ﷺ - فى خبره هذا عنهم .

ومثال ذلك أيضا : قوله تعالى : « ألم . غلبت الروم فى أدنى الأرض ، وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين . لله الأمر من قبل ، ومن بعد . ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء ، وهو العزيز الرحيم ، وعد الله لا يخلف الله وعده » (الروم ١ - ٦)

وفى هذه الآيات نبوءتان : الأولى : هى غلبة الروم على الفرس . والثانية : هى استيلاء المسلمين على بلاد الفرس والروم .

وفى معنى هذه الآيات نقول : كانت الامبراطورية الفارسية (الساسانية) تقع على شرقى الجزيرة العربية على الساحل الآخر للخليج الفارسى . على حين كانت الامبراطورية الرومانية (البيزنطية) تمتد من غربى الجزيرة على ساحل البحر الأحمر الى ما فوق البحر الابيض . وكانت أقوى حكومتين شهدهما ذلك العصر .

ومن كتاب « تاريخ سقوط واندحار الامبراطورية الرومانية » (٢٩)
للمؤرخ « ادوارد جين » فى الجزء الخامس نذكر ما يلى :

اعتنق الملك « قسطنطين » الدين المسيحى عام ٣٢٥م وجعله ديانة البلاد الرسمية فأمنت به أكثرية رعايا الروم ، وكان الملك الذى تولى زمام الامبراطورية الرومانية فى أواخر القرن السابع الميلادى هو « موريس » وقد قام جيشه بثورة ضده بقيادة « فوكاس » وأصبح فوكاس ملك الروم . وكان « كسرى » ملك الفرس مخلصا للملك موريس فانقم له وأغار على بلاد الروم . وزحفت جحافل عابرة نهر الفرات الى الشام ولم يتمكن فوكاس من مقاومة جيوش الفرس التى استولت على مدينتى « أنطاكية » و « القدس » فاتسعت حدود الامبراطورية الفارسية فجأة . الى وادى النيل . وتم نصر الفرس على الروم عام ٦١٦م .

وأرسل بعض أعيان الروم رسالة سرية الى الحاكم الرومى فى المستعمرات الافريقية يناشدونه انقاذ الامبراطورية ، فأرسل الحاكم جيشا كبيرا بقيادة ابنه الشاب « هرقل » فتقدم هرقل وقتل « فوكاس » واستولى على عاصمة الروم ولكنه لم يستطع أن يقاوم الفرس الذين كانوا يستبدون بالرعايا الروم للقضاء على المسيحية ، ويتيمون البيوت لعبادة النار فى كل مكان واستبد اليأس والتنوط بهرقل بعد الخطاب الذى وجهه اليه كسرى من مدينة القدس قائلا « من لدن الآله كسرى ، الذى هو

نقلا عن : الاسلام يتحدى — وحيد الدين خان — الطبعة الثالثة
بمصر صفحة ١٣١ وما بعدها .

اكبر الآلهة ، وملك الأرض كلها الى عبده اللئيم الغافل : هرقل . انك تقول : انك تثق فى الهك . فلماذا لا ينقذ الهك القدس من يدى ؟ »
وقرر هرقل العودة الى قصره الواقع فى « قرطاجنة » على الساحل الافريقى . وفى هذه الساعة المحرجة تحايل كبير أساقفة الروم باسم اللدين والمسيح ، ونجح فى اقناع هرقل بالبقاء . وذهب هو والأسقف الى قربان « سانت صوفيا » يعاهد الله تعالى على أنه لن يعيش أو يموت الا مع الشعب الذى اختاره الله له . ثم أرسل سفيرا الى كسرى طالبا الصلح فصاح فى وجهه كسرى : « لا أريد هذا المقاصد وانما أريد « هرقل » مكبلا بالأغلال تحت عرشى . ولن أصالح الرومى حتى يهجر الهه الصليبي ، ويعبد الشمس الهتنا »

وبعد مضى ستة أعوام على الحرب رضى الامبراطور الفارسى أن يصالح هرقل على شروط معينة . وهى أن يدفع ملك الروم « ألف تالنت » (٣٠) من الذهب . وألف تالنت من الفضة . وألف ثوب من الحرير وألف جواد . وألف فتاة عذراء »

ولقد كان هرقل فى السنين الأولى والأخيرة من حكمته ، كان يبدو كما لو كان متفرجا أبله ، واستسلم لمصائب شعبه ، وفجأة تحول ذلك الملك المغافل المفاقد العزيمة الى ملك حصيف الراى شجاع ، فوضع خطة عظيمة لقهر الفرس ، وعندما خرج مع جنوده بدا لكثيرين من سكان (القسطنطينية) أنهم يرون آخر جيش فى تاريخ الامبراطورية البيزنطية . وسار بجيشه عن طريق البحر الأسود الى « أرمينيا » وشن على الفرس هجوما مفاجئا فلأدوا بالفرار . ثم فاجأهم مرة أخرى فى آسيا الصغرى وأنزل بهم هزيمة فادحة . ثم شن ثلاثة حروب أخرى ضد الفرس فى سنوات ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ م واستطاع أن ينفذ الى أراضى العراق

(٣٠) ميزان يونانى قديم حوالى ستة وعشرين كيلو جراما لدى الاثنيين . وقد يطلق على كمية النقود الذهبية ، أو الفضية التى تزنه .

القديم « ميسودوتانيا » عن طريق البحر الأسود وكانت آخر هذه الحروب
المصيرية تلك الحرب التي خاضها الفريقان في « نينوى » على ضفاف
دجلة في ديسمبر سنة ٦٢٧ م .

ولما لم يستطع « كسرى أبرويز » مقاومة سيل الروم حاول الفرار
من قصره الحبيب « دستكرد » ولكن ثورة داخلية نشبت في الإمبراطورية ،
واعقله ابنه (شيرويه) وزج به في سجن داخل القصر الملكي حيث لقي
حتمه ولكن شيرويه هو الآخر لم يستطع أن يجلس على العرش فقد
قتله أحد أشقائه وبدأ القتال داخل القصر الملكي وتولى تسعة ملوك زمام
الحكم في غضون أربعة أعوام . ولم يكن من الممكن أو المعقول في هذه
الأحوال السيئة أن يواصل الفرس حربهم ضد الروم . فأرسل
« قياد الثاني » ابن كسرى أبرويز الثاني يرجو الصلح وأعلن تنازله عن
الأراضي الرومية كما أعاد الصليب المقدس ورجع هرقل إلى عاصمته
المسطنطينية في مارس عام ٦٢٨ ميلادية في احتفال رائع .

وهذا صدق ما تنبأ به القرآن الكريم عن غلبة الروم في مدته المقررة ،
أي في سنين قليلة كما هو المراد في لغة العرب من كلمة « بضع »

وقد أبدى « ادوارد جين » حيرته وأعجابه بهذه النبوءة فقال
« وعندما أتم الإمبراطور الفارسي نصره على الروم ، وصلته رسالة من
مواطن خامل الذكر ، من « مكة » دعاه إلى الإيمان بـمحمد رسول الله .
ولكنه رفض هذه الدعوة ، ومزق الرسالة . وعندما بلغ هذا الخبر
رسول العرب قال : « تنصوف يمزق الله دولته تمزيقا ، وسوف يقضى على
قوته »

ومحمد الذي جلس في الشرق على خاشية الإمبراطوريتين العظيمتين ،
طار فرحا مما سمع عن تصارع الإمبراطوريتين وقتالهما ، وجرؤ في أبان
الفتوحات الفارسية وبلوغها القمة ، أن يتنبأ بأن الغلبة تكون لراية الروم بعد
بضع سنين . وفي ذلك الوقت حين ساق الرجل هذه النبوءة لم تكن

آية نبوءة أبعد منها وقوعا . لأن الأعوام الألفية عشرة الأولى من حكومة
هرقل كانت تسمى بتهاية الإمبراطورية الرومانية « (٣١) ١. هـ

ويلاحظ أن « ادوارد جين » قد ذكر أن رسالة النبي - ﷺ - الى
كسرى كانت قبل الهجرة الى المدينة المنورة ، بينما اتفق المؤرخين أنها
كانت بعد صلح الحديبية . أى عام ٦٢٨ م .

... ..

وظل بني اسرائيل ينتظرون هذا النبي الأملى الذى زعم يوحنا المعمدان وعيسى
ابن مريم - عليهما السلام - فى انجيل يوحنا . يحكى يوحنا كتاب
الانجيل أن اليهود العبرانيين فى مدينة (القدس) أرسلوا وفدا من علمائهم الى
النبي يحيى - عليه السلام - ليسألوه عن هذا النبي الذى ذكر موسى
له أوصافا تسعة . فشهد بأنه ليس هو .

وهذه نص شهادته :

« وهذه هى شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من اورشليم كهنة
ولاربيين ليسألوه : من أنت ؟ فاعترف ولم ينكر . وأقر أنى لست أنا
المسيح . فسألوه : اذن ماذا ؟ ايلياء أنت ؟ فقال لست أنا . النبي أنت ؟
فأجاب : لا » (يوحنا ١ : ١٩ - ٢١) ثم قال لهم : « يأتى بعدى من هو
أقوى منى ، الذى لست أهلا أن أحنى وأحل سيور حذائه » (مرقس
١ : ٧)

وقد روى برنابا فى انجيله : أن الوفد كان موجهما الى عيسى -
عليه السلام - وليس الى يوحنا المعمدان . يقول برنابا : « فان رؤساء
الكهنة تشاوروا فيما بينهم ليقسطوه بكلامه . لذلك أرسلوا الملايين
وبعض الكتبة يسألونه قائلين : من أنت ؟ فاعترف يسوع وقال : الحق
أنى لست مسيا . فقالوا : أنت ايلياء أو ارياء أو أحد الأنبياء التدماء ؟
أجاب يسوع : كلا . حينئذ قالوا : من أنت لمنشهد للذين أرسلونا ؟

(٣١) ج ٥ ص ٧٣ - ٨٤ .

فقال حينئذ يسوع : أنا صوت صارخ فى اليهودية كلها يصرخ : أعدوا طريق رسول الرب . كما هو مكتوب فى أشعيا (٣٢) .

قالوا : اذا لم تكن المسيح ولا ايلياء أو نبيا ما . فلماذا تبشر بتعليم جديد وتجعل نفسك اعظم شأننا من مسيا ؟ اجاب يسوع : ان الآيات التى يفعلها الله على يدي تظهر انى أتكلم بما يريد الله . ولست احسب نفسى نظير الذى تقولون عنه . لانى لست أهلا أن أحل رباطات جرموق أو سيور حذاء رسول الله الذى تسمونه مسيا ، الذى خلق قبلى (٣٣) وسيأتى بعدى وسيأتى بكلام الحق ولا يكون لدينه نهاية » (برنابا ٤٢ : ٤٠ - ١٠)

وفى انجيل يوحنا أيضا أن المسيح عيسى بن مريم — عليه السلام — قد زهد فى الملك لما أراد الناس أن يجعلوه ملكا . وهم قد أرادوا أن يجعلوه ملكا لأنهم ظنوا أنه هو النبى الذى نبه على مجيئه موسى ووصفه بالأوصاف التسعة . وهو قد زهد فى الملك ليبين لهم بزهده أنه ليس

(٣٢) انظر يوحنا ١ : ١٩ — ٢٧ وأشعيا ٤٠ — ٣ — ٥)
(٣٣) خلق قبلى أى نبه الله على مجيئه من قبل ولادتي . وفى « مروج الذهب » يقول المسعودى : « وروى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام أنه قال : ان الله حين شاء تقدير الخليفة وذرى البرية وأبداع المبدعات ، نصب الخلق فى صور كالهباء قبل دحو الأرض ورفع السماء وهو فى انفراد ملكوته وتوحد جبروته . فأساح نورا من نوره ، فلمع . ويزع قبسا من ضيائه ، فسطع . ثم اجتمع النور فى وسط تلك المصور الخفية ، فوافق ذلك صورة نبينا محمد ﷺ . فقال الله عز من قائل : أنت المختار المنتخب وعندك مستودع نورى ... الخ » (ص ٣٢ ج ١ مروج الذهب ومعادن الجواهر)

ولا يعتقد أحد من الراسخين فى العلم من المسلمين بأن محمدا ﷺ كان بجسده قبل خلق العالم . ولا يعتقد اليهود بأن المسيا — أيا كان جنسه — كان بجسده قبل خلق العالم . وانما يعتقد المسلمون ويعتقد اليهود بأن التعبير بخلق النبى الأمى قبل العالم هو عن تقدير الله لوجوده ، فى الوقت الذى سيظهره فيه . اليس محمد ﷺ من عبد الله وآمنه ؟ واليس آدم فى النوراة هو أول خلق الله ؟ واليس المسيح عيسى من مريم البتول الطاهرة ؟

هو النبي الذي نبه على مجيئه موسى ، فان من أوصاف النبي الذي نبه عليه موسى ان يكون ملكا له يسمعون في كل ما يكلمهم به . يقول يوحنا : « فلما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع . قالوا ان هذا هو بالحقيقة النبي الآتى الى العالم . واما يسوع فاذا علم أنهم مزعمون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكا انصرف أيضا الى الجيل وحده » (يوحنا ٦ : ١٤ - ١٥)

وبناء على ما تقدم نقول : ان النبي الذي نبه على مجيئه موسى — عليه السلام — ووصفه بالأوصاف التسعة في سفر التثنية لم يكن قد أتى قبل يوحنا المعمدان وعيسى بن مريم عليهما السلام ، وليس هو واحد منهما باعتراهما . وحيث قد انطبقت الأوصاف التسعة على نبي الاسلام محمد — ﷺ — فانه يكون هو النبي الذي تحدث عنه النبوءة . وانطباقها بالتأكيد عليه لأن لاسماعيل بركة ، كما لاسحق بركة .



وقد أشار الى ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل » (الاعراف ١٥٧) يشير بهذا النص الكريم الى نص التوراة وهو : « يقيم لك الرب الهك نبيا .. الخ » (تثنية ١٨ : ١٥ - ٢٢) والى نص الانجيل وهو : « النبي أنت ؟ فأجاب لا » (يوحنا ١ : ١٩ - ٢١)

Il primo punto è che il sistema di giustizia deve essere equo e trasparente. Questo significa che tutti i cittadini devono avere accesso a un giudice imparziale e a un processo equo. Inoltre, il sistema deve essere trasparente, in modo che i cittadini possano seguire il processo e verificare che non ci siano favoritismi o corruzione.

Il secondo punto è che il sistema di giustizia deve essere efficiente. Questo significa che i processi devono essere rapidi e che i costi devono essere contenuti. Un sistema inefficiente non solo crea disagio per i cittadini, ma può anche portare a un aumento della corruzione e a un deterioramento della fiducia nel sistema.

Conclusioni

In conclusione, il sistema di giustizia è un pilastro fondamentale per la democrazia e per lo stato di diritto. Per garantire che il sistema funzioni correttamente, è necessario che il sistema sia equo, trasparente, efficiente e che i giudici siano imparziali e indipendenti. Solo in questo modo si può garantire che tutti i cittadini siano trattati equamente e che i diritti siano protetti.

Fonte: <http://www.garante.gov.it>

الفصل الرابع

في

البركات الثلاث

تمهيد :

بيننا أن الله — تعالى — قال لابراهيم — عليه السلام — : « وتبارك فيك جميع قبائل الأرض » (تك ١٢ : ٣) وأن الله — تعالى — يبارك على اسماعيل واسحق أخيه . فقد قالت التوراة : إن الله قال لابراهيم عن اسماعيل : « وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه » (تك ١٧ : ٢٠) وقالت عن اسحق : « وكان بعد موت ابراهيم أن الله يبارك إسحاق ابنه » (تك ٢٥ : ١١) وأن سارة لما اعترضت على إرث اسماعيل في النبوة قال الله لابراهيم : « بأسحق يدعى لك نسل ، وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك » (تك ٢١ : ١٢ — ١٣)

وقالت التوراة : إن بركة اسحق مصروفة التي تسلم ولده يعقوب ، دون ولده عيسو . فقد قال اسحق ليعقوب : « ليعطك الله من ندى السماء ، ومن بسم الأرض ، وكثرة حنطة وخمر ، ليستعبد لك شعوب ، وتسجد لك قبائل . كن سيدا لاختوك . وليسجد لك بنو أمك . ليكن لاعتوك ملعونين ، ومباركوك مباركين » (تك ٢٧ : ٢٨ — ٢٩)

ورمز كاتب القوراة بـ « بناد ماد » و « لجوى جدول » الى اسم « محمد » — ﷺ — في بركة اسماعيل . ورمز بشيلون الى زمانه . وذكر أوصافه التسعة في نبوءة النبي الأمي ، ليحدده بوضوح . ورمز بالأمة الغبية الى العرب — وهم بنو اسماعيل — .

وفي نهاية التوراة رمز بالبركات الثلاث الى مكان سكنى اسماعيل في « مكة المكرمة » فقد كتب : أن اسماعيل « سكن في بيرة فاران ، وأخذت له

أمه زوجة من أرض مصر « (تك ٢١ : ٢١) وكتب عن موسى — عليه السلام — : « جاء الرب من سيناء » إشارة الى شريعته . وكتب عن أنبياء وعلماء بنى اسرائيل : « وأشرق من ساعير » إشارة الى توضيحهم شريعة موسى فى « ساعير » وكتب عن محمد — ﷺ — : « وتلألا من جبل فاران » إشارة الى شريعته . ويدل على أن المراد بالتلألا من جبل فاران : شريعة محمد — ﷺ — أن لاسماعيل بركة وأن اسماعيل سكن مع أمه فى بركة فاران .

النص :

١ — « وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله بنى اسرائيل قبل موته . فقال : جاء الرب من سيناء . وأشرق لهم من ساعير . وتلألا من جبل فاران . وأتى من ربوات القدس . وعن يمينه (١) نار شريعة لهم .

(١) هذه النص قد أورده الامام فخر الدين الرازى ٦٠٦ هـ فى تفسيره ، وشرحه على نبي الاسلام ﷺ . وهذا هو نص كلامه يرحمه الله تعالى : « قال فى الفصل العشرين من هذا السفر (الخامس) : « ان الرب تعالى جاء فى طور سيناء ، وطلع لنا من ساعير ، وظهر من جبال فاران . وصف عن يمينه ربوات القديسين . فمنحهم العز ، وحبيبهم الى الشعوب . ودعا لجميع قديسيه بالبركة »

وجه الاستدلال : أن جبل فاران هو بالحجاز ، لأن فى التوراة : أن اسماعيل تعلم الرعى فى بركة فاران . ومعلوم : أنه انها سكن بـ « مكة » اذا ثبت هذا فنقول : ان قوله « فمنحهم العز » لا يجوز أن يكون المراد اسماعيل عليه السلام لأنه لم يحصل عقيب سكنى اسماعيل عليه السلام هناك : « عز » ولا اجتمع هناك : « ربوات القديسين » فوجب حمله على محمد عليه السلام (وأصحابه)

قالت اليهود : المراد : أن النار لما ظهرت من « طور سيناء » ظهرت من « ساعير » نار أيضا . ومن « جبل فاران » أيضا ، فانتشرت فى هذه المواضع .

قنا : هذا لا يصح ، لأن الله تعالى لو خلق نارا فى موضع ، فانه لا يقال : جاء الله من ذلك (الموضع الا) اذا تبع تلك الواقعة ، وحى نزل فى ذلك الموضع ، أو عقوبة ، أو ما أشبه ذلك . وغندكم : أنه لم يتبع ظهور =

فاحب الشعب . جميع قديسيه فى يدك . وهم جالسون عند قدمك
يتقبلون من أقوالك . بناموس أوصانا موسى ميراثا لجماعة يعقوب «
(التثنية ٣٢ : ١ - ٤)

٢ - وفى السبعينية : « وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رسول
الله بنى اسرائيل قبل موته . فقال : جاء الله من طور سيناء ، ويشرق لنا
من ساعير ، واستعلن من جبل فاران . ومعه ربوة من أطهار الملائكة عن
يمينه . فوهب لهم وأحبهم ورحم شعبهم وباركهم وبارك على أطهاره . وهم
يدركون آثار رجلك ، ويتقبلون من كلماتك . أسلم لنا موسى مثله .
وأعطاهم ميراثا لجماعة يعقوب »

٣ - وفى ترجمة الآباء اليسوعيين : « وهذه هى البركة التى بارك
بها موسى رجل الله بنى اسرائيل قبل موته . فقال : أقبل الرب من سيناء .
وأشرق لهم من ساعير . وتجلى من جبل فاران . وأتى من ربى القدس .
وعن يمينه قبس شريعة لهم . انه أحب الشعب . جميع قديسيه فى يدك
وهم ساجدون عند قدمك . يقتبسون من كلماتك ... الخ »

٤ - وفى ترجمة ١٨٤١م « فهذه البركة التى بارك موسى رجل الله
بنى اسرائيل قبل موته وقال : جاء الرب من سيناء ، وأشرق لنا من ساعير ،
واستعلن من جبل فاران ، ومعه ألوف الأطهار فى يمينه . سنة من نار »

٥ - وفى ترجمة ١٦٢٢م « ... الله من سيني تجلى . وشرق من
شعير . لهم شرف من جبل فاران . وجاء مع ربوات القدس من يمينه .
الشريعة ... »

= النار وحى ولا كلام ، الا من « طور سيناء » فما كان ينبغى الا أن يقال :
ظهر من « ساعير » ومن « جبل فاران » فلا يجوز وروده . كما لا يقال :
جاء الله من الغمام ، اذا ظهر فى الغمام ، احترق ونيران . كما يتفق ذلك
فى أيام الربيع « أه (انظر تفسير الرازى فى سورة البقرة . ٤) والباقي
الشافعى فى كتابه « على التوراة » نقل النص الذى أورده « الرازى »
من الترجمة السبعينية . وسوف نذكره)

٦ - ونص التوراة الساموية هكذا : « وهذه البركة التي بشارك
مرسى رسول الله بنى إسرائيل قبل وفاته . فقال : الله من سنين أتى .
وأشرق من الشعر . لهم لح من جبل فاران . ومعه من ربوات الغناس
عن يمينه . نار شريعة لهم . أيضا محب الشعوب . وكل أقداس أقداسه
بينك . وهم يخضعون لرجليك . ويتحملون من أقوالك ... »

المعنى الفصام :

لقد أنزل الله التوراة على موسى في صحراء سيناء في جبل الطور .
والعلماء الذين هم من ذرية هارون - عليه السلام - سوف يسكنون حول جبل
ساعير ليوضحوا للناس تعاليم موسى . وليظهروا أحكام التوراة وليفسروها
للناس . وقد ظهر من طبقة العلماء هؤلاء أنبياء ، منهم الياس واليسع وزكريا
ويحيى - عليهم السلام - وفي أرض فاران في ديار العرب سوف يظهر نبي
من ولد اسماعيل بشريعة واضحة كاملة . وفي ظهوره سيكون معه - عن
يمينه - جماعات من أصحابه الأطهار الشيبهين بالملائكة في الطهر والصلاح
ليحملوا شريعة الله الى الأرض التي بارك الله فيها للعالمين وسائر الأمم .

لقد أحب الله بنى إسرائيل (٢) وفضلهم على العالمين . فلذلك
لم يتركهم سدى . لئلا يقولوا : ما جاءنا من بشرير ولا نذير .

ثم يتحدث الله عن نبي الإسلام خاصة فيقول : جميع الذين رضيت
عنهم . وهم علماء أمتك . الذين قد اخترتهم أزلا لنصرتك . هم معك من
بعدك يستمعون للقرآن . ويطيعون . وهم عاكفون على شريعتك .
يقتبسون من كلماتها . ويستنبطون الأحكام منها . ليعلموا الناس في كل
زمان ومكان ما شرعته لهم على لسانك . وهذا القرآن قد أعطيت مثله لموسى
من قبل (٢)

(٢) لاحظ نص التوراة وهو : « أسلم لنا موسى مثله » فانه يدل على
أن القرآن ، قد أسلم لبنى إسرائيل موسى مثله . وهو التوراة . وقوله :
« أحب الشعب » هو إشارة الى المسيا .

المكرح والنحل

يقول الامام الشهرستاني في « الملل والنحل » ما نصه : « وقد ورد في التوراة : « أن الله — تعالى — جاء من طور سيناء وظهر بساعير وعلن بفاران » وساعير : جبال بيت المقدس ، التي كانت مظهر عيسى — عليه السلام — وفاران : جبال مكة التي كانت مظهر المصطفى — ﷺ — (٣) —

ويقول شموئيل بن يهوذا بن أيوب : « الله تعالى من سيناء تجلى ، وأشرق نوره من سعير ، وأطلع من جبال فاران . ولله ربوات المقدسين » وفي الإشارة الى هذه الأماكن الثلاثة التي كانت مقام نبوة هؤلاء الأنبياء . للمعقل ان يبحثوا عن تأويله المؤدى الى الأمر باتباع مقاتلتهم ، فأما الدليل الواضح من التوراة على أن جبل فاران هو جبل مكة ، فهو : أن اسماعيل لما فارق أباه الخليل — عليهما السلام — سكن اسماعيل في برية فاران ونطقت التوراة بذلك : « وأقام في برية فاران . وانكحته أمه امرأة من أرض مصر » (تك : ٢١ : ٢١) فقد ثبت من التوراة : أن جبل فاران سكن لآل اسماعيل . وإذا كانت التوراة قد أشارت في الآية التي تقدم ذكرها الى نبوة تنزل على جبل فاران لزم أن تلك النبوة على آل اسماعيل لأنهم سكان فاران . وقد علم الناس قاطبة : أن المشار اليه بالنبوة من ولد اسماعيل هو : محمد — ﷺ — وأنه بعث من مكة التي كان قريشاً مقام إبراهيم واسماعيل . فدل ذلك : على أن جبال فاران هي : جبال مكة ، وأن التوراة أشارت في هذه المواضع الى نبوة المصطفى — ﷺ — وبشرت به « (٤) ا . هـ

- (٣) ص ١٩٤ ج ١ الملل والنحل — تخريج المرحوم الشيخ بدوان — وانظر الجزء الأول من الفصل في الملل والنحل لابن حزم ص ١١١ — ٢١٢ مكتبة المثنى ببغداد . وانظر الجواب الصحيح لمن بطل ويبين المسيح لابن تيمية ج ٣ ص ٣٠٠ — ٣٠٦ .
- (٤) ص ٣٥ — ٣٦ بذل الجهود .

ويرد سعد بن منصور بن سعد بن الحسن بن هبة الله بن كونة .
على شموئيل فيقول : « وظهر من جبل فاران » فالتوراة تنطق أن موسى
وبنى إسرائيل اجتازوا بفاران وأقاموا بها ، وخطب موسى هناك عدة
مرار . و «فاران» وإن سلمنا أنه سمي به موضع بالحجاز — على ضعف
الرواية فيه — فقد سمي به موضع ليس بالحجاز ، وينسب إليه جماعة
من جملتهم صاحب كتاب « ديوان الأدب » وهو أشهر من حكى أنه بالحجاز .

وأىضا : فان من قرأ ما قبل المستشهد به وما بعده علم أن الكلام
كله مختص بينى إسرائيل . لا بما يشاركون فيه غيرهم . ثم ان الألفاظ
كلها مخبرة عن أمر ماض مثل أقبل وأشرق واطلع ، لا عن أمر متوقع .
وان حمل على المتوقع فهو مجاز وخروج عن الظاهر . ولأنه يستهجن
أن يكون مراده بقوله : ان قدرة اله من سيناء أقبلت : الاخبار عن الماضي
ثم يعطف عليه قوله : وأشرق واطلعت ويكون اخبارا عما يأتى . ولو كان
قول من يقول : ان قوله : أقبلت من سيناء : اشارة الى نبوة موسى .
وأشرق من ساعير الى نبوة عيسى . واطلعت من جبال فاران ، الى نبوة
محمد . لكان قوله بعد ذلك : وأتت من ربوات المقدسين اشارة الى شريعة
رابعة . ولم يقل بها أحد من المسلمين « (٥) ا.هـ

ولتوضيح ما نريد اثباته نتحدث أولا عما يلي :

- ١ — جبل سيناء ؟ ٢ — جبل ساعير ؟ ٣ جبل فاران ؟
 - ٤ — ربوات القدس ؟ ٥ — القديسون الذين فى يده .
- ثم بعد ذلك نتناول حجج أهل الكتاب حجة بعد حجة .

أولا : جبل سيناء :

فى جبل طور سيناء استلم موسى كتاب التوراة فان فيها ما نصه :

(٥) ص ٩٧ تنقيح الأبحاث .

• فى الشهر الثالث بعد خروج بنى اسرائيل من ارض مصر ، فى ذلك اليوم جاعوا الى بركة سيناء ، ارتحلوا من رفيديم ، وجاعوا الى بركة سيناء ، فنزلوا فى البرية . هناك نزل اسرائيل مقابل الجبل . واما موسى فصعد الى الله . فناداه الرب من الجبل قائلا . . . الخ « (خروج ١٩ : ١ - ٢) وجاء فى اطلس الكتاب المقدس لرولى : « والموقع التقليدى للجبل هو فى جنوب شبه جزيرة سيناء . وهى شبه جزيرة مثلثة الشكل تقع بين خليج السويس وخليج العقبة عند الطرف الشمالى للبحر الأحمر (٦) »

فالرمز بسيناء هو اشارة الى اول شريعة لبنى اسرائيل على يد موسى عليه السلام .

ثانيا : جبل ساعير :

من سفر التثنية : نعلم ان بنى عيسو بن اسحق — عليه السلام — قد طردوا الحوريين الساكنين فى ساعير ، وابدوهم من ارضهم ، وسكنوا مكانهم فى « الأردن » . وان موسى — عليه السلام — وصى بنى اسرائيل قائلا : « انتم مارون بتخم اخوتكم بنو عيسو الساكنين فى ساعير ، فيخافون منكم ، فاحترزوا جدا . لا تهجموا عليهم ، لانى لا اعطيكم من ارضهم ولا وطاة قدم ، لانى لعيسو قد اعطيت جبل ساعير ميراثا » (تثنية ٢ : ٤ - ٥) وعيسو كان اسمه ايضا « ادوم » وجبل ساعير هو داخل وسط جبال كثيرة تسمى جبال ادوم . وقمة جبل ساعير اعلى قمم جبال ادوم وهى ترتفع الى الجنوب والشرق من البحر الميت ، وفى تفسير الكتاب المقدس لجماعة من اللاهوتيين : « جبال ساعير ، هى جبال ادوم ، وقمة ساعير اعلى قممها . وهى ترتفع الى الجنوب والشرق من البحر الميت » (٧) وتحدد الخرائط منطقة ادوم بانها من «غزة» الى البحر الميت (بحر الملح)

(٦) ص ٢١٠ - ٢٢٠ اطلس الكتاب المقدس — رولى .

(٧) ص ٤٢٠ ج ١ تفسير الكتاب المقدس — فرنسيس .

ومن فوق خليج العقبة الى مساحات شاسعة الى اعلى (٨) .

وقد مات موسى — عليه السلام — من قبل أن يدخل الأرض المقدسة ،
ومن قبل أن يأخذ مساحات كبيرة من سيناء . وكان قد أوصى في التوراة
بأنه اذا صارت أرض كنعان — الأرض المقدسة لبني اسرائيل — ملكا يفتسمونها
بالقرعة . ما عدا سبط لاوى فانه لا يكون له نصيب في الأرض ، بل
يسكن مع الأسباط في مكان سكناهم ، ويعيش على النذور والهبات
والقبرعات ويتفرغ هذا السبط لتعليم شريعة الله ، وخدمة بيته . وقد
قسم فتى موسى — وهو يشوع بن نون — الأرض على الأسباط ، وهو في مدينة
« شيلوه » في أرض كنعان . وأعطى سبط يهوذا نصيبا مفروضا كسائر
الأسباط . وكان تخم نصيبهم الجنوبي : أقصى البحر الميت نحو جبل
« سمر »

ولما قسمها تقدم اليه اللاويون يطلبون منه مدنا للسكنى فأعطاهم .
ثم انه قسم لبني هرون — وهم فرع من اللاويين — ثلاث عشرة مدينة .
سبع مدن من سبطى يهوذا وشمعون ، وأربع مدن من سبط بنيامين .
ففي سفر يشوع « فكان لبني هارون الكاهن من اللاويين بالقرعة : ثلاث
عشرة مدينة من سبط يهوذا ، ومن سبط شمعون ، ومن سبط بنيامين . . .
وأعطوا لبني هارون الكاهن : مدينة ملجا القاتل (٩) : حبرون مع

(٨) انظر الخريطة رقم ١٤ من أطلس الكتاب المقدس لرولى ، وانظر
أيضا خريطة مملكة يهوذا بعد السبي وجوارها في الكتاب المقدس
للبروتستانت .

(٩) ملجا القاتل : اذا قتل انسان انسانا بطريق الخطأ يلجا القاتل
الى احدي مدن الملجا طلبا للحماية وذلك باقتناع شيوخ المدينة ببراءته من
نوايا القتل العمدى ، ثم يتقدم للمحاكمة أمام الجماعة . وكان من حق
أولئك الناس اذا مات رئيس الكهنة أن يعودوا لبيوتهم من غير خوف
من ولى الدم . وقد أوصى الله موسى بافراز ثلاث مدن شرقى الأردن وبعد
أن يتم امتلاك بنى اسرائيل لأرض الميعاد يفرزون ثلاث مدن أخرى والثلاث
الأول هم : ياصر وراموث وجولان . والثلاث الأخر هم : قادش وشكيم
وحبرون (يشوع ٢٠ : ١١ — ٩) .

مسارحها . ولينة ومسارحها . ويطر ومسرحها ، وأشتموع ومسرحها ،
رحولون ومسرحها ودبير ومسرحها ، وعين ومسرحها ، ويطة (١٠) ومسرحها
وبيت شمس ومسرحها . تسع مدن من هذين السبطين . ومن سبط
بنيامين : جبعون ومسرحها ، وجبع ومسرحها ، عناثوث ومسرحها ،
وعلمون ومسرحها . أربع مدن . جميع مدن بني هارون الكهنة : ثلاث عشرة
مدينة مع مسارحها « (يشوع ٢١ : ٤ ، ١٣ - ١٩)

وتبين التوراة : أن جبل سعيم من ناحية البحر الميت (بحر الملح)
يقع ضمن أرض يهوذا وأن بعض مدن الكهنة أبناء هارون — عليه السلام —
على حدوده . ففي سفر يشوع « وكانت القرعة لسبط بني يهوذا
حسب عشائرتهم الى تخم أدوم . . . وامتد التخم من بعلة غربا الى جبل
سعيم ، وعبر الى جانب جبل يعاريم من الشمال ، هي كسالون . ونزل
الى بيت شمس ، وعبر الى تمنا » (يشوع ١٥ : ١ و ١٠) وجاء في قاموس
الكتاب المقدس للدكتور بطرس عبد الملك وآخرين : أن « ساعير جبل في
أرض يهوذا بين قرية يعاريم وبيت شمس .

وربما كان سلسلة الجبال التي تقع عليها قرية ساريس الى
الجنوب الغربي من قرية يعاريم ، والى الشمال الغربي من اورشليم .
ولا زالت آثار الغابات التي كانت تنمو فوقه موجودة الى اليوم » (١١)

ومعنى ذلك : أن جبل ساعير هو مكان سكنى بنى هرون ، الذين
هم فرع من بنى لاوى . ويمتازون عنهم بمميزات كثيرة . أهمها : أنهم
الأئمة العظام ، ومنهم عيسى بن مريم — عليه السلام — الذى اصطفاه الله
منهم رسولا طيبا ونبيا عظيما . فانه من نسل هارون من سبط لاوى —
كما بينا في نبوءة شيلون — والرمز بجبل ساعير اشارة الى العلماء والأنبياء

(١٠) يطة : — بتشديد الطاء مفتوحة — هي القرية التي ولد فيها
يوحنا المعمدان .

(١١) ص ٤٦٦ — ٤٦٧ قاموس الكتاب المقدس — بطرس .

من بنى اسرائيل الذين كانوا من بعد موسى لتفسير تعاليه وايضاها ،
كما كان الرمز بسيناء اشارة الى شريعة موسى — عليه السلام — .

ثالثا : جبل فاران

تحكى التوراة عن مكان سكنى اسماعيل فتقول « وكان الله مع
الغلام فكبر وسكن فى البرية ، وكان ينمو رامى قوس ، وسكن فى برية
فاران ، واخذت له أمه زوجة من أرض مصر » (التكوين ٢١ : ٢٠ — ٢١)
ويذكر حبقوق النبى فى سفره : أن القدوس جاء من فاران ،
وتبع مجيئه : الحروب والاستيلاء على الأرض فيقول « الله جاء من
تيمان ، والقدوس من جبل فاران . سلاه (١٢) . جلاله غطى السهوات ،
والأرض امتلأت من تسبيحه ، وكان لمعان كالنور . له من يده شعاع .
وهناك استتار قدرته ، قدامه ذهب الوبأ ، وعند رجليه خرقت الجمى .
وقف وقاس الأرض ، نظر فرجف الأمم ودكت الجبال الدهرية ، وخسفت
أكام القدم . مسالك الأزل له ... الخ » (حبقوق ٣ : ٣ — ٦)

ويحدد « رولى » فى « أطلس الكتاب المقدس » موقع فاران فيقول :
« برية فاران : منطنة فى جنوب كتعان ، مهتدة من قادش برنيع وكان وطن
اسماعيل » ويحدد « رولى » موقع « قادش برنيع » فيقول : « مدينة فى أقصى
جنوب فلسطين » وفى قاموس الكتاب المقدس : « فاران برية . واقعة الى
جنوب مملكة يهوذا ، وشرق برية بئر سبع وشور ، بين جبل سيناء والأصح
بين حضيرت الواقعة على مسيرة أيام من سيناء وكتعان ، وكانت فيها :
قادش . وبطمة فاران — أو أيلة (ايلات . اليوم) — على البحر
الأحمر » (١٢)

ومعنى هذا الكلام : أن منطقة فاران هى فى الصحراء العربية ، جنوب
أرض فلسطين ، وهى على مسافة بعيدة جدا من جنوب أرض فلسطين ، وهى

(١٢) سلاه فاصل شعري .

(١٣) قاموس الكتاب المقدس — لجورج بوست .

منطقة كبيرة المساحة . وبطمة فاران هي « ايلات » الواقعة — فى ايامنا هذه — على البحر الأحمر .

وعلى ما قدمنا : فانه حيث ثبت أن سيناء منزل الوحي على موسى ، وساعير مكان سكنى بنى هرون ، الأئمة الذين منهم المسيح عيسى بن مريم — عليه السلام — الذى أعطاه الله الانجيل فيه هدى ونور . وفاران سكنى بنى اسماعيل وحيث أن الاشارة بسيناء وساعير ، اشارتان الى موسى ، وعلماء أمته وأنبيأؤها ، يثبت أن فاران اشارة الى شريعة تنزل على نبي من آل اسماعيل ، لثبوت بركة فى نسله .

رابعا : ربوات القدس

ترجمت : « من ربوات القدس » وترجمت « من ربي القدس » وترجمت « معه الوف الأطهار » وترجمت « مع ربوات القدس » وترجمت « ومعه ربوات المقدسين » وترجمت « ومعه عن يمينه ربوات جيش القديسين » ونص النبوءة من التوراة اليونانية (السبعينية) هكذا :

« وهذه هي البركة التى بارك بها موسى رسول الله بنى اسرائيل قبل موته ، فقال : جاء الله من طور سيناء ، ويشرق لنا من ساعير ، واستعلن من جبل فاران ، ومعه ربوة من اطهار الملائكة عن يمينه ، فوهب لهم ، وأحبهم ، ورحم شعبهم ، وباركهم ، وبارك على أطهاره ، وهم يدركون آثار رجليك ، ويقبلون من كلماتك . أسلم لنا موسى مثله ، وأعطاهم ميراثا لجماعة يعقوب ... الخ »

وفىها : « ومعه ربوة من اطهار الملائكة عن يمينه » والمعنى : أنه اذا ظهر نبي من جبل فاران سيكون معه جماعات من الناس المقدسين الأطهار ، الشبيهين بالملائكة فى الطهر والصلاح .

والدليل على أن المراد بالربوات الجماعات الكثيرة : قول موسى لله : « ارجع يارب الى ربوات الوف اسرائيل » (عدد ١٠ : ٣٦) وقول داود : « الرب يعضدنى ، لا أخاف من ربوات الشعوب

المبطفين على من حولي» (مزمور ٣ : ٦ - ٧) وقول دانيال عن الله تعالى : « ألوف ألوف تخذه ، وربوات ربوات وقوف قدامه » (دانيال ٧ : ١٠) والدليل على أن المراد بالقدس الصحابة الأطهار : أن الترجمة السبعينية تترجم كلمة القدس الى « ملائكة » والملائكة في عرفهم بمعنى الأتباع . يقول أصحاب تفسير الكتاب المقدس : « أتى من ربوات القدس : تترجم السبعينية كلمة « القدس » الى « ملائكة » وهذا غالبا هو المعنى الحقيقي » (١٤)

وليس المراد بالملائكة : الملائكة الحقيقيون ، بل قوما شبيهون بالملائكة في الطهر والصلاح على سبيل المجاز ، فان من عادة أهل الكتاب التعبيرات المبالغ فيها . ونظير ذلك ما جاء في سفر الرؤيا : « وحدثت حرب في السماء ، ميخائيل وملائكته ، حاربوا التنين ، وحارب التنين وملائكته ، ولم يقووا ، فلم يوجد مكانهم يعد ذلك في السماء ، فطرح التنين العظيم : الحية القديمة المدعو ابليس ، والشيطان الذي يضل العالم كله طرح الى الأرض ، وطرحته معه ملائكته » (رؤية ١٢ : ٧ - ٩) فقد عبر عن الأتباع بالملائكة .

وعلى هذه العادة تحدث عيسى - عليه السلام - عن نبي الاسلام والذين معه . في قوله : « ومتى جاء ابن الانسان في مجده ، وجميع الملائكة القديسين معه ... الخ » (متي ٢٥ : ٣١) وفي قوله : « يرسل ابن الانسان ملائكته ، فيجمعون من ملكوته ... الخ » (متي ١٣ : ٤١) وسيأتي بيان ذلك في الباب الثاني في فصل « ملكوت السموات » وفصل « ابن الانسان »

خاتمة : القديسون

هم صحابة رسول الله - ﷺ - ومن دعا بدعوتهم الى يوم الدين - في هذه النبوة - والقديس في عرف أهل الكتاب يطلق على الرجل الصالح

(١٤) تفسير الكتاب المقدس - فرانسيس دافيدس .

وللهمة الصالحة فقد قال الله تعالى لوسى - عليه السلام - « كلّم كل جماعة بنى اسرائيل . وقل لهم : تكونون قديسين لأنى قدوس » (لاويين ١٩ : ١٠) أى تكونون طاهرين لأنى انا طاهر . ووسى يولس صديق تيموثاوس بالأرامل خيرا فقال « لنتكتب أرملة ان لم يكن عمرها أقل من ستين سنة ، امرأة رجل واحد مشهودا لها فى اعمال سالحة . ان تكن قد ربت الأولاد ، أضافت الغرباء ، غسلت أرجل القديسين ، ساعدت المتضايقين ، اتبعت كل عمل صالح » (الأولى ٥ : ٩ - ١٠)

والنبي دانيال تحدث عن اتباع نبي الاسلام - ﷺ - - يلتب « القديسين » على حسب لسان قومه وعاداتهم ليبين لهم . فقال : « أما قديسو العلى ، فيأخذون الملكة ، ويمتلكون الملكة الى الأبد والى أبد الأبديين ... أعطى الدين لقديسى العلى ، وبلغ الوقت فامتلك القديسون الملكة ... والملكة والسُلطان وعظمة الملكة تحت كل السماء تعطى لشعب قديسى العلى ، ملكوته ملكوت أبدى ... الخ » (دانيال ٧ : ١٨) وسيأتي البيان .

وواضح من الترجمة اليونانية : أن النبي المستعلن من جبل فاران سيكون معه ربوة من الناس . وهؤلاء الناس وهب الله لهم من فضله ، وأحبهم ورحم شعبهم وباركهم لقوله : « واستعلن من جبل فاران ، ومعه ربوة من أطهار الملائكة عن يمينه . فوهب لهم وأحبهم ، ورحم شعبهم وباركهم » ومن الذى كان معه ربوة من أطهار الملائكة عن يمينه ؟ هل هو موسى الذى أتى من سيناء ؟ ليس هو موسى ، لأنه يتحدث عما يكون من بعد زمانه - كما يقولون - هل هي عيسى بن مريم الذى كان من الجماعات الساكنة حول جبل ساعير ؟ ليس هو عيسى . لأن جماعة من أتباعه لا يصرحون بأن هذا النص نبوءة لا عنه ولا عن غيره .

يقول المستشرق البروتستانتي « بافاندر » فى كتابه « ميزان الحق » : « ان موسى فى كلامه على هذه المواضع لم يشر الى انجيل ولا الى قرآن ، بل أراد أن يذكر بنى اسرائيل كيف أضاء مجد الله الى مسافات

بعيدة ، عندما كانوا ضاربين خيامهم عند جبل سيناء ، ونعلم من خروطة الجغرافية : أن سيناء وسعير وفاران : ثلاثة جبال متجاورة ، واقعة في شبه جزيرة طور سيناء « (١٥)

وجاعة من علماء النصارى صرحوا بأن النص نبوءة عن « المسيا المنتظر » وهم صرحوا بذلك لأن فيها « جميع قديسيه في يدك » في يد من ؟ ليس غير المسيا الآتى من تفصح التوراة عن مجيئه ، فاذن القديسون في يد المسيا . ومن يقرأ النص بتدقيق مرة أخرى في الترجمة العبرانية وهو : «وتلألاً من جبل فاران . وعن يمينه نار شريعة لهم . فأحب الشعب . جميع قديسيه في يدك ، وهم جالسون عند قدمك ، يتقبلون من أقوالك » فانه سيصرح بما صرح به الدكتور فرنسيس دافيدسن وجاعة من اللاهوتيين بما نصه :

« جميع قديسيه في يدك : الانتقال الى ضمير المخاطب ، جعل البعض يعتقدون أن هذه نبوءة عن المسيا الآتى » والمسيا الآتى هو محمد رسول الله ﷺ — كما سنبين في الفصل الأخير من الجزء الأول من هذا الكتاب ، وفي كتاب « المسيا المنتظر »

لنتناول بعد ما قدمنا دعاوى أهل الكتاب . عن طريق مناقشة ابن كمونة في وجهة نظره :

تتلخص وجهة نظر ابن كمونة في أن النص ليس نبوءة أصلاً للدعاوى الآتية :

- ١ — أن موسى وبنى اسرائيل اجتازوا بفاران وأقاموا بها .
- ٢ — لقد سمى بفاران موضع بغير الحجاز ، وعليه فليس هو جبلا وحيدا كسيناء وساعير .

(١٥) ص ٣١٠ — ٣١١ ميزان الحق — يوجد في دار الكتب المصرية .

٣ — الكلام كله مختص ببني اسرائيل ، لا ببني اسماعيل او غيرهم .

٤ — الألفاظ كلها مخبرة عن أمر ماض .

٥ — لو كان المراد بسيناء وساعير وفاران الاشارة الى الأنبياء الثلاثة لكان قوله « وأنت من ربوات المقدسين » اشارة الى شريعة رابعة .

أما عن الدعوى الأولى ، فنقول :

صحيح أن التوراة مصرحة بأن موسى وبني اسرائيل قد احتازوا بفاران . لكن هل كان هذا للاقامة الدائمة أم للمرور العابر كمرور الكرام ، انه لم يكن للاقامة الدائمة فالاقامة الدائمة هي لأبناء اسماعيل كما فى الاصحاح الحادى والعشرين من سفر التكوين وانما هم مروا كمرور الكرام . كما مروا على غير فاران .

ففى التوراة : ان الله — تعالى — أمر موسى — عليه السلام — بأن يصنع تابوتا ، ويضع فيه (كتاب العهد) وأمره بأن يضع التابوت فى خيمة . ويوم أن صنع موسى ذلك ، ظهرت سحابة فى السماء نهارا وظللت الخيمة . وفى المساء كان يحل بدل السحابة « منظر نار الى الصباح » تقول التوراة « وفى يوم اقامة المسكن غطت السحابة المسكن ، خيمة الشهادة ، وفى المساء كان على المسكن كمنظر نار الى الصباح . هكذا كان دائما . السحابة تغطيه ، ومنظر النار ليلا ، ومتى ارتفعت السحابة عن الخيمة كان بعد ذلك بنو اسرائيل يرتحلون ، وفى المكان حيث حلت السحابة هناك كان بنو اسرائيل ينزلون » (عدد ٩ : ١٥ — ١٧) وكان بنو اسرائيل يتنقلون من مكان الى مكان . ففى التوراة « وفى السنة الثانية فى الشهر الثانى ، فى العشرين من الشهر ارتفعت السحابة عن مسكن الشهادة ، فارتحل بنو اسرائيل فى رحلاتهم من بركة سيناء ، فحلت السحابة فى بركة فاران » (عد ١٠ : ١١ — ١٢) وتعددت رحلات بنو اسرائيل على هذا النحو فقد ذهبوا الى « قبروت هتاؤه » والى « حضيروت » والى « بركة صين » وأقاموا فى « قادش » وأيضا « ارتحل »

بنو اسرائيل ونزلوا فى اوبوت ، وارتحلوا من اوبوت ونزلوا فى عباريم ،
فى البرية التى قبالة مواب الى شروق الشمس . من هناك ارتحلوا ونزلوا
فى وادى . زارد ... الخ » (عدد ٢١ : ١٠ - ١٢)

وكما مر موسى ، مر أيضا داود . ففى سفر صموئيل الأول « ومات
صموئيل فاجتمع جميع اسرائيل وندبوه ودفنوه فى بيته فى الرامة . وقام
داود ، ونزل الى بركة فاران » (صموئيل الأول ٢٥ : ١)

واما عن الدعوى الثانية فنقول :

ان تسمية موضع بفاران فى غير الحجاز ، لا ينفى وجود جبل أصلى
فى أرض الحجاز . وحيث ان سكنى بنى اسماعيل فى البدء فى أرض فاران ، فإنه
يكون هو الأصل . اذ لا يوجد أصل أقدم منه وما يوجد بعده يكون
مسمى به تيمنا وتفاؤلا ، أو لنفس الأسباب التى سمى بها المكان
الأول . وبلاد العالم تشهد على ذلك .

ولقد سمى كثيرون باسم موسى فهل هذا يرفع الثقة فى شخص
موسى صاحب الشريعة ؟

ولو سلمنا جدلا بأن سكنى بنى اسماعيل كانت فى فاران وآخر فاران جهة
ايلات — كما يدعى أهل الكتاب — ألم يكن نسل اسماعيل اثنى
عشر ولدا ؟ ومن اسماعيل — عليه السلام — الى مجيء نبي الاسلام
— ﷺ — مقدار ألفين وخمسمائة وستة وستين سنة — على حسابهم —
وغير بعيد فى هذه المسنين الطويلة أن يكثر نسل اسماعيل ويعيش فى
أرض فاران الكبيرة شمالا وجنوبا وشرقا وغربا . واذا كان نسل اسحق
وهم ولدان قد كثر باعداد هائلة لا عدد لها ، فلم لا يكثر نسل اسماعيل جدا
وهم اثنى عشر ولدا ؟ وكيف لا يتفرق أولاده اذا كثروا فى منطقة فاران كلها .
وما حولها ؟ وتفرقهم الى جهة مكة هو اللائق بهم ، لأن بنى عيسو يسكنون
الأردن ، وبنو اسرائيل يسكنون فى سيناء ، ويزحفون نحو الشمال .

وأما عن الدعوى الثالثة فنقول :

صحيح أن الكلام لمخاطبة بنى اسرائيل ليقبلوا نبى الاسلام اذا جاء . وقد نبه الله عليه لأنه ليس من جنسهم . واذا كان ابن كمونة يعنى النبوة فى بنى اسرائيل وحدهم . فلم لم يعترف بما جاء به عيسى — عليه السلام — وهو نبى عظيم من أنبيائهم ، وقد صنع باذن الله معجزات كما صنع اليباس واليسع ؟ ولماذا قتل بنو اسرائيل أنبياء قد بعثوا فيهم من جنسهم ؟

واذا كان الكلام لبنى اسرائيل تأكيدا على شريعة موسى الى الأبد . فما معنى : « واستعلن من جبل فاران ومعه ربوة من أطهار الملائكة عن يمينه ، فوهب لهم وأحبهم ورحم شعبهم ... الخ » ؟ وما معنى « أسلم لنا موسى مثله » ؟ مثل ماذا ؟ الذى يعنى أن موسى أسلم لهم شريعة فى سيناء ، كما سيسلم لأتباعه نبى فاران شريعة .

وأما عن الدعوى الرابعة فنقول :

صحيح أن الألفاظ فى الظاهر مخبرة عن أمر ماضى . لكن الماضى يعنى أنه لابد من وقوع هذه الأخبار وحدوثها فى المستقبل . وابن كمونة لا ينفى أن يدل الماضى على المتوقع حدوثه مستقبلا ، ويحمله على المجاز (١٦) . واذا جاز له أن ينفى المجاز فى هذا الموضع بالذات . فلم لا ينفىه من بقية المواضع المذكورة فى التوراة ؟ ونظير ذلك فى التوراة قول حزقيال عن بأجوج ومأجوج « ها هو قد أتى وصار . يقول السيد الرب ، هذا هو اليوم الذى تكلمت عنه » (حزقيال ٣٩ : ٨) مع أنه الى الآن لم يأت . الا اذا كان النص كناية عن هلاك اليهود فى زمان هذا النبى . وقد كان فى سبى بابل .

(١٦) وقد كرر ابن كمونة هذا المعنى فى كتابه ، فى ص ٤٠ من تنقيح الأبحاث يقول أيضا : « ان التعبير عن المستقبل بلفظ الماضى قد جاء مثله كثيرا على وجه التجوز ، على معنى : أن المتيقن وقوعه كأنه قد وقع » ا. ه

والفيلسوف اليهودى العبرانى سبينوزا يعترف بذلك فى قوله :
« أقدم الكتاب استعملوا الزمن المستقبل للدلالة على الحاضر وعلى الماضى بلا
تمييز ، كما استعملوا الماضى للدلالة على المستقبل ، والصيغة الاخبارية
للدلالة على الصيغة الانشائية ، وعلى صيغة الأمر ، فنتج عن ذلك كثير
من المتشابهات »

ويقول سبينوزا الفيلسوف : « بالاضافة الى أسباب وجود
المتشابهات التى تشترك فيها جميع اللغات ، هناك أسباب خاصة باللغة
العبرية ينشأ عنها كثيرا جدا من المتشابهات ، وأعتقد من الأجدى ذكرها هنا »
ثم ذكر أسبابا نكتفى نحن هنا بذكر السبب الثالث منها .

يقول سبينوزا : « وهناك سبب ثالث تنتج عنه كثير من المتشابهات
هو أن الأفعال ليس لها من الصيغة الاخبارية مضارع أو ماضٍ مستمر
أو ماضٍ أتم أو مستقبل أو ماضٍ سابق ، وأزمنة أخرى تستعمل بكثرة
فى اللغات الأخرى . ولا توجد أية أزمنة فى الصيغتين الاخبارية والمصدرية
حوى الزمن الحاضر . أما فى الصيغة الانشائية . فلا توجد أية
أزمنة .

والحقيقة : أن هناك قواعد مستنبطة من مبادئ هذه اللغة
تسمح بنعويض هذه الأزمنة ، والصيغ الناقصة بسهولة ، وعلى
سوى رفيع من البلاغة ، ومع ذلك فإن أقدم الكتاب أهملوها أهمالا
تاماً ، واستعملوا الزمن المستقبل للدلالة على الحاضر وعلى الماضى
بلا تمييز ، كما استعملوا الماضى للدلالة على المستقبل ، والصيغة الاخبارية
للدلالة على الصيغة الانشائية وعلى صيغة الأمر ، فنتج عن ذلك كثير
من المتشابهات (١٧) « ١. هـ

وأما عن الدعوى الخامسة فنقول :

قوله « وأنت من ربوات المقدسين » يعنى شريعة رابعة : هو قول

(١٧) ص ٢٥٢ — ٢٥٣ رسالة فى اللاهوت والسياسة — سبينوزا

للمحاكمة . لأن التراجم التي نقلنا عنها قديما وحديثا ليست مجموعة على لفظ « وأنت » بل جاءت في الترجمة التي جادل بها شهوئيل : « واطلع من جبل فاران . ومع ربوات المقدسين » وجاءت في الترجمة التي جادل بها الامام أبو الحسن البصرى الماوردى : « ومع عن يمينه ربوات جيش القديسين » والنص في كتابه أعلام النبوة هكذا : « ان الرب جاء من طور سيناء ، وأشرق من ساعير ، واستعلى من جبال فاران ، ومع عن يمينه ربوات جيش القديسين ، فمنحهم الى الشعب . ودعا لجميع قديسيه بالبركة (١٨) » وكان ينبغي على ابن كمونة أن يضعف ترجمة شهوئيل وترجمة الماوردى وترجمة الرازى ، فخر الدين ، لأنه يرد عليهم . وتراجمهم تفيد بأن الاطلاع من فاران يكون في حالة كونه بصحبة جماعات الصحابة الأخيار . لا أن الربوات شريعة رابعة .

الرد على النصارى :

وأخيرا . نقول للنصارى . وقد خاطبناهم من خلال مناقشاتنا لابن كمونة : إذا كان الله يريد أن يذكر بنى اسرائيل كيف أضاء مجده الى مسافات بعيدة ؟ فلماذا خصت الأضياء بهذه الأمكنة الثلاثة دون أهل الأرض قاطبة ؟ وإذا كان « جميع قديسيه في يدك » يعنى المسيا المنتظر وهو عيسى في نظركم فمن أين أتى وهو لم يذهب الى فاران ولم يخرج منها ؟

الحكم والمتشابه في التوراة والانجيل :

ولما كان النص يفيد مجيء الله من سيناء وقد يتوهم متوهم اثبات المجيء الحقيقى لله — عز وجل — لا مجيء شريعتين اثنتين منه واحدة من سيناء وواحدة من فاران فاننى أذكر هنا نبذة مختصرة عن الفاظ التوراة والانجيل في هذا المعنى ليتضح نمط تفكير بنى اسرائيل وتعبيرهم .

(١٨) ص ١٣٠ أعلام النبوة للماوردى — ولاحظ ان النص الذى ذكره في كتابه هذا من الترجمة اليونانية .

الدارس للتوراة وللانجيل يتبين له عبارات كثيرة مبالغ فيها وردت على سبيل المجاز (١٩) وعبارات وردت على سبيل الحقيقة ، وعليه فانه اذا وجد نصان متعارضان فى الظاهر ، ويسقط أحدهما الآخر ، ويمكن تأويل أحدهما لامكان التوفيق بين النصين ، وجب قبول هذا التأويل للخروج من الخلاف . والذى يقبل التأويل يكون هو المتشابه ، والذى لا يقبله يكون هو المحكم . والمتشابه هو الذى يحتمل معنيين اثنين أحدهما على الحقيقة وثانيهما على المجاز ويكون له محكم .

وبيان ذلك بالنسبة لله عز وجل :

أولا : تنزيه الله عن الجسمية :

كثير من الآيات فى التوراة وفى الانجيل يفهم منها : الجسمية والشكل والأعضاء لله عز وجل . وهى آيات متشابهات ، ترد الى الآيات المحكمات فى التوراة وفى الانجيل التى يفهم منها تنزيه الله عن الجسمية والشكل والأعضاء لله عز وجل . ولأن معانى هذه الآيات المحكمات . ولو كانت تقليدية ، موافقة للبراهين العقلية ، فانه يجب تأويل الآيات المتشابهات ولو كانت كثيرة ، الآيات المشعرة باثبات الجسم والشكل والأعضاء ، لا تأويل هذه الآيات القليلة التى تثبت تنزيه الله عن المشابهة للحوادث (٢٠) ومثال ذلك :
 ١ - فى اثبات الشكل والصورة . « سافك دم الانسان . بالانسان يسفك دمه ، لأن الله على صورته عمل الانسان » (تكوين ٩ : ٦)

(١٩) لو قلت : رأيت أسدا فى الغابة . فان لفظ « الأسد » حقيقة على الحيوان المفترس . واذا قلت : رأيت أسدا فى المنزل . فان لفظ « أسد » استعرناه من المعنى الحقيقى ، ووضعناه على رجل شجاع . مجازا . والقرينة التى تدل على أن المقصود فى المثال الأول الأسد انحقيقى هى : « فى الغابة » فانها مأوى الأسود . والقرينة التى تدل على أن المقصود فى المثال الثانى هو : الرجل المشجاع هى « فى المنزل » فانه مأوى الرجال .

(٢٠) يقول ابن كمونة : « وقد يأتى فى كلام الأنبياء : الاستعارات والمجازات ، وما هو على جهة المبالغة والاغياء . فن حمل هذه الألفاظ على ما وضعت له أولا ، ربما وقع فى خطأ عظيم » (ص ٥ تنقيح الأبحاث)

٢ - فى اثبات الرأس . يقول أشعيا عن الله « لبس البر كدرع ،
وخوذة الخلاص على رأسه » (أشعيا ٥٩ : ١٧)

٣ - فى اثبات الرأس والشعر . يقول دانيال عن الله « جلس
القديم الأيام ، لباسه أبيض كالثلج وشعر رأسه كالصوف النقى »
(دانيال ٧ : ٩)

٤ - فى اثبات الوجه واليد والعضد . يقول داود عن الله « اللهم
بإذانتنا قد سمعنا . أبأؤنا أخبرونا بعمل عملته فى أيامهم فى أيام القدم .
انت بيدك استأصلت الأمم وغرستهم ، حطمت شعوبا ومددتهم ، لأنه
ليس بسيفهم امتلكوا الأرض ، ولا ذراعهم خلصتهم . لكن يمينك وذراعك
ونور وجهك لأنك رضيت عنهم » (مزمور ٤٤ : ١ - ٣)

٥ - فى اثبات الوجه والقفا . قال الله لموسى لما طلب منه الرؤية
« هو ذا عندى مكان . فتقف على الصخرة ويكون متى اجتاز مجدى ،
أنى أضعك فى نقرة من الصخرة وأسترك بيدي حتى أجتاز ، ثم أرفع .
يدى فتنظر ورائى ، وأما وجهى فلا يرى » (خروج ٣٣ : ٢١ - ٢٣)

٦ - وفى اثبات العين والأذن . يقول سليمان لله « لتكون عينك
مفتوحتين على هذا البيت ليلا ونهارا على الموضع الذى قلت : ان اسمى
يكون فيه . لتسمع الصلاة التى يصلبها عبدك فى هذا الموضع » (الملوك
الأول ٨ : ٢٩)

٧ - وفى اثبات العين والأجناف . يقول داود : « الرب فى السماء
كرسيه ، عيناها تنظران ، أجنافه تمتحن بنى آدم » (مزمور ١١ : ٤)

٨ - وفى اثبات الأذن والرجل والانف والنفس والفم . يقول داود
« فى ضيقى دعوت الرب ، والى الهى صرخت . فسمع من هيكله صوتى ،
وصراخى قدماه دخل أذنيه ، فارتجت الأرض ، وارتعشت أسس الجبال ،
ارتعدت وارتجت لأنه غضب . سعد دخان من أنفه ، ونار من فمه أكلت .
جهر اشتعلت منه . طأطأ السموات ، ونزل وضباب تحت رجله ... »

فظهرت أعماق المياه ، وانكشفت أسس المسكونة من زجرِك يارب . من
نسمة رِيح أنفك « (مزمور ١٨ : ٦ ، ٩ ، ١٥)

٩ — وفى اثبات الشفة واللسان . يقول أشعيا « هو ذا اسم
الرب يأتى من بعيد ، غضبه مشتعل ، والحريق عظيم ، شفناه مهملتان
سخطا ولسانه كنار آكلة ، ونفخته كنهر غامر يبلغ الى الرقبة . لغرلة
الأمم بغربال السوء » (أشعيا ٣٠ : ٢٧ — ٢٨)

١٠ — وفى اثبات الأصابع لله « أعطى موسى عند فراغه من الكلام
معه فى جبل سيناء ، لوحى الشهادة ، لوحى حجر مكتوبين بأصبع
الله » (خروج ٣١ : ١٨)

١١ — وفى اثبات البطن والقلب . يحكى ارميا على لسان الله
عز وجل « أحشائى . أحشائى . توجعنى جدران قلبى . يئن فى قلبى .
لا أستطيع السكوت » (ارميا ١٩ : ٤)

١٢ — وفى اثبات الظهر . يحكى أشعيا على لسان الله عز وجل
« امتلات حقواى وجعا ، وأخذنى مخاض مخاض الولادة ، تلويت حتى
لا أسمع . اندهشت حتى لا أنظر » (أشعيا ٢١ : ٣)

١٣ — وفى اثبات الفرج . يقول داود « أنى أخبر من جهة قضاء
الرب . قال لى : أنت ابنى . أنا اليوم ولدتك » (مزمور ٢ : ٧)

١٤ — وفى اثبات النخاع . قال بولس لقساوسة أفسس « احترزوا
إذا لأنفسكم ، ولجميع الرعية التى أقامكم الروح القدس فيها أساقفة ،
لمتعروا كنيسة الله التى اقتناها بدمه » (أعمال الرسل ٢٠ : ٢٨)

...

...

...

وفى تنزيه الله تعالى عن الشبيه والنظير تجد فى أسفار موسى آيات
محكمات منها :

١ — « فكلمكم الرب من وسط النار ، وأنتم سامعون صوت كلام ،

ولكن لم تروا صورة بل صوتا . . . فاحتفظوا جدا لأنفسكم . فانكم لم تروا صورة ما يوم كلمكم الرب فى حوريب من وسط النار « (التثنية ٤ : ١٢ ، ١٥)

٢ — ويقول الله عن نفسه « ليس مثلى فى كل الأرض » (خروج ١٤ : ٩)

٣ — وقال موسى عن الله « ليس مثل الله » (التثنية ٣٣ : ٢٦)

وفى أسفار الأنبياء نجد أشعياء يقول :

١ — « فبمن تشبهون الله ؟ وأى شبه تعادلون به ؟ . . . فبمن تشبهوننى فأساويه يقول الرب » ؟ (اشعياء ٤٠ : ١٨ و ٢٥)

٢ — « حقا أنت اله محتجب يا اله اسرائيل » (اشعياء ٤٥ : ١٥)

ولما كانت هذه الآيات القليلة محكمة ، ومطابقة للبرهان العقلى على نفى الجسمية عن الله عز وجل ، وجب تأويل الآيات الكثيرة المتشابهة ، المشعرة بالجسمية والشكل والأعضاء لله عز وجل . .

ولما كان الله عز وجل لا يرى مطلقا ولا يشبه أحدا . يجب تأويل اليد بمعنى القدرة مثلا ، والأذن والعين بمعنى الاحاطة الشاملة لما يقع فى الكون . وغضبه ومكره ، على أنه يكلم الناس على قدر عقولهم . وهكذا . . .

يقول موسى بن ميمون فى نفى الجسمية عن الله تعالى بالبرهان العقلى : « كل جسم مركب (لأن كل جسم مركب من معنيين ضرورة ، وتلحقه أعراض ضرورة . أما المعنيان المقومان له ، فمادته وصورته ، وأما الأعراض اللاحقة له ، فالكم والشكل والوضع) وكل مركب فلا بد له من فاعل ، هو السبب لوجود صورته فى مادته . وبين هو جدا : أن كل جسم قابل للانقسام ، وله أبعاد ، فهو محل للأعراض بلا شك . فليس الجسم واحد ، لا من جهة انقسامه ولا من جهة تركيبه — أعنى كونه اثنين بالقول — لأن كل جسم انما هو جسم ما ، من أجل معنى زائد فيه على

كونه جسما . فهو ذو معنيين ضرورة . وقد تبرهن : أن واجب الوجود
لا تركيب فيه بوجه من الوجوه « (٢١) أ . هـ .

وأهل الانجيل كأهل التوراة فى ذلك الأمر . فقد جاء فى الانجيل
أن الله لا يرى أصلاهما فى التوراة . يقول يوحنا « الله لم يره أحد قط »
(يوحنا ١ : ١٨) ويقول بولس « المبارك العزيز الوحيد ، ملك الملوك ،
ورب الأرباب ، الذى وحده له عدم الموت ، ساكنا فى نور لا يدنى منه ،
الذى لم يره أحد من الناس ، ولا يقدر أن يراه ، الذى له الكرامة والقدرة
الأبدية » (الأولى الى تيموثاوس ٦ : ١٥ - ١٦) وفى الرسالة الأولى
ليوحنا « أيها الأحباء ان كان الله قد أحبنا . هكذا ينبغي لنا أيضا أن
يحب بعضنا بعضا . الله لم ينظره أحد فقط » (يوحنا الأولى : ١١ - ١٢)
وطريقة التأويل هكذا :

قول التوراة : « ليس مثل الله » : محكم . أى يدل على معنى واحد
وهو : عدم مماثلة الله لأى شىء فى الوجود . وقول للتوراة عن الله
« أنت بيدك أستأصلت الأمم » : متشابه . أى يدل على معنيين اثنين
أولاهما : أن الله - تعالى - له يد فيها أصابع مثل أيدي الناس .
وعلى هذا المعنى يكون الله مماثلا لشيء فى الوجود . وثانيهما : أن يد
الله - تعالى - كناية عن قدرته ، وأنه لا غالب الا هو . وعلى هذا
المعنى يكون الله غير مماثل لأى شىء فى الوجود . والمعنى الثانى من
معنى التشابه متفق مع المعنى المحكم ، فيكون هو مراد الله تعالى .
وليس مراده يد جارحة كأيدى الناس فالله ليس كمثله شىء ، وهو السميع
البصير .

وطريقة التأويل هذه بهذا المعنى شرحها المسلمون شرحا وافيا
لأهل الكتاب .

(٢١) ص ٢٦٢ و ٢٧٧ ج ٢ دلالة الحائرين وتلخيص مناهج السائرين

ومن الذين شرحوا شيخ الاسلام ابن تيمية احمد بن عبد الحلیم — رحمه الله — المتوفى سنة ٧٢٨ هـ ومن كلامه فى المقارنة بين قول الله تعالى فى القرآن الكريم : « والتين والزيتون . وطور سينين . وهذا البلد الأمين » وبين نبوءة التوراة عن محمد — ﷺ — وهى : « جاء الله من طور سيناء ، وأشرق من ساعير ، واستعلن من جبال فاران » ما نصه : « والتين والزيتون . وطور سينين . وهذا البلد الأمين » اقسام منه بالأمكنة الشريفة المعظمة الثلاثة ، التى ظهر فيها نوره وهدهاء ، وأنزل فيها كتبه الثلاثة : التوراة والانجيل والقرآن . كما ذكر الثلاثة فى التوراة بقوله : « جاء الله من طور سيناء ، وأشرق من ساعير ، واستعلن من جبال فاران » ولما كان ما فى التوراة خبرا عنها . أخبر بها على ترتيبها المزماني . فقدم الأسبق فالأسبق . والقرآن أقسم بها تعظيها لشأنها ، وذلك تعظيم لقدرته — سبحانه — وآياته وكتبه ورسله . فأقسم بها على وجه التدرج ، درجة بعد درجة فختمها بأعلى الدرجات ، فأقسم أولا بالتين والزيتون ثم بطور سيناء ، ثم بمكة ، لأن اشرف الكتب الثلاثة : القرآن ، ثم التوراة ، ثم الانجيل ، وكذلك الأنبياء (٢٢) « أ.هـ

ومن قوله يتبين أنه يفسر مجيء الله بمجىء أمره ، لا بمجىئه على رجلية ماشيا . مع نفى التشبيه . لقوله « ظهر فيها نوره وهدهاء »

ثانيا : تنزيه الله عن المكان :

وكثير من الآيات فى التوراة والانجيل يفهم منها : اثبات المكان لله عز وجل ، والقليل من الآيات يفهم منها تنزيه الله عز وجل عن المكان . ولما كانت الآيات القليلة محكمة وموافقة للبراهين العقلية وهو أن الله فى كل مكان

(٢٢) انظر الجزء الثانى من الجواب الصحيح لابن تيمية صفحة ٢٣٩ وانظر الجزء الثالث ص ٣٠٤ وص ٣٠٠ . وانظر أيضا هداية الحيارى لابن قيم الجوزية فى فصل البشارة بنبى الاسلام من كتبهم . وانظر المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الانجيل الباب الأول .

بعلمه لا بذاته . فانه لا ضرر من ابقاء معانيها على حالها ، وتأويل الآيات
الكثيرة التشابيه المشعرة بالمكان ، الى معنى يتلاءم مع معنى الآيات المحكمة
المتينة للتزويه عن الجلوس فى مكان — وان كانت قليلة — .

يقول موسى بن ميمون فى نفى المكان عن الله عز وجل : « كرسى :
أصل وضعه فى اللغة : أنه اسم الكرسى . ولما كان الكرسى انما يجلس
عليه أهل الجلالة والعظمة كالملوك ، وصار الكرسى شيئا ما ، موجودا ،
يدل على عظمة من أهل له وجلالته وعظم شأنه ، سمى المقدس : كرسيا ،
لدلالته على عظمة من تجلى فيه ، وأهل نوره ووقاره عليه . فقال :
« يا عرش المجد السنى منذ الأول ... الخ » (ار ١٧ : ١٢) ومن أجل
هذا المعنى سميت السماء كرسيه ، لدلالتها عند من يعرفها ويعتبرها على
عظمة موجودها ومحركها ، ومدبر العالم السفلى بفيض جودها . فقال :
« هكذا قال الرب : السماء عرشى » (أش ٦٦ : ١) يقول : هى تدل
على وجودى وعظمتى وقدرتى ، كدلالة الكرسى على عظم من أهل له .
هذا هو الذى يعتقد المحققون ، لا أن ثم جسما يرتفع الاله عليه ،
نعالى علوا كبيرا » (٢٣) .أ.هـ

مثال ذلك :

طلب الله من موسى أن يصنع خيمة وأن يمسحها بدهن مقدس . ثم
قال الله له عن نفسه : « وأقدس خيمة الاجتماع والمذبح . وهرون
وبنوه أقدسهم لكى يكهنوا لى . وأسكن فى وسط بنى اسرائيل وأكون
لهم الها . فيعلمون أنى أنا الرب المهم ، الذى أخرجهم من أرض مصر
لأسكن فى وسطهم . أنا الرب المهم » (خروج ٢٩ : ٤٤ — ٤٦) وانظر
(خروج ٢٥ : ٨ والعدد ٥ : ٣ والعدد ٣٥ : ٣٤ والثنية ٢٦ : ١٥)
وهكذا أمثلة كثيرة .

وفى تزويه الله تعالى عن المكان نجد آيات محكمات منها :

(٢٣) ص ٣٥ — ٣٦ ج ١ دلالة الحائرين وتلخيص مناهج السائرين .

١ — قال موسى وبنو اسرائيل : « من مثلك بين الآلهة يارب ؟ من
مثلك معترزا فى القداسة ؟ مخوفا بالتسابيح ، صانعا عجائب » (خروج
١٥ : ١١)

٢ — يقول سليمان — عليه السلام — بعدما بنى الهيكل « هل يسكن
الله حقا على الأرض ؟

هو ذا السموات وسماها السموات لا تسعك . فكم بالأقل هذا
البيت الذى بنيت » (الملوك الأول ٨ : ٢٧)

٣ — ويقول اشعيا عن الله « هكذا قال الرب : السموات كرسى ،
والأرض موطن قدمى . أين البيت الذى تبنون لى ؟ وأين مكان راحتى ؟
وكل هذه صنعتها يدي . فكانت كل هذه يقول الرب » (اشعيا ٦٦ :
١ — ٢)

٤ — وقد اقتبسها لوقا كاتب سفر الأعمال فقال : « لكن العلى
لا يسكن فى هياكل مصنوعات الأيادى كما يقول النبى : السماء كرسى
لى . والأرض موطن قدمى . أى بيت تبنون لى ؟ يقول الرب . وأى
هو مكان راحتى ؟ اليسبت يدي صنعت هذه الأشياء كلها ؟ (٢٤) »
(أعمال الرسل ٧ : ٤٨ — ٤٩)

(٢٤) يقول الابام القرطبى فى كتابه الاعلام بما فى دين النصرانى
من الفساد والأوهام : « وأما من لبس منهم ، بأن مثل قولهم فى الاتحاد
بقولنا فى استوائه تعالى على العرش . فذلك مما لا يقال عليه عندنا اتحاد
ولا حلول ولا فيض ولا انطباع لأننا نريد بقولنا : هو على العرش مستو ،
واستوى على العرش : أن العرش تحت قبضته ، ومسخر بقدرته ،
والاستواء عليه انها هو بمعنى الاستيلاء على ما تعرفه العرب من كلامها .
فانها تقول :

قد استوى (بشر) على العراق بغير سيف ودم مهراق

فان أرادوا هذا المعنى فهو حق وصحيح « أ.هـ

وأهل الكتاب مسلمون معنا بهذا التأويل ، ويوافقون عليه :

يقول موسى بن ميمون ، المتوفى ٦٠٣هـ فى دلالة الحائرين ما نصه :
« اعلم : أن ليس هربنا من القول بقدم العالم من أجل النص الذى جاء فى التوراة بكون العالم محدثا ، لأنه ليست النصوص التى تدل على حدث العالم بأكثر من النصوص التى تدل على كون الاله جسما . ولا أبواب التأويل أيضا مسدودة فى وجوهها ، ولا ممتنعة علينا فى أمر حدوث العالم ، بل كان يمكننا تأويل ذلك ، كما فعلنا فى نفى التجسيم . ولعل هذا كان أسهل بكثير ، وكنا قادرين أعظم قدرة أن نتأول تلك النصوص ونثبت قدم العالم ، كما تناولنا النصوص ، ونفينا كونه تعالى جسما . وانما الذى جعلنا لا نفعل ذلك ولا نعتقد سببان :

أحدهما : أن كون الاله ليس بجسم تبرهن ، فيلزم بالضرورة أن يتأول كل ما يخالف ظاهره البرهان ، ويعلم أن له تأويلا ضرورة ، وقدم العالم لم يتبرهن ، فلا ينبغى أن تدفع النصوص وتتأول من أجل ترجيح رأى يمكن أن يبرح نقيضه بضروب من الترجيحات . فهذا سبب .

والسبب الثانى : أن اعتقادنا أن الاله ليس بجسم ، لا يهد لنا شيئا من قواعد الشريعة ولا يكذب دعوى كل نبى . وليس فيه الا ما يزعم الجاهل أن فى ذلك خلاف النص . وليس هو خلافه كما بينا ، بل هو قصد النص . فأما اعتقاد القدم على الوجه الذى يراه « أرسطو » أنه على جهة اللزوم ولا تتغير طبيعة أصلا ، ولا يخرج شئ عن معتاده ، فانه هاد للشريعة بأصلها ، ومكذب لكل معجز ضرورة ، وتعطيل لكل ما رجحت به الشريعة أو خوفت منه « (٢٥) أ.هـ

ويقول ابن كموثة المتوفى سنة ٦٨٣ هـ : « يجب أن يكون الأصل الأول فيما يسنه النبى الحقيقى : أن يعرف الناس أن لهم صانعا واحدا حيا قادرا ، لا شريك له فى ملكه ولا شبيهه ولا نظير ، عالما بالسر والعلانية ،

(٢٥) ص ٣٥. دلالة الحائرين . وقد ترجم هذا النص « سبينوزا » واستشهد به فى كتابه رسالة فى اللاهوت والسياسة ص ٢٥٩ - ٢٦ .

لا يعزب عن علمه شيء فى السموات ولا فى الأرض ، وأن من حقه أن يطاع وأنه قد أعد السعادة لمن أطاعه والشقاوة لمن عصاه ، وأن يقرر عندهم أمر المعاد الأخرى ، وأن هناك من اللذة الإبدية ما هو ملك عظيم ، ومن الألم ما هو عذاب مقيم » (٢٦) أ.هـ

وعاب بعض العلماء على التوراة ما جاء فيها من أن الله — تعالى — استنشق قنار القرايين ، أى « تنسم الرب رائحة الرضا » (تك ٨ : ٢١) لما ذبح نوح — عليه السلام — ذبائح ، وشواها على النار ، وأنه — تعالى — ندم وتأسف وحزن على خلقه بنى آدم لأنهم فى الشر أكثر منهم فى الخير (تك ٦ : ٦) وصفات الله — تعالى — من هذا القبيل .

ورد عليهم ابن كمونة وكثيرون غيره بقولهم : ان هذا على سبيل التمثيل ، أى عبر الله — تعالى — عن ذاته بلغة يفهمها البشر ليقدرُوا على معرفته .

يقول ابن كمونة : « وأما استنشاق قنار القرايين فهو كناية عن تقبلها ، كما يقال : سمع الله دعاءه . بمعنى : تقبله . وأصبح الله مستعارة لقدرته ، كما تستعار اليد لذلك فى لغتى العبرانية والعربية . ويدل على ذلك دلالة قطعية : ما جاء فى التوراة حكاية عن المصريين أنهم لما ابتلوا بما ابتلوا به ، قالوا : « اصبح الله هى » (خروج ٨ : ١٩) ومعلوم أن مرادهم بذلك : قدرة الله . ومن يفعل ما يفعله النادم منا ، يسمى نادما بالمجاز . وقد نطقت التوراة وكتب النبوات بما قلناه ، وذلك أنه لما أهلك الله — تعالى — المخلائق بالطوفان ، أخبر قبل ذلك أنه يهلكهم ، وعبر عن ذلك بأنه ندم على خلقهم تمثيلا بمن يندم على شيء يفعله ، يستدرك ذلك بترك فعله ونسبة الغضب اليه لمثل ذلك . فان الغضب ان من شأنه أن ينبقم من غضب عليه . فلهذا عبر عن انتقامه — عز وجل — بالغضب . ولأجل أن المحب منا يكثر العناية والشفقة على من يحبه سميت رحمة الله وشدة عنايته : محبة . لا لأنه يفعل انفعال الغضب والمحب — تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا — (٢٧) « أ.هـ

(٢٦) ص ١٥ تنقيح الأبحاث .

(٢٧) ص ٣٤ — تنقيح الأبحاث .

وكان المسيح عيسى بن مريم — عليه السلام — يذكر أدلة من التوراة على تنزيه الله عز وجل ومن الأدلة التي ذكرها ما جاء في كتاب موسى عن الله تعالى وهو : « أنظروا الآن . أنا أنا هو ، وليس اله معي . أنا أميت وأحيى . سحقت واني أشفى وليس من يدى مخلص » (التثنية ٣٢ : ٣٩) .

وقد استشهد عيسى عليه السلام ، بهذا القول على تنزيه الله عن المكان أمام هيرودوس والوالي ورئيس الكهنة . واستشهد بآيات مما قدمنا سابقا على تنزيه الله عن الجسمية أيضا . قال عيسى بصوت عال : « ليصعد كاهننا الى محل مرتفع حيث يتمكن من تحقيق كلامي . فصعد من ثم الكاهن الى هناك . فقال له يسوع بوضوح يتمكن كل واحد من سماعه : قد كتب في عهد الله الحي (٢٨) وميثاقه : أن ليس لالهنا بداية ولا يكون له نهاية . أجاب الكاهن : لقد كتب هكذا هناك . فقال يسوع : انه كتب هناك أن الهنا قد برأ كل شيء بكلمته (٢٩) فقط . فأجاب الكاهن . انه لكذلك . فقال يسوع : انه مكتوب هناك : أن الله لا يرى ، وأنه محجوب عن عقل الإنسان لأنه غير متجسد ، وغير مركب ، وغير متغير . فقال الكاهن : انه لكذلك حقا .

فقال يسوع : انه مكتوب هناك : كيف أن سماء السموات لا تسعه (٣٠) لأن الهنا غير محدود . فقال الكاهن . هكذا قال سليمان النبي يا يسوع . قال يسوع : انه مكتوب هناك أن ليس لله حاجة ، لأنه لا يأكل ولا ينام ، ولا يعنفيه نقص . قال الكاهن : انه لكذلك . قال يسوع : انه مكتوب هناك ، أن الهنا في كل مكان وأن لا اله سواه ، الذي يضرب ويشفى ويفعل كل ما يريد (٣١) . قال الكاهن : هكذا كتب « (برنابا ٩٥ : ٣ — ١٦)



-
- . (٢٨) مزمور ٩٠ : ٢ .
 - . (٢٩) مزمور ٣٣ : ٦ .
 - . (٣٠) الملوك الأول ٨ : ٢٧ .
 - . (٣١) التثنية ٣٢ : ٣٩ .

ويعندما تحدثنا عن المحكم والمشابه في الذات والمكان بالنسبة لله — عز وجل — نقتصد عن الكلمات الثلاثة التي تدل كل كلمة منهم — عندهم — على ذات الله الحقيقية ، وعلى غير الله مجازاً وهم : الله وإلهه والرب . وهم ثلاثة ألفاظ على الحقيقة يفسر كل لفظ منهم إلى خالق السموات والأرض — جل جلاله — وعلى المجاز نجد علماء بنى إسرائيل يطلقون كل لفظ من هذه الألفاظ ، على غير الله مجازاً فيقولون على الملائكة من الملائكة ، ويقولون على الإنسان العظيم — فى نظرهم — يقولون : بالله أو يقولون : ربنا . وقد ثبت على الحقيقة مما قلنا أن الله لا يرى ، ولا يقدر أحد أن يراه . وعلى ذلك فمن يكون رمزياً لا يكون الاله (٣٤) . ولا يحتاج أحد بأن التأويل مجاز ، فكيف يرتكب ؟ لانا نقول : ان المصر الي المجاز يجب عند القرينة المانعة من ارادة الحقيقة . سيما اذا دل البرهان القطعى على المنع .

مثل ذلك :

٢ — لما ارتحل بنو اسرائيل من مصر مع موسى — عليه السلام — « كان الرب يسير امامهم نهارا ، فى عمود سحب ليهديهم فى الطريق ، وليلا فى عمود نار ليضىء لهم » (خروج ١٣ : ٢١) والمقصود من « الرب » : ملك من الملائكة . لقوله « فانتقل ملاك الله السائر امام عسكر اسرائيل وسار وراءهم ، وانتقل عمود السحاب من امامهم ، ووقف وراءهم » (خروج ١٤ : ١٩) .

٢ — فى التوراة فى الاصحاح الثامن والعشرين من سفر التكوين :

(٣٢) من ردود اليهود على النصارى فى قولهم بأن عيسى اله : قول ابن كمونة : « وكان فى جملة تعذيبهم لأيشوع وشهرته ، لما أرادوا صلبه ، أن غطوا رأسه ووجهه وجعلوا يضربون رأسه بالقصب ، ويقولون له : « تنبأ لنا أيها المسيح من ضربك ؟ » وبعض عبيد عظيم الكهنة لطم وجهه ، وتفلوا فيه . والله تعالى يقول لموسى عليه السلام : « لا يرانى أحد فبعيش وقال بنو اسرائيل لموسى : « كلمنا أنت ، نسمع ونطيع ، ولا يكلمنا الرب منموت » فكيف يكون والحالة هذه من يلطم وجهه الاها » (ص ٦٠ تنقيح الأبحاث) .

« خرج يعقوب من بئر سبع ، وذهب نحو حاران ، وصادف مكانا ،
وبات هناك . لأن الشمس كانت قد غابت . واخذ من حجارة المكان ،
وضعه تحت رأسه فاضطجع فى ذلك المكان ، ورأى حلما : وإذا سلم
متصوبة على الأرض ، ورأسها يمس السماء ، وهو ذا ملائكة الله صاعدة
ونازلة عليها ، وهودا الرب واقف عليها . فقال : أنا الرب اله إبراهيم ،
أبيك واله اسحق . الأرض التى أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك ،
ويكون نسلك كتراب الأرض ، وتمتد غربا وشرقا وشمالا وجنوبا . ويتبارك
فيك وفى نسلك جميع قبائل الأرض ، وها أنا معك وأحفظك حيثما تذهب
وأردك الى هذه الأرض . لانى لا أتركك حتى أفعل ما كلمتك به .

فاستيقظ يعقوب من نومه ، وقال : حقا ان الرب فى هذا المكان
وأنا لم أعلم . وخاف . وقال : ما أرهب هذا المكان . ما هذا الا بيت
الله ، وهذا باب السماء . وبكر يعقوب فى الصباح وأخذ الحجر الذى
وضعه تحت رأسه واقامه عمودا ، وصب زيتا على رأسه ودعا اسم
ذلك المكان : بيت ايل . ولكن اسم المدينة أولا كان لوز ، ونذر يعقوب
نذرا قائلا : ان كان الله معى وحفظنى فى هذا الطريق الذى أنا سائر فيه ،
وأعطانى خبزا لآكل ، وثيابا لألبس ، ورجعت بسلام ، الى بيت أبى ،
يكون الرب لى الها . وهذا الحجر الذى أقمته عمودا يكون بيت الله .
وكل ما تعطينى فانى أعشره لك » (تك ٢٨ : ١٠ - ٢٢)

والمقصود من « الرب » فى هذا الحلم العجيب : ملك من الملائكة .
لما جاء فى التوراة : أن يعقوب عليه السلام خاطب زوجته راحيل وليئة
وكان مما قال لهما : « وقال لى ملاك الله فى الحلم : يا يعقوب . فقلت :
ها انذا . فقال ... أنا اله بيت ايل حيث مسحت عمودا . حيث نذرت
لى نذرا . الآن ... الخ » (تكوين ٣١ : ١١ - ١٣)

٣ - وفى التوراة ما نصه : « فبقى يعقوب وحده ، وصارعه انسان
حتى طلوع الفجر ، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذة ، فانخلع
حق فخذ يعقوب فى مصارعة معه . وقال : أطلقنى لأنه قد طلع الفجر .

فقال : لا أطلقك أن لم تباركنى . فقال له : ما اسمك ؟ فقال : يعقوب : فقال : لا يدعى اسمك فى ما بعد يعقوب ، بل اسرائيل . لانك جاهدت مع الله والناس وقدرت . وسأل يعقوب وقال : أخبرنى باسمك . فقال : لماذا تسأل عن اسمى ؟ وباركه هناك . فدعا يعقوب اسم المكان فنيثيل . قائلا : لانى نظرت الله وجها لوجه . ونجيت نفسى « (التكوين ٣٢ : ٢٤ — ٣٠)

والمقصود من (الله) فى قوله « جاهدت مع الله » وقوله « نظرت الله » المقصود : ملك من الملائكة لما جاء فى سفر هوشع : « فى البطن قبص بعقب أخيه ، وبقوته جاهد مع الله . جاهد مع الملك وغلب ، بكى واسترحمه ، وجده فى بيت ايل . وهناك تكلم معنا » (هوشع ١٢ : ٣ — ٤)

٤ — وجاء فى التوراة : « فقال الرب لموسى : انظر . انا جعلتك الها لفرعون . وهرون أخوك يكون نبيك . أنت تتكلم بكل ما أمرك . وهرون أخوك يكلم فرعون » (خروج ٧ : ١ — ٢) ويقول الله لموسى عنه ، وعن هارون « وأنا أكون مع فك . ومع فمه . وأعلمكما ماذا تصنعان ؟ وهو يكلم الشعب عنك . وهو يكون لك فما . وأنت تكون له الها » (خروج ٤ : ١٥ — ١٦)

والمقصود من (الها) : سيذا ورئيسا . لأن التوراة تصرح بأن الله واحد لا شريك له فى هذا النص : « اسمع يا اسرائيل . الرب الهنا رب واحد .

فتحب الرب الهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ، ومن كل قوتك » (تثنية ٦ : ٤ — ٥)

٥ — فى كتاب موسى يقول الله لبنى اسرائيل « انتم أولاد للرب الهكم » (تثنية ١٤ : ١) وفى زبور داود يقول الله لبنى اسرائيل

« لنا نطق انكم الهة ، وبقو العلى كلكم » (مزمور ٨٢ : ٦) فبناء
ههنا اطلاق الالهة ببناء الله على عوام بنى اسرائيل فضلا عن خواصهم
ولما خلق الله - نبي التوراة - لها واحدا ، وليس كمثل شىء يكون لفظ
الابوة والمبنوة على المجاز - كما بينا فى طريقة التاويل -

وفى انجيل لوقا : « وكانت شياطين أيضا تخرج من كثيرين .
وهى تصرخ وتقول : أن المسيح ابن الله ، فانتهرهم ولم يدعهم يتكلمون »
(لوقا : ٤ : ٤٢) وجاء فى انجيل مرقس بقول « ابن الله » تعبير « قدوس الله »
يقول : « وكان فى بعضهم رجل به روح نجس . فصرخ قائلا : آه . مالنا
ولك يا يسنوع الناصرى ، آجيت لهلكنا ؟ لنا أعرفك . من أنت ؟ قدوس
الله . فانتهمرة يسوع « (مر ١ : ٢٣ - ٢٥) وجاء فيه تعبير « ابن الله »
هكذا : « والأرواح النجسة حينما نظرتة ، خرت له وصرخت قائلة : انك
أنت ابن الله ، وأوصياهم كثيرا أن لا يظهروه » (مر ٣ : ١١) وهذا يدل
على أن « قدوس الله » « تساوى » « ابن الله »

ويقول الشيخ الاسلام ابن تيمية لأهل الكتاب : « وفى ما عندكم من
التوراة أن الحرب قتال موسى : « اذهب الى فرعون ، فقل له : يقول
تلك للرب : اسرائيل ابنى بكرى أوسطه يصفنى . فلن أبيت أن ترسل ابنى
بكرى قتلت ابنك بكرى » (خروج ٤ : ٢١ - ٢٣) فلما لم يرسل فرعون
بنى اسرائيل كما قال الله ، قتل الله أبقار فرعون وقومه من بكر فرعون
الجالس على السرير الى الأول من أولاد الآدميين الى ولد الحيوان اليهم .

فهذه التوراة تسمى بنى اسرائيل كلهم : أبناء الله وأبكاره ، وتسمى
أبناء أهل مصر : أبناء فرعون . . . وفى مزامير داود يقول : « أنت
ابنى ، سلنى أعطك » (مزمور ٢ : ٧ - ٨)

وفى الانجيل يقول عن المسيح : « أنا ذاهب الى أبى وأبيكم ،
والهى والهكم » (يوحنا ٢٠ : ١٧) وقال : « اذا صليتم فقولوا :
يا أبانا الذى فى السماء ، قدوس أسمك . افعل بنا كذا وكذا » (لوقا

٤٤ : ٢) ويقولون عن القديسين : ان روح القدس ينزل فيهم . وكذلك
حلت في داود وغيره ، من الأنبياء ، بل عندهم : ان الله يجلس في
الصديقين كلهم . فان كان الابن وروح القدس يقتضيان اتحاد اللاهوت
بالتناسوت وجب أن يكون كل من الحواريين : لاهوتا وناوستا وكذلك
الأنبياء (٣٣) « أ.م.

وفي الاتجيل : تناول اليهود حجارة ليرجموا عيسى — عليه السلام
— « أجابهم يسوع : أهالام كثيرة حسنة أريكم من عند أبى . بسبب
أى عمل منها ترجموننى ؟ أجابه اليهود قائلين : لسنا نرجمك لأجل عمل
حسن . بل لأجل تجديف . فانك وأنت انسان تجعل نفسك الها .
أجابهم يسوع : أليس مكتوبا في ناموسكم : أنا قلت : انكم آلهة . ان
قال آلهة لأولئك الذين صارت اليهم كلمة الله . ولا يمكن أن ينقض المكتوب .
فالذى قدسه الآب وأرسله الى العالم . أتقولون له : انك تجدف ؟ »
(يوحنا ١٠ : ٣٢ — ٣٦)

فقد احتج عليهم عيسى بما فى التوراة على أنه سيد كائى فرد من
أمراء اليهود . وقال : اذا كان اللفظ يطلق على اليهود أشرارا أو
صالحين فاطلاقه على . وأنا صالح من باب أولى .

وبعد هذا البيان الموجز عن المحكم والمتشابه فى التوراة والانجيل ،
نقول : ان نبوءة البركات الثلاث قد تطابقت مع القرآن الكريم . هكذا :
يقول الله تعالى « والتين والزيتون ، وطور سينين ، وهذا البلد
الأمين . لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل
سافلين ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون ،
فما يكذبك بعد بالدين . أليس الله بأحكم الحاكمين ؟ » (التين) .

(٣٣) ص ١٩٦ — ١٩٧ ج ٣ الجواب الصحيح لمن بدل دين
المسيح .

يقول ابن كثير في كتابه « شمائل الرسول ودلائل نبوته وفضائله وخصائصه » :
ذكر تعالى هذه الأماكن الثلاثة على الترتيب الوقوعي . ذكر محلة موسى ، ثم عيسى ، ثم بلد محمد - ﷺ - ولما أقسم تعالى بهذه الأماكن الثلاثة : ذكر الفاضل أولا . ثم الأفضل منه ثم الأفضل منه على قاعدة القسم . فقال تعالى « والمتين والزيتون » والمراد بها : محلة بيت المقدس حيث كان عيسى - عليه السلام - « وطور سينين » وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى « وهذا البلد الأمين » وهو البلد الذي ابتعث منه محمدا - ﷺ - قاله غير واحد من المفسرين في تفسير هذه الآيات « (٣٤) أ. ه .

من حياها سنة ربة فتمت لها ليلة ما ربه ما لم يصبها ليلة ما لم يصبها سنة ربة
 و ربه ما لم يصبها سنة ربة فتمت لها ليلة ما ربه ما لم يصبها ليلة ما لم يصبها سنة ربة
 (٢٤ : ٢٠)

الفصل الخامس

في
 في
تغيير القبلة
 تمهيد :

مات النبي موسى بن عمران — عليه السلام — ولم يبين لبنى اسرائيل — عن أمر
 الله أو عن أمره — جهة معينة يتجهون إليها في صلاتهم وحجهم ، كما بين
 نبي الاسلام — ﷺ — « لنا نحن المسلمين جهة الكعبة في « مكة المكرمة »
 لم يبين لهم موسى — في أمر القبلة — الا أن يبنوا أماكن للعبادة في أى
 مكان ، ويتجوا أى جهة ، فان لله المشرق والمغرب وأينما يولوا وجوههم
 فثم وجه الله . ان الله واسع عليم . ففي الاصحاح العشرين من سفر
 الخروج مكتوب أن الله يقول : « في كل الاماكن التى فيها أصنع لاسمى
 ذكرا . أتى اليك وأباركك » (خر ٢٠ : ٢٤)

وقد أمرهم موسى على لسان الله — تعالى — أن يصنعوا تابوتا
 ويصنعوا للتابوت خيمة . فصعدوا . وكان الله يرسل سحابة على الخيمة
 نهارا ويهيماء لهم نارا بالليل عليها . ففي سفر الخروج : « وعند ارتفاع
 السحابة عن المسكن كان بنو اسرائيل يرتحلون في جميع رحلاتهم ، وان
 لم ترتفع السحابة لا يرتحلون الى يوم ارتفاعها . لأن سحابة الرب على
 المسكن نهارا ، وكانت فيها نار ليلا أمام عيون كل بيت اسرائيل فى جميع
 رحلاتهم » (خر ٤٠ : ٣٦ — ٣٨)

ولما حارب يشوع فتى موسى أهل كنعان واستولى على بلاد متهم ،
 نصب الخيمة فى مدينة « شيلوه » وأمام الخيمة قسم الأرض على الأسباط .
 ففي سفر يشوع : « هذه هى الأنصبه التى قسمها العازر الكاهن ، ويشوع

ابن نون ، ورؤساء آباء أسباط بني إسرائيل بالقرعة في شيلوه .
إمام الرب لدى باب خيمة الاجتماع ، وانتهوا من قسمة الأرض «
(يش ١٩ : ٥١)

ولما حارب طالوت وداود — عليها السلام — جالوت وجنوده
واستولى بنو إسرائيل على كل أرض كنعان ، جعل داود — عليه السلام —
عاصمة ملكه مدينة « أورشليم » (القدس) ولما أراد أن يستبدل الخيمة
ببناء ثابت في الأرض جهز أدوات البناء . ولكنه مات قبل أن يبني شيئا
يذكر ، فجاء سليمان — عليه السلام — وبنى على أساس أبيه — كما كان
يريد — وعرف بناؤه بهيكل سليمان .

ثم إن بني إسرائيل افترقوا من بعد موت سليمان — عليه السلام —
إلى هرتين ، فرقة اتخذت معبده « شكيم » (نابلس) في أرض فلسطين
عاصمة لها ، وبنو على جبل جرزيم هيكلًا . وقالوا : إنه الحق من ربهم .
— وهم السامريون — والفرقة الأخرى قالت : إن هيكل سليمان الذي هو جبل
صهيون — وهم العبرانيون — وبعد مدة من الزمان جاء (نبوخذ ناصر)
ملك بابل وأحرق هيكل أورشليم ، وقتل كثيرا من بني إسرائيل وسبى
وجهاءهم وأعيانهم إلى بابل .

ولما رجعوا من بابل . أراد العبرانيون أن تكون أورشليم عاصمة
للدولة . وهيكل سليمان هو القبلة . وأراد السامريون أن تكون نابلس
عاصمة للدولة وهيكل جرزيم هو القبلة فحدث عداوة بين الفريقين من أجل
ذلك . وظل العداوة قائما إلى مجيء عيسى — عليه السلام — وهو من
العبرانيين أهل أورشليم .

وذاذ يوم ذهب هو إلى السامريين يبشر باقتراب « ملكوت
السموات » فقابلته امرأة سامرية على بئر تستقى ماء ، ولما علمت بمعجزة
حدثت معه : أنه نهي سألته عن القبلة ، وقالت له : أينزل على صواب ،
نحن السامريين أم يهود أورشليم العبرانيين ؟ وأجاب عيسى — عليه
السلام — بأن العبادة الماضية أمرها قهركوا إلى الله ، ولا فائدة من الحديث

نخها ، تلقى لها المسيح : « يا امرأتى صعدتي . الله تلقى ساعة ، لا فى
هذا الجبل . ولا فى اورشليم صليجون لأقرب ، انتم صاعدون لما لستم
تعلمون . » (يو : ٤ : ٢١ - ٢٢)

وقال لها المسيح : ان القبلة سوف تفرع من المكاتبين الى مكان سيهيته
الله فيها بعد ، وسوف يأتى المساجدون الحقيقيون ليعبدوا الله بالحق ،
وسيحده لهم الله الجهة التى ارتضاها لهم . قال المسيح : « ولكن تلقى
ساعة ، وهى الآن . حين المساجدون الحقيقيون يسجدون لأقرب بالروح
والحق . لأن الآب طالب مثل هؤلاء المساجدين له . الله روح . والذين
يسجدون له فىالروح والحق يرضى أن يسجدوا » (يو : ٤ : ٢٣ - ٢٤)

وأتباعه من بعده قد اختلفوا . فالبروتستانت قالوا : لله المشرق
والمغرب كما بين موسى . والارثوذكس والكاثوليك قالوا : تتبع قبلة اليهود
العبرانيين فى اورشليم ولا نتبع قبلة السامريين فى نابلس . وقد أشار
القرآن الكريم الى أمر القبلة فى آيات منها :

« قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة (١) ترضاها . فول
وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره .
وأن الذين أوتوا الكتاب أنه الحق من ربهم . وما الله
بغافل عما يعملون . ولئن أبيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا

(١) يقول القرطبي فى تفسير الآية ١٤٢ من سورة البقرة : « واختلف
العلماء أيضا فى كيفية استقباله بيت المقدس على ثلاثة أقوال . فقال
الحسن : كان ذلك منه عن رأى واجتهاد . وقاله عكرمة وأبو العالية .
الثانى : أنه كان مخيرا بينه وبين الكعبة ، فاخترت القدس ، طمعا فى ايمان
اليهود واستمالتهم . قاله الطبرى وقال الزجاج : امتحانا للمشركين لأنهم
الموا الكعبة . الثالث - وهو الذى عليه الجمهور ، ابن عباس وغيره - :
وجب عليه استقباله بأمر الله تعالى ووهيه . لا محالة . ثم نسخ الله ذلك ،
وأمره أن يستقبل بصلاته الكعبة . واستدلوا بقوله تعالى : « وما جعلنا
القبلة التى كتبت عليها ، الا لنعلم من يتبع من يتبع الرسول ممن ينقلب على
عقبه » الآية أ. هـ . والمصحح هو الأول . لأن النص على استقبال بيت المقدس
أولا غير مذكور فى القرآن ، حتى يقال انه قد نسخ .

تقبلتكم . وما أتت بقابض قبيلتهم . وما بعضهم يتابع قبلة بعض . ولئن
اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم . إنك إذا لمن الظالمين .
الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم
ليكتمون الحق . وهم يعلمون . الحق من ربك . فلا تكونن من الممترين .
ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات . أين ما تكونوا يأت بكم الله
جميعا . إن الله على كل شيء قدير . ومن حيث أخرجت فول وجهك شطر
المسجد الحرام . وأنه للحق من ربك . وما الله بغافل عما تعملون .
ومن حيث أخرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام . وحيث ما كنتم فولوا
وجوهكم شطره . لئلا يكون للناس عليكم حجة . إلا الذين ظلموا منهم .
فلا تخشوهم واخشوني . ولأتم نعمتي عليكم . ولعلكم تهتدون » (البقرة
١٤٤ - ١٥٠)

النصوص

أولا - نصوص التوراة :

« فقال الرب لموسى : هكذا تقول لبني اسرائيل : أنتم رأيتم اننى
من السماء تكلمت معكم . لا تصنعوا معى آلهة فضة . ولا تصنعوا لكم
آلهة ذهب . مذبحا من تراب تصنع لى . وتذبح عليه محرقاتك وذبائح
سلامتك ، غنك ، وبقرك . فى كل الاماكن التى فيها أصنع لاسمى ذكرا .
أتى اليك وأباركك . وان صنعت لى مذبحا من حجارة فلا تبنيه منها منحوتة .
إذا رفعت عليها ازमितك تدنسها ، ولا تصعد بدرج الى مذبحى . كيلا
تكشف عورتك عليه » (خرج ٢٠ : ٢٢ - ٢٦)

من ذلك النص يتبين : أنه لا مكان بذاته محدد . ليكون مقدسا
دون غيره ، أو معظما . وانها « كل الاماكن » سواء فى التقديس والعظمة .
وأن الله تنزل رحته وبركته فى « كل الاماكن » اذا ذكر اسم الله .

•••••

•••••

•••••

وفى بابل اتفق العبرانيون والساميريون على تغيير ذلك النص .

وذلك بتحديد مكان واحد يقديسه الجميع ويمعظون ويحجون اليه ، بعد الرجوع من بابل واستقرارهم في فلسطين ، ويقدمون القرابين والنذور اليه . وهذا المكان الواحد قالوا : انه سيكون في أرض سبط من أسباط بني اسرائيل الاثنى عشر . في أرض فلسطين . وكتبوا في التوراة هذا النص :

« هذه هي المفرائض والاحكام التي تحفظون لتعملوها في الأرض . انى أعطاك الرب ، اله آباءك لتمتلكها كل الايام التي تحيون على الارض . تخربون جميع الأماكن . حيث عبدت الأمم التي تراثونها ، آلهتها على الجبال الشامخة وعلى التلال ، وتحت كل شجرة خضراء ، وتهدمون مذابحهم ، وتكسرون أنصابهم وتحرقون سواريتهم بالنار ، وتقطعون تماثيل آلهتهم ، وتمحون اسمهم من ذلك المكان .

لا تفعلوا هكذا للرب الهكم ، بل المكان الذى يختاره الرب الهكم من جميع أسباطكم ليضع اسمه فيه . سكناه تطلبون . والى هناك تأتون . وتقدمون الى هناك : محرقاتكم ، وذبائحكم وعشوركم ، ورفائع أيديكم ، ونذوركم ، ونوافلكم ، وأبكار بقركم وغنمكم . وتأكلون هناك أمام الرب الهكم وتفرحون بكل ما تمتد اليه أيديكم أنتم وبيوتكم . كما بارككم الرب اليكم . لا تعملوا حسب كل ما نحن عاملون هنا اليوم . اى كل انسان مهما صلح في عينيه . لانكم لم تدخلوا حتى الآن الى المقر والنصيب اللذين يعطيكم الرب الهكم .

فمتى عبرتم الاردن وسكنتم الارض التي يقسمها لكم الرب الهكم ، وأراحكم من جميع أعدائكم الذين حوالىكم ، وسكنتم آمنين . فالمكان الذى يختاره الرب الهكم ليحل اسمه فيه . تحملون اليه كل ما أنا أوصيكم به : محرقاتكم وذبائحكم وعشوركم ورفائع أيديكم ، وكل خيار نذوركم التى تنذرونها للرب . وتفرحون أمام الرب الهكم انتم وبنوكم وبناتكم وعبيدكم واماؤكم . والملاوى الذى فى أبوابكم لانه ليس له قسم ولا نصيب معكم .

احترز من أن تصعد محرقاتك فى كل مكان تراه . بل فى المكان

الذي يختاره الرب في اتحاد الميثاق . هناك تضعه بصرفها . وهناك
 صعد كل ما انا اوصيك به . ولكن من كل ما قضيت نفسيك تعذيب وتاكل
 لها في جميع ابوابك . حسب بركة الرب الهك التي اعطاك . التجسس
 والظواهر ياكله ، كالمظلي والليل . واما القدم فلا تاكله . عسلى الارض
 تسفكه كالماء . لا يحل لك أن تاكل في ابوابك عشر حنطتك وخمسك ،
 ولا أبقار يترك وغنك . ولا شينا من نذورك التي تنذر . ونوافك ،
 ورفطج يدك . بل أمام الرب الهك تأكلها في المكان الذي يختاره الرب
 الهك . أنت وابنك وابنتك وعبدك وامتك والملاوى الذي في ابوابك ، وتفرح
 أمام الرب الهك بكل ما امتدت اليه يدك . احتجز من أن تترك الملاوى كل
 أيامك على أرضك » (تثنية ١٢ : ١ - ١٩) .

يقول الكاتب في هذا النص : « لا تعملوا حسب كل ما نحن عاملون
 هنا اليوم . أى كل انسان مهما صلح في عينيه . لانكم لم تدخلوا حتى
 الآن الى القر والنصيب للذين يعطيكم الرب الهكم » انه يريد أن يغير
 تعدد الأماكن بمكان واحد - ويوهم القارىء بأن موسى هو القائل ،
 لا عزرا في أرض بابل - . وهذا المكان الواحد - في نظره - لابد وأن
 يكون في أرض كنعان . بعد عبورهم الاردن ، وسكناهم فيها .

ويؤكد الكاتب على المكان الواحد في أرض كنعان ، ويأمر بشكر
 الله ليزيدهم من فضله فيقول : « ومتى أتيت الى الارض التي يعطيك الرب
 الهك نصيبا وامتلكتها وسكنت فيها . فتأخذ من أول كل ثمر الارض الذي
 تحصل من أرضك التي يعطيك الرب الهك وتضعه في سلة . وتذهب الى
 المكان الذي يختاره الرب الهك ليحل اسمه فيه .

وتأتى الى الكاهن الذي يكون في تلك الايام وتقول له : اعترف اليوم
 للرب الهك أى قد دخلت الارض التي حلف الرب لأبائنا أن يعطينا اياها .
 فيأخذ الكاهن السلة من يدك ويضعها أمام الرب الهك ، ثم تصرح
 وتقول أمام الرب الهك : أراميا تائها كان أبى . فانهدر الى مصر ، وتغرب
 هناك في نذر قليل ، فصار هناك أمة كبيرة وعظيمة وكثيرة . فأسساء
 المينا المصريون ، وثقلوا علينا ، وجعلوا علينا عبودية قاسية ، فلما

سرافنا الى الرب اله آبائنا مسبح الرب صوتنا ، وراي مشقتنا وتمنا
وضيقنا . فخرجنا الرب من مصر بيد شديد وذراع رقيقة ومخاوف عظيمة
وآيات ومجائب . وادخلنا هذا المكان ، واعطانا هذه الارض ، أرضا
تفيض لبنا وعسلا .

فالآن هاأنذا قد أتيت بأول ثمر الارض التي أعطيتني يارب ، ثم قمضمه
أمام الرب الهك وتسجد أمام الرب الهك وتفرح بجميع الخير الذي أعطاه
الرب الهك لك . ولبياتك . اذك ، والملاوي والمغريب اللذين في وسسلك «
(تث ٢٦ : ١ - ١١)

...

...

...

ومما تقدم من هذه النصوص يتبين أمرين اثنين :

الأمر الأول : أن الله لم يحدد لبني اسرائيل قبلة معينة ، ولا مكانا
مقدسا . بل كل الجهات تصلح قبلة ، وكل الأمكنة تكون لهم مقدسة وللإمام
والأمر الثاني : أن مكائنا مختارا في أرض كنعان سوف يحدد مكانا
مقدسا بعد موت موسى ليحجبوا اليه ، وليتجهوا اليه وقت الصلاة .

أما عن الأمر الأول فهو صحيح كل الصحة . وأما عن الثاني فهو خطأ
كل الخطأ . ذلك لان المكان الذي سيختاره الله مستقبلا . من سيبيته لهم فان
موسى عليه السلام قد مات ولم يبينه . وقد ثبت شريعته من قبل موته ؟
وذلك الذي سيبيته ، أما نبي من بني اسرائيل . وأما نبي من غير بني اسرائيل .
فان كل من بني اسرائيل . فقد وصى موسى بأنه لن يأتي منهم نبي مشرع
مثله يسمعون له ويطيعون . ففي سفر التثنية : « ولم يقم بعد نبي في
اسرائيل مثل موسى » (التثنية ٣٤ : ١٠) وأن كان من غير بني اسرائيل ،
وذلك هو الحق . فإنه سيبين كما يوحى الله اليه سواء كان بيانه في
أرض الاسباط ، أو في أى أرض تكون . فلماذا يحددون في أرض
الاسباط ؟

•••••

•••••

•••••

ولما رجع بنو اسرائيل من « بابل » متفتحين على هذه النصوص التى
أشرنا اليها . طلب السامريون من العبرانيين أن يشتركوا معهم فى
بناء هيكل سليمان ، حسبما يقول العبرانيون فى توراتهم . ففى سفر
عزرا : « وقالوا لهم : نبئى معكم . لاننا نظيركم نطلب الهكم . وله
قد ذبحنا من أيام أسر حدون ملك آشور الذى أصدنا الى هنا . فقال
لهم زربابل ويشوع وبقية رؤوس آباء اسرائيل : ليس لكم ولنا أن نبئى
بيتا لالهنا . ولكننا نحن وحدنا نبئى للرب اله اسرائيل ، كما أمرنا الملك
كورش ملك فارس » (عزرا ٤ : ٢ - ٣)

ولما منع العبرانيون السامريين من الاشتراك فى بناء هيكل سليمان ،
كتب السامريون خطابا الى « أرتخششتا ملك فارس » بمنع العبرانيين
من بناء اورشليم والهيكل . وهذا نص ما كتبوه :

« ليعلم الملك أن اليهود الذين صعدوا من عندك الينا قد أتوا
الى اورشليم ، ويبنون المدينة العاصية المردية . وقد أكملوا أسوارها
ورمموا أسسها ، ليكن الآن معلوما لدى الملك أنه اذا بنيت هذه المدينة
وأكملت أسوارها لا يؤدون جزية ولا خراجا ، ولا خفارة . فأخيرا تضر
الملوك . والآن بما أننا نأكل ملح دار الملك ، ولا يليق بنا أن نرى ضرر
الملك . لذلك أرسلنا فأعلمنا الملك . لكى يفتش فى سفر أخبار آباءك
فتجد فى سفر الاخبار ، وتعلم : أن هذه المدينة مدينة عاصية ومضرة للملوك
والبلاد . وقد عملوا عصيانا فى وسطها منذ الايام القديمة . لذلك أخبرت
هذه المدينة . ونحن نعلم الملك ، أنه اذا بنيت هذه المدينة وأكملت أسوارها
لا يكون لك عند ذلك نصيب فى عبر النهر » (عزرا ٤ : ١٢ - ١٦)

وبناء على ذلك الخطاب : توقف العمل فى هيكل سليمان بقوة .
لانه - كما يقول عزرا - قد « أرسل الملك جوابا الى رحوم صاحب
القضاء وشمشاي الكاتب ، وسائر رفقاءهما الساكنين فى السامرة وباقى
الذين فى عبر النهر . سلام الى آخره .

الرسالة التى أرسلتموها الينا قد قرئت بوضوح أمامى . وقد

خرج من عندى أمر ففتشوا ووجد . أن هذه المدينة منذ الايام القديمة
تقوم على الملوك . وقد جرى فيها تمرد وعصيان . وقد كان ملوك مقتدرون
على اورشليم ، وتسلطوا على جميع عبر النهر وقد أعطوا جزية وخراجا
وخفارة . فالآن أخرجوا امرا بتوقيف أولئك الرجال فلا تبني هذه المدينة
حتى يصدر منى أمر . فاحذروا من أن تقصروا عن عمل ذلك . لماذا يكثر
الضرر لخسارة الملوك ؟

حينئذ لما قرئت رسالة ارتحششتا الملك أمام رحوم ، وشمشاي
الكاتب ورفقائهما ذهبوا بسرعة الى اورشليم الى اليهود وأوقفوهم بذراع
وقوة . حينئذ توقف عمل بيت الله الذى فى اورشليم . وكان متوقفا الى
السنة الثانية من ملك داريوس ملك فارس « (عزرا ٤ : ١٧ — ٢٤) ثم بنى
العبرانيون الهيكل فيها بعد .

... ..

تلك هى وجهة نظر العبرانيين فى تمسكهم بهيكل سليمان فى
اورشليم ، نقلناها من توراتهم . ولكى يبعدوا القبله عن « جرزيم » كما يدعى
السامريون قالوا : ان التوراة التى بأيديهم تقص على أن يبنى بنو اسرائيل
مذبحا مقدسا اذا عبروا الاردن ، ويكون البناء على « جبل عيبال » يقول
موسى : « يوم تعبرون الاردن الى الارض التى يعطيك الرب الهك تقيم
لنفسك حجارة كبيرة ، وتشيدها بالشيد ، وتكتب عليها جميع كلمات هذا
الناموس حين تعبر لى تدخل الارض التى يعطيك الرب الهك ، أرضا
تفيض لبنا وعسلا كما قال لك الرب اله آباءك . حين تعبرون الاردن
تقيمون هذه الحجارة التى انا اوصيكم بها اليوم فى جبل عيبال . وتكلسها
بالكلس . وتبنى هناك مذبحا للرب الهك . مذبحا من حجارة لا ترفع
عليها حديدا . من لحجارة صحيحة تبنى مذبح الرب الهك وتصعد عليه
محرقات للرب الهك . وتذبح ذبائح سلامة وتاكل هناك . وتفرح أمام
الرب الهك وتكتب على الحجارة جميع كلمات هذا الناموس نقشا جيدا »
(تثنية ٢٧ : ٢ — ٨)

وكتب العمويون في سفر يشوع « حينئذ بنى يشوع مذبحا للرب اله اسرائيل في جبل عيبال كما امر موسى عبد الرب بنى اسرائيل . كما هو مكتوب في سفر توراة موسى : مذبح حجارة صحيحة لم يرفع أحد عليها حديدا ، وأصعدوا عليه محرقات للرب وذبحوا ذبائح سلامة . وكتب هناك على الحجارة نسخة توراة موسى التي كتبها أمام بنى اسرائيل » (يشوع ٨ : ٣٠ - ٣٢)

غير ان السامريين يقولون : أن موسى لم يوص بعيبال ، وإنما وصى أن يكون البناء على « جبل جرزيم » ويقولون ليثبتوا وجهة نظرهم في قبلتهم : ان يشوع بنى المذبح في جرزيم كما تنص تورتهم في بركته . يقول أبو الفتح بن أبي الحسن السامري : « ان المثل قول أن بنى اسرائيل دخلوا في الشهر الاول الموافق لشهر نيسان . وأقاموا في هرجزيم الحجارة ١٢ حجرا . وكتبوا المعز الامام عليها كل خطوب الشريعة خطأ منظوما . وأخذوا في اصلاح الطريق لصعود المشكن الى للجبل المقدس لان المشكن أقام في المرج على ما قيل مدة سنة كاملة من الفسح الى الفسح .

وفي السنة الثانية بنى يهوشع الهيكل على هرجزيم ، وجعل فيه المشكن . ولم يره أحد بعد ذلك سوى الائمة الخدام فيه ، ثم بنى يهوشع مذبح حجارة . وتقرب عليه صمائد الله . وذبح سلائم ، وأخرج منها اجزاء لله والياقى أكل الناس ، وخرجت النار اللهوتية وأحرقت الصمائد ، وأكثر بنو اسرائيل بن المسيح والحمد لله جلت قدرته ، ووقفوا الاسباط الستة المعينة في الشرع الشريف على هرجزيم وتلوا الليوانية البركة على بنى اسرائيل ، وكل القوم يلعنوا المخالفين . وكل القول يقولون : آمين . الى تمام فصول البركة واللعنة (٢) « أ. هـ

...

...

...

(٢) ص ٢٦ - ٢٧ . التاريخ مما تقدم عن الآباء - ولاحظ ركافة الترجمة .

هذا ما يقوله السامريون في وجهة نظرهم في تمسكهم بجزيم ، ويقولون : ان الخلاف كان في جابل ، وليس بعد الرجوع منها . ويحتجون على العبرانيين بحجج كثيرة منها :

١ - اذا كانت القبلة عند العبرانيين لم تجدد الا زمن داود - عليه السلام - فمن قبل ذلك أين كان بنو اسرائيل يؤدون القسريين ؟ وبين موسى وداود أربعمائة وثمانون عاما - كما في سفر الملوك الأول -

٢ - ان موسى عليه السلام أوصى يجعل البركة على جبل جزيم ، واللعنة على جبل عيبال ، وهذا يعني أنه لو كان ثمة مكان مختار ، فالأولى أن يكون هو جبل البركة ، ففي سفر التثنية : « وأوصى موسى الشعب في ذلك اليوم قائلا : هؤلاء يقفون على جبل جزيم ، لكي يباركوا الشعب ، حين تعبرون الأردن : شمعون ولاوي ويهوذا ويساكر ويوسف وبنيامين . وهؤلاء يقفون على جبل عيبال لللعنة : رأوبين وجاد وأشير وزبولون ودان ونفتالي . فيصرح اللاويون ويقولون لجميع قوم اسرائيل بصوت عال : ملعون الانسان الذي يصنع تمثالا منحوتا أو مسبوكا رجسا لدى الرب على يدي نحات ، ويضعه في الخفاء . ويجب جميع الشعب ويقولون : آمين ... الخ » (التثنية ٢٧ : ١١ -) .

وقد نفذ يشوع وصية موسى فيوم عبروا الأردن ، كما في سفر يشوع : « جميع اسرائيل وشيوخهم والعرفاء وقضاةهم وقفوا جانب التابوت من هنا ومن هناك مقابل الكهنة اللاويين جاملي تابوت عهد الرب . الغريب كما الوطني . نصفهم الى جهة جبل جزيم ، ونصفهم الى جهة جبل عيبال كما أمر موبى عبد الرب أولا لبركة شعب اسرائيل . وبعد ذلك قرأ يشوع جميع كلام التوراة : البركة واللعنة حسب كل ما كتب في سفر التوراة . لم تكن كلمة من كل ما أمر به موسى لسم يقرأها يشوع قدام كل جماعة اسرائيل والنساء والاطفال والغريب السائر في وسطهم » (يشوع ٨ : ٣٣ - ٣٥)

يقول أبو الفتح بن أبي الحسن السامري : « جاء زوربيل وجماعته

اليهود ، واجتمعوا بحران ووقفوا بين يدي سوردي الملك — ملك حران —
ووقع بينهم وبين السامرة مشاجرة على القبلة ، وأقبلوا السامرة بسفر
الدرج الكبير من هيكل نينوه ، وذكروا النصوص التي تدل على أن
هرجريزيم هو القبلة ، وأخرج زوربيل مدرجا وادعى أنه مدرج داود .
وادعى أنه يدل على أن داود قال : ان الإندر الذي في أيليا هو القبلة ،
ووقع الجدل بينهم قدام الملك » .

ويستطرد أبو الفتح فيقول : « واستشهدوا ببراھين عدة بأن القبلة
هي الجبل الذي حدده الله تعالى في شريعته المقدسة المنزلة على يد
موسى بن عمران (عم) وهو هرجريزيم . وسوردي الملك يستوفى عليهم
القول . ويتأمل هو وعلماء زمانه مواضع الجدل ومجال الحجاج . فلما
انتهت السامرة من الاتيان بالبراھين قال لروبيل وأصحابه : ماذا هويتم
تقولوا ؟ فقالوا : قد جئنا في خبرنا : أن داود وسليمان : قالا : ان
القبلة ببيروشلم ، فقال لهم سنبلط الليوانى : اذا كان داود وسليمان
على زعمكم هم اللذين عرفا القبلة . قبلتهم قبل ذلك الى أين كانت الأئمة
تؤدى القرابين سنة بسنة ؟ » (٣) ا . هـ .

... ..

والحق يبدو مع السامريين في بناء يشوع — لا في القبلة — فان
البركة على جرزيم يناسبها بناء يشوع للمذبح عليه . ولكن بناء يشوع
للمذبح على جرزيم كما يقولون ، او على عيبال كما يقول العبرانيون ما هو
لشيء الا لمجرد الذكرى . بدليل أن السامريين أنفسهم يذكرون الخلاف
بين بنى اسرائيل من بعد موسى في شأن القبلة بين ثلاث فرق . فلو كان
بناء يشوع بنص من موسى . لما اختلفوا .

(٣) التاريخ مما تقدم عن الآباء ص ٦٤ — ٦٩ — لاحظ ركائفة

الترجمة .

يقول أبو الفتح . « وقعت فتنة عظيمة بين ايلي بن يفتى من نسل
ايثر ، وبين أولاد فينحاس ، وقصد ايلي أن يأخذ الإمامة الكبرى . فسار
الى سيلون ، فاجتمع اليه جماعة كثيرة ، وبنى له بها ناووسا مثل
الهيكل ، وبنى مذبحا ولم يغير شيئا الا مكانا بمكان . وصار بنو اسرائيل
حينئذ ثلاث فرق : فرقة فى هرجريزيم ، وفرقة ضلوا تتبع آلهة اخرى .
وفرقة تبعوا ايلي فى سيلون . فلما تكاسلو القوم عن استدرارك المفرط ،
وتغافلوا وعميت أبصارهم ، وتخلفوا عن الإنكار . نفرت الملائكة عنهم ،
وسخط البارى عليهم .

ولما توجه ايلي الى سيلون ، وبنى فيها مشكنا ، وأقام تشبيها
بزمان الرضوان قال له تلامذته أقم لنا ملكا . فأخذ شاول بن قيس من
سبط بنيهم ، وأقامه ملكا وعظم شاول (طالوت) فى ملكه ، وضل من
بنى اسرائيل عالم عظيم . وفى بداية ملك شاول وقع خلف فى بنى اسرائيل
الضالين — يهود اورشليم — منهم من أراد سيلون ، ومنهم من أراد
هرجريزيم ، ومنهم من قال : لا هنا ولا هنا (٤) « أ. هـ .

...

...

...

وبعد ما بينا طرفا من اختلافهم وتناقضهم . نبين هدف داود —

(٤) ص ٢٨ — ٤٢ التاريخ مما تقدم عن الآباء — ويقول الدكتور
جورج بوست فى قاموس الكتاب المقدس « جريزيم جبل فى أفرام فوق
شكيم حيث نطق بالبركات ، كما نطق باللعنات من عيبال (تثنية ١١ :
٢٩ و ٢٧ : ١١ — ١٣ ، ويشوع ٨ : ٣ — ٣٣) ويعلو جريزيم ٢٨٥٠
قدما فوق البحر ، و ٨٠٠ فوق نابلس . ويفصل بينه وبين عيبال : واد ضيق .
وقد وقف ستة أسباط على عيبال ، وستة على جريزيم (تثنية
٢٧ : ١٢ و ١٣) ويرجح بأن التابوت كان فى الوادى بينهما ، ثم قرأ
يشوع البركات واللعنات (يشوع ٨ : ٣٣ و ٣٥) وعاد اللاويون على
كل جانب فكروها . ثم قال الشعب : آمين ... وحسب التمسك باليد
السامرية : كان هذا الجبل الموضع الذى توجه اليه ابراهيم ليقدم اسحق
وأفرام : يعنى سبط أفرام بن يوسف عليه السلام ، وشكيم : نابلس .

عليه السلام — من ارادته بناء بيت في اورشليم . المقدس — بهدف داود عليه السلام — كما يبدو لنا من النصوص التي يقدسونها — الى هدفين اذنين :

الهدف الأول : بناء مكان ثابت على الأرض ليحل محل الخيمة التي كان ينصبها بنو اسرائيل ويضعون فيها تابوت العهد . والهدف الثاني : توحيد بنى اسرائيل في مملكة واحدة تحت رئاسة ملك واحد . ولكي تهفو نفوسهم الى عاصمة الدولة ، فكر في وضع التابوت في مكان ثابت في عاصمة الدولة . وأيا ما كان هدف داود فان قبيلته استحسانا لا إلزاما . لان داود من بنى اسرائيل .

ولا يسمع بنو اسرائيل ويطيعون لنبي منهم الا على شريعة موسى . لا يسمعون لنبي الا من موسى وحده . كما تقول التوراة « ولم يقم بعد نبي في اسرائيل مثل موسى » (تث ٣٤ : ١٠) ولا يجوز لداود الذي هو مأمور باتباع التوراة أن يحل حراما ، أو يحرم حلالا ، أو يزيد فيها أمرا من الامور أو ينقص أمرا .

وكيف ؟ وفي آخر حياته لما حضره الموت — كما في الاصحاح الثاني من سفر الملوك الأول — : « أوصى سليمان ابنه قائلا : أنا ذاهب في طريق الأرض كلها . فتشدد وكن رجلا . احفظ شعائر الرب الهك اذ تسير في طرقه وتحفظ فرائضه ، وصايا وأحكامه وشهاداته ، كما هو مكتوب في شريعة موسى ، لكي تفلح في كل ما تفعل ، وحيثما توجهت » (١ مل ٢ : ١ — ٣) فاذا كان داود في آخر حياته يوصي ابنه سليمان باحترام شريعة موسى ، فكيف يتسنى له الخروج عليها بقبلة لم يحددها موسى ؟ وهذان الهدفان واضحان تماما من الخطبة التي القاها سليمان — عليه السلام — بعد بناء هذا المكان ، الذي يسمى باسمه .

يقول سليمان لله عز وجل : « مبارك الرب اله اسرائيل الذي تكلم بضمه الى داود أبي ، واكمل بيده قائلا : منذ يوم أخرجت شعبي اسرائيل من مصر لم أختار مدينة من جميع أسباط اسرائيل لبناء بيت ليكون اسمي

هناك . بل انما اخترت داود ليكون على شعبي اسرائيل . وكان في قلب داود ابي أن يبنى بيتا لاسم الرب اله اسرائيل . فقال الرب لداود ابي : من أجل انه كان في قلبك أن تبني بيتا لاسمي . قد أحسنت بكونه في قلبك . الا أنك لا تبني البيت ، بل ابنتك الخارج من صلبك هو يبنى البيت لاسمي . واقام الرب كلامه الذي تكلم به وقد قمت أنا مكان داود ابي وجلسيت على كرسي اسرائيل كما تكلم الرب وبنيت البيت لاسم الرب اله اسرائيل ، وجعلت هناك مكانا للتابوت الذي فيه عهد الرب الذي قطعته مع آبائنا عند اخراجه اياهم من أرض مصر .

ووقف سليمان أمام مذبح الرب تجاه كل جماعة اسرائيل ، وبسط يديه الي السماء وقال .

أيها للرب اله اسرائيل ليس اله مثلك . في السماء من فوق ، ولا على الأرض من أسفل حافظ للعهد والرحمة لعبيدك ، السائرين أمامك بكل قلوبهم ، الذي حفظت لعبيدك داود ابي ما كلمته به . فتكلمت بفك ، وأكملت بيدك كهذا اليوم . والآن أيها الرب اله اسرائيل : احفظ لعبيدك داود ابي ما كلمته به قائلا : لا يعدم لك أهلي رجل يجلس على كرسي اسرائيل . ان كان بنوك انما يحفظون طرقهم حتى يسروا أهلي كما سرت أنت أمامي .

والآن يا اله اسرائيل فليتحقق كلامك الذي كلمت به عبدك داود ابي . لانه هل يسكن الله حقا على الأرض . هوذا المسمولت ، وبسما للسموات لا تسمعك . فكم يلاقل هذا البيت الذي بنيت . فالتفتت الى صلاة عبدي والي تضرع أيها الرب الهي واسمع الصراخ والصلوة للتي يصلها عبدي أمامك اليوم . لتكون عينك مفتوحتين على هذا البيت لئلا ونهارا على الموضع الذي قلت : ان اسمي يكون فيه لتسمع للصلاة للتي يصلها عبدي في هذا الموضع ، واسمع تضرع عبدي وشعبك اسرائيل الذين يصلون في هذا الموضع . واسمع أنت في موضع سكنائك في السماء واذا سمعت فاغفر .

إذا أخطأ أحد إلى صاحبه ، ووضع عليه حلفا ليحلفه . وجاء الحلف أمام مذبحك في هذا البيت فاسمع أنت في السماء واعمل واقض بين عبيدك إذ تحكم على المذنب فتجعل طريقه على رأسه ، وتبرر البار إذ تعطيه حسب بره .

إذ أنكسر شعبك إسرائيل أمام العدو لانهم أخطأوا اليك ثم رجعوا اليك واعترفوا باسمك وصلوا وتضرعوا اليك نحو هذا البيت فاسمع أنت من السماء واغفر خطية شعبك إسرائيل ، وارجعهم إلى الأرض التي أعطيتها لأبائهم .

إذا أغلقت السماء ولم يكن مطر . لانهم أخطأوا اليك ثم صلوا في هذا الموضع ، واعترفوا باسمك ورجعوا عن خطيتهم لانك ضايقتهم فاسمع أنت من السماء واغفر خطية عبيدك وشعبك إسرائيل . فتعلمهم الطريق الصالح الذي يسلكون فيه . وأعط مطرا على أرضك التي أعطيتها لشعبك ميراثا . إذا صار في الأرض جوع إذا صار وبأ . إذا صار لفتح . أو يرقان ، أو جراد جردم ، أو إذا حاصره عدوه في أرض مدنه ، في كل ضربة وكل مرض . فكل صلاة وكل تضرع تكون من أي انسان كان من كل شعبك إسرائيل الذين يعرفون كل واحد ضربة قلبه فيسقط يديه نحو هذا البيت فاسمع أنت من السماء مكان سكنك واغفر واعمل وأعط كل انسان حسب كل طريقه كما تعرف قلبه .

لأنك أنت وحدك قد عرفت قلوب كل بني البشر . لكي يخافوك كل الأيام التي يحيون فيها على وجه الأرض التي أعطيت لأبائنا . وكذلك الاجنبي الذي ليس من شعبك إسرائيل هو . وجاء من أرض بعيدة من أجل اسمك . لانهم يسمعون باسمك العظيم وبيدك القوية وذراعك المهدودة . فتهي جاء وصى في هذا البيت فاسمع أنت من السماء مكان سكنك وافعل حسب كل ما يدعو به اليك الاجنبي لكي يعلم كل شعوب الأرض اسمك فيخافوك كشعبك إسرائيل ، ولكي يعلموا انه قد دعى اسمك على هذا البيت الذي بنيت .

إذا خرج شعبك لمحاربة عدوه في الطريق الذي ترسلهم فيه وصلوا إلى الرب نحو المدينة التي اخترتها والبيت الذي بنيته لأسبك . فاسمع من السماء صلاتهم وتضرعهم واقض قضاءهم . إذا أخطأوا إليك . لأنه ليس إنسان لا يخطئ ، وغضبت عليهم وبنعتهم أمام العدو ، وسياهم سابوهم إلى أرض العدو بعيدة أو قريبة . فإذا ردوا إلى قلوبهم في الأرض التي يسبون إليها ، ورجعوا وتضرعوا إليك في أرض سبيهم قائلين : قد أخطأنا وعوجنا وأذنتنا . ورجعوا إليك من كل قلوبهم ، ومن كل أنفسهم في أرض أعدائهم الذين سبوهم ، وصلوا إليك نحو أرضهم التي أعطيت لأبائهم نحو المدينة التي اخترت ، والبيت الذي بنيت لأسبك . فاسمع في السماء مكان سكنك . صلاتهم وتضرعهم . واقض قضاءهم واغفر لشعبك ما أخطأوا به إليك وجميع ذنوبهم ، التي أذنبوا بها إليك ، وأعطهم رحمة أمام الذين سبوهم . فيرحبوهم . لأنهم شعبك وميراثك للذين أخرجت من مصر ، من وسط كور الحديد .

لتكون عينك مفتوحة نحو تضرع عبدك وتضرع شعبك إسرائيل . فتصفي إليهم في كل ما يدعونك . لأنك أنت أفرزتهم لك ميراثا من جميع شعوب الأرض كما تكلمت عن يد موسى عبدك عند إخراجك آباءنا من مصر يا سيدي الرب « (الملوك الأول ٨ : ١٥ - ٥٣)

•••••

•••••

•••••

وقد رد الله تعالى على سليمان بقوله : « قال له الرب : قد سمعت صلاتك وتضرعك الذي تضرعت به أمامي . قد ست هذا البيت الذي بنيته ، لأجل وضع اسمي فيه إلى الأبد . وتكون عيناى وقلبي هناك كل الأيام . وأنت ان سلكت أمامي كما سلك داود أبوك بسلاية قلب ، واستقامة . وعملت حسب كل ما أوصيتك وحفظت فرائضى وأحكامي . فاني أقيم كرسي ملكك على إسرائيل إلى الأبد . كما كلمت داود أباك قائلا : لا يعينم لك رجل عن كرسي إسرائيل . من هنا سمعت رجلك تتردد في بيتي »

ان يركنتم لتقبل يدونا لقم الالبسة واوكم من وراى ، ولا تحفظون
وصاياى ، فرائضى التى جعلتها امامكم ، بل تذهبون وتعبدون الهة اخرى
وتسجدون لها . قالى اقطع اسرائيل من وجة الارض التى اعطيتم اياها .
والبيت الذى فعلته لاسمى اتية من امامى . ويكون اسرائيل مثلا وهزاة
فى جميع الشعوب . وهذا البيت يكون عبرة . كل من يمر عليه يتعجب
ويتعطر ويهلل . لماذا عمل الرب هكذا لهذه الارض ؟ ولهذا البيت ؟
فيقولون : من اجل انهم تركوا الرب الههم الذى اخرج اباؤهم من ارض
مصر . وتسجدوا بالهة اخرى ، وسجدوا لها وعبدها ، لذلك جلب الرب
عليهم كل هذا الشر « (الملوك الاول ٩ : ٣ - ٩)

ولو نسلنا اليهود العبرانيين ذلك السؤال وهو : بعد كم من السنين
بنى هيكل سليمان من بعد موسى ؟ اجابوا بما نصه : « فى سنة الاربع
مئة والثمانين لخروج بنى اسرائيل من ارض مصر فى السنة الرابعة لمملك
سليمان على اسرائيل فى شهر زيو ، وهو الشهر الثانى : انه بنى البيت
للرب » (الملوك الاول ٦ : ١)

وقد سألناهم من قبل : ما اذا كان موسى قد حدد لهم مكانا ام لم
يحدد ؟ واجابوا بعدم تحديد مكان . وعلى ذلك فان هيكل سليمان ليس قبلة
شرعية بنص سماوى . وانما هو قبلة وضعية . لا يجوز التمسك بها
الزاما وقسرا .

...

...

...

وقد بين لنا من فخر سليمان لله عز وجل ورد الله عليه : ان اول
بيت وضع لبنى اسرائيل ليحجوا اليه استظمانا حينما كانوا فى ضلوتهم
وحجهم : اما كان فى عهد سليمان : عليه السلام : وان هناك شروط وخواتم
من الله تعالى ، وهو ان المستحج يكون اسرائيل حفظهم الله . واذا زاعوا
عن الحق فان البيت الذى قدسه الله ينفى على وجه الارض . ويكون

هذا البيت عبوة . كل من يبو عليه يتصعب ويخفق . ويتسول الناس :
لماذا عمل الرب هكذا لهذا البيت ؟

...

...

...

ومن فهم ندينهم . فقد تحقق فساد بنى اسرائيل ، واصبح البيت
عبوة .

فانه من بعد موته سليمان عليه السلام انقسمت مملكته الى قسمين :
١ - قسم مع يربعام بن نباط وضم عشرة أسباط وهم اليهود
السامريون .

٢ - وقسم مع رحبعام بن سليمان وضم سبطى يهوذا وبنيامين
وهم اليهود العبرانيون .

واراه يربعام - كما يقول العبرانيون - أن يصرف الناس عن هيكل
أورشليم . لانه قال - كما فى القوراة - : « ان صعد هذا الشعب
ليقربوا ذبائح فى بيت الرب فى أورشليم يرجع قلب هذا الشعب
الى سيدهم الذى رحبهم ملك يهوذا ويقتلونى ويرجعوا الى رحبعام ملك
يهوذا . فاستشار الملك وعمل عظى ذهب . وقال لهم : كثير عليكم أن
تصعدوا الى أورشليم ، وهوذا آلهتك يا اسرائيل الذين أصعدوك من
أرض مصر » (الملوك الاول ١٢ : ٢٧ - ٢٨)

وسواء كان كلام العبرانيين صحيحا أو غير صحيح عن هيكل
السامريين الذى بناه يربعام فانه لا يعنينا . انما يعنينا أن الهيكلين قد
هدما . ووقع السامريون والعبرانيون أسرى فى يد ملك بابل . ولما عادا
بني هيكل سليمان : زربابل بن شالتنيل ويشوع بن يوصاداق ، وعرف
هذا الهيكل ، فيها بعد باسم « هيكل زربابل » وان كانت التسمية القديمة
لم تنس لانه بنى على أطلال هيكل سليمان . وعرف أيضا باسم
« المعبد الثانى » وظل بناء زربابل قائما حتى جاء عيسى - عليه السلام -

وكان قد رم بعض الجدران وأصلحه قبل مجيئه بعشرين سنة : هرودس الملك .

وفى السنة السبعين من الميلاد غزا (تيطس) الروماني اورشليم ودمر الهيكل . وفى السنة الثانية والثلاثين بعد المائة من الميلاد حوثر القائد (أدريانوس) أرض الهيكل وأزال معالم المدينة والهيكل تماما . وبنى مكان الهيكل معبدا للاله الروماني (جوبيتر) رب الآلهة عند الرومان . ولما اعترف الإمبراطور الروماني (قسطنطين) بالنصرانية مذهبيا واعتنقها أزيل معبد (جوبيتر) من مكانه وبمرور الزمن أصبح أرضا خربة عليها أتربة وقاذورات . ولما جاء أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب) رضى الله عنه . نظف المكان وهياه لبناء المسجد الاقصى (٥) .

هذا عن هيكل سليمان . واما عن هيكل جرزيم ، فقد بناه سنبلط الحوراني بعد رجوع السامريين من بابل . وفى سنة ٣٣٠ ق . م اجتاحت جيوش الاسكندر الاكبر اراضى فلسطين فادخلت اليها البدع والتقاليد الهيلانية ووثنية الاغريق . وقد أظهر السامريون — كما يقول العبرانيون — « تساهلا تجاه الوثنية وكرسوا معبدهم للاله « جوبيتر » الروماني . ولما قام يهود اورشليم بالثورة على اليونانيين بقيادة يهوذا المكابي ، وجدوا الفرصة ملائمة للانتقام من السامريين فغزوهم بقيادة يوحنا هرقتوس المكابي ، واستولوا على السامرة ودمروها وهدموا معبد السامريين على جرزيم .

ولما غزا الرومان بلاد فلسطين سهل السامريون لهم فتح اورشليم فكافأوهم بأن أعادوا لهم استقلاللا ويسروا لهم إعادة بناء هيكلهم . وبعد قرن من السنين قام يهود اورشليم بثورتهم الكبرى ضد رومية ، فكان اول عمل قام به الثوار أنهم أغاروا على السامريين ودمروا هيكلهم مرة أخرى . فثار السامريون لانفسهم بأن انضموا الى الجيش الروماني الذى

(٥) اليهودية ص ٨١ .

تقدم لآخاد الثورة بقيادة (اسبازيان) وعتدئذ اتحاد (اسبازيان) بناء
بلدة شكيم وأطلق عليها اسم « نابلس » وفى سنة ١٣٢م جدد القيصر
(اذريان) معبد (جوبيتر) فوق جبل جرزيم ليصرف الانظار عن هيكل
سليمان بعد تدميره .

ولما ظهرت الديانة النصرانية كذهب رسمى . سن القيصر
(تيودوروس) ، ومن بعده (جستنيان الاول) القوانين الصارمة ضد
السامريين . فاضطر عدد كبير منهم الى اعتناق الديانة الحاكمة فتحول
هيكل جوبيتر فوق الجرزيم الى كنيسة للعذراء سنة ٥٣٠ « (٦) ١.٥ .

ثانيا - نصوص الانجيل :

يقول يوحنا فى الاصحاح الرابع من انجيله : « فلما علم الرب
أن الفريسيين سمعوا أن يسوع يصير ويعمد تلاميذ أكثر من يوحنا (٧) .
مع أن يسوع نفسه لم يكن يعمد بل تلاميذه . ترك اليهودية ، ومضى
الى الجليل . وكان لابد له ان يجتاز السامرة . فأتى الى مدينة من السامرة
يقال لها سوخار بقرب الضيعة التى وهبها يعقوب ليوסף ابنه . وكانت
هناك بئر يعقوب . فاذ كان يسوع قد تعب من السفر جلس هكذا
على البئر . وكان نحو الساعة السادسة . فجاءت امرأة من السامرة
لتستقى ماء . فقال لها يسوع : اعطينى لاشرب . لأن تلاميذه كانوا قد
مضوا الى المدينة ليتاعوا طعاما . فقالت له المرأة السامرية : كيف تطلب
منى لتشرب ، وأنت يهودى . وأنا امرأة سامرية ؟ لأن اليهود لا يعاملون
السامريين .

(٦) ص ١٨٥ - ١٨٦ رحلة بنيامين .

(٧) يوحنا المعمدان - وهو غير يوحنا كاتب الانجيل .

أجاب يسوع وقال لها : لو كنت تعلمين عطية الله ومن هو الذي يقول لك : أعطني لأشرب لطيب أنت منه فأعطاك ماء حيا . قالت له المرأة : يا سيد لأدلك ، والبئر عميقة . فمن أين لك الماء الحي ؟ الهلاك أعظم من أبينا يعقوب الذي أعطانا البئر ؟ وشرب منها هو وينوم ومواسيه ؟ أجاب يسوع وقال لها : كل من يشرب من هذا الماء يعطش أبدا . ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش الى الابد . بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع الى حياة أبدية .

قالت له المرأة : يا سيد أعطني هذا الماء لكي لا اعطش ، ولا آتي الى هنا لاستقي . قال لها يسوع : اذهبي وادعي زوجك وتعالى الى هنا . أجابت المرأة وقالت : ليس لى زوج . قال لها يسوع : حسنا قلت ليس لى زوج . لانه كان لك خمسة أزواج ، والذي لك الآن ليس هو زوجك . هذا قلت بالصدق . قالت له المرأة : يا سيد أرى أنك نبي .

أبنا سجدوا فى هذا الجبل . وأنتم تقولون : ان فى اورشليم الموضع الذى ينبغى أن يسجد فيه .

قال لها يسوع : يا امرأة صدقيني انه تأتى ساعة . لا فى هذا الجبل ، ولا فى اورشليم تسجدون للآب . انتم تسجدون لما لستم تعلمون . أما نحن فنسجد لما نعلم . لان الخلاص هو من اليهود .

ولكن تأتى ساعة . وهى الآن . حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق . لان الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له . الله روح والذين يسجدون له فى الروح والحق ينبغى أن يسجدوا . قالت له المرأة : انا أعلم أن مسيا ، الذى يقال له المسيح يأتى . فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شيء . قال لها يسوع : أنا الذى أكلمك هو « يوحنا ٤ : ١ - ٢٦ »

وفى ترجمة الانجيل لصحى جموى ، ويوسف قوشباتجى . تفسير « السجود » بالعبادة هكذا : « قالت المرأة : سجدى لرى أنك نبي . قد

تعبد آباؤنا فى هذا الجبل . وانتم تقولون : ان اورشليم هى المكان الذى
فيه يجب التعمد . قال لها يسوع : صدقنى أيتها المرأة ستأتى ساعة
تعبدون فيها الآب . لا فى هذا الجبل ، ولا فى اورشليم . . . ستأتى ساعة .
بل أنت الآن . يعبد فيها العباد الصادقون الآب بالروح والحق . لان الآب
يريد مثل هؤلاء العباد . . . ان الله روح فيجب على العباد أن يعبدوه
بالروح والحق »

وفى ترجمة اليسوعيين فسروا «مسيا» : بما شيخ هكذا « ولكن تأتى
ساعة ، وهى الآن حاضرة اذ الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح
والحق . لان الآب انها يريد مثل هؤلاء الساجدين له . لان الله روح
والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا . قالت له
المرأة : قد علمت ان ماشيح الذى هو المسيح آت . فمتى جاء ذاك يخبرنا
بكل شىء » أ. هـ .

« الشرح والبيان »

١ — الرب فى هذا النص هو عيسى — عليه السلام — . ومعنى الرب
فى هذا النص « السيد » كما فى قوله « قال الرب لربى : اجلس عن
يمينى » وفى ترجمة اليسوعيين « قال الرب لسيدى » والمعنى : يقول
يوحنا كاتب الانجيل : ان عيسى لما سمع أن الفريسيين يضطهدونه ، ويريدون
قتله ، لانه يصير تلاميذ أكثر من التلاميذ الذين ضمهم اليه يوحنا المعمدان
وهو (يحيى عليه السلام) لما سمع بذلك ترك بلاد اليهودية ومضى الى
بلاد الجليل . لقد ترك اليهودية لانه علم انه معرض للاضطهاد فيها الى
الموت . وهكذا وصلت ثورة الفريسيين عليه .

٢ — ولما اجتاز السامرة أتى الى مدينة « سوخار » يقول الانبا
اثناسيوس عن هذه المدينة : « واسم المنطقة أصلا شكيم ، وفيها بئر
شرب منها يعقوب أبو الاسباط هو وبنوه فى طريق عودتهم من عند
(لابان) خاله ، وهناك قطعة أرض وهبها يعقوب ليوسف ابنه ، وهناك

دفن الشعب عظام يوسف التي حملوها معهم من مصر ، واسم شكيم الآن (نابلس)

ويحيط بها من الشمال جبل عيبال ، ومن الجنوب جبل جرزيم ، ويدعى جبل البركة ، وكان بئر يعقوب عند سفح هذا الجبل ، ويقال : انه الجبل الذى اختاره الرب لابراهيم لتقديم ذبيحة اسحق عليه ، وفى شكيم اقام يعقوب مذبحا «

ثم يقول الانبا اثناسيوس عن هيكل السامريين : « وفى أيام الاسكندر الاكبر كان لرئيس كهنة اليهود المدعو « يادوا » اخ اسمه « منسى » تزوج بابنة سنبلط أحد كبار السامريين ، فطرده الكهنة من الكهنوت . فقام سنبلط والسامريون وبنوا له هيكلًا على جبل جرزيم ، ازاد ارتباط السامريين بأرضهم دون أورشليم ، والى جبل جرزيم اشارت المرأة السامرية والرب يسوع فى حديثهما (يوحنا ٤ : ٢٠ و ٢١)

وتقول بعض التقاليد : ان المرأة كان اسمها : فوتينا (٨) «

وكلام الأنبا اثناسيوس ان لم يكن عن تجديد هيكل جرزيم بعد للرجوع من بابل لا تأسيسه . فكلامه باطل عند السامريين ، لان السامريين كما قلنا من قبل يقولون بوجود هيكل جرزيم من قبل السبى بكثير . ويشير الى وجهة نظرهم : أن كاتب سفر الملوك الاول اشار الى أن « يريعام » لما انفصل بالسامريين عن العبرانيين « عمل عجلى ذهب » ووضع واحدا فى « بيت ايل » ووضع الآخر فى « دان » لئلا يذهب السامريون « ليقربوا ذبائح فى بيت الرب فى اورشليم » (١ مل ١٢ : ٢٧)

٣ - ويقول متى هنرى فى تفسير « لان اليهود لا يعاملون السامريين »:

(٨) انظر تفسير متى هنرى ج ١ ص ٢٢٢ الى آخر تفسير الاصحاح الرابع . وانظر تفسير انجيل يوحنا للأنبا اثناسيوس ص ١٣٦ الى ص ١٤٠ .

كان السامريون أعداء اليهود العبرانيين ، أعداء يهوذا . وكانوا يؤذونهم في كل المناسبات . واليهود كانوا يحقدون بشدة على السامريين ، وكانوا — كما يقرر أحد علماء اليهود — « ينظرون اليهم كأنهم ليس لهم نصيب في القيامة وكانوا يحرمونهم ، وكانوا يلعنونهم باسم الله المقدس . وبالوصايا العشر المقدسة وبلعنة الحياة الحاضرة والمعتمدة . وعلى أساس هذه القاعدة : لا يأكل اسرائيلي شيئا من سامرى فذلك يعتبر كأنه أكل لحم خنزير »

٤ — ويفسر الانبا اثناسيوس « الماء الحي » تفسيراً مجازياً ، أى التعاليم التى يلقيها المسيح على المرأة فتنتفع بها الى الأبد . كما يقال « شرب العلم » أى سحبه فاستفاد منه . يقول : « قصد السيد بالماء الحي : ماء الحياة أو نعمته التى ينالها المؤمنون . أما المرأة فظنته يقصد ماء جارياً من نبع ، أو مجرى . لان اليهود كانوا يسمون ماء الآبار ماء « ميتا » وأما الماء الجارى فيسموه ماء « حيا » وهذا ما قصدته المرأة : بقولها : من أين لك الماء ؟ أما هو فقال لها : انه يقصد ماء روحيا من يشرب منه لا يعطش الى الأبد . وقد قال ذات الكلام للجموع : « اعملوا لا للطعام البائد ، بل للطعام الباقي أنا هو خبز الحياة . من يقبل الى فلا يجوع ومن يؤمن بى فلا يعطش أبدا » (يوحنا ٦ : ٣٥) و « من آمن بى كما قال الكتاب تجرى من بطنه انهار ماء حى » (يوحنا ٧ : ٣٨)

٥ — وأما عن انباء عيسى بالغيب . فانه أخبر المرأة بقوله : « قد كان لك خمسة أزواج ، والذى لك الآن ليس هو زوجك »

يقول متى هنرى فى ذلك : « لا شك فى ان المسيح لم يقصد أن يوبخها على محنتها ، أى على دفن خمسة أزواج ، بل على خطيتها . فهى اما أن تكون قد هربت من أزواجها وتزوجت بغيرهم . أو أنها بسيرتها الدنسة وخيانتها اضطرتهم أن يطلقونها ، أو أنها طلقتهم بطرق تتنافى مع الناموس »

« والذى لك الآن ليس هو زوجك » اما أنها لم تتزوج قط . أو أنه

كانت له كزوجة أخرى ، أو الأرجح أنه زوجها السابق ، أو أزواجها السابقين كانوا لا يزالون أحياء (٩) . وهكذا بالإيجاز كانت تعيش في الزنا « أ. هـ .

٦ — وقد ردت المرأة عليه على الفور باعترافها بنبوته ، لأنه كيف عرف ماضيها ؟ وهو من اليهود العبرانيين ، الذين قد انقطعت صلتهم بالسامريين . ولا يوجد بينهم وبين السامريين الا الشر . ولا شك أن في نظرها أنه شخص متصل بالسماء ولم تنكر صدق ما اتهمها به ، ولكنها بسكوتها اعترفت بعدالة التوبيخ ولم يحتدم غضبها ، كما يفعل الكثيرون عندما يمسون في نقطة حساسة . ولم تنسب توبيخه لها للكراهية العامة التي بها يفض اليهود : السامريين ، لكنها احتملت أن يقال لها : انها ارتكبت خطأ . وهذا أمر يندر أن يحصل ، ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد ، لكنها تعدته الى الحديث عنه بكل احترام . فلقد دعت سيديا « يا سيد » واعترفت بأنه « نبي » ورغبت في المزيد من التعلم منه .



ولقد عرضت المرأة على المسيح قضية تتعلق بالضيم بصدد مكان العبادة العامة وقد بسطت المرأة قضيتها على النحو الآتي :

أولا : فيما يختص بالسامريين : « آباؤنا سجدوا في هذا الجبل » بالقرب من هذه المدينة وهذه البئر .

(٩) يشير متى هنري في تفسيره الى هذا النص : « اذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها ، فان لم تجد نعمة في عينيه ، لانه وجد فيها عيب شيء وكتب لها كتاب طلاق ودفعه الى يدها وأطلقها من بيته ومتى خرجت من بيته ذهبت وصارت لرجل آخر . فان أبغضها الرجل الاخير وكتب لها كتاب طلاق ودفعه الى يدها وأطلقها من بيته أو اذا مات الرجل الاخير الذي اتخذها له زوجة . لا يندر زوجها الأول الذي طلقها أن يعود يأخذها لتصر له زوجة بعد أن تنجست . لأن ذلك رجس لدى الرب » (تثنية ٢٤ : ١ — ٤)

**ثانيا : فيما يتعلق بالعبرانيين « وانتم تقولون : ان فى اورشليم
الموضع الذى ينبرى أن يسجد فيه »** يقول متى هنرى : « كان السامريون
يسلكون بحسب أسفار موسى الخمسة . ويظن البعض : أنهم كانوا يعتقدون
بأنها هى وحدها الاسفار القانونية . لقد وجدوا فيها مواضع كثيرة عن
المكان الذى يختاره الله . لكن لم يحدد فيها اسم هذا المكان » (١٠) . ه



وقد اجاب عيسى — عليه السلام — عن هذه القضية المتعلقة بالضمير
هكذا :

اولا : انه استخف بالسؤال كما قدمته المرأة بصدد مكان العبادة . وقال لها:
يا امرأة ، آمنى باننى نبي ، وانتبهى الى ما أقول . أنتم تنظرون الساعة
التي فيها يحسم هذا الامر باعلان الى فتختار اورشليم او جبل جرزيم . أما
أنا فأقول لك : ان الساعة قد اقتربت ، الساعة التي لا يبقى فيها الأمر معلقا .
وذلك الموضوع الذى تعلمتم بأن تضعوا عليه أهمية كبرى سوف ينبذ ،
ولا تكون له أهمية مطلقا « تأتي ساعة لا فى هذا الجبل ، ولا فى اورشليم
تسجدون للأب »

ثانيا : وشدد على أمور أخرى فى موضوع العبادة الروحية . عندما
استخف بمكان العبادة ، لم يقصد أن يقلل من الاهتمام بالموضوع نفسه ،
الامر الذى من أجله انتهاز الفرصة لمبحثه بأكثر توسع .

أ — فمن جهة موضوع المناقشة : نجده — بحسب الظاهر من النص
— يهاجم السامريين ، ويثني على عبادة اليهود العبرانيين . يهاجم
السامريين بقوله : « تسجدون لما لستم تعلمون » أنه حق . أى أنهم

(١٠) انظر كيف يعترف النصارى بعدم تحديد موسى لقبلة .

اتخذوا قبلة بدون دليل شرعي من كتاب موسى . ويثنى على عبادة
العبرانيين كما هو الظاهر من قوله : « نحن نسجد لما نعلم » أى نمشي
على أساسات سليمة فى عبادتنا . وفى اعتقادي : أن ثناء على عبادة
العبرانيين ليس مقصودا بها جمهور الشعب ، وإنما وحده باعتبار أنه هو
المتحدث ، وتكلم بصيغة المعظم نفسه . والمعنى نحن نسجد لما نعلم أنه حق
بدليل شرعي من كتاب موسى . وفى كتابه أن كل مكان يصح مكانا للمسجود ،
وأن كل جهة تصلح قبلة .

وعبارة « لأن الخلاص هو من اليهود » : عبارة موضوعة للبس الحق
بالباطل ، ليدلل بها الكاتب على أن المسيح أثنى على عبادة العبرانيين وأن
عيسى نفسه هو النبي الذى وعده موسى وينتظره اليهود ليخلصهم وينقذهم .
من ذلك الأجناب الذين يأخذون موضعهم وأمتهم .

وهلينا على أنه للتحريف :

أولا : أن المسيح نفسه وبخ اليهود العبرانيين بسبب فساد عبادتهم .
فكيف يثنى عليهم فى عبادتهم هنا ؟

لقد قال ان اشعيا قال عنهم على لسان الله تعالى : « يتقرب
الى هذا الشعب بضمه ، ويكرمنى بشفتيه ، وأما قلبه فمبتعد عنى بعيدا .
وباطلا يعبدوننى . وهم يعلمون تعاليم هى وصايا الناس » (متى ١٥ .
٧ - ٩) وقال لعامة الشعب عن علماء العبرانيين : « اتركوهم . هم
عميان قادة عميان . وان كان أعمى يقود أعمى يستطآن كلاهما فى حفرة »
(متى ١٥ : ١٤)

وبهذا أشار المسيح ضمنا الى أن عبادة العبرانيين كانت عبادة طقسية
شكلية ، وكان العابدون بعيدين عن عمق العبادة الروحية .

ثانيا : ان المنقذ المخلص لا يمكن أن يكون من اليهود . سامريين كانوا
أو عبرانيين . لأن موسى بين أن لا نبي من بعده مماثلا له ، سيظهر من بنى

اسرائيل . وعيسى نفسه من بنى اسرائيل . فكيف يكون هو المنفذ المخلص ؟
أو كيف يكون غيره من بنى اسرائيل للانقاذ والمخلص ؟

كيف . وقد قال عيسى لبنى اسرائيل : « ان كثيرين سيأتون من المشرق
والمغرب وينكبون مع ابراهيم واسحق ويعقوب فى ملكوت السموات . وأما بنو
الملكوت فيطرحون الى الظلمة الخارجية » (متى ٨ : ١١ - ١٢) كما
سيأتى بيانه فى فصل ملكوت السموات .

**ب - ومن جهة العبادة الجديدة التى يرتضيها وهداها الله ويقبلها
ويسر بها « بالروح والحق » .**

فقد بين أن تغييرا سوف يحدث فى العبادة الجديدة فى وقت
الاصلاح ، بين أن العبادة ستحرر من الشكليات والمظاهر التى ابتدعها
الربانيون والأحبار الى فرائض روحية بهيئات الهية ليس فيها آصار ولا
أغلال .

وقد لاحظ معنى ذلك « بولس » فى الرسالة الى العبرانيين ، حيث
يقول :

ثم العهد الأول كان له أيضا فرائض خدمة ، والقدس العالمى
لانه نصب المسكن الأول الذى يقال له القدس . الذى كان فيه المنارة
والمائدة وخبز التقدمة . ووراء الحجاب الثانى : المسكن . الذى يقال
له قدس الاقداس فيه مبخرة من ذهب . وتابوت العهد مغشى من كل
جهة بالذهب . الذى فيه قسط من ذهب . فيه المن وعصا هرون التى
أمرخت ولوحا العهد ، وفوق كرويا المجد مظللين الفطاء . . . الخ «
(عب ٩ : ١ - ٥)

يعنى بولس بذلك : أن عبادة العهد الاول التى كانت مثقلة بالطقوس
والشكليات أصبحت منسوخة بهجىء عيسى الذى جعل العبادة روحية
قلبية خالية من الطقوس والشكليات .

أى أنه يقر بالنسخ ويعترف به . ثم يزعم أن الناسخ للتوراة هو الانجيل . مع أن الانجيل يحيل الى التوراة فى التشريعات والعقائد ، وليس فيه اضافات على ما تركه موسى عليه السلام .

وفى تفسير : « حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق . لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له » يقولون : أن هؤلاء الآتين فى المستقبل هم النصارى . ونحن نقول : انهم هم المسلمون . ودليلنا على ذلك :

أولا : ان شريعة موسى وضحت أنه لانى من بنى اسرائيل كموسى ، منه يسمعون وله يطيعون (١١) . وعلى ذلك فالمسيح ما كان ينبغى له أن يشرع مكانا أو جهة مخالفا بذلك شريعة موسى . كيف وقد قال هو نفسه لجموع اليهود : « لا تظنوا أنى جئت لانقض الناموس » (متى ٥ : ١٧) ؟

ثانيا : لو كان الله يريد أحد المكانيين مستقبلا لاخبر عيسى بذلك (١٢) ، وما كان ثمة ما يدعو عيسى الى أن يتنبأ بخراب اورشليم وهدم هيكل سليمان الذى هو قبلة العبرانيين . فقد قال فى آخر حياته على الأرض عن هيكل العبرانيين : « أنه لا يترك ههنا حجر على حجر لا ينقض » (متى ٢٤ : ٢) وكيف يتنبأ بهدمه ويلزم النصارى بالتوجه اليه ؟

(١١) قال تعالى « ولقد آتينا موسى الكتاب وتقينا من بعده بالرسل » (البقرة ٨٧) وفى تفسير القرطبى ما نصه : (قال العلماء : وهذه الآية مثل قوله تعالى « ثم أرسلنا قترى » وكل رسول بعد موسى مانها جاء باثبات التوراة والامر بلزومها) (ج ٢ ص ٢٣ - ٢٤) وفى تفسير الكشاف مثله . يقول ما نصه : « وأرسلنا على أثره الكثير من الرسل كقوله تعالى : « ثم أرسلنا رسلنا قترى » وهم يوشع وشمونيل وشمعون وداود وسليمان ... الخ » (ج ١ ص ٢٢٥)

(١٢) أحد المكانيين . أى جرزيم أو صهيون .

ثالثا : انه قال للغيرانيين بصراحة : « ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لامة تعمل اثماره » (متى ٢١ : ٤٣) . وعيسوع من العبرانيين هو واتباعه الاوائل ، ولمزم هو واياهم بناموس موسى . الى ان ينزع منهم الملكوت فكيف يكون المراد من الآتين مستقبلا امة النصرارى وهم طائفة من بنى اسرائيل ؟

ب - وهن جهة الاسباب التى من أجلها يجب أن يعبد الله : فقد بين عيسى عليه السلام : ان هؤلاء الآتين مستقبلا هم الذين يحسبون عابدين حقيقيين . وأن الله عز وجل هو الذى اختارهم « لأن الآب طائب مثل هؤلاء الساجدين له »

٧ - وكان الموضوع الاخير فى الحديث مع هذه المرأة هو عن « المسيا » .

لم يكن لديها ما تعترض به على ما قاله المسيح ، فلقد تقبلت منه هذا الحديث لكنها فى نفس الوقت ظنت أنه من الأفضل أن ترجىء تصديقه الى أن يأتى المسيا . ليخبر بنى اسرائيل بجهة العبادة . ولذلك قالت له : « أنا أعلم أن مسيا يأتى فمتى جاء يخبرنا بكل شيء » .

يقول متى هنرى : « من هو الذى كانت تنتظره ؟ « أنا أعلم أن مسيا يأتى » ؟ بالرغم من الاختلافات الكثيرة التى كانت بين اليهود والسامريين ، فقد اتفقوا على انتظار المسيا وملكوته . لقد قبل السامريون كتابات موسى ، ولم ينكروا الأنبياء ، ولا آمال الأمة اليهودية . كان أقلهم علما يعلم أن « مسيا » يأتى كان انتظاره عاما ، ولا يتنازع فيه » .

وما الذى كانت تتوقعه منه ؟ « يخبرنا بكل شيء » بتعلق بعبادة الله ، وكل شيء يلزمنا أن نعرفه ، يخبرنا بما يكمل نقصنا ، ويصحح أخطائنا ،

ويضع جدا لكل منازعاتنا . يخبرنا بفكر الله كاملا وواضحا ولا يخفى عنا شيئا . وهذا يتضمن اعترافا بتوقع السامريين للتغيير فى شريعة موسى ، وبكفاية المسيا لاجراء هذا التغيير . وإن التغيير لن يكون من أحد الا من المسيا نفسه . فمن هو المسيا ؟

« قال لها يسوع : أنا الذى أكلك هو » ويتمسك النصارى بهذا القول على أن عيسى هو « المسيا » وليس هو المسيا .

وهذه العبارة ان لم يكن قالها عيسى عليه السلام من باب النيابة عن الغير ، احتراماً وتقديراً وتوقيراً كما قال النبى — ﷺ — لسلمان الفارسى — رضى الله عنه — : « لئن كنت صدقتنى يا سلمان . فقد لقيت عيسى بن مريم » (١٣) ان لم تكن من باب النيابة عن الغير ، فانها تكون موضوعة للبس الحق بالباطل .

وهذا الحديث الذى أورده يوحنا عن هذه المرأة السامرية يبدو أنه حديث طويل قد أورده يوحنا موجزا كما قال متى هنرى فى تفسيره « المرجح أن الحديث تضمن كلاما أكثر جدا . مما هو مدون هنا » أو أورده كاملا . ومحرفو الانجيل قد حذفوا منه ووضعوا فيه للبس الحق بالباطل .

وقد أورده برنابا بتفصيل وايضاح هكذا :

« وبلغ يسوع باكرا صباح يوم بئرا كان قد صنعها يعقوب ووهبها ليوسف ابنه . ولما أعيا يسوع من السفر أرسل تلاميذه الى المدينة ليشتروا طعاما . فطس بجانب البئر على حجر البئر وإذا بامرأة من السامرة قد جاءت الى البئر لتستقي ماء . فقال يسوع للمرأة : اعطنى لاشرب .

(١٤) ص ٢٠٤ ج ١ السيرة النبوية لابن كثير طبعة القاهرة ١٩٦٤ م .

فتأجبت المرأة : الا تخجل وأنت عبرانى أن تطلب منى شربة ماء .
وأما امرأة سامرية ؟ أجاب يسوع . أيتها المرأة لو كنت تعلمين من يطلب
منك شربة ماء لطلبت أنت منه شربة . -أجابت المرأة : وكيف تعطينى
لاشرب ولا انا ولا حبل معك لتجذب به الماء والبنر عميقة ؟ أجاب يسوع :
أيتها المرأة من يشرب من ماء هذه البئر يعاوده العطش . أما من يشرب من
الماء الذى أعطيه فلا يعطش ابدا بل يعطى العطاش ليشربوا بحيث يصلون
الى الحياة الابدية . فقالت المرأة : يا سيد أعطني من مائك هذا . أجاب
يسوع : اذهبي وادعى زوجك واياكما أعطى لتشربا . قالت المرأة :
ليس لى زوج . أجاب يسوع : حسنا قلت الحق . لانه كان لك خمسة
ازواج . والذى معك الآن ليس هو زوجك .

فلما سمعت المرأة هذا اضطربت . وقلقت يا سيد أرى بهذا أنك
نبي . لذلك أضرع اليك أن تخبرنى (عما يأتى) : ان العبرانيين يصلون
على جبل صهيون فى الهيكل الذى بناه سليمان فى اورشليم . ويقولون
ان نعمة الله ورحمته توجد هناك لا فى موضع آخر . أما قومنا فانهم
يسجدون على هذه الجبال . ويقولون : ان السجود انها يجب أن يكون
على جبال السامرة فقط .

فمن هم المساجدون الحقيقيون ؟

حينئذ تنهد يسوع وبكى قائلا : ويل لك يا بلاد اليهودية لانك تفخرين
قائلة : هيكل الرب . هيكل الرب . وتعيش كأنه لا اله منغسة فى
اللذات ومكاسب العالم . فان هذه المرأة تحكم عليك بالجحيم فى يوم
المدين . لان هذه المرأة تطلب أن تعرف كيف تجد نعمة ورحمة عند الله .
ثم التفت الى المرأة وقال : أيتها المرأة انتم السامريون تسجدون
لما لا تعرفون . أما نحن العبرانيين نسجد لمن نعرف . الحق أقول لك :
ان الله روح وحق . ويجب أن يسجد له بالروح والحق . لان عهد الله

انها أخذ في اورشليم في هيكل سليمان لا في موضع آخر (١٤) . ولكن صدقتني
انه يأتي وقت يعطى الله فيه رحمته في مدينة أخرى ، ويمكن السجود
له في كل مكان بالحق . ويتقبل الله الصلاة الحقيقية في كل مكان
رحمته .

أجابت المرأة : اننا نتظر مسيا متى جاء يعلمنا . أجاب يسوع :
اتعلمين أيتها المرأة أن مسيا لا بد أن يأتي ؟ أجابت : نعم يا سيد . حينئذ
تهلل يسوع وقال : يلوح لى أيتها المرأة أنك مؤمنة . فاعلمى اذا أنه
بالايمان بمسيا سيخلص كل مختارى الله . اذا وجب أن تعرفى مجيء
مسيا . قالت المرأة : لعلك أنت مسيا أيها السيد ؟ أجاب يسوع : انى
حقا أرسلت الى بيت اسرائيل نبي خلاص . ولكن سيأتى بعدى مسيا ،
المرسل من الله لكل العالم . الذى لاجله خلق الله العالم . وحينئذ يسجد
لله فى كل العالم وتنال الرحمة . حتى أن سنة اليوبيل التى تجيء الآن
كل مئة سنة . سيجعلها مسيا كل سنة فى كل مكان . حينئذ تركت المرأة
جرتها ، وأسرعت الى المدينة لتخبر بكل ما سمعت من يسوع . . . الخ «
(٨٢/٨١) .

والفرق بين حديث برنابا ويوحنا بسيط للغاية كما هو ظاهر .
فبرنابا وضح أن المسيا سيأتى بعد عيسى — عليه السلام — وأن الله سيقبل
الأعمال من الناس فى كل مكان . غير أن اتجاههم الرئيسى فى صلواتهم
وحجبتهم سيكون الى مكان معين ومحدد « فى مدينة أخرى »

وقد شهد باختيار داود — عليه السلام — اورشليم لبناء
الهيكل . للهم شهل بنى اسرائيل ، وبين أن عهدا تم بين الله وبين سليمان
— عليه السلام — بعد بناء هيكل اورشليم . — وقد سبق أن أشرنا اليه —

(١٤) يشير الى عهد الله لسليمان . وقد سبق ذكره فى هذا الفصل .

ثم قال المسيح : « ولكن صدقيني انه يأتي وقت يعطى الله فيه رحمته
فى مدينة اخرى » فما هى هذه المدينة الأخرى ؟

نقول : انها مكة المكرمة . لان النبى الآتى سيكون من بنى اسماعيل
الذى له بركة — وسكنى اسماعيل كانت فى « مكة » وقد رفع قواعد
المكعبة مع أبىه ابراهيم — عليهما السلام — وهى أول بيت وضع
للناس ، ولان أشعياء تحدث عن مكة تلميحاً لا تصريحاً فى قوله : « ترنمى
أيتها المعاصر التى لم تلد ... الخ » كما سبق بيانه . ولأن الله لو كان يريد
جزيم أو اورشليم . لما قال عيسى عليه السلام : « لا فى هذا الجبل ، ولا فى
اورشليم تسجدون للأب »

... ..

والنصارى اليوم ثلاث فرق . الارثوذكس نصارى الشرق الذين كانوا
يسمون قديماً باليعاقبة والكاثوليك نصارى الغرب الذين كانوا يسمون
فديها بالمكائنة ، والبروتستنت وهم طائفة من نصارى المغرب ، انشقوا
عن الكاثوليك فى كل شىء ما عدا اعتقادهم فى ذات الله تعالى (١٥) .
وقد رجع البروتستانت الى القبله الحقيقية التى نصت عليها التوراة ،
وهى : كل مكان يصح للعبادة ، وكل جهة تصلح لمخاطبة الله . يقول
متى هنرى : « يعلمنا عقلنا أن تكون أمكنة العبادة أنيقة ومريحة . أما
ديانتنا فانها لا تفضل مكانا عن آخر من ناحية قداسته ، أو رضا الله عنه .
والذين يفضلون أية عبادة من أجل المكان الذى تؤدي فيه فقط ، حتى وان
كان فى غاية الفخامة ، ومكرسا تكريسا حارا . كما كان الحال مع
هيكل سليمان . فانهم ينسبون أنه قد أتت الساعة التى فيها لا يميز الله
هذا المكان عن ذلك ، ولا يفرق حتى بين اورشليم التى اشتهرت جدا

(١٥) راجع الشهرستانى فى حديثه عن النصارى ، وسنقارن عقائد
الفرق القديمة بمقائم هذه الايام فى كتابنا « أقانيم النصارى »

يفداسستها . وبين جبل المساهرة الذي عرف بنجاسته » (١٦)

أما الارثوذكس والكاثوليك فيقولون بتحديد الجهة نحو هيكل سليمان بأورشليم لانهم يقدسون التوراة التي تسلموها من العبرانيين لا من السامريين . وفيها . فى سفر الملوك الاول : أن سليمان قال لله عز وجل : « فكل صلاة ، وكل تضرع تكون من أى انسان كان ، من كل شعبي اسرائيل ، الذين يعرفون كل واحد . ضربة قلبه . فيسقط يديه نحو هذا البيت ، فاسمع أنت من السماء مكان سكناك ، واغفر » (الملوك الاول ٨ : ٣٩)

وفى سفر دانيال : « فلما علم دانيال بامضاء الكتلية ذهب الى بيته . وكواه مفتوحة فى عليته نحو اورشليم ، فجنأ على ركبتيه ثلاث مرات فى اليوم ، وصلى وحمد قدام الهه ، كما كان يفعل قبل ذلك » (دانيال ١٠ . ١٦)

...

...

...

ولقد وضع مما تقدم أن موسى — عليه السلام — قال : لله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله . وأن بنى اسرائيل أرادوا جعل القبلة فى أرض ملكهم ، فى أرض سبط من الاسباط . ثم اختلفوا . وجاء من بعدهم النصرارى فاختلفوا أيضا « وما بعضهم بتابع قبلة بعض »

وبعد هذا الايضاح نسال انفسنا عن السبب الذى حدا بهم الى أن بختلفوا هذا الاختلاف الكبير ؟ انه حسبما ورد فى التوراة يمكن أن يؤدى الكلام الآتى الى النتيجة التالية :

أولا : أول بيت وضع للفاس — وهو الكعبة — كان فى أرض المغرب . وقد بناه نوح عليه السلام بعد الطوفان (تكوين ٨ : ٢٠)

(١٦) ص ٢٥٣ تفسير يوحنا بنى مغرى ج ١ .

غلتيا : جدد إبراهيم عليه السلام هذا البيت .

ثالثا : أخذ إبراهيم ابنه البكر الوحيد وانطلق ليسجد معه فى هذا البيت العتيق وأن يذبحه قربانا ﴿ ١١٧ ﴾

رابعا : قال لإبراهيم ان الامم ستقبارك فى نسلك . وقد كان له ولدان فى ذريتهما النبوة والكتاب — هما اسماعيل واسحق — والبركة حاصلة بالتساوى بين اسماعيل واسحق — عليهما السلام — وقد أسكن إبراهيم اسماعيل ولده فى أرض العرب . فليس ببعيد عقلا ، ولا شرطا — وهذه هى النتيجة — أن ينطق النبى الآتى من بنى اسماعيل — عن أمر الله

(١٧) فى الإصحاح الثانى وللعشرين من سفر التكوين : وحدث بعد هذه الامور أن الله امتحن إبراهيم . فقال له : يا إبراهيم . فقتل : هانذا . فقال : **خذ ابنك وحيدك الذى تحبه اسحق ، واذهب الى أرض المريا ، وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذى تقول لك . فبكر إبراهيم صباحا ، وشد على حماره ، وأخذ اثنين من غلماناه معه ، واسحق ابنه وشقق حطبا لمحرقة وقام وذهب الى الموضع الذى قال له الله . وفى اليوم الثالث رفع عينيه وأبصر الموضع من بعيد . فقال إبراهيم لغلاييه : اجلسا أنتما ههنا مع الحمار . واما أنا والغلام فنذهب الى هناك ونسجد ، ثم نرجع اليكما » . وفى أى مكان سيذهب إبراهيم ليسجد ؟ ان معنى السجود هو التوجه الى الله بالعبادة فى مكان معين ومعروف . فما هو هذا المكان ؟ هل هو جبل جرزيم فى نابلس كما يزعم اليهود السامريون . أم هو جبل صهيون فى اورشليم كما يزعم اليهود الصبرانيون ؟ أين ذهب إبراهيم ليسجد ؟ ان ذهاب إبراهيم الى مكان معد للسجود ، يدل على أنه معروف للغلامين من قبل ، ومعروف للناس أيضا . ولا يمكن أن يكون هذا المكان غير « مكة المكرمة » لأن إبراهيم لم يضع مكانا للسجود فى نابلس أو اورشليم . وانما صار مكان فى نابلس وصار مكان فى اورشليم من بعد داود عليه السلام ، أى بعد ألف سنة تقريبا من ولادة إبراهيم عليه السلام . ولأن المكان معروف من قبل ذهاب إبراهيم اليه ، ولأن النص تحريف فى وضع اسحق بجانب الابن الوحيد وفى وضع « مريا » بدل مكة المكرمة ، ومريا لم تكن قبلة فى ذلك الزمان . فلان المكان المعد للسجود هو مكة المكرمة .**

تعالى — بأن القبله فى أرضه . ولا يعترض أهل الكتاب على نطقه لانها مقدسه من زمن الآباء . مقدسه من الأزمان القديمه الأولى .

والسفينة التى نجا بها نوح ومن آمن معه ، قد استقرت بعد غرق الكافرين على جبل الجودى فى مكة المكرمة . وبعد استقرارها بنى نوح عليه السلام الكعبة المعظمه . وعبرت عنها التوراة بمذبح الرب . وبينان ذلك :

١ — تقول التوراة العبرانية أن سفينة نوح عليه السلام استوت على جبل أراط وتقول التوراة السامرية : انها استوت على جبل سرنديب . وسرنديب جبل فى « سيلان » فى التوراة العبرانية (٤) : « واستقر الفلك فى الشهر السابع عشر من الشهر . على جبل أراط (٥) وكانت المياه تنقص نقصا متواليا الى الشهر العاشر . وفى العاشر فى أول الشهر ظهرت رؤوس الجبال » (تكوين ٨ : ٤ — ٥) فالآية الرابعة : تثبت أن سفينة نوح — عليه السلام — استقرت فى الشهر السابع على جبل أراط . والآية الخامسة : تثبت أن ظهور الجبال كان فى الشهر العاشر . فاذا كان ظهور رؤوس الجبال فى العاشر ، فكيف استقرت فى الشهر السابع والرؤوس لم تظهر بعد ؟

والقرآن ينص على أن السفينة استوت على الجودى فى قوله تعالى : « واستوت على الجودى » (هود ١٤) وليس على جبال أراط . وهذا هو الحق . ويذل عليه ثلاثة أمور :

الأمر الأول : شك المفسرين من أهل الكتاب فى أنه أراط .

والأمر الثانى : أن الناس بعد نوح ارتحلوا شرقا « وحدث فى ارتحالهم شرقا أنهم وجدوا بقعة فى أرض شتعار ، وسكنوا هناك » (تكوين ١١ : ٢) وأرض شتعار هى كل أرض بلاد فارس ما بين دجلة

والفرات (١٨) فلو كانت السفينة فى أرازاط ، لكانت شنعار فى الغرب .
لأن أرازاط فى بلاد أرمينية .

والامر الثالث : اختلاف التوراة العبرانية والسامرية فى اسم
الجبل الذى رست عليه السفينة .

يقول المفسرون فى (التكوين ٨ : ٤) ما نصه : « أرازاط : قال
بعضهم فى الآية الثانية من الاصحاح الحادى عشر : ان اولاد نوح سافروا
شرقا الى شنغار . وترجمه بعضهم : « من الشرق » وعلى هذا لا يكون
« أرازاط » هو جبل أرازاط المعروف فى أرمينية . والكلمة الاششورية
تعنى أرضا ذات تلال أو نجدا . فيصح أن يكون أرازاط نجدا من الانجاد »
ويقول المفسرون فى (التكوين ١١ : ٢) ما نصه : « وجاء فى النبأ
الكلدانى : أن السفينة استقرت على جبل (نيزيز) أو (نيزير) أو (الوند)
شرقى أشور . ومع أن أرازاط يمكن أن يكون أريو يرات . أى أرض
مقدسة . يصعب بيان نقل اسم الوند الى أرمينية بل يتعذر » (١٩)

وقولهم « يمكن أن يكون أريو يرات . أى أرض مقدسة » يدل على
أن السفينة استوت على مكان مقدس ، وليس من مكان مقدس الا فى أرض
العرب بنى اسماعيل . فان فيها المكان المقدس . وهو « الكعبة المكرمة » ولو
كانت الأرض المقدسة بلاد الشام لهلل أهل الكتاب وكبروا . وهم لم يقولوا
بذلك لأن أرض شنغار ليست الى الشرق من بلادهم .

٢ — وقد ذكر القرآن : « ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة منازكا
وهدى للعالمين » (آل عمران ٩٦) وذكرت التوراة : أن نوحا بعد استقرار
السفينة على الأرض : « بنى نوح مذبحا للرب . واخذ من كل البهائم
الطاهرة . ومن كل الطيور الطاهرة وأصعد محرقات على المذبح »

(١٨) ص ١٠٣ السنن القويم فى تفسير أسفار العهد القديم .

(١٩) ص ٨٢ و ١٠٣ السنن القويم .

(تكوين ٨ : ٢٠) فلعلنا لا يكون بناء فوج هو أول بيت وضع للناس
ويكون استقرار السفينة في أرض العرب ؟ ويكون فوج مؤسسا . وإبراهيم
جددا ؟

وبناء المذبح في لغة التوراة يعني بقاء مكان لعبادة الله . وعلى
سبيل المثال : فان إبراهيم — عليه السلام — وهو في أرض فلسطين « بنى هناك
مذبحا للرب » (تك ١٢ : ٧) ولم يقتصر على الجبل فقط ، بل دعا الناس إلى عبادة
الله تعالى « فبنى هناك مذبحه للرب . ودعا باسم الرب » (تكوين
١٢ : ٨) وتعيد التوراة هذا القول مرة ثالثة بعد رجوع إبراهيم من مصر
إلى أرض فلسطين « إلى مكان المذبح الذي عمله هناك أولا . ودعا هناك
إبراهيم باسم الرب » (التكوين ١٣ : ٤)

٣ — وقد اعترف عيسى — عليه السلام — بنزع القبلة من جريزم
وأورشليم إلى مدينة أخرى . ولكنه لم يحدد اسم تلك المدينة .

فانه لما سأله المرأة السامرية ذلك السؤال وهو : « ان العبرانيين
يصلون على جبل صهيون في الهيكل الذي بناه سليمان في اورشليم .
ويقولون : ان نعمة الله ورحمته توجد هناك لا في موضع آخر . اما
توطنا فانهم يسجدون على هذه الجبال . ويقولون : ان السجود انما
يجب ان يكون على جبال السامرة فقط . فمن هم الساجدون الحقيقيون ؟ »
(برنابا ٨١ : ١٩ — ٢٠) . اجاب بقوله « صدقيني انه يأتي وقت يعطى
الله فيه رحمته في مدينة أخرى (٢٠) . ويمكن السجود له في كل مكان

(٢٠) اعترف عيسى عليه السلام بتحديد القبلة في مدينة أخرى في
المستقبل . وكان النبي ﷺ يتجه جهة الشام . ولا ندري اكان يتجه إلى
قبلة السامريين أم إلى قبلة العبرانيين قبل أن يأمره الله بالتوجه إلى الكعبة .
واتجاهه إلى قبلتهما ليس عليه نص في القرآن . وانما اتبع فيه مذهب
المسموع عن بنى اسرائيل — استحسانا — ومن المحتمل أنه كان يصلى إلى
أى جهة . وكان يقلب وجهه في السماء أن ينزل النص عليه بقبلة يرضاها .
منزل النص بجهة الكعبة .

بالحق . ويقبل الله الصلاة الحقيقية فى كل مكان رحمته « (برنابا
٨٢ : ٨)

وقد فسر نبى الاسلام — ﷺ — هذه المدينة الاخرى بمكة المكرمة .
— عن امر الله تعالى — وأمر أتباعه أن يتجهوا اليها فى صلواتهم فى
أى مكان كانوا . وأن يحجوا اليها مرة فى العمر ان استطاعوا الى الحج
سبيلا .

وان اختيار مكة المكرمة للمقبله لهو اختيار مناسب تماما . والحكمة
الالهية فيه واضحة للناس . وهذا الاختيار فى نظرنا مناسب للاسباب
الآتية :

أولا : ان الناس من سلاله المؤمنين الذين آمنوا برسالة نوح
— عليه السلام — وكان موضع استقرار آبائهم الاوائل هو مكة .
فهم بذلك يتذكرون آباءهم الذين آمنوا ، فيشكرون الله على أن هداهم
للايمان .

ثانيا : ان الله اصطفى من ذرية نوح : آل ابراهيم . وكان ابراهيم
صاحب فضل على الناس بنبذه عبادة الاصنام ، ودعائه الى عبادة
الله وحده لا شريك له ، وسماعه لكلام الله . فقد رضى بذبح ابنه البكر
قربانا لله . فى أرض مكة . ووجد مع ابنه الذى كان سيذبح ، بناء
نوح — عليه السلام — ولايمانه وعمله اراد الله أن يجعل فى ذريته
النبوة والكتاب ، وأن يكون من نسله هداة للأمم . فالناس باتجاههم
الى مكة يتذكرون الاخلاص الحقيقى من ابراهيم لله ، فيقتدون به .

ثالثا : لا يحق لاهل الكتاب من اليهود والنصارى كافة أن يتذمروا
على قبلة مكة . فانها قبلة ابيهم ابراهيم من قبل أن تكون قبلة نبى
الاسلام — ﷺ — وكانت قبلة نوح — عليه السلام — من قبل أن تكون
قبلة ابراهيم — عليه السلام — .

1. Il sistema di coordinate geografiche
A. 1.1.1

1. Il sistema di coordinate geografiche
A. 1.1.1

1. Il sistema di coordinate geografiche
A. 1.1.1

1. Il sistema di coordinate geografiche
A. 1.1.1

1. Il sistema di coordinate geografiche
A. 1.1.1

1. Il sistema di coordinate geografiche
A. 1.1.1

1. Il sistema di coordinate geografiche
A. 1.1.1

1. Il sistema di coordinate geografiche
A. 1.1.1

1. Il sistema di coordinate geografiche
A. 1.1.1

1. Il sistema di coordinate geografiche
A. 1.1.1

الفصل السادس

فى

المسيا المنتظر

تمهيد :

ذكرنا من نصوص نبوءات التوراة عن محمد ﷺ — ما يلى :

١ — قال الله — عز وجل — لابراهيم — عليه السلام — عن اسماعيل — عليه السلام — : « وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه . وأثمه وأكثره كثيرا جدا . اثني عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة » (تكوين ١٧ : ٢٠) .

٢ — قال يعقوب — عليه السلام — : « لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه ، حتى ياتي شيلون . وله يكوع خضوع شعوب » (تكوين ٤٩ : ١٠)

(١) كل نبوءة فى التوراة وأسفار الانبياء عن النبى محمد ﷺ هى تدل على المسيا المنتظر فى نظر أهل الكتاب . ولما تحقق اليهود من كلام يحيى وعيسى أن المسيا هو محمد ﷺ تظاهر فريق منهم بالنصرانية ، وقالوا : أن المسيا هو عيسى عليه السلام . وقالوا : أن نصوص نبوءات الاناجيل التى ذكرها عيسى ويحيى ليست هى عن غيرهما ، بل هى لعيسى فى مجيئه الثانى لتأسيس ملكوته . وسنحاول فى كلامنا عن نبى الاسلام فى الانجيل أن نذكر كلام النصارى بنصه فى كل نبوءة ، وسنحاول أن نبرز كلامهم عن المسيا بالذات فى كل نبوءة — كما أبرزنا كلامهم فى حديث المرأة السامرية — ليعلم منه أن المسيا نبى واحد معلوم للكل . وأنه ما أتى قبل المعبدان ولا قبل يسوع . وأنه هو محمد رسول الله ﷺ .

٣ — قال موسى — عليه السلام — : « يقيم لك الرب الهك نبيا . من وسطك من اخوتك . مثلى . له تسمعون . حسب كل ما طلبت من الرب انهك في حوريب يوم الاجتماع قائلا : لا أعود أسمع صوت الرب الهى ولا أرى هذه النار العظيمة أيضا لئلا أموت . قال لى الرب : قد احسنوا فى ما تكلموا اقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم . مثلك . واجعل كلامى فى فيه . فيكلمهم بكل ما أوصيه به .

ويكون أن الانسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا اطالبه . وأما النبى الذى يطغى فيتكلم باسمى كلاما لم أوصه أن يتكلم به ، أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبى . وان قلت فى قلبك : كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب ؟ فما تكلم به النبى باسم الرب ولم يحدث ولم يصر . فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبى . فلا تخف منه » (تثنية ١٨ : ١٥ — ٢٢)

٤ — « وهذه هى البركة التى بارك بها موسى ، رسول الله ، بنى اسرائيل قبل موته . فقال : جاء الله من طور سيناء ويشرق لنا من ساعير ، وامسقلن من جبل فاران ، ومعه ربنا بنو اظهار الملائكة عن يمينه ، موهب لهم وأحبهم ورحم شعبهم ، وباركهم وبارك على اظهاره ، وهم يدركون آثار رجلك ، ويقبلون من كلمتك . أسلم لنا موسى بئنه ، وأعطاهم ميراثا لجماعة يعقوب ... » (تثنية ٣٣ : ١ — ٤)

...

...

...

تلك النصوص التى ذكرناها . قد ذكرها كثيرون من علماء المسلمين الذين كتبوا من قبلى فى علم مقارنة الأديان ، ليبينوا أنها تشير الى نبى الاسلام ﷺ كما بين كثيرون من علماء بنى اسرائيل الذين أسلموا . ومن هؤلاء وهؤلاء العلامة شموئيل بن يهوذا فى كتابه « بذل الجهود فى افهام اليهود » والامام فخر الدين الرازى فى تفسيره لمسورة البقرة ، فى الآية الاربعين ، والامام أبو الحسن البصرى الماوردى فى كتابه « اعلام النبوة »

والامام ابن تيمية فى كتابه « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح »
والامام ابن قيم الجوزية فى كتابه « هداية الحيارى فى اجوبة اليهود
والنصارى » والامام القرطبى فى كتابه « الاعلام بما فى دين النصارى
من الفساده والاوهام » واطهار محاسن دين الاسلام ، واثبات نبوة نبينا
محمد عليه الصلاة والسلام « والامام رحمت الله الهندى فى كتابه
« اظهار الحق » والامام عبد الرحمن الجزيرى فى كتابه « أدلة اليقين »
والامام القزافى فى كتابه « الاجوبة الفاخرة فى الرد على الاسئلة الفاجرة ،
من الملة الكافرة » والشيخ نعمان الآلوسى مؤلف « الجواب المنسجج فى
ما لفقه عبد المسيح » والاستاذ عبد الرحمن بن سليم البغدادى فى كتابه
« الفارق بين المخلوق والخالق » وكثيرون غيرهم يطول المقام بذكرهم .

وتلك النصوص التى ذكرناها وذكرها هؤلاء العلماء هى التى تدل
على « المسيا المنتظر » فى نظر اليهود والنصارى .

فان اليهود يقولون : اننا فى انتظار المسيا الذى نصت عليه
التوراة . والى هذا اليوم لم يأت . والدليل على انتظارنا له : هو قول
موسى : « يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك من اخوتك مثلى له
تسمعون ... الخ »

ويقول النصارى : ان المسيا الذى ينتظره اليهود . والذى يستدلون
على مجيئه بقول موسى : « يقيم لك الرب الهك نبيا ... الخ » قد جاء .
وانه لهو المسيح عيسى بن مريم

ونقول نحن المسلمين : ان نصوص النبوءات التى استدل بها اليهود
والنصارى على مجيء المسيا — الذى تفسره المسيح — تدل كلها على
محمد رسول الله — ﷺ — وبناء على ذلك : يكون هو المسيا المنتظر .

والدليل على أن نصوص نبوءات الأسفار الخمسة التى تدل على محمد

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هي التي يستدل بها اليهود والنصارى على المسيا المنتظر ما يلي :

١ - في تفسير الكتاب المقدس (٢) يقول المفسرون في قول يعقوب عليه السلام - : « لا يزول قضيب من يهوذا ، ومشترع من بين رجله ، حتى يأتى شيلون » يقولون ما نصه : « حتى يأتى شيلون : هذه عبارة صعبة . لكى يبدو أن أفضل تفسير : هو ذاك الذى يعتبرها نوعا من الحديث عن المسيا ، اذا تحرك الحرف الساكن ، وهذا أمر مسجوح به فى اللغة العبرية . فان الكلمة يمكن أن تترجم : « الذى له » وهذا له صلة واضحة مع ما ذكر فى حزقيال ٢١ : ٢٧ » ا . هـ

وعبارة حزقيال هكذا : « وأنت أيها النجس الشرير رئيس اسرائيل الذى قد جاء يومه فى زمان اثم النهاية . هكذا قال السيد الرب : انزع العمامة ارفع التاج . هذه لا تلك . ارفع الوضيع ، وضع الرفيع . منقلبا . منقلبا منقلبا اجعله . هذا أيضا لا يكون حتى يأتى الذى له الحكم قاطيه اياه » (حزقيال ٢١ : ٢٥ - ٢٧) فقد صرح بنزع الشريعة - المعبر عنها بالعمامة - من بنى اسرائيل ، على يد نبي من غيرهم ، وهذا الغير هو المعبر عنه بشيلون أو الذى له الحكم . وشيلون أو الذى له الحكم هو **المسيا** .

٢ - وفى تفسير الكتاب المقدس . يقولون فى قول موسى : « يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك من اخوتك مثلى له تسمعون ... الخ » يقولون ما نصه : « النبى الآتى » (تثنية ١٨ : ١٥ - ٢٢) **يعلم موسى اعلانا نبويا مسيانيا عن النبى الذى سيأتى ،**

(٢) الكتاب المقدس - الطبعة الثانية سنة ١٩٧٠ دار منشورات النفير - بيروت . وانظر أيضا كتاب يسوع المسيح فى ناسوته والوهيته للدكتور هانى رزق . والمسيح فى جميع الكتب ليهودجكن . وتفسير انجيل يوحنا للأبنا أثناسيوس .

الذي سيخلفه في وظيفته كنبى . أ. ه فقد بينوا : أن النبى الآتى من بعد موسى — عليه السلام — هو المسيا .

٣ — وفي تفسير الكتاب المقدس . يقول المفسرون فى قول التوراة : وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله بنى اسرائيل قبل موته . . الخ « يقولون ما نصه : « فى يدك : الانتقال الى ضمير المخاطب ، جعل البعض يعتقدون أن هذه نبوة عن المسيا الآتى »

والمسيا : لقب يطلقه بنو اسرائيل على أى نبى أو عالم أو ملك من جنسهم ، أو من غير جنسهم .

دلالة على أنه مصطفى من الله للنبوة أو للعلم أو للملك .
وأصل المسيا (٣) فى اللغة العبرانية : « هاماشيح » وفى اللغة الآرامية (السريانية) : « ماشيح » وفى اللغة اليونانية « مسيح » وفى بعض اللغات التى لا يوجد فيها حرف الحاء ، نطقوا كلمة « مسيح » : « مسيا » وشاعت « مسيا » فى اللغة العربية عن اللغات التى لا يوجد فيها حرف الحاء وفسرت بالمسيح فى انجيل يوحنا ١ — « مسيا الذى تفسره : المسيح » (يو ١ : ٤) ترجمة البروتستانت) وترجمة اليسوعيين :

(٣) فى دائرة المعارف اليهودية بالانجليزية ما ترجمته الحرفية هكذا تحت كلمة مسيا :

« المسيا بالعبرانية « هامشياه » وبالآرامية « مشيحا » = المسوح + والمسيا : هو اسم أو لقب للملك المثالى للعصر المسيانى ، وتستخدم أيضا بدون الأداة « ها » = ال . على أنه اسم علم . وهو « مشيحا » فى التلمود البابلى وفى التراث الدرأشى ، تماما مثل « المسيح » . وهى تساوى « كريستوس » فى اللغة اليونانية وفى الأنجيل . والكلمة التى اتخذت السبغة اليونانية فى العهد الجديد — وهو الانجيل — هى ميسيانس

٧١١

« ماشيح الذى تأويله المسيح » ب — « قالت له المرأة : أنا أعلم أن
مسيا الذى يقال له المسيح يأتى » (يو ٤ : ٢٥)

وأصل الكلمة على الحقيقة : من المسح بدهن مقدس ، أو صب
زيت على رأس . ثم أصبحت على المجاز : تعنى المعين من الله ولو لم
يمسح . ففى الأسفار الخمسة : « وكلم الرب موسى قائلا : وأنت تأخذ
لك أفخر الاطياب مرا قاطرا خمس مئة شاقل ، وقرفة عطرة ، نصف
ذلك مئتين وخمسين ، وقصب الذريرة مئتين وخمسين ، وسليخة خمس
مئة بشاقل القدس . ومن زيت الزيتون هينا ، وتصنعه دهنا مقدسا
للمسحة :.. الخ » (خر ٣٠ : ٢٢ — ٢٣)

وقد مسح موسى هارون أخيه ، وبنى هارون أخيه . فقد قال الله
لموسى : « وتقدم هرون وبنيه الى باب خيمة الاجتماع وتغسلهم بماء
وتلبس هرون الثياب المقدسة وتمسحه وتقدسه ليكون لى . وتقدم بنيه
وتلبسهم أقمصة ، وتمسحهم كما مسحت أباهم ، ليكونوا لى . ويكون
ذلك لتصر لهم مسحتهم كهنوتا أبديا فى أجيالهم » وتبين التوراة أنه

فى انجيل يوحنا ٤ : ٤١ و ٤ : ٢٥ وهى نقل للحروف فى
صيفتها الآرامية : باعتبارها اللغة المنطوقة فى « فلسطين » فى زمن
« يسوع » واستعملت « مسيا » مرتبطة بها الأداة ، أو بدون اضافة .
ومع هذا ليست كلمة « مسيا » تعبيرا من تعبيرات العهد القديم ،
لكنه يرد للمرة الأولى فى الأدب الرؤيوى . وفى كل الاحتمالات فان
استخدام الكلمة « مשיها » لتشير الى الملك المسيحى ، لا تظهر فى وقت
مبكر عن الأدب الرؤيوى . وفى العهد القديم فان الاستخدام المبكر للكلمة ،
كان مع يهوه أى مرتبطا بيهوه — الذى هو الله — كلقب يعنى
مسيا الله ، الذى يحكم ويسلط بأمره (ا صم ٢ : ١٠ و ١٠ : ٣٥ — ١٢ : ٣
و ٥ — ١٦ : ٦ — ٢٦ : ٩ و ١١ و ١٦ و ٢٣ — ٢ صم ١ : ١٤ و ١٦ —
١٩ : ٤١ — ٢ : ٤٢ — مز ١٨ : ٥٠ — مز ٢٠ : ٦ — مز ١٣٢ :
١٧) .

« فعل موسى بحسب كل ما أمره الرب . هكذا فعل » (خر . ٤ : ١٢ —
— ١٦)

وتبين التوراة : أن الكاهن الاعظم الذى يكون من ذرية هرون —
عليه السلام — كان اذا استخلف من بعده كاهنا أو ولى مليكا : يقوم بمسح
الكاهن المستخلف أو الملك المولى بالدهن المقدس . فصموئيل النبى قد
أوحى الله اليه : « غدا فى مثل الآن أرسل اليك رجلا من أرض بنيامين
فامسحه رئيسا لشعبى اسرائيل » (١ صم ٩ : ١٦) وجاء شاول
(طالبوت) غدا وقابل صموئيل « فأخذ صموئيل قنينة الدهن ، وصب
على رأسه ، وقبله . وقال : اليس لان الرب قد مسحك على ميراثه
رئيسا » ؟

وكان اليهود يطلقون لقب « المسيح » على الملوك والانبياء والعلماء
من بنى اسرائيل وغيرهم . فقد أطلقوه على « كوروش » ملك فارس
باعتباره ملكا ، ففي سفر اشعيا : « هكذا يقول الرب لمسيحه لكوروش
الذى أمسكت بيمينه لادوس أمامه . أما » (اشعيا ٤٥ : ١)

وقد أطلقوه على « أرسطو بولس » باعتباره عالما . ففي سفر
المكابيين الثانى يرسل يهوذا المكابى خطابا « الى أرسطو بولس مؤدب
بطلماوس الملك . الذى من ذرية الكهنة المسحاء » (٢ مك ١ : ١٠)
وقد أطلقوه على النبى المنتظر الآتى من ذرية اسماعيل — عليه السلام —
الذى قال عنه موسى عليه السلام : « يقيم لك الرب الهك نبيا ... الخ)
كما ذكرنا .

ولما رجع بنو اسرائيل من بابل — وقد وضعوا نبوءات التوراة عن

النبى الأمى على صيغ تحتفل أن تدل على أنه سيكون من اسماعيل أو أنه سيكون من اسرائيل ، وزعموا أنه سيكون من اسرائيل — اختلفوا فيما بينهم حول المسبط الذى سيظهر منه هذا النبى ، الذى لقبوه بلقب « مسيا » لايهام الناس أنه سيظهر فيهم ليحررهم من ذل الأجانب — ان لم يكن تلقيهم اياه بلقب المسيا ، هو على حسب النصوص التى عندهم فى الانبياء والعلماء والملوك ، سواء كانوا منهم أو من غيرهم — فقال السامريون : انه سيكون من سبط يوسف عليه السلام .

وقال العبرانيون : انه سيكون من سبط يهوذا ، من فرع ولده داود عليه السلام .

يقول « عزرا حداد » فى تعليقاته على كتاب « رحلة بنيامين » : « والسامريون مثل سائر اليهود (العبرانيين) يؤمنون بيوم القيامة ، وبوجود الملائكة ، وظهور المسيح (المسيا) فى آخر الأيام (لبركة اسرائيل فى الأمم) لكنهم يزعمون أنه سيكون من آل يوسف ، على حين يعتد اليهود (العبرانيون) أنه من آل داود »

ولما ظهر المسيح عيسى بن مريم — عليه السلام — فى مملكة العبرانيين . اقتنعهم بأن المسيا سيأتى من بعده قريبا ، واقتنعهم بأن المسيا لن يكون من داود ، وانما سيكون من بنى اسماعيل ، لثبوت بركة فى نفسه . واحتج على العبرانيين : بكلام صدر من داود نفسه : وهو قوله : « قال الرب لسيدى : اجلس عن يمينى حتى اجعل أعدائك موطئا لقدميك . عصا عزتك يرسلها الرب من صهيون . تسلط فيما بين أعدائك . ان شعبك متطوع يوم قدرتك فى بهاء القداسة من قبل الفجر لك ندى ولادتك ... الخ » (مز ١٠٩) أى قال الله للنبى المنتظر : انى معك أسمع وأرى .

ففى انجيل متى : « وفيما كان الفريسيون يجتمعين . سألهم يسوع ،

قائلا : ماذا تظنون في المسيح ؟ ابن من هو ؟ قالوا : ابن داود . قال لهم : فكيف يدعوه داود بالروح ربنا قائلا : قال الرب لربي : اجلس عن يميني ، حتى أضع أعدائك موطئا لقدميك . فان كان داود يدعوه ربنا ، فكيف يكون ابنه ؟ فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة ، ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد أن يسأله بته « (مت ٢٢ : ٤١ - ٤٦) .

وفي مرقس : « ثم أجاب يسوع وقال في الهيكل ، كيف يقول الكتبة : ان المسيح ابن داود ؟ لان داود نفسه قال بالروح القدس : قال الرب لربي : اجلس عن يميني حتى أضع أعدائك موطئا لقدميك ، فداود نفسه يدعوه ربنا ، فمن أين هو ابنه ؟ وكان الجمع يسمعه بسرور » (مر ١٢ : ٣٥ - ٣٧)

وفي لوقا : « وقال لهم : كيف يقولون : ان المسيح ابن داود ، وداود نفسه يقول في كتاب الزمير : قال الرب لربي : اجلس عن يميني حتى أضع أعدائك موطئا لقدميك ، فاذا داود يدعوه ربنا ، فكيف يكون ابنه ؟ » (لو ٢٠ : ٤١ - ٤٣)

وفي انجيل برنابا : « أجاب يعقوب : يا معلم . قل لنا بمن صنع هذا العهد فان اليهود يقولون بأسحق ، والاسماعيليون يقولون باسماعيل ؟ أجاب يسوع : ابن من كان داود ؟ ومن أي ذرية ؟ أجاب يعقوب : من اسحق . لان اسحق كان ابا يعقوب ، ويعقوب كان ابا يهوذا ، الذي من ذريته داود . فحينئذ قال يسوع : ومتى جاء رسول الله فمن نسل من يكون ؟ أجاب التلاميذ : من داود . فأجاب يسوع : لا تغشوا أنفسكم ، لان داود يدعوه في الروح ربنا قائلا هكذا : قال الله لربي : اجلس عن يميني حتى أجعل أعدائك موطئا لقدميك . يرسل الرب قضيبك الذي سيكون ذا سلطان في وسط أعدائك . فاذا كان رسول الله الذي نسمونه مسيا ابن داود ، فكيف يسميه داود ربنا ؟ صدقوني لاني أقول لكم الحق : ان العهد صنع باسماعيل لا بأسحق . . . الخ » (بر ٤٣ و ٤٤) .
والمعنى أن داود - عليه السلام - عبر عن المسيا المنتظر بأنه

(سيده) وبناء على قوله انه سيده ، لا يكون المسيا الذي هو المسيح من نسل داود ، لان الابن معها علا قدره ، لا يكون سييدا لابيه .

وعقب افحام عيسى — عليه السلام — لعلماء بنى اسرائيل العبرانيين (الفريسيين) وجه خطايا الى بنى اسرائيل والى اتباعه ، بين لهم فيه : أن يعملوا بشريعة موسى حتى يظهر المسيا المسيح — الذى قلنا : انه محمد ﷺ بحسب لسان بنى اسرائيل — وأن لا يكونوا معلمين لشريعة موسى اذا ما ظهر المسيح بتعاليمه وعلم بها ، ويعلمون بما يعلمه لهم هذا النبى المسيح مع ايمانهم بما جاء به . فقد روى متى : « حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلا : على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون . فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه . ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا ، لانهم يقولون ولا يفعلون . فانهم يحزمون أحمالا ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على أكتاف الناس وهم لا يريدون أن يحركوها بأصبعهم . وكل أعمالهم يعملونها لكى تنظرهم الناس . فيعرضون عصائبهم ويعظمون أهداب ثيابهم ، ويحبون المتكأ الأول فى الولايم ، والمجالس الأولى فى الجامع ، والتحيات فى الأسواق . وأن يدعوهم الناس : سيدي . سيدي . وأما أنتم فلا تدعوا سيدي . لان معلمكم واحد : المسيح . وأنتم جميعا أخوة . ولا تدعوا لكم ابا على الارض . لان اباكم واحد الذى فى السموات . ولا تدعوا معلمين . لان معلمكم واحد : المسيح . وأكبركم يكون خادما لكم . فمن يرفع نفسه ينضع ، ومن يضع نفسه يرتفع » (متى ٢٣ : ١ — ١٢)

وفى نهاية الخطاب يقول عيسى — عليه السلام — : ان ملك بنى اسرائيل وشريعتهم الى الزوال اذا جاء المبارك باسم الرب ، وهو المسيا المنتظر . يقول — عليه السلام — : « يا اورشليم . يا اورشليم . يا قاتلة الانبياء وراجمة المرسلين اليها . كم مرة أردت أن اجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها . ولم تريدوا . هوذا بيتكم يترك لكم خرابا . لانى أقول لكم : انكم لا تروننى من الآن حتى تقولوا : مبارك الآتى باسم

...

...

...

وبعد رفع المسيح عيسى بن مريم — عليه السلام — الى السماء ادعى فريق من اليهود العبرانيين لتضليل النصارى : أن المسيا الذي تحدث عنه نبوءات التوراة (الاسفار الخمسة) وأسفار الانبياء هو المسيح عيسى بن مريم — عليه السلام — ففي الاصحاح التاسع من سفر اعمال الرسل يقول الكاتب : « وكان شاول يزداد قوة ويخجل اليهود القاطنين بدمشق ، مبرهنا : أن هذا هو المسيح ولما تمت له هناك أيام كثيرة أثمر اليهود أن يقتلوه ، فعلم شاول بمكيدتهم وكان يرصدون الابواب نهارا وليلا ليقتلوه ... وكان يخاطب اليونانيين ويباحثهم فالتمسوا أن يقتلوه » (اعمال ٩ : ٢٢ — ٢٩) أى أن شاول الذى هو (بولس) قد ادعى أن عيسى بن مريم — عليه السلام — هو « المسيا » الذى تحدثت عنه الاسفار الخمسة وأسفار الانبياء ويهود دمشق واليونانيين لم يوافقوه على دعواه هذه ، وطلبوا أن يقتلوه .

ولكى يؤكد بولس وأتباعه أن عيسى بن مريم — عليه السلام — هو (المسيح) الذى اشارت اليه التوراة وأسفار الانبياء ، ليقتل باب النبوة فى وجه بنى اسماعيل — عليه السلام — لجا الى نبوءات اسفار الانبياء المكتوبة فى البدء لتشير الى نبي الاسلام — ﷺ — ليضعها على المسيح عيسى بن مريم — عليه السلام — .

ومن هذه النبوءات نبوءة المزمور الثانى لداود عليه السلام ، التى بين عيسى المسيح نفسه أنها تشير الى نبي الاسلام — ﷺ —

(٤) وقد استدل بهذه النبوءة صاحب الاعلام على محمد ﷺ وترجمها هكذا : « يرشالم . يرشالم . لى تقبل الانبياء وترجم من بعث اليها . قد اردت أن أجمع بنيك جمع الدجاجة فراريجها تحت جناحيها وكرهت أنت ذلك . ساقفد عليكم بيتكم وأنا أقول لكم لا ترونى من الآن حتى يأتى من تقولون له مبارك الآتى على اسم الله » . هـ

ونصها : « لماذا ارتجت الامم ، وتفكر الشعوب في الباطل ؟ قام ملوك الارض وتامر الرؤساء معا على الرب ومسيحه قائلين لنقطع قيودها ، ولنطرح عنا ربطهما . الساكن في السموات يضحك . الرب يستهزئ بهم . حينئذ يتكلم عليهم بغضبه ويرجفهم بغيظه . أما أنا فقد مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي . اني أخبر من جهة قضاء الرب : قال لي . أنت ابني . أنا اليوم ولدتك (٥) اسألني فأعطيك الامم ميراثا لك ، وأقاصي الأرض ملكا لك . تحطمهم بقضيب من حديد ، مثل اناء خزاف تكسرهم . فالآن يا أيها الملوك تعتلوا . تأدبوا يا قضاة الارض . اعبدوا الرب بخوف واهتقوا برعدة . قبلوا الابن لئلا يفضب ، فتبيدوا من الطريق ، لانه عن قليل يتقد غضبه . طوبى لجميع المتكلمين عليه »

تبين هذه النبوءة أن الشعوب وملوكهم انما يقاومون الرب والمسيح المنتظر سدى ، وأن الرب يسخر منهم ، وسيروعهم بغضبه ، وأن ملكهم هو المسيح المنتظر .

(٥) ورد هذا النص في انجيل برنابا هكذا : « قبل كوكب الصبح في ضياء القديسين خلقتك » (برنابا ١٢ : ٧)
ويعلق شيخ الاسلام ابن تيمية على عبارة داود بقوله : « انه اذا كان الاب في لغتهم هو الرب الذي يربى عبده ، أعظم مما يربى الاب ابنه ، كان معنى لفظ الولادة مما يناسب معنى هذه الابوة ، فيكون المعنى : اليوم جعلتك مرحوما مصطفى مختارا » وقال شيخ الاسلام : « وحينئذ فلا يكون تسميته ابنا لكون الرب أو صفته اتحت به ، بل كما سمي داود ابنا ، وكما سمي اسرائيل ابنا فقال : « أنت ابني بكرى » وهذا في كتبهم » (الجواب الصحيح ج ٢ ص ٢٣٩ و ٢٣٨) ويقول الامام القرآني في الاجوبة الفاخرة : « قال داود — عليه السلام — في الزمير : « أنت ابني ، وأنا اليوم ولدتك ، سلني أعطيك الشعوب ميراثك ، وسلطانك الى أقصى الارض ، ترعاهم بقضيب من حديد ومثل آنية الفخار تسحقهم » ومحمد — عليه السلام — هو الذي ورث وبلغ سلطانه أقطار الارض وحاط الامم وسامهم بسيفه ، ولم يتفق هذا لداود ، ولا لاحد من بعده فيكون هو المبشر به ، وسمى ابنا على العادة القديمة في تسمية المطيع والنبي ابنا ، كما قال في التوراة في اسرائيل — عليه السلام — : « ابني بكرى » (ص ٢٤٨ الاجوبة الفاخرة)

وقد أقامه الله ملكا على جميع الشعوب ، وسيحطم المقاومين بين يديه . وعلى ذلك فليخضع لكه جميع الملوك مع شعوبهم ، وليقبلوا على شريعته بسرور .

ولا تشير هذه النبوءة الى عيسى — عليه السلام — لانه لم يكن ملكا . ولانه لم يكن صاحب شريعة منفصلة عن شريعة موسى ولانه لم يتم عليه ملوك الارض ، ولم يتامر عليه رؤساؤها . وانما قاموا على نبي الاسلام — ﷺ — فحاربهم وانتصر عليهم .

ومع ذلك قال بولس : ان هذه النبوءة تشير الى عيسى — عليه السلام — ففي الرسالة الى العبرانيين يقول :

« الله بعدما كلم الآباء بالانبياء قديما بأنواع وطرق كثيرة ، كلنا في هذه الايام الاخيرة في ابنه الذي جعله وارثا لكل شيء ، الذي به ايضا عمل العالمين . الذي وهو بهاء مجده ورسمه جوهره وحامل كل الاشياء بكلمة قدرته ، بعدما صنع بنفسه تطهيرا لخطايانا ، جلس في يمين العظمة في الاعالى ، صائرا أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسما لفضل منهم . لانه لمن من الملائكة قال قط : أنت ابني أنا اليوم ولدتك » ؟
(عبرانيين ١ : ١ - ٥)

يريد ان يقول : ان نبوءة المزمور الثاني وفيها قول الله عز وجل عن المسيح المنتظر : « أنت ابني . أنا اليوم ولدتك » تشير الى عيسى — عليه السلام — وأنه ابن حقيقى لله ، وأنه جالس عن يمينه . مع أن نص النبوءة لا يدل على ابن حقيقى . بل هو يدل على ابن مجازى ، على عادة بنى اسرائيل فى لغتهم . فقد جاء فى التوراة أن الله قال لبني اسرائيل : « انتم اولاد للرب الهكم » (تثنية ١٤ : ١) وفى بعض التراجم ترجمت عبارة « أنت ابني أنا اليوم ولدتك » بما نصه : « قبل كوكب الصبح فى ضياء القديسين خلقتك » ويعنى نص النبوءة : أن الله عز وجل نبه على مجيء النبي ﷺ من قبل مجيئه ، وعبر عن التنبية بالخلق — مجازا — لتحقق الوقوع .

وهذا هو المعنى المستفاد من قول المسيح عيسى بن مريم — عليه السلام — عن نبي الاسلام ﷺ : « تبارك اسم الله القدوس الذى خلق نور جميع القديسين والانبياء قبل كل الاشياء ليرسله لخلاص العالم كما تكلم بواسطة عبده داود قائلا : قبل كوكب الصبح فى ضياء القديسين خلقتك ... الخ » (برنابا ١٢ : ٧)

وقد أورد يوحنا فى انجيله مخاورة بين عيسى — عليه السلام — وبين اليهود فى نبوءة الابن هذه فقال : ان عيسى — عليه السلام — كلم لليهود بلسان قومه . فقال لهم : « والآب نفسه الذى أرسلنى يشهد لى . لم تسمعوا صوته قط ، ولا أبصرتم هيئته » (يوحنا ٥ : ٣٧) . فقد شهد بالتزويه لله عز وجل عن الجسمية والشكل والهيئة والصورة . وبين أنه ليس هو الله ، كما يدعى النصارى ، فانهم سمعوا صوته وأبصروا هيئته ، والله تعالى لم يسمعوا صوته ولا أبصروا هيئته . وقال لليهود عن الابن : ان الابن من تلقاء نفسه لن يعط معجزات . بل معجزاته ستكون من الله . لان الله يحبه . وكما أن الله تعالى يحيى الاموات من الكفر الى الايمان ، كذلك الابن سيحيى بشريعته من يؤمن به ، وسيخرجه من ظلمات الشرك الى نور الايمان ، ومن موت الجهل الى حياة المعرفة . وقد أعطى الله — عز وجل — للابن قدرة على أن يفتصر فى الحرب . فمن يقبل على تعاليمه سينجو ، ومن يناوئه سيهلك . وهذه القدرة التى أعطاها الله للابن هى لكى يكرم الجميع الابن ، كما يكرمون الله .

ثم يقول عيسى — عليه السلام — اننى قد نبهت على مجيء الابن . ومن يؤمن بكلامى سيحيا . فعما قريب سيظهر الابن المصطفى من الله . وسوف يسمع موتى الكفر صوته فيحيون . واذا ظهر سيسمع الذين هم فى سجون الحياة الدنيا صوته . وعندئذ يخرج الصالحون الى لقاءه ، ليحيوا فى ظل شريعته حياة طيبة ، ويخرج الاشرار الى نهايتهم ، لان النصر له .

يقول يوحنا : « فأجاب يسوع وقال لهم : الحق الحق أقول لكم : لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً . الا ما ينظر الآب يعمل . لان مهما عمل ذلك فهذا يعمله الابن كذلك . لان الآب يحب الابن ويريه جميع ما هو يعمله . وسريه أعمالا أعظم من هذه لتتعجبوا أنتم . لانه كما أن الآب يقيم الاموات ويحيى . كذلك الابن أيضا يحيى من يشاء . لان الآب لا يدين أحدا . بل قد أعطى كل الدينونة للابن . لكي يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب . من لا يكرم الابن لا يكرم الآب الذى أرسله .

الحق الحق أقول لكم : ان من يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى فله حياة أبدية ، ولا يأتى الى دينونة . بل قد انتقل من الموت الى الحياة . الحق الحق أقول لكم : انه تأتى ساعة وهى الآن حين يسمع الاموات صوت ابن الله والسماعون يحيون . لانه كما أن الآب له حياة فى ذاته ، كذلك أعطى الابن أيضا أن تكون له حياة فى ذاته . وأعطاه سلطانا أن يدين أيضا ، لانه ابن الانسان . لا تتعجبوا من هذا . فانه تأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته ، فيخرج الذين فعلوا المصالحات الى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات الى قيامة الدينونة . انا لا أقتدر ان أفعل من نفسى شيئاً . كما أسمع أدين ودينونتى عادلة . لانى لا أطلب مشيئتى بل مشيئة الآب الذى أرسلنى » (يو ٥ : ١٩ — ٣٠)

وهذه العبارات — كما نرى — عبارات مجازية . والمتشابه فيها أكثر من المحكم — وقد تحدثنا سابقا عن المتشابه والمحكم — وواضح منها : أن المسيح — عليه السلام — يتحدث عن غيره ، وهو الذى سيسمعون صوته ولا يتحدث عن نفسه . ويتحدث عن زمن قريب لا عن يوم القيامة . وهذا الزمن القريب ، هو الذى عبر عنه بقوله : « تأتى ساعة وهى الآن »

ويقوله فى حديث آخر : « اقترب ملكوت السموات » (مت ٤ : ١٧) ومع الموضوع . قال النصارى فى مجمع نيقية سنة ٣٢٥م ان نبوءة « ابن الله » الواردة فى الزمور الثانى لداود عن المسيا ، هى تشير الى يسوع المسيح ، وليست الاشارة على أنه ابن مجازى ، بل على انه ابن طبيعى .

الله . وجعلوه أقتنوماً ثانياً مساوياً لله عز وجل . وذلك في قولهم :
« نؤمن بالله واحد ، الآب ضابط الكل خالق السماء والأرض ، ما يرى وما لا
يرى . ونؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الواحد المولود من الآب ،
قبل كل الدهور ، نور من نور ، اله حق من اله حق ، مولود غير مخلوق ،
مساو للآب في الجوهر ... الخ »

والسبب في اجتماعهم وقولهم : ان دانيال النبي بين في الاصحاح
الثاني من سفره ان المسيا في ظهوره سيزيل دولة الرومان من أرض
فلسطين ولما علم الرومان بذلك ، طلبوا من النصارى ان يكفوا عن تعريف
الناس بهذا الخبر ، وأن يسكتوا كما يسكت اليهود ، لئلا يتجرأ الناس
على الحكام وتزول هيبتهم . ولكن النصارى لم يكفوا ولم يسكتوا . ومن
أجل ذلك اضطهدهم الرومان اضطهاداً شديداً . حتى سكتوا وقالوا :
ان المسيا قد كان هو عيسى ، وما كنا له بعارفين . ولما خف اضطهاد الرومان
للمنصارى وسامحوا لهم بأن يظهروا دينهم الذي اقتبسوه من عاداتهم
وتقاليدهم انقسم النصارى في مجمع خليقدونية سنة ٤٥١م على أنفسهم .
ففرق رأى ان الله هو المسيح ، وهم الارثوذكس وفرق رأى ان المسيح
اله ثان مع الله وهم الكاثوليك . وعيسى على رأى الفريق الاول هو الله
وهو المسيا ، وعلى رأى الفريق الثانى هو المسيا الذى يجلس بجوار
أبيه ، وسنبن ذلك في كتابنا أقتنيم النصارى ، وفي كتابنا المسيا
المنتظر .

وبعدما أظهر « بولس » رغبته في جعل عيسى بن مريم عليه السلام
هو المسيح المنتظر ، بوضع نبوءات التوراة وأسفار الانبياء عليه ، قال
للاليهود العبرانيين — الذين يزعمون بأن المسيح المنتظر سيكون من نسل
داود ، وينتظرونه على هذا الزعم — : غيروا نسب عيسى من هرون الى
داود ، وادعوا : أنه هو المسيح . ولا مسيح من بعده الى يوم القيامة .
ولما رضى كثيرون منهم بقوله لتأكدهم أنه هو آخر نبي في بنى اسرائيل ،
ومن بعده ستبدأ بركة اسماعيل في الظهور . جهر بولس بنسب عيسى

الى داود . فقال لتيموثاوس : « افهم ما اقول — فليعطك الرب فهما
فى كل شىء — : اذكر يسوع المسيح المقام من الأورات من نسل داود .
بحسب انجيلي » (٢ تيمو ٢ : ٨) وهذا يدل أيضا : على انجيل مزور ، كان
يبيد بولس وقد عمله بعدما أخفى انجيل عيسى عمدا .

واقام اليهود الذين نافقوا : النصرانية ، على هذا الاساس . مع
تصريح الاناجيل بأن عيسى ينتسب الى هرون — عليه السلام — وليس
الى داود — عليه السلام — وبيان ذلك :

ان الله عز وجل أمر بنى اسرائيل بقوله : « أحصوا كل جماعة بنى
اسرائيل بعشائرتهم وبيوت آبائهم بعدد الاسماء كل ذكر برأسه » (عدد
١ : ٢) وأمر من أجل أن يتهيز كل سبط عن سبط بأن لا تتزوج امرأة
فى غير سبطها — اذا أرادت الزواج من يهودى — فقال : « وكل بنت ورثت
نصييا من أسباط بنى اسرائيل تكون امرأة لواحد من عشيرة سبط أبيها
لكى يرث بنو اسرائيل كل واحد نصيب آبائه ، فلا يتحول نصيب من سبط
الى سبط آخر ، بل يلزم أسباط بنى اسرائيل كل واحد نصيبه » (عدد
٣٦ : ٨ — ٩) ويحدثنا لوقا فى انجيله أن زكريا — عليه السلام —
كان من ذرية هارون من سبط لاوى ، وتزوج بحسب الشريعة امرأة
من بنات هرون ، وذلك فى قوله : « كان فى أيام هيرودوس ملك اليهودية
كاهن اسمه زكريا من فرقة أبيا ، وأمراته من بنات هرون واسمها
اليصابات » (لو ١ : ٥) ويقول لوقا : ان ملك الله جبرائيل لما بتر
مريم — رضى الله عنها — بالحمل بعيسى — عليه السلام — من غير ولد
واستبعدت ذلك منه قائلة : « كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلا ؟ »
قال لها الملك : « وهو ذا اليصابات نسيبتك هى أيضا حبلى بابن فى
شيخوختها ، وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقرا » (لوقا
١ : ٣٦) .

فتصريح لوقا بأن مريم — رضى الله عنها — نسيبة لاليصابات ،

لهذا على أن نبرهن من نطق المسيح الذي منه اليمينات . ولما ثبت أن اليمينات من نسل هرون ، وثبت أن مريم من نسل هرون . لأن النسب هو القرابة كما بينه بولس في الإصحاح التاسع من رسالته إلى أهل رومية . وكما هو مبين في سفر طوييا ، في هذا المنهن : « ولما أن صار رجلا ، اتخذ له امرأة من سبطه ، اسمها حنة » (طو ١ : ٩) وفي نفس السفر : « ولعله لأجل ذلك ساقها لله إلى ، حتى تتزوج هذه بذي قرابتها ، على حسب شريعة موسى » (طو ٧ : ١٤)

...

...

...

واليهود المبرانيون من بعد سبى بابل قد بالغوا في الكتابة عن المسيح المنتظر ، أحبهم له وتمطيهم آياه . وعبروا لنسب الوعد به على لسان موسى — غلبة السلام — بما يقيد أن الله تعالى مخلص وجوده أزلا مع خلق السموات والأرض ، خلق فكره لا خلق إيجاد بالفعل . ومما كتبه في التوراة وفي التلمود ما يلي :

أولا — في التوراة :

أ — يقول داود في الزمير : « اني أخبر من جهة قضاء الرب ، قال لي : أنت ابني أنا اليوم ولدتك ، اسألني فأعطيك الامم ميراثا لك ، وأقصى الأرض ملكا لك ، تحطمهم بقضيب من حديد ، مثل اثناء خراف تكسرهم » (٢ : ٧ — ٩)

ب — « يخبر عن الرب الخليل الآتي ، يأتون ويخبرون بيره شعبا سيولد بانه قد فعل » (مر ٣٢ : ٣٠ — ٣١)

ت — « يكون اسمه إلى الدهر ، قدام الشمس يمتد اسمه ويتباركون به . كل أم الأرض يطوبونه » (٧٢ : ١٧) وفي ترجمة الآباء اليسوعيين « يكون اسمه إلى الابد مادامت الشمس ينمو اسمه ، ويتبارك فيه جميع قبائل الأرض ، وتقبطه كل الامم »

ث — وجاء في سفر ميخا عن المسيا « ومخارجه بلذ الضعيف ،
منذ أيام الازل » (٥ : ٢)

ثانياً — فى التلمود :

أ — « لان عندك ينبوع الحياة . بنورك نرى نورا . آدم رحمتك
للذين يعرفونك وعدلك للمستقيمى القلب » (مز ٣٦ : ٩ — ١٠) وقد نسر
التلمود « بنورك نرى نورا » بأن النور الذى يريهم للنور ، هو نور
المسيا . وهذا النور رآه ابليس قبل سقوطه ، فصرخ وعلم أنه سيذوق
على يديه أقسى العذاب » (٦)

ب — لما يأتى المسيا الذى تفسره المسيح ، تطرح الأرض فطيرا ،
وملابس من الصوف ، وتمحا حبه بقدر كلاوى الثيران الكبيرة (٧) كناية
عن الرخاء فى زمانه .

ثالثاً : فى سفر اليبوكريفا

يقول الدكتور فهيم عزيز : فى كتابه « ملكوت الله » : « ولعل أهم
كتابين يتكلمان عن المسيا ، هما كتاب أخنوخ ، ثم كتاب مزامير سلايمان .
أما من جهة الكتاب الأول . وهو كتاب أخنوخ ، فقد نسب الى أخنوخ
الموجود فى (تكوين ٥ : ٢١ : ٢٤) الذى نقله الله ، ويظن أنه كتب فى
مدة طويلة ، ومؤلفه ليس شخصا واحدا ، وان كان شخصا واحدا فقد
جمعه من مصادره كثيرة . . . ولقد سلم أخنوخ بلق المسيا موجود من
البدء . وهو أبدي . أى يبقى الى الأبد »

ثم يقول : « ويجىء بعد هذين الكتابين آراء معلمى اليهود المذونة
فى التلمود ولقد ظهر المسيا فى هذه الكتابات فى مركز عظيم لا يفصله
عن الله نفسه الا خيط دقيق فهو موجود قبل خلق الفلك والأرض ، ويبثون
ذلك على (أمثال ٨)

(٦) ملكوت الله للقس فهيم عزيز .

(٧) الكنز المرصود فى قواعد التلمود .

ويفسر التلمود زمور ٣٦ : ٩ « لأن عندك ينبوع الحياة ، بنورك نرى نورا » أن النور الذى يريهم النور هو نور المسيا . هذا النور رآه ابليس قبل سقوطه ، فصرخ ، وعلم أنه سيدوق على يديه اقسى العذاب « ثم يقول : « هذه هى بعض أفكار معلمى اليهود المدونة فى التلمود عن المسيا » اهـ

وفيه من كلام القس فهم عزيز ما يلى :

١ — أنه اعترف بأن اخنوخ قال عن « المسيا » انه موجود من البدء . أى تبقى شريعته الى الأبد ، لأن بقاء الحى الى يوم الدين مستحيل ببداية العقول . وقد نقل اعترافه هذا « يوحنا » كاتب الانجيل ، فانه بدأ انجيله بقوله : « فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله » (يو ١ : ١) يريد أن يقول : ان الكلمة — وهى المسيا — كانت فى بدء الخليفة . ومفسرو النصرارى مجمعون على أن « الكلمة » فى أول انجيل يوحنا هى « المسيا » يقول متى هنرى : « التفسير الكلدانى كثيرا ما دعا المسيا « ممرا » أى كلمة الرب »

٢ — انه اعترف بأن التلمود يقول : أن « المسيا » موجود قبل خلق الفلك والأرض ، استنادا على الأصحاح الثامن من سفر الأمثال ، وعلماء بنى اسرائيل يعنون بأنه موجود ، المبالغة فى تحقق مجيئه والاستماع منه ، لا أن المسيا — على الحقيقة — موجود بجسمه قبل خلق الفلك والأرض . بدليل : أن الحكمة — وهى وضع المشىء فى موضعه — قد صدرها الكاتب بصورة رجل يتكلم ويعظم وينصح ، وصور الحكمة بصورة رجل قد خلقه الله منذ القدم ومنذ البدء . وهذا التصوير يقصد منه الكاتب المبالغة فى تعلم الحكمة والبعد عن الشر ، ففى سفر الأمثال تقول الحكمة : « الرب قنانى أول طرقة ، من قبل أعماله . منذ القدم . منذ الأزل مسحت ، منذ البدء ، منذ أوائل الأرض ... الخ » (أم ٨)

هذا هو النص عن الحكمة . وهو شىء معنوى ، صورة الكاتب

بصورة حسية ، صورة رجل ينادى ، ولم تكن الحكمة بهذه الصورة الحسية عند الله من قبل أن يخلق السماء والأرض ، وكذلك حال « المثلثيا » بالغ الكتاب فى تصويره ، كما بالفوا فى تصوير الحكمة . وغرضهم : الاهتمام به والاستماع منه والاصفاء اليه . لا أنه على الحقيقة مخلوق قبل العالم ، وكان قاعدا يسبح مع الملائكة .

فاذا قال المسيح عيسى عليه السلام عن « المسيا » قولا شبيها بهذا القول عن الحكمة ، فلماذا يتوجه عليه اللوم ؟

٣ — ان الزمور السادس والثلاثين يشير الى المسيا المنتظر فى رأى اليهود ، والآية التاسعة وهى : « لأن عندك ينبوع الحياة بنورك نرى نورا » تشير الى نور المسيا ، وأن نوره كان فى الأزل مع آدم والملائكة وإبليس ، فى الوقت الذى أمر الله فيه الملائكة بالسجود لآدم وسجدوا الا إبليس ، فانه أبى وامتنكر . وعلما بنى اسرائيل لما كتبوا هذا فى التلمود ، وكتبوا أن إبليس رأى نور « المسيا » قبل أن يعصى الله ، وصرخ ، كتبوا للمبالغة فى أن المسيا سيوجد ، لا أنه كان موجودا بحسبه ونوره .

والمسيح عيسى عليه السلام تكلم عن « المسيا » بمثل ما كان يتكلم عنه علماء بنى اسرائيل فى « التلمود » فقال : ان « إبليس » صرخ منه ، و « آدم » رأى اسمه مكتوبا على باب الجنة . أى أنه بالغ فى تعظيمه كما بالغ كتاب « التلمود » فى تعظيمه ، وكما بالغ كاتب « الزبور » فى قوله عنه : « بنورك نرى نورا » وكما بالفوا فى تصوير الحكمة .

ولهذه الامثلة . وكثير غيرها ، ترى أن فكرة خلق المسيا قبل خلق العالم ، فكرة لجأ اليها اليهود فى كتاباتهم ، للتعظيم من شأن المسيا . واليهود من دابهم فى كتاباتهم : المبالغة فى التعبير كما بينا من قبل ، فى مثل قولهم عن الله عز وجل مخاطبا لهم : « أنا قلت انكم آلهة وبنو العلى كلكم » (مز ٨٢ : ٦) وعن قول الله لموسى : « أنا جعلتك الها لفرعون وهرون أخوك يكون نبيك » (خر ٧ : ١) ولو سألنا اليهود :

هل تعتقدون أن المسيح مولود حقيقة قبل آدم ؟ لاجابوا بالنفى . وصرخوا :
بأن أول الخلق البشرى هو آدم . إذ مكتوب فى التوراة : « وجبل الرب
الإله آدم ترابا من الارض ونفخ فى أنفه نسمة حياة ، فصار آدم نفسا
حية » (تكوين ٢ : ٧)

ونم يشر اليهود فى كتبهم الى حياة للمسيا ، من قبل أن يوجد
على الأرض . فى أى مكان عlish ؟ وكيف كان يأكل أو يشرب ؟ وهكذا . فدل
سكوتهم عن هذا : على أن خلق المسيح أزلا هو من قبيل المجاز أى خلق
فكر وتقدير . بمعنى : أن الله سبق فى علمه أزلا : خلق آدم وذريته ،
وسبق فى علمه أزلا : ارسال المسيح لتظل شريعته الى نهاية الزمان ،
فأوجد آدم فى حينه . ويوجد المسيح فى حينه أيضا .

وتجد صدق هذه الفكرة اليهودية عند كتاب الاناجيل ، فقد قال متى
عن اصحاب ملكوت السموات الذى هو ملكوت المسيا : « رثو الملكوت
للمعد لكم منذ تأسيس العالم » (متى ٢٥ : ٣٤) ويقول يوحنا عن المسيا :
« كان انسان مرسل من الله اسمه يوحنا ، هذا جاء للشهادة ليشهد
للنور ، لكى يؤمن الكل بواسطته ، لم يكن هو النور ، بل ليشهد للنور ،
كان النور الحقيقى الذى ينير كل انسان آتيا (٨) الى العالم . كان فى العالم
وكون العالم به ، ولم يعرفه العالم » (يو : ١ : ٦ - ٩)

غير أن النصرارى من أجل التحريف المتعمد ، شطوا فى المبالغة شططا
كبيرا وذلك يجعلهم التعبير المجازى تعبيرا حقيقيا ، متجاهلين القرينة
الصارفة عن المعنى الحقيقى وهى خلق آدم أول الجنس البشرى كما تنص
التوراة ، وقالوا : ان خلق المسيا — الذى هو عيسى عليه السلام فى
ظنهم — هو خلق حقيقى قبل انشاء العالم . لانه هو الله الذى يخلق لكل

فى مذهب الارثوذكس . وهو اله من آلهة ثلاثة فى مذهب الكاثوليك .
والبروتستانت .

(٨) يقصد المسيا ، الذى هو محمد ﷺ .

أى أن الله تعالى هو المسيح نفسه عندهم ، وهو النبي الذى وعد به موسى نفسه ، وهو شيلون نفسه ، وهو ابن الانسان نفسه ، وهو المبارك الآتى نفسه ، أى أن المسيح بن مريم حمل هو الله وهو المسيح وتلك محاولة يائسة منهم لقتل باب النبوة فى وجه محمد الآتى من اسباط اسرائيل عليه السلام .

••••

••••

••••

ولردهم الى الصواب نبين : أن فكرة تصوير المعنوى بصورة الحسى وباللغة فى ابراز الفكرة وتقريرها فى الأذهان ، موجودة فى كتب اليهود والنصارى والمسلمين . على حد قول الشاعر :

ولو شئت أن أبكى بما ليكيتيه عليه . ولكن ساحة الصبر أوسع

مثال ذلك فى التوراة : « حمل تعباً ، وولد كذباً » (مزبور ٧ : ١٤) فقد شبه التعب وهو صفة معنوية بشئ محسوس يحمل على الظاهر وشبه الكذب وهو صفة معنوية بمخلوق مجسد يولد من البطن .

ومثال ذلك فى الإنجيل : « ويل لكم أيها الناموسيون لانكم أخذتم مفتاح المعرفة ما دخلتم أنتم والداخلون منعتوهم » (لوقا ١١ : ٥٢) فقد شبه المعرفة وهى صفة معنوية بباب له مفتاح .

ومثال ذلك فى القرآن الكريم : « لباس الجوع والخوف » (النحل ١١٢) شبه الجوع والخوف وهما صفتان معنويتان بشئ محسوس يلزمه ستر .

وفى كتاب التلمود بمبالغات وصلت الى حد الخرافة ، ودخلت فى باب الأساطير . نذكر منها من سفر ستهدرين .

١ - أن الله أخذ تراباً من جميع بقاع الأرض ، وكونه كتلة وخلقهما جسماً ذا وجهين ، ثم شطره نصفين فصار أحدهما آدم والثانى حواء .

وكان آدم طويلا جدا ، فكانت رجلاه فى الأرض ورأسه فى السماء . وإذا نام كانت رأسه فى المشرق ورجلاه فى المغرب . وصنع الله لآدم طاقة ينظر منها الدنيا من أولها لآخرها . ولما عصى آدم نقص طولهُ حتى صار كباقي الناس .

٢ — أن النعيم مأوى الأرواح الزكية . وقد وضع « الياس » يوما ما جبة أخذ الحاخامات هناك ، فتعطرت من أوراق الأشجار ، وبقيت فيها تلك الرائحة العطرية ، ويقدم لهم أيضا على المائدة لحم ثور برى كبير جدا ، كان يتغذى بالعشب الذى ينبت فى مائة جبل ، ويأكلون أيضا لحم طير كبير لذيق الطعم جدا ولحم أوز سمين للغاية . أما الشراب فهو من النبيذ اللذيذ القديم ، المعصور يوم خليفة العالم .

٣ — إذا لم يخلق الله اليهود ، لانعمت البركة من الأرض ، ولما خلقت الأمطار والشمس ، ولما أمكن لباقي المخلوقات أن تعيش . أه إذا كان اليهود قد كتبوا فى التلمود أنه إذا لم يخلقهم الله ، لانعمت البركة من الأرض ، فما الذى يمكن أن نقصوه عن المسيا المنتظر فى كتاباتهم ؟ انهم سيكتبون عنه بأنه لولاه ما خلق الله الأفلاك ، ولولاه ما أوجد الله العالم ، ولولاه ما كانت الدنيا وما تكون الآخرة . وسيقولون كلاما كثيرا مثل هذا مبالغة فى تعظيمه ، وفى وصف أيامه بالرخاء والأمن ، وسيقولون : طوبى لمن يأكل خبزا فى عهده . وكلام مثل ذلك كثير .

وقد تصور الفكرة المستقرة فى العقل ، ولو لم تكن موجودة بالفعل ، تصويرا يجعلها كالموجود المدرك سواء بسواء . كما فى التمرآن الكريم عن رؤوس الشياطين : « انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم ، طلعمها كأنه رؤوس الشياطين » (الصافات ٦٤ — ٦٥) يقول الامام فخر الدين الرازى فى تفسيرها : « وأما تشبيه هذا الطلع برؤوس الشياطين ففيه سؤال . لانه قيل انا ما رأينا رؤوس الشياطين فكيف يمكن تشبيه شىء بها ؟ وأجابوا عنه من وجوه (الاول) وهو الصحيح : أن الناس لما اعتقدوا فى

الشياطين نهاية القبح والتشويه فى الصورة والسيرة ، فكما حسن التشبيه بالملك عند ارادة تقرير الكمال والفضيلة فى قوله : « ان هذا الا ملك كريم » فكذلك وجب أن يحسن التشبيه برؤوس الشياطين فى القبح وتشويه الخلقة ، والحاصل : أن هذا من باب التشبيه لا بالمحسوس ، بل بالتخيل . كأنه قيل : ان أقبح الاشياء فى الوهم والخيال هو رؤوس الشياطين .

فهذه الشجرة تشبهها فى قبح المنظر وتشويه الصورة ، والذي يؤكد هذا : أن العقلاء اذا رأوا شيئا شديدا الاضطراب ، منكر الصورة ، قبيح الخلقة ، قالوا : انه شيطان ، واذا رأوا شيئا حسن الصورة والسيرة ، قالوا : انه ملك . وقال امرؤ القيس :

ايقتلنى والمشرقى مضاجعى ومسنونة زرق كائيب أغوال ؟» (٩)

وكما تحدث القرآن أيضا عن عهد الله لبنى آدم فى قوله تعالى : « واخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ، وأشهدهم على أنفسهم . ألمست بربكم ؟ قالوا : بلى ، شهدنا . أن تقولوا يوم القيامة : انا كنا عن هذا غافلين ، أو تقولوا : انا أشرك آبؤنا من قبل ، وكنا ذرية من بعدهم . أفتهلكنا بما فعل المبطلون ؟ » (الاعراف ١٧٢ — ١٧٣)

يقول الامام الزمخشري فى تفسيرها : « ومعنى أخذ ذرياتهم من ظهورهم : اخراجهم من أصلابهم نسلا واشهادهم على أنفسهم . وقوله « ألمست بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا » من باب التمثيل والتخيل . ومعنى ذلك : أنه نصب لهم الادلة على ربوبيته ووحدا نيته ، وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التى ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى . فكانه أشهدهم على أنفسهم وقرره . وقال لهم : « ألمست بربكم ؟ » وكأنهم قالوا : « بلى » أنت ربنا شهدنا على انفسنا وأقررنا بوحدانيتك . وباب التمثيل واسع فى كلام الله تعالى ، ورسوله عليه السلام ، وفى كلام العرب . ونظيره

(٩) ص ٩٦ — ج ٧ تفسير فخر الدين الرازى .

قوله تعالى : « انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له : كن فيكون » —
« فقاتل لها والارض : اثتيا طوعا او كرها . فقالت : اتينا طائعين » وقوله :

اذا قالت الانساع للبطن : الحقى قالت له ربح الصبا : قرقار
ومعلوم انه لاقول ثم ، وانما هو تمثيل وتصوير للمعنى « (١٠) »

وعلى هذا النحو تحدث داود عن المسيا ، واستشهد عيسى بكلام
داود فيما رواه عنه برنابا وهو : « تبارك اسم الله القدوس الذى خلق نور
جميع القديسين والانبياء قبل كل الاشياء ليرسله لخلص العالم ، كما
تكلم بواسطة عبده داود قائلا : قبل كوكب الصبح فى ضياء القديسين
خلقك » (١٢ : ٧) يتصد بنور جميع القديسين والانبياء : نور المسيا .
مبالغة فى تعظيمه وتوقره (١١)

وعلى هذا النحو أيضا ورد فى التوراة : استنطاق الجمادات
التي لا تعقل حتى يخلى الى السلمع انها اتاسى على الحقيقة . ومثال
ذلك : قول يوثام ليهود السامرة : « اسمعوا الى يا اهل شكيم يسمع
لكم الله . مرة ذهبت الاشجار لتمسح عليها ملكا ، فقالت للزيتونة : املكى
علينا . فقالت لها الزيتونىة : اترك دهنى الذى به يكرمون بى : لله
والناس واذهب لى املك على الاشجار ؟ ثم قالت جميع الاشجار للتينىة :
تعالى أنت واملكى علينا . فقالت لها التينىة : اترك حلاوتى وثمرى الطيب ،
واذهب لى املك على الاشجار ؟ فقالت الاشجار للكرمة : تعالى أنت
واملكى علينا . فقالت لها الكرمة : اترك مسطارى (١٢) الذى يفرح الله
والناس واذهب لى املك على الاشجار ؟ ثم قالت جميع الأشجار
للعوسج تعالى أنت واملك علينا . فقال العوسج للاشجار : ان كنتم بالحق

(١٠) ص ٥٨٦ — ٥٨٧ ج ١ الكشاف .

(١١) قال الألوسى فى تفسيره روح المعانى : « وكان ﷺ مبتدأ
وجود العالم عقلا ونفسا . فيه بدء الوجود باطنا ، وبه ختم المقام
ظاهرا فى عالم التخطيط . فقال : لا رسول بعدى » وله كلام كثير فى قوله :
« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين »

(١٢) لمسطار بالكسر ضرب من الشراب فيه (مختار الصحاح) .

تمسحوننى عليكم ملكا ، ففعلوا واحتموا تحت ظلى ، والا فتخرج نار من العوسج وتاكل أرز لبنان » (قض ٩ : ٧ - ١٥) والكلام الذى قلناه قال به النصرارى فى تفسير آية من سفر رؤيا يوحنا اللاهوتى . وهى : « وسيسجد له جميع سكان الأرض الذين لم تكتب أسماؤهم فى سفر الحياة للحمل المذبوح منذ انشاء العالم » (رؤ ١٣ : ٨)

يقول الكاثوليك فى معناها : « للحمل المذبوح منذ انشاء العالم » : ان الله فى أحكامه الازلية ، كان قد رتب أن المسيح يتالم ويموت على الصليب فداء عن البشر أجمعين ، فعمت استحقاقات المسيح آدم وقديسى العهد العتيق جميعا ، منذ انشاء العالم . وبهذا الاعتبار قيل : ان المسيح قد ذبح منذ انشاء العالم » (١٣)

وهم بهذا الشرح — وان كنا لا نوافق عليه — يعتقدون بالمبالغة فى التعبير ، وما كان سيوجد يعمرون عنه كأنه كائن بالفعل . دلالة على تحقق وقوعه . والا يقرون بالمبالغة ، يلزمهم ذبح المسيح حقيقة قبل انشاء العالم ، وعليه ما كان يأتى ويمشى ويتحدث الى اليهود ، ويجرى عليه ما يجرى على سائر البشر .

... ..

وشاع فى نبوءات القوراة عن المسيا المنتظر لانه سيكون مقاتلا من أعراض الناس عن دعوته ، وصد الحاسدين عن سبيل الله من آمن به . ففى الزمور الثانى والعشرين عن آلام المسيا : « كل الذين يروفتنى يستهزئون بى . يفغرون الشفاة ، ويفغصون الرأس ، قائلين : اتكل على الرب فلينتج ، لينقذه . لانه سر به » (زمور ٣٢ : ٧ - ٨) وتقول النبوءات ان المسيا بعد ما يتالم ينتصر على أعدائه ويفلهم . ففى الزمور الثانى والعشرين بعد ما تحدث المسيا عن آلامه قال : « أما أنت يارب فلا تبعد . ياقوتى أسرع الى نصرتى . أنقذ من السيف نفسى . من يد الكلب وحيدتى ، خلصنى من فم الاسد ، ومن قرون بقر الوحش . استجب لى .

(١٣) ص ٥٠٤ حواش على الكتاب المقدس للكاثوليك المجلد الثالث

أخبر باسمك اخوتي . فى وسط الجماعة أسبحك . يا خائفى الرب
سبحوه . مجدوه يا معشر ذرية يعقوب . واخشوه يازرع اسرائيل جييعا .
لانه لم يحتقر ولم يرذل مسكنة المسكين ولم يحجب وجهه عنه ، بل عند
صراخه ، اليه استمع « (مزور ٢٢ : ١٩ - ٢٤)

ولما أشيع من تألم المسيا وانتصاره بعد الآلام ، ادعى النصارى ان
عيسى — عليه السلام — قد تألم بالقتل والصلب . ثم قام من القبر
بعد ثلاثة أيام منتصرا على الموت . وهم بهذا الادعاء يريدون أن يقولوا :
انه هو المسيا المتألم . مع ان النبوءات لا تتبالغ فى آلام المسيا الى حد
انه سيقتل ويصلب . فقد جاء فى سفر التثنية : أن المسيا لا يقتل فى هذا
النص : « وأى نبى تجبر فقال باسمى قولا لم أمره أن يقوله ، أو تنبأ
باسم آلهة أخرى ، فليقتل ذلك النبى » (تث ١٨ : ٢٠) أى يقتل المكاذب
ولا يقتل النبى الصادق . والمزامير التى تحدثت عن آلام المسيا الذى
تفسيره المسيح ، بينت أنه لن يقتل . ففى المزمور العشرين « الآن عرفت
أن الرب مخلص مسيحه ، يستجيبه من سماء قدسه ، بجبروت خلاص
يمينه . هؤلاء بالمركبات وهؤلاء بالخيل . أما نحن فاسم الرب الهنا
نذكر ، هم جنوا وسقطوا . أما نحن فقمنا وانتصنا . يارب خلص .
ليستجب لنا الملك فى يوم دعائنا » (مز ٢٠ : ٦ - ٩)

وفى المزمور الثامن عشر يتحدث داود عن نجاته من يد شاول ،
ويرمز بحديثه الى المسيا المنتظر فيقول : « الاله المنتقم لى والذى يخضع
الشعوب تحتى ، منجى من أعدائى ، رافعى أيضا فوق القائمين على .
من الرجل الظالم تنتدنى . لذلك أحمداك يارب فى الامم وأرثم لاسمك .
برج خلاص للملكه والصانع رحمة لمسيحه » (مز ١٨ : ٤٧ - ٥٠)

وفى المزمور الرابع والثمانين : « يارب اله الجنود ، اسمع صلاتى
واصغ يا اله يعقوب . سلاه . يامجننا . انظر يا الله والتقت الى وجه
مسيحك . لان يوما واحدا فى ديارك ، خير من ألف » (مز ٨٤ : ٨ - ١٠)
وفى المزمور التاسع والثمانين تجد مقارنة بين المسيا المسيح الذى سيأتى ،

وبين المسيا المسيح الذي كان رمزا الملك بنى اسرائيل . لأن ملكوت الله كان معهم
 من زمان موسى . فعن المسيا الآتى يقول : « نسله الى الدهر يكون
 وكرسیه كالشمس امامى . مثل القمر يثبت الى الدهر . والشاهد فى
 السماء آمين » (مز ٨٩ : ٣٦ — ٣٧) وعن المسيا الماضى يقول : « لكنك رفضت
 وركزت . غضبت على مسيحك . نقضت عهد عبدك . نجست تاجه فى
 التراب . هدمت كل جدرانه . جعلت حصونه خرابا ، أفسده كل عابرى
 الطريق . صار عارا عند جيرانه ، رفعت يمين مضايقيه . فرحت جميع
 أعدائه . أيضا : رددت حد سيفه ولم تنصره فى القتال . ابطلت بهاء
 والقيت كرسیه الى الارض . قصرت ايام شبابه ، غطيته بالخزى »
 (مز ٨٩ : ٢٨ — ٤٥) وفى آخر الزمور عن المسيا الآتى : « الذى به
 غير أعداؤك . يارب الذين عيروا آثار مسيحك . مبارك الرب الى الدهر .
 آمين فآمين » وفى ترجمة اليسوعيين : « الذى غير به أعداؤك . يارب
 عيروا بابطاء مسيحك . تبارك الرب الى الابد . آمين ثم آمين » (مز
 ٨٨ : ٥٢ — ٥٣)

وواضح من القرآن الكريم : أن النبى — ﷺ — قد تحمل الآلام فى
 سبيل الدعوة . وأنه كان يحزن لعدم ايمان الكافرين . وأنه انتصر على
 أعدائه . ومن آيات القرآن الكريم فى هذا الشأن : « لعلك باخع نفسك
 على آئارهم . ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا » (الكهف ٦) « لعلك
 باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين » (الشعراء ٣)

والقرآن الكريم يحدثنا أيضا عن آلام لاتباع النبى ﷺ فيقول :
 « هذا بيان للناس ، وهدى وموعظة للمتقين ، ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم
 الاعلون ان كنتم مؤمنين . ان يمسسكم قرح قد مس القوم قرح مثله .
 وتلك الايام نداولها بين الناس . وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم
 شهداء . والله لا يجب الظالمين . وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق
 الكافرين . ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم

ويعلم الصابرين . ولقد كنتم تتنون الموت من قبل ان تلقوه . فقد رأيتموه
وانتم تنظرونه .

وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، انا مات او قتل
انقلبتم على اعقابكم . ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا . وسيجزي
الله الشاكرين . وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا .
ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي
الشاكرين . وكآين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهتوا لما اصابهم
فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا . والله يحب الصابرين . وما كان
مولهم الا ان قالوا : ربنا اعز لنا ذنوبنا واشرافنا فى انفسنا وثبت اقدمنا
وانصرنا على القوم الكافرين . فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة
والله يحب المحسنين « (آل عمران ١٣٨ — ١٤٨)

وللمسيا القاب فى كتب اهل الكتاب . ومن هذه الألقاب :

- ١ — الملك . فى الزبور التاسع والأربعين بعد المائة : « ليفرج
لسرائيل بخالفه ، ليبتهج بنو صهيون بملكهم . . . ليبتهج الأتقياء بمجد ،
ليرتبوا على مضاجعهم . تلويموات الله فى اقواهم ، وسيف ذو حدين فى
يدهم ، ليصنعوا نعمة فى الأمم ، وتأديبات فى الشعوب »
- ٢ — المسيح . فى الزبور الخامس والأربعين : « من أجل ذلك
مسحك الله الهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك »
- ٣ — الرب بمعنى السيد . فى الزبور المائة والعاشر : « قال الرب
لربى : اجلس عن يمينى حتى أضع أعدائك موطئا لقدميك »
- ٤ — ابن الله . فى الزبور الثانى : « انى أخبر من جهة قضاء
الرب . قال لى : أنت ابنى »
- ٥ — اله بمعنى سيد . فى الأصحاح التاسع من سفر أشعيا :

« الشعب للمالك في الظلمة ابصر. فورا عظيما . الجاهلون في أرض
ظلال الموت ، أشرق عليهم نور ... لأنه يولد لنا ولد ونعطي ابنا ، وتكون
الرياسة على كتفه ، ويدعى اسمه عجيبا مشيرا لها قديرا ، أنا أبديا ،
رئيس السلام »

٦ — ابن الانسان . ففي الأصحاح السابع من سفر دانيال :
« كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مثل ابن انسان ، أتى
وجاء إلى القديم الأيام ، فقربوه قدامه فأعطى سلطانا ومجدا وملكوتا »

٧ — المعزى . ففي الأصحاح الرابع عشر من إنجيل يوحنا ، يقول
عيسى عليه السلام لتلاميذه : « ان كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى . وأنا
أطلب من الأب فيعطىكم معزيا آخر » يقول متى هنرى : « كان لحد أسماء
المسيا بين اليهود « مناهيم » أى « المعزى » وكان اليهود يسمون يوم
المسيا ، سنوات التمزية »

٨ — كلمة الرب . يقول متى هنرى في تفسيره للأصحاح الأول من
الإنجيل يوحنا : « التفسير الكلداني كثيرا ما دعا المسيا « ميرا » أى كلمة
المغرب »

٩ — نبي البر . ففي الأصحاح التاسع من سفر دانيال : « تأمل
الكلام واتهم الرؤيا . سبحون أسبوعا قضيت على شعبك وعلى مدينتك
القدسة ، فتكتمل المفضية وتتميم الخطايا والكمارة الاثم ، وليؤتى بالبر
الأبدى ، ولتقم الرؤيا والنبوة ولسنح قدوس القديسين »

١٠ — ابن داود . ففي الأصحاح التاسع من سفر أشعيا : « لأنه
يولد لنا ولد ونعطي ابنا وتكون الرياسة على كتفه . ويدعى اسمه عجيبا
ومشيرا لها قديرا أبأ أبديا رئيس السلام لنمو رياسة وللسلام ، لا نهاية
على كرسي داود وعلى مملكته ، ليثبتها ويعضدها بالحق والبر . من الآن
إلى الأبد »

وغيره اليهود من هذا اللقب : أن يوهوا العالم بأن المسيا
سيكون من بنى اسرائيل العبرانيين ، وليس من بنى اسرائيل السامريين .
ولسوف نوضح هذا باذن الله وعونه في كتاب « المسيا المنتظر نبى
الاسلام ﷺ »

وبعدما أنتهينا من عرض أفكار اليهود القدماء والنصارى عن المسيح ،
نذكر تصورات اليهود فى هذه الايام عن المسيح . فنقول : ان من الاسباب
الرئيسية التى حبيت اليهود فى فلسطين ودفعتهم الى احتلالها بالقوة
سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٥٦ وسنة ١٩٦٧ ميلادية . ما اشاعه الاجبار
عن المسيح من انه سوف يأتى (١٤) اذا ما تحقق لليهود وطن قومي ، ووجود
مستقل فى فلسطين — التى هى ارض الميعاد فى زعمهم — .

يقول بن جوريون : « ان ما ضمن بقاء الشعب اليهودى على مر
الأجيال ، وادى الى خلق الدولة هو تلك الرؤيا المسيانية لدى انبياء
اسرائيل ، رؤيا خلاص الشعب اليهودى والانسانية جميعا . ان دولة
اسرائيل هى اداة لتحقيق هذه الرؤيا المسيانية » .

ويقول الدكتور أسعد رزوق عن مؤسس هس : « وربما كانت عقيدة
المسيح فى صبغتها التلمودية من أهم العناصر التى تمثلها (هس) فى
فكرته الصهيونية . فهو يربط بين خلاص بنى اسرائيل والرسالة التى
سوف يؤدونها للعالم ضمن اطار نظرية عضوية الى تاريخ الانسانية
ويجعل مصير الخليقة وتحقيق مبتغاها رهنا بمجيء المسيح وقيام مملكته
فى العالم . لذا نجده يستشهد بقول واحد من كبار الاموراثيين ، للرابى
يوحنا فى سفر سنهدرين (١٩٨) بأن الخلق لن يحقق غايته الا عند
مجيء المسيح واقامة المملكة المسيانية » .

(١٤) زعم موسى بن ميمون فى صفحة ٤٠٠ — ٤٠١ من دلالة الحائرين
بأن النبي المنتظر الذى هو المسيح كان مع بنى اسرائيل من قبل أن يفتحوا
ارض فلسطين على يد طالوت وداود عليهما السلام . وتصريحات زعماء
بنى اسرائيل تكذبه ، والنصوص أيضا تكذبه . فقد قال : ان الله وعد
بنى اسرائيل بهلاك من ملائكة السماء يسير امامهم ليدلهم على طريق ارض
فلسطين . وهذا الملك هو النبي الذى وعد به موسى مماثلا له فى سفر
التثنية . وقوله باطل . فان الملك شيء والنبي شيء آخر .

ويقول تيودور هرتزل : انه رأى المسيا فى حلم ، وانه اى المسيا كان يصلى من أجله ، يقول : « ظهر لى المسيا الملك على صورة شيخ مسن فى عظته وجلاله ، فطوقنى بذراعيه ، وحملنى بعيدا على أجنحة الريح ، وألتقينا على واحد من تلك الغيوم التزحية بصورة موسى ، كانت ملامحه هى تلك الملامح التى عرفتھا فى حدائتى لدى تمثال (ميكال أنجلو) والتفت المسيا الى موسى مخاطبا اياه بقوله : من أجل هذا الصبى كنت أصلى . لكنه خاطبنى قائلا : اذهب وأعلن لليهود بأنى سوف آتى عما قريب لاجتراح المعجزات العظيمة ، وأسدى عظام الأعمال لشعبى وللعالم كله » (١٥)

وبعض اليهود بعد ما تم لهم تكوين دولة اسرائيل بغير رضا من أهل فلسطين واعترف بها كثيرون من دول العالم ، خاصة الدولتين العظيمةين : روسيا وأمريكا ، لا يقرون هذا المفهوم ، ويعتبرون أن قيام الدولة قبل مجيء المسيا ضلال مبين واثم عظيم . فقد « أعلن متحدث باسم طائفة « ناتورى كارتا » اليهودية أن الطائفة ستطلب من الرئيس الأمريكى (نيكسون) فى « واشنطن » بحث طلبها الخاص بعودة مدينة القدس الى العرب . والجدير بالذكر أن أعضاء طائفة ناتورى كارتا (٦٠ ألفا) لا يعترفون بدولة اسرائيل على أساس أن دولة ما تحمل هذا الاسم . لا يمكن ان تنشأ الا مع عودة المسيح (١٦) « أى المسيا المنتظر

... ..

ويقول النصارى : ان من نصوص التوراة على المسيا ، قول موسى عليه السلام : « يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك من اخوتك مثلى . له تسمعون » وأن المسيا يجب ان يكون ١ — نبيا ٢ — وكاهنا ٣ — وملكا . ويقولون : ان قول التوراة منطبق على عيسى ، وفيه الاوصاف الثلاثة يقول أ.م. هودجكن : « مسيا الموعود : ان سفر التثنية يبلغ الى ذروة المجد حينما انعكس على موسى بهاء جلال المسيا ، بأن يأتى على مثاله « يقيم لك الرب الهك

(١٥) التلمود والصهيونية ص ٢٣٦ ، ٢١٦ ، ٢٢٤ .

(١٦) جريدة الاهرام المصرية ١٩٧٤/٧/٥م والايخبار ١٩٧٤/٧/٦م

نبيا من وسطك ، من اخوتك ، مثلى ، له تسمعون » (تث ١٨ : ١٥)
نرى هنا : ضرورة التجسد لكل وظيفة من وظائف المسيح الثلاث : نبي
وكاهن وملك . لانه ينبى لكل خدمة من هذه الخدمات الثلاث واحد من
اخوتنا بشر مثلنا جسدا ودما (١٧) «

وقبل أن نسترسل فى الحديث للمقارنة بين عيسى ومحمد — عليهما
السلام — حسب كلام هودجكن نبيين : أن أوصاف المسيا فى التوراة
تعنى : ١ — نبي ٢ — كاهن ٣ — وملك كما قال « هودجكن »

أ — والنبي عندهم هو كما يقول « ابن كمونة » : « من يؤدى أخارا
عن الله تعالى من غير أن يكون بينه وبينه واسطة هى غير انسان آخر
كملك من الملائكة ، أو نفس من النفوس السماوية أو عقل من العقول ، وقد
تطلق لفظة النبي ، وكذا لفظة الرسول على معنى هو أخص من ذلك
وهو أنه المخاطب من جهة الله تعالى لاصلاح نوع البشر . وهذا انما يصدق
على نبي مبعوث بشريعة عامة ، وما كل نبي كذلك ، بل من الأنبياء من
بعث للاخبار بنزول عقاب على أمة مخصوصة أو شخص معين ، أو أنه
بعث ليخبر بأمر يتجدد فى المستقبل أو وقع فى الماضى أو غير ذلك .
كما يحكى عن كثير من انبياء بنى اسرائيل بعد موسى — عليه السلام —
فانهم كانوا على شريعة موسى ، ولم يبعثوا بشريعة تخصهم ،
بل بعثوا فى قضايا مخصوصة باهل زمانهم أو ببعضهم » (١٨)

ب — والكاهن عندهم : هو من يكون من ذرية هارون — عليه السلام
— وعمله : هو أن يدخل قدس الاقداس ، ويتقبل صدقات اليهود وتبرعاتهم ،
ويدعو الله لهم بالبركة فى الاعمال وصلاح الاحوال . ولا يخطر على
البال : أن الكهانة عندهم بمعنى السحر والشعوذة . فانه مكتوب فى
توراة موسى : « لا يوجد فيك من يجيز ابنه أو ابنته فى النار ، ولا من

(١٧) ص ٧٦ المسيح فى جميع الكتب .
(١٨) تنقيح الابحاث فى الملل الثلاث ص ٣ — ٤ .

يعرف عرافة ولا عائف ولا متفائل ، ولا ساحر ، ولا من يرقى رقية ، ولا من يسأل جانا أو تابعة ، ولا من يستشير الموتى ، لان كل من يفعل ذلك يكون مكروها عند الرب(١٩)» (تث١٨:١٠-١٢) وسفر اللاويين الذى هو سفر (الاحبار) فى التوراة يتحدث عن واجبات الكهنة حديثا مفصلا ويذكر ان موسى علم هارون أخيه ماذا يفعل هو وأولاده بعد تقبل صدقات اليهود وتبرعاتهم . وفى هذا السفر : « ثم رفع هارون يده نحو الشعب وباركهم . ودخل موسى وهارون الى خيمة الاجتماع ، ثم خرجا وباركا الشعب » (لا ٩ : ٢٢ - ٢٣)

ت - والملك عندهم لابد وأن يكون من وسط اخوتهم . وفى التوراة : « متى أتيت الى الارض التى يعطيك الرب الهك ، وأمتلكتها وسكنت فيها . فان قلت : أجعل على ملكا ، كجميع الامم الذين حولي ، فانك تجعل عليك ملكا الذى يختاره الرب الهك . من وسط اخوتك تجعل عليك ملكا ، لا يحل أن تجعل عليك رجلا أجنبيا ليس هو أخاك » (تث ١٧ : ١٤ - ١٥) وعبارة « وسط اخوتك » كما تنطبق على نسل اسحق ، تنطبق على نسل اسماعيل . فقد عبرت التوراة عنهم بأنهم أخوة لبني اسحق . تقول التوراة عن اسماعيل - عليه السلام - « وأمام جميع اخوته يسكن » (التكوين ١٦ : ١٢)

ومن حق المسلم أن يكون ملكا على اليهود . لان العرب واليهود اخوة . والمؤمنون اخوة . لقوله تعالى : « انما المؤمنون اخوة » (الحجرات ١٠)

وعلى اوصاف المسيا هذه عندهم ، نجد ان موسى - عليه السلام - اجتمعت فيه كل صفات المسيا الثلاثة فقد كان : نبيا ، وكان كاهنا أى متقبلا لصدقات اليهود ، وداعيا لهم بالبركة ، وكان ملكا ورئيسا مطاعا ، وكان هارون يجمع صفتين اثنتين فقط . لانه كان كاهنا ، وكان نبيا ،

(١٩) لاحظ قوله تعالى عن السحر « ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق » (البقرة ١٠٢)

وكان شاول (طالوت) يتميز بصفة واحدة عندهم ، وهى الملك فقط (٢٠)

ونجد داود وسليمان يجتمع فيهما صفتين اثنتين ، هما صفتى : النبوة
والملك . وليست لهما صفة الكهانة . لانها من اختصاص نسل هارون ،
وهما من سبط يهوذا ، ونجد اليهود يطلقون لقب المسيا على قورش
الفارسى على انه ملك . لكاهانا ولا نبيا (أشعياء ٤٥ - ١) ونجد
زكريا وابنه يحيى - عليهما السلام - لهما صفتى الكهانة والنبوة دون
صفة الملك لانهما من نسل هارون (لوقا ١ : ٥) - وقد كانا من الأنبياء -

ونجد عيسى مسيحا للنبوة والكهانة وليس للملك ، لانه نبي ، ولانه
من نسل الكهنة أبناء هارون . ومع انه من نسل الكهنة أبناء هارون ،
فانه لم يكن الكاهن الاعظم فى عصره ، فالكاهن الاعظم المعاصر لعيسى
كان « حنان » ومن بعد حنان قيفاوا (يوحنا ١٨ : ١٣ - ١٤)

...

...

...

وإذا نظرنا فى الاناجيل . نرى فيهم بوضوح أن عيسى لم يعترف
أبدا بأنه هو المسيا الرئيس ، ولم يسمح لاحد أن يقول عنه ذلك قط .
وانجيل مرقس فيه شواهد كثيرة على هذا . فهو يذكر ان عيسى أخرس
الارواح النجسة ، ثم أوصاها أن لا تتكلم عنه ، ونص عبارته : « وأوصاهم
كثيرا أن لا يظهروه » (١ : ٢٥ و ٣٤ ، ٢ : ١١ و ١٢) ولو كان هو
المسيا ما أوصى بكتبان ما يتعلق به . ويذكر معجزات عظيمة عملها عيسى
ثم يذكر أن عيسى نبه على اخفاء اسمه فقال : « انظر لا تقل لاحد شيئا »
(١ : ٥ / ٤٤ ، ٤٣ ، ٧ : ٣٦ ، ٨ : ٢٦) ويذكر أن بطرس « قال له :
أنت المسيح . فانتهرهم كى لا يقولوا لاحد عنه » (٨ : ٢٩ - ٣٠) ويذكر
بعد المنزول من على الجبل « أوصاهم أن لا يحدثوا أحدا بما أبصروا » (٩ : ٩)
ولم يتوقف الامر الى حد الامر بعدم اعلانه للناس ، بل لقد اتسمت
كثيرا من أعماله العظمى بالسرية . فهو يذكر أن عيسى - عليه السلام -

(٢٠) مفسرو القرآن متفقون على كونه ملكا . ومختلفون فى نبوته

(القرطبي فى البقرة ٢٤٧ - ٢٤٩)

ذهب فى رحلات سرية بعيدة عن الناس « وهو يريد أن لا يعلم أحد »
(٧ : ٣٠/٩/٢٤)

وتحدث لليهود عن ملكوت السموات بأمثال . وكان على انفراد يوضح لتلاميذه كل شيء (٤ : ١٠ - ١٢) . وتحدث عن مجيء المسيا من بعده فى الاصحاح الثالث عشر (١٣ : ٣ - ٣٧) لكن النصارى يفسرون ذلك بالمجىء الثانى للمسيح . وسوف نناقش هذا فى فصل ملكوت السموات وفى فصل ابن الانسان .



وفى انجيل برنابا ومعنى . ما يدل على أن بنى اسرائيل ، قد تضايقوا من عيسى عليه السلام لقوله : بأن النبى المسيا ، سيأتى من بنى اسماعيل ، لان لاسماعيل بركة . وذهبوا الى الوالى عليهم من قبل الرومان . وقالوا : ان عيسى لا يبشر بنبى من بعده ، هو محمد كما يدعى ، بل يدعى أنه هو النبى المسيا الذى أخبر عن مجيئه موسى من بعده ، ليقيم الدين ويطرد المحتلين . وهو قد كون له أنصارا وأتباعا . وجعل نفسه عليهم ملكا . وهم يشيعون فى الناس : بأن يسوع ليس مسيحا عاما ، بل هو مسيح ملك ، ويمنعون الناس من دفع الجزية ، ويساعدونهم على التمرد والثورة .

ولما مثل عيسى أمام الوالى وسأله : هل أنت ملك اليهود الذى أخبر عن مجيئه موسى ليقيم لهم الدين ؟ قال له : أنت تقول . أما انا فلم أقل (٢١)

(٢١) يظن البعض : أن قول المسيح للوالى أنت تقول ، هو اعتراف من المسيح بأنه على الصفة التى نطق بها الوالى . أى أنت نفسك قلت اننى مسيح ملك . وهذا الظن خاطيء لانه لو كان قد أيد الوالى على ظنه ، ما كان الوالى يفسل يديه قدام الجميع ويقول اننى برىء من دم هذا البار . ولو كان المسيح يؤيد ظن الوالى لما قال له مملكتى ليست من هذا العالم وكيف يؤيده ، وهو يقول له ان ابن الانسان سوف تبصرونه آتيا ؟ كما سنبين فى فصل وجاهة بنى اسماعيل .

وسياتى « ابن الانسان » من بعدى مؤيدا بنصر من الله . وعندئذ علم
الوالى أنهم وشوا به زورا ، وأسلموه حسدا . وعرف أنه ليس هو المسيا
من قوله : « وايضا : اقول لكم : من الآن تبصرون ابن الانسان جالسا عن
يمين القوة ، وآتيا على سحب السماء » (مت ٢٦ : ٦٤)

وفى انجيل يوحنا نجد أن عيسى ينفى بصراحة كونه ملكا بقوله
« مملكتى ليست من هذا العالم » (١٨ : ٣٦) واذا نفى أنه ملك فانه
لا يكون هو المسيا وتلاميذه لم يعرفوا أنه كان ملكا (١٢ : ١٥ - ١٦)
وقد هرب من الذين أرادوا أن يجعلوه ملكا يقول يوحنا : « وأما يسوع
فأذ علم أنهم مزعمون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكا انصرف أيضا الى
الجبيل وحده » (٦ : ١٥)

وروى يوحنا أيضا : أن اليهود الذين آمنوا به لم يعتقدوا قط أنه
هو المسيا . وفى انجيل يوحنا : « قال قوم من أورشليم : اليس هذا هو
الذى يطلبون أن يقتلوه ، وها هو يتكلم جهارا ولا يقولون له شيئا .
أهل الرؤساء عرفوا يقينا : أن هذا هو المسيح حقا ؟ ولكن هذا نعلم
من أين هو ؟ وأما المسيح فمتى جاء لا يعرف أحد من أين هو . فننادى
يسوع ، وهو يعلم فى الهيكل . قائلًا : تعرفوننى وتعرفون من أين أنا .
ومن نفسى لم آت ، بل الذى أرسلنى هو حق ، الذى أنتم لستم تعرفونه .
أنا أعرفه ، لانى منه . وهو أرسلنى . فطلبوا أن يمسكوه ، ولم يلق
أحد يدا عليه لان ساعته لم تكن قد جاءت بعد ، فأمن به كثيرون من الجمع
وقالوا : أعمل المسيح متى جاء يعمل آيات أكثر من هذه التى عملها هذا ؟
(يوحنا ٧ : ٢٥ - ٣١)

فلو كان الذين آمنوا به آمنوا به على أنه هو المسيح الذى ينتظروه
لما قالوا « أعمل المسيح متى جاء ... الخ ؟ »

ولو كان عيسى هو نفسه المسيح الذى ينتظروه ، لصرح بهذا فى هذا
الموضع بالذات ، لانه نبي ، ومن شأن النبي أن لا يلبس على الناس
دينهم . وقد أجاب بما يفيد أنه رسول ولم يجب بما يفيد أنه المسيا . رغم
أن حوار الناس كان من أجل أنه هو المسيا ، أم ليس هو .

وفى اللحظات الاخيرة من حياة عيسى — عليه السلام — مثل للمحاكمة
أما الوالى الرومانى بيلاطوس — كما يقولون — وكانت التهمة الموجهة اليه
من اليهود : « اننا وجدنا هذا يفسد الامة ويمنع أن تعطى جزية لقيصر
قائلا : انه هو مسيح ملك . فسأله بيلاطوس قائلا : أنت ملك اليهود ؟
فأجابته وقال : أنت تقول . فقال بيلاطوس لرؤساء الكهنة والجموع :
انى لا أجد علة فى هذا الانسان » (لوقا ٢٣ : ٢ — ٤)

فقول عيسى : « أنت تقول » مغناه : أن ذلك قول منك أنت ، لاقول
منى أنا ، أنت تقول . أما أنا فلم أقل . وتبرئة بيلاطوس له من دعوى
« مسيح ملك » دليل على أن عيسى أقنعه بأنه ليس مسيحا ملكا ، وأنها
اشاعة كاذبة وتهمة باطلة .

ويوضح متى فى هذه اللحظات : أنه كان من عادة الوالى أن يطلق
لهم أسيرا واحدا فى العيد ، فقال : « قال لهم بيلاطس : من تريدون أن
أطلق لكم ؟ باراباس . أم يسوع الذى يدعى المسيح ؟ لانه علم أنهم أسلموه
حسدا ... فقالوا : باراباس . قال لهم بيلاطس : فماذا أفعل بيسوع
الذى يدعى المسيح » ؟ (متى ٢٧ : ١٥ — ٢٢) وهذا يدل على براءة
عيسى من التهم المنسوبة اليه زورا . **وأنه كان يدعى المسيح ، وما كان لقبه
الحقيقى هو : المسيح .** وليس هدفه من حياته أن يكون هو المسيح
الملك . بل ليدعو الناس الى الايمان بالمسيح الملك .

...

...

...

وقد وضع لنا مما تقدم أن عيسى لم تجتمع فيه الصفات الثلاثة
على حد تعبير (هودجكن) وإنما اجتمعت فيه صفتين اثنتين ، هما صفة
الكهانة وصفة النبوة ، ولم يكن ملكا ، ولم يكن كاهنا عظيما .

وما كان يمكن أن يكون كاهنا عظيما ، لان الكاهن العظيم عندهم
يكون الابن الاكبر لكاهن من نسل هارون — عليه السلام — كما فى تولية

هارون لابنه اليعازار وتولية اليعازار لابنه فينحاس وهكذا (أخبار الايام الاولى ٦ : ٤) وعيسى — عليه السلام — ابن بكر لامرأة عذراء ، لا ابن كاهن ، فكيف يمكن أن يكون كاهنا عظيما ؟ انها يمكن أن يكون كاهنا عاديا كأي فرد من أبناء هارون — عليه السلام — وبذلك يكون لقب المسيح الذي اطلق عليه واشتهر به ، يعنى : انه مماثل لمن سبقه من أنبياء بنى اسرائيل . فقد كان كل واحد منهم يطلق عليه لقب مسيح ويدعى به . وكما بينا من قبل كان هارون — عليه السلام — مسيحا فى اعتقادهم . وكان داود ، وكان سليمان ، وكان الياص ، وكان اليسع — عليهم السلام —

ولقب (المسيح) كلقب (نبي) يشترك فيه الجميع بلا استثناء . لكن اذا قيل « المسيح » علما أو « النبي » علما فانه ينصرف الى شخص معين لدى جميع السامعين فكرة عنه وعلم به . فانه يقال مثلا : موسى النبي ، وهارون النبي ، وداود النبي ، وسليمان النبي ، والياص النبي ، واليسع النبي ، وزكريا النبي ، وهكذا . أما اذا قيل (النبي) كلفظ علم مجرد عن الاضافة ، فانه لا ينصرف الا الى شخص معين . لا يتعداه الى غيره .

ولقد عبر القرآن الكريم عن نبي الاسلام — ﷺ — بقوله : (النبي الامي) (الاعراف ١٥٧) بصيغة الالف واللام ، ليشير الى انه هو النبي المخبر عنه فى التوراة وفى الانجيل ، واذا اطلق علما لا ينصرف الا عليه وحده ، وكذلك لفظ (الاسلام) يطلق بالاشتراك على دين نوح وموسى ومحمد — عليهم السلام — لكن اذا اطلق علما لا ينصرف الا على دين نبي الاسلام وحده .

وعلى ما قدمنا فى شأن عيسى — عليه السلام — وانه يدعى مسيحا على صفة النبوة هذه التى منحها الله اياه ، وعلى صفة العلم لانه من أبناء هارون ، نجد فى القرآن الكريم آيات كثيرة منها :

« اذ قالت الملائكة : يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه ، اسمه : المسيح عيسى ابن مريم . وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ، ويكلم الناس فى المهدي وكهلا ومن الصالحين » (آل عمران ٤٥ — ٤٦)

« انما المسيح عيسى بن مريم . رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم .
وروح منه ، فأمنوا بالله ورسله ولا تقولوا : ثلاثة . انتهوا خيرا لكم .
انما الله اله واحد ، سبحانه أن يكون له ولد ، له ما فى السموات
وما فى الارض . وكفى بالله وكيفا . لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا
لله ولا الملائكة المقربون » (النساء ١٧١ — ١٧٢)

ونجد المفسرين يفسرون لقب (المسيح) هذا بما يليق بمنصب النبوة ،
لا بمنصب الملك . يقول الامام الزمخشري : « المسيح لقب من الألقاب
المشرفة كالصديق والفاروق ، وأصله مشيحا (٢٢) بالعبرانية ومعناه :
المبارك كقوله : « وجعلني مباركا أينما كنت » (مريم ٣١) ويقول الامام
القرطبي نقلًا عن ابراهيم النخعي وابن فارس وابن الاعرابي : « والمسيح
لقب لعيسى ومعناه الصديق (٢٣) »

ويزيد المفسرون الامر أيضا حا . فيقولون : ان « المسيح عيسى
ابن مريم » هو بحسب ما اشتهر به وعرف به بين الناس ، لأن الاسم
الحقيقي هو « عيسى » وأما « المسيح » فللقب أطلق عليه كما أطلق على
غيره ، وأما « ابن مريم » فكنية وصفة يقول الامام الزمخشري في تفسير
آية آل عمران : « فان قلت : لم قيل : « اسمه المسيح عيسى ابن مريم »
وهذه ثلاثة أسياء : الاسم منها عيسى . وأما المسيح والابن فللقب وصفة ؟
قلت : الاسم للمسمى علامة يعرف بها ويتميز من غيره . فكانه قيل : الذى
يعرف به ويتميز عن سواه ، مجموع هذه الثلاثة »

ولم يأت فى القرآن الكريم لفظ « المسيح » علما خاصا بعيسى لا يتعداه
الى غيره ، بل أتى دائما مضافا الى « عيسى » أو « ابن مريم » وذلك
على عكس الذى أتى فى القرآن الكريم فى لفظ « النبى » فقد أتى علما
خاصا على نبى الاسلام وحده ﷺ فى (الاحزاب ٦)

(٢٢) قلنا سابقا : همسيح هي العبرانية . أما مشيخ فارابية .

(٢٣) ص ٨٨ — ٨٩ ج ٤ القرطبي .

والذى أتى فى الانجيل فى لفظ « المسيح » فقد أتى علما خاصا على
النبي الذى وعد به موسى فى رواية يوحنا وهو : « الغل المسيح متى
جاء ... الخ »

وذكر « المسيح » هنا فى الآية الاخيرة وهى « لن يستنكف المسيح »
بنون اضافة : سببه أنه هو المتحدث عنه فى الآية السابقة . وفيها « المسيح
عيسى بن مريم » . وذلك من ايجاز القرآن فى دلالة الأول على الحذف . وهذا
يدل على أن عيسى — عليه السلام — ليس هو المسيح المعهود ، المسيح
المعروف للناس ، المسيح الملك المعين من الله نبيا مثل موسى ، المسيح
الذى قال عنه دانيال النبي : « المسيح الرئيس » وانها هو « مسيح »
نبي كسائر الانبياء المنحاء عندهم ، الذين قال الله عنهم فى التوراة :
« لا تمسوا مسحاتى ولا تؤذوا أنبيائى » (اخبار الأيام الأول ١٦ : ٢٢)

والدارسون المتضلعون فى علوم الاديان يقررون ما قرره القرآن
الكريم فى شأن عيسى — عليه السلام — يقررون : أن عيسى كان مسيحا
نبيا ، وما كان هو المسيح الملك المائل لموسى . وأنقل هنا شواهد يسيرة
للتوضيح والبيان :

١ — ظهر باللغة العربية انجيل بعد غياب طويل ، هو انجيل برنابا
وفيه فصول طويلة عن المسيا ، وكيفية مجيئه ومن نسل من يكون ؟ وبين
برنابا : أن اسمه المبارك هو محمد . فقال : « ولما جاء النهار صعد يسوع
الى الهيكل مع جم غفير من الشعب فاقرب منه رئيس الكهنة قائلا : قل
لى يا يسوع : أنسيت كل ما كنت قد اعترفت به . من أنك لست الله ،
ولا ابن الله ولا مسيا ؟ أجاب يسوع : لا البتة لم أنس لان هذا هو الاعتراف
الذى أشهد به أمام كرسى دينونة الله فى يوم الدينونة .

أجاب رئيس الكهنة : انما أسألك هذا ، ولا أطلب قتلك ، فقل لنا :
من كان ابن ابراهيم هذا ؟ أجاب يسوع : ان غيرة شرفك يا الله تؤججنى ،
ولا أقدر أن أسكت . الحق أقول : ان ابن ابراهيم هو اسماعيل

الذى يجب ان يأتى من سلالة مسيا الموعود به ابراهيم أن به تتبارك كل قبائل الأرض » (برنابا ٧.٠٦/٢.٧/٢.٠٨ : ١ - ١٠/٢١.٠ : ١ - ٨)

ويذكر برنابا أن اليهود طلبوا من عيسى عليه السلام أن يبين لهم اسم المسيا . فيقول : « فقال حينئذ الكاهن : ماذا يسمى مسيا ؟ وما هي العلامة التى تعلن عن مجيئه ؟ أجاب يسوع : ان اسم مسيا عجيب ان اسمه المبارك : محمد ، حينئذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين : يا الله أرسل لنا رسولك ، يا محمد تعالى سريعا لخلاص العالم » (برنابا ٩٦/٩٧)

٢ - ويقول العلامة محمد مجدى مرجان (٢٤) : « حاول كتاب الاناجيل أن يلقوا فى روع الناس أن عيسى هو المسيح المنتظر ، المسيح الجديد الذى أتى ليخلصهم من عبودية روما ويعيد اليهم مجدهم الضائع . وتهافت كتاب الاناجيل على استدعاء آيات العهد القديم ، واستنطاق انبياءه قسرا (٢٥) وتحويل الروايات والكلمات التى تحدثت عن المسيح المنتظر ، ليكون المقصود بها عيسى ، وتعديل الاوصاف والاشكال التى قيلت عن المسيح ، لتصدق على عيسى نفسه ، ليوضع فى قالب المسيح المخلص (٢٦) »

٣ - وينقل الدكتور أحمد شلبي عن (برى) قوله : « بنى عيسى تعاليمه على الثقافات اليهودية القديمة والمعاصرة ، والجديد الذى جاء به ، هو أنه كان يتكلم كإنسان فى يده نفوذ أكثر من أن يقنع بأن يكون مفسرا وشارحا ، واستطاع بفصاحته أن يجذب له كثيرا من أتباعه (الذين هم فى الأصل يهود ينتظرون المسيح) وهم منحوه هذا اللقب (٢٧) »

٤ - وينقل الدكتور فردريك . و . فارار عن « أرنست ريفان » قوله عن

-
- (٢٤) مسيحي معاصر قد أسلم وألف كتابين هما : الله واحد أو ثلاث ؟ والمسيح اله أم انسان .
(٢٥) يقصد عبارات من كتب الانبياء مثل أشعيا وغيره .
(٢٦) المسيح اله أم انسان ؟ صفحة ٣٠ - ٣١
(٢٧) المسيحية - شلبي ص ٥٨ .

عيسى — عليه السلام — : « وأنه أعلن أن يأتي مسيا بعده » (٢٨)

٥ — وينقل المتس الدكتور فهميم عزيز عميد كلية اللاهوت للبروتستانت
بمصر عن علماء الغرب : « ان كثيرين من علماء الغرب ينكرون أن يسوع
كان يتصرف ويتكلم كمسيح اليهود أو المسيا الذى كان ينتظره العهد
القديم » (٢٩)

...

...

...

وبعد ما وضح لنا أن عيسى — عليه السلام — ليس هو المسيا
المنتظر ، وأن المسيا ما كان قد أتى قبله . ننتقل الى نبي الاسلام — ﷺ —
لنطبق عليه الأوصاف الثلاثة .

وقبل أن نطبق الأوصاف . نذكر بأننا قلنا : ان نبوءات الأسفار
الخمسة التى تدل على مجيء المسيا قال علماء كثيرون من أهل الاسلام
وأهل الكتاب بأنها تنطبق على نبي الاسلام ﷺ فيكون هو المسيا . ونقول :
بأن لقب المسيا هو لقب محترم عند اليهود ، وليس شائنا ، فانه كان من
الالقب المعظمة التى يحملها العظماء ، ويتناخرون بحملها ، فقد جاء فى
التوراة أن داود — عليه السلام — كان يطلب من الله النصر ويستعطفه بهل
قوله : « انظر يا الله ، والتفت الى وجه مسيحك » (مز ٨٤ : ٩)
وجاء فيها أن يهوذا المكابى كتب خطابا « الى أرسطو بولس مؤدب
بطلماوس الملك الذى من ذرية الكهنة المسحاء » (٢ مك ١ : ١٠) وكان
الشخص الذى يحمل لقب المسيح تكون ذاته مصونة مقدسة ولا يعتدى
عليها أحد بسوء ، حتى ولو كان مخطئا ، تقول التوراة : ان أحد رجال
داود — عليه السلام — أراد قتل شاول فمنعه داود قائلا : « لا تهلكه
من ذا الذى يمد يده الى مسيح الرب ويتبرأ ؟ » (١ صم : ٢٦ : ٩)

(٢٨) حياة المسيح ص ٨٣١ فردريك .و. فارار

(٢٩) ١٦٠ ملكوت الله .

والاوصاف التى وردت فى التوراة عن المسيا خلاصتها : انه يكون
 مائتلا لموسى — عليه السلام — وفى القرآن الكريم عن نبي الاسلام —
 ﷺ — : « انا أرسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا الى فرعون
 رسولا » (المزل ١٥) فقد صرح القرآن بالمثلية ، بين موسى ومحمد —
 عليهما السلام — ولم تصرح الاناجيل الاربعة بما يفيد مثلية عيسى بموسى .
 ففى يوحنا يقول عيسى لليهود : « لا تظنوا انى اشكوكم الى الآب ، يوجد
 الذى يشكوكم ، وهو موسى الذى عليه رجاؤكم » (يوحنا ٥ : ٤٥)

وصفات المائتلة : محددة بالملك الذى يتمثل فى الرئاسة ، ومحددة
 بالكهانة التى تتمثل فى الشريعة ، والدعاء للمؤمنين بالبركة فى الاعمال
 ولأرزاق ، ومحددة بالنبوة التى من مستلزماتها : المعجزات .

أما عن الرئاسة . ففى القرآن الكريم عن النبي ﷺ : « فلا وربك
 لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا
 مما قضيت ويسلموا تسليما » (النساء ٦٥) وفى الاناجيل عن عيسى
 - عليه السلام - : « قال له واحد من الجمع : يا معلم قل لأخى ان يقاسمنى
 الميراث . فقال له : يا انسان من أقامنى عليكما قاضيا أو مقسما ؟ »
 (لو ١٢ — ١٣ — ١٤) وقد هرب من الذين أرادوا أن يجعلوه ملكا .
 كما فى الاصحاح السادس من انجيل يوحنا .

وأما عن المائتلة فى الشريعة والنبوة . ففى القرآن الكريم عن هيمنة
 القرآن على التوراة : « وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من
 الكتاب ومهيمنا عليه » (المائدة ٤٨) وفى القرآن الكريم يقرن الله عز
 وجل بين شريعة موسى وشريعة النبي فيقول : « ومن قبله كتاب موسى
 أماما ورحمة . وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا » (الأحقاف ١٢) والانجيل
 كتاب خالى من تشريع الا من مواظ وحكم وأمثال وتنبؤات عن نبي الاسلام
 ﷺ . وقد أحال أتباعه الى تشريعات التوراة .

وأما عن المماثلة في الدعاة للمؤمنين بالبركة في الاعمال والارزاق بعد تقبل الصدقات والتبرعات . ففي القرآن الكريم عن النبي ﷺ : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ، وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم . والله سميع عليهم » (التوبة ١٠٣) والمعنى : أن الرسول ﷺ يأخذ من الاغنياء صدقة تدل على صحة ايمانهم وصدق باطنهم مع ظاهره . وهذه الصدقة تكون مطهرة لقلوبهم ، ومزكية لنفوسهم « وصل عليهم » معناها : اعطف عليهم بالدعاء لهم ، وترحم . ومعنى : « ان صلاتك مسكن لهم » يسكنون اليه وتطمئن قلوبهم ، وأن الله قد تاب عليهم . ونرى الانجيل عن عيسى — عليه السلام — أنه شفى رجلا من البرص . ثم قال له : « اذهب ان نفسك للكاهن ، وقدم القرابين الذي أمر به موسى شهادة لهم » (متى ٨ : ٤) أى ليس له من الامر شيء .

واذا رجعنا الى فكرة اليهود العامة عن المسيا وهو أنه سيكون محاربا عظيما ، وقائدا منتصرا ، وأنه سيخلص اورشليم من الاحتلال الاجنبى نجد أن هذه الفكرة لا تنطبق تمام الانطباق الا على نبي الاسلام — ﷺ — فقد ظهر في مكة ، وليس له حول ولا طول وما هي الا سنوات معدودات حتى أصبح الرئيس الحاكم على شبه الجزيرة العربية بسيفه ورمحه ، ليحق الحق ويبطل الباطل ، كما حارب موسى من قبل ثم وجه الجيوش لغزو الروم لتحرير اورشليم وسائر بلاد فلسطين . وقال قبل رحيله بقليل : « انفذوا بعث أسامة » قائد الجيش المتوجه لهذا الغزو . وبالفعل تم النصر ، وتحررت البلاد ، وظل علم الاسلام يرفرف عليها الى يومنا هذا ، وسيظل الى الأبد . وتحقق عنه كلام داود : « عوضا عن آباءك يكون بنوك ، تقيمهم رؤساء في كل الأرض » (مز ٤٥ : ١٦)

(تم الجزء الاول من كتاب « البشارة بنبي الاسلام في التوراة والانجيل » ويليه الجزء الثاني وموضوعه : نبي الاسلام في الانجيل)

الدكتور أحمد حجازي السقا

البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل

الجزء الثاني

ملتزم الطبع والنشر
دار البيان العربي بمصر
درب الأبراك - خلف جامع الأزهر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الباب الثاني

في

نبي الاسلام في الانجيل

الفصل الأول

في

المسيح عيسى بن مريم
حياته ودعوته

١ - أرض فلسطين :

كانت « فلسطين » زمن ظهور عيسى - عليه السلام - واقعة تحت احتلال دولة الروم . وكانت تنقسم اداريا الى سبعة أقسام . منها أربعة غربي نهر الأردن هي : ١ - الجليل شمالا . ٢ - والسامرة جنوب منطقة الجليل ٣ - واليهودية . ٤ - وأيدومية ، وثلاثة أقسام شرقي نهر الأردن ١ - قسم في الشمال الشرقي ويضم خمس دوائر صغيرة تقع بين جبل حرمون ، ونهر الميموك هي : ايطورية ، وتراخونيتس وبتانية ، وأورنييتس ، وجولانييتس . ٢ - وقسم أوسط . وكان يسمى العشر مدن ٣ - وبيريه . ولما ولد عيسى عليه السلام كان « هيرودس الكبير » يملك على كل « فلسطين » واليا من قبل الروم ، عدا دائرة العشر مدن ، فقد كانت تتبع في الحكم ولاية « سوريا » . وبعد وفاة « هيرودس » اقتسم مملكته ثلاثة من أبنائه بناء على وصيته ، فملك « أرخيلوس » على « السامرة » و « اليهودية » و « أيدومية » ، وفيلبس على الجزء الشمالي الشرقي من نهر الأردن ، وهيرودس انتيباس على « الجليل » و « بيريه » ، وابان نبوة عيسى - عليه السلام - كان « فيلبس » و « هيرودس انتيباس » لا يزالان على كرسيهما ، أما اليهودية والسامرة ، وشمالي أيدومية فكان عليهم « بيلاطس البنطي » (١) .

٢ - الحالة الدينية لبني اسرائيل :

كان بنو اسرائيل كثيرين جدا في ذلك الوقت ، وكان يوجد عداء لا يطاق

(١) ص ٣٤ انجيل متى للأنبا اثناسيوس .

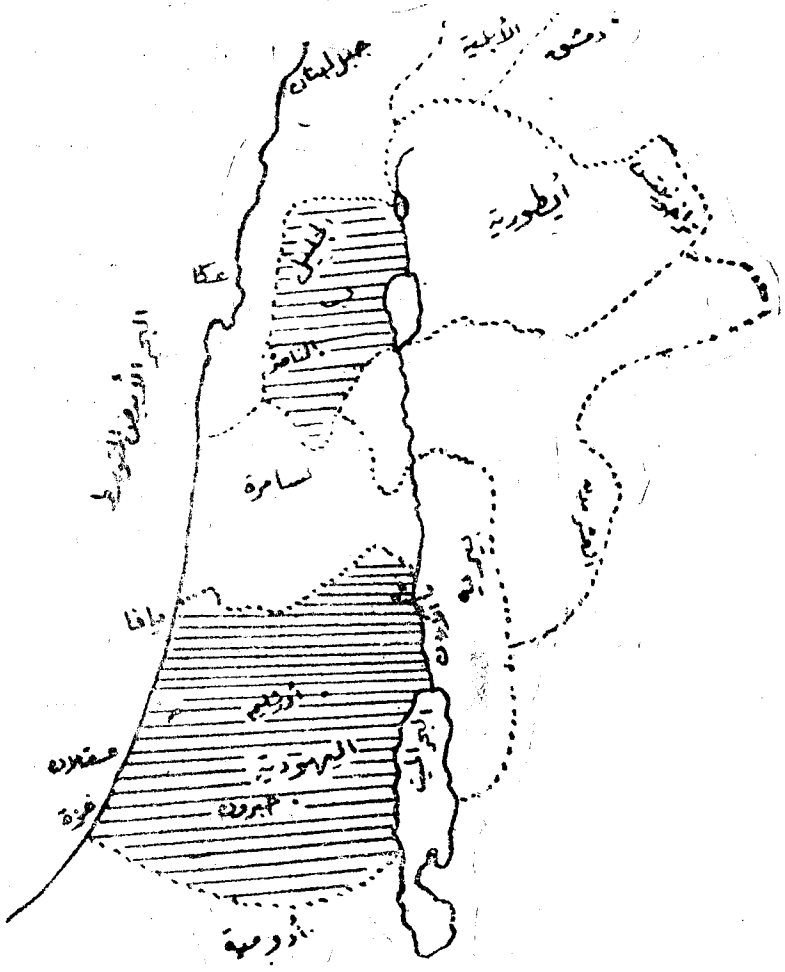
بين اليهود السامريين واليهود العبرانيين ، لدرجة أن اليهود العبرانيين ، فى يوم من الأيام قالوا ليعسى — عليه السلام — : « انك سامرى وبك شيطان » (يوحنا ٨ : ٤٨) وكان كل فريق منهم يمارس شعائره الدينية فى ظل احتلال دولة الروم . وكما يوجد عند اليهود العبرانيين هيكل سليمان وبجواره أروقة يسكن فيها طلاب العلم ، ويتربى فيها صغار الأولاد من ذكور واناث ، الأولاد الذين نذرهم اهلهم للعلم والدين .

مريم فى هيكل سليمان بالمقدس :

وفى ذلك الزمان كانت امرأة عمران ، تحس بحمل فى بطنها ، وتقربا الى الله عز وجل قالت امرأة عمران : « رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا ، فتقبل منى ، انك انت السميع العليم . فلما وضعتها قالت : رب انى وضعتها أنثى . والله اعلم بما وضعت ، وليس الذكر كالأنثى ، وانى سميتها مريم ، وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ، فتقبلها ربها بقبول حسن ، وأنبتها نباتا حسنا ، وكفلها زكريا ، كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا ، قال يا مريم انى لك هذا ؟ قالت : هو من عند الله ، ان الله يرزق من يشاء بغير حساب » (آل عمران ٢٥ — ٢٧) كانت تتمنى أن يكون ذكرا ليقوم بواجب الوعظ والارشاد فى مجامع بنى اسرائيل طول عمره ، ويتصدر مجالس المدرس والافتاء ، لأن الأنثى لا يسمح لها بذلك . وبعد ما صلحت للذهاب الى الهيكل واستطاعت أن تعى ما يلقى اليها ، انطلقت بها امها الى الهيكل فتنافس الأخبار « أيهم يكفل مريم » وكل يدلى بحجته فى كونه أحق بها وأولى . وكانت من نصيب زكريا النبى عليه السلام . وكان كلما زارها فى الهيكل وناقشها فى العلم والدين يجد عندها سعة اطلاع ، وقوة فهم ، فيسألها وهو مغتبط بحالها : « يا مريم انى لك هذا ؟ قالت : هو من عند الله » .

٤ — الحمل ببعيسى عليه السلام :

وبعدما أتت معرفة مقاصد الشريعة وآدابها ، وصح جسمها وعقلها ، جاءها فى الهيكل ملاك الله جبرائيل ، متمثلا فى هيئة بشر سوى الخلقة حسن المنظر « قالت : انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ، قال انها أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا ، قالت انى يكون لى غلام ، ولم يمسنى بشر ،



خريطة تبين أرض اليهودية التي ولد فيها نوحنا المصلح وبيع
 وتبين تقسيم أرض فلسطين بين ولاية وملكهم تابعين للروم

ولم أك بغيا ؟ قال : كذلك قال ربك : هو على هين ، ولنجعله آية للناس ، ورحمة منا . وكان أمرا مقضيا » (مريم ١٧ — ٢١) والمعنى : أنها لما استبعدت ذلك من جهة العادة ، أحالها الى قدرة الله عز وجل التي لا تحد ، وبين لها أنه سيكون آية دالة على قدرته ، وسيكون سبب رحمة للذين يؤمنون بدعوته من بنى اسرائيل وغيرهم . وهذا أمر لا جدال فيه ، لأنه تم بقضاء الله وقدره . ومن ذلك الحين أصبحت مريم حاملا . بعيسى النبي عليه السلام .

٥ — ولادة عيسى عليه السلام :

ولما شعرت بدنو الوضع بعد تسعة أشهر ، انصرفت من الهيكل الى مدينة الخليل — التي تسمى قديما بحبرون — حيث أهلها يقيمون . وفى الطريق فاجأها المخاض فى بيت لحم . ففى القرآن الكريم : « فحملته فانبذت به مكانا قصيا ، فاجاءها المخاض الى جذع النخلة ، قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا ، فناداها من تحتها : ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا ، وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ، فكلى وأشربى وقرى عينا ، فاما ترين من البشر أحدا فقولى : انى نذرت للرحمن صوما . فلن اكلم اليوم انسيا » (مريم ٢٢ — ٢٦) .

٦ — مناقشة :

ان النصارى يقولون : ان أهل مريم كانوا يسكنون فى منطقة الجليل فى قرية تسمى « الناصرة » ومريم أتت مع خطيبها يوسف النجار الى « بيت لحم » ليسجلا أسميها فى تعداد السكان ، الذى كان فى عهد « أوغسطس » قيصر الرومان ، وقالوا ان مجيئها الى « بيت لحم » بالذات لأنها من عشيرة داود عليه السلام ، ولما لم يجدا فندقا يقيمان فيه ، نزلا فى نزل ، جعل مأوى للرعاة . وفى حظيرة اللبقر ولد يسوع المسيح (لوقا ٢ : ١ — ٧) والذى دفعهم الى هذا القول أمران :

الأمر الأول : زعمهم : أن فى التوراة نبوءة تدل على أن عيسى سيدعى ناصريا .

والأمر الثانى : أن اليهود كتبوا فى التوراة انه سيخرج من بيت لحم مدير يرعى شعب اسرائيل .

والحقيقة غير هذا .

أما عن الأمر الأول : فيقول متى : « سكن في مدينة يقال لها ناصرة لكي يتم ما قيل بالأنبياء : أنه سيدعى ناصريا » (متى ٢ : ٣٣) ولا يوجد في أى كتاب من كتب الأنبياء هذه العبارة . يقول الأنبا اثناسيوس « لا توجد في العهد القديم — أى التوراة — نبوءة بهذا النص » (٢) ويقول متى هنرى « هذه التسمية بالذات لم يتنبأ بها أى نبي » (٣) وأضيف الى ذلك : أن مدينة الناصرة كانت من نصيب سبط زبولون بن يعقوب ، وعيسى من سبط لاوى . وأبناء هارون الذين منهم عيسى ، سكناهم كان فى أرض اليهودية ، مع سبط يهوذا . فمن الذى أسكنه «الناصرة» وأخرجه من أرض عشيرته ، وبين المكانيين آلاف الأيال وسفر أيام ؟ وأضيف أيضا : ان « الناصرة » فى فرى الجليل ، وأهل الجليل كلهم من يهود السامرة ، والعداء مستحکم بين السامرة ويهود اورشليم ، والاتصال بينهم ممنوع . ولئن قبل يهود اورشليم نبيا من سكان السامرة ، فكيف سمحوا لسامرى من صفره بالمقام فى هيكل سليمان ؟

وأما عن الأمر الثانى : فيقول متى : « هكذا مكتوب بالنبي : وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رعوساء يهوذا ، لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبى اسرائيل » (متى ٢ : ٥ — ٦) يشير بالنبي الى (ميخا ٥ : ٢) وهذا مردود بأن سفر ميخا من الأسفار المحذوفة عند السامريين ، وبأن عيسى لم يكن ملكا على شعب اسرائيل . وفوق ما تقدم نجد تعداد السكان هذا الذى أشار اليه لوقا مشكوكا فيه من النصارى أنفسهم . (كما فى ترجمة الكاثوليك والبروتستانت فى لوقا ٢ : ٢) فالحق هو الذى أشار اليه القرآن الكريم فى هذا الأمر وهو : انها لما خرجت من هيكل سليمان ذاهبة الى أهلها فى مكان سكناهم فى حبرون فاجأها الخاض الى جذع النخلة ، وهو مكان بين اورشليم وحبرون (٤) فقالت

(٢) ص ١٠٧ تفسير انجيل متى للأنبا اثناسيوس .

(٣) ص ٧٧ تفسير انجيل متى لمتى هنرى ج ١ .

(٤) يقول الدكتور « فردريك فارار » منكرا ولادة عيسى فى بيت لحم « ليس من النادر فى فلسطين أن يكون الخان (حظيرة البقر) جميعه —

في نفسها : بماذا أقابل أهلى ، وكيف أقنعمهم بأمر الله ؟ وعلى سنة الطبيعة البشرية في كل انسان — كما خاف موسى من سحر آل فرعون — قالت : « يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا » أى شيئا هينا ، لهوانه لا يذكره الناس ولا يتألمون لفقده . ولقد ظمأنها الله عز وجل بنطق الغلام الذى ولدته ، فنادها قائلا : « ألا تحزنى . قد جعل ربك تحتك سرىا » أى غلاما سيكون سيذا عظيما (٥) .

٧ — نسب عيسى — عليه السلام — :

ويقص القرآن الكريم خبر وصولها الى أهلها هكذا : « فأنت به قومها تحمله ، قالوا : يا مريم لقد جنئت شيئا فريا ، يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء ، وما كانت أمك بغيا . فأشارت اليه ، قالوا : كيف نكلم من كان في المهد صبيا ؟ قال : انى عبد الله ، آتتى الكتاب وجعلنى نبيا ، وجعلنى مباركا أينما كنت ، وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ، وبرأ بوالدى ولم يجعلنى جبارا شقيا ، والسلام على يوم ولدت ، ويوم أموت ، ويوم أبعث حيا » (مريم ٢٧ — ٣٣) وقد أشار القرآن الكريم بعبارة : « يا أخت هرون » الى نسب عيسى الى هارون النبى أخى موسى عليهما السلام . لنقض ادعاء النصارى : انه ينتسب الى داود النبى عليه السلام .

أو على الأقل الجزء الذى تبين فيه الحيوانات — احدى المغارات التى يكثر وجودها فى التلال الجيرية . والظاهر أن هذا ما كان فى بيت لحم الصغرى فى افراتة اليهودية . ويقرر جوستاف مارتير الذى ولد فى شكيم فشب خبيرا بفلسطين ، والذى عاش فى الجيل الأول بعد الميلاد (ولد سنة ١١٣م ومات فى سنة ١٦٦م) ان مولد المسيح قد تم فى احدى المغارات أو الكهوف . وهذا هو التقليد القديم فى جميع الكنائس الشرقية والغربية ، وهو أيضا احدى الحقائق التى وان لم تكن مسجلة فى الانجيل الا أنها مرجحة » (حياة المسيح ص ٢١) .

(٥) يقول القرطبى : « والسرى من الرجال : العظيم الخصال السيد . قال الحسن : كان والله سرىا من الرجال . ويقال : سرى فلان على فلان ، أى تكرم ، وفلان سرى من قوم سراة » [القرطبى فى مريم ٢٤] .

وبيان هذا النسب في القرآن ، وفي الانجيل هكذا :

اولا - نسب عيسى في القرآن الكريم :

جاء في التوراة أن اولاد يعقوب عليه السلام كانوا اثني عشر ولدا وثالثهم يسمى بـ « لاوى » ، وقد اختص الله ذرية لاوى للعلم والتعليم . واختص نسل هارون من سبط لاوى ليكون منهم الكهنة المقربين للذبائح اليومية والأسبوعية والشهرية والسنوية ، وليكون منهم القائمين بخدمة الاحتفالات وتطهير الآنية المقدسة في الهيكل ، والتصويت بالأبواق ، والقضاء ، وتقدير المال للافتداء ، وتفسير التوراة للشعب (الخروج ٢٨ ، أخبار الأيام الأول ٢٤ : ٤ ، أخبار الأيام الثاني ٢٦ : ١٨) .

وقد أنجب لاوى : قهات ، وأنجب قهات : عيرام ، وأنجب عيرام : هرون وموسى عليهما السلام ، وابنة تسمى مريم . على اسمها تسمت مريم أم عيسى عليه السلام ، وبينهما نحو ١٥٧١ سنة بحساب النصارى . (أخبار الأيام الأول ٦ : ١ - ١٥)

ومن نسل هارون عليه السلام جاءت مريم رضى الله عنها ، خلفا لما يزعم النصارى أن مريم من نسل داود من سبط يهوذا . وقد أثار القرآن الكريم الى ذلك فى قوله تعالى عن مريم « يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء ، وما كانت أمك بغيا » (مريم ٢٨) وفى قوله تعالى « ومريم ابنة عمران » (التحريم ١٢) وفى آية الاصطفاء « ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ، ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ، اذ قالت امرأة عمران : رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا ، فتقبل منى . انك أنت السميع العليم » (آل عمران ٣٣)

أما عن « يا أخت هرون » : فيقول الزمخشري : « قيل هو آخر موسى صلوات الله عليهما ، وعن النبي ﷺ : « انما عنوا هرون النبي ، وكانت من أعقابه فى طبقة الأخوة ، وبينهما وبينه ألف سنة وأكثر » وعن السدى : كانت من اولاده ، وانما قيل : « يا أخت هرون » ، كما يقال يا أخا همدان ، أى يا واحدا منهم » ويقول القرطبي : « قيل : هو هارون أخو موسى ، والمراد من كنا نظنها مثل هارون فى العبادة ، تأتى بمثل هذا ؟

قيل على هذا : كانت مريم من ولد هارون أخى موسى ، فنسبت اليه بالأخوة لأنها من ولده . كما يقال للتميمي : يا أخا تميم ، وللعربى يا أخا العرب ... ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : « ان أخا صداء قد أذن . فمن أذن فهو يقيم » .

وأما عن « ابنة عمران » و « آل عمران » و « امرأة عمران » فنقول :

(أ) لا جدال مطلقا في أن « آل عمران » هم المتفرعون من ذرية عمران ابن قهات بن لاوى بن اسحق بن ابراهيم ، وآخر ذريته فيمن اشتهر : مريم رضى الله عنها ، ولا يعقل أن يكون المراد بآل عمران : من جاء من عمران ، الأب المباشر لمريم . لأن الآل عبارة عن ذرية تتشعب من الأصل ، ولم يتشعب من مريم نسل الا عيسى ، وهو لم يتزوج فيقيم نسلا ، ولم يذكر في الكتب . أن مريم كان لها اخوة من الذكور منتسبين لأبيها عمران .

(ب) ولا خلاف في اللغة أن الابن ينسب الى أبيه المباشر ، وينسب الى الجد الكبير رب الأسرة . وعلى ذلك يجوز في « ومريم ابنة عمران » أن تكون النسبة الى أب حقيقى مباشر ، اسمه عمران ، ويجوز أن تكون النسبة الى أب مجازى ، غير مباشر ، هو الجد الأعلى الذى هو عهرام بن قهات بن لاوى ، ومن ذريته مريم رضى الله عنها .

(ج) ولا خلاف في اللغة : أن النسبة فى « امرأة عمران » تصح على الحقيقة لزوج اسمه عمران ، وتصح النسبة مجازا ، لامرأة من نسل عمران الجد الكبير رب الأسرة الذى هو عهرام بن قهات . اذ يقال مثلا : رجل قريش وابنة قريش . وامرأة قريش . وبن مصر ، وابنة مصر ، وامرأة مصر . ويقال : فتى غسان ، وفتاة غسان ، وامرأة غسان ، وهذا على طريق الاضافة التى بمعنى اللام ، والمعنى : رجل لقريش ، أى منسوب الى قريش . وهكذا . ويجوز أن تكون الاضافة بمعنى من . أى رجل من قريش ، وابنة من قريش . وامرأة من قريش . وهكذا . ويجوز في اللغة : نسبة الذكر والانثى . الى الأب الروحى الذى يسترشد برأيه أتباعه ، فيقال مثلا : رجل موسى أى منتسب الى شريعة موسى ، ورجل عيسى ، ورجل نبي الاسلام وامرأة موسى ، أى منتسبة الى شريعته .

وهكذا . ويقال أيضا : ابن موسى وابن عيسى وابن نبي الاسلام لمن ينتمي الى موسى وعيسى والنبي . وابنة موسى لمن تنتمي الى شريعته ، وابنة عيسى ، وابنة نبي الاسلام . وبناء على ما تقدم في عرف اللغة : فانه يجوز : ابن عمران ، وفتى عمران ، وفتاة عمران ، ورجل عمران ، وامرأة عمران . منتسبين الى رأس الأسرة : عمران بن قهات .

وقصد القرآن في نظرنا هو نسبة مريم الى الجد الأعلى ، عمران بن قهات لا الى الأب المباشر :

(أ) لأن آية الاصطفاء ذكرت آدم أبو البشر عليه السلام ، ثم ذكرت منه نوح عليه السلام أب البشرية الثاني ، وهذا تخصيص من عام ، ثم ذكرت آل ابراهيم عليه السلام ، وهم من ذرية نوح ، ثم ذكر من آل ابراهيم : آل عمران : « ذرية بعضها من بعض » « يعني : أن الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض » — كما يقول الزمخشري — ومريم رضى الله عنها : من هذه الذرية المتشعب بعضها من بعض .

(ب) ولأن آية الاصطفاء ذكرت عمراننا واحدا « وآل عمران » فيكون قوله تعالى « ابنة عمران » هو المشار اليه في آية الاصطفاء للعهد الذكرى ، ولو كان هو عمران آخر لوجدت قرينة تشير الى ذلك الآخر . وعليه قال بعض المفسرين : « المراد : عمران والد موسى وهرون . وهو عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ، فيكون المراد من آل عمران : موسى وهارون وأتباعهما من الأنبياء » (٦) . (ج) ولأن اللفظة العربية كما أشرنا لا تمنع من هذه النسبة .

ثانيا - نسب عيسى في الانجيل :

ونستدل من الاناجيل الأربعة على نسبة عيسى الى هرون بما يلي :

(أ) جاء في انجيل لوقا ما نصه : « كان في أيام هيروديس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا ، من فرقة ابيا ، وامراته من بنات هرون ، واسمها « اليصابات » (لوقا ١ : ٥ - ٦) وهذا النص يبين : أن

(٦) ص ٢٤ ج ٨ التفسير الكبير لفخر الدين الرازي .

اليصابات امرأة زكريا من بنات هرون ، وبيين : أن زكريا من فرقة أبيا وهى من أولاد هارون (أخبار الأيام الأول ٢٤ : ١ - ١٠) وهذا الزواج شرعى ، بحسب نصوص التوراة التى تحتم على كل رجل يهودى ان أراد الزواج من يهودية ، أن يتزوج من سبطه ، وكل امرأة تتزوج فى سبطها من أجل وحدة كل سبط وتميزه عن غيره .

تقول التوراة : « وكل بنت ورثت نصيبا من أسباط بنى اسرائيل تكون امرأة لواحد من عشيرة سبط أبيها ، لكى يرث بنو اسرائيل كل واحد نصيب آبائه ، فلا يتحول نصيب من سبط الى سبط آخر ، بل يلزم أسباط بنى اسرائيل ، كل واحد نصيبه » (العدد ٣٦ : ٨ - ٩)

وفى انجيل لوقا : أن مريم نسيبة لأليصابات فى هذا النص : « وهوذا انيصابات نسيبتك » (لوقا ١ : ٣٤) قال لها الملك ذلك ، وهو يحدثها عن الحمل بوعيسى بدون بشر .

فقول الملك ان اليصابات نسيبة لمريم ، يدل على أن مريم من النسل الذى منه اليصابات . وهو نسل هرون . لأن النسب عندهم بمعنى القرابة . يقول بولس : « انى كنت أود لو أكون أنا نفسى محروما من المسيح ، لأجل اخوتى أنسبائى ، حسب الجسد ، الذين هم اسرائيليون ولهم التبنى والمجد والعهود والاشتراع . . . الخ » (رومية ٩ : ٣-٥) ويقول بولس أيضا : « أيها الأمم : بما أنى رسول للأمم ، أجد خدمتى ، لعلى أغير أنسبائى وأخلص أناسا منهم » (رومية ١١ : ١٣ - ١٤) يقصد تخليص اليهود من الكفر بوعيسى ، ويقول الدكتور فردريك فارار : « النسب : القرابة » (٧)

(ب) اتفقت الأناجيل الأربعة على أن عيسى عليه السلام كان يدخل مجامع اليهود الدينية ويعظ الناس ، وكان يخطب كثيرا فى هيكل سليمان . وكان تلاميذه ينادونه بلقب الربى أو المعلم الصالح . ولا يقوم بهذا العمل الا من كان من نسل لاوى . ولا ينادى بالربى الا من يكون من نسل هرون عليه السلام .

٨ - أرض الأسرة :

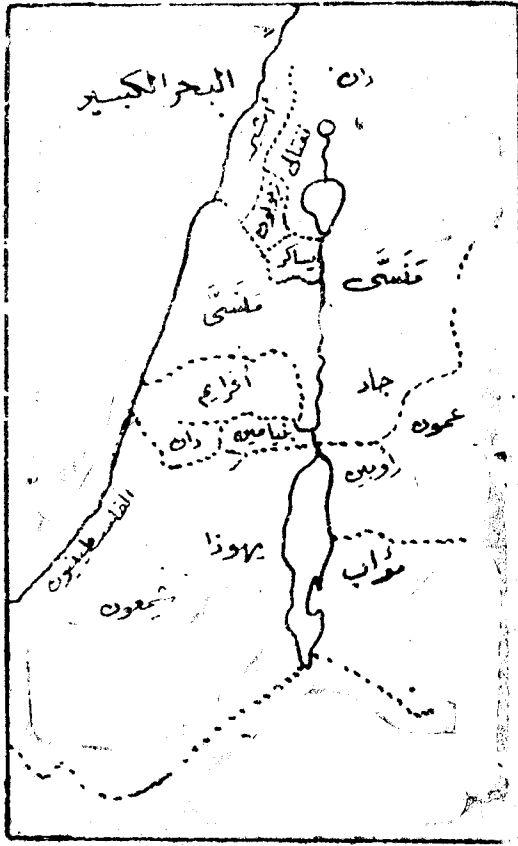
في التوراة أن يشوع بن نون لما احتل أجزاء من أرض فلسطين، قسمها بالقرعة على أسباط بن إسرائيل دون سبط لاوى ، الذى جعله بناء على وصية موسى - عليه السلام - متفرقا وسط الأسباط ، وجعل ذرية هارون من سبط لاوى فى ثلاث عشرة مدينة . تسع مدن من أرض يهوذا وشمعون ، وأربع مدن من أرض بنيامين (يشوع ٢١ : ١ - ١٩) ومن مدن أبناء هارون التى سكنوها من أرض يهوذا : (قرية أربع هى حبرون (٨)) وبجوار هذه القرية على مسافة قليلة : أرض يوطاة . التى عاش فيها زكريا - عليه السلام - وفيها ولد يحيى - عليه السلام - وفى حبرون كانت أسرة عيسى - عليه السلام - لأنهم جميعا من أبناء هارون .

يقول الدكتور جورج بوست فى قاموس الكتاب المقدس : « يوطه : مدينة فى جبال يهوذا بقرب معول وكرمل (يشوع ١٥ : ٥٥) أعطيت للكهنة (يشوع ٢١ : ١٦) وهى هنا مكتوبة يطة . وقال « أوسيبوس » : انها قرية كبيرة على بعد ١٩ ميلا جنوبى اليوثر وبولس . وظن « ريلاند » : أنها مدينة يهوذا (لوقا ١ : ٣٩) التى سكنها زكريا أبو يوحنا ، وهى يطة ، على بعد خمسة أميال جنوبى الخليل « يقصد « ريلاند » فى (لوقا ١ : ٣٩) ان الملك لما بشر مريم فى الهيكل بالحمل بدون بشر ، ومضى من عندها الملك « قامت مريم فى تلك الأيام وذهبت بسرعة الى الجبال الى مدينة يهوذا » فذهابها الى مدينة يهوذا ، عقب الحمل مباشرة : دليل على أن قومها يسكنون فى الأرض المخصصة للكهنة من سبط يهوذا . وليس فى الناصرة احدى قرى الجليل . كما يزعم النصارى .

٩ - الاسم واللقب :

ولما ولد عيسى عليه السلام سمته أمه حسب قول الملك لها : يسوع (لوقا ١ : ٣١) وهو اسم عبرى كان يسمى به بابدال السين شيئا ويقول النصارى : ان معناه : مخلص ولقد تسمى به من قبل : يشوع بن نون ،

(٨) مدينة الخليل .



خريطة تقسيم فلسطين على الأسباط الاثني عشر

فنى موسى ، ولم يكن يوم أن سُمى به مخلصا ، وتسمى به يشوع بن يهوصاداق الكاهن الذى رجع مع اليهود من سبى « بابل » ولم يكن يوم أن سُمى به مخلصا ، أما اسم عيسى الذى أورده القرآن الكريم ، فقد جاء عنه في كتب النصارى مانصه : (أما كلمة عيسى : فأنراجع أنها معربة عن الكلمة اليونانية : ايسا ، والتي تنطلق في حالة الرفع : ايسوس (٩)) وفي كتاب حياة المسيح للدكتور فردريك . و. نارار : صورة لعيسى عليه السلام مكتوب تحتها ما نصه : (صورة للسيد : هذه صورة نصفية مكبرة مرتين عن الأصل . مأخوذة عن زمردة خضراء ، وتظهر بوضوح فن القرن السادس ، وتمثل السيد بوجه كامل ، مرتديا قميصا وعباءة ، ويده اليمنى كالعادة مرفوعة بالبركة ويساره تحمل كرة ، رمزا لسلطانه على كل الأرض ، والحروف الجانبية : اختصار : ايسوس بخرستوس . اى يسوع المسيح (١٠) » والاسم العبرى يشوع ، ينطقه اليهود : ايشوع . وقد جاء هكذا بحسب النطق في كتب المسلمين القدماء ، وفي التراجم القديمة للأناجيل ، التي اكتشفت في دير سانت كاترين بسينا .

أما كلمة « المسيح » فهي أصلا في العبرية : همشيع . بمد الماء والميم مفتوحتين مخمفتين ، ومعناها المسوح . وفي الآرامية : مشيح . وفي اليونانية : مسيح . وفي بعض اللغات التي لا يوجد فيها حاء ، جاءت الكلمة : مسيا . وهي الآن شائعة في التراجم العربية الحالية . يقولون : « مسيا الذى تفسيره المسيح » (يوحنا ١ : ٤١) . وكلمة مسوح : على الحقيقة من المسح بالدهن المقدس ، أو صب الزيت على الرأس ، لمن يعينه الله نبيا أو كاهنا أو ملكا . وهي على المجاز تعنى المعين من الله ، حتى ولو لم يمسخ . وكلمة المسيح لقب لعيسى ، لا اسم . وهو لقب يطلق عند اليهود على النبي والكاهن والملك وقد أطلق هنا على عيسى بحسب ما اشتهر به بين الناس وعرف به مستقبلا . فبشارة الملائكة اريم وهي فى الهيكل : « ان الله يبشرك بكلمة منه : اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ، ويكلم الناس فى المهد وكهلا ، ومن الصالحين »

(٩) ص ٦٩ انجيل برنابا فى ضوء التاريخ والعقل والدين .

(١٠) ص ٥٦٦ حياة المسيح لفردريك .

معناها ستحملين بولد من غير بشر ، لأن الله اذا قال لشيء كن يكون . وهذا الذى سيكون منك بكلمة : كن . سيكون اسمه فى المستقبل الذى يشتهر به بين الناس فى جميع أنحاء العالم الى يوم القيامة ، سيكون اسمه (المسيح عيسى بن مريم) وأنه سيكون بعد ولادته بمدة : وجيها فى الدنيا . لأنه سيكون فى نظر الناس نبيا عظيما ، وسيكون فى الآخرة أيضا وجيها . لأنه لم يزد ولم ينقص من شرع الله شيئا ، وسيكون من المقربين ، لأمانته ونزاهته ، وسيكلم الناس صغيرا وكبيرا ، وسيكون صالحا . وكل هذه الأوصاف الطيبة عنه ، ليست حال الولادة ، بل منها ما سيحدث بعد مدة من الزمان . ويؤكد هذا : أنه استطرد فى الحديث عن معجزاته ودعوته وقال : « أنى قد جئتمكم بأية من ربكم . . . الخ » فى سياق الحديث المتصل بالبشارة ، وما كان قد ولد بعد .

ودليلنا على ذلك أيضا : أن مريم لما أتت به قومها تحمله ، واستنكروا منها حالها الذى يدل على ريبة ، أشارت اليه أن يتحدثوا معه « قال : انى عبد الله . أتانى الكتاب ، وجعلنى نبيا ، وجعلنى مباركا أينما كنت ، وأوصانى بالمصلاة والزكاة ما دمت حيا ، وبرا بوالدتى ، ولم يجعلنى جبارا شقيا ، والسلام على يوم ولدت ، ويوم أموت ويوم أبعث حيا » فقله : انه أوتي الكتاب ، وأنه نبي . . . الخ هذه الأوصاف التى كانت له مستقبلا ، لا ساعة الكلام . يدل على أن المقصود بتعبير البشارة : هو ما سيكون فى المستقبل . اشارة الى تحقق وقوعه . يقول الزمخشري رحمه الله : « واختلفوا فى نبوته . فقيل : أعطيها فى طفوليتها ، وأكمل الله عقله ، واستنبأه طفلا ، نظرا فى ظاهر الآية . وقيل : معناه أن ذلك سبق فى قضائه ، أو جعل الآتى لا محالة ، كأنه قد وجد » (١١) ويضعف القرطبي الرأى الأول ، ويصحح الرأى الثانى فيقول : « حكم لى بايتاء الكتاب والنبوة فى الأزل ، وان لم يكن الكتاب منزلا فى الحال ، وهذا اصح » ويؤكد القرطبي رأيه بقوله : « لم ينقل أنه دام نطقه ، ولا أنه كان يصلى ، وهو ابن يوم أو شهر ، ولو كان يدوم نطقه ، وتسبيحه ووعظه وصلاته فى صغره ، من

وقت الولادة لكان مثله مما لا ينكتم ، وهذا كله مما يدل على فساد القول
الأول ويصرح بجهالة قائله « (١٣)

١٠ - ثقافته في كتب النصارى :

في الاصحاح الثلاثين من سفر العدد عن النذر لله تعالى : « اذا نذر
رجل نذرا للرب ، او أقسم قسما : أن يلزم نفسه بلازم ، فلا ينقض كلامه ،
حسب كل ما خرج من فمه يفعل . وأما المرأة فاذا نذرت نذرا للرب والمتزمت
بلازم في بيت أبيها في صباها ، وسمع أبوها نذرها ، واللازم الذى ألزمت
نفسها به ، فان سكت أبوها لها ، ثبتت كل نذورها ، وكل لوازمها التى
ألزمت نفسها بها : تثبت . الخ » . وفى الاصحاح السادس من سفر
العدد : « اذا انفرز رجل أو امرأة ، لينذر النذير ، لينتذر للرب . فعن الخمر
والمسكر يفترز ، ولا يشرب خل الخمر ، ولا خل المسكر ، ولا يشرب من نقيع
العنب ، ولا يأكل عنبا ، وطبا ولا يابساً . كل أيام نذره . لا يأكل من كل
ما يعبل من جفنة الخمر ، من العجم حتى القشر . كل أيام نذر افترازه ،
لا يهر موسى على رأسه . الى كمال الأيام التى انتذر فيها للرب . يكون
مقدسا ويربى ، خصل شعر رأسه . الخ »

وعلى سنة هذه الشريعة : كانت مريم رضى الله عنها نذيرة لله من
البطن الى يوم موتها [قضاة ١٣ : ٧] ولم تتزوج - لا قبل ولادة عيسى
ولا بعد ولادته - وكان عيسى ويحيى عليهما السلام معطيان للرب
كل أيام حياتهما [صموئيل الأول ١ : ١١] ولم يتزوجا . و « بعض المؤرخين
يحسب السيد المسيح من النذيرين » (١٣) وهذا الحسبان هو حقيقة ،
لأن صورته في الكنائس تدل على نذره ، لطول شعره وانسداله على كتفيه .
ويفسر الأستاذ العقاد - رحمة الله عليه - « حصورا » التى وردت في
القرآن عن يحيى عليه السلام بقوله : « وقد نشأ الطفل منذورا للتبوية .
وذلك معنى وصفه فى القرآن الكريم بالحصور » .

والمندور في شريعة بنى اسرائيل يعطى لله كل أيام حياته ، فيتعلم

(١٢) انظر تفسير الجامع لأحكام القرآن في مريم ٢٩ - ٣٣

(١٣) ص ٣٩ عبقرية المسيح للعقاد .

« العلم ان كان من اللاويين ويقوم بواجب الشريعة بين الناس ، وان كان من غير اللاويين فلجهاد فى سبيل الله . ولما انتشر يحيى وعيسى لله عز وجل دخلا هيكل سليمان فى اورشليم للسمع من علماء بنى اسرائيل . يقول لوقا عن عيسى : وفى سن الثانية عشرة : كان « فى الهيكل جالسا فى وسط المعلمين ، يسمعون ويسألهم . وكل الذين سمعوه ، بهتوا من فهمه وأجوبته » [لوقا ٢ : ٤١ - ٤٩] .

ويقول الدكتور فردريك . فارار : « كانت اللغة الآرامية هى التى يتحدث بها السيد عادة ، ومع أن اللغة العبرانية فى أيامه كانت لغة فنية ، لا يعرفها سوى المتعلمين ، ولا تحفظ الا بجهد ، غير أن يسوع كان يتحدث بها ، وهذا ظاهر من الاقتباسات التى أخذها راسا من العبرانية . وكذلك كان يتكلم باليونانية . ويحتمل أيضا : أنه تحدث باللاتينية . لأن الرومان كانوا كثيرين فى اليهودية » (١٤) ولا شك أن من يعرف هذه اللغات يعرف أيضا شيئا من آدابها وفلسفاتها .

١١ - معجزاته :

لما كبر فى السن آتاه الله النبوة . ويقول النصارى : ان ذلك كان فى نحو الثلاثين من العمر . وهو عندهم على سبيل الظن (لوقا ٣ : ٢٣) واستمر فى النبوة سنتين وشهورا ، ثم رفع الى السماء ، والمقرآن صرح بأنه كان نبيا حالة كونه كهلا . والكهل : هو الشيخ الكبير فى السن (١٥) . وصرح بأن الله أيدته بمعجزات فى قوله تعالى « اذ قال الله يا عيسى ابن مريم : انك نعمتى عليك وعلى والدتك . اذ أيدتك بروح القدس ، تكلم الناس فى المهد وكهلا ، واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ، واذ تخلق من الطين كهية الطير باذنى ، فتنفخ فيها فتكون طيرا باذنى ، وتبرىء الأكمه والأبرص باذنى ، واذ تخرج الموتى باذنى . واذ كشفت بنى اسرائيل عنك اذ جثتهم بالبليات . فقال الذين كفروا منهم : ان هذا الا سحر مبين ،

(١٥) ص ٩٠ - ٩١ حياة المسيح لفردريك .

(١٥) فى تفسير القرطبي (فى آل عمران ٤٦) : « قال المهدي : وفائدة الآلة : انه اعلمهم ان عيسى عليه السلام يكلمهم فى المهد ، ويعيش الى أن يكلمهم كهلا » ، وروى عن النحاس الكهل « عند أهل اللغة من ناهز الأربعين»

واذ أوحيت الى الحواريين : ان آمنوا بى و برسولى . قالوا : آمنة .
 وأشهد بأننا مسلمون » (المائدة ١١٠ — ١١١) ويقول تعالى : « ورسولا
 الى بنى اسرائيل : أنى قد جئكم بأية من ربكم : أنى اخلق لكم من الطين
 كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ، وأبرىء الأكمه والأبرص ،
 وأحيى الموتى باذن الله ، وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم . ان
 فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين . ومصدقا لما بين يدى من التوراة ، ولأهل
 لكم بعض الذى حرم عليكم ، وجئكم بأية من ربكم . فاتوا الله وأطيعون .
 ان الله ربهى وربكم فاعبدوه . هذا صراط مستقيم » (آل عمران ٤٩ — ٥١)
 ومن هذه الآيات الكريبات . نرى معجزات حسية . هى :

- ١ — الكلام فى المهد .
- ٢ — خلقه من الطين طيرا .
- ٣ — ابراء الأكمه .
- ٤ — شفاء الأبرص .
- ٥ — احياء الموتى .
- ٦ — التنبؤ بالغيب .

ومعجزات معنوية أيده الله بها ، كنجاته من اليهود ، وايمان بعضهم
 به ، ومعرفته العميقة بالكتاب والحكمة ، وفوق ذلك : آناه الله الانجيل
 فيه هدى ونور ، وأرسله الى بنى اسرائيل ليعرفهم ، وليعرفوا الأم بمجيبه
 محمد ﷺ . وذلك الذى اشار اليه القرآن الكريم موجود فى الأناجيل .
 صريحا وضمنا .

أما عن نجاته : فيقول يوحنا عن اليهود : « رفعوا حجارة ليرجمها يأكلون
 أما يسوع فاختمى وخرج من الهيكل مجتازا فى وسطهم ومضى » عنى ، أوردها
 رآخرون لطموه . (٥٩) .
 وأما عن قوله « ان الله ربهى وربكم فاعبدوه » : فى ٦٧ — ٦٨ فقوله :
 عبارات الانجيل . ومن هذه العبارات : قول عيسى .
 « يا مريم . فالتفتت تلك ، وقالت له : انى المسيح عيسى بن مريم
 يا معلم ، قال لها يسوع : لا تلمسينى . لأنى

« ولكن اذهبي الى اخوتي . وقولى لهم : انى اصعد الى ابي وابيكم ،
واللهي والهكم » (يوحنا ٢٠ : ١٦ — ١٧) والبنوة مجازية عن أن الله
ولى النعم ، وكلمة : ربونى أو ربي أو رابى ، تعنى أستاذا معلما كما يقول
يوحنا : « ربي الذى تفسيره يا معلم » (يو ١ : ٣٨) ويقول متى هنرى :
« ان كلمة ربون ، كانت لقبا أكثر توقيرا من ربي »

وأما عن الكلام فى المهد : فهذه المعجزة لم تذكر فى كتد النصارى
المعتمدة . لكن شريعة التوراة تجيز حرق الزانية بالنار ، اذا كانت ابنة
كاهن . ومريم ابنة كاهن وقد رآها الناس تحمل ولدا وما تزوجت . فلماذا
لم تحرق ؟ فى التوراة : « واذا تدنست ابنة كاهن بالزنى فقد دنست
اباها . بالنار تحرق » (لاويين ٢١ : ٩) ان عدم حرقها دليل على نطق
ابنها . ويقول برنابا : انه تكلم فى المهد (برنابا ٧ : ١٠) وكلامه كهلا
فى الحياة الدنيا قبل رفعه الى السماء : أشار اليه أنجيل يوحنا . حين
قال اليهود لعيسى عليه السلام « قال له اليهود : ليس لك خمسون
سنة بعد » (يو ٨ : ٥٧) ويعلق على هذه الفقرة الدكتور فرديريك . فارار
بقوله : « فى بعض الكتب الزائفة التى لا قيمة لها ، وردت كلمة « أربعون »
بدل « خمسون » ومن المدهش حقا : أن أحد الكتاب الحديثين مثل « جروفر »
يحيى المخطأ القديم الذى وقع فيه « ايرينوس » ويقول : انه يستخلص من
هذه الآية : أن المسيح عاش خمسين سنة على الأرض » (١٦) ويقول متى
هنرى فى تفسيره : « يقول القديس « ايريناوس » — أحد الآباء الأولين — :
ان هذه العبارة (ليس لك خمسون سنة بعد) تؤيد التقليد الذى استلمه
من بعض الذين عاشروا يوحنا الانجيلي : أن مخلصنا عاش خمسين
الآلهه و(١٧) .

عك اذ جنتهم ، خلقه من الطين طيرا : فلم ترد هذه المعجزة فى كتب
ها وردت فى انجيل توما ، وانجيل الطفولية . ورد فيهما
(١٠) ص ٩٠ .
طعمة من الطين وشكلها على هيئة الطير ، ثم نفخ فى
(١٥) فى تفسير .

الآية : انه أعلمهم أن عيد ٥٠٥ حياة المسيح لفرديريك .
بكلهم كهلا » ، وروى عن ' تفسير انجيل يوحنا .

الطين ، فذبت الروح فيه ، وطار فى الجو ، وعيون الناس معلقة به (١٨) .
وأما عن ابراء الأكمه : فيقول يوحنا : « وفيها هو مجتاز رأى انسانا
أعمى منذ ولادته ، فسأله تلاميذه قائلين : يا معلم . من أخطأ ؟ هذا أم
أبواه حتى ولد أعمى ؟ أجاب يسوع : لا هذا أخطأ ، ولا أبواه لكن لتظهر
أعمال الله فيه . . . قال هذا وتفل على الأرض ، وصنع من التفل طينا ، وطفى
بالطين عيني الأعمى ، وقال له : اذهب واغتسل فى بركة سلوام . الذى
تفسيره مرسل ، فمضى واغتسل وأتى بصيرا » (يو ٩ : ١ - ٧)

وأما عن ابراء الأبرص : فقد ورد فى انجيل مرقس : « أتى اليه أبرص
يطلب اليه جائئيا . وقائله : ان أردت . تقدر أن تطهرنى ، فتحنن يسوع ،
ومد يده ، ولمسه . وقال له : أريد فاطهر . فلوقت وهو يتكلم ، ذهب عنه
البرص وطهر » (مرقس ١ : ٤٠ - ٤١)

وأما عن احياء الموتى : فقد ورد فى انجيل يوحنا : « جاء الى القبر ،
وكان مغارة ، وقد وضع عليه حجر . قال يسوع ارفعوا الحجر . قالت له
مرثا أخت الميت : يا سيد قد أنتن ، لأن له أربعة أيام ، قال لها يسوع :
ألم أقل لك : ان آمنتم ترين مجد الله . فرفعوا الحجر ، حيث كان الميت
موضوعا ، ورفع يسوع عينيه الى فوق ، وقال : أيها الآب أشكرك لأنك
سمعت لى . وأنا علمت أنك فى كل حين تسمع لى ، ولكن لأجل هذا الجمع
الواقف . قلت : ليؤمنوا أنك أرسلتني ، ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم :
لعازر هلم خارجا . فخرج الميت ويده ورجلاه مربوطات بأقمطة ، ووجهه
ملفوف بمنديل . فقال لهم يسوع : حلوه ودعوه يذهب » (يو ١١ : ٣٨ -
٤٤)

وأما عن التنبؤ بالغيب : فلم يأت فى الأناجيل المعتمدة أنه نبأ بما يأكلون
وما يدخرون فى بيوتهم . ولكن وردت عبارة فى مثل هذا المعنى ، أوردها
متى فى سياق محاكمة عيسى عليه السلام وهى : « وآخرون لطموه .
قائلين : تنبأ لنا أيها المسيح . من ضريك ؟ » (متى ٢٦ : ٦٧ - ٦٨) فقوله :
« تنبأ لنا أيها المسيح » يفهم منها أنه كان ينبؤ أحيانا بالغيب ، والا

(١٨) ترجمة الأستاذ جودة السحار فى ص ٧٩ المسيح عيسى بن مريم

ما سخروا منه بهذا التعبير . وجاء فى برنابا شبيها بهذا المعنى أيضا
(برنابا ١٣٨ : ١ - ١٤)

وأما عن مائدة من السماء : فقد أشار القرآن الكريم الى مائدة من السماء . طلبها الحواريون فى قوله تعالى : « اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم : هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟ قال : اتقوا الله ان كنتم مؤمنين . قالوا : نريد أن نأكل منها ، وتطمئن قلوبنا ، ونعلم أن قد صدقتنا . ونكون عليها من الشاهدين . قال عيسى ابن مريم : اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا . وآية منك ، وارزقنا وأنت خير الرازقين ، قال الله : انى منزلها عليكم . فمن يكفر بعد منكم . فانى أعذبه عذابا ، لا أعذبه أحدا من العالمين » (المائدة ١١٢ - ١١٥) . وفى انجيل يوحنا هذه العبارات : « مضى يسوع الى عبر بحر الجليل وهو بحر طبرية ، وتبعه جمع كثير ، لأنهم أبصروا آياته التى كان يصنعها فى المرضى ... فرفع يسوع عينيه ونظر أن جمعا كثيرا مقبل اليه . فقال لفيليس : من أين نبتاع خبزا ليأكل هؤلاء ؟ ... فقال له واحد من تلاميذه : وهو اندراوس أخو سمعان بطرس : هنا غلام له خمسة أرغفة شعير وسمكتان . ولكن ما هذا لمثل هؤلاء ؟ فقال يسوع : اجعلوا الناس يتكئون . وكان فى المكان عشب كثير . فاتكأ الرجال وعددهم نحو خمسة آلاف . وأخذ يسوع الأرغفة وشكر ووزع على التلاميذ ، والتلاميذ أعطوا المنتكئين ، وكذلك من السمكتين . بقدر ما شاءوا . فلما شبعوا . قال لتلاميذه : اجمعوا الكسر الفاضلة . لكى لا يضيع شيء ، فجمعوا وملأوا اثنتى عشرة قفة من الكسر ، من الخمسة أرغفة الشعير التى فضلت عن الأكلين ...

وجاءوا الى كفر ناحوم . يطلبون يسوع ولما وجدوه فى عبر البحر ، قالوا له : يا معلم . متى صرت هنا ؟ اجابهم يسوع وقال : الحق الحق أقول لكم : انتم تطلبوننى . ليس لأنكم رأيتم آيات . بل لأنكم أكلتم الخبز فشبعتم . اعملوا لا للطعام البائد ، بل للطعام الباقي . للحياة الأبدية التى يعطيكم ابن الانسان (١٩) ، لأن هذا ، الله الأب قد ختمه ، فقالوا

(١٩) الحياة الأبدية = ملكوت السموات ، وابن الانسان : هو نبي الاسلام صاحب الملكوت .

له : ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله ؟ أجاب يسوع وقال لهم : هذا هو عمل الله : أن تؤمنوا بالذى هو أرسله ، فقالوا له : فآية تصنع لنرى ونؤمن بك ؟ ماذا تعمل ؟ آباؤنا أكلوا المن فى البرية . كما هو مكتوب : أنه أعطاهم خبزا من السماء ليأكلوا . فقال لهم يسوع : الحق الحق أقول لكم : ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء ، بل أبى يعطيكم الخبز الحقيقى من السماء . لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم . فقالوا له : يا سيد . أعطنا فى كل حين هذا الخبز . فقال لهم يسوع : أنا هو خبز الحياة . من يتقبل الى فلا يجوع ، ومن يؤمن بى فلا يعطش أبدا « (يوحنا ٦)

لقد اختار صاحب « قصص الأنبياء » وهو الأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار ، قصة الأرغفة الخمسة والسمكتين . موضوع المائدة . اذ ذكر عبارات متى (١٤ : ١٤ — ٢١) ثم علق عليها بقوله : « وقد ذكر باقى أصحاب الأناجيل هذه الحكاية مع بعض التخالف . وهنا أقول : ان هذه المسألة : هى مسألة المائدة السماوية . ومعنى كونها سماوية : أن الله تعالى بارك فى الطعام بطريقة غير معروفة ولا مألوفة « (٢٠) هذا كلامه بنصه . ولقد ذكر هذه القصة : متى : ١٤ ومرقس : ٦ ولوقا : ٩ ويوحنا : ٦ وانفرد يوحنا بتكملة على هذه القصة ، لم يذكرها أصحاب الأناجيل الثلاثة . والتكملة التى زادها يوحنا هى التى يشير اليها القرآن الكريم — فى نظرنا — التكملة التى تبدأ من قول يوحنا : « وجاعوا الى كفر ناحبوم يطلبون يسوع . . . الخ » فانهم لما جاعوا بعدما رأوا المعجزة . قال لهم عيسى عليه السلام : قد جئتم ليس لتروا معجزات ، فتؤمنوا — كما تزعمون — بل لأنكم اكلتم من الخبز فشبعتم ، وتريدون خبزا . ثم خاطبهم قائلا : « اعملوا للطعام الباقى ، للحياة الأبدية الذى يعطيكم ابن الانسان » يقصد : أن يستعدوا بتوبة نصوح لحيى نبي الاسلام ﷺ المعبر عنه فى التوراة وفى الانجيل بابن الانسان « فقالوا له : ماذا تفعل ؟ » قال لهم : أن تؤمنوا برسالتى ، قالوا له آية آية تصنع لنرى ونؤمن بك ؟ ماذا تعمل ؟

(٢٠) ص ٤١٢ — ٤١٨ قصص الأنبياء — واعلم : أن الاناجيل لا تراعى ترتيب الحوادث . وقد نزلت المائدة . والنزول هو البركة فى الطعام الذى كان مع الغلام أو البركة فى طعام آخر .

ولأنهم كانوا يريدون طعاما . قالوا : انه فى عهد النبى موسى عليه السلام
أكل آباؤنا الأوائل خبزا من السماء هو المن والسلوى ، ونريد منك — كما
تزعّم أنك آخر نبى يظهر من جنسنا — خبزا كالذى قدمه لنا موسى .

قال لهم عيسى عليه السلام : ليس موسى هو الذى أعطى ، بل الله
هو الذى أعطى ويعطى . قالوا : اذن أعطنا الخبز دائما . قال لهم :
الخبز الذى أنا أعطيه أن تؤمنوا برسالتى ، وتقبلوا النبى الآتى وأنتم
لا تجوعون أبدا ولا تظمأون . ومراده بذلك أن يحيوا بالايان حياة طيبة فى
الدينا . ولهم فى الآخرة ثواب عظيم . كما فى الاصحاح الثامن من سفر
التثنية : « ليس بالخبز وحده يحيا الانسان ، بل بكل ما يخرج من فم
الرب يحيا الانسان »

وقول اليهود للمسيح عليه السلام : « أية آية تصنع لئرى ، ونؤمن
بك ؟ » أشارت اليه الكلمات الكريهات « ونكون عليها من الشاهدين »
وقولهم : « آباؤنا أكلوا المن فى البرية » أشارت اليه الكلمتين الكريهتين :
« عيدا لأولنا » ، فان الشريعة بادئه بموسى وهو من سبط لاوى ، وخاتمة
بعيسى . وهو من سبط لاوى أيضا — وسيأتى البيان .

١٢ — تلاميذه :

كان من عادة المعلمين من بنى اسرائيل أن يتخذوا لهم تلاميذ ،
ليساعدوهم فى نشر آرائهم . وتحدثنا القوراة عن التضاف كثيرين من أبناء
الكهنة نسل هرون ، حول الياس النبى — عليه السلام — فى كل مكان
يذهب اليه ، وانضمامهم الى اليسع عليه السلام بعد صعود الياس الى
السماء (الملوك الأول ٢) ويحدثنا الانجيل عن تلاميذ ليوحنا المعمدان ،
وتلاميذ لعيسى كانوا قبلا تلاميذ ليوحنا المعمدان (يوحنا ١) وآخرين
غيرهم . وتلاميذ عيسى — عليه السلام — كانوا من نسل لاوى حملة
الشريعة الموسوية ، ولم يكونوا من صيادى السمك وجباة الضرائب
وعامة الشعب كما يزعم النصارى (لوقا ٥ : ٤ — ٧) والذى دفعهم الى
هذا الزعم : هو تبريرهم للملاخطاء الكثيرة الموجودة فى الأناجيل عمدا .
وقد اختلفت الأناجيل فى أسماء الاثنى عشر تلميذا . يقول متى

ويتفق معه مرقس . ١ - سمعان الذي يقال له بطرس ٢ - اندراوس أخوه ٣ - يعقوب بن زبدي ٤ - يوحنا أخوه ٥ - فيلبس ٦ - برثولماوس ٧ - توما ٨ - متى العشار ٩ - يعقوب بن حلفى ١٠ - لبانوس الملقب ندانوس ١١ - سمعان القانونى ١٢ - يهوذا الاسخريوطى (متى ١٠ : ٢ - ٤) ويقول لوقا : ١ - سمعان بطرس ٢ - أندراوس أخوه ٣ - يعقوب ٤ - يوحنا • - فيلبس ٦ - برثولماوس ٧ - متى ٨ - توما ٩ - يعقوب بن حلفى ١٠ - سمعان الذى يدعى الغيور ١١ - يهوذا أخا يعقوب ١٢ - يهوذا الاسخريوطى (لوقا ٦ : ١٤ - ١٦) ويلاحظ أن لوقا اختلف مع متى ومرقس . فلم يذكر « تداوس » الذى سماه متى « لبانوس الملقب تداوس » وذكر بدله : « يهوذا أخا يعقوب » وذكر لوقا : « سمعان الغيور » الذى قال عنه متى ومرقس : « سمعان القانونى » وذكر لوقا : يعقوبين . ذكر متى أحدهما باسم يعقوب بن حلفى ، وسكت عن الآخر . وفى انجيل يوحنا لم يذكر أسماء التلاميذ كلهم ، وذكر من البعض تلميذ اسمه « نثنائيل » (يوحنا ١ : ٤٧) وعلى ذلك . فإن أربعة من التلاميذ ليسوا محللات فاق وهم ١ - يهوذا أخا يعقوب ٢ - وسمعان الغيور ٣ - ونثنائيل ٤ - ويعقوب . وليس من التلاميذ مرقس كاتب الانجيل ، ولا لوقا . وقد ذكر القديس برنابا أسماءهم واستبعد منهم توما وسمعان الغيور . واستبدل بهما برنابا وتداوس (برنابا ١٤ : ١١ - ١٩) وقد نقل الدكتور فردريك . فارار (٢١) عن النصارى الأوائل : أن بعضا من التلاميذ الاثنى عشر كانوا أولاد خنولة لعيسى - عليه السلام - وإذا كانوا أولاد خنولة له ، فانهم يكونون من سبط الكهنة اللاويين ، المخصصون للشريعة . وهم : ١ - متى ٢ - يهوذا ٣ - سمعان ٤ - يهوذا الاسخريوطى ٥ - يعقوب الكبير . وربما هو الذى أشار اليه متى ولوقا باسم يعقوب مفردا ٦ - وواحد آخر يسمى توما ، يقال : انه توأم للتلميذ متى . فاذا أضفنا اليهم ٧ - يوحنا كاتب الانجيل . وهو أيضا من سبط الكهنة ، وأضفنا برنابا وهو الآخر من سبط لاوى (أعمال الرسل ٤ : ٣٦ - ٣٧) يكن عندنا ثمانية من سبط الكهنة . وهناك تلميذ

(٢١) ص ٢٢٩ حياة المسيح .

أشارت اليه الكتب باسم ٩ — يعقوب العادل . لا أدري ما اذا كان هو يعقوب الكبير أو غيره . ويعقوب العادل لبس هو ويوحنا التلميذ في مدينة « أفسوس » الاكليل الذى يلبسه من هو من سبط الكهنوت على العمامة (خروج ٢٩ : ٥ — ٦) فيكون أيضا من نسل الكهنة .

ويقول النصارى : ان عيسى — عليه السلام — اتخذ سبعين تلميذا آخرين ، غير هؤلاء الاثنى عشر ، وأرسلهم مبشرين وهدنرين فى بلاد بنى اسرائيل . وقال برنابا : انهم اثنان وسبعون تلميذا . ولأنهم ساعدوه فى نشر الدعوة وتحملوا الآلام فى سبيل الله أمر الله المسلمين بأن يكونوا مثل الحواريين فى قوله تعالى : « كونوا أنصار الله ، كما قال عيسى بن مريم لنحواريين من أنصارى الى الله » (الصف ١٤)

١٢ — نهاية حياته على الأرض :

قال الله عز وجل عن بنى اسرائيل : « وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً ، وقولهم : انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله . وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وان الذين اختلفوا فيه لافى شك منه . ما لهم به من علم الا اتباع الظن . وما قتلوه يقينا . بل رفعه الله اليه . وكان الله عزيزا حكيما . وان من أهل الكتاب الا ليؤمن به قبل مؤنه ، ريوم القيامة يكون عليهم شهيدا » (النساء ١٥٦ — ١٥٩)

واليهود والنصارى متفقون على أن عيسى قتل وصلب . اليهود قالوا : « انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله » والنصارى آمنوا على كلامهم وصدقوا . ونقلوا عن اليهود قولهم : « دمه علينا ، وعلى أولادنا » (متى ٢٧ : ٢٥) والحقيقة : ان عيسى لم يقتل ولم يصلب . والذى دفع النصارى الى هذا القول : هو أنهم لما صاغوا عقائدهم على مثال عقائد كريشنا وبودا . وغيرهما . وفى هذه العقائد قتل الاله وصلابه للتكفير عن الآثام البشرية . وفى التوراة نبوءات تقول : ان المسيا سيكون متألما من الأعداء . وبعد التألم ينتصر على أعدائه . بالغ النصارى فى نسبة التألم الى عيسى الى حد القتل ، للتهميه الشديد على الناس ، بأنه هو المسيا المتألم . ثم قالوا بقيامته من الأموات ليشيروا الى انتصاره على

الأعداء . ذلك لأن من أوصاف « المسيا » أن يكون محاربا منتصرا . ولما أرادوا زورا جعل عيسى هو « المسيا » وراوه لم يحارب ولم ينتصر ، لجأوا الى تلك الحيلة . وبذلك جمعوا بين العقائد المقتبسة من الذين كفروا من قبل ، وبين نبوءات التوراة عن النبي المنتظر الذى هو « المسيا »

وفى انجيل التديس برنابا انه لم يقتل ولم يصلب ، وحينما توجه جند الرومان بمساعدة تلميذ عيسى الذى خانته ، ويدعى يهوذا الاسخريوطى للقبض على عيسى ، ألقى الله عز وجل المقادر على كل شىء شبه عيسى على ذلك التلميذ ، فأخذوه مستيقنين أنه عيسى ، وقتلوه وصلبوه

يقول برنابا : « ودخل يهوذا بعنف الى الغرفة التى أصعد منها يسوع ، وكان التلاميذ كلهم نياما ، فأتى الله العجيب بأمر عجيب ، فتغير يهوذا فى النطق وفى الوجه ، فصار شبيها بيسوع . حتى أننا اعتقدنا أنه يسوع . أما هو فبعد أن أيقظنا أخذ يفتش لينظر أين كان المعلم ؟ لذلك تعجبنا وأجبنا . أنت هو يا سيد ، هو معلمنا . أنسيتنا الآن ؟ أما هو فقال مبتسما : هل أنتم أغبياء حتى لا تعرفون يهوذا الاسخريوطى ؟ وبينما كان يقول هذا . دخلت الجنود وألقوا بأيديهم على يهوذا ، لأنه كان شبيها بيسوع من كل وجه » (برنابا ٢١٦ : ١ - ٩)

وفى الأناجيل الأربعة ما يوحى بالقاء شبه عيسى على شخص آخر ، لأنهم سوف يشكون فيه . هل هو هو أم لا ؟ « قال لهم يسوع : كلكم تشكون فى هذه الليلة » (متى ٢٦ : ٣١ ، مرقس ١٤ : ٢٧) فى هذا الشك ما يدل على القاء الشبه على غيره

ويقول القديس الفونسوس ماريا دى ليكورى فى الجزء الخاص ببداية القرن الأول المسيحى فى كتابه (تاريخ الأثرقات مع دحضها) : « ان « باسيليدي » كما كتب « فلورى » نفسه ، يقول : « ان نوس هذا الذى هو يسوع المسيح كان قوة غير هيولية وكان يتشح ما شاء من الهيئات ، ولذا لما أراد اليهود صلبه ، أخذ صورة سمعان القزوى وأعطاه صورته فصلب سمعان ، لا يسوع الذى كان يسخر باليهود ، ثم عاد غير منظور

وصعد الى السماء (٢٢) » واياها كان الاختلاف بين برنابا وباسيليدي عن الشخص المصلوب ، فهما متفقان على عدم صلب بعيسى وقتله

وذكر (جورج سايل) الذي ترجم القرآن الى الانجليزية في سورة آل عمران صفحة ٣٨ : « ان السيرنثيين والكربوكراتيين ، وهما من أقدم فرق النصارى قالوا : ان المسيح نفسه لم يصلب ولم يقتل وانما صلب واحد آخر من تلاميذه يشبهه شبها تاما . وهناك الباسيليديون يعتقدون ان شخصا آخر صلب بدل المسيح (٢٣) »

ويقول جورجى زيدان : « الخياليون : يتولون : ان المسيح لم يصلب حقيقة ، وانما صلب رجل آخر مكانه (٢٤) »

ولما كان عيسى لم يقتل ولم يصلب بصريح القرآن ، وبما جاء فى التواريخ المسيحية القديمة وبعض الأناجيل ، فأين ذهب بعد حادثة القتل والصلب ؟

يقول برنابا فى انجيله : « ولما دنت الجنود من المحل الذى كان فيه يسوع ، سمع يسوع دنو جم غفير . شئذ انسحب الى البيت خائفا ، وكان الأحد عشر نياما ، فلما رأى الله الخطر على عبده أمر جبريل وميخائيل ورفائيل وأوريل (٢٥) سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم ، فجاء الملائكة الأطهار ، وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب . فحملوه ووضعوه فى السماء الثالثة فى صحبة الملائكة التى تسبح الله الى الأبد » (برنابا ٢١٥ : ١ - ٨) ثم يقول برنابا : انه نزل من السماء بعد أيام قليلة ليعزى أمه ثلاثة أيام متوالية وصعد الملائكة الذين كانوا حراسا على مريم الى السماء الثالثة ، حيث كان يسوع فى صحبة الملائكة ، وقصوا عليه كل شئ . لذلك ضرع يسوع الى الله أن يأذن له بأن يرى أمه وتلاميذه ، فأمر حينئذ الرحمن ملائكته الأربعة المقربين ، الذين هم جبريل ورفائيل وأوريل أن يحملوا يسوع الى بيت أمه ، وأن يحرسوه هناك

(٢٢) ص ١٧ تاريخ الأروقات مع دحضها المعنون : انتصار الديانة .

(٢٣) نقلا عن ص ٢٩٩ المسيح عيسى بن مريم .

(٢٤) تاريخ القمدين الاسلامى ج ١ ص ٥٤ طبعة دار الهلال بمصر .

(٢٥) فى النسخة الأسبانية : عزريل .

مدة ثلاثة أيام متوالية ، وأن لا يسمحوا لأحد أن يراه خلا الذين آمنوا بتعليه . فجاء يسوع محفوا بالسناء الى الغرفة التى أقامت فيها مريم العذراء مع أخيها . ومرثا ، ومريم الجدلية ، والعاذر ، والذى يكتب ، ويوحنا ، ويعقوب ، وبطرس . فخررو من الهلع كأنهم أموات . شائض يسوع أمه والآخرين عن الأرض قائلا : لا تخافوا لأنى أنا يسوع ، ولا تبتكوا فانى حى لا ميت ، فلبث كل منهم زمنا طويلا كالمخبول ، لحضور يسوع لأنهم اعتقدوا اعتقادا تاما بأن يسوع مات ، فقالت حينئذ العذراء بياكية : قل لى يا بنى لماذا سمح الله بموتك ملحقا العار بأقربائك وأخلائك ، وملحقا العار بتعليمك ؟ وقد أعطاك قوة على احياء الموتى . فان كل من يحبك كان كهيت . أجاب يسوع معانقا أمه : صدقيني يا أماه لأنى أقول لك الحق . انى لم أمت قط . لأن الله قد حفظنى الى قرب انقضاء العالم . ولما قال هذا رغب الى الملائكة الأربعة أن يظهروا ويشهدوا كيف كان الأمر . . . فقال حينئذ الذى يكتب : يا معلم اذا كان الله زحيفا ، فلماذا عذبنا بهذا المقدار ، بما جعلنا نعتقد أنك كنت ميتا ؟ ولقد بكك أمك حتى أشرفت على الموت ، وسمح الله أن يقع عليك عار القتل بين النصوص على جبل الجمجمة ، وأنت قدوس الله ؟

أجاب يسوع : صدقنى يا برنابا . ان الله يعاقب على كل خطيئة مهما كانت طفيفة عقابا عظيما ، لأن الله يفضب من الخطيئة . فلذلك لما كانت أمى وتلاميذى الأمناء الذين كانوا معى ، أحبونى قليلا حبا عالميا ، أراد الله البر أن يعاقب على هذا الحب بالحزن الحاضر ، حتى لا يعاقب عليه بلهب الجحيم ، فلما كان الناس قد دعونى الله وابن الله ، على انى كنت بريئا فى العالم ، أراد الله أن يهزأ الناس بى فى هذا العالم بموت يهوذا ، معقدين أننى أنا الذى مت على الصليب ، لكيلا تهزأ الشياطين بى يوم الدينونة ، وسيقى هذا الى أن يأتى مهود رسول الله ، الذى متى جاء كشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله . . . وبعد أن قال هذا صلى لله ، لأجل خلاص المؤمنين وتجديد الخطاة . فلما انتهت الصلاة غانق أمه قائلا : سلام لك يا أمى . توكلى على الله الذى خلقك وخلقنى . وبعد أن قال هذا التفت الى تلاميذه قائلا : لتكن نعمة الله ورحمته معكم .

ثم حملته الملائكة الأربعة أمام أعينهم الى السماء » (برنابا ٢١٩ / ٢٢٠ /
(٢٢١)

وخلاصة هذا الكلام : ١ — أن عيسى رفع الى السماء بروحه وجسده ولم يقتل ولم يصلب ، ثم نزل ثلاثة أيام ، ثم رفع ثانية بروحه وجسده .
٢ — أن الله قد حفظه الى قرب انقضاء العالم .

والأنجيل الأربعة تقول برفع عيسى الى السماء بروحه وجسده — بعد القتل والصلب — ونزوله الى الأرض مدة أربعين يوما ، واجتماعه بالتلاميذ (اعمال ١ : ٣) وأنه بعد ذلك رفع الى السماء بروحه وجسده . ولم تصرح بنزوله الى الأرض آخر الزمان . وعلماء النصارى مجمعون على نزوله اما نزولا أرضيا لمدة ألف عام واما نزولا روحيا . مع قول المسيح في الانجيل : « ولست أنا بعد فى العالم » (يو ١٧ : ١١)

وفى القرآن الكريم : أن عيسى بن مريم — عليه السلام — لم يقتل ولم يصلب « ولكن شبه لهم » أنه قتل وصلب . والتشبيه الوارد فى القرآن بصيغة المبني للمجهول يحتمل معنيين . الأول : أن الله تعالىلقى شبه عيسى على غيره من الخائنين . والثانى : أن الذين صاغوا النصرانية على مثل عقائد الكفار فى بوذا وكريشنا وايزوريس وغيرهم . قالوا بقتل عيسى وصلبه تشبيها له بقتل آلهة الكفار ، لمحو خطايا العالم . فاشتبه على الناس أمره مما أشيع عنه . والمعنى الأول ورد فى بعض كتب النصارى التى كتبت من قبل ظهور الاسلام — كما بينا من قبل — .

وقوله تعالى : « بل رفعه الله اليه » يفيد ظاهره : أن الله تعالىرفع عيسى اليه . بالجسد وبالروح عقب الحادثة ، وقبل أن يموت . وهذا المعنى الظاهرى معارض بقوله تعالى فى سورة آل عمران : « يا عيسى . انى متوفيك ورافعك الى » فقد أثبت له الموت قبل الرفع . وقد أجاب بعض العلماء عن موهم التعارض هذا بقولهم : ان معنى « متوفيك » أى معطيك حقتك من الأجر ، جزاء على ما عملت من الأعمال فى الدنيا ، كما قال فى حق المؤمنين : « فنوفيهم أجورهم » فيكون رفعه من الدنيا بعد ختم صحيفة أعماله ، وليس من بعد الموت . ومن العلماء من يرى أن معنى « متوفيك » هو أنه يموت قبل أن يرفع الى السماء .

وقد استوفى أجره ، كما قال فى حقه : « فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم » أى أنه بعد موته لا يعلم ما يحدث فى الدنيا .
وقوله تعالى : « وإن من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته » يحتمل
معنيين :

الأول : أن يؤمن العالم بعيسى قبل موت عيسى — عليه السلام —
وعلى هذا المعنى ينزل عيسى آخر الزمان ، لأن أهل الكتاب سيعيشون فى
الدنيا الى يوم القيامة .

والثانى : أن يؤمن العالم بعيسى قبل موته ، أى قبل موت العالم
من بنى اسرائيل ، وقبل موت العالم من الذين قالوا انا نصارى فى الوقت
الذى زال فيه من قلبه حب الدنيا . وعلى هذا المعنى : لن ينزل عيسى فى
آخر الزمان . لأن تعاليمه فى الكتب — الموجودة التى ستوجد — تغنى
عن وجوده بالجسد — وهذا المعنى هو الصحيح —

فلقد ورد الرفع فى القرآن مجازا على رفع الدرجة والمنزلة فى قوله
تعالى : « نرفع درجات من نشاء » .

ولما قدمنا . نجد علماء المسلمين مختلفون فى الرفع والتوفى . ويستقيم
على الراى القائل بموته قبل رفع منزلته : ما حكى أن فى « الهند » قبر ،
يقال له : قبر عيسى . قد دفن فيه بعد الهرب من بلاد اليهود .

وجمهور المسلمين يفسرون قول الله تعالى : « وجعلنا ابن مريم وامه
آية ، وآييناهما الى ربوة ذات قرار ومعين » (المؤمنون : ٥) بأن الله تعالى
أوى عيسى وامه الى أرض مستوية منبسطة ، ذات ثمار ، وماء جار على
وجه الأرض . وهذه الأرض اما مصر ، أو ايلياء — التى هى اورشليم القدس —
أو دمشق أو فلسطين أو الرملة ، وهذا الايواء كان فى الدنيا قبل رفعه الى
السماء ، كما قال الله تعالى فى حق نبي الاسلام ﷺ : « ألم يجدك يتيما
فأوى » ومنهم من يرى أن الايواء كان فى أيام طفولته ، ومنهم من يرى أن
الايواء كان بعد هربهما من اليهود . لما أرادوا قتل عيسى وصلبه . وأن
الايواء كان فى « مصر » وهذا الراى له سند من التاريخ . الا أن النصارى

-- على أحد الآراء — يقولون بأن ذلك قد كان فى أيام طفولته (٢٦) .
والصحيح أنه كان فى الكبر . لأن لوقا أثبت وجوده فى المصفر
فى الهيكل مع المعلمين يسمعهم ويسألهم (لو ٢ : ٤١ — ٥٠)

١٤ — مريم فى كتب النصارى :

يقول متى هنرى : أن « معنى الاسم : مرتفعة (٢٧) » ويقول القس
سيداروس عبد المسيح : « اسم مريم يعنى سيده » (٢٨) . ويذكر أن أباه
يدعى يواقيم ، وأمهاتسمى حنة ، وقد بلغا من العمر عتيا ، ولم يرزقا
بذرية ، وبينما كانت حنة تناجى ربها أبصرت عش عصفير فوق غصن
شجرة ، وقد أخذت العصفير الكبار تطعم صغارها ، فأيقظ فيها هذا
المنظر عاطفة الأمومة ، فطلبت من الله ولدا . ثم يقول : « دخلت العذراء
مريم الهيكل طفلة نذيرة . كانت تتمتع بحضانة الأبوين وحياتها ، وخرجت
منه وقد تركاها الى حيث ستلحظهم هى فيما بعد ، الى الدار الآخرة . ولم
تكن العذراء هى أول من دخلت الهيكل نذيرة للعبادة والخدمة ، فلم يكن
الهيكل قاصرا فى خدمته على الرجال فقط ، بل حتى النساء قد نالهن جزء
من هذه الخدمة ، واشتركن فى خدمة الهيكل . . . ويقرر المؤرخون : أن
العذراء مريم دخلت الهيكل فى عامها الثالث من عمرها . ولا يسمح لها أن
تبقى فى الهيكل بعد سن الرابعة عشرة » ثم يتحدث عن خطبة مريم ليوسف
النجار بعد هذا السن فيذكر : « أن رؤساء الكهنة تشاوروا معا على
الزواج منها . وفى الحال ظهر ملاك الرب لزكريا ، وقال له : يا زكريا
اخرج واجمع خلقا عظيما من شيوخ وشبان ، وخذ بعضهم واكتب أسماءهم
عليها ، فيختار الرب من بينهم من يصلح لأمته مريم . فأخذوا عصيهم ووضعوها
داخل الهيكل ، فخرجت حمامة من العصا التى كانت ليوسف النجار ،

(٢٦) انظر الفتاوى للشيخ محمود شلتوت ، ومحاضرات فى النصرانية
للشيخ محمد أبو زهرة ، وعبقريّة المسيح للأستاذ عباس العقاد . وقد
تحدث الشيخ محمود عن موت المسيح ودفنه وبين أنه لن ينزل فى آخر الزمان
وأن رفعه هو رفع درجته . وهذا هو الصحيح .

(٢٧) ص ٣٩ ج ١ تفسير لوقا .

(٢٨) ص ٥٢ مريم العذراء فى التاريخ والطقس والعتيدة .

واستقرت على رأسه . فعقد الكهنة خطبتها على يوسف ، وعاشت « (٢٩) »
ويذكر : أن يوسف النجار كان من السبط الذى كانت منه العذراء . وقد
بيننا من قبل : أنها من سبط لاوى من نسل هارون عليه السلام . يقول القس
سيداروس : « ولابد أن يكون يوسف — كما يترر يوسابيوس القيصرى
المؤرخ — والعذراء من سبط واحد . فاذا تتبعنا نسب يوسف هكذا ،
فانه يتبين فعلا أن مريم أيضا من نفس السبط ، لأنه طبقا للناموس
الموسوى ، لم يكن مسموحا الزواج من سبط آخر . فالأمر الصادر
هو أن يتزوج المرء من نفس العشيرة ، ومن نفس السبط ، ومن نفس
السلالة ، لكى لا ينتقل الميراث من سبط الى آخر (عدد ٣٦ : ٦ — ٧) (٣٠) »
وعلى قول هذا القس يكون القرآن صادقا فى نسبة مريم الى هرون —
كما بينا سابقا —

والقرآن الكريم يذكر أن هذا الاقتراع كان من أجل كفالة مريم فى
الصفرة : « وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم . أيهم يكفل مريم ؟ وما كنت
لديهم اذ يختصمون » (آل عمران ٤٤) وهذا هو الحق . لأن التشاور على
الزواج ، يسبقه تشاور على كفالتها وتربيتها . ولأن يوسف النجار
كان من سبط يهوذا ، وهى من سبط لاوى . فكيف يجتمعان ؟ وكثيرون
من النصارى يقولون : — وقولهم هذا هو الحق — انها ظلت بلا زواج طول
حياتها . وشذ منهم من قال بزواجها من يوسف بعد ولادة المسيح وهى
عذراء . وأنجبت منه أربعة ذكور وبناتين . أسماؤهم على الترتيب : يعقوب
ويوسى ويهوذا وسمعان . وأستر وثامار . وان يوسف قد مات وللمسيح
عيسى تسعة عشر عاما (٣١) . ويذكر القس سيداروس : أن الیصابات امرأة
زكريا هى أخت لحنة أم مريم . وعليه : تكون « الیصابات » خالتها وأن يوسف
ابن عم العذراء . ويقول : انها انتقلت الى جوار الله بعد ابنها بخمسة عشر
عاما (٣٢) . وعلى قول هذا القس بأن الیصابات امرأة زكريا خالة لمريم ،

(٢٩) المرجع السابق ص ١٤ — ١٥ .

(٣٠) المرجع السابق ص ١٤ — ١٥ .

(٣١) انظر حياة المسيح لفرديريك ص ٩٥ . وقد ذكر أن جميع

الانصارى متفقون على ولادة المسيح وأمه عذراء لم يبسها بشر .

(٣٢) ص ٢٠ مريم العذراء فى التاريخ والطقس والعقيدة .

تكون مريم من نسل هرون من سبط لاوى ، لأن اليصابات بنص انجيل لوقا
 من نسل هرون . وعلى ذلك لا يكون يوسف خطيبا لمريم لأنه من نسل
 داود من سبط يهوذا بنص انجيل متى . وفي الانجيل : ان المسيح ساعه
 صلبه ، طلب من تلميذه يوحنا ، أن يضمها اليه . ويذكر متى هنرى فى
 تفسيره : « قال نيسيفوروس فى التاريخ الكنسى : أن العذراء مريم عاشت
 -ج يوحنا فى اورشليم إحدى عشرة سنة ثم ماتت . وقال آخرون :
 انها عاشت معه الى أن انتقلت الى أفسس » (٣٣) .

١٥ - لماذا سموا نصارى ؟

كلمة « نصارى » وكلمة « نذير » فى الانجليزية قريبتان . وقد لقب
 اليهود المسيح - عليه السلام - بلقب نصارى وهذا اللقب ١ - قد يعتبر
 لقباً للمجد والكرامة . لأن كلمة نصارى بمعنى أ - الفصن ب - أو بمعنى
 نذير الله . أى هو رجل صالح . ٢ - وهذا اللقب قد يعتبر لقباً للازدراء
 والتحقير والتعير ، أى الرجل الذى لا يرجى منه أى شىء صالح ، والذى
 لا يليق بأن يقدم له أى اكرام . يقول متى هنرى بعد ذكر ما قدمنا :
 « الصق الشيطان هذا الاسم بالمسيح فى بداية الأمر لتحقيره ولتنفير الشعب
 منه ، فلصق به وباتباعه ، كعلامة على الازدراء » (٣٤) ويقول الدكتور
 فرددريك : « الى يومنا هذا نجد كلمة « نصرانى » تعبير محقتر ، ويسمى
 التلموديون المسيح (هانصرى) استهزاء » (٣٥) .

١٦ - الوهية المسيح :

يعتقد النصارى الأرثوذكس : أن المسيح هو الله نفسه ، ويعتقد
 الكاثوليك والبروتستانت : أن المسيح اله ثان من آلهة ثلاثة منفصلة .
 ومنشأ فكرة الوهية المسيح كانت فى حياة المسيح نفسه . ذلك أن جنود
 الرومان - وكانوا منتشرين وقتئذ فى فلسطين - أثاروا شغباً وسط
 العامة لما أحيا عيسى ابن الأرملة فى مدينة « نايين » وقالوا : « هو الله
 . جاء ليفتقدهم » وقد ذكر ذلك برنابا بتفصيل ، وبين أن عيسى عليه السلام

(٣٣) ص ٢٨٤ ج ٤ تفسير انجيل يوحنا لمتى هنرى .

(٣٤) ص ٧٦ - ٧٧ تفسير متى ج ١

(٣٥) ص ٦٩ حياة المسيح .

خطب فى الجماهير تسكيناً لهذه الفتنة ، وكان حاضراً وقت الخطاب :
هيرودس الوالى ، ورئيس كهنة اليهود . واستشهد بنصوص من التوراة
على أن الله واحد وليس كمثل شىء . ومنها قول أشعيا : « حقا أنت اله
محنجب يا اله اسرائيل المخلص » وإذا كان الله محتجبا فكيف يكون عيسى هو
الاله وهو لم يكن محتجبا عن أعين الناس ؟ (برنابا ١١/٩٣) وقد أقرت العقائد
النصرانية الحالية رسمياً فى العالم بمساعدة الرومان أيام القيصر الرومانى
« قسطنطين » سنة ٣٢٥ ميلادية . وقد بينا ذلك فى كتابنا « أقنانيم
النصارى » .

والأرثوذكس والكاثوليك يقولون بأن المسيح هو « نور العالم »
ويعظمون ذلك النور . ويقولون : ان مريم العذراء هى « أم النور » ويعظمونها
كتمظيم النور . بل أشد . لأنها أمه وإذا كان النور فى زعمهم الها ، فأمه
الهة من باب أولى ، وهذا هو المراد — فى نظرنا — من قوله تعالى :
« أنت قلت للناس : اتخذونى وأمى المهين من دون الله ؟ قال : سبحانه .
ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق . ان كنت قلته فقد علمته ، تعلم
ما فى نفسى ، ولا أعلم ما فى نفسك . انك أنت علام المغيوب . ما قلت
لهم الا ما أمرتنى به . أن اعبدوا الله ربى وربكم » .

١٧ — رأى اليهود فيه :

يقول التلمود : « ان المسيح كان مجنوناً . وهذا مطابق لما كان يعامله
به « هيرودس » ومعاصروه الذين وصفوه بأنه ساحر » ووصف التلمود
المسح أيضاً بأنه كافر لا يعرف الله ، فيكون المسيحيون كفره مثله . وجاء
فى التلمود : أن المسيحيين من عابدى الأصنام غير انه يجوز أن يعاملهم
الانسان فى يوم عيدهم — وهو أول يوم فى الأسبوع — وأن القديس
والتقسيين والشموع والكؤوس كلها من عبادة الأصنام . . . ويسمى
التلمود أيضاً المسيح : يهودياً مرتداً . وجاء أيضاً فى التلمود الجديد :
أن تعاليم يسوع كفر ، وتلميذه يعقوب كافر ، والأنجيل كتب الكفار .
وقال الحاخام « أبارنايل » أن المسيحيين كفار ، لأنهم يعتقدون أن الله
نحم ودم (٣٦) .

(٣٦) ص ٤٧ — ٤٨ التلمود شريعة اسرائيل .

ويقول عنه يهود السامرة : — حكاية عن المؤرخ اليهودى السامرى الدنفى — : « وتولى بعد الامام نثنال : الامام يهقيم ، وقام فى الامامة الكبرى اثنين وثلاثين سنة . فى أيامه ولد همشيع ابن مريم . من هرون عم . . . وكانت ولادته فى بيت لحم ، وادعى النبوة فى النصارى ، وكانت له اتباع ، فأنفذهم فى البلاد . فمنهم بطرس أنفذه الى رومية ، وأنفذ اندراوس الى الأسود ، وتوماس الى ارض بابل ، وفيلنيس الى القروان وافريقية ، ويعقوبس الى ايلياء ، وسمن الى ارض البربر . وقصد هيرودس قتل همشيع ، فهرب من بين يديه . وتولى بعده الامام يهونثن فى الامامة الكبرى ، وأقام سبعة وعشرين سنة . فى أيام يهونثن عوقب همشيع . قتله المقدم فى أيام طبريوس الملك وصلب » (٣٧) .

لقد اعترف السامرى بأنه قتل وصلب ، كما حكى القرآن عنهم . واعترف السامرى بأنه ابن مريم . وهى من هرون عليه السلام كما حكى القرآن أيضا .

١٨ — دعوة عيسى عليه السلام :

لما قال موسى بن عمران — عليه السلام — لبنى اسرائيل : « يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك من اخوتك مثلى . له تسمعون » (تث ١٨ : ١٥) وعلماء بنى اسرائيل عرفوا الناس بأنه سيكون سبب رحمة لمن يؤمن به من أمم الأرض ، فرح الناس به ، واشتد شوقهم الى مجيئه . ومن أجل ذلك أرسل الله عيسى بن مريم — عليه السلام — ليبشر الناس باقتراب زمان هذا النبى الذى أخبر عن مجيئه موسى ، والذى قال عنه العلماء أنه سيكون سبب رحمة لمن يؤمن به . فموسى أخبر ، وعيسى بشر باقتراب زمان الخبر . وهذا هو معنى الانجيل . ويجمع النصارى على أن كلمة « الانجيل » معربة عن الكلمة اليونانية « افانجيليوس » ومعناها : البشارة أو الخبر المفرح . لكنهم يقولون : ان الخبر المفرح هو تبشير الناس بموت المسيح كفارة عن خطايا بنى آدم . وقولهم هذا باطل . لأن التوراة نصت على انه : « لا يقتل الآباء عن الأولاد ، ولا يقتل الأولاد عن الآباء . كل انسان

(٣٧) ص ١٠٧ التاريخ مما تقدم من الآباء . ولاحظ أن السامرى موافق لابن كموثة العبرانى فى نسبة مريم الى هرون .

بخطيته يقتل » (تث ٢٤ : ١٦) ولأن الانجيل نص على تحمل كل انسان نتيجة عمله كما نصت التوراة ، ففيه يقول عيسى عليه السلام : « وصلوا لأجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم . لكي تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات . فانه يشرق شمس على الأبرار والمسالحين ، ويمطر على الأشرار والظالمين » (مت ٥ : ٤٤ — ٤٥) فكيف يكون موت المسيح اذن كفارة عن الخطاة ؟

ويقول النصارى : ان المسيح ما ترك انجيلا مكتوبا فى أوراق ، بل ترك وعظا شفهييا ، وهذا الوعد الشفهي أنزله الله على قلب عيسى نفسه ، بواسطة الالهام من روح القدس . وقولهم هذا لما رواه مرقس فى بدء انجيله . وهو : « جاء يسوع الى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله . ويقول : قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله . فتوبوا وآمنوا بالانجيل » (مرقس ١ : ١٤ — ١٥) .

ويقول النصارى : ان المسيح ما قال رأيا من تلقاء نفسه . وكل ما قاله لعلماء بنى اسرائيل وعوامهم ، ولغيرهم ، كان له عليه دليل من توراة موسى وأسفار الأنبياء . والذين كتبوا الاناجيل كانوا على طريقة عيسى نفسه فى تدوينها . فانهم اذا أرادوا المزام الناس بشيء قاله عيسى عليه السلام . أتوا بدليل من التوراة وأسفار الأنبياء على صحة هذا الشيء .

ومثال ذلك : لما قال المسيح لبنى اسرائيل : « قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله » استدل المسيح على اقتراب ملكوت الله بآيات من الاصحاح الثانى والسابع من سفر النبى المعظم دانيال . ومن هذه الآيات : « وفى أيام هؤلاء الملوك يقيم اله السموات مملكة لن تنقرض أبدا ، وملكها لا يترك لشعب آخر ، وتسحق وتفنى كل هذه الممالك ، وهى تثبت الى الأبد » (دانيال ٢ — ٤٢) فقول المسيح « اقترب ملكوت الله » هو تفسير لما فى سفر دانيال عن المملكة التى لن تنقرض أبدا . ومثال ذلك أيضا : أن مرقس ابتداء انجيله بقوله : « كما هو مكتوب فى الأنبياء » وذكر آيات من سفر النبى أشعيا — وهو سفر من أسفار الأنبياء — ثم استدل مرقس بالآيات التى ذكرها على أن المعمدان كان يهيبء الطريق للنبى الآتى رحمة للعالم . ويقول النصارى : ان غرض عيسى من دعوته هو ذكر

نبوءات التوراة وأسفار الأنبياء عن النبي المنتظر ، الملقب بلقب « المسيا » وتطبيقها عليه . فلو ان انجيله قد فقد — كما نتهم بذلك — لأغنى عنه معرفتنا للنبوءات كلها ، وتفسيره لنبوءة واحدة كتفسيره للنبوءات كلها .

ويقول النصارى : ان دعوة عيسى كانت لبني اسرائيل أولا . وبعدما يفهم بنو اسرائيل كلامه ، ينطلق علماء بني اسرائيل بكلامه الى امم الأرض . ففى انجيل متى : « هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا : الى طريق أمم لا تمضوا ، والى مدينة للسامريين لا تدخلوا . بل اذهبوا بالجرى الى خراف بيت اسرائيل الضاللة . وفيما أنتم ذاهبون ، اكرزوا قائلين : انه قد اقترب ملكوت السموات » (متى ١٠ : ٥ — ٧) ولما ذهبوا بالضرورة الى خراف بيت اسرائيل ، وفهموا كلامه ، أمرهم ان ينطلقوا الى الأمم بقوله : « اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم » (مت ٢٨ : ١٩) . وطاف تلاميذه فى البلاد يخبرون الناس باقتراب ملكوت السموات .

وقول النصارى ان دعوة المسيح كانت لبني اسرائيل ، ثم للأمم من بعدهم . هو قول صحيح . اذا كان مقصودهم منه أنها عالمية بالخبر ، لا بالديانة التى أسسها بولس وشيعته ، ذلك لأن النبي الذى يبشر المسيح بمقدمه ، هو نبي لبني اسماعيل وللأمم ، وكان بنو اسرائيل يستفتحون به على الذين كفروا من الأمم . وسماع الأمم بمقدمه من علماء بني اسرائيل ، يسهل عليهم الايمان به .

فدعوة المسيح عالمية بالخبر ، المفرح المسار ، لا بالديانة التى أسسها النصارى من بعد رفع المسيح الى السماء . لأن الله أمره أن يعرف العالم بظهور نبي من بنى اسماعيل ، اذا جاء يؤمنون به ، ويتركون ما هم عليه من العقائد والعبادات ، فعرف العالم بظهوره ، وأمره الله أن يوضح للناس نبوءات التوراة عنه ، فوضح للناس النبوءات . ورفع الى السماء بعدما ذاعت تعاليمه ، وعرفها القاصى والدانى . به وبتلاميذه الأئمة .

وقد أشاع النصارى : أن المسيح أسس ديانة ناسخة لديانة موسى ابن عمران . وهذا باطل . فان المسيح ما جاء لنقض الناموس وانما جاء لاصلاح الناموس . ففى انجيل متى يقول المسيح عليه السلام : « ما جئت

لأنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لأنقض ، بل لأكمل » (مت ٥ : ١٧)
يقول متى هنرى المفسر فى معناها : « الإنجيل هو وقت الإصلاح . ولم
يقصد به نقض أو نسخ الناموس ، بل إصلاحه » وفى إنجيل برنابا يقول
المسيح عليه السلام : « أنظنون أنى جئت لأحل الشريعة والأنبياء ؟ الحق
أقول لكم : لعمر الله . انى لم آت لأبطلها ، ولكن لأحفظها » (بر ٣٨ :
٢ - ٣) .

والموجود الآن مع النصارى مما يسمونه تشريعا ، ليس من ارشادات
عيسى عليه السلام وانما هو من ابتداع « بولس » وشيعته . فان الدكتور
« لورانس براون » ينقل عن « دين انج » : « آمن التلاميذ الأولون ان
سيدهم أمرهم أن يقتربوا نهاية العالم الحاضر فى حياتهم . وسواء
غهموا قصده ، أم لم يفهموه ، فانه ما كان لهم أن يتمسكوا بهذه الفكرة ، لو
أنهم تلقوا عنه تعليمات عن انشاء كنيسة » (٣٨) ويقول الدكتور « لورانس
براون » : « ان موقف المسيحيين الأولين فى نشر الدعوة بين اليونان
والرومان بل بين برابرة ليكونيه ، يبدو لنا تقدما وارتقاء ، اذا قيس بموقف
يسوع ، الذى نصح تلاميذه بالا يذهبوا الى قرى السامرة . والذى تردد
هو نفسه بمد يد المعونة الى امرأة فينيقية غربية عن رعوية اسرائيل .
وهذا الفارق الصارخ بين الموقفين قد حمل كثيرين على التساؤل : أيهما
مؤسس المسيحية ؟ بولس أم يسوع ؟ وهم يقولون : ألم يستخدم بولس
اسم يسوع ونفوذه فى اذاعة آرائه ، كما فعل أفلاطون فى استخدام
اسم سقراط ؟ وهو بينما يضع يسوع فى مرتبة الكرامة العليا ، نراه يعلو
الى مرتبة أرقى من سيده ؟ فهل كان يسوع سيد بولس حقا ؟ ومعروف
ان بولس : لم يعرف يسوع بالجسد » (٣٩) .

ويقول الدكتور « جورج ماثيسون » : « من المفيد أن نلاحظ : أن أول
خدمة جمهورية طبق فيها يسوع برنامجه الذى نادى به فى مجمع الناصرة .
حدثت — ليس فى نواحي الجليل — فى أثناء قيامه بزيارة ثانية للعاصمة .
كان الفصح على الأبواب ، وصعد أسباط اسرائيل الى المدينة المقدسة ،

(٣٨) ص ٤٣ تفسير سفر الاعمال .

(٣٩) ص ٢٦ - ٢٧ المرجع السابق .

وانضم يسوع أيضا الى جمهور السياح المتعبدين ، ولم يكن يراود خاطره تأسيس ديانة جديدة ، لا فى تلك الآونة ولا فى وقت آخر . فعنده أن الايمان اليهودى هو البرعمة التى تفتح اكمامها عن كل الزهور الممكنة ، وهكذا انخرط فى سلك جمهور العابدين فى طريقه الى الاحتفال العظيم بذلك العيد الدينى « (٤٠) » .

ويعلق معرب كتابه الأستاذ عزت زكى على هذا الرأى فيقول : « هذا تعليل عصى . نحامناه فردريك . فارار ، وغيره » ولقد كان معاصرا لعيسى عليه السلام مدرستان لتفسير التوراة : مدرسة (الربان شماع) وقد عاش قبل المسيحية وبعدها ، ومدرسة (الربان هليل) وقد مات قبل المسيحية بقليل وكانوا يختلفون فى بعض المسائل ، ولما جاء عيسى عليه السلام كان أحيانا يضم صوته لاحدى المدرستين بأن يبين التفسير الصحيح برأى مستقل (٤١) كما جاء فى القرآن الكريم : « ولما جاء عيسى بالبينات . قال : قد جئتم بالحكمة ، ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه » (الزخرف ٦٣) .

ومن أمثلة اختلافهم :

١ - جاء فى التوراة : « اذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها ، فان لم تجد نعمة فى عينيه ، لأنه وجد فيها عيب شئ . وكتب لها كتاب طلاق ، ودفعه الى يدها ، وأطلقها من بيته ، ومتى خرجت من بيته ، ذهبت وصارت لرجل آخر » (المثنى ٢٤ : ١ - ٢) كلمة « عيب شئ » باللغة العبرانية « أرفت دابهور » أى مسألة عرى . يقول الدكتور فردريك : « يتوقف كل شئ فى تفسير هذا القانون على معنى « أرفت دابهور » أو على الأصح على تفسير الكلمة الواحدة « أرفت » المعنى الشائع هو : وصمة أو دنس أو نجاسة . ولكن (هليل) ومدرسته فسرها بأن الرجل يمكنه تطلق امرأته لأى كراهية يشعر بها نحوها ، أو كما تجرأ الحاخام (عقية) فقال : ان رأى امرأة تسره أكثر . أما (شماى) ومدرسته فقد فسرها بعدم جواز

(٤٠) دراسات فى صور من حياة المسيح ج ١ ص ٦٨ .

(٤١) ص ٢١١ تفسير متى للأنبيا اثناسيوس .

الطلاق الا لعله فضيحة عدم الأمانة ، ولذا كان ينطبق فى هذه المسألة كما فى كثير غيرها : المثل الذائع بين اليهود : « يحل هليل ما يربطه شماى » (٤٢) ويحكى متى على لسان عيسى عليه السلام أنه بين لهم ما اختلفوا فيه ، وضم رايه الى رأى (شماى) ومدرسته « قال لهم : أما قرأتم : أن الذى خلق من البدء . خلقها ذكرا وأنثى ، وقل : من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ، ويلتصق بإمراته ويكون الاثنان جسدا واحدا . اذن ليسا بعد اثنين بل جسد واحد ، فالذى جمعه الله ، لا يفرقه انسان . قالوا له : فلماذا أوصى موسى أن يعطى كتاب طلاق . فتطلق ؟ قال لهم : ان موسى من أجل تساوة قلوبكم ، اذن لكم ان تطلقوا نساءكم . ولكن من البدء لم يكن هكذا ، وأقول لكم : ان من طلق امراته ، الا لسبب الزنى ويتزوج بأخرى : يزنى ، والذى يتزوج بمطلقة يزنى » (متى ١٩ : ٤ — ٩) وهذا على سبيل النصيحة ، لا على سبيل التشريع ، لأنه قال : « من استطاع أن يقبل فليقبل » فى آخر النص على هذه النصيحة .

٢ — جاء فى التوراة : أن الله تعالى سيرسل رسولا من بعد موسى عليه السلام . فى هذا النص : « أقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك واجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به » (التثنية ١٨: ١٨) وقد ظن عوام يهود اورشليم أن هذا النبى سيكون من ذرية داود عليه السلام من سبط يهوذا ، وظن عوام يهود السامرة أن هذا النبى سيكون من سبط يوسف الصديق عليه السلام ، ولما جاء عيسى عليه السلام خاطب يهود اورشليم قائلا : « ماذا تظنون فى المسيح — أى هذا النبى المنتظر الذى تلقبونه بلقب المسيح — ابن من هو ؟ قالوا له : ابن داود . قال لهم : فكيف يدعوه داود بالروح ربنا . قائلا : قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أضع أعدائك موطئا لقدميك ، فان كان داود يدعوه ربنا ، فكيف يكون ابنه ؟ » (متى ٢٢ : ٤١ — ٤٥) والمعنى : لو كان المسيح المنتظر من آل داود ، ما كان داود يشير اليه بظهر الغيب بأنه سيده . كما فى ترجمة الكاثوليك « قال الله لسيدى . . » (مزمور ١١٠) لأنه على هذا يكون سيدا لأبيه داود . والابن عرفا وشرعا

(٤٢) ص ٥٦٨ حياة المسيح ، وانظر تفسير متى للأبنا اثناسيوس

٢١٤ .

لا يكون سيدا لأبيه . فاذن النبى الآتى من غير داود . وتعبير داود عن النبى الآتى بسيدى ، هو من قبيل الاحترام والتعظيم . كما قال عنه يوحنا المعمدان « الذى يأتى من بعدى هو أقوى منى ، الذى لست أهلا أن أحمل حذاءه » (متى ٣ : ١١) .

٣ — فى التوراة أن العمل على بنى اسرائيل محرم فى يوم السبت تحريما مؤكدا .

وجاء فى التوراة : « اذا دخلت زرع صاحبك . . . الخ » (التثنية ٢٢ : ٢٥) وتصادف أن « ذهب يسوع فى السبت بين الزروع فجاع تلاميذه ، وابتدأوا يقطفون سنابل ويأكلون . فالفريسيون لما نظروا قالوا له : هوذا تلاميذك يفعلون ما لا يحل فعله فى السبت » (متى ١٢ : ١ — ٢) لأن السبت لا يصنع فيه عمل ما . فلفت عيسى عليه السلام انظارهم الى أن الضرورات تبيح المحظورات « قال لهم : أما قرأتم ما فعله داود حين جاع هو والذين معه ، كيف دخل بيت الله ، وأكل خبز التقدمة الذى لم يحل أكله له ، ولا للذين معه ، بل للكهنة فقط » (متى ١٢ : ٣ — ٤) يشير بذلك الى ما ورد فى (سفر صموئيل الأول ٢١ : ١ — ٦) ثم يبين لهم : أن عمل الخير مباح فى يوم السبت ، والمحرم فى يوم السبت هو العمل اليومى المعتاد فى أمور المعاش ، كفتح المحلات التجارية والذهاب الى الحقول ، وما شابه ذلك . وضرب لهم مثلا وهو : أى انسان منكم يكون له خروف واحد ، فان سقط هذا فى السبت فى حفرة . أفما يمسكه ويقيمه ؟ فالانسان كم هو أفضل من الخروف . اذن يحل فعل الخير فى السبت » (متى ١٢ : ١١ — ١٢) .

لقد حرم علماء بنى اسرائيل على الناس بتفسيراتهم ما لم يحرمه الله . ولما جاء عيسى عليه السلام أحل لهم بعض ما حرمه على الناس ، بسبب هذه التفاسير ، وليس ما أحله كان محرما بنص فى التوراة . وهذا هو المقصود من قوله تعالى : « ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم » (آل عمران ٥٠) لأن القرآن الكريم يقول عنه فى نفس الآية « ومصدقا لما بين يدي من التوراة » فكيف يكون مصدقا غير ، ويأتى بشرع يناقض أحكام التوراة؟ ولذلك قال القرطبي فى تفسيره : « قيل : انما أحل لهم أشياء حرمتها عليهم

الأخبار ، ولم تكن فى التوراة محرمة عليهم . وقال صاحب الكشف :
 « قل : أن عيسى عليه السلام كان متعبدا بما فى التوراة من الأحكام . لأن
 الانجيل مواعظ وزواجر ، والأحكام فيه قليلة . وظاهر فونه : « وليحكم
 أهل الانجيل بما أنزل الله فيه » يريد ذلك ، وكذلك موثقه : « لكل جعلنا منكم
 شرعة ومنهاجا » وان سأغ لقائل أن يتول : معناه : « وليحكموا بما أنزل
 الله فيه من أيجاب العمل بأحكام التوراة »

...

...

...

وقد صحح المسيح اعتقادات بنى اسرائيل ، قد أفسدت عليهم
 حياتهم . منها :

أ - أنهم كانوا يعتقدون أن القريب نهم هو قريب لنفسب من
 اللحم والدم . ونهذا الاعتقاد منعوا دخول الأمم فى شريعة موسى عليه
 السلام ، حتى لا يتساوا معهم فى رحمة الله ، وأباحوا لأنفسهم أخذ
 الربا منهم (٤٣) . فبين المسيح أن القريب هو قريب المنفعة سواء كان
 من بنى اسرائيل أو كان من الأمم . ففى انجيل لوقا أن عازنا من علماء
 بنى اسرائيل « تال ليسوع : ومن هو قريبي ؟ فأجاب يسوع وقال : انسان
 كان نازلا من اورشليم الى أريحا ، فوقع بين لصوص ، فعروه وجرحوه
 ومضوا وتركوه بين حى وميت . فعرض أن كاهنا نزل فى تلك الطريق
 فرآه وجاز مقابله . وكذلك لاوى أيضا ، اذ صار عند المكان جاء ونظر
 وجاز مقابله . ولكن سامريا مسافرا جاء اليه ، ولما رآه تحنن ، فتقدم
 وضمد جراحاته وصب عليها زيتا وخمرا وأركبه على دابته وأتى به الى
 فندق واعتنى به . وفى الغد لما مضى أخرج دينارين وأعطاهما لصاحب
 الفندق ، وقال له : اعتن به ومهما أنفقت أكثر فعند رجوعى أوفيك .
 فأى هؤلاء الثلاثة ترى صار قريبا للذى وقع بين اللصوص ؟ فقال : الذى
 صنع معه الرحمة ؟ فقال له يسوع : اذهب أنت أيضا واصنع هكذا »
 (لو ١٠ : ٢٩ - ٣٧)

ب - وكان العالم من بنى اسرائيل يظهر أمام الناس بمظهر التقى

(٤٣) فى التوراة قد كتب اليهود : « لا تقرض أخاك بربا ، ربافضة
 أو ربا طعام أو ربا شئ مما يقرض بربا ، للأجنبى تقرض بربا . ولكن
 لأخيك لا تقرض بربا » (تث ٢٣ : ١٩ - ٢٠)

الورع ، ويبالغ في مظهره بامتناعه عن مخالطة المذنبين والتعرض لهم .
 فنصح المسيح تلاميذه بمخالطة المذنبين والتعرض لهم ، ليتوبوا الى بارئهم .
 ففي انجيل متى : « وفيما يسوع مجتاز من هناك رأى انسانا جالسا عند
 مكان الجباية ، اسمه متى . فقال له : اتبعنى . فقام وتبعه . وبينما هو
 متكئ في البيت اذا عشارون وخطاة كثيرون قد جاءوا واتكأوا مع يسوع
 وتلاميذه . فلما نظر الفريسيون قالوا لتلاميذه : لماذا يأكل معلمكم مع
 العشارين والخطاة ؟ فلما سمع يسوع قال : لا يحتاج الأصحاء الى طبيب ،
 بل المرضى . فاذهبوا وتعلموا ما هو : انى أريد رحمة لا ذبيحة
 لأنى لم آت لأدعو أبرارا بل خطاة الى التوبة » (مت ٩ : ٩ — ١٣)

ت — وكان علماء بنى اسرائيل يعلمون الناس أحكام الشريعة وما يترتب
 على الفعل من جزاء ، فيقولون : « من ضرب انسانا فمات ، يقتل قتلا ، ولكن
 الذى لم يتعمد بل أوقع اله فى يده ، فأنا أجعل لك مكانا تهرب اليه »
 (خر ٢١ : ١٢ — ١٣) فوافقهم المسيح على هذا التعليم ، وعاب عليهم
 أنهم لم يحثوا الناس على أن يبتعدوا عن التفكير فى القتل حتى لا يقع القتل .
 أى أنهم فى نظره كان يجب عليهم أمران : أحدهما : أن ينصحو المرء بأن
 لا يفكر فى الشر . وثانيهما : أنه اذا وقع الشر فلا بد أن يقع على المرء الجزاء
 المناسب لفعله . يقول متى على لسان المسيح عليه السلام : « قد سمعتم
 أنه قيل للقديس : لا تقتل . ومن قتل يكون مستوجب الحكم . وأما أنا
 فأقول لكم : ان كل من يفضب على أخيه باطلا ، يكون مستوجب الحكم (٤٤) »
 (مت ٥ : ٢١ — ٢٢)

وقد نصح المسيح بنى اسرائيل وتلاميذه بنصائح قيمة . نذكر منها
 قوله لتلاميذه : « أقيم ملح الأرض . ولكن ان أفسد الملح فبماذا يملح ؟
 لا يصلح بعد لشيء ، الا لأن يطرح خارجا ويداس من الناس .

(٤٤) وعلى ما قدمنا فى دعوة المسيح ينتفى الزعم بأن ديانتة روحية
 وديانة موسى مادية . فلم يأت المسيح بجديد عما تركه موسى بن عمران —
 عليهما السلام — .

أنتم نور العالم . لا يمكن أن تخفى مدينة موضوعة على جبل ، ولا يوقدون سراجا ويضعونه تحت المكيال ، بل على المنارة ، فيضىء لجميع الذين فى البيت . فليضىء نوركم هكذا قدام الناس ، لكى يروا أعمالكم الحسنه ويمجدوا أباكم الذى فى السموات » (مت ٥ : ١٣ - ١٦)

« لا يقدر أحد أن يخدم سيدين . لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر ، أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر . لا تقدر أن تخدموا الله والمال . ذلك أقول لكم : لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون . ولا لأجسادكم بما تلبسون . أليست الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس ؟ انظروا الى طيور السماء . انها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع الى مخازن . رابوكم السماوى يقوتها . أليستم أنتم بالحرى أفضل منها ؟

ومن منكم اذ اهتم يقدر أن يزيد على قامته ذراعا واحدا ؟ ولماذا تهتمون باللباس ؟ تأملوا زنايق الحقل كيف تنمو ؟ لا تتعب ولا تغزل . ولكن أقول لكم : انه ولا سليمان فى كل مجده ، كان يلبس كواحدة منها . فان كان عشب الحقل الذى يوجد اليوم وي طرح غدا فى التنور ، يلبسه الله هكذا . أفليس بالحرى جدا يلبسكم أنتم يا قليلى الايمان ؟

فلا تهتموا قائلين : ماذا نأكل ؟ أو ماذا نشرب ؟ أو ماذا نلبس ؟ فان هذه كلها تطلبها الأمم ، لأن أباكم السماوى يعلم أنكم تحتاجون الى هذه كلها . لكن اطلبوا أولا ملكوت الله وبره ، وهذه كلها تزداد لكم . فلا تهتموا للغد . لأن الغد يهتم بما لنفسه . يكفى اليوم شره » (مت ٦ : ٢٤ - ٣٤)

والآن . الى ملكوت الله وبره .

الفصل الثاني

في

ملكوت السموات

ملكوت السموات تعبير ورد في التوراة وفي الانجيل ، للدلالة على حكم الله في الأرض ، تمييزا لجماعة المؤمنين بالله والعاملين بشريعته ، عن جماعة الكافرين الذين لا يؤمنون بالله ، ويحكمون أنفسهم بقوانين قد تعارفوا فيما بينهم على الحكم بها .

فلو أن جماعة من البشر حكموا أنفسهم بقوانين بشرية قد تعارفوا فيما بينهم على الحكم بها ، فإنه لا يطلق على مملكتهم ملكوت السموات . لأنهم لا يأخذون قوانينهم من اله السموات . أما الذين يأخذون قوانينهم من اله السموات ، ويؤمنون بأنه رب العالمين ، فهم الذين يطلق على مملكتهم ملكوت السموات . والذي أطلق ملكوت السموات على حكم الله في الأرض ، هو النبي العظيم دانيال ، أثناء سبي بني اسرائيل ، في بابل . ذلك أن ملك بابل واسمه نبوخذ ناصر — وكان وثنيا — رأى في حلم الليل أحلاما أفزعته ، وأطارت عنه نومه . وطلب تفسيرها من المجوس والسحرة والعرافين والكلدانيين . فقالوا له لا يفسرها « غير الآلهة الذين ليست سكناهم مع البشر » حيثئذ تقدم النبي دانيال ، وبارك « اله السموات » بقوله : « ليكن اسم الله مباركا من الأزل وإلى الأبد ، لأن له الحكمة والجبروت . وهو يغير الأوقات والأزمنة ، يعزل ملوكا وينصب ملوكا . يعطي الحكماء حكمة ، ويعلم العارفين فهما . هو يكشف العمائق والأسرار ، يعلم ما هو في الظلمة وعنده يسكن النور » ثم قال للملك الوثني نبوخذ ناصر : « السر الذي طلبه الملك ، لا تقدر الحكماء ولا السحرة ولا المجوس

ولا المنجمون على أن يبينوه للملك . لكن يوجد اله في السموات كاشف الأسرار» ثم ان دانيال قص الحلم على الملك ، وعبره له . ولأن الملك كان وثنيا كافرا ، خاطبه دانيال عن الله عز وجل بانه «اله السموات» تمييزا عن الآلهة الأرضية التي يعبدها نبوخذ ناصر ، مع الحكماء والسحرة والمجوس والمنجمين والكلدانيين . ولقد قال نبوخذ ناصر لدانيال بعدما أخبره دانيال بالحلم والتعبير : «حقا ان الهكم اله الآلهة ، ورب الملوك ، وكاشف الأسرار» وهذا هو نص الحلم كما يرويهِ دانيال في الاصحاح الثاني من سفره : «أنت أيها الملك كنت تنظر ، واذا بتمثال عظيم . هذا التمثال العظيم البهي جدا ، وقف قبالتك ، ومنظره هائل . رأس هذا التمثال من ذهب جيد ، صدره وذراعاؤه من فضة . بطنه وفخذه من نحاس . ساقاه من حديد . قدماه بعضهما من حديد والبعض من خزف . كنت تنظر الى أن قطع حجر بغير يدين ، فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف فسحقهما ، فانسحق حينئذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معا ، وصارت كعصافاة البيدر في الصيف ، فحملتها الرياح . فلم يوجد لها مكان . أما الحجر الذي ضرب التمثال : فصار جبلا كبيرا ، وملأ الأرض كلها» أ. هـ .

يلاحظ في هذا الحلم ما يلي :

١ — رأس التمثال ٢ — صدره وذراعاؤه ٣ — بطنه وفخذه ٤ — ساقاه
 ٥ — الحجر الذي ضرب التمثال . وقد عبر دانيال الحلم بأن التمثال كله رمز للممالك تقوم على الأرض . وأن رأس التمثال يشير الى مملكة بابل التي يرأسها نبوخذ ناصر . والصدر يشير الى مملكة ثانية . والبطن يشير الى مملكة ثالثة . والساق يشير الى مملكة رابعة . وبعد المملكة الرابعة دخول دانيال عن الحجر : «يقيم اله السموات مملكة لن تفترض ابدا ، وملكها لا يترك لشعب آخر ، وتسحق وتفتنى كل هذه الممالك . وهي تثبت الى الأبد» ومفسرو النصارى يقولون : ان المملكة الثانية هي مملكة أهل فارس ، والثالثة هي مملكة اليونانيين التي أسسها الاسكندر ذو القرنين ، والرابعة هي مملكة الروم التي أسسها «بومبيوس» قبل ميلاد المسيح بثلاثة وستين

عاما . وأما الحجر الذى ضرب التمثال ، وصار جبلا كبيرا ، وملا الأرض كلها فهو رمز للملكوت السموات الذى نادى المسيح مع يوحنا المعمدان باقترابه بعد زوال مملكة الروم .

وهذا هو تعبير الحلم كما يرويه دانيال نفسه : « أنت أيها الملك ملك ملوك . لأن اله السموات أعطاك مملكة واقتدارا وسلطانا وفخرا . وحيثما يسكن بنو البشر ، ووحوش البر وطيور السماء ، دفعها إليك ، وسلطك عليها جميعها . فانت هذا الرأس من ذهب . وبعذك تقوم مملكة أخرى أصغر منك ومملكة ثالثة أخرى من نحاس ، فتتسلط على كل الأرض ، وتكون مملكة رابعة صلبة كالحديد . لأن الحديد يدق ويسحق كل شيء . وكالحديد الذى يكسر ، تسحق وتكسر هؤلاء . وبما رأيت القدمين والأصابع بعضها من خزف والبعض من حديد . فالمملكة تكون منقسمة ويكون فيها قوة الحديد من حيث أنك رأيت الحديد مختلطا بخزف الطين ، وأصابع القدمين بعضها من حديد ، والبعض من خزف . فبعض المملكة يكون قويا والبعض قصوا . وبما رأيت الحديد مختلطا بخزف الطين فانهم يختلطون بنسل الناس . ولكن لا يتلاصق هذا بذلك ، كما أن الحديد لا يختلط بالخزف .

وفى أيام هؤلاء الملوك يقيم اله السموات مملكة لن تنقرض أبدا ، وهلكها لا يترك لشعب آخر وتسحق وتفنى كل هذه الممالك ، وهى تثبت الى الأبد » (دانيال ٢ : ٣٧ — ٤٤) .

...

...

...

وقد بينت التوراة أن ملكوت السموات يطلق على عهدين : **العهد الأول** : يبدأ من ظهور موسى بن عمران بالتوراة . **والعهد الثانى** : يبدأ من ظهور النبى الذى أخبر عن ظهوره موسى لينسخ شريعته . ففى سفر الخروج عن ملكوت العهد الأول : « وأما موسى فصعد الى الله . فناداه الرب من الجبل قائلا هكذا : تقول لبني يعقوب وتخبر بني اسرائيل : أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين . وأنا حملتكم على أجنحة المنسور ، وجئت بكم الى . فالآن ان سمعتم لصوتى وحفظتم عهدى ، تكونون لى خاصة من بين جميع

الشعوب . فان لى كل الأرض . وأنتم تكونون لى : مملكة كهنة وأمة مقدسة » (خر ١٩ : ٣ - ٦) .

وفى سفر التثنية عن ملكوت العهد الثانى : « أقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك واجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به » (تث ١٨ - ١٨)

وفى سفر حزقيال عن نزع ملكوت العهد الأول من بنى اسرائيل ، لى النبى الذى له الحكم فى ملكوت العهد الثانى : « وأنت أيها النجس الشرير رئيس اسرائيل الذى قد جاء يومه فى زمان اثم النهاية . هكذا قال السيد الرب . انزع العمامة . ارفع المتاج . هذه لا تلك . ارفع الوضيع وضع الرضيع . متقلبا متقلبا متقلبا أجعله . هذا أيضا لا يكون حتى يأتى الذى له الحكم فأعطيه اياه » (حز ٢ : ٢٥ - ٢٧)

وفى سفر دانيال عن زمان تأسيس ملكوت السموات فى العهد الثانى : « وفى أيام هؤلاء الملوك يقيم اله السموات مملكة لن تنقرض أبدا ، وملكها لا يترك لشعب آخر ، وتسحق وتفتى كل هذه الممالك . وهى تثبت الى الأبد » (دا ٢ : ٤٤) .

ويطلق علماء بنى اسرائيل على عهد التوراة « الدهر الحاضر » فى مقابلة « الدهر الآتى » دهر الشريعة الجديدة التى ستكون مع النبى الذى أخبر عن مجيئه موسى فى سفر التثنية . ويعبرون عن الدهر الآتى بمملكة الله الآتية ، أو ملكوت السموات . ويقولون بدوام الدهر الآتى الى يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين .

وقد بينت الأناجيل الأربعة المقدسة عند النصارى : أن المسيح ابن مريم عليه السلام قال لبنى اسرائيل قد كمل زمان ملكوت العهد الأول ، واقترب زمان ملكوت العهد الثانى . وأنا أبشركم بالنبى الذى أخبر عن مجيئه موسى فى سفر التثنية ليقوم مملكة العهد الثانى الذى لن ينقرض ملكوته أبدا . فقد حكى مرقس ما نصه : « جاء يسوع الى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله . ويقول : قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله . فتوبوا وآمنوا بالانجيل » (مر ١ : ١٤) .

ويقول متى : « ابتداء يسوع يكرز ويقول : توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات » (مت ٤ : ١٧) ويقول : « وكان يسوع يطوف كل الجليل ، يعلم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت » (مت ٤ : ٢٣) ويقول : ان المسيح قال لتلاميذه : « لا تظنوا اني جئت لانتقض الناموس أو الانبياء . ما جئت لانتقض ، بل لأكمل . فاني الحق أقول لكم الى أن نزول السماء والأرض ، لا يزول حرف واحد ، أو نقطة واحدة من الناموس ، حتى يكون الكل . فمن نقض احدي هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر في ملكوت السموات ، وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيما في ملكوت السموات . فاني أقول لكم : انكم ان لم يزد بركم على الكتابة والفريسيين ، لن تدخلوا ملكوت السموات » (مت ٥ : ١٧ — ٢٠) ويقول : ان المسيح علمهم أن يقولوا في الصلاة : « أبانا الذي في السموات . ليقدس اسمك ، ليأت ملكوتك » (مت ٦ : ٩ — ١٠) .

ويقول : ان المسيح أوصى تلاميذه أن لا يهتموا بهوم الرزق . فان الله يرزق من يشاء بغير حساب وأن يطلبوا « أولا ملكوت الله وبره » (مت ٦ : ٣٣) .

ويقول : ان المسيح أوصى تلاميذه بقوله : « اكرزوا قائلين : انه قد اقترب ملكوت السموات » (مت ١٠ : ٧) .

ويقول متى : ان المسيح قال لعلماء بنى اسرائيل : « ان ملكوت الله جنزح منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره » (مت ٢١ : ٤٣) .

وقد بينت الأناجيل الأربعة المقدسة عند النصارى : أن يهياى بن زكريا عليه السلام ، نادى باقتراب ملكوت السموات كما نادى عيسى عليه السلام . فقد حكى متى عنه : « جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية قائلا : توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات » (مت ٣ : ١ — ٢) وقد شرح النصارى ما حكاه عنه بها نصه : « لنذكر بايجاز الأغراض الرئيسية من كرازة المعمدان « قد اقترب ملكوت السموات » كان لليهودى يفهم من هذه العبارة عودة حكم رجال الدين . ألم يتنبأ دانيال أنه فى آخر الامبراطوريات العظيمة المثلة فى حلم نبوخذ ناصر ، يقيم اله السموات مملكة لن تنقرض

أبدا ، وتسحق وتفنى كل الممالك . وهي تثبت الى الأبد ؟ ألم ير مقدما ذلك العصر الذى فيه يأتى ذاك الذى قيل بأنه مثل ابن انسان الى القديم الأيام ، لكى يأخذ منه سلطانا أبديا لن يزول ، وملكوها لا يفتقرض (دانيال ٧ : ١٣ - ١٤) ؟ إذن فقد كانت كل هذه التنبؤات على وشك الإتمام . كان المسيا الذى طال انتظاره قد اقترب » (١) أ . هـ .

يريدون أن يقولوا : أن ملكوت السموات معناه سيادة شريعة الله فى الأرض . وأن ملكوت السموات سـيـظـهـر عـقـب فـنـاء الممالك الأربعة التى تحدث عنها النبى دانيال فى الاصحاح الثانى والسابع من سفره ، وأن ملكوت السموات سـيـتـأسـس على يد المسيا المنتظر ، وهو النبى الذى أخبر عن ظهوره موسى فى الاصحاح الثامن عشر من سفر التنتية . وأن ملكوت السموات قد دعا يوحنا الى اقتراب زمانه .

•••

•••

•••

وابراهيم النبى عليه السلام لما حطم الأصنام تحطيمها ، وجساد بابنه الوحيد البكر ذبيحة لله ، باركه الله ووعدته بمباركة الأمم فى ولديه اسماعيل واسحق . وفى التوراة عن ابراهيم : « وتبارك فيك جميع قبائل الأرض » (تك ١٢ : ٣) وفى التوراة عن اسماعيل : « وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه ، ها أنا أباركه » (تك ١٧ : ٢٠) وفى التوراة عن اسحق : « باسحق يدعى لك نسل ، وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك » (تك ٢١ : ١٢ - ١٣) وبركة اسحق خصصتها للتوراة فى ابنه اسرائيل وحده . فقد باركه أبوه بقوله : « ليستعبد لك شعوب ، وتسجد لك قبائل » (تك ٢٧ : ٢٩) وبهذا التخصيص صار اسرائيل هو المقابل لاسماعيل فى البركة . التى تعنى رئاسة أبنائهما على الشعوب والمقابل للحكم بينهم بها أنزل الله .

ولقد اصطفى الله موسى بن عمران من آل اسرائيل بن اسحق للتنبؤة والكتاب . وبه بدأت بركة بنى اسحق فى الأمم . اذ يحدثنا التاريخ أن

(١) ص ٥٦ يوحنا المعمدان - الدكتور ف . ب . ماير

(٢) لاحظ ما كتبناه فى بركة اسماعيل عليه السلام فى الجزء الأول من

هذا الكتاب .

موسى خرج ببني اسرائيل من مصر ، وأمرهم بدخول الأرض المقدسة فدخلوها فاتحين ، وحكموا أهل الأرض بشرع الله . وساروا في البلاد هادين الى الله حنبة طويلة من الزمان . وتحقق على يدي علماء بني اسرائيل معنى ملكوت الله فى الأرض . ثم خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، وأهملوا الشريعة ، وحرفوها عن مواضعها . واتفقوا على أن يكفوا عن دعوة الأمم ، وعلى أن تكون التوراة لهم الى يوم الدين . ولما اتفقوا على ذلك نسوا التواضع وأظهروا الكبر ، واعتبروا أنفسهم سادة العالم ، وترفعوا عن مخالطة الأمم .

ومن أجل ذلك ضل العالم وزاغ وفسد ، واختلط الحق بالباطل . حتى أن النبى المنتظر لو ظهر فى العالم ، فان العالم لن يعرفه ، لاختلاط الحق بالباطل ، ولن يؤمن به العلماء الذين أفسدوا الشريعة ، لأنهم أفسدوها ليكفروا به اذا جاء ، كما كفروا بآيات الله عز وجل .

وشاءت ارادة الله عز وجل أن يكون النبى عيسى بن مريم والنبى يحيى بن زكريا عليهما السلام شاهدين على علماء بني اسرائيل ، وأن يكونا موضحين لما أخفوه من الحق . فأرسلهما يدعونهم الى التوبة والاستعداد للدخول فى ملكوت السموات الذى سيبدأ قريبا فى بني اسماعيل . والا يتوبوا ويدخلوا فانهم هالكون لا محالة ، على يد النبى الآتى رحمة للعالم .

...

...

...

ويقول علماء النصارى : ان الملكوت الذى دعا المسيح الى اقترابه مع يوحنا المعمدان ، هو الملكوت الذى عبر عنه النبى المعظم دانيال فى الاصحاح الثانى من سفره بالحجر الهائل ، وهو يفسر التمثال الذى رآه نبوخد ناصر فى حلم الليل . وهو أيضا الملكوت الذى أخبر النبى المعظم دانيال عن تأسيسه فى الاصحاح السابع من سفره ، بعد هلاك الحيوانات الأربعة التى ترمز الى ممالك أربعة تقوم على الأرض .

فملكوت السموات ويعبر عنه أيضا بملكوت الله ، أو الحياة الأبدية ، أو الحياة . هو ملكوت المسيا (المسيح) الذى كان ينتظره بنو اسرائيل ،

حتى زمان النبيين الكريمين : يحيى وعيسى — عليهما السلام — والمسيا هو النبي الذي وعد به موسى عليه السلام فى قوله : « يقيم لك الرب الهك : نبيا . من وسطك . من اخوتك . مثلى . له تسمعون » (تث ١٨ : ١٥) ولما جاء دانيال النبي — وهو من الأنبياء الذين ظهوروا أثناء السبى فى بابل سنة ٥٨٦ قم — أخبر اليهود بحوادث مستقبلية . أخبرهم بأمر تأتى اثر أهم ، ثم يأتى من يؤسس ملكوت السموات . لقد أخبرهم بأربع ممالك تنشأ على الأرض ، وفى نهاية المملكة الرابعة يؤسس ملكوت السموات . واجماع المفسرين من النصارى نقلوا عن اليهود : أن المملكة الرابعة هى الدولة الرومانية .

يقول دانيال فى الاصحاح السابع من سفره « ١ — فى السنة الأولى لبيلشاصر ملك بابل ، رأى دانيال حلما . ورؤى رأسه على مضجعه . مكتب الحلم واخبر بجملة الكلام ٢ — أخبر دانيال وقال : رأيت فى رؤياى لبلا فاذا بأربع رياح السماء قد هجبت على البحر الكبير ٣ — فطلع من البحر أربعة حيوانات عظيمة يخالف بعضها بعضا ٤ — الأول مثل الاسد وله جناحا نسر ، وبين كنت أرى اذ اقتلع جناحاه ثم ارتفع على الأرض وقام على رجليه كإنسان وأوتى قلب إنسان ٥ — واذا بحيوان آخر شبيهه بالدب فقام على جنب واحد ، وفى فمه ثلاث أضلع بين أسنانه . فقيل له : قم فكل لحما كثيرا ٦ — وبعد ذلك رأيت ، فاذا بأخر مثل النهر ، وله أربعة أجنحة طائر على ظهره . وكان للحيوان أربعة رؤس وأوتى سلطانا ٧ — وبعد ذلك رأيت فى رؤيا الليل فاذا بحيوان رابع هائل شديد قوى جدا ، وله أسنان كبيرة من حديد ، فكان يأكل ويسحق ويدوس الباقي برجليه ، وهو يخالف سائر الحيوانات التى قبله ، وله عشرة قرون . ٨ — فتأملت القرون فاذا بقرن آخر صغير قد طلع بينها ، وقلعت ثلاثة من القرون الأول من أمامى . واذا بعيون فى هذا القرن كعيون إنسان ، وهم ينطق بعظام ٩ — وبينما كنت أرى اذ نصبت عروش ، فجلس القديم الأيام ، وكان لباسه أبيض كالثلج وشعر رأسه كالصوف النقى ، وعرشه لهيب نار ، وعجلاته نار مضطربة . ١٠ — ومن أمامه يجرى ويخرج

نهر من نار . وتخدمه ألوف ألوف وتتقف بين يديه ربوات ربوات ، فجلس أهل
القتضاء وفتحت الأسفار ١١ — وكنت أرى ماذا يكون عن صوت الأتوال
العظيمة التي ينطق بها القرن . وبين كنت أرى اذ قتل الحيوان وتلف
جسمه وجعل وقودا للنار ١٢ — أما باقى الحيوانات فأزيل سلطانها لكنها
أوتيت طول حياة الى زمان ووقت ١٣ — ورأيت فى رؤى الليل : فاذا بمثل
ابن البشر آتيا على سحاب السماء فبلغ الى القديم الأيام وقرب الى امامه
١٤ — وأوتى سلطانا ومجدا وملكا . فجميع الشعوب والأمم والألسنة
يعبدونه ، وسلطانه سلطان أبدى لا يزول . وملكه لا ينقرض ١٥ — فترجع
روحى انا دانيال فى وسط جسمى وأقلقتنى رؤى رأسى ١٦ — فاقتربت
الى أحد الواقفين وسألت عن حقيقة ذلك كله . فأخبرنى وأعلمنى بتعبير
الكلام ١٧ — وهو أن هذه الحيوانات الأربعة العظيمة هى أربعة ملوك
يقومون من الأرض ١٨ — لكن قديسى العلى يأخذون الملك ويحوزونه الى
الأبد والى أبد الآباد ١٩ — فرغبت فى الاطلاع على حقيقة الحيوان الرابع
الذى كان مخالفا بسائرهما وهائلا جدا الذى أسنانه من حديد وأظفاره من
نحاس ، وقد اكل وسحق وداس الباقي برجليه ٢٠ — وعلى القرون العشرة
التي فى رأسه وعلى الآخر الذى طلع فسقطت من امامه ثلاثة . ذلك القرن
الذى له عيون وهم ينطق بعظامه ومنظره أعظم من أصحابه ٢١ — وقد
رأيت فاذا بهذا القرن يحارب القديسين فغلبهم ٢٢ — حتى جاء القديم
الأيام فأوتى قديسو العلى : القضاء وبلغ الزمان وحاز القديسون الملك
٢٣ — فقال هكذا : ان الحيوان الرابع يكون المملكة الرابعة على الأرض
وتكون مخالفة لسائر الممالك ، فتأكل الأرض كلها وتدوسها وتسحقها
٢٤ — والقرون العشرة التي من هذه المملكة هى عشرة ملوك يقومون
ويقوم بعدهم آخر ، وهذا يخالف الأولين ويخضع ثلاثة ملوك ٢٥ — وينطق
بأقوال ضد العلى ويبتلى قديسى العلى ، ويخال أنه يغير الأزمنة والمشرية
وسيدفعون الى يده الى زمان وزمانين ونصف زمان ٢٦ — ثم يجلس
أهل القضاء فيزول سلطانه ويدمر ويباد على الدوام ٢٧ — ويعطى الملك
والسلطان وعظمة الملك تحت السماء بأسرها لشعب قديسى العلى ،
وسيكون ملكه ملك أبدى ويعبده جميع السلاطين ويطيعونه ٢٨ — الى
هنا نهاية الكلام » (دانيال الاصحاح السابع — ترجمة اليسوعيين)

يقول الكاثوليك فى التعليق على هذا الكلام : (٢ - المراد بالبحر هنا العالم . والرياح الأربع رمز الى الفتن التى تثيرها فيه الممالك الأربع التى يشير اليها النبى ٣ - يرمز بالحيوان الى السلطان الأرضى . فالحيوانات الأربعة تشير الى الممالك الأربع المثلة بتمثال الذهب المذكور فى الفصل الثانى . الا أن هنا كلام على الملكة الرابعة أطول مما هناك ٤ - أشار باقتلاع جناحى النسر الى انكسار الكلدانيين أمام الفرس وانتزاع الفرس القوة الحيوانية أى قوة السلطان من مملكة بابل . ثم ذكر أنه بعد ذلك حل فيها قلب انسان ، أى استبدل ذلك السلطان بسلطان آخر يحكم بالرفق والانسانية ٥ - الدب من البهائم : ذات البطش . الا أنه ليس فى قوة الأسد وهكذا كانت مملكة ماداي وفارس بالنسبة الى الكلدانيين من قبل . وقوله : « فقام على جنب واحد وفى فمه ثلاث أضلع » : يحتمل أن يكون المراد به ما طرأ فى هذه الملكة الثانية من استعلاء الفرس على الماديين واستئثارهم بالقوة دونهم ، ثم ما ولى ذلك من اتحاد الأمم الثلاث : فارس وماداي والكلدان فى مملكة واحدة ٦ - هذا الحيوان هو مملكة اليونانيين التى انقسمت بعد موت الاسكندر الكبير الى أربع ممالك ٧ - هذا الحيوان الرابع هو الملكة الرومانية والعشرة قرون التى له هي الممالك العشر التى تفرعت اليها هذه الملكة فى عاقبة أمرها ٨ - هذه الملكة التى تنشأ من الممالك العشر والمثلة هنا بقرن صغير هى كما ذهب اليه أكثر المفسرين : مملكة الدجال ١٢ - المعنى أنه بعد ما انحلت الممالك الثلاث الأولى وزال عنها الملك عادت شعوبها فتألفت ممالك صغيرة واستمر فيها الحكم ما شاء الله الى أن بلغ أجلها الموقوت ٢٥ - الى زمان وزمانين ونصف زمان ، أى الى ثلاث سنين ونصف سنة . وذلك وفاقاً لرأى جمهور المفسرين الذين يحملون هذا الموضع على اضطهاد الدجال (انظر الرؤيا ١٢ : ٦ ، ١٣ : ٥) . أ . هـ

الرد عليهم :

لا يعنينا أن نطيل فى كل جزئية من جزئيات تعليقاتهم على النص ، وانبا الذى يعنينا هو تفسيرهم الملكة الرابعة بمملكة روما . اذ مجمل

قولهم : ان المملكة الأولى : هي مملكة الكلدانيين ، ويرمز لها بالأسد . والمملكة الثانية : هي مملكة الفرس وتغلبها على الكلدانيين ، ويرمز لها بالدب . والمملكة الثالثة : هي مملكة اليونان ، ويرمز لها بالنمر : والمملكة الرابعة : هي مملكة الرومان ويرمز لها بحيوان هائل شديد قوى جدا ، وله أسنان كبيرة من حديد. ويلاحظ أن دانيال أطال الكلام عن المملكة الرابعة وقال بعدها مباشرة قبل تفسير الحلم : « كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مثل ابن انسان — وفي ترجمة الكاثوليك : « ابن البشر » — أتى وجاء الى القديم الأيام — وهو الله عز وجل — فقربوه قدامه فأعطى سلطانا ومجدا وملكونا لنتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة . سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول وملكوته ما لا يتقرض » وهذا يعنى : أن مملكة ابن الانسان شبيهة بالممالك السابقة وتكون بعد مملكة روما . ويؤيد هذا قول دانيال وهو يفسر الحلم : « هؤلاء الحيوانات العظيمة ، التي هي أربعة ملوك يقومون على الأرض . أما قديسو العلى فيأخذون المملكة ويمتلكون المملكة الى الأبد وإلى أبد الأبدين » فقولهم « يقومون على الأرض » يدل على أن الملكوت أرضى لا روحى .

والتاريخ يثبتنا : أن الذى أزال سلطان روما نهائيا هو نبي الاسلام ﷺ فيكون هو المقصود بملكوت السموات في عبارات دانيال . ولا يكون هو عيسى ، لأن عيسى ولد في بدء احتلال الرومان لاورشليم ، فانهم احتلوها لأول مرة فى سنة ٦٣ ق . م وعيسى كان يدفع الجزية للدولة الرومانية (متى ١٧ : ٢٧) وقال لليهود : « أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله الله » (مرقس ١٢ : ١٧) ولم يعط الله لعيسى الملك والسلطان على جميع أمم الأرض والتعبير بقوله : « لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة » معناه : الطاعة التامة والخضوع للشريعة . وذلك مثل ما جاء فى التوراة عن اطاعة اليهود لملك بابل فى هذا النص : « فحلف جدليا لهم ولرجالهم وقال لهم : لا تخافوا من عبودية الكلدانيين . اسكنوا فى الأرض وتعبدوا لملك بابل . فيكون لكم خير » (الملوك الثانى ٢٥ : ٢٤) يريد بقوله « وتعبدوا لملك بابل » الخضوع لحكمه وهم فى ذل الأسر .

وما الذى يقوله النصرى فى ملكوت السموات ؟ يقولون : انه ملكوت عيسى ابن مريم عليه السلام . ويقولون : انه ملكوت روحى على قلوب من يؤمن

به ، كولاء التلميذ لمعلمه . ويقولون : ان الملكوت الذى نادى عيسى باقترابه هو الملكوت الذى أشار اليه دانيال عن ابن الانسان ، فى قوله فى النص المتقدم : « كنت أرى فى رؤى الليل واذا مع سحب السماء مثل ابن انسان أتى وجاء الى القديم الأيام فقبوه قدامه ، فأعطى سلطانا رمجدا وملكوته ، لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة ، سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول وملكوته ما لا يتقرض » (دانيال ٧ : ١٣ - ١٤) .

يقول الدكتور فردريك . فارار معلقا على لقب « ابن الانسان » : « هذا هو اللقب الذى يثير أقل عداوة ، وفى الوقت ذاته يفهم أنه يطلق على المسيا (قارن دا ٧ : ١٣ و يو ٧ : ٣٤ (٣)) » .

ويقول متى هنرى فى بيان حالة عيسى ساعة المحاكمة : « وبالرغم من أنهم كانوا يرونه وقتئذ فى موقف المتهم فأنهم سوف يرونه قريبا جالسا فوق العرش « آتيا على سحب السماء » وهذه تشير الى نبوة أخرى قيلت عن ابن الانسان (دانيال ٧ : ١٣ - ١٤) وطبقت على المسيح (لوقا ١ : ٣٣) » (٤) .

ولئن قيل لهم : ان اشارات دانيال عن هذا الملكوت تشير الى أنه أرضى لشبهه بالممالك الأرضية الأربعة السابقة عليه ، ولما جاء عيسى عليه والسلام وقتئذ : انه المقصود بكلام دانيال فكيف كانت مملكته ؟ وما تقولون فى ما جاء فى الأناجيل من أنه هرب من القوم الذين أرادوا أن يجعلوه ملكا عليهم ؟ (يو ٦ : ١٥) يقولون : ان ملكوت عيسى الذى نادى باقترابه : هو ملكوت روحى على قلوب المؤمنين به . بمعنى أن كل من يؤمن بالانجيل فهو تحت سلطان الولاء الأدبى لعيسى عليه السلام ، وعيسى يملك عليه ملكا روحيا . وهذا الملكوت الروحى يتحدث عنه الدكتور وليم أدى الامريكانى فيقول : « ملكوت السموات : ملكوت السماء أى ملكوت المسيح الروحانى يسمى أيضا ملكوت الله . ويستعمل متى هذه اللفظة ويكررها ثلاثين مرة فى بشارته . ويحتمل أنه نقل هذه الكلمات من : دانيال ٧ : ١٣ و ١٤ و ٢٧ و ٢ : ٤٤ ويسمى ملكوت السموات

(٣) ص ٢٩٢ حياة المسيح لفردريك .

(٤) ص ٣٢٨ ج ع تفسير انجيل متى لمتى هنرى .

لأنه ليس من العالم ، ولو كان فى العالم فيصدره وصفاته ونتائجه كلها سماوية ، ولأن ملكه المسيح أتى من السماء . ولكن اليهود ظنوا أنه يكون ملكوتا أرضيا . ولذلك رفضوا مخلصا متواضعا . فسماه متى سماويا ، ليصلح هذا المفظ ، ولم يسلم الرسل من هذا الخطأ الا بعد يوم الخمسين ، ويوحنا المعمدان لم يرد بذلك ملكا مستقبلا محضا ، بل ملك المسيح من بدء مجيئه الى هذه الأرض ، الى مجيئه الثانى ، وتكميله ملكوته فى السماء . وكانت أكثر آراء يوحنا فى هذا الملكوت روحية ، ولكن لم تخل أفكاره من آراء اليهود الشائعة فى أمر المسيح » (٥) .

ويتحدث عنه متى هنرى فيقول فى تفسير قول متى عن المسيح : « تويوا : لأنه قد اقترب ملكوت السموات » يقول : « تويوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات » : أى عصر الانجيل لعهد النعمة . افتتاح ملكوت السموات لكل المؤمنين بموت يسوع المسيح وقيامته ، انه « ملكوت » يملك عليه المسيح ويجب أن نكون نحن الرعية المخلصة الأمانة . انه « ملكوت السموات » وليس ملكوت العالم . ملكوت روحى أصله من السماء واتجاهه نحو السماء . ويوحنا المعمدان نادى بهذا الملكوت باعتباره « قد اقترب » : اذن فقد كان على الأبواب ، الينا نحن قد جاء ، بانسكاب الروح القدس ، واستعلان غنى نعمة الانجيل » (٦) .

والمعنى : أن فى مسألة بدء الملكوت رأيان بارزان :

الأول : أن ملكوت السموات يبدأ من مجيء عيسى بالدعوة الى زمان رفعه الى السماء ، ثم يأتى عيسى ثانية فى نهاية الزمان ليكمل هذا الملكوت فى السماء .

والثانى : « أن ملكوت السموات لا يبدأ من مجيء عيسى بالدعوة ، ولا من بعد رفعه ، ولكن من اليوم الخمسين بعد الرفع ، وهو يوم انسكاب الروح القدس على التلاميذ ، وبليلة ألسنتهم .

(٥) ص ٢٥ — ٢٦ ج الكنز الجليل فى تفسير الانجيل .

(٦) ص ٨٤ ج ١ تفسير انجيل متى متى هنرى .

ونرد عليهم بما يلي :

١ — انه ورد في أصل فكرة الملكوت : أنه أرضى لا روحى ، لشبهه بسائر الممالك السابقة عليه . كما دعا يوحنا المعمدان الذى لم تخل أفكاره عنه من آراء اليهود — كما يقولون عنه — وإذا كان روحيا وتأسس بعد الخمسين ، فإنه يلزم عليه أن من آمن بعبسى فى حياته ، ومن آمن به قبل يوم الخمسين ، لا يكون داخلا فى الملكوت . وقد آمنت به قرى بأسرها ، وآمن به ألوف من بنى اسرائيل رجالا ونساء . ومن اعجابهم به أرادوا أن يجعلوه ملكا — كما تقول الأناجيل — .

٢ — انهم يقولون : أن المسيا صاحب الملكوت ، سيكون من ذرية داود ، وأن عيسى هو المسيا ، وسوف « يعطيه الرب الاله كرسى داود ابيه ، وملك على بيت يعقوب الى الأبد ، ولا يكون الملكة نهاية » (لوقا ١ : ٣٢ — ٣٣) فيلزم على هذا القول : أن يكون ملك عيسى : ملكا أرضيا لا روحيا ، لأن ملك داود فى الزمن القديم كان ملكا أرضيا . وهذا على حد قولهم فى نسب المسيح . وقد بينا من قبل أنه من نسل هارون من سبط لاوى ، ولم يكن ملكا على كرسى داود .

٣ — الأمثال : التى وردت فى الاناجيل عن ملكوت السموات ، تشير الى ملك أرضى يشبه الملك الأرضى القديم ، من حيث الأرض والناس والشريعة السماوية : ففى نهاية أحد الأمثال عن الملكوت يقول المسيح : « ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره » (متى ٢١ : ٤٣) ويقول فى نهاية مثل آخر : « هكذا يكون الآخرون أولين ، والأولون آخرين . لأن كثيرين يدعون وقليلين ينتخبون » (متى ٢٠ : ١٦) .

٤ — نقل النصارى عن علماء اليهود : أن ملكوت السموات ، هو ملكوت أرضى . واليهود اعرف الناس بلفظة كتابهم . وما قالوه عن الملكوت مشابه لما جاء فى عبارات الاناجيل ، وأمثال الأناجيل . وينطبق تمام الانطباق على نبي الاسلام ﷺ . يقول متى هنرى : « كانت صلاة اليهود يوميا ، الى الله هكذا : « ليملك ملكوته ، ليزدهر فداؤه ،

وليأت مسياه ، ويخلص شعبه » (٧) فهل أتى عيسى ، وملك ، وخلص شعبه ، ونعم اليهود فى عهده بالرخاء ؟

٥ — واذا كان الملكوت هو عصر الانجيل وقد كرز وبشر به عيسى مع بدء نبوته ، فلماذا يعبر عيسى باقترب ؟ ولماذا يوصى التلاميذ بأن يقولوا لليهود : انه « اقترب » ؟ واذا كان الملكوت قد أسس فعلا فى يوم الخمسين ، فلماذا يقول النصارى الآن فى صلواتهم : « ابانا الذى فى السموات . ليتقدس اسمك . ليأت ملكوتك » (متى ٦ : ٩ — ١٠) لماذا يقولون : « ليأت » اذا كان هو قد أتى ؟ ولماذا يقول عيسى فى الانجيل أن من علم الناس بغير ما علمت به ، يكون محتقرا فى ملكوت السموات . يقول : « فمن نقض احدى هذه الوصايا الصغرى ، وعلم الناس هكذا بدعى أصغر فى ملكوت السموات . وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيما فى ملكوت السموات . فأنى أقول لكم : انكم أن لم يزد بركم على الكتب والمفريسين ، لن تدخلوا ملكوت السموات » (متى ٥ : ١٩ — ٢٠) من الذى يحكم بالصغر أو الكبر فى ملكوت السموات ، اذا كان الملكوت هو عصر الانجيل ؟

٦ — وتلاميذ عيسى كانوا يفهمون أن الملكوت أرضى . ولذلك سألوه بعد قيامته من الأموات وظهوره على الأرض : « هل فى هذا الوقت ترد الملك الى اسرائيل ؟ » (أعمال ١ : ٦) يقول الدكتور وليم أدى الأمريكانى فى تفسير هذه العبارة : « هذا السؤال نتيجة ما اعتدده اليهود عامة من أن المسيح يكون ملكا أرضيا يحزر أمة الاسرائيليين من سلطة الرومانيين ، ويرد عظمتها التى كانت لها فى أيام داود وسليمان على وفق المواعيد (أش ١ : ٢٦ ودا ٧ : ٢٧) فاجتهد المسيح أن ينفى هذا الوهم ، وأن يعلم تلاميذه أن ملكوته روحى ، ليس من هذا العالم » (٨) واذا كان فهم التلاميذ هكذا الى ما بعد صلبه وقتله ورفعته ونزوله وظهوره — كما يزعمون — فما الذى علمه عيسى لهم وهو على قيد الحياة ؟

...

...

...

(٧) ص ٢٧٥ — ٢٧٦ ج ١ انجيل متى ، لتي هنرى .

(٨) ص ٨ ج ٣ الكنز الجليل .

وفى آخر الزمان فى نهاية الدنيا . يقول النصارى : سينزل عيسى من السماء . وفى نزوله يقوى ايمان المؤمنين ويشتد ، ويتلاشى الشر من الأرض بهلاك الأشرار ، ولا يبقى فيها الا المؤمنون . ثم تقوم القيامة ، وعند نزول عيسى ينتهى عصر الملكوت الروحى ، ويبدأ عصر جديد يسمى « المجد الثانى للمسيح » وفيه دينونة الخلائق . وليس نزول عيسى على الأرض كما نهشى نحن عليها ، وكما يحكم ملوكها . بل هو نزول روحى أيضا يسيطر فيه على قلوب الناس . وهذا هو رأى الطوائف العظمى . ونورد هنا آراءهم بايجاز . لأنهم يفسرون بعض الأمثال التى تدل على مجيء نبي الاسلام محمد صاحب الملكوت بأنها تشير الى مجيء المسيح فى آخر الزمان .

الرأى الأول : (الملك الأرضى) :

من النصارى من يقول : سيأتى ليملك عيسى على الأرض ملكا ظاهريا ألف سنة فقط ، ويرتبون الحوادث على النحو الآتى :

- (أ) مرحلة الاختطاف أو الرجاء المبارك ، ويوم حدوثها يسمى :
يوم المسيح .
- (ب) مرحلة ظهور المجد أو مرحلة الاستعلان ، ويوم حدوثها يسمى :
يوب الرب .

ومرحلة الاختطاف معناها : أن كل الأموات الذين اعترفوا بعيسى عليه السلام سيقومون قرب انتهاء الدنيا من القبور ، والأحياء المعترفون بعيسى الذين لم يذوقوا الموت بعد ، ستتغير أجسادهم فيشبهون الأموات الذين قاموا من الموت . وهؤلاء جميعا الأموات والأحياء يختطفون جميعا للملاقاة عيسى فى السماء . وقد تحدث بولس عن مرحلة الاختطاف هذه فقال : « فأننا نقول لكم هذا بكلمة الرب : أننا نحن الأحياء الباقين الى مجيء الرب ، لا نسبق الراقدين . لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله ، سوف ينزل من السماء ، والأموات فى المسيح سيقومون أولا ، ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعا معهم فى المسحوب للملاقاة الرب فى الهواء . وهكذا نكون كل حين مع الرب » (الرسالة الأولى الى أهل تسالونيكي ٤ : ١٥ - ١٧) .

ومرحلة ظهور المجيء معناها : أنه بعد مدة ينزل عيسى من السماء
 بصحبة الأبرار الذين اختطفهم في الهواء ، وتقف قدماء في ذلك اليوم على
 جبل الزيتون ، الذي كان قد صعد منه الى السماء ، ويصره جميع الناس .
 يقول بولس لأهل تسالونيكي : « لكي يثبت قلوبكم بلا لوم في القداسة ،
 أمام الله أبينا في مجيء ربنا يسوع المسيح مع جميع قديسيه » (الأولى
 ٣ : ١٣) ويقتبسون عن هذا الظهور من التوراة عبارة من سفر زكريا هذا
 نصها : « وتقف قدماء في ذلك اليوم على جبل الزيتون ، الذي قدام
 اورشليم من الشرق . . . ويأتي الرب الهى وجميع القديسين » (زكريا
 ١٤ : ٤ - ٥) وفي مرحلة ظهور المجيء يكون عيسى عليه السلام آتيا
 للمجد الدنيوى ويستمر ملكه ألف عام على الأرض ظاهرا .

وقبل مرحلة ظهور المجيء هذه ، ينزل موسى وإيلياء عليهما السلام
 من السماء ، ليشهدا أمام الناس بظهور ملك عيسى — عليه السلام — (٩) .

الرأى الثانى : (الملك الروحى) :

ومن النصارى من يقول : أن ملك الألف سنة سيكون ملكا روحيا ،
 وأن نزول عيسى آخر الزمان سيكون نزولا روحيا . وقبل نزوله بقليل ، ينزل
 إيلياء من السماء لمقاومة الدجال (١٠) ويرتبون الحوادث على النحو
 الآتى :

(١) القيامة الأولى : ومعناها : أن الأبرار الذين استشهدوا من
 أجل الايمان بعيسى عليه السلام ، والذين ماتوا على صلاح وتقوى ، سوف
 تظهر أرواحهم في المؤمنين بعيسى ، الذين لم يموتوا بعد في آخر الزمان ،
 ليجعلوهم أهل غيرة وقداسة كالشهداء . وفى الوقت الذى تقوى فيه
 الغيرة وتشتد ، يبدأ ملك المسيح مع شعبه ملكا روحيا على قلوب المؤمنين .
 وليس بالمجد والسلطان الظاهر . واذا بدأت الملكة الروحية . منهم من

(٩) انظر تفصيل هذا الرأى فى : ص ٩٨ و ١٠٣ و ١٣٩ و ١٤٧ —
 ١٤٨ المجيء الثانى للمسيح والأحداث العالمية .
 (١٠) ص ٨٦ حواش على المجلد الأول من الكتاب المقدس للكاثوليك .

يقول بهجاء المسيح في بدنها ، ومنهم من يقول في نهاية ألف سنة بن بدء الملكة .

(ب) الموت الثانى : وفى الوقت الذى تظهر فيه أرواح الشهداء لقتوية المؤمنين ، يفنى جميع الأشرار بالنفس والجسد . يقول الدكتور وليم أدى الأمريكانى فى شرحه لعبارة الانجيل : « وأما بقية الأموات فلم تعش حتى تتم الألف سنة . هذه هى القيامة الأولى » (رؤيا يوحنا ٢٠ : ٥) ويقول : « القيامة الأولى : روحية لا حقيقية . ومعناها : أن الشهداء يقومون بالروح لا بالجسد ، أى أن روحهم يظهر فى كل المؤمنين فيكون كلهم أهل غيرة وقداسة ، كالشهداء . ووجود مثل ذلك الروح فى الكنيسة ، يستحق أن يسمى بالقيامة الأولى . وهو وصف لحال الكنيسة ، لا لعملها . ولا مقابلة للقيامة الأولى بقيامة ثانية ، بل بالموت الثانى » (١١) ويقول فى شرحه لعبارة « مبارك ومقدس من له نصيب فى القيامة الأولى . هؤلاء ليس للموت الثانى سلطان عليهم ، بل سيكونون كهنة لله والمسيح ، وسيملكون معه ألف سنة » (رؤية ١٠ : ٦) يقول : « ان غبطة ذلك النصيب تقوم بملك المسيح مع شعبه ملكا روحيا . وهذا يكون وقت نيل زيادة المعرفة والقداسة ، وامتلاء الأرض من معرفة مجد الرب . كما تغطى المياه البحر » (حبقوق ٢ : ١٤) وهذا الوقت الذى فيه « لا يعلم بعد كل واحد صاحبه وكل واحد أخاه . قائلين : أعرفوا الرب ، لأنهم كلهم سيعرفونه من صغيرهم الى كبيرهم » (ارميا ٣١ : ٣٤) أنظر أيضا (يوحنا ١٠ : ٢٧ و ٢٨ ، ١١ : ٢٦) ويكون كل المؤمنين يومئذ مقدسين (ص ١٨ : ٢٠ و ١٩ : ٨) ويصيرون كهنة لله . فاذن ذلك غير مقصور على الشهداء « هؤلاء ليس للموت الثانى سلطان عليهم » هؤلاء القديسون أجيال متوالية يملكون فى عصور متوالية ، ويحيون حياة مقدسة ، ويشبهون الشهداء فى الروح ، ويملكون مع المسيح ملكا روحيا ، ألف سنة . والمراد بالموت الثانى : هلاك النفس والجسد معا (متى ٢٥ : ٣٦) « سيكونون كهنة لله وللمسيح » : ص ١ : ٦ هذا الوعد لكل المؤمنين لا للشهداء

(١١) ص ١٤١ ج ٥ الكنز الجليل .

فقط ، وهو الى الأبد ، لا الى نهاية ألف سنة ص ١٣ : ٢ « (١٢) .

ثم يقول الدكتور وليم بشأن الألف سنة : « يتضح من التفسير السابق كثرة الآراء فى الألف سنة ، واختلاف المفسرين فى زمان مجيء المسيح الثانى . فإن البعض يقولون : أنه فى أول مدة الألف سنة بناء على ما جاء فى ص ١٩ (من سفر الرؤيا) . ويقول غيرهم : أنه يكون فى آخر المدة المذكورة بناء على أقوال كثيرة فى البشائر والرسائل (الأناجيل ورسائل الرسل) ولعل الروح القدس : لم يقصد أن يوضح لنا تفاصيل هذه الرؤيا ، بل أننا نفهم جوهرها فقط . فيمكننا أن نعرف أن المسيح يأتى ثانية ، وتكون مدة طويلة يستريح فيها العالم من إبليس بعض الراحة ، غير أنه يبقى غير مؤمنين يقومون للمقاومة فى آخر المدة ، وأخيرا ينتصر المسيح على كل أعدائه ، ويكون يوم لدينونة العالم الأبرار والأشرار . فيجب أن لا نصدق الذين يدعون بأنهم يقدرون أن يفسروا كل شيء بالتفصيل ويعينوا الأوقات تماما (١٣) »



وعامة النصارى على الراى الثانى . ويسمون أصحاب الراى الأول هرطقة . أى ملحدون . يقول علماء الكاثوليك فى جواشيهم على عبارة سفر الرؤيا وهى : « سعيد ومقدس من له نصيب فى القيامة الأولى : أن هؤلاء لا يكون عليهم للموت الثانى سلطان . بل يكونون كهنة لله وللمسيح ، ويملكون معه ألف سنة » (٢٠ : ٦) يقولون : « المراد بالألف سنة المذكورة هنا : الزمان الذى ما بين صعود المسيح الى السماء ، الى رجوعه الى الأرض فى يوم الدينونة . والمراد بالقيامة الأولى : نهوض النفس من الخطيئة ودخولها دون جسد فى السعادة الأبدية ، وتليها القيامة الثانية ، وهى قيامة الأجساد . فتتم حينئذ غبطة الإنسان نفسا وجسما . والمراد بالموت الثانى : هلاك الجسد والنفس

(١٢) ص ١٤١ ج ٥ الكنز الجليل .

(١٣) ص ١٤٤ ج ٥ الكنز الجليل .

معا فى نار جهنم ، كما يفهم بالموت الأول سقوط النفس فى الخطيئة وهلاكها فى جهنم بدون الجسد . فليس المعنى كما زعم قوم من الهراطقة : أن المسيح يعود الى الأرض قبل الدينونة ويملك ألف سنة على وجه الأرض مع القديسين فى اللذات الأرضية والرفاهية والتنعم « (١٤) .

ومع اختلافهم فى ملك عيسى — عليه السلام — هل هو أرضى أم سماوى ؟ يختلفون أيضا فى يوم ظهوره :

١ — ففريق يرى أنه عند المجيء تنحل الكواكب وتفتت السموات ، استنادا على قول بطرس : « سيأتى كلص فى الليل ، يوم الرب الذى فيه تنزل السماء بضجيج ، وتنحل العناصر محترقة ، وتحترق الأرض . والمصنوعات التى فيها » (٢ بط ٣ : ١٠)

٢ — وفريق يرى أن ما ورد فى الانجيل عن نهاية العالم عند المجيء ، ما هو الا تصوير روحى للضعف الذى يسبقه « فيقولون : ان المقصود بان الشمس تظلم ، هو ضعف الحياة الروحية فى الكنيسة ، فلا يرى الناس نور الرب واضحا » (١٥) .

...

...

...

وبعد هذا المعرض الموجز عن ملكوت السموات ، نذكر الأمثال التى ضربها عيسى عليه السلام لملكوت السموات ، لنعرف مغزاها ومرماها .

(١٤) ص ٥٥ حواش على المجلد الثالث من الكتاب المقدس للكاثوليك

(١٥) ص ٢٤٢ — ٢٤٣ انجيل متى للأبنا اثناسيوس .

أمثال ملكوت السموات

١ - مثل المزارع

النص « خرج يسوع من البيت ، وجلس عند البحر ، فاجتمع اليه جموع كثيرة . حتى انه دخل السفينة وجلس . والجمع كله وقف على الشاطئ . فكلهم كثيرا بأمثال ، قائلا : هو ذا انزارع خرج ليزرع . وفيما هو يزرع ، سقط بعض على الطريق . فجاءت الطيور واكلته . وسقط آخر على الأماكن المحجرة ، حيث لم تكن له تربة كثيرة ، فنبت حالا ، اذ لم يكن له عمق أرض ، ولكن لما أشرقت الشمس احترق . واذ لم يكن له أصل جف . وسقط آخر على الشوك ، فطلع الشوك ، وخنقه . وسقط آخر على الأرض الجيدة ، فأعطى ثمرا . بعض منه وآخر ستين ، وآخر ثلاثين . من له أذنان للمسمع فليسمع » . (متى ١٣ : ١ - ٩) ثم فسر المسيح عليه السلام المثل بقوله : « فاسمعوا أنتم مثل المزارع : كل من يسمع كلمة الملكوت ولا يفهم ، فيأتى الشرير ويخطف ما قد زرع في قلبه . هذا هو المزرع على الطريق . والمزرع على الأماكن المحجرة هو الذى يسمع الكلمة وحالا يقبلها بفرح ، ولكن ليس له أصل فى ذاته ، بل هو الى حين . فاذا حدث ضيق أو اضطهاد من أجل الكلمة فحالا يعثر . والمزرع بين الشوك هو الذى يسمع الكلمة . وهم هذا العالم وغرور الغنى يخنقان الكلمة فيصير بلا ثمرة . وأما المزرع على الأرض الجيدة ، فهو الذى يسمع الكلمة ويفهم (١) ، وهو الذى يأتى بثمر . فيصنع بعض

(١) يحكى برنابا ما نصه : « أجاب يعقوب : يا معلم لو فرضنا أن أتى نبي دعى ، ومعلم كذاب مدعى أنه يهذبنا . فماذا يجب أن نفعل ؟ أجاب يسوع بمثل : يذهب رجل ليصطاد بشبكة ، فيمسك فيها سمكا كثيرا ، والردىء منه يطرحة . ذهب رجل ليزرع . وانما الحبة التى تقع ، على أرض صالحة هى التى تحمل بذورا . فهكذا يجب عليكم أن تفعلوا مصغين الى الجميع ، وقابلين الحق فقط ، لأن الحق وحده يحمل للحياة الأبدية » (برنابا ١٢٣ : ١٩ و ١٢٤ : ١ - ٣) .

مئة ، وآخر ستين ، وآخر ثلاثين « (متى ١٣ : ١٨ — ٢٣ مرقس ٤ : ٣ —
٢٥ لوقا ٨ : ٤ — ١٨ برنابا ١٣٢ : ١ — ٨) .

الشرح والبيان

المهدف من هذا المثل : الناس تجاه ملكوت السموات وانتشاره ،
وتقبلهم للقرآن الكريم كتاب الملكوت .

التفسير : أنواع الأرض الأربعة تمثل أنواعا من الناس : ١ — أرض
الطريق وهي لا تصلح لنماء البذور ، فهي أرض جامدة ، والبذور التي تسقط
عليها تبقى على سطح الأرض تطؤها أقدام المارة ، وتلتقطها الطيور .
وبعض الناس أشبه بهذا النوع ، يهملون تعاليم الدين ، فتنقسوا قلوبهم ،
فلا يستفيدون من المواعظ ، كما لا يستفيد الزارع من الحب ، الذى يسقط
فى الطريق . ٢ — الأرض الحجرية : حيث تكون الصخور قريبة من سطح
الأرض ، ولا تغطيتها الا طبقة رقيقة جدا من التمي وهذه الأرض تنمو
فيها البذور ، ولكن ليس لها عمق ، ولذلك تجف بسرعة وتحترق اذا أشرفت
عليها الشمس . وهذا يمثل من يتأثر بكلام الله حين يسمعه ويتحمس له
حماسا وقتيا ، ثم تخمد جذوة هذا الحماس ، اذا صادفته الصعاب .
٣ — أرض الشوك : وفيها ينبت الشوك حول الزرع ، ويخنقه بعد أن
يتمتع غذاءه ويجعله بلا ثمرة . وهذا ما يحدث عندما تطفى مشاغل
الحياة على تأثير كلام الله ، فيصبح كلام الله بلا فائدة . ٤ — الأرض
الجيدة . وهي الأرض التي تعطى الحصاد الوفير ، حسب جودة الأرض
ودرجة خصوبتها . وهي تشبه من يسمع كلمة الله عز وجل ، ويعمل
بها ، ويدعو غيره الى العمل بها . وعندما تصيبه المحن والشدائد ،
يكون ثابتا على ايمانه ، ولا تنزل قدمه عن طاعة الله .

وهذا المثل قال فى معناه ، رسول الله ﷺ : « مثل ما بعثنى الله به
من الهدى والعلم ، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا . فكان منها نقيية قبلت
الماء ، فأنبتت الكلاً والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب أمسكت الماء ،
فمنع الله بها الناس ، فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصابت منها طائفة

أخرى ، انما هى قيعان لا تمسك ماء ، ولا تثبت كلاً . فذلك مثل من فقه في دين الله ، ونفعه ما بعثنى الله به ، فعلم وعلم . ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ، ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به » (٢) .

وهذا المثل فسرهُ المسيح نفسه في رواية برنابا هكذا : « ان الرجل الذى يزرع البذور على الطريق أو على الحجارة أو على الشوك أو على الأرض الجيدة ، هو من يعلم كلمة الله ، التى تسقط على عدد غفير من الناس . تقع على الطريق متى جاءت الى آذان البحارة والتجار الذين أزال الشيطان كلمة الله من ذاكرتهم ، بسبب الأسفار الشاسعة التى يرمعونها وتعدد الأمم التى يتجرون معها . وتقع على الحجارة متى جاءت الى آذان رجال البلاط ، لأنه بسبب شغفهم بخدمة شخص حاكم لا تنفذ اليهم كلمة الله . على أنهم وان كان لهم شيء من تذكرها ، فحالما تصيبهم شدة تخرج كلمة الله من ذاكرتهم . لأنهم وهم لم يخدموا الله ، لا يقدرّون أن يرجوا معونة من الله . وتقع على الشوك متى جاءت الى آذان الذين يحبون حياتهم ، لأنهم وان نمت كلمة الله فيهم . اذا نمت الأهواء الجسدية خنقت البذور الجيدة من كلمة الله ، رغد العيش الجسدى يبعث على هجران كلمة الله .

أما الذى يقع على الأرض الجيدة فهو ما جاء من كلمة الله الى اذنى من يخاف الله . حيث تثمر الحياة الأبدية . الحق أقول لكم : ان كلمة الله تثمر فى كل حال ، متى خاف الانسان من الله » (برنابا ١٣٣ : ٣ — ١٢) .

وجهة نظر النصارى : يقولون : ان « البذار المزروع هو كلمة الله التى دعيت هنا « كلمة الملكوت » والمقصود بالملكوت هنا : « ملكوت السموات » أما ممالك العالم فلا يلىق تسميتها « بالملكوت » اذا ما قورنت بملكوت السموات . كلمة الانجيل هى كلمة الملكوت » (٣) .

الرد عليهم :

ما المراد بكلمة الملكوت ؟

- (٢) البخارى باب فضل من علم وعلم .
(٣) ص ٣١٣ ج ٢ تفسير انجيل متى — لمتى هنرى .

أما أن يراد بها الانجيل الداعى الى مجيء الملكوت ، وأما أن يراد
بها الكتاب الذى نسيأتى به صاحب الملكوت ، الكتاب الذى قال المسيح
عن صاحبه : « فهو يظلمكم كل شئ ويذكركم بكل ما قلته لكم » (يو: ١٤: ٢٦)
وأى دعوة لنبي أو لصاحب دعوة فان الناس تجاهها على أربعة أنواع —
كما هو مبين فى مثل الزارع — ولذلك قال النبي ﷺ عن كتابه ، كما قال
المسيح عليه السلام فقد قال ﷺ : « مثل ما بعثنى الله به من الهدى
والعلم ... الخ »

ولا خلاف بيننا وبين النصارى فى أن البذار المزروع هو « كلمة الله »
التي دعيت هنا « كلمة الملكوت » وإنما الخلاف بيننا وبينهم فى أنهم
يقولون : ان ملكوت السموات الذى نادى المسيح باقترابه هو ملكوت
المسيح نفسه ، ونحن نقول : ان ملكوت السموات الذى نادى المسيح
باقترابه هو ملكوت محمد ﷺ ، وعلى ذلك فكلمة الملكوت معناها — على
الرأى الصحيح — الكلمة التي تبشر بمجىء الملكوت ، وتلزم بنى اسرائيل والأمم
بالدخول فيه . وقبولها صعب ، لأن اليهود يضطهدون من يعترف بمحمد
ﷺ .

وهذا الملكوت هو ملكوت محمد ﷺ ، لأن عيسى بدأ دعوته بقوله :
« اقترب ملكوت السموات » (مت ٤ : ١٧)

ويوحنا المجدان المعاصر لعيسى قال نفس القول . قال :
« اقترب ملكوت السموات » (متى ٣ : ١) وأوصى عيسى تلاميذه أن يقولوا
فى صلواتهم : « ليأت ملكوتك » . ولأنه لو كان المقصود بهذا الملكوت عصر
الانجيل ، ما كان المسيح يعبر باقترب ، فإنها تدل على مجىء آخر ، وما كان
يضرب الأمثال لعلماء بنى اسرائيل . فان المثل لا يضرب الا لتوضيح
ما كان خافيا . وكان يكفيه بدل ضرب الأمثال ، أن يقول : انى أنا المقصود
بملكوت السموات ، الذى ينتظره اليهود ، ولا نبي بعدى . وما كان يسكت
حتى يقول له اليهود : « الى متى تعلق أنفسنا ؟ ان كنت أنت المسيح ،
فقل لنا جهرا » (يو ١٠ : ٢٤) وعبارة « من له أذنان للسمع فليسمع »

تدل على اثاره الانتباه لدى السامعين ، وحملهم على كد الذهن في المقصود بالمثل . ولو كان عيسى هو صاحب الملكوت لكان جديرا به أن يقول : « من له عينان للرؤيا فليرى » أو ما أشبه ذلك . والمعبارات الزائدة عند مرقس ولوقا ، تؤكد ما أشرنا اليه . يقول مرقس في نهاية المثل : « ثم قال لهم : هل يؤتى بسراج ليوضع تحت المكيال أو تحت السرير » ؟ لا . لا يمكن أن يوضع مصباح تحت غطاء يحجب ضوءه « اليس ليوضع على المنارة » ؟ أجل . فان من شأن المصابيح اذا أوقدت أن توضع في مكان مرتفع ، ليعم المكان ضوءها ، وينتفع به . ومعنى كلامه : أن الله الذي سيرسل نبيه نورا للعالم ، لن يمكن أعداءه من اخفاء حقيقته . ويذكر مرقس ولوقا : أن عيسى صرح بنزع الملكوت من غير أهله ، واعطائه مستحقيه في قوله عليه السلام : « فانظروا كيف تسمعون ؟ لأن من له سيعطى ، ومن ليس له ، فالذى يظنه له ، يؤخذ منه » وقد أخذه أبناء اسماعيل عليه السلام . فلا الملك أصبح في نسل يهوذا ، ولا الشريعة أصبحت في نسل لاوى .

٢ — مثل الحبوب التي تنمو في الخفاء

النص : « وقال : هكذا ملكوت الله كأن انسانا يلقى البذار على الأرض وينام ويقوم ليلا ونهارا ، والبذار يطلع وينمو ، وهو لا يعلم كيف . لأن الأرض من ذاتها تأتي بثمر ، أولا نباتا ثم سنبلا ، ثم قمحا ملآن في السنبل ، وأما متى أدرك الثمر ، فلوقت يرسل المنجل لأن الحصاد قد حضر » (مرقس ٤ : ٢٦ : ٢٩) .

الشرح والبيان

الفرض من هذا المثل : كالفرض من مثل حبة الخردل — الآتى ذكره — عند متى ومرقس ولوقا . وهو أن الاسلام ينتشر رويدا رويدا . وبعدها يقوى المسلمون يؤدبون أعداء الله بالرمح والسيف .

٣ — مثل حبة الخردل

(وهو مثل الأمة الاسلامية في الإنجيل)

النص : يروى متى : « قدم لهم مثلا آخر قائلا : يشبه ملكوت السموات

حبة خردل ، أخذها انسان وزرعها في حقله ، وهى أصغر جميع البذور ،
ولكن متى نمت ، فهى أكبر البقول . وتصير شجرة . حتى أن طيور السماء
تأتى ، وتتأوى في أغصانها » (متى ١٣ : ٣١ — ٣٢) .

ويروى مرقس : « وقال : بماذا نشبه ملكوت الله ؟ أو بأى مثل
نمثله ؟ مثل حبة خردل : متى زرعت فى الأرض ، فهى أصغر جميع البذور
التي على الأرض ، ولكن متى زرعت تطلع ، وتصير أكبر جميع البقول ،
وتصنع أغصانا كبيرة ، حتى تستطيع طيور السماء أن تتأوى تحت ظلها »
(مرقس ٤ : ٣٠ — ٣٢) .

ويروى لوقا « فقال : ماذا يشبه ملكوت الله ؟ وبماذا أشبهه ؟ يشبه
حبة خردل ، أخذها انسان وألقاها في بستانه ، فنمت وصارت شجرة
كبيرة ، وتأوت طيور السماء في أغصانها » (لوقا ١٣ : ١٨ — ١٩) .

المشرح والبيان

المفروض من هذا المثل : انتشار الملكوت .

وجهة نظر النصارى : يعرضها متى هنرى هكذا : « المفروض من هذا
المثل : ان يبين بداة الانجيل . ولكن نهايته الأخيرة عظيمة جدا » (٤) .
الرد عليهم : قال الله تعالى في القرآن الكريم : « محمد رسول الله .
والذين معه ، أشداء على الكفار ، رحماء بينهم ، تراهم ركعا سجدا ،
يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم فى وجوههم من أثر السجود .
ذلك مثلهم فى التوراة . ومثلهم فى الانجيل : كزرع أخرج شطئه ، فأزره ،
فاستغلظ ، فاستوى على سوقه (٥) . يعجب الزراع ، ليفيظ بهم الكفار .

(٤) ص ٣٣٧ ج ٢ تفسير انجيل متى — لمتى هنرى .
(٥) قال ابن عباس : « هما مثلان . أحدهما فى التوراة والآخر فى
الانجيل » .

ويقول القرطبي : « وهذا مثل ضربه الله تعالى لأصحاب النبى ﷺ .
بمعنى : أنهم يكونون قليلا ، ثم يزدادون ويكثرُونَ . فكان النبى حين بدأ بالدعاء
الى دينه ضعيفا . فأجابه الواحد بعد الواحد ، حتى قوى أمره » وأزره :
قواه الله حتى استغلظ واستوى على سوقه أى على عوده .

وعند الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم : مغفرة وأجرًا عظيمًا «
(الفتح ٢٩) ويؤكد أن هذا المثل لنبي الاسلام صلى الله عليه وسلم والذين
معه : تعبير عيسى ويحيى عليهما السلام بأن الملكوت قد اقترب ، وأنه أصبح
عتيدا أن يظهر في الحال . وهذا المثل ضربه عيسى ليؤكد أن الاسلام
سينتشر انتشارا كبيرا ، على سبيل التدرج . ولن تفلح جهود اليهود في
الصد عنه .

(مثل الأمة الاسلامية في التوراة) :

وأما مثل الأمة الاسلامية في التوراة فنصه هكذا : « غنوا للرب ترنيمة
جديدة ، تسبيحته في جماعة الأتقياء . ليفرح اسرائيل بخالقه ، ليبتهج
بنو صهيون بملكهم ، ليسبحوا اسمه برقص ، بدف وعود . ليرنوا على
مضاجعهم . تتويهاً لله في أفواههم ، وسيف ذو حدين في يدهم ،
ليصنعوا نعمة في الأمم ، وتأديبات في الشعوب ، لأسر ملكوهم بقيود ،
وشرفائهم ببول من حديد ، ليجروا بهم الحكم المكتوب ، كرامة هذا
نجميع أتقيائه » (مزور ١٤٩) .

وفى ترجمة الكاثوليك هكذا : « رنوا للرب ترنيما جديدا ، أقيموا
تسبيحته في مجمع الأصفياء ، ليفرح اسرائيل بصانعه ، ليبتهج بنو صهيون
بملكهم . ليسبحوا اسمه بالرقص ، ليشيدوا له بالدف والكنارة . فان
الرب يرضى عن شعبه ، يجمل الودعاء بخلاصه ، يبتهج الأصفياء في
المجد ، يرنمون على أسرتهم . تعظيم الله في أفواههم ، وبأيديهم سيف
ذو حدين . لاجراء الانتقام على الأمم ، والتأديب على الشعوب ، لايثاق
الملك بالقيود ، وشرفائهم ببول من حديد ، ليمضوا عليهم القضاء المكتوب .
هذا فخر يكون لجميع أصفياؤه » (مزور ١٤٩) والمعنى : ليفرح الأتقياء
برضاء الله عنهم وتطمئن قلوبهم بذكره ، وترتاح نفوسهم لحكمه « يذكرون
الله قياما وقيودا ، وعلى جنوبهم » وفى الليل والناس نيام ، يقومون لله
بالتسبيح والتهليل « تتجاف جنوبهم عن المضاجع ، يدعون ربهم خوفا
وطمعا » وهؤلاء الأتقياء يرحم بغضهم بعضا ، ويتعاطفون ويتساندون
فيما بينهم ، لأن ذكر الله دائما في أفواههم . وهؤلاء الأتقياء في نفس الوقت

السَّاءِ عَلَى الْكُفَّارِ ، يَأْخُذُونَ خُدْرَهُمْ دَائِمًا مِنْ غَدْوِهِمْ ، وَسَيْفٌ ذُو حَدِيدَيْنِ فِي يَدِهِمْ ، لَا لِحُدِّ دَنْبِيؤِي أَوْ لِفِرْعِ شَخْصِي ، وَإِنَّمَا يُؤَدَّبُونَ الشُّعُوبَ ، وَيُنْتَقَمُونَ مِنَ الْأَمْرِ الظَّالِمَةِ . وَهَدَفَهُمْ مِنْ ذَلِكَ : أَعْلَاءُ كَلِمَةِ اللَّهِ ، بِانصَافِ الْمَظْلُومِ ، وَالْعَطْفِ عَلَى الْمَسَاكِينِ ، وَاعْطَاءِ كُلِّ ذِي حَقِّ حَقَّهُ . لِيَجْرُوا بِهِمُ الْحُكْمَ الَّذِي سَبَقَ مِنْ اللَّهِ عِزِّ وَجَلِّ .

٤ - مَثَلُ زَوَانِ الْحَقْلِ

النص : « قَدِمَ لَهُمْ مِثْلًا آخَرَ . قَاتِلًا : يَشْبَهُهُ مَلَكُوتُ السَّمَوَاتِ ، إِنْسَانًا زَرَعَ زُرْعًا جَيِّدًا فِي حَقْلِهِ . وَفِيهَا الْإِنْسَانُ نِيَامٌ ، جَاءَ عَدُوُّهُ وَزَرَعَ زَوَانَ فِي وَسْطِ الْحَنْطَةِ وَمَضَى . فَلَمَّا طَلَعَ النَّبَاتُ وَصَنَعَ ثَمَرًا ، حِينَئِذٍ ظَهَرَ الزَّوَانُ أَيْضًا . فَجَاءَ عَبِيدُ رَبِّ الْبَيْتِ ، وَقَالُوا لَهُ : يَا سَيِّدَ الْبَيْتِ زَرَعَ زُرْعًا جَيِّدًا ، زَرَعْتَ فِي حَقْلِكَ ؟ فَمَنْ أَيْنَ لَهُ زَوَانٌ ؟ فَقَالَ لَهُمْ : إِنْسَانٌ عَدُوٌّ فَعَلَ هَذَا . فَقَالَ لَهُ الْعَبِيدُ : أَتُرِيدُ أَنْ نَذْهَبَ وَنَجْمِعَهُ ؟ فَقَالَ لَا : لِنَلْتَقِعُوا الْحَنْطَةَ مَعَ الزَّوَانِ وَأَنْتُمْ تَجْمَعُونَهُ . دَعُوهُمَا يَنْهِيَانِ كِلَاهُمَا مَعًا ، إِلَى الْحَصَادِ . وَفِي وَقْتِ الْحَصَادِ أَقُولُ لِلْحَصَادِيِّينَ : اجْمَعُوا أَوْلَا الزَّوَانَ وَأَحْزَمُوهُ حَزْمًا لِيَحْرَقَ . وَأَمَّا الْحَنْطَةُ فَاجْمَعُوهَا إِلَى مَخْرَجِي » (مَتَّى ١٣ : ٢٤ - ٣٠ . بَرْنَابَا ١٣٢ : ٩ - ١٦) .

« حِينَئِذٍ صَرَفَ يَسُوعُ الْجُمُوعَ ، وَجَاءَ إِلَى الْبَيْتِ ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ تَلَامِيذُهُ قَاتِلِينَ : فَسَرْنَا مِثْلَ زَوَانِ الْحَقْلِ : فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ : الْمَزَارِعُ الْزَّرَعَ الْجَيِّدَ هُوَ ابْنُ الْإِنْسَانِ . وَالْحَقْلُ هُوَ الْعَالَمُ . وَالزَّرْعُ الْجَيِّدُ هُوَ بَنُو الْمَلَكُوتِ . وَالزَّوَانُ هُوَ بَنُو الشَّرِّيرِ . وَالْعَدُوُّ الَّذِي زَرَعَهُ هُوَ ابْلِيسُ . وَالْحَصَادُ هُوَ انْتِزَاعُ الْعَالَمِ . وَالْحَصَادُونَ هُمُ الْمَلَائِكَةُ . فَكَمَا يَجْمَعُ الزَّوَانَ وَيَحْرَقُ بِالنَّارِ ، هَكَذَا يَكُونُ فِي انْتِزَاعِ هَذَا الْعَالَمِ . يُرْسَلُ ابْنُ الْإِنْسَانِ مَلَائِكَتَهُ ، فَيَجْمَعُونَ مِنْ مَلَكُوتِهِ جَمِيعَ الْبَعَاثِرِ وَفَاعِلِي الْإِثْمِ . وَيَطْرَحُونَهُمْ فِي آتُونِ النَّارِ . هُنَاكَ يَكُونُ الْبِكَاةُ وَصَرِيرُ الْأَسْنَانِ . حِينَئِذٍ يَضِيءُ الْأَبْرَارُ كَالشَّمْسِ فِي مَلَكُوتِ آبِيهِمْ . مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ » (مَتَّى ١٣ : ٣٦ - ٤٣) .

هذا تفسير المسيح حسب رواية متى . وقد فسره المسيح حسب
رواية برنابا هكذا :

« وأما ما يختص بأبى الأسرة . فالحق أقول لكم : أنه الله ربنا رب كل الأشياء ، لأنه خلق الأشياء كلها . ولكنه ليس أباً على طريقة الطبيعة ، لأنه غير قادر على الحركة التي لا يمكن التنازل بدونها . فهو اذن الهنا الذى يخصه هذا العالم . والحقل الذى يزرع فيه هو الجنس البشرى . والبذار هو كلمة الله . فمتى أهمل المعلمون التبشير بكلمة الله ، لانشغالهم بتشاغل العالم ، زرع الشيطان ضللاً فى قلب البشر ، ينشأ عنه شفيح لا يحصى من التعليم البشرى . فيصرخ الأطهار والأنبياء : يا سيد . ألم تعط تعليماً صالحاً للبشر ؟ فمن أين اذن الأضاليل الكثيرة ؟ فيجيب الله : انى أعطيت البشر تعليماً صالحاً . ولكن بينما كان البشر منقطعين الى الباطل ، زرع الشيطان ضللاً يبطل شريعتى . فيقول الأطهار : يا سيد . اننا نبدد هذه الأضاليل باهلاك البشر . فيجيب الله : لا تتعلوا هذا . لأن المؤمنين متحدون بالكافرين اتحاداً شديداً بالقرابة ، حتى أن المؤمنين يهلكون مع الكافرين . ولكن تمهلوا الى الدينونة لأنه فى ذلك الوقت ستجمع ملائكتى (٦) الكفار ، فيقعون مع الشيطان فى الجحيم ، والمؤمنون يأتون الى مملكتى . ومما لا ريب فيه : أن كثيرين من الآباء الكفار ، يلدون أبناء مؤمنين ، لأجلهم أهمل الله العالم ليتوب » (برنابا ١٣٣ : ١٣ - ٢٥) .

الشرح والبيان

- ١ - الغرض من المثل : حروب العدو لأبناء الملكوت ، وهلاك الأشرار .
- ٢ - وفى هذا المثل تأكيد حقيقة الملكوت ، وبيان حروب العدو ، وهلاك الأشرار . وذلك بتشبيهه يحتوى على النقاط الآتية :
- ١ - الزارع ٢ - الحقل ٣ - الزرع الجيد ٤ - الزوان
- ٥ - العدو الذى أفسد الزرع ٦ - وقت الحصاد ٧ - الحصادون

(٦) كلمة الملائكة على الحقيقة تطلق على الأجسام اللطيفة النورانية . وعلى المجاز تطلق على الأتباع والأعوان . فقوله تعالى عن الملائكة أنهم « عباد مكرمون » يشير به الى الملائكة بمعنى الأجسام اللطيفة النورانية . وقوله تعالى : « واذا قلنا للملائكة : اسجدوا لآدم » يقصد بالملائكة : الأتباع والأعوان . وأتباعه وأعوانه وقتئذهم الملائكة الحقيقيون والجن والشياطين . فعصى الأمر جنس الشياطين ولم يسجد كبيرهم الذى هو ابليس ، فطرد من رحمة الله .

واعلم : أن « ابن الانسان » في هذا المثل أتى لقباً للمسيح على أنه الزارع
الزرع الجيد ، وأتى لقباً لصاحب الملكوت على أنه هو الذى سيرسل أتباعه
الشبيهيين بالملائكة لتطهير الأرض من الاشرار المنافقين .

١ — أما الزارع الزرع الجيد فهو ابن الانسان ، والمقصود به : المسيح
عيسى بن مريم عليه السلام . وزرعه هو تنبيه بنى اسرائيل والأمم الى ملكوت
المسموات الذى أخبر عن مجيئه دانيال بعد الممالك الأربعة .

٢ — والحقل هو العالم . أى بنى اسرائيل والأمم . فان المسيح شرح
حقيقة الملكوت هو وتلاميذه لبنى اسرائيل والأمم .

٣ — والزرع الجيد : هم الذين قبلوا كلام المسيح عن الملكوت واستعدوا
للدخول فيه مع ابن الانسان وأتباعه .

٤ — والزوان الذى نبت وسط الحنطة . هو بنو الشرير — كما
فسره عيسى عليه السلام — هم البشر الذين يعملون بإرشادات ابليس
وذريته .

٥ — والعدو الذى زرع الزوان هو ابليس — كما فسره عيسى عليه
السلام — انه يوسوس في صدور الناس ، بأن يفسدوا تعاليم الله .

٦ — ووقت الحصاد هو انقضاء العالم — كما فسره عيسى عليه
السلام — لكن ما المقصود بانقضاء العالم ؟ هل هو هذه الحياة الدنيا ؟
أم انتهاء الزمن الذى كانت النبوة والشريعة فيه مع اليهود ؟ يقول
النصارى بالمعنى الأول ، ويقول المسلمون بالمعنى الثانى . يقول متى
هنرى : « والحصاد هو انقضاء العالم هذا العالم له انقضاء .
ان بقى طويلا فلن يدوم الى الأبد ، والزمن سوف يبتلع في الأبدية ، عن
قريب عند انقضاء العالم يكون هناك يوم عظيم للحصاد ، يوم الدينونة » (٧)
وقولهم غير سديد : لأن عيسى عليه السلام يتحدث عن الملكوت الأرضى الذى
ينتظره اليهود . ملكوت المسيا . الذى هم في غاية الشوق اليه ، والأمثال

(٧) ص ٣٣٣ ج ٢ تفسير انجيل متى — لمتى هنرى .

تضرب من أجله ، وهو قد قال في بدء دعوته : « اقترب ملكوت السموات »
و حين يعبر « باقتراب » يكون الاقتراب علامة على بدء عهد ، وانتهاء عهد .
بدء عهد ملكوت النبي الآتى ، وانتهاء الزمن الذى قبله . وهذا الزمن الذى
قبل العهد الجديد — عهد ملكوت النبي الآتى — هو مراد عيسى عليه السلام
بانقضاء هذا العالم . والتقرينة على هذا :

(أ) تفسير عيسى نفسه للعالم ، بقوله فى نفس العبارة : « هكذا
يكون فى انقضاء هذا العالم » فقد وضع لفظ الاشارة « هذا » فى اعادة
الجملة ، ليبين أن المقصود بانقضاء العالم ليس هو انتهاء الدنيا كما قد
يتوهم ، بل هذا العالم الذى يعيش فيه اليهود بنفوذ وسلطان ،
ويتربصون فيه مجيء « المسيا » بملكوته .

(ب) انه « فى انقضاء هذا العالم » كما يقول المسيح : « يرسل
ابن الانسان » صاحب الملكوت فى كلام دانيال ، يرسل « ملائكته » أى
أتباعه الشبيهيين بالملائكة فى الطهر والصلاح . فاذا كان المقصود بانقضاء
العالم ، هو آخر الدهر . فما فائدة أن يرسل ابن الانسان ملائكته لجمع
الأشرار واهلاكهم . لأن هذا لا يكون الا من اختصاص الله وحده
فى يوم القيامة ، كما هو المفهوم من التوراة والانجيل ؟ ففى التوراة يقول
تعالى : « لى النعمة والجزاء فى وقت تنزل أقدامهم ... انظروا الآن .
أنا أنا هو ، وليس اله معى ، أنا أميت وأحيى ... انى أرفع الى السماء
يدى ، وأقول حى أنا الى الأبد » (التثنية ٣٢ : ٣٥ — ٤٠) وفى الانجيل يقول
عيسى لليهود : « أنا لست أطلب مجدى ، يوجد من يطلب ويدين » (يوحنا
٨ : ٥) فقوله « يوجد » بالبناء للمجهول ، يفيد أن غيره هو الذى
يطلب ، وهو الذى يدين .

(ت) فى آخر المثل يقول عيسى عليه السلام « حينئذ يضىء الأبرار
كالشمس فى ملكوت أبيهم » وقوله « فى ملكوت أبيهم » مع قوله فى أول
المثل « يشبه ملكوت السموات » يشير الى أن هذا الملكوت الذى يضىء
فيه الأبرار كالشمس ، هو نفسه ملكوت السموات . ولما كان ملكوت
السموات يراد به الملكوت الذى يأتى فى المستقبل على الأرض ، اذا يكون .

ملكوت أبيهم هو الآتى فى المستقبل على الأرض ، ويكون قوله « فى إنتضاء هذا العالم » المقصود به ما قبل عصر الملكوت الآتى .

(ث) وفى مثل الحبوب التى تنمو فى الخفاء الذى ذكره مرقس وحده أشار الى المنجل ، الذى يحصد بعد نمو البذار . وإدراك الثمر إشارة الى هلاك اليهود بعد أن يكتمل للإسلام مجده ، ويكثر أتباعه . وهذا يدل على إنتضاء العالم القديم ، عالم اليهود بالعنف والمشدة .

٧ - والحصادون كما فسرهم عيسى عليه السلام هم الملائكة الذين يأنون مع ابن انسان . لكن هل لفظ الملائكة على حقيقته ، وذلك الحصاد يكون يوم القيامة ؟ أم لفظ الملائكة ليس على حقيقته ، ويكون هو تعبيرا عن أتباع ابن الانسان ، ويكون الحصاد فى هذه الحياة الدنيا ؟ يقول النصارى بالمعنى الأول ، ونقول نحن بالمعنى الثانى . يقول متى هنرى : « والحصادون هم الملائكة » : سوف يستخدمون فى اليوم العظيم لتنفيذ أحكام المسيح السادة ...

ولعل ما ورد هنا يشير الى ما جاء فى (صف ١ : ٣) « انزع المعائر مع الأشرار » (٨) .

وقولهم غير سديد : لأن المسيح لا يدين أحدا بأحكام عادلة أو غير عادلة . بقوله هو نفسه : « يوجد من يطلب ويدين » ولما أسلفنا : أن عيسى يشير الى ملكوت دانيال الآتى فى هذه الحياة الدنيا . ولفظ الملائكة مقصود به : أتباع نبي الاسلام ، الذين هم أشداء على الكفار ، رحماء بينهم . على طريق الاستعارة التصريحية ، شبه الأتباع بالملائكة ، وحذف الأتباع وتناسى التشبيه ، وادعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به ، وداخل تحت جنسه مباشرة . والقرينة :

(أ) مجيء الملائكة مع ابن الانسان للتقصاص . وابن الانسان بشر ، فالذين معه يكونون بشرا مثله ، ظاهرين أمام الناس . ولفظ « يرسل ابن الانسان ملائكته ، فيجمعون من ملكوته جميع المعائر ... الخ » يشبه لفظ « يرسل القائد أسوده ، الى أرض المعركة » فكما أن المقصود

(٨) ص ٣٣٣ - ٣٣٤ ج ٢ تفسير انجيل متى - متى هنرى .

بالأسود : الأبطال لا الأسود الحقيقيون ، كذلك المقصود بالملائكة أتباع نبي الاسلام الأبرار .

(ب) « ملكوته » الذين يجمعون منه المعائر والأشرار ، هو نفسه الملكوت المعبر عنه في صدر المثل « يشبه ملكوت السموات » .

(ت) عبارة « من له أذنان للسمع فليسمع » التي تفيد اثاره الانتباه ، واعمال الفكر الواردة في نهاية المثل ، تفيد أن الملكوت الآتى في المستقبل ، هو ملكوت أرضى على غير مراد اليهود فيه . وليس هو يوم القيامة .

(ث) وقد قدمنا أن لذلك نظير في التوراة وفى الانجيل . ونذكر هنا : أن من عادة كتاب الأناجيل أن يضيفوا اللفظ الذى يكون مجازيا ، كما يكون حقيقيا : الى ما يوضح المراد منه ، لتتميز الحقيقة عن المجاز . ومثال ذلك : قول متى : « أبانا الذى فى السموات » (٦ : ٩) لثلاثتهم الأب على الحقيقة . وقول لوقا : « يكون فرح قدام ملائكة الله بخاطيء واحد يتوب » (١٥ : ١٠) فقد نسب الملائكة لله على الحقيقة ، لثلاثتهم أحد أنهم ملائكة بمعنى الأصحاب ، لآى كائن من كان .

٨ — وعبارة « حينئذ يضىء الأبرار كالشمس فى ملكوت أبيهم » معناها : أن أتباع نبي الاسلام سيفرحون فرحا عظيما بملكوت الله ورضاه عنهم . وهذا هو أسلوبهم فى التعبير . كما قدمنا .



وأخيرا . نتف وقفنا بسيطة مع متى هنرى المفسر ، فى قوله : « لعل ما ورد هنا يشير الى ما جاء فى (صف ١ : ٣) » انزع المعائر مع الأشرار » .

نقول : بالرجوع الى الاصحاح الأول من سفر صفييا ، وجدنا النص المشار اليه هكذا : « انزع الانسان والحيوان ، انزع طيور السماء وسماك البحر ، والمعائر مع الأشرار ، وأقطع الانسان عن وجه الأرض . يقول الرب . وأمد يدي على يهوذا ، وعلى كل سكان اورشليم ، وأقطع من هذا المكان بقية البعل ، اسم الكماريم . مع الكونة . والساجدين على السطوح لجند السماء ، والساجدين الحالفين بالرب ، والحالفين بملكوم ، والمرتدين من وراء الرب ، والذين لم يطلبوا الرب ولا سألوا عنه . اسكت قدام السيد الرب لأن يوم الرب قريب ، لأن الرب قد أعد ذبيحة ، قدس

مدعويه ، ويكون فى يوم ذبيحة الرب أتى أعاقب الرؤساء ، وبنى الملك ،
 وجميع الملابس لباسا غريبا . (١ : ٣ - ٨) . ومعنى هذا : أن هذا
 اليوم يوم انتقام فى الحياة الدنيا ، انتقام على الخصوص من يهود مملكة يهوذا
 وسكان أورشليم ، ثم يأتى عهد جديد أيضا فى الحياة الدنيا بعد الانتقام .
 كما هو النص فى آخر سفر صفتيا : وهو « ترنمى يا ابنة صهيون ، اهتف
 يا اسرائيل ، افرحى وابتهجى بكل قلبك . يا ابنة أورشليم ، قد نزع
 الرب الأقضية عليك . أزال عدوك . ملك اسرائيل الرب فى وسطك .
 لا تنظرين بعد شرا » (٣ : ١٤ - ١٥) .

وهنا نقول للمفسر هنرى ، وجميع النصارى : لما أتى عيسى عليه
 السلام ، وعاش على هذه الأرض . هل كان قد أنقذ من اليهود وعاقب
 مملكة يهوذا وسكان أورشليم ؟ لم يحدث .

فان قالوا : سوف يأتى عيسى مرة ثانية ، وفى مجيئه الثانى سيتم هذا .
 نقول لهم : أنتم تقولون بمجىء روحى . أى بملك روحى على قلوب المؤمنين ،
 وهذا يخالف النص . فان النص يوضح مجيئا ظاهرا بمجد وسلطان لينتقم
 الآتى بسيفه ورمحه من الأشرار وفاعلى الإثم . وبالحقيقة لم يأت بمجد
 ظاهر وملك كبير من بعده ، وانتقم من يهوذا وسكان أورشليم . ومن الأشرار ، غير
 نبي الاسلام ﷺ . وفى وقت مجىء المسيح بالملك الروحى ، لمن يكون هذا الوقت
 عقب زوال دولة الروم — كما قال دانيال — لأن دولة الروم قد زالت على
 يد المسلمين ، فى الوقت الذى عينه الله على لسان نبيه دانيال .

٥ - مثل الخميرة

النص : « قال لهم مثلا آخر : يشبه ملكوت السموات ، خميرة أخذتها
 امرأة ، وخبأتها فى ثلاثة أكيال دقيق ، حتى اختبر الجميع » (متى ١٣ :
 ٢٣ لوقا ١٣ : ١٠ - ٢١) .

المشرح والبيان

المفروض من هذا المثل : انتشار الملكوت .

وجهة نظر النصارى : يعرضها متى هنرى هكذا : « المفروض من
 المثل يشبه تماما ما قصد بمثل حبة الخردل ، وهو أن يبين بأن الانجيل يجب

أن يسود ، وأن ينجح تدريجيا . ولكن بهدوء ، ودون أن يشعر أحد . فتعاليم الانجيل تشبه الخميرة ، وتعمل كالخميرة فى قلوب الذين يقبلونها « (٩) »

الرد عليهم : المتأمل فى تاريخ المسلمين يجد أن للقرآن الكريم تأثيرا عظيما فى قلوب الناس . بسببه انتشر الاسلام فى أقصر وقت ، عرفه التاريخ لأصحاب الدعوات ، وارتفعت رايته . لقد كان تأثير القرآن فى القلوب ، أشبه بتأثير الخميرة فى الدقيق . وكما أنه فى أسرع وقت تحقق الخميرة أغراضها وفى هدوء تام ، كذلك القرآن بأسلوبه الرائع ومعانيه المساوية ، خشعت له القلوب وأذعنت له النفوس . كما جاء فى القرآن الكريم : (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تتشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ، ذلك هدى الله يهدى به من يشاء) (الزمر ٢٢) .

٦ - مثل الكنز المخفى

النص : « أيضا : يشبه ملكوت السموات كنزا مخفيا ، فى حقل . وجده انسان فأخفاه ، ومن فرحه مضى وباع كل ما كان له ، واشترى ذلك الحقل » (متى ١٣ : ٤٤ ، برنابا ٢٦ : ١ - ٢) .

الشرح والبيان

المفروض من هذا المثل : استبدال الشريعة القديمة ، وهى شريعة التوراة ، بالشريعة الجديدة ، وهى شريعة القرآن الكريم . ويشرح متى هنرى وجهة نظر النصارى فى فهم المثل هكذا :

١ - « يسوع المسيح هو الكنز الحقيقى . فيه نجد وفرة ، من كل ما هو نفيس ونافع ، مما يمكن أن يكون نصيبا لنا .

٢ - والانجيل هو الحقل المخفى فيه هذا الكنز ، وهو مخفى فى كلمة الانجيل « (١٠) » .

(٩) ص ٣٣٩ ج ٢ تفسير انجيل متى - متى هنرى .

(١٠) ص ٣٣٤ ج ٢ انجيل متى - متى هنرى .

وترد عليهم : ان هذا المثل مضروب للفصل بين عهد قديم ، فيه أشياء قليلة القيمة ، اذا ما قورنت بالعهد الجديد — عهد المسيا صاحب الملكوت — الذى فيه كل شىء ثمين ونفيس . ولا يمكن أن يكون الانجيل هو المراد بالعهد الجديد . لأن الانجيل الحقيقى مفقود . والموجود بدله سير شخصية كتبها بعض تلاميذ عيسى عليه السلام . والشك قائم فى نسبتها لهؤلاء الكاتبين . ولأن المعانى الموجودة فى الأناجيل الأربعة ينقض بعضها بعضا . ولأن الانجيل اصلاح للعهد القديم ، كما قال عيسى عليه السلام : « ما جئت لانتقض الناموس أو الأنبياء » أما القرآن الكريم كتاب الملكوت ، فهو بعيد عن مستوى الشبهات ، ومصون عن التحريف والتبديل كما قال تعالى : « أفلا يتدبرون القرآن ؟ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » (النساء ٨٢) .

٧ — مثل اللؤلؤة الغالية الثمن

النص : « أيضا يشبه ملكوت السموات انسانا تاجرا يطلب لآلىء حسنة ، فلما وجد لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن مضى وباع كل ما كان له واشتراها » (متى ١٣ : ٤٥ — ٤٦) .

الشرح والبيان

الهدف من هذا المثل : استبدال الشريعة القديمة بالشريعة الجديدة .
يقول متى هنرى : « هذا يفتق فى مرماه مع مثل الكنز الخفى »
 والمسيحى الحقيقى تاجر روحى ، يطلب فيجد هذه اللؤلؤة الكثيرة الثمن ، لا يقنع بأى شىء الا بطلب يسوع والتلذذ بعشرته » (١١) .

والرد عليه : كالرد على المثل السابق : وهو أن هذا المثل كسابقه ، يوضح ملكا قديما ، وملكا جديدا . تاجر باع القديم الذى كان يملكه ، لما اشترى اللؤلؤة الكثيرة الثمن . والقديم الذى كان يملكه ، كناية عن الشريعة

(١١) ص ٣٤٥ ج ٢ انجيل متى — متى هنرى .

«العمية» — شريعة التوراة — والجديد الذي اشتراه ، هو الشريعة الجديدة — شريعة القرآن الكريم — الذي ينبه عيسى على مجيء صاحبها بقوله : « اقترب » ولا يمكن أن يكون الانجيل هو الجديد ، لأن الانجيل اصلاح للتوراة ، وليس هو شريعة مستقلة . ومن ينظر في التوراة بأدنى نظر ، يجد تراثا مهلهلا ، ينقض بعضه بعضا . كما ذكرنا في كتابنا «نقد التوراة» حتى أن الذي يطلب الحكمة لذات الحكمة ، لا يمكن أن يجد في التوراة ضالقه المنشودة ، ومن ينظر في القرآن نظرة فاحصة يجد تراثا نفيسا ، يأخذ بعضه بحجز بعض ، حتى أن الذي يطلب الحكمة لذات الحكمة ، يلقي عصا التسيار ، حين يعثر على القرآن الكريم .

٨ — مثل الشبكة المطروحة في البحر

النص : « أيضا : يشبه ملكوت السموات ، شبكة مطروحة في البحر ، وجامعة من كل نوع ، فلما امتلأت أصعدوها على الشاطئ ، وجلسوا وجمعوا الجياد الى أوعية ، وأما الأرياء فطرحوها خارجا . هكذا يكون في انقضاء العالم ، يخرج الملائكة ، ويفرزون الأشرار من بين الأبرار ، ويطرحونهم في أتون النار ، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان » (مت ١٣ : ٤٧ — ٥٠)

الشرح والبيان

المفروض من هذا المثل : هلاك اليهود على يد ابن الانسان صاحب ملكوت السموات .

ويعرض متى هنرى المفسر وجهة نظر النصارى في هذا المثل فيقول :

« أمانا المثل نفسه وفيه نلاحظ :

١ — أن العالم أشبه ببحر متسع .

٢ — والكراسة بالانجيل أشبه بطرح الشبكة في البحر ، لاصطياد شيء منه ، لجد ذاك الذي له السلطان على البحر ، والخدام هم صيادو الناس ، الذين يستخدمون لطرح هذه الشبكة وجذبها . وعندما يلتقون

الشبكة اعتمادا على كلمة المسيح ، فانهم حينئذ يفلحون ، والا فمصرهم
الفضل ، يتعبون ، ولا يسكون شيئا .

٣ — وهذه الشبكة جامعة من كل نوع ، كما يحصل عادة عند
طرح الشباك الكبيرة في البحر . في الكنيسة المنظورة توجد الأسماك كما
ترجد الأعشاب والأقذار .

٤ — يأتي وقت تملىء فيه الشبكة وتجذب الى الشاطئ « فلما
امتلات أصعدوها على الشاطئ » يأتي وقت يتم الانجيل الغاية التي
أرسل من أجلها . ونحن واثقون أنه لا يرجع فارغا (أش ٥٥ : ١٠ — ١١)
ان الشبكة في دور الامتلاء الآن ، هي في بعض الأحيان تمسك سمكا أسرع
من بعض الأوقات الأخرى ، ولكنها على أي حال لازالت في دور الامتلاء ،
وستجذب الى الشاطئ عندما « يتم سر الله » (رؤ ١٠ : ٧) .

٥ — وعند امتلاء الشبكة واصعادها الى الشاطئ ، تتم عملية الفرز
بين الجياد والأردياء التي جمعت فيها « فلما امتلات أصعدوها على
الشاطئ ، وجلسوا وجمعوا الجياد الى أوعية ، وأما الأردياء فطرحوها
خارجا » عندئذ يفرز بين المسيحيين المرانين ، والمسيحيين الحقيقيين .
يجمع الجياد الى أوعية كشيء ثمين ، ولذلك يحفظون بكل حرص . أما
الأردياء فيطرحون خارجا كشيء غث هزيل رذيل ، لا قيمة له ، ولا نفع .
وبئست هي حالة من يطرحون خارجا في ذلك اليوم .

٦ — « أما الجزء الأخير فيشير الى المستقبل . ولذلك فسره المسيح
بأكثر تدقيق « هكذا يكون في انقضاء العالم » عندئذ ، وعندئذ فقط يكون
الفرز والكشف ، يجب ألا نتوقع أن يكون كل ما في الشبكة سمكا جيدا ،
ستكون السفينة ممتلئة بالسمك الجيد ، أما الشبكة فالسمك فيها مختلط .

لاحظ هنا :

١ — تمييز الأشرار من الأبرار ، يخرج ملائكة السماء ليفعلوا ما لم
يستطع فعله ملائكة الكنائس « يفرزون الأشرار من بين الأبرار » ولا داعي

للسؤال عن كيفية الفرز ، طالما كانوا قد تلقوا المهمة والتعليمات، من ذاك الذى يعرف كل البشر ، ويعرف بنوع خاص الذين هم له ، والذين ليسوا له ، ويكفى أن نكون واثقين بأنه لن يحصل خطأ أو تعثر ، فى أية ناحية من الناحيتين .

٢ — مصير الأشرار عندما يفرزون على هذا النحو « يطرحونهم فى أتون النار » أ. هـ.

والرد عليهم : هذا المثل يشبه مثل زوان الحقل . والشبكة المطروحة هى تعاليم الانجيل عن مجيء الملكوت . وقد اجتذبت اليها الصالح والشريد . ثم يأتى ابن الانسان بملكوته فيميز بين الأخيار والأشرار .

ولا يمكن أن ينطبق هذا المثل على عيسى عليه السلام . لأن الانجيل خال من ذكر حروب له بينه وبين أعدائه ، بل ذكر الانجيل أن اليهود صلبوه وقتلوه . وقول المثل : « هكذا يكون فى انتضاء العالم ، يخرج الملائكة ، ويفرزون الأشرار من بين الأبرار » هذا اشارة الى انتضاء ملك اليهود وقتئذ ، وزوال النبوة منهم ، لا الى المجيء الثانى للمسيح . كما يقول النصارى . والقريظة المبينة لهذا المعنى : أن عيسى عليه السلام يتحدث عن ملكوت السموات . هذا الملكوت الأرضى الذى وعد بمجيئه دانيال ، وعبر عنه يوحنا المعمدان وعيسى نفسه وتلاميذه بقولهم : « اقترب ملكوت السموات » وحدد دانيال زمان تأسيسه بممالك أربعة ، ولم يأت نبي بعد عيسى عليه السلام صاحب ملك وسلطان وصاحب شريعة مستقلة ، ودان له العالم ، وقال انى أنا خاتم النبيين ، غير نبي الاسلام ﷺ .

والمراد بـ « الملائكة » الذين يفرزون الأشرار ويطرحونهم فى أتون النار : أصحاب نبي الاسلام ﷺ ، الذين وصفهم الله بقوله : « أشداء على الكفار رحماء بينهم » والقريظة المبينة لهذا المعنى : ما سبق أن قلناه من أن عيسى يتحدث عن الملكوت الآتى . ومن أن لفظة الملائكة وردت للصالحين

من البشر أحيانا . وقد فهم هذا متى هنرى نفسه فقال : « يخرج ملائكة السماء ليفعلوا ما لم يستطع فعله ملائكة الكنائس » ، ثم لما وقع في الحرج ولم يعرف أن يتخلص من دلالة اللفظ ، قال : « لا داعى للسؤال عن كيفية الفرز » .

٩ - مثل التين الرديء

تهييد :

لما كان المسيح ماشيا على شاطئ بحر الجليل ، وأحاط به جمهور غير من الناس ، ركب سفينة صغيرة منفردة كانت على بعد قليل من الشاطئ ، ورسى على مقربة من البر ، بحيث يمكن سماع صوته . ثم نطق بمثل الزارع ، ومثل زوان الحقل ، ومثل التين الرديء ، ومثل الينبوع ، ومثل بائع التفاح . فأما مثل الزارع ومثل زوان الحقل فقد ذكرهما برنابا كما ذكرهما متى . وأما مثل التين الرديء والينبوع وبائع التفاح ، فانفرد برنابا بذكرهم ، وذكر تفسير المسيح للأمثال .

النص :

« خرج أناس كثيرون ليبيعوا تينا ، فلما بلغوا السوق اذا بالناس لا يطلبون تينا بل ورقا جميلا ، فلم يتمكن القوم من بيع تينهم . فلما رأى ذلك أحد الأهالي الأشرار ، قال : انى لقادر على أن أصير غنيا . فدعا ابنه وقال : اذهب الى واجعها مقدارا كبيرا من الورق ، مع تين رديء . فباعوها بزنتها ذهبا . لأن الناس سروا كثيرا بالورق . فلما أكل الناس التين ، مرضوا مرضا خطرا » (برنابا ١٣٢ : ١٧ - ٢٢) .

الشرح والبيان

تفسير المثل : يحكى برنابا أن المسيح فسر المثل بقوله : « أما الذين يثمرون تينا حسنا ، فهم المعلمون الحقيقيون ، الذين يبشرون بالتعليم الصالح . ولكن العالم الذى يسر بالكذب ، يطلب من المعلمين أوراقا من

انكلام والمداهنة المزوقين . فتمتى رأى الشيطان تلك أضاف نفسه مع الجسد والحس ، وأتى بمقدار وافر من الأوراق . أى مقدار من الأشياء الأرضية ، التى يعطى بها الخطيئة . فتمتى أخذها الانسان اعتل وأمسى على وشك الموت الأبدى » (برنابا ١٣٤ : ١ - ٤) .

١٠ - مثل الينبوع

النص :

« وقال أيضا يسوع : ها هو ذا ينبوع لأحد الأهالى ، يأخذ منه الجيران ماء ، ليزيلوا به وسخهم . ولكن صاحب الماء يترك ثيابه تنتن » (برنابا ١٣٢ : ٢٣ - ٢٤) .

الشرح والبيان

* **تفسير المثل :** يحكى برنابا أن المسيح نفسه فسر المثل بقوله : « أما أحد الأهالى الذى عنده ماء ويعطى ماءه للآخرين ، ليفسلوا وسخهم ويترك ثيابه تنتن . فهو المعلم الذى يبشر الآخرين بالتوبة ، أما هو نفسه ، فيلبث فى الخطيئة » (برنابا ١٣٤ : ٥) .

١١ - مثل بائعى التفاح

النص :

« ذهب رجلان لبييعا تفاحا . فأراد أحدهما أن يبيع قشر التفاح بزنته ذهباً ، غير مبال بجوهر التفاح . أما الآخر فأحب أن يهب التفاح ويأخذ قليلا من الخبز لسفره فقط . ولكن الناس اشتروا قشر التفاح بزنته ذهباً ، ولم يبالوا بالذى أحب أن يهبهم ، بل احتقروه » (برنابا ١٣٢ : ٢٥ - ٢٧) .

الشرح والبيان

تفسير المثل : يحكى برنابا أن المسيح نفسه فسر المثل بقوله : « أما الرجلان بائعا التفاح فأحدهما من يبشر لأجل محبة الله . فهو لذلك لا يداهن

أحدا ، بل يبشر بالحق طالبا معيشة فقط . لعمر الله الذى تقف نفسى فى حضرة ، ان العالم لا يقبل رجلا كهذا ، بل هو حرى . بأن يحتقره . ولكن من يبيع القشر بزنته ذهباً ويهب التفاحة فانما هو من يبشر ليرضى الناس . وهكذا متى داهن العالم أتلّف النفس التى تتبع مدهنته . آه . كم ، وكم من أناس هلكوا لهذا السبب » (برنابا ١٣٤ : ١٠ - ٥) .

تعقيب :

وبعد أن فرغ عيسى عليه السلام فى رواية متى ، من ضرب الأمثال سالفة الذكر عن ملكوت السموات . قال لتلاميذه : « أفهمتم هذا كله ؟ فقالوا : نعم يا سيد . فقال لهم : من أجل ذلك كل كاتب متعلم فى ملكوت السموات ، يشبه رجلا رب بيت ، يخرج من كنزهِ جِداً وعتقاء » (متى ١٣ : ٥١ - ٥٣) .

الشرح والبيان

الكتابة : هم علماء من اليهود عملهم أن ينسخوا الكتب المقدسة ويفسروها للشعب ، وكان عملهم هاما جدا في ذلك الزمن الذى لم تكن فيه الطباعة معروفة ، وكل من اراد نسخة من سفر مقدس ، طلبها من أحد هؤلاء الكتبة المتخصصين فى كتابتها ، بدقة فى النص ، وجمال فى الكتابة والزخرفة . ولقد دقق أولئك الكتبة فى عملهم وأكرموه ، حتى كانت لهم تقاليد . منها : أن يكتب اسم الله تعالى بلون مغاير للون الحبر ، الذى ينسخون به ، وكانوا يكتبونه بقلم خاص به ، ولا يستعمل فى كتابة غيره . وغير ذلك من التحفظات والعادات الدالة على التدقيق والتقدير للعمل (١٢) . ومن ثم أتقن هؤلاء الكتبة : الكتب المقدسة وتفسرها ، وتخصصوا فى تعليم مبادئها ، وتحبسوا لتطبيقها . وأول من نعرف فى التوراة من الكتبة المعلمين هو عزرا ، المسمى : بعزرا الوراق « عزرا هذا صعد من بابل ، وهو كاتب ما هو فى شريعة موسى التى أعطاها الرب اله اسرائيل » (عزرا ٧ : ٦) -

(١٢) انظر تفسير متى للأبنا اثناسيوس . ص ٤٠

« لأن عزرا هياً قلبه لطلب شريعة الرب ، والعمل بها ، وليعلم إسرائيل فريضة وقضاء » (عزرا ٧ : ١) ولقد ازداد عدد هؤلاء الكتبة على التدريج ، وخصوصا كلما استقرت الأمور للشعب اليهودى . وعظم نفوذهم . فنقرأ عنهم فى عصر المكابيين : « واجتمعت الى الكيس ويكديس : جماعة الكتبة يسألون حقوقا » (المكابيين الأول ٧ : ١٢) ومنذ انقطاع الأنبياء فى اسرائيل ، كان قواد الشعب هم كتبة الناموس ومعلومه ومفسروه . وأيام عيسى عليه السلام كان منهم كثيرون أعضاء فى مجمع السهندرين (مجمع معلمى الشعب ورؤسائه وعدد أعضائه سبعون) والمغالبية منهم كانوا ضده ، وكان لهم ضلع كبير فى تدبير قتله لولا أن كف الله أيديهم عنه « حينئذ اجتمع رؤساء الكهنة والكتبة ، وشيوخ الشعب الى دار رئيس الكهنة . . . وتشاوروا لكى يمكسكوا يسوع بهكر ويقتلوه » (متى ٢٦ : ٣ - ٤) ولقد قال عيسى عليه السلام عن هؤلاء الكتبة ، ومن شابههم من الفريسيين وبقية المعلمين : انهم معلمون غير صالحين ، ونفهم من كلامه عنهم فى الأناجيل أربع صفات رديئة فيهم :

(أ) ان أعمالهم تخالف أقوالهم . فيقولون المصالح ولا يعملون به « على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون ، فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه . ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا ، لأنهم يقولون ولا يفعلون » (متى ٢٣ : ٢ - ٣)

(ب) انهم يكثرون الارشادات والتعاليم والتقاليد والمقيود ، حتى جعلوها تخفى روح الديانة وتثقل كواهل الناس ، وتنفّرهم من الدين « فانهم يحزبون أحمالا ثقيلة عسرة الحمل ، ويضعونها على أكتاف الناس ، وهم لا يريدون أن يحركوها بأصبعهم » (متى ٢٣ : ٤)

(ت) وكانوا يتظاهرون أمام الناس بالتقوى ، بينما تملىء قلوبهم بالشر ، انهم ينظفون الخارج ولا يهتمون بالداخل « ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءعون ، لأنكم تشبهون قبورا مبيضة تظهر من خارج جميلة ، وهى من داخل مملوءة عظام أموات ، وكل نجاسة ، هكذا أنتم من

خارج تظهرون للناس أبرارا ، ولكنكم من داخل مشحونون رياء واثما «
(متى ٢٣ : ٢٨ — ٢٩)

(ث) وانهم متكبرون « يحبون المتكأ الأول في الولايم ، والمجالس
الأولى في الجامع والتحيات الأولى في الأسواق ، وأن يدعوهم الناس :
سيدي » (متى ٢٣ : ٦ — ٧)

ويعرض متى هنرى وجهة نظر النصارى فيقول : « كان المعلمون بين
اليهود هم الكتبة فعزرا الذى « هيا قلبه ليعلم اسرائيل » قيل عنه بأنه
« كاتب ماهر » (عز ٧ : ٦ — ١٠) وخادم الانجيل الحكيم الأمين الآن
يدعى كاتباً أيضاً ، ولكنه للتمييز يدعى « كاتباً متعلماً فى ملكوت السموات »
خبيراً بحقائق الانجيل وتقديراً على تعليمها . . . وشبههم برب بيت
صالح « يخرج من كنزه جدداً وعتقاء » ثمار العالم الماضى والعالم الحاضر
. . . من الحقائق الجديدة والعتيقة ، من العهد القديم والعهد الجديد ،
من العلوم المعصرية (١٣) »

الرد عليهم : انهم نسوا أن كتبة الملكوت الآتى يختلفون عن كتبة الملكوت
السابق . ودعاة الانجيل لا يختلفون عن كتبة اليهود ، فانهم سواء . فى أنهم
أصحاب شريعة واحدة . وقد قال لهم عيسى عليه السلام : « الى أن تزول
السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس ، حتى يكون
الكل » (متى ٥ : ١٩) فقلوه : « لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة
من الناموس » أى التوراة « حتى يكون الكل » معناه : أن عيسى عليه
السلام لا ينقض وصايا التوراة ، ولا يخرج عن تعاليمها قيد أنملة « حتى
يكون الكل » أى حتى مجيء ملكوت السموات ، ويؤسس النبى الآتى نبى
الاسلام ديانة مستقلة عن الديانة القديمة . وفيها الصحيح من سير القدماء ،
والجديد من سيرة نبى الاسلام والذين معه .

(١٣) ص ٣٥٠ ج ٢ ، تفسير انجيل متى — لمتى هنرى .

١٢ - مثل العبد الذى لم يغفر لزميله

النص : « يشبه ملكوت السموات ، انسانا ملكا ، أراد ان يحاسب عبده ، فلما ابتدا فى المحاسبة ، قدم اليه واحد مديون بعشرة آلاف وزنة . واذ لم يكن له ما يوفى ، أمر سيده ان يباع هو وامراته وأولاده وكل ما له ، ويوفى المدين . فخر العبد وسجد له قائلا : يا سيد تمهل على فأوفيك الجميع . فتحنن سيد ذلك العبد وأطلقه ، وترك له الدين . ولما خرج ذلك العبد ، وجد واحدا من العبيد رفقائه ، كان مديونا له بمائة دينار . فأمسكه واخذ بعنقه قائلا : أوفنى مالى عليك فخر العبد رفيقه على قدميه ، وطلب اليه قائلا : تمهل على فأوفيك الجميع . فلم يرد . بل مضى واللقاء فى سجن حتى يوفى المدين . فلما رأى العبيد رفقاؤه ما كان ، حزنوا جدا ، وأتوا وقصوا على سيدهم كل ما جرى . فدعاه حينئذ سيده ، وقال له : أيتها العبد الشرير ، كل ذلك الدين تركته لك ، لأنك طلبت الى . أما كان ينبغي أنك أنت أيضا ترحم العبد رفيقك ، كما رحمتك أنا ؟ وغضب سيده وسلمه الى المعذبين ، حتى يوفى كل ما كان له عليه . فهكذا أبى السماوى يفعل بكم ، ان لم تتركوا من قلوبكم كل واحد لأخيه ، زلاته » (متى ١٨ : ٢٣ - ٣٥)

الشرح والديان

بعد سبى بابل سنة ٥٨٦ ق.م قصر علماء بنى اسرائيل شريعة التوراة على بنى اسرائيل . وتركوا دعوة الأمم واحتقروهم . فبين عيسى عليه السلام بهذا المثل : ان ملكوت السموات الآتى مع بنى اسماعيل سيكون لبنى اسرائيل ولبنى اسماعيل ولجميع أمم الأرض . وهذا المثل شبيهه بمثل الخروف الضال ، والابن الضال والدرهم المفقود . وسيأتى الحديث عنهم فيما بعد .

١٣ - مثل فعلة الكرم

النص : « فان ملكوت السموات ، يشبه رجلا رب بيت خرج مع

فالتصبح ، ليستأجر فعلة لكرمه . فاتفق مع الفعلة على دينار في اليوم ،
 وأرسلهم الى كرمه . ثم خرج نحو الساعة الثالثة ، ورأى آخرين قياما
 في السوق بطالين . فقال لهم : اذهبوا انتم أيضا الى الكرم ، فأعطيكم
 ما يحق لكم . فمضوا . وخرج أيضا نحو الساعة السادسة والتاسعة ،
 وفعل كذلك . ثم نحو الساعة الحادية عشرة ، خرج ووجد آخرين قياما
 بطالين . فقال لهم : لماذا وقفتم هنا كل النهار بطالين ؟
 قالوا له : لأنه لم يستأجرنا أحد . قال لهم : اذهبوا انتم أيضا
 الى الكرم فتأخذوا ما يحق لكم . فلما كان المساء ، قال صاحب الكرم
 لوكيله : ادع الفعلة واعطهم الأجرة ، مبتدئا من الآخرين الى الأولين .
 وجاء اصحاب الساعة الحادية عشرة ، وأخذوا دينارا دينارا . فلما جاء
 الأولون ظنوا انهم يأخذون أكثر . فأخذوا هم أيضا دينارا دينارا . وفيما
 هم يأخذون تذمروا على رب البيت . فثالثين : هؤلاء الآخرون عملوا ساعة
 واحدة ، وقد ساويتهم بنا ، نحن الذين احتملنا ثقل النهار والحر .
 فأجاب ، وقال لمواحد منهم : يا صاحب ما ظلمتك . أما اتفقت معي على
 دينار . فخذ الذي لك واذهب . فاني أريد أن أعطى هذا الأخير مثلك .
 أو ما يحل لي أن أفعل ما أريد بمالي ، أم عينك شريرة لأنى أنا صالح ؟
 هكذا يكون الآخرون : أوليين ، والأولون : آخرين . لأن كثيرين يدعون ،
 وتطلبين ينتصرون * (متى ٢٠ : ١ - ١٦) .

الشرح والبيان

العرض من هذا المثل : هو دعوة الأمم . للدخول في الملكوت الآتى مع
 أبناء السما عيل واعطائهم من فضل الله تعالى أكثر مما يستحقون .
 يقول الانبا أنثاسيوس : « لكل مثل من أمثلة السيد المسيح :
 درس . فمثل الزوان ، يعلمنا عن حروب العدو لأبناء الملكوت (متى
 ١٢ : ٢٤ - ٣٠) وحب الخردل يعلمنا عن نمو الملكوت (متى ١٣ : ٣١ -
 ٣٢) وهكذا . ولا يليق أن نحمل مثلا من الأمثال معنى لا يقصده . فمثل
 الفعلة هذا ، لا يقصد به المكافأة على الجهاد ، بل قبول الثالثيين (٢٤) . »

(١٤) ص ٢١٨ تفسير متى للانبا أنثاسيوس .

الرد عليهم : الغرض من المثل : عند النصارى هو قبول التائبين ومكافأة الذين أرادهم صاحب الكرم — وهذا صحيح — والذين أرادهم : هم رمز لعلماء الملوكوت الآتى . وقد أرادهم ليعملوا أخيراً فى حلقه . وليست مكافأته لهم بما يستحقون فقط ، بل لوجه لهم أعطاهم أكثر مما يستحقون ، تفضيلاً منه وكرماً . وفى هذا المثل : نجد الأوائل يتدمرون على صاحب البيت . والأوائل رمزا للأمة اليهودية — والنصارى منهم — وصاحب البيت رمز لله عز وجل . والأواخر رمز للأمة الاسلامية . ولما تدمر اليهود من عدم المكافأة ، رد على تدمرهم صاحب البيت بقوله : انه حر فى ماله ، يهب لمن يشاء ما يشاء ، ووصف اليهود بالشر . وهكذا يمتاز الآخرون عند صاحب البيت بالعطاء الجزيل ، وهم رمز للأمة الاسلامية ، أصحاب الملوكوت . لأن صدر المثل : « فان ملكوت السموات يشبه . . . الخ » ولأن نبي الاسلام ﷺ يقول : « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة » ويقول : « انما أجلكم فى أجل من خلا من الأمم ، ما بين صلاة العصر الى مغرب الشمس ، وانما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالاً . فقال : من يعمل لى الى نصف النهار على قيراط قيراط ؟ فعملت اليهود الى نصف النهار على قيراط قيراط ، ثم قال : من يعمل لى من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط ؟ فعملت النصارى من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط ، ثم قال : من يعمل لى من صلاة العصر الى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين ؟ ألا فأنتم الذين يعملون من صلاة العصر الى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين . الا لكم الأجر مرتين . فغضبت اليهود والنصارى . فقالوا : نحن أكثر عملاً وأقل عطاء ؟ قال الله : هل ظلمتكم من حقكم شيئاً ؟ فقالوا : لا . قال : فانه فضلى أعطيه من شئت » (١٥)

١٤ — مثل الأبنان

النص : « ماذا تظنون ؟ كان لانسان ابنان . فجاء الى الأول ، وقال : يا بنى اذهب اليوم ، اعمل فى كرمى . فأجاب وقال : ما أريد . ولكنه

(١٥) البخارى باب ما ذكر عن بنى اسرائيل

ندم أخيراً ومضى . وجاء الى الثانى ، وقال كذلك . فأجاب وقال :
 ها انا يا سيدي . ولم يمضى . فأى الاثنين عمل ارادة الأب ؟
 قالوا له : الأول . قال لهم يسوع : الحق أقول لكم : ان العشارين والزواني
 يسبقونكم الى ملكوت الله . لأن يوحنا جاءكم فى طريق الحق فلم تؤمنوا
 به . وأما العشارون والزواني فآمنوا به . وانتم اذ رأيتم ، لم تندموا
 أخيراً لتؤمنوا به » (متى ٢١ : ٢٨ - ٣٢)

الشرح والبيان

الفرض من المثل : دعوة الأمم للدخول فى ملكوت السموات مع أبناء
 ابراهيم . وتغيير الشريعة اليهودية بالشريعة الاسلامية .

يقول الأنبا اثناسيوس : « ضرب مثل ابنين لرجل ، أمرهما أن يذهبا
 للعمل فى الكرم ، فرفض أحدهما . ثم عاد وندم ، وذهب وعمل ماطلب
 منه ، والثانى أظهر بالكلام انه أطاع ، ولكنه لم يذهب . وكان هذا
 المثل عليهم وعلى الأمم . فأمتهم أطاعت الشريعة بالاسم ، ولكنها خالفت .
 وها هى ترفضه فعلا . أما الأمم فلم يطيعوا الشريعة أصلا ، ولكنهم هنا
 يقبلون (١٦) »

والرد عليهم : ان دعوة الأمم من اختصاص نبي الاسلام ﷺ لأن الانجيل
 ليس شريعة منفصلة عن شريعة التوراة .

والمثل يبين : أن الأمم ستطيع الله تعالى أكثر من اطاعة اليهود له .
 وأن الملكوت سيكون فيهم . وحيث ان النصارى من اليهود ، والمسيح من
 اليهود ، فان الملكوت لا يكون لعيسى ولا لأمته .

١٥ - مثل الكرامين الأرياء

النص : « اسمعوا مثلا آخر : كان انسان رب بيت غرس كرما
 وأحاطه بسياج وحفر فيه معصرة وبنى برجاً ، وسلمه الى كرامين وسافر .
 ولما قرب وقت الأثمار أرسل عبده الى الكرامين ، لياخذ اثماره . فأخذ
 الكرامون عبده ، وجلدوا بعضاً ، وقتلوا بعضاً ، ورجموا بعضاً . ثم

(١٦) ص ٢٢٨ تفسير متى للأنبا اثناسيوس

أرسل أيضا عبيدا آخرين أكثر من الأولين . ففعلوا بهم كذلك . فأخيرا أرسل الليم ابنه قائلا يهابون ابني . وأما الكراميون فلما رأوا الابن ، قالوا شيئا بينهم : هذا هو الوارث . هلموا نقلته ونأخذ ميراثه . فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه . فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين ؟ قالوا له : أولئك الأعداء يهلكهم هلاكاً ردياً ويسلم الكرم الى كرامين آخرين ، يعطونه الأثمار في أوقاتها . قال لهم يسوع : أما قرأتم قط في الكتب : الحجر الذي رفضه البنائون هو قد صار رأس الزاوية ، من قبل الرب كان هذا ، وهو عجيب في أعيننا ؟ لذلك أقول لكم : ان ملكوت الله ينزع منكم ، ويعطى لأمة تعمل أثماره ، ومن سقط على هذا الحجر يترفض ، ومن سقط هو عليه يسحقه .

ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله عرفوا أنه تكلم عليهم . وإذا كانوا يطلبون أن يمسكوه خافوا من الجموع ، لأنه كان عندهم مثل نبي « متى ٢١ : ٣٣ — ٤٦ ، مرقس ١٢ : ١ — ١٢ ، لوقا ٢٠ : ٩ — ٢٠ ، يرنابا ٤٦ : ١ — ١٣)

المشرح والبيان

١ — الفرض من هذا المثل : انتقال الملكوت من نسل اسحق ، الى نسل اسماعيل — عليهما السلام — وتغيير شريعة التوراة بشريعة القرآن الكريم . يقول النبي ﷺ : « ان مثلي ومثل الأنبياء من قبلي ، كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله ، الا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال : فانا اللبنة وأنا خاتم النبيين (١٧) »

٢ — التفسير : اتفق متى ومرقس ولوقا على أن عيسى ضرب هذا المثل لليهود ، وهو يعلم في هيكل سليمان بأورشليم . واتفقوا على أن هذا المثل ضربه عيسى بعد دخوله أورشليم للمرة الأخيرة ، وقد استقبله الشعب في هذا الدخول استقبالاً عظيماً . « والى نخل أورشليم اوتجت

(١٧) البخارى باب خاتم النبيين .

المدينة كلها ، قائلة : من هذا ؟ فقالت الجموع : هذا يسوع النبى « (متى ٢١ : ١٠ - ١١) ولما بدأ يعلم فى الهيكل أن المسيا سيأتى من بعدى ، وأن الشريعة ستنتقل الى بنى اسماعيل « تقدم رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب ، وهو يعلم قائلين : بأى سلطان تفعل هذا ؟ » (متى ٢١ : ٢٣) عندئذ نطق بأمثال ثلاثة ، يوضح بها انتقال الشريعة ، وزوال الملك من اليهود . وقد ذكر متى هذه الأمثال الثلاثة فى حديث متصل . وهذه الأمثال هى : مثل الأبنين ، ومثل الكرامين الأرياء هذا ، ومثل عرس ابن الملك . وفى نهاية الأمثال ، قال لليهود الذين استنكروا حديثه ، لأنهم كانوا يفهمون أن المسيا سيكون من ذرية داود ، لا من بنى اسماعيل قال لهم : « ماذا تظنون فى المسيح ؟ ابن من هو ؟ قالوا له : ابن داود فقال لهم : فكيف يدعوه داود بالروح ربا . قائلا : قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أضع أعدائك موطئا لقدميك ، فان كان داود يدعوه ربا ، فكيف يكون ابنه ؟ فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة » (متى ٢٢ : ٤٢ - ٤٦)

٣ - وهذا المثل يحتوى على مجموعة من المعانى الرمزية أكثر من أى مثل آخر ، وهذه معانيها :

(أ) الكرام : رمز لله عز وجل كما فى الانجيل عن عيسى « وأبى الكرام » (يو ١ : ١)

(ب) الكرم : كانت رمزا ابتكره أنبياء بنى اسرائيل للدلالة على الأمة اليهودية ، كما ذكر أشعيا وارهيا وداود ، يقول أشعيا : « والآن يا سكان أورشليم ورجال يهوذا ، احكموا بينى وبين كرمى ، ماذا يصنع أيضا لكرمى ، وأنا لم أصنعه له ؟ لماذا اذ انتظرت أن يصنع عنبا ، صنع عنبا رديئا ؟ فالآن أعرفكم ماذا أصنع بكرمى ؟ انزع سياجه فيصير للرعى ، أهدم جدرانته فيصير للدوس . واجعله خرابا لا يقضب ولا ينتب ، فيطلع شوك وحسك ، وأوصى المقيم أن لا يطر عليه مطرا . ان كرم رب الجنود (الله) هوبيت اسرائيل ، وغرس لذته رجال يهوذا ، فانظر حقا ، فاذا سفك دم ، وعدلا ، فاذا صراخ » (أشعيا ٥ : ٣ - ٧) ويقول

ارمياء عن الله عز وجل يخاطب الأمة اليهودية : « وأنا قد غرستك كرمة »
(ار ٢ : ٢١) ويقول داود : « يا اله الجنود أطلع من السماء ، وانظر
وتعهد هذه الكرمة » (مز ٨٠ : ١٤) .

(ت) الكرامون : هم رؤساء كهنة اليهود ، والعلماء المؤتمنون على
رعاية ذلك الشعب ، والمطالبون امام الله بأن يتدموا أثمار الرعاية .

(ث) السهاج والمعصرة والبرج : تشير الى مدى عناية الله ويقظته
التامة فى رعاية هذا الشعب ، والمحافظة عليه .

(ج) الفبيد الذين أرسلهم ، واحدا بعد الآخر : هم أنبياء العهد
القديم مثل موسى ومن أتى بعده كداود وسليمان والياس واليسع ، وزكريا
ويحيى وعيسى بن مريم عليهم الصلاة والسلام .

(ح) يسلم الكرم الى كرامين آخرين : يعطى الله الملك والسلطان ،
الى قوم غير يهود ، ويسلم الشريعة الى قوم آخرين غيرهم .

(خ) حجر الزاوية : هذا يشير الى ما جاء فى كلام داود عن نبي
الاسلام فى مزاميره . وهو : « الحجر الذى رفضه البناؤون ، قد صار
راس الزاوية ، من قبل الرب كان هذا ، وهو عجيب فى أعيننا » (١١٨ :
٢٢ - ٢٣) ولا ينطبق على عيسى لأنه من اليهود ، فكيف يكون عجيبا ؟

٤ - **والمعنى العام** : ان الله عز وجل أحسن الى اليهود احسانا
عظيما ، وأعطاهم ملكا ومجدا ، وأنزل لهم شريعة من السماء ، وجعل
فيهم أنبياء كثيرين ، ولكنهم كفروا بهذه النعم كلها ، وعثوا فى الأرض
فسادا ، وحرفوا الشريعة ، ومنعوا هداية الله عن عباده ، وقتلوا الأنبياء .
لذلك أخذ منهم الملك والمجد والشريعة والنبوة ، وأعطاهم لقوم آخرين .
كصاحب بستان يصلحه وينتقه ، ثم يؤجره لمزارعين ، لكن المزارعين لم
يعطوا لصاحب البستان شيئا فأرسل اليهم عبده ، فلم يعطوهم
شيئا . واذ لم يعطوهم شيئا ، كان يجب عليهم أن يردوهم
الى صاحب البستان سائلين ، لكنهم مع عدم العطاء أوسعوا فريقتا
من العبيد لكما وضربا ، وفريقتا قتلوهم ، وفريقتا وهم فى طريقهم الى الهرب .

اسألوا دماءهم بالحجارة . وان هذا لشيء يثير سخط صاحب البستان حقا . ومع ذلك أعطاهم الفرصة الأخيرة فى إرساله أعز رجل عنده ، وهو ابنه الحبيب ، علمهم يصنعون معه معروفا . ويخزون ان فعلوا به سوءا . لكنه لم يسلم هو أيضا من اذاهم ، وكان من الواجب أن تكون منزلة الابن عندهم غير منزلة العبيد . لذلك ماذا ينتظر من صاحب البستان لو وصل الى هؤلاء المزارعين ، وقد نفذ صبره ؟ ان أى عاقل ينطق قائلا : انه يهلكهم . ان لم يكن من أجل العبيد ، فمن أجل ابنه . واذا أهلكهم . فانه لن يترك بستانه بدون زارع ، لئلا يصير أرضا قاحلة . ولكى لا يفسد سيسلمه الى مزارعين آخرين . وهذا ما حدث فعلا — ولله المثل الأعلى —

٥ — **وجهة نظر النصارى** : من هم القوم الآخرون ؟ يقول النصارى :

انهم المعنيون بالقوم الآخريين ، وعيسى هو صاحب الملكوت ، وهو المراد بالابن . يقول متى هنرى : « قال المسيح هذا المثل على من اعترموا عدم الاعتراف بسلطانه ، مع أن الدليل عليه كان واضحا كل الوضوح ومقتعا ، وكان عدلا ان الذين تساءلوا عن سلطانه ، يفقدون سلطانهم .. وهدفه هنا : أن يبين بأن الأمة اليهودية باضطهادها للانبياء ، ثم للمسيح نفسه اخيرا ، قد أثارت غضب الله ، ليحرمهم كل امتيازاتهم الكنسية ، ويتركهم للهلاك »

٦ — **الرد عليهم** :

١ — ان عيسى عليه السلام من أنبياء بنى اسرائيل ، انه ابن مريم ابنة عمران ، من نسل لاوى ابن يعقوب ابن اسحق ابن ابراهيم . ودعوته كانت فى بلاد بنى اسرائيل . وقال : « لم أرسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة » (متى ١٥ : ٢٤) والمثل يبين أن الانتقال سيكون من بنى اسرائيل الى غيرهم . وعلى سبيل الفرض : اذا لم يسلموا بأن الغير ، هو نسل اسماعيل فيسلموا حتما بأن امة عيسى ليست هى المقصودة . والدليل على أن الغير هو نسل اسماعيل : أن التوراة نصت على بركة لآل اسماعيل .

٢ — أن اليهود لما سمعوا المثل ، عرفوا يقينا مغزى المثل . ولذلك

عموا بقتله ، وفي رواية لوقا : استبعدوا هلاكهم « فلما سمعوا قالوا حاشا » والارأى عيسى استنكارهم كيف يكون هذا ؟ استشهد بكلام التوراة ، ليلزمهم الحجة ، فقال : « اذا ما هو هذا المكتوب : « الحجر الذى رفضه البنائون ، هو قد صار رأس الزاوية ؟ » والحجر المرفوض كناية عن نسل هاجر المصرية جارية ابراهيم ، وهو مرفوض من اليهود ، لأن اليهود من نسل سارة الحرة ، وهى أخت ابراهيم لأبيه (تك . ٢٠ : ١٢) ولانهم من نسل الحرة سارة ، احتقروا بنى اسماعيل ، ووصفوههم بالأمة الغبية الجاهلة (تث ٣٢ : ٢١) ولو كان المقصود بـرمز الحجر عيسى عليه السلام ، غاى عجب فى أعين اليهود وهو منهم ؟

٣ — لو نظرنا فى أوصاف صاحب الملكوت نجدها لا تنطبق على عيسى عليه السلام ، بأى حال من الأحوال ، بل تنطبق على نبي الإسلام ﷺ . فلقد وصفه عيسى بوصفين :

(أ) « من سقط على هذا الحجر يترضض » والمعنى : من يهجم على هذا النبي ليقته ، فسوف يتحطم المهاجم . كما اذا سقط انسان من أعلى جبل فارتطم فى أسفله بحجر ، فانه مع موته تكون جثته مختلطة الأعضاء غير متماسكة .

(ب) « ومن سقط هو عليه يسحقه » والمعنى : اذا هاجم هذا النبي قوما ، فانه يغلبهم ويهزمهم ، غلبة وهزيمة لا صحوة بعدهما . كما تدق الحبوب وتسحق . فانه اذا دقت الحبوب وسحقت ، فمن المستحيل أن تترجع صحيحة كما كانت . وهذان الوصفان مع المفهوم مما سبق ، لا ينطقان على عيسى وأصحابه . بدليل ما جاء فى الإنجيل : أن عيسى لم يحارب ، ولم يكن لهند وذ فى قومه . وأصحابه كانوا يتركونه وقت الشدة ، وبعضهم كفر بتعاليمه . وأصحابه من بعده قد اضطهدوا اضطهادا بشعا ، لم يسمع بمثله فى التاريخ ، وظلوا مضطهدين ومعذبين ، الى القرن السادس الميلادى . الى أن جاء نبي الإسلام فحررهم من الخوف ومنع الأذى عنهم . جاء فى كتب النصارى : « وفى القرن الرابع ارتقى العرش

سالرومانى تاودوسىوس الكبير (١٨) فأبطل عبادة الأوثان وصارت المسيحية الديانة الرسمية فى سنة ٣٧٩م . وقد انقسم المسيحيون فى الدولة الرومانية الى مذاهب متعددة ، وحاول أباطرة الروم ، اكرام قباط مصر الأرثوذكس على قبول مذهبهم ، فرفضوا ذلك . وهنا بدأت اضطهادات الرومان من جديد للمسيحيين المصريين . فلما رأى أنبا بنيامين بطريرك الأقباط ذلك ، جمع رجال الدين الارثوذكس ، وحضهم على الثبات فى العقيدة حتى الموت ، وطلب الى الأساقفة الاختفاء فى الأديرة حتى تزول هذه المحنة ، واختفى أنبا بنيامين نفسه فى أحد الأديرة فى النصعيد ، وظل مختفيا ثلاث عشرة سنة ، وفى هذه الأثناء فتح العرب مصر ، على يد عمرو بن العاص سنة ٦٤٠م فماذا فعل القائد العربى ؟ بعد أن تم لعمرو ، فتح مصر ، بعث الى البابا « بنيامين » بكتاب أمان ، يدعو الى العودة الى كرسيه ، ويؤمنه على حياته ، ونشر عمرو هذا الكتاب فى أنحاء البلاد ، وجاء فيه ما يلى : « أينما كان بطريق القبط «بنيامين» نعدده بالحماية ، وعهد الله . فليات بطريق الى ههنا فى أمان واطمئنان ، ليلى أمر ديانتة فخرج «بنيامين» من «الدير» وذهب الى «عمرو» فاحتفى به ، وردة الى مركزه عزيز الجانب موفور الكرامة (١٩) »

٤ — وأخيرا نقول : ما المراد بالأبن الذى أرسله صاحب الكرم وقتله الكرامون ؟ لا شك أن هذه العبارة زائدة للتحريف ، ليدلوا بها على أن عيسى هو الابن وقد قتل . وبيان ذلك :

(١٨) وفى عهده أحيأ الله أهل الكهف والمتقى بهم هذا الامبراطور فى أنسوس (انظر كتاب : الأساطير الذهبية)
 «Jacques de Veragine, La Légende Dorée traduite du latin
 Paris, 1929»

أسمائهم . Maximien, Malchus, Martuen, Denis, Jean Serapion,
 Constantin.

(١٩) ص ١٣٨ التربية الدينية المسيحية وزارة التربية والتعليم
 بمصر ١٩٧٣ .

(أ) لو كان عيسى هو الابن — والابن هو المسيا — ما كان قتل . لأن داود حينما عبر عن المسيا بالابن ، عبر في نفس الحديث أنه لن يقتل : يقول داود : « لماذا ارتجت الأمم ، وتنكر الشعوب في الباطل ؟ قام ملوك الأرض وتآمر الزؤساء معا ، على اللرب وعلى مسيحه ، قائلين : لنقطع قيودهما ، ولنطرح عنا ربطهما . الساكن في السموات يضحك . اللرب يستهزئ بهم » (مزبور ٢ : ١ — ٤) ومعنى ضحك الله واستهزاءه بالمتآمرين : أنه لن يسلم المسيا المنتظر الى يد أعدائه ليقتلوه . ولما عبر داود عن المسيا بالابن ، قال في حديثه : أنه سيملك على أقصى الأرض ملكا ظاهرا . قال داود : « لننى أخبر من جهة قضاء اللرب . قال لى : أنت ابنى ، أنا الليوم ولدتك (٢٠) اسألنى فأعطيك الأمم ميراثا لك وأقصى الأرض ملكا لك ، تحطهم يقضيب من حديد ، مثل اناء خزاف تكسرهم » (مزبور ٢ : ٧ — ٩) فكيف يقولون بقتل الابن — والمراد به المسيا — وهو لم يملك على شسوعوب الأرض بعد ، والملكوت على آرائهم لم يؤسس بعد ؟

(ب) أيا ما كان الأمر على زعمهم هذا . فان الملكوت ينتقل حتما بعد موت الابن الى غيره . ولو أصروا على قولهم بأن الابن هو عيسى وقد قتل ، فانه يكون في عداد العبيد الذين قتلوا ولا ميزة له عن سائر الأنبياء السابقين عليه . ويكون انتقال الملكوت الى غيره لازم — أيا كان هذا الغير — ولا يكون هو صاحب الملكوت .

(ت) ذكر برنابا في انجيله هذا المثل : على النجو اللذى ذكره متى ومرقس ولوقا ، ولنفس الغرض . ولم يذكر فيه عبارة الابن . ولم يشر اليه قط . لا بموت ولا بحياة . فهو لذلك صادق . لأنه سلم من الاعتراض اللذى أبديناها . وهذا نص كلامه : « وتكلم يسوع أيضا قائلا . أضرب لكم مثلا . غرس رب بيت كرما ، وجعل له سياجا ، لكى لا تدوسه الحيوانات ،

(٢٠) قوله : « أنت ابنى ، أنا الليوم ولدتك » وقوله في المزبور الثانى والسبعين : « يكون اسمه الى الدهر . قدام الشمس يمتد اسمه ويتباركون به . كل أمم الأرض يطوبونه » عبر عنها المسيح في رواية برنابا بقوله : قبل كوكب الصبح فى ضياء القديسين خلقتك يشير به الى نبى الاسلام ﷺ .

وبنى في وسطه معصرة للخمر ، وأجره للكرايين . ولما حان الوقت ليجمع الخمر أرسل عبيده ، فلما رأهم الكرامون رجموا بعضيا ، وأحرقوا بعضا . وبقروا الآخرين بمدية ، وفعلوا هذا مرارا عديدة ، فقولوا لي : ماذا يفعل صاحب الكرم بالكرايين ؟ فأجاب كل واحد : انه ليهلكهم شر هلكة ، ويسلم الكرم لكرايين آخرين . لذلك قال يسوع : ألا تعلمون أن الكرم هو بيت اسرائيل ، والكرايين شعب يهوذا وأورشليم . ويل لكم لأن الله غاضب عليكم ، لأنكم بقرتم كثيرين من أنبياء الله ، حتى أنه لم يوجد في زمن أخاب واحد يدفن قديسى الله . ولما قال هذا ، أراد رؤساء الكهنة أن يمسكوه ، ولكنهم خافوا العامة الذين عظموه » (برنابا ٤٦ : ١ - ١٣)

١٦ - مثل عرس ابن الملك

النص : « يشبه ملكوت السموات انسانا ملكا ، صنع عرسا لابنه . وأرسل عبيده ليدعو المدعوين الى العرس ، فلم يريدوا أن يأتوا . فأرسل أيضا عبيدا آخرين ، قائلا : قولوا للمدعوين : هوذا غدائي ، أعددت . ثرائي ومسمناتي قد ذبحت ، وكل شيء معد . تعالوا الى العرس . ولكنهم تهاونوا ، ومضوا . واحد الى حقلة ، وآخر الى تجارته ، والباقون أمسكوا عبيده وشتموهم وقتلوهم . فلما سمع الملك غضب ، وأرسل جنوده ، وأهلك أولئك القاتلين ، وأحرق مدينتهم . ثم قال لعبيده : أما العرس فمستعد ، وأما المدعوون فلم يكونوا مستحقين . فاذهبوا الى مفارق الطرق ، وكل من وجدتموه فادعوه الى العرس ، فخرج أولئك انعبيد الى الطرق ، وجمعوا كل الذين وجدوهم ، أشرارا وصالحين . فامتأ العرس من المتكئين . فلما دخل الملك لينظر المتكئين ، رأى هناك انسانا لم يكن لابسا لباس العرس . فقال له : يا صاحب كيف دخلت الى هنا ، وليس عليك لباس العرس ؟ فسكت حينئذ . قال الملك للخدام : اربطوا رجليه ويديه وخذوه وأطرحوه في الظلمة الخارجية . هناك يكون البكاء وصرير الأسنان . لان كثيرين يدعون ، وقليلين ينتخبون » (متى ٢٢ : ١ - ١٤)

الشرح والبيان

الفرض من هذا المثل : تغيير شريعة التوراة بالتوراة الكريمة .

ويلاحظ في هذا المثل : ١ - الملك الذى صنع العرس ٢ - الابن الذى صنع العرس من اجله . ٣ - العبيد الذين ذهبوا من قبل الملك لدعوة الناس ٤ - المدعوون الى وليمة العرس . ٥ - الغذاء الذى أعد في الولاية . ٦ - اكتفاء بعض الناس بالانصراف عن دعوة الملك ، بسبب انشغالهم بالحياة . ٧ - انصراف بعض الناس عن دعوة الملك ، وقتلهم عبيده . ٨ - قتل الملك للذين قتلوا العبيد ، واحراق مدينتهم . ٩ - تجديد الدعوة لقوم آخرين . ١٠ - قبول كل الناس للدعوة الثانية ، الصالحين منهم والأشرار . ١١ - الرجل الغريب الذى وجده الملك ، ضمن المدعوين ، ولم يكن لابسا لباسا ، يليق بحفل العرس . ١٢ - معاقبة الملك لهذا الرجل الغريب (مع ملاحظة أن لوقا لم يذكر الرجل الغريب ، ولا معاقبة الملك له في مثل العشاء العظيم)

ويعرض متى هنرى وجهة نظر النصارى في هذا المثل . فيقول :

١ - الملك : هو الله . ٢ - الابن العريس : هو المسيح . والكنيسة : هي العروس . ويوم الانجيل : هو يوم عرسه ٣ - العبيد : هم خدام الله ، رسله وأبنيائه ٤ - ضيوف الله : هم بنو البشر . وكان الضيوف الذين دعوا أولا هم اليهود ٥ - الغذاء : الانجيل ٦ - الذين انصرفوا عن الدعوة بدون قتل لعبيد الملك : هم الفلاحون والتجار ٧ - الذين انصرفوا وقتلوا : هم رجال الدين اليهودى ٨ - قتل الملك لهؤلاء اليهود : كان على يد الرومانيين بعد عيسى بأربعين سنة ، أى في خراب تيطس عام ٧٠ م ٩ - تجديد الدعوة بعد خراب اورشليم سنة ٧٠ م : كان للأمم . ١٠ - قبول كل الناس للدعوة الجديدة : اعتناق الأمم لشريعة الانجيل . ١١ - الرجل الغريب : كناية عن المنافقين ، اذ وبخه على جراته على الدخول ، وهو يعلم أن قلبه غير مستقيم . ١٢ - « ثم صدر الأمر بطرحه في سجن مروع » اطرحوه في الظلمة الخارجية « وهنا نرى مخلصنا ، ينتقل بطريقة غير محسوسة من المثل ، الى ما يشير اليه ، الى هلاك المرانين في العالم

الآخر » .

ونرد عليهم : ان رمز الملك : هو الله عز وجل ، ورمز الابن : لنبي الاسلام ﷺ . ورمز الغداء : للقرآن الكريم ، ورمز الناس الذين انصرفوا عن الدعوة ولم يقتلوا ، والذين انصرفوا وقتلوا : يشير الى الأمة اليهودية كلها . منهم من كان ينفهم في شهوات الدنيا معرضا عن شريعة الله ، ومنهم من كان يتظاهر بالعمل بالشريعة ويدعى الغيرة عليها ، الى حد قتل الأنبياء . وقتل الملك لهؤلاء الذين أساءوا : كان على يد نبي الاسلام . وتجديد الدعوة لغير اليهود من الأمم على يد نبي الاسلام . والرجل الغريب : رمز للمنافقين في الاسلام من اليهود الذين أسلموا بالسنتهم ولم تؤمن قلوبهم . والتعبير باطرحوه في الظلمة الخارجية : يشير الى عقاب اليهود على يد نبي الاسلام ، وليس في العالم الآخر ، الذي هو يوم القيامة . لأن المثل مضروب للملكوت الذي يعبر عنه عيسى مع يوحنا المعمدان باقترب ، ولأن عيسى لم يدع الى غير التوراة ، ولم يحارب في نشر دعوته لتأديب العصاة والمنافقين والكافرين . فقد جاء في الانجيل أنه قال للمرأة الخاطئة : « ولا أنا أدينك أيضا » ولما طلبه بعض الناس للملك انصرف الى الجبل ورفض الملك وقال : « مملكتي ليست من هذا العالم » . كما هو مكتوب في انجيل يوحنا .

١٧ - مثل العذارى العشر

النص : « يشببه ملكوت السموات عشر عذارى ، أخذن مصابيحهن وخرجن للقاء العريس . وكان خمس منهن حكييات ، وخمس جاهلات . أما الجاهلات فأخذن مصابيحهن ، ولم يأخذن معهن زيتا . وأما الحكييات فأخذن زيتا في آنيتهن مع مصابيحهن . وفيما أبطأ العريس نعسن جميعهن ونهن ، ففى نصف الليل صار صراخ ، هوذا العريس مقبل ، فأخرجن للقاءه ، فقامت جميع أولئك العذارى ، وأصلحن مصابيحهن . فقالت الجاهلات للحكييات : اعطيننا من زيتك ، فان مصابيحنا تنطفئ . فأجابت الحكييات قائلات : لعله لا يكفي لنا ، ولكن اذهبن الى الباعة ، وابتنن لكن . وفيما هن ذاهبات لبيتنن ، جاء العريس . والمستعدات دخلن معه الى العرس ، وأغلق الباب . أخيرا جاءت بقية العذارى أيضا ، قائلات : يا سيد يا سيد . افتح لنا . فأجاب وقال : الحق أقول لكن :

انى ما أعرشكن . فإسهروا اذا . لأنكم لا تعرفون اليوم ولا المساعة التى يأتى فيها ابن الإنسان » (متى ٢٥ : ١١-١٣)

الشرح والبيان

المعرض من هذا المثل : الاستعداد لمعرفة الملكوت والدخول فيه .
والدليل على أنه الاستعداد : قول متى صاحب الانجيل :

بينما عيسى عليه السلام جالس على جبل الزيتون ، بعد ما بين العلامات المدالة على زمن نبي الاسلام « تقدم اليه التلاميذ على انفراد قائلين : قل لنا : متى يكون هذا ؟ وما هي العلامة عندما يصير هذا » ؟ « وقال لهم : انظروا لا يضلکم أحد ، وكونوا انتم أيضا مستعدين ، لأنه في ساعة لا تظنون يأتى ابن الانسان » ثم ساق هذا التشبيه الكوت السماوات ليستعد أتباعه للدخول فيه .

ويعرض متى هنرى . وجهة نظر المنصارى . فيقول : « فى هذا المثل نرى : ١ — أن العريس هو ربنا يسوع المسيح . هذا ما وصحه الزمور ٤٥ ٢ — والعذارى هن المسيحيون ، أعضاء الكنيسة ٣ — وبهمة هؤلاء العذارى هي ملاقاته المهريسى ٤ — واهتمامهن الرئيسى أن تكون فى أيديهن أنوار ، عند لقائهن للعريس لا كرامه وخدمته »

ونقول : ان العريس ليس عيسى عليه السلام ، بل هو رمز لنبي الاسلام ﷺ .

أولا : لأنه صاحب ملكوت السماوات الذى يدعو عيسى الى اقترابه ، ويضرب هذا المثل للاستعداد للقائه .

وثانيا : لأن الزمور ٤٥ الذى استشهد به « متى هنرى » من مزامير داود عليه السلام لا ينطبق الا على نبي الاسلام ﷺ .

وهذا نص الزمور رقم ٤٥ فى ترجمة البروتستانت و ٤٤ فى ترجمة الكاثوليك : « فاض قلبي بكلام صالح ، متكلم أنا بانثائى للملك . لسانى

فلم كاتب ماهر أنت أبرع جناباً من بنى للبشر انسكبت النعمة على شفقتك
 ذلك باركك الله الى الأبد . تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار جلالك
 وبهائك ، وبقائك اقتحم . اركب من أجل الحق والدعة والبر فتريك
 يهينك مخاوف نبلك المسنونة فى قلب أعداء الملك شعوب تخذك يسقطون .
 كرسيك يا الله الى دهر الدهور . قضيب استقامة قضيب ملكك أحببت
 البر . وأبغضت الاثم من أجل ذلك مسح الله الهك بدهن الابتهاج أكثر
 من رفقائك ، كل ثيابك ، مر ، وعود وسليخة . من قصور العاج سرتك الأوتار
 بذات ملوك بين حظياتك . جعلت الملكة عن يمينك بذهب أوفر . اسمعى
 يا بنت وانظرى وأملى اذنك ، وانسى شعبك وبيت أهلك فيشتفى الملك
 جسلك لأنه هو سيدك فاسجدى له ، وبنيت صور أغنى الشعوب تترضى
 وجهك بهدية . كلها مجد ابنة الملك فى خدرها منسوجة بذهب ملابسها
 بملابس مطرزة تحضر الى الملك . فى اثرها عذارى صاحباتها . مقدمات اليك
 يحضرن بفرح وابتهاج يدخلن الى قصر الملك . عوضاً عن آباتك يكون بنوك
 تقبهم رؤساء فى كل الأرض . اذكر اسمك فى كل دور فدور . من أجل
 ذلك تحمدك الشعوب الى الدهر والأبد »

ويعطى علماء الكاثوليك على هذا الزمور فيقولون : « فى هذا الزمور
 احتفال زفاف الكنيسة الطاهرة الى السيد المسيح . فعبر عن المسيح
 بالملك ، وعن الكنيسة بالملكة ، والمراد بها : الكنيسة الجامعة ، والمعذارى
 هن الكنائس الخاصة اللاتى غدون بالمعمودية (٢١) قرائن محبوبات
 للملك العظيم »

الشرح والبيان

١ - « فاض قلبى بكلام صالح » تصح أن تنطبق على عيسى عليه
 السلام ، وعلى نبي الاسلام ﷺ . لأن كلا منهما فاض قلبه بكلام صالح .
 وهو الانجيل الصحيح ، والقرآن .

(٢١) المعمودية : هى تعميد الأطفال برش الماء أو التغطيس . كما
 كان يفعل يوحنا المعمدان وعيسى . وفى المخطوطات التى ظهرت فى قمران
 تبين أن المعمودية ما كان يمارسها المعمدان ولا عيسى . وإنما كان اليهود
 يمارسون الوضوء (ص ٨٢ مخطوطات البحر الميت)

٢ - « متكلم أنا بانثوائى للملك ، لسانى قلم كاتب ماهر »
هذه صفة خاصة بنبي الاسلام . لأنه كان أميا لا يقرأ ولا يكتب . وجاء
بالقرآن الكريم بلسان عربى مبين . أما عيسى عليه السلام فقد كان قارئاً
كاتباً ، يقول لوقا : انه « دخل المجمع حسب عادته يوم السبت ، وقام
ليقرأ » (٤ : ١٦) ويقول يوحنا : « أما يسوع فانحنى الى أسفل
وكان يكتب باصبعه على الأرض » (٨ : ٦) ومع أنه كان قارئاً وكاتباً ،
لا يوجد انجيله الصحيح حتى نحكم على أسلوبه ومعانيه .

٣ - « أنت ابرع جمالا من بنى البشر » هذه صفة خاصة بنبي الاسلام .
وعيسى - باعترافهم - لم يكن جميل الوجه « قال اكليمنضدس الاسكندرى :
« ان جماله كان فى روحه ، وفى أعماله ، أما منظره فكان حقيراً » ووصفه
جوستان مارتير قائلاً : « انه كان بلا جمال ولا مجد ولا مهابة » وقال
أوريجانوس : « كان جسمه ضئيلاً خالياً من الجمال » وقال ترتليان :
« أما شكله فكان عديم الحسن الجسمانى . وبالحرى كان بعيداً عن
أى مجد جسدى (٢٢) »

٤ - « انسبكت النعمة على شفيتك » هذا الوصف جدير بالقرآن
الكريم غفيه : « اليوم اكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت
لكم الاسلام ديناً » (المائدة ٣)

٥ - « تقلد سيفك على فخذك . أيها الجبار ، جلالك ، وبهائك .
وبجلالك اقتحم » عيسى عليه السلام لم يتقلد سيفاً ، ولم يضرب عنق
كافر ، بل هو استسلم لاعدائه ، فأهانوه شر اهانة ، وقتلوه شر قتلة
- كما يزعمون - فلا تنطبق هذه العبارة اذا الآ على نبي الاسلام ﷺ .

٦ - « اركب من أجل الحق والدعة والبر » ونبي الاسلام حارب ،
بالمفعل ، من أجل الحق والأمن والسلام . وعيسى عليه السلام لم يحارب .

(٢٢) نقلا عن حياة المسيح . لفردريك ص ١٣٩ - ١٤٠

٧ - « نيلك السنونة في قلب أعداء الملك ، شعوب تحنك يسقطون »
انتصر نبي الإسلام على أعداء الله ، الملك القهار ، ومحا الوثنية من شبه
جزيرة العرب ، وسقط اليهود تحت قدميه ، ووضع أساس القضاء على
الفرس والرومان . وتم القضاء عليهم بالفعل ، ودانوا له .

٨ - « كرسيك يا الله الى دهر الدهور » معناها : الرسالة
التي أعطاه الله تعالى لنبي الإسلام تبقى خالدة الى يوم القيامة ، فالكرسى
اشارة الى الرسالة .

٩ - « قضيب استقامة قضيب ملكك » الشريعة التي جاء بها نبي الإسلام
هي شريعة عادلة . أما عيسى فما كان معه شريعة مستقلة عن شريعة
موسى بن عمران .

١٠ - أحببت البر وأبفضت الأثم . من أجل ذلك مسحك الله الهك
بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك » نبي الإسلام دعا الى الخير ، ونهى عن
الشر ، وفضله الله على سائر الرسل ، وجعله سيد بنى آدم .

١١ - « كل ثيابك من وعود وسليخة » المراد بالمر : السنث . والعود
والسليخة : نوعان من الطيب لهما رائحة زكية . والعود : النباتات
المعروف ، الطيب الرائحة . وهذا اشارة الى أنه صاحب دين يدعوا
الى الطيبات من الرزق .

١٢ - « من قصور العاج سرتك الأوتار » اشارة الى أن نبي الإسلام
سقطته جوارى القصور ، بعد هزيمة الملوك الكافرين وسيغنم أهوالا
طائلة .

١٣ - « بنات ملوك بين حظياتك » اشارة الى زواج الرسول ﷺ
من نساء بنات الملوك وقد تزوج من السيدة صفية بنت حبي ، فانها كانت
بنت سيد بنى النضير وملكهم . والسيدة جويرية بنت الحارث وأبوها كان
مسيدي بنى المصطلق وملكهم .

١٤ - « جعلت الملكة عن يمينك بذهب أوفير » منطقة « أوفير » منطقة عنية بالذهب ، قرب خليج العقبة . وهذه اشارة الى ما يفتح الله لنبي الاسلام من الممالك ، وما يغنمه المسلمون من الأموال .

١٥ - « اسمعى يا بنت وانظرى ، وأميلي أذنك ، وانسى شعبك وبيت أبيك ، فيسئله الملك حسبك . لأنه هو سيدك . فاسجدى له » اشارة الى أن الممالك التي سيدخلها المسلمون فاتحين ، تكون سعيدة بدخولها فى حوزة المسلمين . وينسون بعد الفتح عادات الآباء ، وتقاليد المجتمع الضارة ، ويكتفون بشعائر الاسلام وعاداته . ومعنى السجود : الخضوع للأوامر .

١٦ - « وبنيت صور أغنى الشعوب تترضى وجهك بهدية » تحققت هذه النبوءة فى نبي الاسلام . فقد كان فى ملوك العالم من يترضاه ويهدى اليه . ومنهم النجاشى ملك الحبشة والمقوقس عزيز مصر .

١٧ - « كلها مجد ابنة الملك فى خدرها . منسوجة بذهب ملابسها » اشارة الى ما فتحه الله لنبي الاسلام من البلدان .

١٨ - « بملابس مطرزة تحضر الى الملك . فى اثرها عذارى صاحباتها . مدمات اليك . يحضرن بفرح وابتهاج ، يدخلن الى قصر الملك » اشارة الى الأمم التي تدخل فى حظيرة الاسلام فتقر عينها به .

١٩ - « عوضا عن آباتك يكون بنوك ، تقيمهم رؤساء فى كل الأرض » أتباع نبي الاسلام صاروا حكاما على البلاد . كالدولة الأموية والعباسية . وإلى هذا اليوم أتباع نبي الاسلام رؤساء فى أكثر بقاع الأرض . والعرب قبل الاسلام لم يكن منهم رؤساء على غير العرب .

٢٠ - « أفكر اسمك فى كل دور فدور » ذكر نبي الاسلام مرفوع فى أنحاء العالم ، بين الأحباب والأعداء . وكلما ارتقى الفكر وتقدم العلم

يزداد ذكره . لأن الله تعالى على يديه قد أخرج الناس من الظلمات الى النور .

٢١ - « من أجل ذلك تحمدك الشعوب الى الدهر والأبد » وفي نسخة

الكاثوليك : « لذلك يعترف لك الشعوب الى الدهر والأبد » .

ان لم يكن اشارة خفية على اسمه المبارك ، بدليل اختلاف الترجمة . فهو اشارة واضحة على بقاء شريعته ، ودوام مجده الى يوم الدين . مصداقا لقوله تعالى : « ان الله وملائكته يصلون على النبي ، يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » فالوف الأوف من أمته يصلون ويباركون عليه في الصلوات الخمس دائما وأبدا ، الى انتهاء الدنيا .

والعذارى - كما يقول متى هنرى - أتباع عيسى عليه السلام ، لأن

المثل مضروب فى بيان الاستعداد لاجىء ملكوت السموات ، وهو ينبههم ان يكونوا متيقظين لمعرفة الملكوت . وهنا نجد : خمس عذارى أخذن مصابيحهن ، ومع المصابيح زيت ، يساعد على استمرار نور المصابيح ، وهذا يشبه النصارى الأوائل . فقد كتبوا كتابا فى سيرة عيسى عليه السلام وبيان دعوته ، سموها الأناجيل ، وكانوا لا يؤلهون عيسى ، ولا يعترفون بصلبه ، ويعملون بالتوراة وينتظرون (البرقليط) الذى وعد بمجيئه عيسى الذى هو « أحمد » نبي الاسلام ﷺ . ولما جاء نبي الاسلام هرع اليه هؤلاء النصارى الحقيقيون ، وأسلموا على يديه . وأبرز شاهد على ذلك : فتح العرب لصر ، فقد رحب بمقدم العرب القبط ، وساعدوهم على فتحها .

وهمة هؤلاء العذارى : هى ملاقاته العريس - كما يقول متى هنرى -

رقد حدث هذا لنبي الاسلام . فقد استقبله عقلاء اهل الكتاب استقبالا حسنا ، ومنهم من اتى اليه فى المدينة وصدق بنبوته . يقول المؤرخ اليهودى أبو الحسن السامرى عن بدء ظهور الاسلام : « وكان فى ذلك الوقت ثلاثة رجال منجمين ماهرين فى صناعتهم ، الأول سامرى (من اليهود السامريين)

بواسطة صرماصة من عسكر ، والثانى يهودى ، واسمه كعب الأحبار ،
 والثالث نصرانى راهب ، واسمه عبد السلام . فنظروا فى صناعتهم
 وتنجيهم أن ملك الروم قد زال ، وأن ملك الاسماعيلية ابتداء على يد رجل
 من أولاد اسماعيل من بنى هاشم ، وعلامة فى ظهره ، بين كتفيه شامة
 بيضاء بدور الكف ، وقيل : صفراء . فلما سمعوا بظهوره اجتمعوا ثلاثتهم ،
 وقالوا : نسير وننظر هذا الرجل . فانه هو الذى حكمنا على ظهوره ،
 وأسرنا معه أمرا من جهة ارباب الكتب والمذاهب . لئلا يلحقنا منه ما لحقنا
 من الذين تقدموا . فساروا الثلاثة وجاءوا حتى وصلوا الى المدينة التى
 هو فيها . وقالوا لبعضهم بعض : من يتقدم أولا ؟ فقال كعب الأحبار :
 أنا . فتقدم اليه وسلم عليه ، فرد عليه السلام . وقال له : « من أنت من
 أولاد اليهود ؟ » فقال له : أنا رجل من مقدمى اليهود ، وجدت فى توراتى
 أن يقوم ملك من نسل اسماعيل ويملك الدنيا ولا يقف بين يديه أحد . فتقدم
 عبد السلام بعده ، وقال : هكذا وجدت فى الانجيل . وتقدم اليه صرماصة ،
 وقال له : أنت تدين بدين وسيعة ، وتملك رقاب العالم ، ولنا فيك علامة ،
 وهى بين كتفيك . ففرح محمد بكلامهم ، ونزع ثيابه عن بدنه واذا بشامة
 بيضاء كبيرة بين كتفيه ، فأسلم كعب الأحبار وعبد السلام ، وفرح بهما فرحا
 عظيما ، وأجلسهما الى جانبه (٢٣) « وهذه شهادة من مؤرخ يهودى
 سامرى ، لم يسلم ، ترينا مبلغ استعداد العقلاء من اليهود والنصارى
 لاجئ نبي الاسلام ، فضلا عما استفاضت به كتب المؤرخين عن اسلام
 الكثيرين منهم .

١٨ - الوزنات العشر

النصي : يقول متى « وكأنيما انسان مسافر دعا عبيده وسلمهم أمواله .
 ناعطى واحدا خمس وزنات وآخر وزنيتين وآخر وزنة . كل واحد على قدر
 طااقته وسافر للوقت فمضى الذى أخذ الخمس وزنات وتاجر بها فربح

(٢٣) ص ٢٠ المتاويخ مما تقدم عن الإباء .

خمس وزنات أخرى وهكذا الذي أخذ الوزنتين ربح أيضا وزنتين أخريين وأما الذي أخذ الوزنة فمضى وحفر فى الأرض وأخفى فضة سيده وبعد زمان طويل أتى سيد أولئك العبيد وحاسبهم فجاء الذي أخذ الخمس وزنات وقدم خمس وزنات أخرى قائلا يا سيد خمس وزنات سلمتني هوذا خمس وزنات أخر ربحتها فوقها فقال له سيده : نعماً أيها العبد الصالح والأمين كنت أمينا فى القليل فأقيمك على الكثير ادخل الى فرج سيدك ، ثم جاء الذى أخذ الوزنتين وقال يا سيد وزنتين سلمتني هوذا وزنتان أخريان ربحتهما فوقهما . قال له سيده : نعماً أيها العبد الصالح الأمين . كنت أمينا فى القليل فأقيمك على الكثير ادخل الى فرج سيدك ، ثم جاء أيضا الذى أخذ الوزنة الواحدة وقال يا سيد عرفت أنك انسان قاس تحصد حيث لم تزرع وتجمع من حيث لم تبذر ، فخفت ومضيت وأخفيت وزنتك فى الأرض هوذا الذى لك ، فأجاب سيده وقال له أيها العبد الشرير والكسلان عرفت انى أحصد حيث لم أزرع وأجمع من حيث لم أبزر ، فكان ينبغي أن تضع فضتي عند الصيارفة فعند مجيء كنت أخذ الذى لى مع ربنا . فخذوا منه الوزنة واعطوها للذى له العشر وزنات لأن كل من له يعطى فيزداد ومن ليس له فالذى عنده يؤخذه منه ، والعبد البطال اطرحوه الى الظلمة الخارجية هناك يكون البكاء وصرير الاسنان » (٢٥ : ١٤ - ٣٠)

الشرح والبيان

مغزى المثل : هو الاستعداد والترقب للمكوت السموات ، وقد ضربه عيسى بعد مثل عرس ابن الملك ، وقال بعده : « ومتى جاء ابن الانسان فى مجده ، وجميع الملائكة القديسين معه ، فحينئذ يجلس على كرسى مجده ، ويجتمع أمامه جميع الشعوب ، فيميز بعضهم من بعض ، كما يميز النراعى الخراف من الجداء ، فيقيم الخراف على يمينه ، والجداء على يساره ، ثم يقول الملك للذين عن يمينه : تعالوا يا مباركى أبى ، رثوا المكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم » (متى ٢٥ : ٣١ - ٣٤) وهذا يدل بوضوح على أن ابن الانسان الذى أشار اليه دانيال النبى ، متى

جاء في عظّمته ويصحّته أتباعه الأطهار الشبيهين بالملائكة ، ويتم له السلطان على الأرض : سيميز الأختيار من الأشرار ، كما يميز الزاعي الخراف من الجداء ، وسوف يهلك الأشرار ، وأما الأختيار فسيجلسهم معه ، ويقول لهم : ربوا الكوت المعد لكم من قديم الزمان .
وينوب عنه من بعده أتباعه ، السائرين على سنته ، والعملين بشريعته .

ويعرض متى هنرى وجهة نظر النصارى . فيقول : « فى هذا المثل نرى : ١ — أن السيد هو المسيح ، الذى هو صاحب حق الملك المطلق ، لكل الأشخاص والنفوس ، سيما لكنيستته ، فكل الأشياء سلمت ليديه ٢ — والمعبيد هم المسيحيون »

ونرد عليه : ان السيد رمز لله عز وجل ، وعيسى عبد من عباده الصالحين . والمعبيد رمز للأهم قبل عيسى . وقوله : ان الغبيد هم المسيحيون : قول ظاهر الخطأ . لأن المثل مضروب لما قبل عيسى ، ومهغزة : لمن يأتى من بعده . والمعبيد منهم ١ — من أخذ خمس وزنات ، وربح مثلهن ٢ — ومن أخذ وزنتين . وربح مثليهما ٣ — ومن أخذ وزنة واحدة ، وأخفاها . أما صاحب الخمس وصاحب الوزنتين : فرمز للأهم من قبل اليهود ، ففى القرآن الكريم : « وان من أمة إلا خلا فيها نذير » والمعبيد الذى أخذ الوزنة وأخفاها : فرمز لليهود ، فقد أنزل الله عليهم التوراة ، وأمرهم أن يعملوا بها وأن يهدوا بتعاليمها . فقصرها اليهود على أنفسهم ، بالرغم من أنه مكتوب فيها : « واذا نزل عندك غريب فى أرضكم فلا تظلموه ، كالوطنى منكم ، يكون لكم ، الغريب النازل عندكم ، وتحبه كنفسك ، لأنكم كنتم غرباء فى أرض مصر » (لاويين ١٩ : ٣٣ — ٣٤) ومعنى وضعها عند الصيارفة : إشارة الى أن يضع اليهود علمهم الالهى فى أماكن العلم لدى المشتغلين به ، كسائر الكتب التى تدرس .

ونجد فى محاسبة العبيد المكسول ما يتم عن طباع اليهود : ١ — فهو قد اعتذر عن نفسه . وهذا الاعتذار يتم عن عواطف عدو ، واليهود أعداء الله . والدليل على ذلك من المثل : قول العبيد الشرير : « عرفت أنك انسان

قاس « وهذا يشبه القول المسمى الذى صرح به بيت اسرائيل فقد جاء فى التوراة : « وبيت اسرائيل يقول : ليست طريق الرب مستوية . اطرفى غير مستقيمة يا بيت اسرائيل ؟ اليست طرقكم غير مستقيمة ؟ من أجل ذلك اقضى عليكم يا بيت اسرائيل . كل واحد كطرفه ، يقول السيد الرب » (حزقيال ١٨ : ٢٩ - ٣٠) ب — وأنته تكلم بجرأة ووقاحة على الله : اذ قال : « عرفت أنك ... » ولذلك نظير فى التوراة . يقول الله لليهود على لسان ارمياء : « ماذا وجد فى آباؤكم من جور ، حتى ابتعدوا عنى وساروا وراء الباطل ، وصاروا باطلا ... الكهنة لم يقولوا أين هو الرب ؟ واهل الشريعة لم يعرفونى » (ارمياء ٢ : ٥ - ٧)

ولقد وجهت اليه تهمةتان : أ — الكسل « أيها العبد الشرير والكسلان » ب — اهانتة الله واتهامه اياه ، بأنه يأخذ ما ليس له . ويرد الله عليه بما يشاكل تفكيره — والله المثل الأعلى — فيقول : « عرفت انى أحصد حيث لم أزرع ... فكان ينبغى أن تضع فضتى عند الصيارفة » ويمكن فهم هذه العبارة على ثلاثة أوجه حسب ظاهر النص الذى يظهر تقاليد اليهود فى المعاملة . **الأول** : هب اننى سيد قاسى . أما كان ينبغى من أجل هذا أن تكون أكثر اجتهادا ، وأوفر حرصا على ارضائى . ان لم يكن لأنك تحبنى ، فعلى الأقل لأنك تخشائى . ومن أجل هذا أفما كان ينبغى أن تلتفت الى عمك ؟ **الثانى** : ان كنت تظن أننى سيد قاس ، ولذلك لم تجرؤ على المتاجرة بأموالى ، خشية أن تخسر فيها ، ثم تطالب بتعويض الخسارة . فانه كان فى إمكانك أن تضعها عند الصيارفة أو فى المصارف ، وعند مجيئى كنت آخذ أقل ربح من تشغيلها عند الصيارفة ، وبذا آخذ الذى لى مع ربا ، ان لم يكن ممكنا أن أحصل على أكبر ربح بتشغيلها فى التجارة ، كما كان الحال فى أمر الوزنات الأخرى . **الثالث** : هب اننى حصدت ما لم أزرع ، ولكن هذا لا يعنك ، فاننى زرعت فيك ، والوزنة التى أوثمنت عليها ، هى ملكى ، وأنت لم تأخذها لى تحفظها ، بل لى تنميتها .

والغرض من العبارة : هو وضع التوراة عند المشتغلين بالعلم من الأمم كالفلاسفة والصلحين وغيرهم ليتداولوا معانيها كتداول الصيارفة للنقود ، اذا لم يريدوا دعوة الأمم بها .

ولقد حكم على العبد الكسلان — وهو رمز لليهود — بحكمين :

الأول : الحرمان من وزنته . لقد قال : « فخذوا منه الموزنة » ان الله عز وجل له مطلق التصرف في الكون ، وقد أخذ الموزنة من العبد الكسلان ، كما لك حر التصرف في ملكه ، وليس أخذها منه ظلم للعبد ، فهو لم يؤد بها الحق المطلوب ، الذي ينبغي أن يكون . وهذا ينطبق على اليهود ، فان الله أعطى الشريعة لهم ، ليس ليقصروها على أنفسهم ويحرموا غيرهم من الفوز برضوان الله . بل أعطاهم لهم ليكونوا معلمين في الأرض ، ولما أخذ الموزنة من العبد الكسلان أعطاهم لغيره ، أعطاهم للمجد النشيط ، وهذا ما حدث : فان الله عز وجل سلب الشريعة من بنى اسرائيل ، وسلمها لبنى اسماعيل عليه السلام كما في الاتجيل : « هكذا يكون الآخرون أولين ، والأولون آخرين ، لأن كثيرين يدعون وقليلين ينتخبون » (متى ٢٠ : ١٦)

وجاء في حيثيات الحكم : « كل من له يعطى فيزداد ، ومن ليس له ، فالذى عنده يؤخذ منه » أى : من سيدعى أنه صاحب الملكوت سيؤخذ منه رغم أنه ، ويعطى لصاحبه . ثم يزيده الله من فضله ، وقد ادعى النصراني أنهم أصحاب الملكوت . وهم ليسوا بأصحابه لأن عيسى عليه السلام من اليهود وهو يضرب المثل بالعبد الكسلان لسلب الملكوت من اليهود ، **والحكم الثانى على العبد الكسلان :** هو « اطرحوه الى الظلمة الخارجية » وهذا التعبير كناية عن العذاب الذى يصيب اليهود فى نهاية مجدهم على يد نبي الاسلام ﷺ والتاريخ يقول : انه لما جاء حارب اليهود فى شبه الجزيرة العربية وانتصر عليهم ، وفى خلافة عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — استولى المسلمون على بلاد الشام واقاموا المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .

١٩ — مثل العشاء العظيم

مقدمة المثل :

يروى لوقا : « وقال أيضا للذى دعاه : اذا صنعت غداء أو عشاء ، فلا تدع أصدقاؤك ولا أخوتك ولا أقرباءك ولا الجيران الأغنياء ، لئلا يدعوك هم أيضا . فتكون لك مكافأة . بل اذا صنعت ضيافة فادع المساكين ، الجدد العرج العمى . فيكون لك الطوبى ، اذ ليس لهم حتى يكافؤك . لأنك تكافىء فى قيامة الأبرار .

فلما سمع ذلك واحد من المتكئين ، قال له : طوبى لمن يأكل خبزا في ملكوت
الله . فقال له : انسان صنع عشاء عظيما ودعا كثيرين »

النص : « انسان صنع عشاء عظيما ودعا كثيرين وأرسل عبده في
ساعة العشاء ليقول للمدعويين : تعالوا لأن كل شيء قد أعد . فابتدا الجميع
برأى واحد يستعفون . قال له الأول : انى اشتريت حقلا وأنا مضطر أن أخرج
وانظره . أسألك أن تعفينى . وقال آخر : انى اشتريت خمسة أزواج بقر ،
وأنا ماض لأمحنها . أسألك أن تعفينى . وقال آخر : انى تزوجت بامرأة
فلذلك لا أقدر أن أجيء . فأتى ذلك العبد وأخبر سيده بذلك . حينئذ غضب
رب البيت وقال لعبده : أخرج عاجلا الى شوارع المدينة وأزقتها وأدخل
الى هنا ، المساكين والجدة والمرج والعمى . فقال العبد : يا سيد
قد صار كما أمرت ، ويوجد أيضا مكان . فقال السيد للعبد : أخرج
الى الطريق والسيارات ، وألزمهم بالدخول حتى يمتلئ بيتى . لأنى أقول
لكم : انه ليس واحد من أولئك الرجال المدعويين يذوق عشائي » (لوقا
١٢ : ١ - ٢٤)

الشرح والبيان

هذا المثل يشبه مثل عرس ابن الملك . والغرض منه : تغيير الشريعة ،
وانتقالها الى بنى اسماعيل عليه السلام ، وهذا المثل ذكره لوقا وحده
على غرار ما ذكره متى في عرس ابن الملك . الا أنه أنقص منه حال
الرجل الذى دخل العرس بغير ملابس تليق به وتوبيخ الملك اياه بسبب
ملابسه .

٢٠ - مثل الخروف الضال

النص :

يروى متى عن المسيح عليه السلام أنه قال : « انظروا لا تحتقروا
احد هؤلاء الصغار . لأنى أقول لكم : ان ملائكتهم فى السموات كل حين ،
ينظرون وجه أبى الذى فى السموات . لأن ابن الانسان قد جاء لكى

يخلص ما قد هلك . ماذا تظنون ؟ إن كان لانسان مئة خروف ، وضل واحد منها . أفلا يترك التسعة والتسعين على الجبال ، التي لم تضل ؟ هكذا ليست مشيئة أمام أبيكم الذى فى السموات ، أن يهلك أحد هؤلاء الصغار » (متى ١٨ : ١٠ - ١٤ ، لوقا ١٥ : ١ - ٧ ، برنابا ٢٠١ : ١٤ - ١٧)

الشرح والبيان

المغرض من هذا المثل : هو فرح الله عز وجل بتوبة الخاطيء . وسياق المثل عند متى ، يختلف عما ذكره لوقا . فهو عند متى ورد بعد سؤال تلاميذه له : « من هو أعظم فى ملكوت السموات ؟ فدعا يسوع اليه ولدا وأقامه فى وسطهم ، وقال : الحق أقول لكم : ان لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات ، فمن وضع نفسه مثل هذا الولد فهو الأعظم فى ملكوت السموات » (متى ١٨ : ١ - ٤) انه بحث على التواضع ثم يبين أن الملكوت للآتين فى المستقبل ، وأن الله يفرح بالداخل فيه ، سواء كان بارا أو خاطئا ، وسواء كان عبدا أو حرا ، وسواء كان يهوديا أو غير يهودى ، بشرط التوبة والاستعداد للعمل بالشريعة . وهذا المثل عند لوقا ، ورد أثناء اقتراب جمع من جبلة الضرائب وهم خطاة فى نظر اليهود - وقد تذمر علماء اليهود الفريسيين من عيسى عليه السلام . لما اقتربوا منه « قائلين : هذا يقبل خطاة ويأكل معهم » (لوقا ١٥) وعندئذ نطق بالمثل ، وذكره بعده لوقا : مثل الدرهم المفقود ، ومثل الابن الضال ، فى نفس الأصحاح ، لنفس المغرض والمهدف بينهما ذكر متى مثلا واحدا هو مثل العبد الذى لم يغفر لزميله ، وصدره بقوله : « يشبه ملكوت السموات » وهذا يدل على أن هذه الأمثلة تهدف إلى الملكوت ، الذى سيسلب من بنى اسرائيل ، على يد نبي الاسلام ﷺ .

ويعرض متى هنرى وجهة نظر النصارى فى الأمثال الثلاثة التى ذكرها لوقا بترتيب . وهى : مثل الخروف الضال ، ومثل الدرهم المفقود ، ومثل الابن الضال . فيقول : « نجد فى هذا الاصحاح : أن تذمر الكتبة والفريسيين

على تعبة المسيح ، وعلى العطف الذي أظهره نحو العشارين والخطاة ، أعطى فرصة لكشف تلك النعمة بأجلى وضوح . الأمر الذي ربما لا يمكن ممكنًا أن يتم بغير هذه الأمثال الثلاثة ، التي نجدُها في هذا الإصحاح . التي تهدف الى هدف واحد ، وتبين ليس فقط ما قاله الله ، وحلف به في العهد القديم ، إنه لا يسر بموت وهلاك الخطاة ، بل إنه يسر جدا برجوعهم وتوبتهم (٢٤) »

وليس من اعتراض على وجهة نظر النصارى هذه ، فإن جميع الناس عباد الله ، كلهم لآدم ، وآدم من تراب . لكن الاعتراض موجه الى زعمهم : أن دعوة الأمم تكون بالإنجيل ، وعبادة الأمم تكون بما في الإنجيل لما بينا من قبل ، ولما سنتبين في الأمثلة التالية . أن الدعوة تكون بما في القرآن والعبادة تكون بما في القرآن .

٢١ - مثل الابن الضال

النص :

يروى لوقا : « انسان كان له ابنان . فقال اصغرها لأبيه : يا أبى اعطني القسَم الذي يصيبني من المال . فقسم لهما معيشته . وبعد أيام ليسبت بكثيرة جمع الابن الأصغر كل شيء وسافر الى كورة بعيدة . وهناك بذر ماله بعيش مسرف . فلما أنفق كل شيء ، حدث جوع شديد في تلك الكورة ، فابتدأ يحتاج . فمضى . والتصق بواحد من أهل تلك الكورة فأرسله الى حقوله ليرعى خنازير ، وكان يشتهي أن يملأ بطنه من الخرنوب الذي كانت الخنازير تأكله . فلم يعطه أحد . فرجع الى نفسه وقال : كم من أجير لأبى يفضل عنه الخبز ، وأنا أهلك جوعا . أقوم وأذهب الى أبى وأقول له : يا أبى أخطأت الى السماء وقدامك ، ولسبت مستحقا بعد أن ادعى لك ابنا . اجعلني كأحد أجراك . فقام وجاء الى أبيه . واذ كان لم يزل بعيدا رآه أبوه ، فتحزن وركض ووقع على عنقه وقبله . فقال له الابن : يا أبى أخطأت الى السماء وقدامك ، ولسبت

(٢٤) ص ٢٧٠ تفسير لوقا ج ٢

مستحقا بعد أن ادعى لك ابنا . فقال الأب لعبيده : أخرجوا الحلة الأولى
والبسوه ، واجعلوا خاتما فى يده ، وحذاء فى رجليه ، وقدموا العجل
المسمن واذبحوه فئاكل ونفروح ، لأن ابنتى هذا كان ميتا فعاش ، وكان
ضالا فوجد . فابتدأوا يفرحون .

وكان ابنه الأكبر فى الحقل . فلما جاء وقرب من البيت سمع
صوت آلات طرب ، ورقصا . فدعا واحدا من الغلمان ، وسأله :
ما عسى أن يكون هذا ؟ فقال له أخوك جاء ، فذبح أبوك العجل المسمن .
لأنه قبله سالما . فغضب ، ولم يرد أن يدخل . فخرج أبوه يطلب اليه .
فأجاب ، وقال لأبيه : ها أنا أخدمك سنين ، هذا عددها ، وقط لم أتجاوز
وصيتك ، وجديا لم تعطينى قط ، لأفرح مع أصدقائى . ولكن لما جاء
ابنك هذا ، الذى أكل معيشتك مع الزواني ذبحت له العجل المسمن .
فقال له : يابنى أنت معى فى كل حين ، وكل مالى فهو لك ، ولكن
كان ينبغى أن نفرح ونسر لأن أخاك هذا ، كان ميتا فعاش ، وكان
ضالا فوجد » (لوقا ١٥ : ١١ - ٣٢ ، برنابا ١٤٦ و ١٤٧)

الشرح والبيان

المفروض من هذا المثل - كسابقه - وهو أن الله يقبل الأمم فى ملكوت
السموات ، ويرحب بهم عند توبتهم . وهذا المثل نلاحظ فيه ملاحظتين
هامتين :

الأولى : ان هذا المثل يمثل الله عز وجل - والله المثل الأعلى - أبا عاما
لكل البشرية ، أبا لكل بنى آدم - كما فى التوراة - ففى سفر ملاخى :
« اليس أب واحد لكننا ؟ اليس اله واحد خلقنا » (ملا ٢ : ١٠) ويشير
عيسى بذلك للفريسيين المتكبرين الذين يأنفون من مخالطة الأمم ، مبينا لهم :
أنهم أخوة لهؤلاء الخطاة من الأمم . فليس الله الها لليهود فقط بل للأمم
أيضا .

والثانية : ان هذا المثل يظهر بنى البشر مختلفى الصفات . فقد كان

لذلك الأب ابنان : أحدهما : شاب متحفظ عبوس ، لا يحسن معاملة الذين حوله وهذا الابن يشير الى اليهود . **وثانيهما** : شاب متقلب ، فرار ، لا يمكن كبح جماحه ، وهذا الابن يشير الى الأمم . هذا تفسير . وقد يكون التفسير هكذا : الأب رمز لإبراهيم عليه السلام . والابنان : رمز عن اسماعيل واسحق عليهما السلام . ليس لهما أنفسهما ، بل لنسليهما . وهما العرب واليهود . وهذا التفسير أرجح من التفسير الأول ، لان الملكوت كان أولا في نسل اسحق ، والمسيح يقول : انه سينتقل الى نسل اسماعيل . وهو نسل ما جاءهم من نذير قبل محمد ﷺ . وجاءهم بعد فترة من الزمن ، عم فيها الظلم والفساد لدرجة الحزن الشديد لانجاب البنات . كما جاء في القرآن الكريم : « **واذا بشر أحدهم بالأنثى ، ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ؟ الاساء ما يحكمون »** (النحل ٥٨ - ٥٩)

والتاريخ يثبتنا : أن من نسل اسماعيل من قد شبع من الاثم ، وافتخر به . ثم فر منه الى طلب الحق . ومن نسله من كان يبحث عن الدين الصحيح ، وهم الحنفاء . وكان النبي ﷺ من الضالين . فهده الله عز وجل . ومن عليه بقوله : « **ووجدك ضالا فهدى »** (الضحى ٧)

والمثل يبين أن الابن الأصغر رمز للأمم ، وان الابن الأكبر رمز لليهود الذين قصدهم عيسى بعدم التكبر عن دخولهم الملكوت مع الأمم . وهم الأكبر لأن الشريعة بدأت بهم وظلت معهم حقبة طويلة من الزمان . يقول **مقي هنرى** : « **هنا نجد تدمير وحسد الابن الأكبر . الأمر الذي قصد به توبيخ المكتبة والمفريسيين ، واطهار حماقتهم وشرمهم ، بسبب تدميرهم من أجل توبة وتجديد العشارين والخطاة »** ويستطرد قائلا : « **اننى أعتقد بأن هذا الابن الأكبر لم يكن صادقا فيما قاله ، حينما افتخر بأنه لم يتجاوز وصية أبيه قط ، والا لما وقف موقف العناد أمام توسل أبيه »** ثم يقول في نهاية شرحه : « **اما المكتبة والمفريسيون ، الذين قيل هذا المثل لاقناعهم بصفة مبدئية ، فالأرجح جدا**

أنهم استمروا في كراهيتهم للخطاة من الأمم (٢٥) » وهكذا نجد ما ذكره عيسى عن تكبر علماء اليهود ، متطابقا مع الواقع التاريخي ، فإنه لما جاءت النبوة لبني اسماعيل واستيقنوا بنبوة نبي الإسلام « لما جاءهم ما عرفوا كفروا به » كما في القرآن و « غضب ولم يبره أن يدخل » كما في الانجيل .

٢٢ - مثل الدرهم المفقود

النص :

يقول لوقا : « أو أية امرأة لها عشرة دراهم ، إن أضاعت درهما واحدا ، إلا توقد سراجا وتكنس البيت وتفتش باجتهاد حتى تجده ، وإذا وجدته تدعو الصديقات والجارات قائلة : افرحن معي ، لأنى وجدت الدرهم الذى أضعته . هكذا أقول لكم : يكون فرح قدام ملائكة الله بخاطيء واحد يتوب » (لوقا ١٥ : ٨ - ١٠)

الشرح والبيان

هذا المثل ذكره لوقا ، بعد مثل الخروف الضال ، وذكر بعده مثل الابنين . والغرض واحد وهو قبول الأمم في ملكوت السموات ، مع أبناء ابراهيم عليه السلام .

٢٣ - مثل الغنى والعازر

تمهيد : قال المسيح : « كان الناموس والأنبياء الى يوحنا . ومن ذلك الوقت يبشر بملكوت الله ، وكل من واحد يفتصب نفسه اليه » (لوقا ١٦ : ١٦) ثم ضرب مثل الغنى والعازر ، ليبين به أن الحق واضح ومع وضوحه لا يقبله السفهاء من الناس . وأن العقلاء يجب عليهم تقديم مرضاة الله على مطالب الجسد .

يقول لوقا : « كان انسان غنى . وكان يلبس الأرجوان والبرز ، وهو يتنعم كل يوم مترفا ، وكان مسكين اسمه لعازر ، الذى طرح عند

بابه ، مضروبا بالقروح ، ويشتهى أن يشبع من الفتات المساقط من مائدة الغنى ، بل كانت الكلاب تاتى وتلحس قروحه . فمات المسكين وحملته الملائكة الى حضن ابراهيم ، ومات الغنى أيضا ودفن . غرغ عينييه فى الهاوية وهو فى العذاب ورأى ابراهيم من بعيد ، ولعازر فى حضنه . فنادى وقال : يا أبى ابراهيم ارحمنى ، وأرسل لعازر ، ليبل طرف اصبعه بماء ويبرد لسانى ، لأنى معذب فى هذا اللهب . فقال ابراهيم : يا ابنى اذكر أنك استوفيت خيراتك فى حياتك ، وكذلك لعازر البلىا ، والآن هو يتعزى وأنت تتعذب . وفوق هذا كله بيننا وبينكم هوة عظيمة قد أثبتت . حتى أن الذين يريدون العبور من ههنا اليكم لا يقدرُونَ ، ولا الذين من هناك يجتازون الينا . فقال أسالك اذا يا أبى أن ترسله الى بيت أبى ، لأن لى خمسة أخوة ، حتى يشهد لهم ، لكى لا يأتواهم أيضا الى موضع العذاب هذا . قال له ابراهيم : عندهم موسى والأنبياء ليسمعوا منهم . فقال : لا يا أبى ابراهيم . بل اذل مضى اليهم واجد من الأوت يتوبون ، فقال له : ان كانوا لا يسمعون من موسى والأنبياء ، ولا ان قام واحد من الأموات يصدقون » (لوقا ١٦ : ١٩ - ٣١ ، برنابا ٢٤ : ٣ - ١٨)

الشرح والبيان

ذكر برنابا فى انجيله هذا المثل ، على النحو الذى ذكره لوقا . وذكر برنابا قبله أن المسيح قال : « ان الروح فى كثيرين نشيط فى خدمة الله . أما الجسد فضعيف ، فيجب على من يخاف الله أن يتأمل ما هو الجسد ؟ وأين كان أصله ؟ وأين مصيره ؟ من طين الأرض خلق الله الجسد ، وفيه نفخ نسمة الحياة ، بنفخة فيه . فمتى اعترف الجسد خدمة الله ، يجب أن يمتهن ويداس كالطين . لأن من يبغض نفسه فى هذا العالم ، يجدها فى الحياة الأبدية . أما ماهية الجسد الآن ، فواضح من رغائبه : أنه العدو الألد ، لكل صلاح . فانه وحده يتوق الى الخطيئة . يجب اذن على الانسان مرضاة لأحد أعدائه أن يترك مرضاة الله خالقه ؟ تأملوا هذه : ان كل القديسين والأنبياء كانوا أعداء جسد خدم الله ،

لذلك جروا بطيب خاطر الى حتفهم ، لكي لا يتعدوا شريعة الله المعطاة
لموسى عبده ، ويخدعوا الالهة الباطلة الكاذبة »

ثم نطق المسيح بالمثل وقال عقبه : « انظروا . اليس الفقراء
الصابرون : مباركين . الذين يشتهون ما هو ضرورى فقط ، كارهين
الجسد . ما أشقى الذين يحملون الآخرين للدفن ، ليعطوا أجسادهم
طعاما للودد ، ولا يتعلمون الحق »

وما ذكره برنابا قبل نص المثل عن المسيح ، وما ذكره عقبه ، مثل
ما يقوله النصارى فى مغزى المثل . ولكن بوضوح .

انهم يقولون « كما أظهر أمامنا مثل الابن الضال نعمة الانجيل المشجعة
لنا أجمعين . هكذا يظهر أمامنا هذا المثل ، موضوع تأملنا الآن ، وهو
الغضب الآتى . وقد قصد به أن يوقظنا (٢٦) » وحديث المسيح عن امتهان
الجسد ، يوقظ به ضمائر علماء بنى اسرائيل . قائلًا : اذا جاءكم صاحب
المكوت وأنتم فى رفاهية من العيش ، فلا تحملنكم الرفاهية على التخلّى
عنه . بل آمنوا به وجاهدوا معه فى سبيل الله . والا تفعلوا فسيحل عليكم
غضب من ربكم .

٢٤ — مثل العبد المطيع

النص :

يقول لوقا : « من منكم له عبد يحرث أو يرعى . يقول له اذا دخل من
الحقل : تقدم سريعاً واتكئ ؟ بل ألا يقول له : اعدد ما أتعشى به وتمنطق
حتى أكل وأشرب ، وبعد ذلك تأكل وتشرب أنت . فهل لذلك
العبد فضل لأنه فعل ما أمر به ؟ لا أظن . كذلك أنتم أيضاً متى فعلتم كل
ما أمرتم به ، فقولوا : اننا عبيد بطلون . لأننا انما عملنا ما كان يجب
علينا » (١٧ : ٧ — ١٠)

(٢٦) ص ٤٢ ج ٣ تفسير لوقا .

الشرح والبيان

ذكر لوقا هذا المثل بعد قوله عليه السلام : « وان أخطأ اليك أخوك فوبخه ، وان تاب فاغفر له ، وان أخطأ اليك سبع مرات في اليوم ، ورجع اليك سبع مرات في اليوم ، قائلاً : أنا تائب فأغفر له » وعند متى بعد هذا القول : مثل العبد الذى لم يغفر لزميله . والغرض من هذا المثل : هو أداء الواجب ، والاجتهاد فى أدائه ، نحو أهل الملكوت ، بدون مقابل منهم .

يقول متى هنرى « اهتمامنا الرئيسى هنا ، هو أن نؤدى الواجب الذى ترضه علينا علاقتنا بسيدينا ، ونترك له أن يمتعنا ببركات اتمام هذا الواجب ، بالكيفية التى يراها هو (٢٧) » .

ونقول : ان ذلك الاجتهاد من عيسى وأتباعه هو للدعوة الى مجيء نبي الاسلام صاحب الملكوت الذى تحدث عنه دانيال . وهذا الملكوت هو الذى يحث عيسى أتباعه على التبشير به باجتهاد كما كان يبشر .

٢٥ - مثل الفنى الغبى

النص :

يقول لوقا : « وقال لهم : انظروا وتحفظوا من الطمع ، فانه متى كان لأحد كثير ، فليست حياته من أمواله . وضرب لهم مثلاً قائلاً : انسان غنى أخصبت كورته . ففكر فى نفسه . قائلاً : ماذا أفعل ؟ لأن ليس لى موضع أجمع فيه أثمارى . وقال : أعمل هذا : أهدم مخازنى ، وأبنى أعظم وأجمع هناك جميع غلاتى وخيراتى . وأقول لنفسى : يا نفس لك خيرات كثيرة موضوعة لسنين كثيرة . استريحى وأشربى وأفرحى . فقال له الله : يا غبى هذه الليلة تطلب نفسك منك . فهذه التى أعدتها . لمن تكون ؟ هكذا الذى يكثر لنفسه وليس هو غنياً لله » (لوقا ١٢ : ١٥ - ٢١)

(٢٧) ص ٩ ج ٣ انجيل لوقا .

الشرح والبيان

هذا المثل ضربه المسيح لليهود . ليبين لهم أن استغنائهم عن الملوكوت الآتى بما استعدوا به للصداعة ، لن يفيدهم شيئا . وقد أشار بقوله : « هكذا الذى يكثر لنفسه ، وليس هو غنيا لله » الى هلاكهم على يد صاحب الملوكوت .

والدليل على أن هذا المثل للملوكوت السموات : هو : أن المثل مسوق وسط حديث طويل لعيسى عليه السلام عن الملوكوت أمام جموع اليهود والتلاميذ . وفى نهاية الحديث يقول للتلاميذ : « لا تطلبوا انتم ما تاكلون وما تشربون ، ولا تعلقوا . فان هذه كلها تطلبها أمم العالم ، واما انتم فأبوكم يعلم انكم تحتاجون الى هذه ، بل أطلبوا ملكوت الله . وهذه كلها نزاد لكم . لاتخف أيها القطيع الصغير ، لأن أباكم قد سر أن يعطيكم الملوكوت يبعوا ما لكم وأعطوا صدقة . اعطوا لكم اكياما لا تغنى ، وكثرا لا ينفد فى السموات ، حيث لا يقرب سارق ، ولا يبلى سوس ، لأنه حيث يكون كنزكم ، هناك يكون قلبكم أيضا » (لوقا : ١٢ : ٢٩ - ٣٤) يريد أن يقول لأتباعه : لانهتموا بالسعى الحثيث فى طلب الرزق . بل اهتموا بالدعوة الى اقتراب ملكوت السموات وعرفوا الناس بصاحبه . فان الله يرزق من يشاء بغير حساب . والنص اليونانى لعبارة « هذه الليلة تطلب نفسك منك » هكذا « يطلبون نفسك منك » (٢٨) ومعناها : أن هناك جيوشا مهيأة لمعاينة علماء اليهود بالقتل ، بسبب استغنائهم بمالهم ، عن اجابة داعى الله . ولقد تحقق هذا المثل فى مجىء نبي الاسلام ﷺ فان علماء اليهود لما منعوا هداية الله عن الناس ، وأنكروا النبوءات الدالة على صدق نبي الاسلام من التوراة ، وحرضوا كفار مكة على قتل النبي ﷺ ، لما فعلوا ذلك حاربهم نبي الاسلام ﷺ وانتصر عليهم . ولم تمنعهم منه الحصون ولا الأموال .

وكانوا قد ظنوا « أنهم مانعتهم حصونهم من الله ، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، وقذف فى قلوبهم الرعب . يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين » .

(٢٨) ص ١٨١ ج ٢ تفسير لوقا .

تمهيد :

يذكر لوقا أن عيسى عليه السلام قال لليهود وهو يبين لهم اقترب ملكوت السموات : « إذا رأيتم السحاب تطلع من المغرب ، فلووقت تقولون : انه يأتي مطر . فيكون هكذا . وإذا رأيتم ريح الجنوب تهب ، تقولون : انه سيكون حر ، فيكون . يا مراؤون تعرفون أن تميزوا وجه الأرض والسماء ، وأما هذا الزمان فكيف لا تميزونه ؟ ولماذا لا تحكون بالحق من قبل نفوسكم ؟ ... وكان حاضرا في ذلك الوقت قوم يخبرونه عن الجليليين الذين خلط ببلاطس دمهم بذبائحهم . فأجاب يسوع ، وقال لهم : اتظنون ان هؤلاء الجليليين كانوا خطاة أكثر من كل الجليليين ، لأنهم كابدوا مثل هذا ؟ كلا أقول لكم : بل ان لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون . أو أولئك الثمانية عشر الذين سقط عليهم البرج في سلوام وقتلهم : اتظنون أن هؤلاء كانوا مذنبين أكثر من جميع الناس الساكنين في أورشليم ؟ كلا أقول لكم . بل ان لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون . وقال هذا المثل :

الفص :

« كانت لواحد شجرة تين مغروسة في كرمه ، فأتى يطلب فيها ثمرًا ، ولم يجد فقال للكرايم : هوذا ثلاث سنين أتى أطلب ثمرًا في هذه التينة ولم أجد ؟ اقطعها . لماذا تبطل الأرض أيضا ؟ فأجاب وقال له : يا سيد اتركها هذه السنة أيضا ، حتى أنقب حولها وأضع زبلا . فان صُنِغَت ثمرًا ، والا ففينا بعد نقطعها » (لوقا ١٢ : ٥٤ - ٥٧ / ١٣ : ٦ - ٩ برنابا ١١٣ : ٨ - ١٨)

الشرح والبيان

ذكر برنابا هذا المثل ، كما ذكره لوقا . وذكر برنابا في نهايته ان تلاميذ المسيح طلبوا منه تفسير المثل . فأجاب بما نصه :

« الحق أقول لكم : ان صاحب الملك هو الله . والكرام شريعته . فكان عند الله اذن في الجنة : النخل والبلسان . لأن الشيطان هو النخل ، والانسان الأول هو البلسان . فطردهما كليهما . لأنها لم يحمل ثمرًا من الأعمال الصالحة ، بل فاها بالفاظ غير صالحة ، كانت قضاء على ملائكة وأناس كثيرين . ولما كان الله قد وضع الإنسان في وسط خلائقه التي تعبده كلها بحسب أمره ، فاذا كان كما قلت لا يحمل ثمرًا فان الله يقطعها ويدفعه الى الجحيم ، لأنه لم يغف عن الملاك ، والانسان الأول ، فنكل بالملاك تنكيلا أبديا وبالانسان الى حين .

فتقول من ثم شريعة الله : ان للانسان طبيبات أكثر مما يجب في هذه الحياة . فوجب عليه اذن أن يحتمل المضييق ويحرم من الطبيبات المعالية ، ليعمل أعمالا صالحة . وعليه : فان الله يمهّل الانسان ليتوب . الحق أقول لكم : ان الهنا قضى على الانسان بالعمل ، للغرض الذي قاله أيوب خليل الله وبنيه : كما أن الطير مولود للطيران ، والسمك للسياحة . هكذا الانسان مولود للعمل » (برنابا ١١٤ : ١ - ٩)

والغرض من المثل : هو هلاك اليهود ، لأنهم لم يعملوا في حقل الدعوة الى الله . ويقول النصارى بذلك . ثم يزعمون ان الملكوت الآتى سيكون مع عيسى وأتباعه من اليهود والأمم . ويزعمون أيضا أن هلاك اليهود كان على يد تيطوس الروماني سنة ٧٠ ميلادية . وتأسس الملكوت في العالم من ذلك الحين . وفاتهم ان تيطوس لم يكن على دين المسيح ولا على دين اليهود .

يقول متى هنري : « قصد بهذا المثل : تعزيز كلمة التحذير ، التي قيلت قبل ذلك مباشرة » ان لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون » ان لم تغيروا حياتكم هلكتم كشجرة التين التي ان لم تعط ثمرًا قطعت . ويشير هذا المثل بصفة مبدئية الى أمة وشعب اليهود . لقد اختارهم الله ليكونوا خاصته ، جعلهم شعبا قريبا له ، وأعطاهم امتيازات لمعرفته وعبادته أكثر من الشعوب الأخرى ، وكان يتوقع منهم نظير هذه ، الطاعة التي اذ تؤدي الى سبحه

وكرامته ، حسبها ثمرا . لكنهم خيبروا آماله ، فلم يؤدوا واجبههم ، وصاروا عارا على ديانتهم ، بدلا من أن يشرفوها . وبناء على هذا قرر عدلا أن يتركهم ويقطعهم ويحرمهم من امتيازاتهم ، ويخرجهم من دائرة كنيسته وشعبه . لكن بشفاعة المسيح كما قبل الله قديما شفاعة موسى ، تحن فأعطاهم فرصة أخرى ورحمة أخرى . وكأنه جربهم سنة أخرى بإرسال رسله بينهم لكي يدعواهم الى التوبة ، ويقدموا اليهم باسم المسيح ، المغفران لدى توبتهم ولقد تأثر البعض فتابوا ، وأعطوا ثمرا ، وكان كل شيء حسنا معهم . لكن مجموع الأمة استمروا غير تائبين وغير مثمريين ، فحل عليهم الهلاك بلا علاج ، وبعد حوالي أربعين سنة قطعوا والقوا في النار (٢٩) »

ونقول : ان هذا المثل متفق مع الهدف من دعوة عيسى عليه السلام لقد بدأ دعوته بقوله لليهود : « توبوا فقد اقترب ملكوت السموات » وهو في هذا المثل يؤكد دعوته فيقول : ان لم تتوبوا وتعملوا الصالحات استعدادا للدخول في ملكوت السموات ، فانكم لا محالة تهلكون . كما أن شجرة التين لما لم تؤت أكلها . كان وجودها في الكرمة عبثا . وهذا المثل يدين النصراني أبلغ ادانة لأن أخذ الملك من اليهود وقطع دابرتهم لم يكن على يد عيسى عليه السلام لأنه منهم ، ولا على يد تيطوس الروماني سنة ٧٠ بعد الميلاد ، لأن دعوة المسيح لم تكن قد عمّت البلاد بعد . ولم يكن تيطوس مؤمنا بما جاء به المسيح . وكما تمهل الرجل على شجرة التين سنة أخرى ، تمهل الله على اليهود بالعقاب ، في زمن عيسى ، رجاء أن يفيثوا الى أمره ، ولما جاء نبي الاسلام ﷺ وهو ليس من الأمة اليهودية ، وفانت المدة الموقوتة للاستعداد والتوبة ، ولم يتوبوا : كان العقاب شديدا جدا . فقد أخذت الشريعة منهم ، وسلمت الى نبي الاسلام ، وأخذ الملك منهم وسلم الى نبي الاسلام . وانطلق المسلمون بالدعوة في كل مكان ، وأثمرت دعوتهم ، بدل اليهود الذين قصروا الدين عليهم ، وتعالوا

(٢٩) ص ٢٠٦ - ٢٠٧ ج ٢ تفسير لوتنا

على بقية الشعوب ، ويا ليتهم قصروا الدين عليهم وعملوا به ، بل كما يقول عيسى عليه السلام لعلمائهم :

« ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون ، لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس ، فلا تدخلون أنتم ، ولا تدعون الداخلين يدخلون » (متى ٢٣ : ١٣)



وأما عن الجليليين الذين خلط بيلاطس دمهم بنبأئحهم ، والذين سقط عليهم برج سلوام .

فنتقول :

بيلاطس : كان واليا على منطقة اليهودية من قبل الرومان ، وهيرودس كان واليا على منطقة الجليل ، ويقول متى هنرى : « كانت هناك عداوة بينهما . ربما بسبب قتل بيلاطس للجليليين ، الذين كانوا من رعايا هيرودس » (٣٠) وبيلاطس هذا هو الذى طلب منه اليهود قتل عيسى عليه السلام ، الا انه أخذ ماء وغسل يديه قدام الجمع قائلا : « انى برىء من دم هذا البار ، أبصروا أنتم . فأجاب جميع الشعب وقالوا : دمه علينا وعلى اولادنا ... فجلده وأسلمه ليصلب » (متى ٢٧ : ٢٤ - ٢٦)

وقتل بيلاطس للجليليين ذكره لوقا وحده بايجاز شديد دون سائر كتاب الأناجيل المقدسة ، ولم يشر الى هذه الحادثة واحد من مؤرخى ذلك العصر ، حتى يوسيفوس المؤرخ اليهودى المشهور ، والمعاصر لهذمه الأحداث ، تجاوز عن ذكر هذا الحادث . يقول الدكتور فردريك فاران : « هذه الأمور تكررت فى حصار أورشليم ، ولكنه واضح أنه ينقصنا تفصيلات فى هذه الحادثة بالذات لنفهم حقيقتها » (٣١)

ويقول الدكتور فردريك فاران ، عن برج سلوام ، الذى يسميه برج أنطونيا : « ان تعصب اليهود الملتهب فى ذلك الوقت ، والآمال الجامحة

(٣٠) ص ٢١٣ ج ٢ تفسير لوقا .

(٣١) ص ٥١٨ حياة المسيح لفردريك .

التي كانت دائما تشمل غضبهم ضد الحاكم الروماني ، والتي جعلتهم مطية ذلول لكل مدع كذاب ، ألزم ضرورة برج أنطونيا ، الذي كان يرمى ظله الطويل على الهيكل ذاته ، بل كان يتصل بسلم على الهيكل ، ليتنسى للقوات الرومانية التدخل السريع ، وايقاف الشغب الذي كان ولأن يهدد سلامة أورشليم من حين لآخر ، في فرصة الأعياد « (٣٢) ويقول متى هنري : « يظن بعض المفسرين : أن هذا البرج كان مجلورا ببركة سلوام التي هي بركة بيت حسدا ، والتي كان بجوارها خمسة أروقة يضطجع فيها جموع المرضى منتظرين تحريك الماء (يو ٥ : ٣) وأن الذين قتلوا كانوا من هؤلاء المرضى أو ممن يتطهرون في تلك الأروقة استعدادا لخدمة الهيكل ، لأن البركة كانت قريبة من الهيكل « (٣٣)

٢٧ - مثل الكيس الضائع

تمهيد :

لما قال المسيح لعلماء بني اسرائيل : « توبوا فقد اقترب ملكوت السموات » (متى ٤ : ١٧) وقال لهم : « ان لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون » (لوقا ١٣ : ٥) ضرب مثلا بشجرة تين استحقت القطع من الكرم لأنها لا تثمر (لوقا ١٣ : ٦ - ٩) يشير به الى هلاك علماء بني اسرائيل لتقصيرهم في الدعوة . ثم ضرب مثلا عن الطريفة التي يجب بها اظهار التوبة . وهو :

النص :

« اذا اضاع رجل كيسا . أيدير عينه ليراه أو يده لياخذه ، أو لسانه ليسأل فقط ؟ كلا . يلفت بكل جسمه ، ويستعمل كل قوة في نفسه ، ليجده . أصبح هذا ؟ » (برنابا ١٠٠ : ١٠ - ١١)

(٣٢) ص ٥١٧ حياة المسيح لفرديك

(٣٣) ج ٢ ص ٢٠٣ انجيل لوقا - متى هنري

تمهيد : نصح عيسى عليه السلام أتباعه بقوله - في رواية متى - :
 « لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ، ولا لأجسامكم بما تلبسون .
 ليست الحياة أفضل من الطعام ، والجسد أفضل من اللباس ؟ انظروا
 الى طيور السماء . انها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع الى مخازن ، وأبوكم
 السماوى يقوتها ، الستم أنتم بالحرى أفضل منها ؟ ومن منكم اذا اهتم يقدر أن
 يزيد على قامته ذراعا واحدة ؟ ولماذا تهتمون باللباس ؟ تأملوا زنايق الحقل
 كيف تنمو ؟ لا تتعب ولا تغزل . ولكن أقول لكم : انه ولا سليمان فى كل
 مجده ، كان يلبس كواحدة منها . فان كان عشب الحقل الذى يوجد اليوم
 ريطرح غدا فى التنور يلبسه الله هكذا . أفليس بالحرى جدا يلبسكم
 أنتم يا قليلى الايمان ؟

فلا تهتموا قائلين : ماذا نأكل ؟ أو ماذا نشرب ؟ أو ماذا نلبس ؟ فان
 هذه كلها تطلبها الأمم . لأن أباكم السماوى يعلم أنكم تحتاجون الى هذه
 كلها . لكن اطلبوا أولا ملكوت الله وبره ، وهذه كلها تزداد لكم » (متى
 ٦ : ٢٥ - ٣٣)

النص :

« كان لرجل أملاك كثيرة . وكان من أملاكه أرض قاحلة لم تنبت
 الا أشياء لا ثمر لها . وبينما كان سائرا ذات يوم وسط هذه الأرض القاحلة ،
 عثر بين هذه الأنبئة ، غير المثمرة على نبات ذى ثمار شبيهة . فقال هذا
 الانسان حينئذ : كيف تأتى لهذا البيت أن يحمل هذه الثمار الشبيهة
 هنا ؟ انى لا أريد أن يقطع فى النار مع البقية . ثم دعا خدمه وأمرهم بقلعه
 ووضع فى بستانه . انى أقول لكم : هكذا يحفظ الهنا من لهب الجحيم من
 يفعلون برا ، اينما كانوا » (برنابا ٧٩ : ١١ - ١٦)

الشرح والبيان

يقول المسيح لعلماء بنى اسرائيل : لا تخافوا من الفقر اذا قلتهم الحق . فان من يطلب ملكوت الله ويدعو اليه ، يحفظه الله أينما كان ، ويرزقه من حيث لا يحتسب .

والغرض من المثل : واضح من قول المسيح : « هكذا يحفظ الهنا من لهب الجحيم من يفعلون برا ، أينما كانوا » ومن قوله : « اطلبوا أولا ملكوت الله وبره ، وهذه كلها تزداد لكم » .

٢٩ - مثل المدينين

النص :

يقول لوقا « كان لمداين مديونان . على الواحد خمسمئة دينار ، وعلى الآخر خمسون . واذ لم يكن لهما ما يوفيان ، سامحهما جميعا . فقل . أيهما يكون أكثر حبا له ؟ » (لوقا ٧ : ٣١ - ٤٢ ، برنابا ١٣٠ : ٢)

الشرح والبيان

الغرض من هذا المثل : دعوة الأمم الى الدخول في ملكوت السموات مع اليهود . فانه لما أخبر عيسى عليه السلام : أن ملكوت السموات لليهود وللأمم أيضا ، الذين يترفع اليهود عن مخالطتهم ، أراد أن يبين ذلك عمليا بجلوسه مع الخطاة ، الذين يعتقدون في أنفسهم النقص ، كما جلس مع الفريسيين الذين يعتقدون في أنفسهم الكمال ، ليكون قدوة لهم . فيتأسون به ، ولا يأنفون من الدخول في الملكوت بسبب مشاركة الخطاة لهم .

يقول متى هنرى : « لا يعلم متى وأين حدثت هذه الرواية ، فإن البشر لوقا لا يراعى ترتيب الزمن في كتاباته كالانجيليين الآخرين . لكن هذه الرواية دونت هنا بمناسبة تعيير المسيح بأنه « محب للعشارين

والخطاة ، لكي يبين أن المسيح إنما اختلط بهم لخيرهم ولكي يأتي بهم الى التوبة » (٣٤)

ورمز المثل : الغنى الكريم : رمز لله عز وجل . والمدين بالبلغ الصغير : رمز لليهود . والمدين بالبلغ الكبير : رمز للأمم . والكل في حاجة الى عفو الله فليستعد الجميع للدخول في الملكوت .

٣٠ - مثل السامري الصالح

تمهيد :

« واذا ناموسى قام يجربه قائلا : يا معلم ماذا اعمل لأرت الحياة الأبدية ؟ فقال له : ما هو مكتوب في الناموس ؟ فأجاب وقال : تحب الرب الهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ، ومن كل قدرتك ، ومن كل فكرك . وفريقك مثل نفسك . فقال له : بالصواب اجبت . افعل هذا فتحيا . وأما هو فاذا أراد أن يبرر نفسه ، قال ليسوع : ومن هو قريبي ؟ »

النص :

فأجاب يسوع وقال : « انسان كان نازلا من اورشليم الى أريحا ، فوقع بين لصوص ، فعروه وجرحوه ، ومضوا وتركوه بين حى وميت . فمرض أن كاهنا نزل في تلك الطريق فرآه وجاز مقابله . وكذلك لاوى أيضا إذ صار عند المكان ، جاء ونظر وجاز مقابله . ولكن سامريا مسافرا جاء اليه ، ولما رآه تحنن فمتقدم وضمد جراحاته ، وصب عليها زيتا وخرأ وأركبه على دابته وأتى به الى فندق واعتنى به ، وفى الغد لما مضى أخرج دينارين وأعطاهما لصاحب الفندق ، وقال له : اعتن به ومهما أنفقت أكثر فعند رجوعي أوفيك . فأى هؤلاء الثلاثة ، ترى صار قريبا للذى وقع بين اللصوص ؟ فقال : الذى صنع معه الرحمة فقال له يسوع : اذهب أنت أيضا واصنع هكذا » (لوقا ١٠ : ٢٥ - ٣٧)

(٣٤) ص ٢٨٣ ج ١ تفسير لوقا - متى هنرى . واعلم أن هذه الرواية حدثت في بيت سمعان بطرس ، لما دخلت مريم المجدلية لتتوب على يد المسيح (برنابا ١٢٩ : ٧ ، يوحنا ١٣ : يوحنا ٨)

الشرح والبيان

الناموسيون والكتبة والفريسيون فئات ثلاث . هدفهم تعليم الدين لليهود . يقول الأنبا اثناسيوس : « إن تلك الفئات الثلاث كانت متشابهة في كونها تضم معلمى الدين ، ولم يكن الفصل بينها تاما ، إلا أن الكتبة كانوا معلمين للأهوت — وهو الدين — والناموسيين كانوا معلمين للقانون ، والفريسيين كانوا أصحاب مذهب حرق خاص ومعلمى طقوس مترممين (٣٥) »

وهذا المثل يبين أن القرييين من الله هم الغابتون له . واليهود يدعون أنهم هم القرييون منه وخدمهم من دون الناس . فرد عليهم المسيح بأن قريب اللحم والدم إذا لم ينفذ وقت الحاجة إليه ، فليس بقريب .

والغرض من المثل : أن ملكوت السموات سيكون فى أبناء اسما عيل ، — لأنهم من الأمم فى نظر اليهود — وفى الأمم استعداد طيب لبذل الخير ، واصطناع المعروف .

ويقول النصارى : ان الغرض منه هو دعوة الأمم — مع أن تبيهم من اليهود — والفرق بيننا وبينهم : أنهم يزعمون أنهم اصطناع الحق فى دعوة الأمم الى العمل بالانجيل ، ونحن نقول بالحق : اننا اصحاب الحق فى دعوة الأمم الى العمل بالقرآن . لأن المسيح نادى قائلا : « اقترب ملكوت السموات » ويضرب الأمثال لايضاح احواله . ونبينا من الأمم على حسب مفهوم اليهود عن الملكوت .

ورمز المثل : الكاهن وهو الذى يكون من نسل هارون عليه السلام ، واللاوى : رمز للدين الذى كان فى علماء اليهود مراسيم وطقوس خالية من الروح . والسامري : رمز للامم الغرباء عن اليهود العبرانيين لأن اليهود كانوا يحتقرون السامريين ، كما فى الاصحاح الرابع من انجيل يوحنا .

(٣٥) ص ٤٤ تفسير متى للأنبا اثناسيوس .

تهييد :

ان الله تعالى لما اعطى الشريعة لبني اسرائيل ، أمرهم أن يقولوا للناس حسنا . وبعد زمان طويل من موت موسى عليه السلام ، امتنع علماء بني اسرائيل عن مخالطة الأمم ، وابتعدوا عن مخالطة الآثمين من اليهود . مخالفين بالامتناع وبالبعد أوامر الله ، التي تجبرهم على هداية الناس . وأشاعوا : أن شريعة موسى لبني اسرائيل ، وأن ملكوت السموات الآتى سيكون لبني اسرائيل . وليس للامم نصيب معهم في شريعة الله . وقد وضع المسيح لعلماء بني اسرائيل أن أشاعتهم كاذبة ، لأن هوشع يقول فى سفره على لسان الله تعالى : « انى أدعو الشعب غير المختار : مختارا » (هو ٢ : ٣٢) أى أن الملكوت الآتى سيكون للأمم فيه نصيب . وكان علماء بني اسرائيل يشيعون أن بنى اسماعيل من الأمم فوضح المسيح أن ملكوت السموات الآتى سيكون فيهم . لثبوت بركة فى آل اسماعيل . وضرب مثل الجريح الكنود ليعين به أن علماء اليهود قصرُوا فى الدعوة — فلذلك يجب عليهم أن يتوبوا — وأن علماء غيرهم سيقومون بها ، كما بين فى مثل الكرامين الأرياء وغيره .

النص :

« انى أضرب لكم مثلا ، لتفهموا . كان ملك عثر فى الطريق على رجل جردته اللصوص ، الذين أثخنوه جراحا ، حتى الموت ، فتحنن عليه ، وأمر عبده أن يحملوا ذلك الرجل الى المدينة ويعتنوا به . ففعلوا هذا بكل جد . وأحب الملك الجريح حبا عظيما ، حتى أنه زوجه من ابنته وجعله وريثه . فلا مرء فى أن هذا الملك كان رعوفا جدا .

ولكن الرجل ضرب العبيد واستهان بالأدوية وامتهن امرأته وتكلم بالسوء فى الملك ، وحمل عماله على عصيانه . وكان اذا طلب الملك منه خدمة ، قال : ما هو الجزاء الذى يعطينى اياه الملك ؟ فماذا فعل الملك بمثل هذا الكنود عندما سمع هذا ؟ فأجاب الجميع : ويل له . لأن الملك نزع منه كل شيء . ونكل به تنكيلا . فقال حينئذ يسوع : أيها الكهنة

والكعبة والفريسيون ، وأنت يا رئيس الكهنة الذى تسمع صوتى ، انى أعلن لكم ما قال الله على لسان نبيه أشعيا : ربيت عبيدا ، ورفعت شأنهم . أما هم فامتهنونى .

ان الملك لهو الهنا ، الذى وجد اسرائيل فى هذا العالم مفعما شقاء ، فأعطاه لعبيده يوسف وموسى وهرون ، الذين اعتنوا به ، وأحبه الهنا حبا شديدا ، حتى أنه لأجل شعب اسرائيل ، ضرب مصر ، وأغرق فرعون ، وهزم مئة وعشرين ملكا من الكنعانيين والمدنيين ، وأعطاه شرائعه جاعلا اياه وارثا لكل تلك البلاد التى يقيم فيها شعبنا .

ولكن كيف تصرف اسرائيل ؟ كم قتل من الأنبياء ؟ كم نجس نبوة ؟ كيف عصى شريعة الله ؟ كم وكم تحول أناس عن الله لذلك السبب ، وذهبوا ليعبدوا الأوثان بذنوبكم أيها الكهنة ؟ فلکم تمتهنون الله بسلوكمم ، والآن تسألوننى : ماذا يعطينا الله فى الجنة ؟ فكان يجب عليكم أن تسألوننى : أى قصاص يعطيكم الله اياه فى الجحيم ؟ وماذا يجب عليكم فعله ، لأجل التوبة الصادقة ، ليرحمكم الله ؟ فهذا ما أقوله لكم ، ولهذه الغاية أرسلت اليكم « (برنابا ٦٨ : ٧ - ٢٧)

الشرح والبيان

هذا المثل يبين به المسيح أن علماء بنى اسرائيل قد أساءوا الى الأمم بتخليهم عن دعوتهم ، والتخلّى عن دعوة الأمم هو وجود لمنعمة الله عليهم . وكلام المسيح فى بدء دعوته كما جاء فى الانجيل المقدسة كان لعلماء بنى اسرائيل بالتوبة ، لأنهم مصرون على الخطايا التى ورثوها عن آبائهم ، ومنها أنهم يعتبرون الأمم كالكلاب النجسة لا تجوز مخالطتهم ، ولا تجوز دعوتهم الى شريعة الله . ولو ظهر ملكوت السموات وهم على هذا الحال ، فانهم لن يدخلوا فيه . لأن الملكوت سيكون فى بنى اسماعيل . وبنو اسماعيل فى نظر اليهود من الأمم . وفى هذا المثل يقول المسيح : أنه مرسل الى اليهود لأجل التوبة الصادقة . لأنه قد اقترب ملكوت السموات (متى ٤ : ١٧) . واذا لم يدخلوا فيه مع الداخلين ، فلن يكون لهم نصيب من رحمة الله ، لا فى الدنيا ولا فى الآخرة .

تمهيد :

بعدها شرح عيسى عليه السلام لتلاميذه كيفية مجيء ابن الانسان في ملكوته ، الذى هو نبي الاسلام ﷺ ومعه اتباعه الأطهار الشبيهيين بالملائكة ، ووصف الحروب والأويثة التى ستكون قبل مجيئه مباشرة ، وضح لهم أن يوم مجيئه لا يعلمه أحد ، ولا الملائكة الذين فى السماء ، ولا النبى نفسه ، وانما يعلمه الله وحده . ثم قال لتلاميذه : « انظروا . اسهروا وصلوا . لأنكم لا تعلمون متى يكون الوقت ؟ » ثم ضرب لهم هذا المثل من أجل الاستعداد .

نص المثل : « كأننا انسان مسافر ترك بيته ، وأعطى عبيده السلطان ، ولكل واحد عمله ، وأوصى البواب أن يسهر . اسهروا اذا لأنكم لا تعلمون متى يأتى رب البيت ؟ امساء او نصف الليل ؟ أم صباح الديك أم صباحا ؟ لئلا يأتى بغتة فيجدكم نياما . وما أقول لكم ، أقوله للجميع . اسهروا » (مرقس ١٣ : ٣٤ - ٣٧) . وفى رواية لوقا : « لتكن أحقاؤكم منمنطقة ، وسرجمك موقدة . وأنتم مثل أناس ينتظرون سيدهم متى يرجع من العرس . حتى اذا جاء وقرع ، يفتحون له للوقت . طوبى لأولئك المعبيد الذين اذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين . الحق أقول لكم : انه يتمنطق ويتكلمهم ويتقدم ويخدمهم ، وان أتى فى الهزيع الثانى ، أو أتى فى الهزيع الثالث ووجدهم هكذا ، فطوبى لأولئك المعبيد . وانما اعلموا هذا : أنه لو عرف رب البيت فى أية ساعة يأتى السارق لسهر ولم يدع بيته ينقب ، فكونوا أنتم اذا مستعدين لأنه فى ساعة لا تظنون يأتى ابن الانسان » (لو ١٢ : ٣٥ - ٤٠)

الشرح والبيان

معزى المثل والغرض منه : هو الاستعداد لجمي ملكوت السموات ، ووجهة نظر النصارى فى هذا المثل وردت فى تفسير متى هنرى هكذا : « ١ - المسيح هو سيدنا ، ونحن عبيده . لسنا فقط عبيدا يشتغلون ،

يل عبدا لنكون منته ظرين أيامه لخدمته ٢ - ومع أن المسيح سيدنا قد ذهب عنا الآن . الا أنه سوف يرجع »

الورد عليهم : بينما من قبل : أن النصارى مختلفون في المجيء الثاني للمسيح ، وأغلب الآراء على أنه مجيء روحى غير منظور ، وهذا المثل يبين أن الملكوت الأتى ملكوت أرمنى منظور . وصاحبه سيضرب بيد من حديد على أيدي الكافرين والمنافقين . يضاف الى ذلك : أن هذا المثل ليس مضروبا للمجىء الثانى ، بل هو مضروب للملكوت القريب الذى عبر عنه عيسى باقتراب . والذي حدد زمانه دانيال بزوال دولة الروم .

٢٢ - مثل : الوكيل الأمين الحكيم

بعندما ذكر لوقا مثل : صاحب البيت وخدمه ، ذكر محاوره بطرس لمعيسى عليه السلام في شأن هذا المثل . فقال :

« قال له بطرس : يارب النا تقول هذا المثل ؟ أم للجميع أيضا ؟ فقال الرب : فمن هو الوكيل الأمين الحكيم الذى يقيمه سيده على خدمه ليعطيهم العلوفة في حينها ؟ طوبى لذلك العبد الذى اذا جاء سيده يجده يفعل هكذا . بالحق اتقول لكم : انه يقيمه على جميع أهواله ، ولكن ان قال ذلك العبد في قلبه : سيدي يبطيء قدمه . فيبتدىء يضرب الغلمان والجوارى ويأكل ويسكر ، يأتى سيد ذلك العبد في يوم لا ينتظره ، وفي ساعة لا يعرفها ، فيقطعها ويجعل نصيبه مع الخائنين . وأما ذلك العبد الذى يعلم ارادة سيده ولا يستعد ولا يفعل بحسب ارادته ، فيضرب كثيرا . ولكن الذى لا يعلم ويفعل ما يستحق : ضربات يضرب قليلا . فكل من أعطى كثيرا يطلب منه كثيرا ، ومن يودعونه كثيرا يطالبونه بأكثر »
(لوقا ١٢ : ٤١ - ٤٨)

وفكر بنى هذا المثل هكذا : « استهروا اذا . لأنكم لا تعلمون في أية ساعة يأتى ربكم ؟ واهبطوا هذا : أنه لو عرف رب البيت في أى هزيع يأتى السارق لسهر ولم يدع بيته ينقب . لذلك كونوا أنتم أيضا مستعدين ، لأنه في ساعة لا تظنون يأتى ابن الانسان ، فمن هو العبد الأمين الحكيم الذى أقامه سيده على خدمه ليعطيهم الطعام في حينه . طوبى لذلك العبد الذى

إذا جاء سيده يجده يفعل هكذا . الحق أقول لكم : انه يقنيه على جميع أمواله . ولكن ان قال ذلك العبد الرديء في قلبه : سيدي يبطنى قدومه . فيبتدىء يضرب العبيد رفقاه ، ويأكل ويشرب مع السكارى ، يأتى سيد ذلك العبد في يوم لا ينتظره وفي ساعة لا يعرفها ، فيقطعها ويجعل نصيبه مع المرائين . هناك يكون البكاء وصرير الأسنان » (متى ٢٤ : ٤٢ - ٥١) .

الشرح والبيان

هذا المثل مضروب للاستعداد للملكوت السموات ، ويبين أن صاحب الملكوت سيكون محاربا عظيما ، لاحقاق الحق وازهاق الباطل . وينصح عيسى تلاميذه بالاستعداد والترقب لمجيئه ، قائلا ما معناه : متى جاء تظهرون نصوص التوراة والانجيل التي تدل عليه وتنضون تحت لوائه ، لئلا تهلكوا . وعبر عيسى عن نبي الاسلام صاحب الملكوت بالسيد . وهذا يدل على أن نبي الاسلام يجب أن يخضع له النصارى ويدينون له بالولاء . وهذا المثل ذكر بعده لوقا : توبيخا من عيسى لليهود على أنهم لم يفهموا الزمن الذى سيأتى فيه نبي الاسلام ، بالرغم من توضيح التوراة لهذا الزمن ونص التوبيخ هو : « وقال أيضا للجموع : اذا رأيتم سحابة تطلع من المغرب ، قلتم للوقت : ان المطر يأتى ، فيكون كذلك . واذا هبت من الجنوب : قلتم : سيكون حر ، فيكون . يامراؤون تعرفون أن تميزوا وجه الأرض والسما ، فكيف لا تميزون هذا الزمان ؟ ولماذا لا تحكمون بالعدل من تلقاء أنفسكم ؟ » (لوقا ١٢ : ٥٧)

ويقول متى هنرى في مغزى هذا المثل : « ان تطلعنا الى مجيء المسيح الثانى كأمر بعيد ، هو سبب كل هذا الاختلال ، الذى يجعل التفكير فيه برعبا لنا . انه » يقول في قلبه سيدي يبطنى قدومه « كثيرا ما أسىء فهم صبر المسيح ، واعتبر بأنه ابطاء » (٣٦) ويقول في معنى كلمات التوبيخ : « يا مراؤون : يا من تدعون الحكمة . لكنكم فى الواقع لستم حكما ، يا من

(٣٦) ص ١٨٨ ج ٢ تفسير لوقا .

تدعون أنكم تنتظرون المسيا وملكوته ، لأنه هكذا كانت أغلبية اليهود تنتظر ، ومع ذلك فإنكم لا تظهرون أقل ميل أو استعداد لانتظاره . تعرفون أن تميزوا وجه الأرض والسماء ، وأما هذا الزمان فكيف لا تميزونه . لا تدركون بأن هذا هو الزمان الذي حددته نبوءات العهد القديم لظهور المسيا ، لماذا لا تميزون بأن لديكم الآن فرصة سوف لا تطول وقد لا تعود ، فيها تتالون نصيبا في ملكوت الله ، وتتمتعون بامتيازات ذلك الملكوت ؟ (٣٧) «

والرد عليهم : ان الملكوت ليس لحيء المسيح الثانى آخر الزمان . بل لحيء الملكوت القريب وهو ملكوت نبي الإسلام ﷺ ، وقد أحال عيسى أتباعه على التوراة ليعرفوا منها زمن مجيء المسيا ، الذى هو صاحب الملكوت الأرضى . وذلك واضح جليا من سفر دانيال . فقد وضح أن مجيئه سيكون فى أعقاب الدولة الرومانية ، المعبر عنها بالمملكة الرابعة .

والعجب من النصارى : أنهم لا يجعلون أمثلة ملكوت السموات أو ملكوت الله تدل على عصر واحد ، بل يجزأونها لتدل على عصور مختلفة ، مع أن الأمثلة كلها تهدف الى توضيح حقائق عصر واحد معين . هو عصر مجيء المسيا صاحب الملكوت (٥)

٣٤ - التينة المورقة

لما نحدث عيسى عليه السلام عن رجسة خراب دانيال ، والتي ذكرها دانيال فى الأصحاح التاسع من سفره وفى حدوثها يظهر ابن الانسان صاحب الملكوت وهو محمد ﷺ ضرب مثلا .

هذا نصه :

« فمن شجرة التين قلموا المثل ، متى صار غصنها رخسا ، وأخرجت أوراقها تعلمون ان الصيف قريب . هكذا أنتم أيضا متى رأيتم هذا كله ، فاعلموا أنه قريب على الأبواب » (متى ٢٤ : ٣٢ - ٣٣)

ويقول لوقا : « وقال لهم مثلا : انظروا الى شجرة التين وكل

(٣٧) ص ١٩٦ - ١٩٧ المرجع السابق .

الأشجار ، متى أفرخت تنظرون وتعلمون وتعلمون من أنفسكم : أن الصيف قد
قرب . هكذا أنتم أيضا متى رأيتم هذه الأشياء صائرة ، فاعلموا أن ملكوت
الله قريب » (لوقا ٢١ : ٢٩ - ٣١)

المشرح والبيان

مفزى المثل : الاستعداد

وقد اختلف النصارى في هذا المثل على رأيين :

الأول : يحكيه متى هنرى هكذا :

« لم يقل هنا ما هو القريب . ولكنه هو الذي كانت قلوب تلاميذه محصورة
فيه ، وما كانوا يتوقون إلى معرفته بشغف عظيم . قال عنه لوقا : « فاعلموا
أن ملكوت الله قريب » ، إذا بدأت أشجار البر والقداسة أن تزدهر . إذا
بدأت ثمار النعمة أن تظهر في شعب الله . كان هذا . بشيرا بالأوقات
السعيدة » يعنى إذا انتشرت النصرانية في العالم ، وكان الخير أكثر من
الشر . فانه يأتى الملكوت .

والثانى : يحكيه الأنبا اثناسيوس هكذا :

« أن يتيقظوا لعلامة خراب اورشليم ، لأنه وشيك الحدوث . فمثلا
باتى الصيف عقب اخضرار شجرة القين ، سياتى الخراب عقب العلامة
التي أعطاهم . ويكون ذلك فى جيلهم »

ونرد عليهم : أما عن الرأى الأول فهو يشير الى الملكوت الروحى .
وقد بينا ضعف هذا الرأى . بقولنا : أن أوصاف الملكوت أوصاف ظاهرة ،
لشئ يكون ظاهرا . وأما عن الرأى الثانى : فهو ضعيف أيضا . لأن
اورشليم قد خربت فى سنة ٧٠ م . ولم يتأسس ملكوت النصارى من قبل
ولا من بعد ، وما كانت الأوصاف التي ذكرها عيسى قبل ظهور الملكوت .
وهى حروب الأمم ، واضطهاد التلاميذ ، ووقوفهم أمام الملوك والولاة ،
والجاعات والأوبئة ورجسة خراب دانيال . لم يكن من هذه الأوصاف
شئ قد حدث .

النص :

يقول لوقا : « وقال أيضا لتلاميذه : كان انسيان غنى له وكيل ، موسى به اليه بافنه يبغز امواله . فدعاه . وقال له : ما هذا الذي اسمع عنك ؟ اعط حساب وكالتك . لانك لا تقدر ان تكون وكيلاً بعد . فقال الوكيل في نفسه : ماذا افعل . لان سيدي يأخذ مني الوكالة . لست استطيع ان اتعب واستحقى ان استعطي . قد علمت ماذا افعل حتى اذا عزلت عن الوكالة يقبلوني في بيوتهم . ففعل لكل واحد من مديوني سيده . وقال للاول : كم عليك لسيدي ؟ ٦ - فقال : مئة بث زيت . فقال له : خذ صك واجلس عاجلاً واكتب خمسين ٧ - ثم قال لآخر : وانت كم عليك ؟ فقال : مئة كر تمح . فقال له : خذ صك واكتب ثمانين ٨ - فمدح السيد وكيل الظلم اذ بحكمة فعل . لان ابناء هذا الدهر احكم من ابناء النور في جيلهم (٩ - وأنا اقول لكم : اصنعوا لكم اصدقاء بهال الظلم ، حتى اذا فنيتم يقبلونكم في المظال الأبدية ١٠ - الامين في القليل امين أيضاً في الكثير ، والظالم في القليل ، ظالم في الكثير ١١ - فان لم تكونوا أمناء في مال الظلم ، فمن ياتمنكم على الحق ؟ ١٢ - وان لم تكونوا أمناء في ما هو للغير ، فمن يعطيكم ما هو لكم ؟ ١٣ - لا يقدر خادم ان يخدم سيدين . لأنه اما ان يبغض الواحد ، ويحب الآخر أو يلزم الواحد ، ويحتقر الآخر . لا تقدر ان تخدموا الله والمال (٣٨) »)

١٤ - وكان الفريسيون أيضاً يسمعون هذا كله ، وهم محبوبون للمال ، ناستهزأوا به ١٥ - فقال لهم : انتم الذين تبررون أنفسكم قدام الناس ، ولكن الله يعرف قلوبكم : ان المستعلى عند الناس ، هو رجس قدام الله . ١٦ - كان الناموسي والأنبياء الى يوحنا . ومن ذلك الوقت يبشر بملكوت الله ، وكل واحد يغتصب نفسه اليه . ولكن زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس » (لوقا ١٦ : ١٧ -)

(٣٨) ما بين التوسين هو الفرض من المثل . من الآية التاسعة الى

الثالثة عشر .

الشرح والبيان

المفروض من هذا المثل : وضحه عيسى نفسه في الآيات من ٩ — ١٣
بمعنى أن اليهود الذين يخلون شريعة الله ، يجب عليهم أن يدعو الأمم الى
معرفة الله ، ومعرفة صاحب الملكوت ، بدلا من قصر الدعوة على جنسهم
واهمال الأمم ليكون لهم فضل لدى الأمم اذا ظهر ملكوت السموات .
« قال الربى كمشى : هذا العالم بيت ، والسماء سقفه والنجوم
أنواره ، والأرض بثمارها مائدة مبسوبة ، ورب البيت هو الله القدوس
المبارك ، والانسان هو الوكيل الذى سلم اليه كل ما فى هذا البيت .
فان تصرف حسنا وجد نعمة فى عينى ربه ، والا عزل عن وكالته (٣٩) »

وتفسير المثل : السيد : رمز لله عز وجل ، والوكيل رمز لعلماء
اليهود . لقد أعطاهم الله النبوة والكتاب ، فأسرفوا على أنفسهم فى المعاصى ،
ولم يعلموا الأمم ، ولما علم الوكيل . بأخذ الوكالة منه ، أراد أن يحتاط
لنفسه باتخاذ أصدقاء ، كانوا يتعاملون مع سيده ، فترك
لهم بعض أموالهم ، حتى اذا عزل عن وكالته ، استطاع أن يلجأ اليهم ،
لما سبق لهم من معرفته وفضله . وهنا يشير عيسى عليه السلام لعلماء
بنى اسرائيل : الى أنه من الحكمة : أن تنطلقوا بالدعوة الى الأمم ، حتى
اذا جاء نبي الاسلام وأخذ النبوة والكتاب منكم ، ولم يعد لكم نفوذ وسلطان
فى الأرض ، تكونون مشكورين من الأمم . لانكم ساعدتموهم على قبول
الايان .

وعبر عن عالم بنى اسرائيل بوكيل الظلم ، لأنه وكيل فى زمانه ستورا
محرفة .

يقول متى هنرى فى تفسير آية : « فمدح السيد وكيل الظلم ، اذ
بحكمة فعل » : قد تعنى سيده ، أى سيد ذلك الوكيل ، الذى وان كان
قد تضايق جدا من خبثه ومكره ، الا أنه سر بذكائه وتدبيره لشئون نفسه .
لكن اذا فسرناها على هذا الوجه ، فان الجزء الأخير من الآية لابد أن يكون
من اقوال الرب يسوع المسيح . ولذلك فانى اعتقد أن الآية كلها تعنيه هو ،

(٣٩) نقلنا عن ص ٣١٩ « تفسير لوقا لمتى هنرى ج ٢ »

كان المسيح قد قال : انتهى المنتحرج رجلاً كهذا ، عرفنا أن يصنع خيراً لنفسه ،
ويحسن استخدام الفرص الراهنة الآن ، ويحتاط لضيقاته ، في المستقبل ،
انه لم يمتدحه لأنه تصرف بفرد مع سيده ، بل لأنه تصرف بحكمة مع
نفسه (٤٠) »

وعبارة : « لأن أبناء هذا الدهر أحكم من أبناء النور في جيلهم » هذه
العبارة يقول النصارى في تفسيرها : « كل أبناء هذا العالم يتصرفون بحكمة
وتعقل ، ويدعون مصالحهم الدنيوية ، أفضل من أبناء النور الذين يتمتعون
بالانجيل ولا ينظرون الى شهوات الدنيا ، بل ينظرون الى الآخرة (٤١) »
وهذا خطأ لأن المقابلة ليست بين اليهود والنصارى ، وإنما المقابلة بين
اليهود اصحاب الملكوت القديم وبين المسلمين اصحاب الملكوت الآتى . لأن
النصارى هم من اليهود ، والملكوت سينزع من اليهود ، ويعطى لغيرهم .
وعبر بأحكام في جانب اليهود ، اشارة الى خبثهم ، وأنهم يتصرفون كالحيات
والأفاعى . وأما أبناء النور فانهم اهل الله ولا يفكرون بغيره .

وعبارة : « اصنعوا اصدقاء بمال الظلم حتى اذا فنيتم يتبلمونكم في
المظالم الأبدية » وفى ترجمة الآباء اليسوعيين : (حتى اذا حل بكم الاضمحلال)
معناها : أن التوراة وان كانت محرفة ومبدلة . إلا أن فيها نور يضيء
للناس الطريق حتى يأتى النور الكامل . فعملوا بما فيها حتى اذا أوشك
ملككم على الزوال ، يقبلكم القوم الآتين في ملكهم الدائم الى الأبد .

وعبر عن التوراة بمال الظلم ، لأن علماء بنى اسرائيل خانوا الله في
بابل ، وجرأوا على تحريفها .

ونلاحظ في نهاية المثل : استهزاء الفريسيين بكلام عيسى عليه السلام ،
ورده على استهزائهم ، ببيان أن الملكوت صائر الى أهله لا محاله فى قوله
عليه السلام : « كان الناموس والأنبياء الى يوحنا . ومن ذلك الوقت يبشر
بملكوت الله ، وكل واحد يفتصب نفسه اليه ، ولكن زوال السماء والأرض
أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس »

(٤٠) ص ٣٢٣ ج ٢ المرجع السابق

(٤١) ص ٣٢٤ ج ٢ المرجع السابق

تمهيد :

بعد أن تحدث عيسى عليه السلام طويلا عن ملكوت السموات « سألته الفريسيون : متى يأتى ملكوت الله ؟ أجابهم وقال : لا يأتى بمراقبة » ثم بين لهم السبب فى مجيئه ، وكيف يستعدون له ؟ ويبين أن السبب فى مجيء الملكوت هو : كثرة الظلم وصراخ المظلومين ، وكيفية الاستعداد تكون بالصلاة كل حين ، وبدون ملل .

النص : يقول لوقا : « وقال لهم أيضا مثلا ، فى أنه ينبغي أن يصلى كل حين ولا يمل . قائلا : كان فى مدينة قاض لا يخاف الله ولا يهاب انسانا ، وكان فى تلك المدينة أرملة . وكانت تأتى اليه قائلة أنصفنى من خصمى ، وكان لا يشاء الى زمان . ولكن بعد ذلك قال فى نفسه : وان كنت لا أخاف الله ولا أهاب انسانا ، فأنى لأجل أن هذه الأرملة تزعجنى ، أنصفها . لئلا تأتى دائها فتقمعنى . وقال الرب : اسمعوا ما يقول قاضى الظلم . أفلا ينصف الله مختاريه الصارخين اليه نهارا وليلا وهو متمهل عليهم ؟ أقول لكم : انه ينصفهم سريعا . ولكن متى جاء ابن الانسان . أعله يجد الايمان على الأرض ؟ » (لوقا ١٨ : ١ - ٨)

الشرح والبيان

الفرض من هذا المثل : مثل الفرض من مثل صديق نصف الليل ، وهو الدعاء الى الله بلجاجة ليأتى الملكوت وهم له مستعدون .

وقول عيسى عليه السلام : « متى جاء ابن الانسان . أعله يجد الايمان على الأرض ؟ » من هو ابن الانسان هذا ، الذى اذا جاء لعله يجد الايمان على الأرض ؟ يقول النصرى : انه عيسى عليه السلام ، ونقول نحن المسلمين : انه نبي الاسلام ﷺ . يقول متى هنرى : « سوف يأتى ابن الانسان لينصف مختاريه ، ليدافع عن قضية المسيحيين المضطهدين ، أزاء

اليهود مضطهدينهم ، وعندما يجيء (ألعله يجد الايمان على الأرض) ان
السؤال استنكارى ، ويشير ضمنا الى انه لا يجد . وهو نفسه يرى هذا
بقدمها (٤٢) «

ونقول : ان المقصود بابن الانسان هو نبى الاسلام صاحب الملوك
الذى تحدث عنه دانيال بعد زوال المملكة الرابعة ، وهى دولة الروم . وهو
لما جاء أنصف المظلومين . أما عيسى ففى حياته لم ينصف المظلومين ، بل
ظلم هو . لقد اقتبس النصارى عنه قول أشعيا : « ظلم أما هو فتذلل ولم
يفتح فاه ، كشاة تساق الى الذبح ، وكنعجة صامئة أمام جازيها ، فلم يفتح
فاه » (٥٣ : ٧) ولو كان مراد عيسى أنه هو ابن الانسان لقال :
(ولكن متى جئت لعلى أجد الايمان على الأرض) فدل أسلوب الكلام على
مجىء غيره والتعبير بقوله : ألعله يجد الايمان على الأرض ، يدل على أن
الملوك أراضى لا روحى ، كما يزعم النصارى . ثم ان النصارى مجمعون
على أن عيسى قتل وصلب من أجل فداء البشر من خطية آدم ، فعلى أى
أساس ، سيعاقب الظالمين على اثمهم ؟

٢٧ - مثل صديق نصف الليل

النص :

يقول لوقا : « ثم قال لهم : من منكم يكون له صديق ويمضى اليه نصف
الليل ، ويقول له : يا صديق اقرضنى ثلاثة أرغفة ، لأن صديقا لى جاءنى من
سفر ، وليس لى ما أقدمه له . فيجيب ذلك من داخل ، ويقول : لا تزعجنى .
الباب مغلق الآن ، وأولادى معى فى الفراش . لا أقدر أن أقوم وأعطيك ؟
أقول لكم : وان كان لا يقوم ويعطيه لكونه صديقه ، فانه من أجل لجاجته
يقوم ويعطيه قدر ما يحتاجه . وأنا أقول لكم : اسألوا تعطوا . اطلبوا
تجدوا . اقرعوا يفتح لكم . لأن كل من يسأل يأخذ ، ومن يطلب يجد ، ومن
يقرع يفتح له » (لوقا ١١ : ٥ - ٩)

(٤٢) ص ٣٩ ج ٣ تفسير لوقا .

التشرح والبيان

ذكر لوقا هذا المثل عقب قوله : « فقال لهم : متى صليتم ، فقولوا :
أبانا الذى فى السموات ، ليتقدس اسمك ، ليأت ملكوتك » وهذا يدل أن
هذا المثل مضروب لجبىء ملكوت السموات ، والغرض منه مثل الغرض من
مثل القاضى والأرملة الذى يقول فيه : « ينبغى أن يصلى كل حين ولا يمل »
(لوقا ١٨ : ١) حتى يأتى ملكوت السموات . وهم مستعدون للدخول
خيه (٤٣)

٣٨ — مثل الفريسي والعشار

يقول لوقا : « وقال لقوم واثقين بأنفسهم أنهم أبرار ، ويحتقرون
الآخرين : هذا المثل » :

الذهن : انسانان صعدا الى الهيكل ليصليا . واحد فريسي ،
والآخر عشار . أما الفريسي فوقف يصلى فى نفسه هكذا : اللهم أنا
أشكرك أنى لست مثل باقى الناس الخاطفين الظالمين الزناة . ولا مثل
هذا العشار أصوم مرتين فى الأسبوع ، وأعشر كل ما أقتنيه . وأما
العشار فوقف من بعيد لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء ، بل قرع
على صدره قائلا : اللهم ارحمنى أنا الخاطيء . أقول لكم : ان هذا نزل
الى بيته مبررا دون ذلك . لأن كل من يرفع نفسه يتضع ، ومن يضع
نفسه يرتفع . فقدموا اليه الأطفال أيضا ليلمسهم . فلما رآهم التلاميذ
انتهروهم . أما يسوع فدعاهم وقال : دعوا الأولاد يأتون الى ، ولا تمنعوهم ،
لأن المثل هؤلاء ملكوت الله . الحق أقول لكم : من لا يقبل ملكوت الله مثل ولد
خلن يدخله « (لوقا ١٨ : ٩ — ١٧ ، برنابا ١٢٨ : ١١ — ١٨)

(٤٣) ليس المراد استعداد المعاصرين للمسيح ، بل المراد استعداد
المعاصرين لنبي الاسلام ﷺ . لأن المسيح يخاطب كل أتباعه فى كل زمان
ومكان بما تركه من النصائح التى دونت فى زمانه ومن بعد زمانه ، والتى
يتناقلها الناس فيما بينهم خلفا عن سلف .

للشرح والبيان

مغزى المثل : ألا يتكبر اليهود عن الدخول فى ملكوت السموات ، اذا رأوا الأمم يدخلون فيه . يقول متى هنرى : « ان مدى هذا المثل مبين فى مقدمته وهى تخبرنا عن وجه اليهم . لقد قصد به أن يدين قوما واثقين بأنفسهم أنهم أبرار ، ويحتقرون الآخرين »

ونقول كما قال : انه أراد أن يوبخ علماء اليهود ، ويبين ان عبادتهم غير مقبولة ، لأنهم ظنوا ببرهم المصطنع ، أنهم جعلوا الله مدينا لهم ، ويمكنهم أن يطالبوه بأى شىء . وكانوا يحتقرون الخطاة ويعتبرونهم من الأمم ، فى حين أن الخطاة والأمم عندهم استعداد فطرى للإيمان والعمل الصالح ولا ينقصهم إلا تذكير وتنبية . وفى هذا إشارة الى أن الملكوت الآتى سيدخل فيه الأمم . وقوله بعد : « كل من يرفع نفسه يتضع ، ومن يضع نفسه يرتفع » وقوله : « من لا يقبل ملكوت الله مثل ولد فلن يدخله » يريد بهما ألا يتكبر اليهود عن الدخول فى الملكوت ، اذا ما رأوا الأمم يدخلون فيه .

٣٩ - مثل العشرة أمناء

يقول لوقا : « قال مثلا ، لأنه كان قريبا من اورشليم ، وكانوا يظنون ان ملكوت الله عتيد أن يظهر فى الحال . فقال » :

النص : « انسان شريف الجنس ذهب الى كورة بعيدة ليأخذ لنفسه ملكا ويرجع ، فدعا عشرة عبيد له ، وأعطاهم عشرة أمناء . وقال لهم : تاجروا حتى آتى . واما أهل مدينته فكانوا يبغضونه فأرسلوا وراءه سفارة قائلين : لا نريد أن هذا بملكنا علينا ، ولما رجع بعد ما أخذ الملك ، أمر أن يدعى اليه أولئك العبيد ، الذين أعطاهم الفضة ، ليعرف ييم تاجر كل واحد ؟ فجاء الأول قائلا : يا سيد مناك ربح عشرة أمناء . فقال له : نعما أيها العبد الصالح . لأنك كنت أمينا فى القليل ، فليكن لك سلطان على عشر مدن ، ثم جاء الثانى قائلا : يا سيد مناك عمل خمسة أمناء . فقال لهذا أيضا : وكن أنت على خمس مدن »

شم جاء آخر قائلًا : يا سيد هو ذا مناك الذى كان عندى موضوعا فى منديل ، لأنى كنت أخاف منك ، اذ أنت انسان صارم ، تأخذ ما لم تضع ، وتحصد ما لم تزرع . فقال له : من فمك أدينك أيها العبد الشرير . عرفت انى انسان صارم أخذ ما لم أضع ، وأحصد ما لم أزرع . فلماذا لم تضع فضتى على مائدة الصيافة فكنت متى جئت أستوفيتها مع ربا ؟ ثم قال للحاضرين : خذوا منه المناء ، وأعطوه للذى عنده العشرة الأمناء ، فقالوا له : يا سيد عنده عشرة أمناء . لأنى أقول لكم : ان كل من له يعطى ، ومن ليس له فالذى عنده يؤخذ منه ، أما أعدائى أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم ، فأتوا بهم إلى هنا . واذبحوهم قدامى » (لوقا ١٩ : ١١ - ٢٧)

الشرح والبيان

هذا المثل ذكره لوقا وحده ، ولم يذكره الثلاثة الآخرون . وهو يشبه مثل الوزنات العشر ، الذى ذكره متى . ويهدف الى : أن اليهود امتنعوا عن دعوة الأمم ، واستكبروا عن مخالطتهم وهدايتهم .

٤٠ - مثل الكروم الثلاث

النص :

« انى أضرب لكم مثلا : كان لرجل ثلاث كروم ، أجرها لثلاثة كرامين . ولما لم يعرف الأول كيف يحرق الكرم ، لم يخرج الكرم سوى أوراق . أما الثانى فعلم الثالث كيف يجب أن تحرق الكروم . فأصغى لكلماته ، وحرق كرمه كما أرشده . فأتى كرم الثالث بثمر كثير . ولكن الثانى أهمل حراثة كرمه ، صارفا وقته فى التكلم فقط . فلما حان الوقت لدفع الأجرة ، لصاحب الكرم . قال الأول : يا سيد انى لا أعرف كيف يحرق كرمك . لذلك لم يكن لى ثمر هذه السنة . فأجاب السيد : يا غبى . هل تسكن العالم وحده ، حتى أنك لم تستشر كرامى الثانى ، الذى يعرف جيدا ، كيف تحرق الأرض ؟ فيتحتم عليك أداء حقى . ولما قال هذا حكم عليه بالاشتغال فى

السجن ، الى أن يدفع لسيده الذى رحم غرارته . فأطلقه قائلاً : انصرف
فانى لا أريد أن تشتغل بعد فى كرمى ، وكيفيك أنى أعطيك دينك .

وجاء الثانى . الذى قال له السيد : مرحبا بكرامى . أين الثمار التى
أنت مديون لى بها ؟ ومن المؤكد أنك لما كنت تعلم جيدا كيف تهذب الكروم ،
فلا بد أن يكون الكرم الذى أجرتك اياه ، قد أتى بثمار كثيرة . فأجاب الثانى :
يا سيد ان كرمك آخذ فى الانحطاط . لأنى لم أشذب الشجر ، ولا حرثت
الأرض . والكرم لم يأت بثمر . فلذلك لا أقدر أن أدفع لك .

ثم دعا السيد الثالث . وقال له بانذهال : لقد قلت لى : ان هذا
الرجل الذى أجرته الكرم الثانى ، قد أتم تعليمك حراثة الكرم ، الذى
أجرتك اياه . فكيف يمكن أن لا يأتى الكرم الذى أجرته اياه هو ، بثمر ، مع أن
التربة واحدة ؟ أجاب الثالث : يا سيد ان الكرم لا يحرث بالكلام فقط ، بل
على من يريد استجاره أن ينضح منه كل يوم عرق قميص . وكيف يأتى
أيها السيد كرم كرامك بثمر ، وهو لا يفعل سوى اضاءة الوقت بالكلام ؟
ولا ريب أيها السيد فى انه لو عمل بما قال لأعطاك أجره الكرم لخمس
سنين . لأنى أنا الذى لا أقدر على الكلام كثيرا ، أعطيتك أجره سنتين .

فحقق السيد ، وقال للكرام بازدراء : اذن أنت قد عملت عملا عظيما
بعدم زبر الأشجار وتمهيد الكرم . فلك اذن على جزاء عظيم . ثم دعا
خدمه وأمر بضربه بدون رحمة ، ثم وضعه فى السجن تحت سيطرة خادم
جاف ، كان يضربه كل يوم ، ولم يرد مطلقا أن يطلقه لأجل شفاعة
أصدقائه » (برنابا ٧٦ : ١ - ٢١)

المشرح والبيان

ان هذا المثل شبيهه بمثل العشرة الأمانء الذى ذكره لوقا وحده فى الاصحاح
التاسع عشر من انجيله . وشبيهه بمثل الموزنات العشرة الذى ذكره متى وحده
فى الاصحاح الخامس والعشرين من انجيله . والمغرض منه : أن يقول الانسان

ويشعل . لا أن يقول سقط كعلما بني إسرائيل الذين يتحذثون عن شريعة الله ، وليس عندهم أدنى استعداد للعمل بها . كما قال المسيح عليه السلام في انجيل متى : « على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون . فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه ، فاحفظوه وافعلوه . ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا ، لأنهم يقولون ولا يفعلون . فانهم يحزمون أحمالا ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على اكتاف الناس وهم لا يريدون أن يحركوها باصبعهم ، وكل أعمالهم يعملونها لكي تنظروهم الناس » (متى ٢٣ : ٢ - ٥)

وفى هذا اشارة الى نزع الملكوت من اليهود الذين لا يعملون به الى أمة أخرى تعمل به . كما عبر المسيح فى مثل الكرامين الأرياء .

تمت أمثال ملكوت السموات

تعقيب :

لماذا أمر المسيح علماء بنى اسرائيل بالتوبة ؟ ولماذا حثهم على التواضع ؟
ولماذا وبخهم على الكبر ؟

لأن علماء بنى اسرائيل اعتقدوا أنهم أبناء الله وأحباؤه . وأن الله خصهم بشريعته ليكسبوا بها عزا وجاها بين بنى جنسهم . وخصهم بملكوت السموات الذى سيظهر فيهم بعد زمان . هذا هو اعتقادهم . ولهذا الاعتقاد نظروا الى بنى اسماعيل كما ينظرون الى سائر الأمم الذين يعتبرونهم كالكلاب النجسة ، وتكبروا عليهم وترفعوا عن مخالطتهم . ونصوص التوراة التى تدل على نبي سيظهر فى آل اسماعيل : حرفوها عن مواضعها لتشير الى هذا النبي بصعوبة . ولقد ظهر فيهم المسيح عيسى بن مريم وهم على هذا الحال . فحثهم على التوبة ، وعلى التواضع مع خلق الله ، وعرفهم بأنهم قد أخطأوا فى اعتقادهم أن الشريعة لهم من دون العالمين ، وقد أخطأوا أيضا فى اعتقادهم بأن الملكوت الآتى سيكون فيهم . وبين لهم أنهم سيعملون اثم الأمم التى ضلت بسبب تهاونهم فى الدعوة . وأنهم إذا لم يتركوا الكبر فلن يدخلوا فى الملكوت الآتى . لأن الملكوت الآتى سيكون فى الأمم ، الذين يأنفون من مخالطتهم . وقد بالغ المسيح فى حثهم على التواضع ، لدرجة أن قال لهم : « الحق أقول لكم : ان لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد ، فلن تدخلوا ملكوت السموات » . (متى ١٨ : ٣)
قال لهم أيضا : « ان كان احد لا يولد من فوق ، لا يقدر أن يرى ملكوت الله » (يوحنا ٣ : ٣) يريد أن يقول : من لا يكون قلبه فارغاً من المتعاليم الكاذبة ، فلن يفهم حقيقة الملكوت بسهولة ، ولن يدخل فيه ببسر .



ولقد جرت محاورية بين المسيح وبين « نيقوديموس » فى هذا الشأن .
هذا نصها :

النص : « كان انسان من الفريسيين اسمه نيقوديموس رئيس لليهود . هذا جاء الى يسوع ليلا . وقال له يا معلم : نعلم أنك قد أتيت من الله معلما ، لأن ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التي أنت تعمل ان لم يكن الله معه . اجاب يسوع : وقال له : الحق الحق أقول لك : ان كان أحد لا يولد من فوق ، لا يقدر أن يرى ملكوت الله . فقال له : نيقوديموس : كيف يمكن الانسان أن يولد وهو شيخ ؟ أعله يقدر أن يدخل بطن أمه ثانية ويولد ؟ اجاب يسوع : الحق الحق أقول لك : ان كان أحد لا يولد من الماء والروح ، لا يقدر أن يدخل ملكوت الله . المولود من الجسد : جسد هو . والمولود من الروح : هو روح . لا تتعجب أى قلت لك : ينبفى أن تولدوا من فوق . الروح تهب حيث تشاء ، وتسمع صوتها . لكذلك لا تعلم : من أين تأتى ؟ ولآ الى أين تذهب ؟ هكذا كل من ولد من الروح . اجاب نيقوديموس : وقال له : كيف يمكن أن يكون هذا ؟ اجاب يسوع : وقال له : أنت معلم اسرائيل ولست تعلم هذا ؟ » (يوحنا ٣ : ١ - ١٠)

الشرح والبيان

نلاحظ هنا :

١ - أن نيقوديموس ، وكان رئيسا لليهود ، وكان من علمائهم . ينادى عيسى باللقب الذى يتاديه به تلاميذه وهو « يا معلم » أو « أيها الزبى » حسب الترجمة الانجليزية وقال له : « نعلم أنك أتيت من الله معلما » لم تتعلم من البشر ، ولم ترسل من البشر كالمعلمين الآخرين . ولم يقل له : نعلم أنك أتيت من الله الها ، أو نعلم أنك الله . فدل ذلك على أن عيسى كان فى نظر رؤساء اليهود كما كان فى نظر تلاميذه انسانا عاديا كسائر البشر ، الا أنه مكرم بالنبوة . وعيسى لم يقرر للناس غير نبوته وأنه يبشر برسول الله ﷺ وأنه مصدق للتوراة . والا كان يجادل نيقوديموس لما ناداه « يا معلم » وكان يراجعه . كما جادله وراجعه بل ووبخه فى بقية الحوار المذكور فى النص .

٢ - المعجزات التى أظهرها عيسى ، اعترف نيقوديموس أنه يعملها بتأييد الله وعونه ، ولم ينكر عيسى عليه ذلك .

٣ — قول عيسى : « ان كان أحد لا يولد من فوق ، لا يقدر أن يرى ملكوت الله » وفى ترجمة الكاثوليك « ان لم يولد أحد ثانية ، فلا يقدر أن يعاين ملكوت الله » والولادة من فوق أو الولادة الثانية تعنى : التوبة وقطع كل صلة بالماضى الأثيم ، والتهيؤ النفسى لاستقبال الموضع الجديد للدخول فى شريعة النبى الآتى ، وترك التعصب للشريعة القديمة . وعبر بالولادة لأن الولادة سبب الحياة وبتأديتها . وهنا يعترض نيقوديموس على كلمة الولادة ، اما لأنه فهم المعنى الحرفى وهو الولادة الطبيعية ، واما لأنه استبعد تقبل اليهود للدخول فى ملك بنى اسماعيل عليه السلام .. وهو الصحيح — وعبر عن فهمه الحرفى أو استبعاده بقوله : « كيف يمكن الانسان أن يولد وهو شيخ ؟ أعله يقدر أن يدخل بطن أمه ثانية ويولد؟ » فقد دار فى خلدته كما يقول متى هنرى : « أيمكن أن يولد ويتربى ولادة أفضل وتربية أفضل من ولادته وتربيته كاسرائيلى ؟ وهل يمكن أن ينال مكانا أفضل فى ملكوت السىا بأية ولادة أخرى ؟ صحيح أنهم كانوا يعتبرون الدخيل من الوثنية كأنه ولد ثانية ، أو ولد من جديد ، لكنه لم يستطع أن يدرك كيف يمكن لليهودى الفريسي أن يحسن نفسه بولادته أولا . ان الذين يفتخرون بولادتهم الأولى يعسر عليهم أن يولدوا ولادة جديدة » (٤٤) ويجب عيسى على فهمه الحرفى للولادة أو استبعاده بقوله : « ان كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله » يعنى : الرجوع الى أصل الانسان فانه فى الأصل مخلوق من الماء ، ونفخ الله فيه من روحه ولما انتصب آدم وقت أن صار نفسا حية كان خالى الذهن عن ضروريات الجسد وشهوات النفس ، وكان فى وضع استعداد لتقبل ما يلقى عليه من معلومات لمواجهة الحياة على علاتها . وهنا يقول عيسى لنيقوديموس واليهود من ورائه : يجب أن ترجعوا كأصل الخلقة وتنسوا التعاليم الفاسدة التى زرعها العلماء فى قلوبكم ، وتنسوا التعصب لحدكم وشريعتكم ، حتى يسهل عليكم تقبل الشريعة الجديدة والاندماج فى ملكوت السموات .

٤ — وفى النص توبيخ من عيسى — عليه السلام — لنيقوديموس على

(٤٤) تفسير انجيل يوحنا لمتى هنرى ص ١٥٩ ج ١ .

غباوته وجهله فقد قال له : « أنت معلم اسرائيل ولست تعلم هذا ؟ »
وفى ترجمة الكاثوليك : « أكون معلما في اسرائيل ولا تعلم هذا ؟ »

وهذا التوبيخ لأنه يقيم في اورشليم مقر الدراسات الدينية ، ولأن الحياة الجديدة في ملكوت المسيا تحدث عنها أنبياء العهد القديم لليهود . مثال ذلك ما جاء في حزقيال : « اطرحوا عنكم كل معاصيكم التي عصيتم بها ، واعملوا لأنفسكم قلوبا جديدة وروحا جديدا » (١٨ : ٣١) ومن كلام حزقيال لليهود على لسان الله عز وجل : « وأعطيك قلوبا جديدة ، واجعل روحا جديدا في داخلكم ، وأنزع قلب الحجر من لحمكم (٤٥) وأعطيك قلب لحم ، واجعل روحي في داخلكم واجعلكم تسلكون في فرائضى وتحفظون أحكامى وتعملون بها » (٣٦ : ٢٦ - ٢٧)

وأخيرا نسأل : ما هو السبب الذي جعل نيقوديموس يتودد الى عيسى ويذهب اليه ليلا خوفا من اليهود ؟ ويجيب على ذلك متى هنري المفسر بقوله : « واضح أنه كان ينتظر ملكوت السموات ، ملكوت المسيا الذي كان مزما أن يظهر قريبا . لقد أحس في الوقت المناسب باثراق ذلك اليوم . ووفقا لفكرة اليهود العلمية توقع أن يظهر الملكوت في مجسد خارجي وعظمة عالمية ، لم يشك في أن يسوع هذا الذي يعمل هذه المعجزات اما أن يكون هو المسيا أو نبيه . لذلك تودد اليه وحياه . وبهذا كان يرجو أن يضمن لنفسه نصيبا في امتيازات وبركات ذلك الملكوت (٤٦) »



وذكر برنابا هذه المحاوراة التي جرت بين عيسى ونيقوديموس من الفصل ١٨ الى ١٩٢ وفى نهايتها : سأل عيسى نيقوديموس : « قل لي ايها الأخر وأنت الفقيه المتصلع من الشريعة : باى ضرب موهب مسيا لأبينا ابراهيم ؟ ابا اسحق أم باسمائيل ؟ اجاب الكاتب : يا معلم أظنى أن

(٤٥) فى القرآن الكريم عن اليهود « ثم قسمت قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة »

(٤٦) ج ١ تفسير انجيل يوحنا لمتى هنرى ص ١٥٥

أخبرك عن هذا بسبب عقاب الموت . حينئذ قال يسوع : انى آسّف
أيها الأخ انى اتيت لأكل خبزا فى بيتك . لأنك تحب هذه الحياة الحاضرة
أكثر من الله خالقك . ولهذا السبب تخشى أن تضر حياتك ، ولكن لا تخشى
أن تضر الايمان والحياة الأبدية التى تضيع متى تكلم اللسان عكس
ما يعرف القلب من شريعة الله . حينئذ بكى الكاتب الصالح . وقال :
يا معلم لو عرفت كيف أثمر ، لكنى قد بشرت مرارا كثيرة بما أعرضت
عن ذكره لئلا يحصل شغب فى الشعب اجاب يسوع : يجب عليك ان
لا تحترم الشعب ، ولا العالم كله ولا الأطهار كلهم ولا الملائكة كلهم ،
اذا أغضبوا الله . فخير أن يهلك العالم كله من أن تغضب الله خالقك .
ولا تحفظه فى الخطيئة ، لأن الخطيئة تهلك ولا تحفظ . أما الله فقدير على
خلق عوالم عدد رمال البحر بل أكثر . حينئذ قال الكاتب : عفوا يا معلم
لأنى قد أخطأت . قال يسوع : الله يغفر لك لأنك اليه قد أخطأت فقال من
ثم الكاتب : لقد رأيت كتيبا قديما مكتوبا بيد موسى ويشوع (الذى أوقف
الشمس كما قد فعلت) خادمى ونبىي الله ، وهو كتاب موسى الحقيقى .
ففيه مكتوب : أن اسماعيل هو أب لىسيا ، واسحق أب لىسول مسيا . . .
فقال حينئذ يسوع : أنظر أن لا تعود أبدا فتحجز الحق ، لأنه بالايمان بمسيا
سيعطى الله الخلاص للبشر ، ولن يخلص أحد بدونه . وأتم هنا يسوع
حديثه ، وبينما كانوا على الطعام اذا بهريم التى بكت عند قدمى يسوع
قد دخلت الى بيت نيةوديموس ، وهذا هو اسم الكاتب « (برنابا ١٩٠ —

١٩١)

الفصل الثالث

في

ابن الانسان

تمهيد :

قال دانيال : « كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحب السماء
مثل ابن انسان أتى وجاء الى القديم الأيام فقربوه قدامه فأعطى سلطانه
ومجدا وملكوتا لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة . سلطانه سلطان أبدي
ما لن يزول وملكوته ما لا ينتقض » (دانيال ٧ : ١٣ - ١٤)

وقال المسيح لتلاميذه :

١ - « ومتى طردوكم في هذه المدينة ، فاهربوا الى الأخرى .
فانى الحق أقول لكم : لا تكملون مدن إسرائيل ، حتى يأتى ابن الانسان »
(متى ١٠ : ٢٣)

٢ - « اعملوا لا للطعام البائس . بل للطعام الباقي . للحياة الأبدية
الذى يعطيكم ابن الانسان » (يوحنا ٦ : ٢٧)

٣ - « كونوا أنتم أيضا مستعدين ، لأنه في ساعة لا تظنون يأتى
ابن الانسان » (متى ٢٤ : ٤٤)

٤ - « حينئذ يشبه ملكوت السموات ، عشر عذارى ، أخذن مصابيحهن
وخرجن للقائه العريس . وكان خمس منهن حكيما وخمس جاهلات . أما
الجاهلات فأخذن مصابيحهن ، ولم يأخذن معهن زيتا . وأما الحكيما
فأخذن زيتا في آنيتهن مع مصابيحهن . وفيما أبطأ العريس نعسن جميعهن
ونمن . ففى نصف الليل صار صراخ : هو ذا العريس مقبل ، فأخرجن للقائه .

فقامت جميع أولئك العذارى وأصلحن مصابيحن . فقالت الجاهلات للحكيما : اعطيننا من زيتكن فان مصابحن تنطفئ . فأجابت الحكيمات قائلات : لعله لا يكفي لنا . ولكن بل اذهبن الى الباعة وابتعن لكن . وفيما هن ذاهبات لبتعن جاء العريس ، والمستعدات دخلن معه الى العرس ، وأغلق الباب .

أخيرا . جاءت بقية العذارى أيضا قائلات : يا سيد . يا سيد افتح لنا . فأجاب وقال : الحق أقول لكم : انى ما أعرفكن .

فاسهروا اذن لأنكم لا تعرفون اليوم ولا الساعة التى ياتى فيها ابن الانسان» (متى ٢٥ : ١ - ١٣)

٥ - وقال المسيح لعلماء بنى اسرائيل أثناء المحاكمة :

« من الآن تبصرون ابن الانسان ، جالسا عن يمين القوة ، وآتيا على سحب السماء » (متى ٢٦ : ٦٤)



وقد بينا من قبل : أن ملكوت الله فى الأرض ، يعنى سيادة أمره على المؤمنين به . وأن الملكوت يطلق على عهد بنى اسرائيل ، وعهد بنى اسماعيل . وأن النبى دانيال بين فى سفره أن ملكوت بنى اسماعيل سيظهر عقب مملكة الرومان . وفى ظهوره ينتهى الملكوت من بنى اسرائيل . وأن النبى دانيال لقب الآتى من بنى اسماعيل ليقيم الملكوت ، بلقب ابن الانسان . وأن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام نادى فى بنى اسرائيل باقتسراب ملكوت السموات ، الذى تحدث عنه دانيال ، وضرب الأمثال لحبيئه .



وهنا نبين آهاديث المسيح عيسى عليه السلام التى تحدث فيها عن ابن الانسان ، ونذكر وجهة نظر النصارى فيها ، مع الشرح والبيان .

الحديث الأول

حتى يأتي ابن الانسان

النص :

١ — يقول متى عن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام « ثم دعا تلاميذه الاثنى عشر وأعطاهم سلطانا على أرواح نجسة حتى يخرجوها . ويشفوا كل مرض وكل ضعف . وأما أسماء الاثنى عشر رسولا فهي هذه . الأول سمعان الذى يقال له بطرس . واندراوس أخوه . يعقوب بن زبدي . ويوحنا أخوه . فيلبس . وبرثولماوس . توما . ومتى العشار . يعقوب ابن حلفى . ولباوس الملقب تداوس . سمعان القانوى . ويهوذا الأسخريوطى الذى أسلمه (١)

هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا : الى طريق أمم (٢) لا تمضوا والى مدينة للسامريين (٣) لا تدخلوا . بل اذهبوا بالحدري الى خراف بيت اسرائيل الضالة وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا (٤) قائلين : أنه قد اقترب ملكوت السموات .

اشفوا مرضى . طهروا برصا . أقيبوا موتى . أخرجوا شياطين . مجاناً أخذتم مجاناً أعطوا ، لا تقتنوا ذهباً ولا فضة ولا نحاساً فى مناطقكم . ولا مزوداً للطريق ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصا (٥) لأن الفاعل مستحق طعامه .

(١) هو الذى أسلمه الى الرومان ليتثنوه .

(٢) لا تجعلوا الدعوة عالمية الا بعد نشرها أولاً بين اليهود .

(٣) اليهود السامريون .

(٤) بشروا الناس .

(٥) فى رواية مرقس أمرهم بأخذ العصا .

واية مدينة أو قرية دخلتموها فافحصوا من فيها مستحق . وأقيموا هناك حتى تخرجوا وحين تدخلون البيت سلّموا عليه . فان كان البيت مستحقا فليات سلامكم عليه . ولكن ان لم يكن مستحقا فليرجع سلامكم اليكم . ومن لا يقبلكم ولا يسمع كلامكم فاخرجوا خارجا من ذلك البيت أو من تلك المدينة وانفضوا غبار أرجلكم . الحق أقول لكم : ستكون لأرض سدوم وعمورة يوم الدين حالة أكثر احتمالا مما لتلك المدينة .

ها أنا أرسلكم كغنم في وسط ذئاب . فكونوا حكما كالحيات . وبسطاء كالحمم . ولكن احذروا من الناس . لأنهم سيسلمونكم الى مجالس . وفي مجامعهم يجلدونكم . وتساقون أمام ولاة وملوك من اجل شهادة لهم وللأمم . فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون ؟ لأنكم تعطون في تلك الساعة ما تتكلمون به . لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم . وسيسلم الأخ أخاه الى الموت والأب ولده . ويقوم الأولاد على والديهم ويقتلونهم . وتكونون مبغضين من الجميع من أجل اسمي . ولكن الذي يصبر الى المنتهى فهذا يخلص . ومتى طردوكم في هذه المدينة فاهربوا الى الأخرى . فاني الحق أقول لكم : لا تكملون مدن اسرائيل حتى يأتي ابن الانسان .

ليس التلميذ أفضل من المعلم ولا العبد أفضل من سيده . يكفى التلميذ أن يكون كمعلمه والعبد كسيده . ان كانوا قد لقبوا رب البيت بعلزبول (٦) فكم بالحرى أهل بيته . فلا تخافوهم لأن ليس مكتوم لمن يستعلن ولا خفي لمن يعرف . الذي أقوله لكم في الظلمة قولوه في النور . والذي تسمعونه في الأذن نادوا به على السطوح . ولا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوا . بل خافوا بالحرى من الذي يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما في جهنم .

(٦) رب البيت : يقصد الله تعالى صاحب هيكل سليمان في نظرهم . وكان علماء اليهود يقولون للمسيح أنك تخرج الشياطين بواسطة بعلزبول في حين أنه كان يعرفهم أنه كان يابن الله . فلذلك في رأيهم قالوا عن الله : بعلزبول .

أليس عصفوران يباعان بفلس . وواحد منهما لا يسقط على الأرض بدون أبيكم (٧) وأما أنتم فحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة . أنتم أفضل من عصافير كثيرة فكل من يعترف بى قدام الناس أعترف به أنا أيضا قدام أبى الذى فى السموات . ولكن من ينكرنى قدام الناس انكره أنا أيضا قدام أبى الذى فى السموات .

لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاما على الارض . ما جئت لألقى سلاما . بل سيفا . فانى جئت لأفترق الانسان ضد أبيه . والابنة ضد أمها . والمكئة ضد حماتها . وأعداء الانسان أهل بيته . من أحب أبا أو أما أكثر منى . فلا يستحقنى ومن أحب ابنا أو ابنة أكثر منى فلا يستحقنى . ومن لا يأخذ صليبه (٨) ويتبعنى فلا يستحقنى . من وجد حياته يضيعها . ومن أضاع حياته من أجلى يجدها . من يقبلكم يقبلنى . ومن يقبلنى يقبل الذى أرسلنى . من يقبل نبيا باسم نبى فأجر نبى يأخذ . ومن يقبل بارا باسم بار فأجر بار يأخذ ومن سقى هؤلاء الصغار كأس ماء بارد فقط باسم تلميذ فالحق أقول لكم : انه لا يضيع أجره .

» ولما أكمل يسوع امره لتلاميذه الاثنى عشر انصرف من هناك ليعلم ويكرز فى مدنهم « (متى ١٠ و ١١ : ١١ ومرقس ٦ : ٧ - ١٣ ولوقا ٩ : ١ - ٦) .

٢ - وزاد لوقا فى روايته عن عيسى عليه السلام أنه أرسل سبعين آخرين (٩) وأوصاهم بما أوصى به الاثنى عشر . ومن كلامه : «ثم أرسل سبعين آخرين أيضا وأرسلهم اثنين اثنين أمام وجهه الى كل مدينة وودضع حيث كان هو مزمعا أن يأتى» ومما أوصاهم به : «وأية مدينة دخلتموها وقبلوكم فكلوا مما يقدم لكم واشفوا المرضى الذين فيها . وقولوا لهم :

(٧) يقصد البنوة المجازية .

(٨) كان من عادة الرومان أن يعلقوا من يستحق الموت فى نظرهم على الصليب .

(٩) وقد ذكر برنابا أن عددهم ٧٢ (انظر ٩٩ : ١ - ٢)

قد اقترب منكم ملكوت الله . وأية مدينة دخلتموها ولم يقبلوكم فاخرجوا
الى شوارعها وتولوا حتى الغبار الذى لصق بنا من مدينتكم ننفضه
لكم . ولكن اعلموا هذا انه قد اقترب منكم ملكوت الله « (لوقا . ١٠ :
(١٦ - ١)

المعنى العام للنص :

١ - هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم عيسى عليه السلام ليساعدوه فى مهمة
البشير التى من أجلها قد جاء وأوصاهم أن يقصروا دعوتهم على اليهود
بالضرورة ، وأن يقولوا « قد اقترب ملكوت السموات » والمعجزات التى
عملها باذن الله يوصى تلاميذه أن يعملوها « اشفوا المرضى ، طهروا برصا ،
أقيموا موتى ، اخرجوا شياطين » وهذه المعجزات يجب أن يصنعها التلاميذ
بدون ثمن ، لأن الله منحها لهم بدون ثمن ، وهم فى طريقهم الى مدن بنى
اسرائيل . يجب أن يتخففوا من حمل المؤونة التى ينبغى أن يتزودوا بها
فى أسفارهم ، لا يقتنوا ذهباً ولا فضة ولا نحاساً فى مناطقهم لأن الله
سيعولهم .

٢ - ولما كان التلاميذ مزمعين أن يخرجوا الى حيث لا يعلمون ما يخبأه
لهم القدر . لأن الناس ذوى عقول متفاوتة . منهم من سيقبل الدعوة ،
ومنهم من سيرفضها . ومنهم متردد بين بين . فقد أرشدهم عيسى عليه السلام
كيف يتصرفون؟ بقوله: « أية مدينة أو قرية دخلتموها فافحصوا من فيها مستحق
واقموا هناك حتى تخرجوا » ابحثوا عن أفضل الرجال المتدينين فى المكان
وتعرفوا بهم . واقموا معهم . وألقوا التحية أولاً . فان قولت تحياتكم ببشر
وسرور . فأقيموا واثرحوا دعوتكم وان قولت بعبوس فانصرفوا بعدما
نحملوهم تبعة انصرفهم عن الدعوة ، فانه ما على الرسول الا البلاغ .

٣ - ويقتبأ عيسى عليه السلام بقلة المؤمنين من بنى اسرائيل ولذلك
فان الأشرار منهم هالكون فى الدنيا والآخرة وأن قريتى سدوم وعمورة اللتين
هلكتا فى الدنيا بسبب عصيانهما للوط عليه السلام . هاتان القريتان أخف

وطأة يوم القيامة من عذاب أورشليم عاصمة ملك بنى اسرائيل (١٠).
٤ — ثم يبين عيسى ما سوف يلقاه هؤلاء التلاميذ من آلام وأوجاع ،
وأنهم سيكونون بين الناس كغنم وسط ذئاب ، وأوصاهم أن يتحملوا
العذاب في سبيل عملهم لأن هذه سنة الحياة ، صراع بين الحق والباطل ،
ولن تجد لسنة الله تبديلا ونصحهم بقوله : «كونوا حكماء كالحيات ، وبسطاء
كالحمائم » لا حكماء كالثعالب التي تنصب حكمتها على تضليل الآخرين ،
بل كالحيات التي تنحصر حكمتها في الدفاع عن نفسها وطلب النجاة .
« وبسطاء كالحمائم » في اللطف والوداعة . ونصحهم أيضا : اذا اشتد
عليهم الأذى أن ينتقلوا من مدينة لاخرى « ومتى طردوكم في هذه المدينة
فاهربوا الى الأخرى »

ويبين أن الأذى سيشتد عليهم ، فانهم سيسلمونهم الى مجالس القضاء التي
تعنى بحفظ الأمن العام ، ويجب عليهم أن لا يتوقعوا الاضطهاد من الولاة
الأصاغر في مجالس القضاء فقط ، بل أيضا من كبار الولاة والملوك « وتساقون
أمام أمم وملوك »

ثم يبين لهم أن فريقا من الناس سيؤمن بهم ، وهؤلاء الذين سيؤمنون
سيضطهدون من أقاربهم . سوف يؤذون من الكافرين فيضطرون الى الدفاع
عن أنفسهم لذلك ستقام حروب وانقسامات بين البيت الواحد وبين
مدينة وأخرى .

وقد أعطاهم القدوة بنفسه . أنه كان يشفى المرضى باذن الله ، فكان
يتهمه علماء اليهود بأنه يستخدم « بعلزبول » رئيس الشياطين ، ويقسم
ويعزم عليه ، ويسخره في شفاء الأمراض فاذا كانوا قد أطلقوا على الله — الذي
كان يطلب منه عيسى باسم الله — رئيس الشياطين . تعالى الله عن ذلك
علوا كبيرا . فانهم سيطلقون على التلاميذ « بعلزبول » أيضا « ان كانوا
قد لقبوا رب البيت ، بعلزبول ، فكم بالحرى اهل بيته »

(١٠) انظر (التكوين ١٣ : ١٢ — ١٣)

٥ — ويضرب لهم عيسى مثلا بنفسه في انه لقي عذابا ، ومهما كانت الآلام التي يلقيها التلاميذ فانها لا تزيد عما لقيه عيسى بصفته معلمهم ومرشدهم « ليس التلميذ أفضل من المعلم » ومهما يطول الزمن على الحقائق الخفية ، فسوف يأتي اليوم الذي تظهر فيه هذه الحقائق « ليس مكتوم لن يستعلن ، ولا خفي لن يعرف » ثم يبين لهم عيسى أن أقل شيء في الوجود تلحظه عناية الله . وإذا كان هذا كذلك فالدعاة الى الله ، تلحظهم عناية الله من باب أولى .

٦ — ثم انه يرهب الذين لا يسمعون لقوله « من يعترف بي قدام الناس اعترف انا أيضا به قدام ابي الذي في السموات . ولكن من ينكرني قدام الناس انكره انا أيضا قدام ابي الذي في السموات » لأنه سيكون شاهدا عليهم يوم القيامة أمام الله . ويبين لهم أن الجنة تنال بالصبر على الدعوة « من أحب أبا أو أما أكثر مني فلا يستحقني ومن أحب ابنا أو ابنة أكثر مني فلا يستحقني » وكان من عادة الرومان أن يعلقوا من يستحق الموت في نظرهم على الصليب ، وأن يحمل المذنب صليبه ليصلب عليه وهنا يذكرهم عيسى بالاستعداد للموت ويكونون كمن يحمل صليبه ليصلب عليه . لأن دعوتهم ستجلب عليهم هذا العقاب « ومن لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني » ثم يذكر أن من يحفظ حياته في العالم الحاضر من أذى الناس بعدم تبليغ الدعوة فسوف يخسرها يوم القيامة « من أضع حياته من أجل يبيدها » ثم يذكر أنه هو والتلاميذ واحد في الهدف « من يقبلكم يقبلني ، ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني »

وفي النهاية يشير عيسى عليه السلام الى مجيء نبي من بعده ، الى أبرار في قوله : « من يقبل نبيا باسم نبي فأجر نبي يأخذ ، ومن يقبل بارا باسم بار ، فأجر بار يأخذ » ويؤكد عيسى على أهمية عمل التلاميذ ، وأنه يشبه عمله تماما فيقول « ومن سقى أحد هؤلاء الصغار كأس ماء بارد فقط باسم تلميذ ، فالحق أقول لكم : انه لا يضيع أجره »

موضع الشاهد :

وموضع الشاهد في هذه الوضعية قول عيسى عليه السلام لتلاميذه « فاني

الحق أقول لكم : لا تكملون مدن اسرائيل حتى يأتى ابن الانسان» من هو ابن الانسان هذا الذى أشار الى مجيئه عيسى عليه السلام عقب فراغ التلاميذ من التبشير بمجيئه فى مدن بنى اسرائيل ؟

يقول النصارى : انه عيسى عليه السلام ونقول نحن : انه نبي الاسلام ﷺ يقولون : ١ - ان ابن الانسان هو صاحب ملكوت السموات الذى تحدث عنه دانيال بعد المملكة الرابعة (مملكة الروم) ٢ - وان ابن الانسان هو عيسى عليه السلام صاحب الملكوت . ثم انهم اختلفوا فى مفهوم عبارة « لا تكملون مدن اسرائيل حتى يأتى ابن الانسان » على ثلاثة أقوال :

الأول : حتى يفرغ التلاميذ من الدعوة فى مدن اسرائيل . يكون المسيح قد قتل وصعد الى السماء . وينزل فى اليوم الخمسين الروح القدس الاله الثالث فى الثالوث المقدس ليغير السنة التلاميذ الى لغات العالم حينئذ وحينئذ يتأسس ملكوت السموات (ملكوت ابن الانسان) يقول متى هنرى ما نصه : « الحق أقول لكم لا تكملون مدن اسرائيل حتى يأتى ابن الانسان » كان عليهم أن يركزوا بأن ملكوت ابن الانسان المسيا قد اقترب وكان عليهم أن يصلوا ليأت ملكوتك والآن يخبرهم بأنهم لا يكملون مدن اسرائيل مصلين وكارزين هكذا حتى يكون هذا الملكوت قد أتى برفعة المسيح وسكب الروح القدس » (١٢)

وهذا القول باطل لأن دولة الروم لم تزل يوم الخمسين . والأصح : أن التعبير كناية عن سرعة زمن نبي الاسلام ﷺ وأن هذا الزمن قريب جدا . مقدار الوقت الذى تصل فيه الدعوة الى اليهود المقيمين فى الأرض . والقول الثانى والثالث يحكيهما الأنبا اثناستوس هكذا :

يقول الأنبا اثناستوس « لا تكملون مدن اسرائيل حتى يأتى ابن الانسان » لها أحد معنيين :

(١١) ص ١٦٥ - ١٦٦ ج ٢ تفسير متى .

(أ) أن الرب يصل الى اورشليم حتى يكون الرسل قد انتهوا من نشر دعوته في جميع مدن اسرائيل .

(ب) أن الدينونة لا تجيء قبل أن تتم الكرازة لجميع اسرائيل الجديد الذي هو الكنيسة وتخلص آخر نفس من أولاد الله « (١٣)

يريد الأنبا اثناسيوس أن يقول :

(أ) أن التلاميذ يفرغون من الدعوة وبعد الفراغ يدخل عيسى اورشليم قبل رفعه .

(ب) أن التلاميذ ينطلقون الى العالم بالدعوة بعد الرفع ليكسبوا أنصارا بديلين لليهود والأنصار الجدد يسمون ببني اسرائيل مجازا لأنهم عوض عن بني اسرائيل القدامى الذين رفضوا ملكوت عيسى . وفي يوم القيامة يوم الدينونة يأتي ابن الانسان عيسى عليه السلام .

والمعنيان سقيمان . وغرضه منها : تحريف الكلم عن مواضعه .

فبالنسبة للقول الثاني نسألهم هل سينزل المسيح في آخر الزمان نزولا روحيا على قلوب المؤمنين . أم سينزل نزولا أرضيا ؟ وأيما ما كان نزوله روحيا أم أرضيا فان نصوص الانجيل مصرحة بعدم نزوله مطلقا بدليل قول المسيح عليه السلام « لست أنا بعد في العالم » (يوحنا ١٧ : ١١)

وتقول الطوائف العظمى انه نزول روحى . وفي نزوله يقوى ايمان المؤمنين ويشتد ويثابى الشر من الأرض بهلاك الاشرار ولا يبقى فيها الا المؤمنين ثم تقوم القيامة وعند نزوله ينتهى عصر الملكوت ويبدأ عصر جديد يسمى « المجيء الثانى للمسيح » وفيه دينونة الخلائق وقبل نزوله ينزل

(١٤) ص ١٦٠ تفسير متى .

الياس عليه السلام « ايليا » لمقاومة الدجال (١٤) ويرتبون الحوادث على النحو الآتى :

١ — القيامة الأولى : ومعناها ان الابرار الذين استشهدوا من أجل الايمان بعيسى عليه السلام والذين ماتوا على صلاح وتقوى سوف تظهر أرواحهم فى المؤمنين بعيسى الذين لم يموتوا بعد فى آخر الزمان ليجعلوهم أهل غيرة وقداسة كالشهداء وفى الوقت الذى تقوى فيه الغيرة وتشتد ، يبدأ ملك المسيح مع شعبه ملكا روحيا على قلوب المؤمنين . وليس بالمجد والسلطان الظاهر واذا بدأت المملكة الروحية . منهم من يقول بهجاء المسيح فى بدنها . ومنهم من يقول فى نهاية الف سنة من بدء المملكة (١٥) .

٢ — الموت الثانى : وفى الوقت الذى تظهر فيه أرواح الشهداء لتقوية المؤمنين يبنى جميع الاثار بالنفس والجسد (١٦) .

وتقول الأتلية : سيأتى عيسى ليملك على الارض ملكا ظاهريا كملك داود وسليمان عليهما السلام ألف سنة . ويرتبون الحوادث على النحو الآتى :

١ — مرحلة الاختطاف أو الرجاء المبارك ويوم حدوثها يسمى « يوم المسيح » ومعنى الاختطاف أن كل الأموات الذين اعترفوا بعيسى عليه السلام سيقومون قرب انتهاء الدنيا من القبور والاحياء المعترفون بعيسى الذين لم يذوقوا الموت بعد ستتغير أجسادهم فيشبهون الأموات الذين قاموا من الموت . وهؤلاء جميعا الأموات والاحياء يختطفون جميعا لملاقاة عيسى فى السماء (١٧)

(١٤) ص ٨٦ حواش على المجاد الأول من الكتاب المقدس اليسوعيين .

(١٥) انظر تفسير الكنز الجليل فى رؤيا يوحنا ٢٠ : ٥ .

(١٦) انظر تفسير الكنز الجليل فى رؤيا يوحنا ١ : ٦ .

(١٧) انظر رسالة بواص الأولى لأهل تسالونيكى ٤ : ١٥ — ١٧

فى كتاب المجىء الثانى للمسيح والأحداث العالمية .

٢ - مرحلة ظهور المجدى : بعد مدة ينزل عيسى من السماء بصحبة الأبرار الذين اختطفهم فى الهواء وتقف قدماء فى ذلك اليوم على جبل الزيتون . الذى كان قد صعد منه الى السماء ويصره جميع الناس (١٨) وفى مرحلة ظهور المجدى يكون عيسى عليه السلام آتيا للمجد الدنياوى . ريسقهر ملكه ألف عام على الأرض ملكا ظاهرا . وقبل مرحلة ظهور المجدى هذه ينزل موسى وإيلياء من السماء ليشهدا أمام الناس بظهور ملك عيسى ومجده (١٩)



والقول الثانى كما بينا ، وكما سنبيين ، يكفى فى رده اضطراب أقوالهم .

ويكفى فيه اعتراف المسيح عليه السلام بعدم نزوله . وأنه عبر عن ملكوت ابن الانسان ملكوت السموات بقوله « اقترب » وأن الأمثال التى ضربها عن الملكوت لا تشير الى ذلك . وأن دانيال قد وضح فى سفره أن الملكوت سيتأسس بعد زوال المملكة الرابعة دولة الرومان .

لماذا اذا يجهدون أنفسهم فى تحريف الكلم عن مواضعه ؟ خاصة وقد قال المسيح لبنى اسرائيل : أن ملكوت الله ينزع منكم وهو وأتباعه من بنى اسرائيل .

وبالنسبة للقول الأول : وهو دخول المسيح أورشليم عقب فراغ التلاميذ من الدعوة فى حياته قبل رفعه الى السماء فإنه أيضا مردود .
بدليلين :

الدليل الأول :

أنه يعنى بابن الانسان . صاحب ملكوت السموات الذى تحدث عنه دانيال والذى يأمر تلاميذه بأن يدعوا اليه . ولم يتأسس الملكوت فى حياته .

(١٨) انظر : (تفضالونيكي الاولى ٣ : ١٣) .

(١٩) انظر رأى الأتاجة بالتفصيل فى كتاب المجدى الثانى للمسيح والأحداث العالمية من ص ٩٨ - ١٤٨ .

الدليل الثاني :

وصية المسيح للتلاميذ تدل نفسها على أحداث تحدث بعد رفعه الى السماء . وبعد حدوث الأحداث يثأس ملكوت السموات . انه يقول للتلاميذ « احذروا من النفاس لأنهم سيسلمونكم الى مجالس . وفى مجامعهم يجلدونكم وتساقون . أمام ولاة وملوك من أجل شهادة لهم وللأمم . فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف او بما تتكلمون ؟ وسيسلم الأخ أخاه الى الموت والأب ولده . ويقوم الأولاد على والديهم ويقتلونهم وتكونون مبغضين من الجميع من أجل أسمى . ولكن الذى يصبر الى المنتهى فهذا يخلص » ولم يحدث للتلاميذ اذى قبل دخول عيسى عليه السلام أورشليم للمرة الأخيرة . بل انه بعد رفعه الى السماء كان تلاميذه واليهود على صفاء وود . يقول كاتب سفر أعمال الرسل « وجميع الذين آمنوا كانوا معا . وكان عندهم كل شىء مشتركاً . والأملك والمقتنيات كانوا يبيعونها ويقسمونها بين الجميع . كما يكون لكل واحد احتياج . وكانوا كل يوم يواظبون فى الهيكل بنفس واحدة واذا هم يكسرون الخبز فى البيوت كانوا يتناولون الطعام باقتراج وبسأطة قلب متبحين الله . ولهم نعمة لدى جميع الشعب » (أعمال ٢ : ٤٤ — ٤٧)

والتاريخ يثبتنا عن اضطهادات حدثت فعلا للنصارى بعد رفع المسيح الى السماء ولم ترفع عنهم الاضطهادات الا على يد المسلمين (٢٠) ومن ذلك :

(٢٠) سبب الاضطهادات للنصارى الأوائل : انهم كانوا يبشرون بحجىء النبى محمد ﷺ ، ويقولون للناس : ان أتباعه سيهزمون الروم ويطردونهم من بلاد الشام ومصر وسائر البلاد . وهذا كان يجرىء الناس على الروم المحتلين ، ويتسبب عنه اضطراب الأحوال فى سائر الولايات . ومن أجل ذلك قام الروم بأذيتهم حتى لا تضطرب الأحوال . والنصارى يقولون : ان سبب الاضطهاد هو أن الأوائل كانوا يقولون بأن ملكوت السموات أوثك على الحجىء وأن دولة روما ستزول . ولكنهم يفسرون الملكوت بملكوت المسيح عليه السلام . وأما الاضطهادات التى حدثت من بعد القيصر قسطنطين الروماني سنة ٣٢٥ م فسيبها الخلاف فى الرأى — وسينأتى البيان —

اضطهاد نيرون سنة ٦٤ ميلادية — اضطهاد تراجان سنة ١٠٦ م — اضطهاد
دقلديانوس سنة ٢٨٤ م .

١ — اضطهاد نيرون سنة ٦٤ ميلادية :

أقدم الطاغية نيرون على اشعال النار في روما ، ثم اتهم المسيحيين
باحراقها ، وصب عليها جام نغمته وجنونه . وشن عليهم حملة شعواء
في كل أنحاء المملكة الرومانية . متعنتا في تعذيبهم مبتدعا أبشع الوسائل
في الفتك بهم . وقد قال تاسوس المؤرخ الرومانى الوثنى : أن نيرون كان
يضع بعض المسيحيين وهم أحياء فى جلود الحيوانات ويطرحهم للكلاب
تنهشهم ، ويطلق بعضهم الآخر بالقار ويلصقهم على مشائق ، ثم يضرم
فيهم النار ، ليجعل منهم مشاعل يستضىء بها وهو يمر بالليل وكان يتمتع
نفسه بمنظر أطفالهم والوحوش تمزقهم وتلتهم أشلاءهم .

٢ — اضطهاد تراجان سنة ١٠٦ ميلادية :

أصدر تراجان سنة ١٠٦ ميلادية أمره الى ولاته في كل أنحاء المملكة
بأن يقضوا على المسيحيين ويمنعوا اجتماعاتهم التى كانوا يعتقدونها في
الخفاء ليقيموا صلواتهم ، ويحتفوا بأعيادهم فسامهم الولاة أبشع أنواع
العذاب والتنكيل وقتلوا منهم آلانا مؤلفة ، وقد استخدم هذا الامبراطور
ساحة الملعب الرومانى ، المسمى بالكلوسيوم في اعدام المسيحيين بالقائم
هنالك الى الوحوش تمزقهم شر ممزق وهو يتلهى بمنظرهم ، وهم يتحولون
بين الأتباب المفترسة الى أشلاء ، وكان ممن ذهبوا ضحية هذه الوحشية
البشعة البابا كرزونوس البطريرك القبطى الرابع والقديس أغناطيوس
أسقف أنطاكية وكثيرون غيرها .

٣ — اضطهاد دقلديانوس ٢٨٤ ميلادية :

وقد كان أقسى الجميع على المسيحيين هو الامبراطور دقلديانوس الذى
جلس على العرش سنة ٢٨٤ ميلادية فقد صمم هذا الامبراطور على أن لا يكف
عن قتل المسيحيين حتى تصل دماؤهم الى ركبة فرسه ، فعلا نفذ عزمه ،
وراح يطوف بفرسه فى بحر من دماء الشهداء وقد هدم مكائس المسيحيين.

وأحرق كتبهم وقبض على أساقفتهم وأذاتهم كل صنوف العذاب وأغرقتهم
في مذابح دامية لم يسبق لها نظير في التاريخ (٢١) .

وظلت الاضطهادات قائمة حتى جاء نبي الإسلام ﷺ فأنقذ النصارى
من الذل . فلقد جاء في كتب النصارى ما نصه :

« وفي القون الرابع ارتقى العرش الروماني ثاودوسيوس الكبير .
فأبطل عبادة الأوثان وصارت المسيحية الديانة الرسمية في سنة ٣٧٩ م .
وقد انقسم المسيحيون في الدولة الرومانية الى مذاهب متعددة وحاول
باطرة الروم اكراه اقباط مصر الارثوذكس على قبول مذهبهم فرفضوا
ذلك وهنا بدأت اضطهادات الرومان من جديد للمسيحيين المصريين فلما
رأى أنبا بنيامين بطريرك الأقباط ذلك جمع رجال الدين الارثوذكسى وحضهم
على الثبات في العقيدة حتى الموت وطلب الى الأساقفة الاختفاء في الأديرة
حتى تنزل هذه المحنة واختفى أنبا « بنيامين » نفسه في أحد الأديرة في
الصعيد ، وظل مختفيا ثلاث عشرة سنة وفي هذه الاثناء فتح العرب
مصر على يد عمرو بن العاص سنة ٦٤٠ م فماذا فعل القائد العربي ؟ .

بعد أن تم لعمرو فتح مصر بعث الى البابا بنيامين بكتاب أمان يدعوه
الى العودة الى كرسيه ويؤمنه على حياته . ونشر عمرو هذا الكتاب في
أنحاء البلاد وجاء فيه ما يلي :

« أينما كان بطريق القبط بنيامين نعهده بالحماية ، وعهد الله ، فليأت
البطريق الى ههنا في أمان واطمئنان ليلى أمر ديانته » فخرج بنيامين من
الدير . وذهب الى « عمرو » فاختمى به ، وردة الى مركزه عزيز الجانب
« وفور الكرامة » (٢٢)

(٢١) تاريخ الأقباط لزكى شنوده ج ١ ص ١٠١ - ١٠٨ .
(٢٢) ص ١٣٨ التربية الدينية المسيحية طبعة وزارة التربية والتعليم
بمصر سنة ١٩٧٣ م .

الحديث الثاني

طعام ابن الانسان

مائدة من السماء

تمهيد :

١ - ١ - قال دانيال النبي عن ملك نبي الاسلام وشريعته : « كنت أرى فى رؤى الليل . واذأ مع سحب السماء مثل ابن انسان ، أتى وجاء الى القديم الأيام ، فقبوه قدامه . فأعطى سلطانا ومجدا وملكوفا . لتتعبد له كل الشعوب والأهم والألسنة . سلطانه ، سلطان ابدى ما لن يزول ، وملكوته ما لا يذترض » (دانيال ٧ : ١٣ - ١٤) ب - وقال أيضا : « وفى أيام هؤلاء الملوك يقيم اله السموات ملكا قلن تنقرض أبدا وملكها لا يترك لشعب آخر ، وتسحق وتفنى كل هذه الممالك . وهى تثبت الى الأبد » (دا ٢ : ٤٤)

٢ - ١ - وقال المسيح عيسى بن مريم : يا بنى اسرائيل : « توبوا . فقد اقترب ملكوت السموات » (متى ٤ : ١٧) أى الملكوت الذى أخبر عن ظهوره دانيال ، عقب زوال دولة الروم ، ولقب صاحبه بلقب ابن الانسان . ب - وفى الأناجيل الاربعة : أن المسيح فى « موضع خلاء لمدينة تسمى صيدا » شرح لآلاف من الناس حقيقة ملكوت الله الذى أخبر عن ظهوره دانيال . ولما أمسى المساء أخذ سمكتين وخمسة أرغفة ودعا الله عز وجل أن يبارك فى السمكتين والخمسة الأرغفة ، فاستجاب الله دعاه ، وأكل نحو خمسة آلاف رجل ، وفضل من كسر الأرغفة ما يملأ اثنتى عشر قفة . ت - وفى انجيل يوحنا : أن اليهود الذين أكلوا من الطعام المبارك فيه ، ذهبوا الى مدينة « كفر ناحوم » للقاء المسيح فيها . فقال لهم المسيح :

« انكم تطلبوننى ليس لأنكم رأيتم آيات . بل لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم .
اعملوا لا للطعام البائذ . بل للطعام الباقي للحياة الأبدية ، الذى يعطيكم
ابن الانسان » ولم يطلب لهم مائدة من السماء .

النص :

١ - فى انجيل لوقا : « ولما رجع الرسل أخبروه بجميع ما فعلوا .
فأخذهم وانصرف منفردا الى موضع خلاء لمدينة تسمى صيدا . فالتجوع
اذ علوا تبعوه فقبلهم . وكلمهم عن ملكوت الله (١) . والمحتاجون الى
الشفاء شفاهم . فابتدأ النهار يميل . فتقدم الاثنا عشر وقالوا له : اصرف
الجمع ليذهبوا الى القرى والضيع حوالينا فيبيتوا ويجدوا طعاما لأننا
هنا فى موضع خلاء . فقال لهم أعطوهم أنتم ليأكلوا . فقالوا : ليس
عندنا أكثر من خمسة أرغفة وسمكتين الا أن نذهب ونبتاع طعاما لهذا
الشعب كله . لأنهم كانوا نحو خمسة آلاف فقال لتلاميذه أكنوهم فرقا
خمسین خمسين . ففعلوا هكذا ، واتكأوا الجميع . فأخذوا الأربعة الخمسة
والسمكتين ورفع نظره نحو السماء وباركهن ثم كسر وأعطى التلاميذ ليفقدوا
للجمع ، فأكلوا وشبعوا جميعا ، ثم رفع ما فضل عنهم من الكسر اثنا
عشرة قفة ، وفيها هو يصلى على انفراد كان التلاميذ معه » (٩ : ١٠ .
-- ١٨ متى ١٤ : ١٤ - ٢٣ ، مرقس ٦ : ٣٤ - ٤٦ ، مرقس ٨ : ١ -
(٢١) .

٢ - أولا فى انجيل يوحنا : « بعد هذا مضى يسوع الى عبر بحر
الجليل ، وهو بحر طبرية ، وتبعه جمع كثير لأنهم أبصروا آياته التى كان

(١) فى تفسير الكتاب المقدس لدانفد سن وآخرين : « ملكوت
السّموات » هذا تعبير خاص ، بمعنى ، الذى يستعمله ، حيث يستعمل
بقية البشرين القول « ملكوت الله » والتعبير ينسب الى الوضع والنظرة
اليهوديين ، لمتى . اذ كان يعتبر بين اليهود ، تجديفا : أن يشار الى الله
بالاسم . ولذا استبدلوه باصطلاح مثل السموات . وملكوت الله معناه :
..يادة أو حكم الله الذى انتظرت التوقعات المسيانية أن ينزل سائدا على
اسرائيل » (ص ١٩ ج ٥)

يصنعها في المرضى ، فصعد يسوع الى جبل وجلس هناك مع تلاميذه ، وكان الفصح عيد اليهود قريبا ، فرفع يسوع عينيه ونظر أن جمعا كثيرا مقبل اليه فقال لفيلبس من أين نبتاع خبزا ليأكل هؤلاء ؟ وانما قال هذا ليمتحنه ، لأنه هو علم ما هو مزمع أن يفعل . أجابه فيلبس لا يكفيهم خبز بمائتي دينار . ليأخذ كل واحد منهم شيئا يسيرا . قال له واحد من تلاميذه وهو اندراوس أخو سمعان بطرس : هنا غلام له خمسة أرغفة شعير وسمكتان ، ولكن ما هذا لمثل هؤلاء . فقال يسوع : اجعلوا الناس يتكئون . وكان في المكان عشب كثير فاتكأ الرجال وعددهم نحو خمسة آلاف ، وأخذ يسوع الأرغفة وشكر ، ووزع على التلاميذ ، والتلاميذ أعطوا المتكئين . وكذلك من السمكتين بقدر ما شاعوا . فلما شبعوا قال لتلاميذه : اجمعوا الكسر الفاضلة لكيلا يضيع شيء . فجمعوا وملأوا اثنتي عشرة قفة من الكسر من خمسة أرغفة الشعير التي فضلت عن الآكلين . فلما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع قالوا : ان هذا هو بالحقيقة النبي الآتي الى العالم . وأما يسوع فاذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكا انصرف أيضا الى الجبل وحده « (يوحنا ٦ : ١ - ١٥)

ثانيا : في انجيل يوحنا : « فلما رأى الجمع أن يسوع ليس هو هناك ولا تلاميذه دخلوا هم أيضا السفن ، وجاءوا الى كفر ناحوم يطلبون يسوع ولما وجدوه في عبر البحر قالوا له يا معلم متى صرت هنا ؟ أجابهم يسوع وقال : الحق الحق أقول لكم أنتم تطلبونني ليس لأنكم رأيتم آيات بل لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم . اعملوا لا للطعام البائد ، بل للطعام الباقي للحياة الأبدية الذي يعطيكم ابن الانسان لأن هذا الله الآب قد ختمه . فقالوا له : ماذا نعمل حتى نعمل أعمال الله ؟ أجاب يسوع وقال لهم : هذا هو عمل الله . ان تؤمنوا بالذي هو أرسله . فقالوا له : فآية آية تصنع لنرى ونؤمن بك ؟ ماذا نعمل ؟ آباؤنا أكلوا المن في البرية كما هو مكتوب انه أعطاهم خبزا من السماء ليأكلوا . فقال لهم يسوع : الحق الحق أقول لكم : ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء بل أبي يعطيكم الخبز الحقيقي من السماء لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم . فقالوا له : يا سيد .

أعطنا في كل حين هذا الخبز . فقال لهم يسوع : أنا هو خبز الحياة من يقبل الى فلا يجوع . ومن يؤمن بي فلا يعطش أبدا . ولكنى قلت لكم : انكم قد رأيتموني ولستم تؤمنون . كل ما يعطيني الآب فالى يقبل . ومن يقبل الى لا اخرجه خارجا . لانى قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي ، بل مشيئة الذى أرسلنى . وهذه مشيئة الآب الذى أرسلنى : أن كل ما أعطانى لا اتلف منه شيئا بل أقيمه فى اليوم الأخير ، لان هذه هى مشيئة الذى أرسلنى : أن كل من يرى الابن ويؤمن به ، تكون له حياة أبدية . وأنا أقيمه فى اليوم الأخير ..

قال هذا فى المجمع ، وهو يعلم فى كفر ناحوم . فقال كثيرون من تلاميذه ، اذ سمعوا : ان هذا الكلام صعب . من يقدر أن يسمعه ؟

من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه الى الوراء ، ولم يعودوا يمشون معه . فقال يسوع للاثنى عشر : العلكم انتم أيضا تريدون أن تمضوا ؟ فأجابه سمعان بطرس : يارب الى من نذهب ؟ كلام الحياة الأبدية عندك « (يوحنا ٦ : ٢٤ - ٦٨)

الشرح والبيان

يقول تعالى فى القرآن الكريم : « اذ قال الحواريون ، يا عيسى ابن مريم : هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟ قال : اتقوا الله ان كنتم مؤمنين .

قالوا : نريد أن نأكل منها . وتطمئن قلوبنا ، ونعلم أن قد صدقتنا ، ونكون عليها من الشاهدين . قال عيسى ابن مريم : اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء . تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك ، وارزقنا وأنت خير الرازقين .

قال الله : انى منزلها عليكم . فمن يكفر بعد منكم فانى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين « (المائدة ١١٢ - ١١٥)

وقد اختلف مفسرو القرآن الكريم (٢) في نزول المائدة على رأيين .
الأول : أنها نزلت « قال الله انى منزلها عليكم » هذا وعد من الله تعالى .
أجاب به سؤال عيسى عليه السلام ، كما كان سؤال عيسى اجابة للحواريين ،
وهذا يوجب أنه قد أنزلها ، ووعد الحق ، فجدد القوم ، وكفروا بعد
نزولها . والرأى الثانى : ما نزلت ، ا — وانما هو ضرب مثل ضربه الله
تعالى لخلقها فنهاهم عن مسألة الآيات لأنبيائه ب — وقيل : وعدهم بالاجابة
فلما قال لهم : « فمن يكفر بعد منكم » الآية — استغفوا منها ، واستغفروا
الله . وقالوا : لا نريدها .

وقد اختلفوا فى تفسير « هل يستطيع ربك » ؟ على أقوال منها :
ان القوم لم يشكوا فى استطاعة البارى سبحانه ، لأنهم كانوا مؤمنين
عارفين عالمين ، وانما هو كقولك للرجل : هل يستطيع فلان ان يأتى ؟
وقد علمت أنه يستطيع . فالمعنى : هل يفعل ذلك ؟ وهل يجيئنى الى ذلك
أم لا ؟ وقد كانوا عالمين باستطاعة الله تعالى لذلك ولغيره ، علم دلالة وخبر
ونظر . فأرادوا علم معاينة كذلك . كما قال ابراهيم عليه السلام : « رب أرنى
كيف تحيى الموتى ؟ » وقد كان ابراهيم علم ذلك ، علم خبر ونظر ، ولكن
أراد المعاينة التى لا يدخلها ريب ولا شبهة . لأن علم النظر والخبر قد
تدخله الشبهة والاعتراضات ، وعلم المعاينة لا يدخله شىء من ذلك . ولذلك
قال الحواريون : « وتطمئن قلوبنا » كما قال ابراهيم : « ولكن ليطمئن
قلبي » ثم أن المفسرين رووا فى كتبهم فقرات مما ورد فى الأناجيل .

فى تفسير القرطبى من هذه الفقرات :

ا — « ان عيسى عليه السلام كان اذا خرج اتبعه خمسة آلاف أو
أكثر ، بعضهم كانوا أصحابه ، وبعضهم كانوا يطلبون منه أن يدعو لهم
لمرض كان بهم أو علة اذ كانوا زمنى أو عميانا ، وبعضهم كانوا ينظرون
ويستهزئون فخرج يوما الى موضع فوقعوا فى مفازة ، ولم يكن معهم نفقة
فجاجعوا » .

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبى فى تفسير هذه الآيات .

٢ - « أقبلت الملائكة بمائدة يحملونها ، عليها سبعة أرغفة ، وسبعة
أحوات » .

٣ - « أنزل الله تعالى أقرصة من شعير وحيثانا »

وفي قصص الأنبياء لأبي اسحق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري
الثعلبي : « قال وهب : أنزل الله أقرصة من شعير وحيثانا . فقيل لوهب :
ما كان ذلك يعنى عنهم من شيء . قال بلى ولكن الله ضاعف لهم البركة ،
فكان قوم يأكلون ثم يخرجون ، ويגיע آخرون فيأكلون حتى اكلوا بأجمعهم
... وقال مقاتل والكلبي استجاب الله لعيسى عليه السلام فقال : انى
منزلها عليكم كما سألتنى . فمن أكل من ذلك الطعام ثم لم يؤمن جعلته مثلا
ولعنة وعبرة لمن بعدهم . قالوا قد رضينا . فدعا شمعون الصفا (٣) .
وكان أفضل الحواريين . فقال هل معك طعام ؟ فقال معى سمكتان صغيرتان
وستة أرغفة فقال على بها . فقطعها عيسى قطعا صفارا وقال اقعدوا
فى روضة وترافقوا رفقا كل رفقة عشرة ثم قام عيسى ودعا الله تعالى
فاستجاب له وأنزل فيها البركة فصار خبزا صحاحا وسمكا صحاحا . ثم
قام عيسى يمشى فجعل يلقي فى كل رفقة ما حملت أصابعه . ثم قال
كلوا باسم الله فجعل الطعام يكثر حتى بلغ ركبهم فأكلوا ما شاء الله ،
وفضل . والناس خمسة آلاف ونيف . وقال الناس جميعا : شـهدنا
أنك عبد الله . ثم سأله مرة أخرى فأنزل الله خمسة أرغفة وسمكتين
فصنع ما صنع فى المرة الأولى » .

وأما قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام : « تكون لنا عيدا
لأولنا وآخرنا » فمعناه : أنه لما خرج بنو اسرائيل من أرض مصر الى صحراء
سيناء مع موسى عليه السلام : أنزل الله عليهم « المن والسلوى » وموسى
هو أول نبي فى بنى اسرائيل صاحب شريعة ، وعيسى هو آخر نبي فى
بنى اسرائيل على شريعة موسى . ولما قال لبنى اسرائيل : لا نبي بعدى

(٣) سمعان بطرس

منكم ، وانما من بنى اسماعيل يكون ، لثبوت بركة فى نسله ، طلبوا منه مائدة
كبائدة موسى ، تذكارا لأول نبى وآخر نبى .

وقد تغنى داود عليه السلام فى مزاميره بالمن والسلوى وسماها مائدة
من السماء فى البرية . لأن السماء هى جهة العلو . ولأن المشىء الذى
لا يعرفون له سببا ، ينسبونه الى السماء . والذين قد شهدوا مائدة عيسى
ليس لهم عذر ان كفروا وقالوا : كما قال بنو اسرائيل الأوائل : « هل يقدر
الله أن يرتب مائدة فى البرية » (مزمور ٧٨ : ١٩) يقول داود : « اصغ
يا شعبي الى شريعتى . أميلوا آذانكم الى كلام فى ، أفصح بمثل فى ،
أذيع الغازا منذ المقدم ، التى سمعناها وعرفناها وآباؤنا أخبرونا . لا نخفى
عن بنينهم الى الجيل الآخر . . .

ثم عادوا أيضا ليخطئوا اليه لعصيان العلى فى الأرض الناشفة ،
وجربوا الله فى قلوبهم بسؤالهم طعاما لشهوتهم فوقعوا فى الله .
قالوا هل يقدر الله أن يرتب مائدة فى البرية ؟ هو ذا ضرب الصخرة
فجرت المياه ، وفاضت الأودية . هل يقدر أيضا أن يعطى خبزا أو
يهىء لحما لشعبه ؟ لذلك سمع الرب فغضب ، واشتعلت نار فى
يعقوب ، وسخط أيضا سعد على اسرائيل لأنهم لم يؤمنوا بالله ، ولم
يتكلموا على خلاصه . فأمر السحاب من فوق ، وفتح مصاريع السموات ،
وأمر عليهم منا للأكل ، وبر السماء أعطاهم . أكل الانسان خبز الملائكة
أرسل عليهم زادا للشبع ، أهاج شرقية فى السماء ، وساق بقوته
جنوبية ، وأمطر عليهم لحما مثل التراب ، وكرمل البحر طيور ذوات
أجنحة ، وأسقطها فى وسط محلثهم حوالى مساكنهم ، فأكلوا وشبعوا جدا
وأثامهم بشهوتهم » (مزمور ٧٨ : ١ - ٢٩)

ومن هذا الذى قدمته . يتبين : أن معجزة نزول المائدة من السماء من أبرز
معجزات المسيح عيسى عليه السلام لأنها هى المعجزة الوحيدة التى اتفق
الانجيليون الأربعة على تدوينها ، ويوحنا الذى اعتاد أن لا يذكر شيئا
مما دونه الذين كتبوا قبله . فذكر هذه المعجزة .

وعلماء المسلمين الذين قالوا بفزولها ، استدلوا بأن الله وعد بفزولها ثم اختلفوا فى كيفية النزول . فمنهم من قال : أنها مائدة حقيقية من السماء . ومنهم من قال هى البركة فى الخمسة الأرغفة والسمكتين (٤) . والذين قالوا لم تنزل ، استدلوا بأن الله شرط هلاكهم اذا لم يؤمنوا بعد نزول المائدة ، وأن بنى اسرائيل لما سمعوا الشرط ، قالوا : لا نريدها . **وعبارات الأناجيل تدل على أن المائدة المطلوبة لم تنزل** . ذلك أن البركة فى السمكتين والأرغفة الخمسة . كانت من المسيح نفسه من غير طلب منه . فانه لما امسى المساء ، وطلب من تلاميذه ، صرف الجموع الى القرى : سألهم هل مع أحد من طعام ؟ ثم أخذ وبارك وأطعم الجموع من تلقاء نفسه . وهذا كان فى نواحي « صيدا » ولما جاعوا الى « كفر ناحوم » وطلبوا منه « آية » ليؤمنوا به ، وحددوا الآية بأن تكون خبزا كالمن والسلوى ، وطلبوا منه أن لا يكون الخبز مرة واحدة ، بل « فى كل حين » لما طلبوا منه ذلك ، لم يجبهم المسيح الى طلبهم .

والبركة فى الطعام هى من السماء مائدة . واذا قلنا بأن كتاب الأناجيل قد نسوا حظا مما ذكروا به ، وأنهم لا يراعون ترتيب الحوادث ، يكون النص على المائدة واردا فى الأناجيل بغير ترتيب على أنه البركة فى الطعام ويكون قول الله تعالى فى القرآن الكريم : « انى منزلها عليكم » نص فى نزولها بالفعل . ويكون النص على المائدة هو من أول قول يوحنا : « وجاعوا الى كفر ناحوم يطلبون يسوع . . . » الخ — وهذا هو الصحيح — .

وفى حديث يوحنا الثانى عن المائدة :

قال المسيح عليه السلام :

١ — « اعملوا لا للطعام البائذ ، بل للطعام الباى للحياة الأبدية » ان قصد المسيح من هذا الحديث : هو أن يخفف من غلوائهم فى الاهتمام بأمر العالم ، مبينا لهم أن لا يجعلوا أشياء هذا العالم موضع اهتمامهم الرئيسى . **لأن أشياء العالم من الثروة والأمجاد واللذات : طعام بائذ** . أما ما يخص النفس والروح من الأقبال على الله والعمل بأوامره فهذا هو

(٤) انظر قصص الأنبياء للشيخ عبد الوهاب النجار ص ٤١٢ — ٤١٨

الطعام الباقي والخبز الأسهى لأن الحياة الآخرة أطول مدة من الحياة الأولى .

٢ — « الذى يعطيكم ابن الانسان ، لأن هذا الله الآب قد ختمه » يريد أن يقول : استعدوا لأن تتبلوا تعاليم ابن الانسان صاحب ملكوت السموات الذى أخبر عن ظهوره النبى العظيم دانيال ، لأنها التعاليم الالهية التى يريدنا الله للبشر وبها تحيون حياة أبدية فى الدنيا والآخرة . وقد عبر بقوله : « الله الآب قد ختمه » على طريقة اليهود فى التعبير . فقد كان من عاداتهم أن يختموا الرسائل بخاتم . دليل على أن كل ما فيها صحيح ، ولا يزداد عليه ولا ينقص منه (الملوك الأول ٢١ : ٨ وأستير ٣ : ١٢) فكأنه يريد أن يقول : ان الله عز وجل سيكتب التعاليم التى سيقولها لكم نبى الاسلام ، وقد ختم عليها بحيث لن يزداد عليها . ولن ينقص منها ، وكل ما فيها معتد وموثوق بصحته .

٣ — « أبى يعطيكم الخبز الحقيقى من السماء ، لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم » كلمة « أبى » لا تدل على أن عيسى ابن الله على الحقيقة ، بل هى أبوة روحية كما قال لتلاميذه : « انى اصعد الى أبى وأبيكم ، والهى والمهم » (يوحنا ٢٠ : ١٧) ويقول متى هنرى فى تفسيره ان الخبز الحقيقى هو الانجيل « وعلى قدر ما يسموا مجد الله على سحب السماء ، يسمو طعام الروح — الذى للانجيل الأبدى — على المن » (٥) والحق : أنه يقصد بالخبز المشريعة الآتية مع النبى الأسمى الآتى . لأن الانجيل ليس شريعة مستقلة عن شريعة موسى . والتعبير بخبز الله الحقيقى ، يراد به التعاليم التى تحيى الروح وتركى النفس وتطهر القلب . كما جاء فى التوراة : « فأذلك وأجاعك وأطعمك المن ، الذى لم تكن تعرفه ولا عرفه آباؤك ، لكى يعلمك أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان . بل بكل ما يخرج من فم الرب يحيا الإنسان » (تث ٨ : ٣) وليس فى الانجيل شىء مختلف عما فى التوراة حتى نقول بأن الانجيل خبز .

٤ — « لأنى قد نزلت من السماء » أى أتيت من الله لأخبركم عن ابن الانسان ، لا من تلقاء نفسى ، وهذا مثل قوله : « أنتم من أسفل أما أنا

أمن فوق . أنتم من هذا العالم . أما أنا فليست من هذا العالم » (يوحنا ٨ : ٢٣) وقد قال هذا القول ذاته عن تلاميذه : « لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته . ولكن انكم لمستم من العالم ، بل أنا أختركم من العالم . لذلك يبغضكم العالم » (يوحنا ١٥ : ١٩) والمعنى : أن اليهود يطلبون الدنيا ، وأما عيسى فإنه يطلب رضا الله والدار الآخرة .

٥ — « وأنا أقيم في اليوم الأخير » أى أن تعاليم الانجيل التي تنصح عن ابن الانسان ، تجعل المرء حرا في اختيار الطريق الذي يسلكه . فمن سلك طريق ابن الانسان فكاننى أنا الذي أقمته وأصلحت حاله . لأن تعاليمى تنوب عنى وهى التي تهديه وترشده في اليوم الأخير . وهو يوم انتهاء الزمن الذي كان فيه الملك والنبوة مع بنى اسرائيل . وهذا المعنى هو الذي يستفاد من كلمة « يرى » فانها . لاتدل على الرؤية البصرية بل على المعرفة والايهان . يقول متى هنرى في تفسيره : « ان كلمة « يرى » في النص اليونانى لا تفيد رؤية العين ، بل رؤية البصيرة » كل من يرى الابن « يراه بعين الايمان (٦) »

والدليل على أن « اليوم الأخير » هو نهاية ملك بنى اسرائيل وشريعتهم ، وبدء ملك بنى اسماعيل وشريعتهم : قول مفسرى الانجيل في تفسير اليوم الأخير : « كانت فكرة مألوفة عند اليهود عن الأمور الأخيرة وهى تشير الى الوقت الذى فيه يتزكى المسيا ويتمجد الى التمام » (٧)

٦ — « فقال يسوع للاثني عشر : ألعلكم أنتم أيضا تريدون أن تمضوا ؟ فأجابه سمعان بطرس : يارب الى من نذهب ؟ كلام الحياة الأبدية عندك » لقد أجابه بطرس نيابة عن الآخرين ، اجابة مقترنة بالايهان ، لقد قال له بطرس : « يارب » أى يا سيدنا وهذا احترام منه . وقال له : « كلام الحياة الأبدية عندك » أى الكلام الصحيح عن ملكوت السموات عندك ، لا عند علماء بنى اسرائيل . الفريسيين المرثيين . ولقد وجه عيسى اليهم هذا السؤال : « ألعلكم أنتم أيضا تريدون أن تمضوا ؟ » كما وجهه

(٦) ص ٥٨ ج ٢ تفسير يوحنا .

(٧) ص ٢٥٧ ج ٥ تفسير الكتاب المقدس . دافدسن .

يشوع بن نون فتى موسى لبنى اسرائيل لكى يختاروا من يعبدون ، قاصدا الحصول منهم على وعد بالالتصاق به . ولقد اجاب بنو اسرائيل يشوع ابن نون ، كما اجاب بطرس نيابة عن التلاميذ . ففي سفر يشوع : « فقال يشوع للشعب : لا تقدرن ان تعبدوا الرب لانه اله قدوس واله غيور هو . لا يغفر ذنوبكم وخطاياكم . واذا تركتم الرب وعبدتم آلهة غريبة يرجع فيسئء اليكم ويفنيكم بعد ان احسن اليكم . فقال الشعب ليشوع : لا . بل الرب نعبد ، فقال يشوع للشعب : انتم شهود على انفسكم ، انكم قد اخترتم لانفسكم الرب لتعبدوه . فقالوا : نحن شهود » (يشوع ٢٤ : ١٩ - ٢٣)

يقول متى هنرى فى تفسيره : « كان ما قاله بطرس جميلا . بل جميلا جدا ، والأرجح انه قاله بارشاد زملائه التلاميذ ومصادقتهم التامة »

ويعلق على « الى اين نذهب ؟ » فيقول : « الى اين نذهب ؟ هل ترتوى فى أحضان العالم ؟ يقينا أنه يخدعنا . هل نرجع الى الخطيئة ؟ يقينا انها تهلكنا . هل نترك ينبوع المياه الحية وننقر لأنفسنا آبارا مشتقة ؟ لقد اعترم التلاميذ على مواصلة سعيهم نحو الحياة والسعادة والالتصاق بالمسيح كمرشد لهم فى سعيهم لأنهم لن يجدوا له بديلا .

هل نذهب الى الفلاسفة الأميين ونتلمذ لهم ؟ لقد حقوا فى أفكارهم . واذا ادعوا أنهم حكماء فى نواح أخرى صاروا جهلاء فى الناحية الدينية . هل نذهب الى الكتبة والفريسيين ونتلمذ لهم ؟ أى خير ننال ممن أبطلوا وصية الله بتقليدهم ؟ أنذهب الى موسى ؟ سوف يعيدنا مرة ثانية اليك . لذلك ان اردنا البحث عن طريق السعادة وجب أن يكون فى اتباعنا اياك »

٧ - وقول اليهود : « ان هذا الكلام » عن النبي الآتى الى العالم « صعب من يقدر أن يسمعه » ؟ يدل على أنهم لن يؤمنوا به اذا جاء من بنى اسماعيل ، ويدل على أن علماء بنى اسرائيل يؤذون من يعترف به من بنى اسرائيل .

وموضع الشاهد فى هذا النص . هو :

- (أ) قول المسيح لبني اسرائيل : « اعملوا . لا للطعام البائد ، بل للطعام الباقي ، للحياة الأبدية ، الذى يعطيكم ابن الانسان »
- (ب) وقول المسيح لبني اسرائيل : « **مُثَبِّتَةُ الَّذِي أُرْسَلَنِي :** **أَنْ كُلَ مِنْ يَرَى الْإِبْنَ ، وَيُؤْمِنُ بِهِ ، تَكُونُ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ ، وَأَنَا أَتَمِّمُهُ فِي الْمَيُومِ الْآخِرِ** »

ووجهة نظر النصارى يحكيها يوحنا فم الذهب . هكذا :

« ان الله الآب عين المسيح منذ الأزل لكى يعطى الطعام الذى للحياة الأبدية . وذلك باعلانه واشهاره عند اعتماده بصوته من السماء قائلا : هذا هو ابني الحبيب فكأن الآب قد ختم بذلك وأقر ان يسوع هو ابنه ، وأنه المسيح الموعود به منذ الأزل . وهذا القول مأخوذ من أعمال الناس العادية اذ أنهم يتخذون الختم للتثبيت » (أ)

والرد عليهم :

أولا : ان الناس بعدما راوا معجزة الأرغفة الخمسة ، والسمكتين . « قالوا : ان هذا هو بالحقيقة النبي الآتى الى العالم . وأما يسوع . فاذ علم أنهم مزعمون أن يأتوا ويختطفوه ، ليجعلوه ملكا ، انصرف الى الجبل وحده » (يوحنا ٦ : ١٤ - ١٥) **لقد ظنوا أنه النبي الآتى الى العالم . وهذا يدل على أن النبي الآتى الى العالم لم يكن قد جاء الى العالم ، حتى زمان المسيح . ولو كان المسيح هو النبي الآتى الى العالم ، لقال لهم : انى أنا هو . وما كان ينصرف الى الجبل ، زاهدا فى الملك . لأن من أوصاف النبي الآتى الى العالم ان يكون ملكا ، أى رئيسا مطاعا . وهم قد ظنوا أنه النبي الآتى الى العالم ، المكتوب عنه فى الاصحاح الثامن عشر من سفر التثنية ، لأن علماء بني اسرائيل من زمان سبى بابل ، يوهمون الناس أنه سيظهر فى بني اسرائيل ، لا فى بني اسماعيل . ولما ظنوا هذا الظن ، انصرف الى الجبل ليبين لهم بتصرفه أنه ليس هو . وانما هو من بني اسماعيل لثبوت بركة فى نسله .**

(أ) نقلا عن ص ٣٩ ج ٢ تفسير يوحنا لثى هنرى

ثانياً : قول المسيح : « ان كل من يرى الابن ويؤمن به ، تكون له حياة أبدية . وأنا أقيمه في اليوم الأخير » يدل على المغايرة بينه وبين الابن . لأنه سيقوم في اليوم الأخير : من يرى الابن ، ويؤمن بالابن . لا من يراه هو . ويؤمن به هو . فمن هو هذا الابن الذى هو غير المسيح ؟ يقول النصارى : ان الابن هو المسيح . . وهذا غير صحيح . لأن سياق العبارات تدل على أن الابن شئ ، والمسيح عيسى شئ آخر . فمن هو هذا الابن ؟

ان الله تعالى وعد ابراهيم عليه السلام بمباركة الأمم فى نسل اسماعيل عليه السلام . وعرف علماء بنى اسرائيل أن نبيا من اسماعيل سيظهر ، لتبدأ من وجوده بركة اسماعيل فى الأمم ، ولما أرادوا أن يخفوا هذا الخبر عن الأميين منهم ، لكرههم لأبناء اسماعيل ، ادعوا أن النبى الذى سيظهر من بعد موسى ، سيكون من بنى اسرائيل . وأكدوا هذا الادعاء باعطاء النبى الذى سيظهر ، الألقاب التى يلقبون بها أنبياءهم وعلماءهم وملوكهم . ومن هذه الألقاب : لقب «ابن الله» أى مقرب اليه (٩) ولقب «مسيح» أى مصطفى منه . وفى التوراة قالوا : « أنت يارب أبونا » (أشعيا ٦٣ : ١٦) وفى التوراة مكتوب : « أنتم أولاد للرب الهكم » (تثنية ١٤ : ١) ومع ذلك يقول علماء بنى اسرائيل استنادا على المكتوب فى التوراة : ان الله لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد . وفى التوراة : « الرب الهنا رب واحد » (تث ٦ : ٤) وفى التوراة : « ليس مثل الله » (تث ٣٣ : ٢٦) ومن النبوءات التى فى التوراة عن النبى الآتى الى العالم ، المماثل

(٩) يعلق ابن تيمية — وهو من شيوخ الاسلام المشهورين بالعلم وبالورع — على هذا اللقب فيقول : « انه اذا كان الأب فى لغتهم هو الرب ، الذى يربى عبده ، أعظم مما يربى الأب ابنه ، كان معنى لفظ الولادة بها يناسب معنى هذه الأبوة . فيكون المعنى : اليوم جعلتك مرحوما مصطفى مختارا » وقال أيضا : « وحينئذ فلا يكون تسميته ابنا ، لكون الرب ، أو صفته ، اتحدت به ، بل كان سمي داود : ابنا ، وكما سمي اسرائيل : ابنا . فقال : « أنت ابني بكرى » وهذا فى كتبهم » (ج ٢ ص ٢٣٨ - ٢٣٩ الجواب الصحيح)

لموسى : نبوءة فى الزمور الثانى لداود عليه السلام ، صاغها الكاتب على عادة اليهود مع أنبيائهم وعلماهم وملوكهم ، ولقبه فيها بلقب « ابن الله » وبلقب « مسيح » ونص النبوءة :

« لماذا ارتجت الأمم ، وتفكر الشعوب فى الباطل . قام ملوك الأرض ، وتآمر الرؤساء معا على الرب وعلى مسيحه ، قائلين : لنقطع قيودهما ولنطرح عنها ربطها . الساكن فى السموات يضحك . الرب يستهزى بهم ، حينئذ يتكلم عليهم بغضبه ، ويرجفهم بغيظه . أما أنا فقد مسحت ملكى على صهيون جبل قدسى . انى أخبر من جهة قضاء الرب . قال لى : انت ابنى . أنا اليوم ولدتك . اسألنى فأعطيك الأمم ميراثا لك ، وأقاصى الأرض ملكا لك ، تحطمهم بقضيب من حديد . مثل اناء خزاف تكسرهم . فالآن يا أيها الملوك تعقلوا . تأدبوا يا قضاة الأرض . اعبدوا الرب بخوف ، واهتفوا برعدة . قبلوا الابن لئلا يغضب ، فنبيدوا من الطريق . لأنه عن قليل يتقد غضبه . طوبى لجميع المتكلمين عليه » (١٠) ا . هـ .

فى هذه النبوءة . لقبتم التوراة النبى الآتى الى العالم ، بلقب « ابن الله » والمسيح عليه السلام يقول : « ان كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة ابدية » وعلى قوله هذا لا يكون المسيح عيسى : « ابن الله » الذى يتحدث عنه داود فى هذه النبوءة .

(١٠) قال الامام أحمد بن ادريس القرافى المالكى — وهو من الفقهاء العظام — ان نبوءة التوراة هذه تدل على نبى الاسلام ﷺ — وقوله صحيح لأن عيسى لم يحطم بقضيب من حديد ولم يحارب ولم ينتصر — يقول الامام : « قال داود عليه السلام فى المزامير : « انت ابنى وأنا اليوم ولدتك . سلنى أعطيك الشعوب ميراثك ، وسلطانك الى اقصى الأرض ، ترعاهم بقضيب من حديد ، ومثل آنية الفخار تسحقهم » ومحمد — عليه السلام — هو الذى ورث وبلغ سلطانه أقطار الأرض ، وحاط الأمم ، وسامهم بسيفه . ولم يتفق هذا لداود ، ولا لأحد من بعده . فيكون هو البشر به . وسمى ابنا ، على العادة القديمة فى تسمية المطيع والنبى ابنا ، كما قال فى التوراة فى اسرئيل — عليه السلام — : « ابنى بكرى » (ص ٢٤٨ الأجسوبة الفاخرة) .

والنصارى يقولون : ان المسيح عيسى عليه السلام هو الابن .
ويعلقون على نبوءة داود بما نصه : « القول القائل : » قال لى أنت
ابنى . أنا اليوم ولدتك « يشير الى أن يسوع المسيح هو ابن الله الآب ،
وان ولادته من الآب هو منذ الأزل . اذ أن اليوم فى هذا القول
هو الأزل » (١١)

وقد حرفوا نص الانجيل فى نبوءة المائدة على النحو التالى :

١ — كتبوا أن بطرس قال للمسيح عليه السلام : « أنت المسيح ابن
الله الحى » (يو ٦ : ٦٩) أى « المسيا » الذى ينتظره العالم ، والذى
لقبه داود فى سفر الزبور بلقب « ابن الله »

٢ — كتبوا أن المسيح قال : « أنا هو الخبز الحى ، الذى نزل
من السماء . ان أكل أحد من هذا الخبز يحيا الى الأبد . والخبز الذى انا
أعطى ، هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم » (يو ٦ : ٥١)

أما عن أن عيسى عليه السلام هو المسيا (المسيح) المعهود للعالم ،
المنبأ عنه فى الاصحاح الثامن عشر من سفر التثنية . فليس هو . لأنه نفسه
اعترف بأنه ليس هو . وأما عن أن عيسى عليه السلام هو « ابن الله »
الذى تنبأ عنه داود فى المزمور الثانى . فليس هو . لأن علماء بنى اسرائيل
وعلماء النصارى متفقون على ان نبوءة داود هذه ، تشير الى المسيا .
وحيث أن عيسى عليه السلام قد اعترف بأنه ليس هو المسيا ، اذن
لا يكون هو المراد من نبوءة داود . وكيف يكون هو ، وهو لم يحطم الأعداء
بقضيب من حديد ؟

وأما عن قوله : « والخبز الذى انا أعطى هو جسدى الذى أبذله من
أجل حياة العالم » فالنصارى يقولون : ان المسيح يشير بهذا القول
الى العشاء الربانى . وهو سر من أسرار الكنيسة المقدسة . وهذا باطل .
فان المسيح لم يقتل ولم يصلب من أجل خطايا العالم . فكل امرئ بما
كسب رهين .

الحديث الثالث علامات ابن الانسان

تمهيد :

بعد ما وضع عيسى عليه السلام في هيكل سليمان أن المسيا لن يكون من نسل داود عليه السلام ، ولم يستطع أحد من الفريسيين والصدوقيين أن يجيبه بكلمة ، وحدث اليهود عن خراب الهيكل ، وخاطبهم بقوله : « انكم لا تروننى من الآن ، حتى تقولوا : مبارك الآتى باسم الرب » خرج من الهيكل فتقدم تلاميذه لكى يروه ابنية الهيكل . فقال لهم يسوع : أما تنظرون جميع هذه ؟ الحق أقول لكم : انه لا يترك ههنا حجر على حجر ، لا ينقض . وفيها هو جالس على جبل الزيتون ، تقدم اليه التلاميذ على انفراد قائلين ... الخ

النص :

« تقدم تلاميذه لكى يروه ابنية الهيكل . فقال لهم يسوع : أما تنظرون جميع هذه ؟ الحق أقول لكم : انه لا يترك ههنا حجر على حجر . لا ينقض . وفيها هو جالس على جبل الزيتون . تقدم اليه التلاميذ على انفراد قائلين : قل لنا : متى يكون هذا ؟ وما هى علامة مجيئك ؟ وانقضاء الدهر ؟ فأجاب يسوع . وقال لهم : انظروا لا يضلكم أحد . فان كثيرين سيأتون قائلين : أنا هو المسيح . ويضلون كثيرين . وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب . انظروا لا ترتاعوا . لأنه لابد أن تكون هذه كلها ، ولكن ليس المنتهى بعد . لأنه تقوم أمة على أمة ، ومملكة على مملكة ، وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل فى أماكن ، ولكن هذه كلها مبتدا الأوجاع . حينئذ يسلمونكم الى ضيق ويقتلونكم ، وتكونون مبغضين من جميع الأمم لأجل اسمى ، وحينئذ يعثر كثيرون ، ويسلمون بعضهم بعضا ، ويبغضون بعضهم بعضا ،

ويقوم أنبياء كذبة كثيرون ، ويضلون كثيرين ، ولكثرة الاثم تبرد محبة الكثيرين ، ولكن الذى يصبر الى المنتهى ، فهذا يخلص ، ويكرز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة : شهادة لجميع الأمم ، ثم يأتى الإنتهى .

فمتى نظرتم رجسة الخراب التى قال عنها دانيال النبى قائمة في المكان المقدس ، ليفهم القارىء . فحينئذ ليهرب الذين في اليهودية الى الجبال ، والذى على السطح فلا ينزل لياخذ من بيته شيئا ، والذى في الحقل ، فلا يرجع الى ورائه لياخذ ثيابه . وويل للجبالى والمرضعات في تلك الأيام . وصلوا لكى لا يكون هربكم في شتاء ، ولا فى سبت ، لأنه يكون حينئذ ضيق عظيم لم يكن مثله منذ ابتداء العالم الى الآن ، ولن يكون . ولو لم تقصر تلك الأيام لم يخلص جسد ، ولكن لاجل المختارين تقصر تلك الأيام . حينئذ ان قال لكم أحد : هو ذا المسيح هنا ، او هناك . فلا تصدقوا . لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ، ويعطون آيات عظيمة وعجائب ، حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضا ، ها أنا قد سبقت وأخبرتكم . فان قالوا لكم : ها هو في البرية فلا تخرجوا . ها هو في المخادع فلا تصدقوا . لأنه كما أن البرق يخرج من المشارق ، ويظهر الى المغرب ، هكذا يكون أيضا مجيء ابن الانسان ، لأنه حيثما تكن الجثة ، فهناك تجتمع النسور .

وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس ، والقمر لا يعطى ضوءه ، والنجوم تسقط من السماء ، وقوات السموات تتزعزع ، وحينئذ تظهر علامة ابن الانسان في السماء ، وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ، ويبصرون ابن الانسان آتيا على سحاب السماء بقوة ووهجد كثير ، فيرسل ملائكته بوق عظيم الصوت ، فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح ، من أقصاء السموات الى أقصائها . فمن شجرة التين تعلموا المثل ، متى صار غصنها رخصا ، وأخرجت أوراقها تعلمون أن الصيف قريب . هكذا انتم أيضا : متى رأيتم هذا كله ، فاعلموا أنه قريب على الأبواب . الحق أقول لكم : لا يمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله ، السماء والأرض تزولان ، ولكن كلامى لا يزول . وأما ذلك اليوم ، وتلك الساعة فلا يعلم

بهما أحد ، ولاملائكة السموات ، الا أبى وحده . وكما كانت أيام نوح ،
كذلك يكون أيضا مجيء ابن الانسان ، لأنه كما كانوا فى الأيام التى قبل
الطوفان ، يأكلون ويشربون ، ويتزوجون ، الى اليوم الذى دخل فيه نوح
الفلك . ولم يعلموا حتى جاء الطوفان ، وأخذ الجميع . كذلك يكون مجيء
ابن الانسان . حينئذ يكون اثنان فى الحقل ، يؤخذ الواحد ويترك الآخر ،
اثنان تطحنان على الرحى ، تؤخذ الواحدة وتترك الأخرى .

اسهروا اذا . لأنكم لا تعلمون فى أية ساعة يأتى ربكم ، واعلموا هذا :
أنه لو عرف رب البيت فى أى هزيع يأتى السارق ، لسهر ولم يدع بيته
ينقب . لذلك كونوا أنتم أيضا مستعدين ، لأنه فى ساعة لا تظنون يأتى ابن
الانسان .

(وهنا يضرب مثلين للاستعداد لمجىء ملكوت السموات وهما : — مثل
العذارى العشر ٢ — ومثل الوزنات الخمس ، وقد سبق الحديث عنهما) .

ومتى جاء ابن الانسان فى مجده ، وجميع الملائكة القديسين معه ،
فحينئذ يجلس على كرسى مجده ، ويجتمع أمامه جميع الشعوب ، فيميز
بعضهم من بعض ، كما يميز الراعى الخراف من الجداء ، فيقيم الخراف
عن يمينه ، والجداء عن اليسار ، ثم يقول الملك للذين عن يمينه : تعالوا
يا مباركى أبى : رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم ، لأنى جعت
فأطعمتمونى ، عطشتم فسقيتمونى ، كنت غريبا فأويتونى ، عريانانا
فكسوتمونى ، مريضا فزرتمونى ، محبوسا فأتيتم الى . فيجيبه الأبرار
حينئذ قائلين : يارب متى رأيناك جائعا فأطعمناك ، أو عطشانا فسقيناك ،
ومتى رأيناك غريبا فأويتناك ، أو عريانانا فكسوناك ، ومتى رأيناك مريضا
أو محبوسا فأتينا اليك ؟ فيجيب الملك ، ويقول لهم : الحق أقول لكم :
بما أنكم فعلتموه بأحد اخوتى هؤلاء الأصاغر فبى فعلتم .

ثم يقول أيضا ، للذين عن اليسار : اذهبوا عنى يا ملاعين الى النار
الأبدية ، المعدة لآبليس وملائكته ، لأنى جعت فلم تطعمونى ، عطشتم
فلم تسقونى ، كنت غريبا فلم تأوونى ، عريانانا فلم تكسونى . مريضا
ومحبوسا فلم تزورونى ، حينئذ يجيبونه هم أيضا قائلين : يارب متى رأيناك

جائعا أو عطشانا أو غريبا أو عريانا ، أو مريضا أو محبوسا ، ولم نخدمك ؟
 فيجيبهم قائلا : الحق أقول لكم : بما أنكم لم تفعلوه هؤلاء الأصاغر
 فبى لم تفعلوا . فهبى هؤلاء الى عذاب أبدي ، والأبرار الى حياة
 أبدية » (متى ٢٤ : ١ - ١ - ٤٤ ، ٢٥ : ٣١ - ٤٦ ، مرقس ١٣ لوقا ٢١ :
 ٥ - ٣٦)

المشرح والبيان

هذا آخر حديث لعيسى عليه السلام مع تلاميذه ، قبل رحيله عن هذه
 الحياة الدنيا . وقد رواه متى ومرقس ولوقا بعبارات متشابهة . والغرض
 منه : مجيء ابن الانسان صاحب ملكوت السموات الذى أشار اليه
 النبي المعظم دانيال ، بعد حدوث علامات ظاهرة على الأرض هي : ١ - هدم
 هيكل سليمان . ٢ - ظهور انبياء كذبة ٣ - قيام حروب بين الأمم . ٤ - حدوث
 مجاعات ، وأوبئة ، وزلازل ، وبراكين . ٥ - اضطهاد الأمم لتلاميذ
 المسيح عيسى عليه السلام وأتباعه . ٦ - تحريف الانجيل . ٧ - انتشار
 الانجيل في العالم . ٨ - حدوث رجسة الخراب التى أتت عن حدوثها النبي
 دانيال في مدينة القدس (اورشليم) في الأصحاح التاسع من سفره .
 وستكون في وقت ظهور ابن الانسان صاحب ملكوت السموات ، وأتباعه
 الأطهار الشبهيين بالملائكة . ويبين لهم : أن صاحب الملكوت مع كونه محاربا
 عظيما وبطلا منتصرا ، سيميز بين الأخيار والأشرار ، وسيتمتع الأخيار
 في ملكه بخير وفير . فقد وصف المسيح ابن الانسان في هذا النص بأنه :
 ١ - سيكون ملكا ٢ - أتباعه أطهار ٣ - محارب منتصر ٤ - صاحب
 شريعة من السماء ٥ - فقير ٦ - غريب ٧ - مضطهد من الناس .

وهذا الحديث واضح تمام الموضح في أن المراد منه : مجيء نبي
 الاسلام ﷺ ودخول أتباعه أرض فلسطين ، ليزيلوا آثار بنى اسرائيل
 فيها ، ولينثروا الاسلام . وهو واضح في أن المراد منه مجيء نبي الاسلام
 ﷺ . لأن دانيال أخبر عن تأسيس ملكوت السموات بعد زوال دولة الروم ،
 ولقب صاحب الملكوت بلقب ابن الانسان . والمسيح عليه السلام نادى
 باقتراب هذا الملكوت ، وبتأسيسه من بعده . وهنا يوضح علامات تتم في

العالم من قبل تأسيس الملكوت . والنصارى يقولون : ان ابن الانسان الذى يتحدث عنه المسيح هنا ويبين علامات مجيئه هو صاحب الملكوت الذى أخبر عن ظهوره دانيال ، ويقولون : انه يسوع المسيح ويقولون : ان تأسيس الملكوت كان بعد خمسين يوما من الارتفاع المسيح الى السماء .

ويقول النصارى : ان هذا الحديث من أوله الى آخره ، لا نفهم له معنى . وهم قد قالوا بذلك . لأنهم لم يهتدوا فيه الى كلام يحرفون به الكلم عن مواضعه . وكيف لا يفهمون له معنى ، وفي الإنجيل ان المسيح كان يفسر لتلاميذه كل شىء (مرقس ٤ : ٣٤) وكيف لا يفهمون له معنى وأصله فى الأصحاح الثانى والسابع من سفر دانيال ؟ وهم يعرفون أصله نصا ومعنى .

وهذا الحديث قد ورد فى متى ومرقس ولوقا . والعبارات التى وضعوها لتحريف النص لم يضعوها فى كل انجيل . ومثال ذلك : قول متى عن المسيح : « فمتى نظرتم رجسة الخراب التى قال عنها دانيال النبى قائمة فى المكان المقدس . ليفهم القارىء » فتوله : « ليفهم القارىء » موضوعا للتحريف فى متى ومرقس ، وساقط من لوقا ، لأنه لو كان القائل هو المسيح نفسه ، لمقال : ليفهم السامع . ومفسرو النصارى اعترفوا بأن هذا القول من كلام المكاتب ، لا من كلام المسيح (١) . ومثال ذلك أيضا : قول متى : ان التلاميذ سألوا المسيح على انفراد « يا هى علامة مجيئك » وفى لوقا ما نصه : « واذا كان قوم يقولون عن المهكل : انه مزين بحجارة حسنة ، وتحف . قال : هذه التى ترونها ، ستأتى أيام لا يترك فيها حجر على حجر لا ينفض . فسألوه قائلين : يا معلم . متى يكون هذا ؟ وما هى العلامة عندما يصير هذا ؟ » فعلمة مجيئك عند متى ومرقس موضوعه للبس الحق بالباطل . لأن المسيح يتحدث عن غيره . ولأن المسيح قال : « لست أنا بعد فى العالم » (يو ١٧ : ١١)

(١) ٣٣٦ ج ١ الكنز الجليل .

والنصارى يقولون : لا نفهم لهذا الحديث معنى . لأن المسيح صاغه بعبارات مجازية تشبيهية لا نفهمها . يقول الدكتور فردريك . و . فارار . في معنى هذا الحديث الذى أورده متى ومرقس ولوقا : « بشئ من الخوف تقدم الية تلاميذه المقربين المعززين : بطرس ، ويعقوب ويوحنا وأندراوس . وعندما رأوا عينيه مثبتتين على الهيكل ، سألوه على انفراد : (قل لنا : متى يكون هذا ؟ وما هى علامة مجيئك وانقضاء هذا الدهر ؟) أما سؤالهم (متى) ؟ فقد ظل فى الحاضر بدون اجابة . وكانت هذه عادة يسوع عندما يسأله أحد سؤالاً جهولاً ، أو عديم الاحترام ، أو غير لائق . لا يوبخه مباشرة ، وإنما يمر عليه مر الكرام ، ويبدل الاجابة بتعليم أدبى عظيم يمت اليه بصلة ، ويجعل للسؤال قيمته ، ولذلك اتخذ من هذا السؤال سبيلاً الى حديثه العظيم عن نهاية العالم ، الحديث الذى كان له أربعة مفاتيح : (احترسوا) و (اسهروا) و (اصبروا) و (صلوا) قامت صعوبات كبيرة عن هذا الحديث ، ولفت كتب برمتها لازالتها . وحقيقته : أن الفة التشبيهية التى اكتسب بها ، والخفاء المقصود الذى شاءت ارادة الله أن يلبسه لتفاصيل المستقبل ، والذي قد تؤدي معرفته الى استغراب كسول ، أو خوف مهول ، سيجعلان الى الأبد أجزاء منه عسرة الفهم .

(ولكن لا يكون المنتهى سريعاً) فى هذا الحديث قد حذرهم يسوع من المسحاء الكذبة ، والانبياء الكذبة ، وأخبرهم أن الحروب القاسية بين الأمم والاضطرابات ، والمصائب التى تتوافق مع أزمان التاريخ العظمى : ما هى الا مبتدا الأوجاع ، وأول علائم الزمان الآتى . فلا يرتاعوا . وتنبأ عن الاضطهادات المزيرة ، وزيادة الاثم ، ونقص الايمان ، والمكرازة العامة ، كعلامات على اقتراب النهاية .

والجزء الثانى من هذا الحديث انصب جلياً على المستقبل القريب ، تنبأ بوضوح على خراب المدينة المقدسة ، فأعطاهم الآن العلامات المنذرة بآقترابه ، كى يطلبوا السلامة لذواتهم . فاذا رأوا المدينة قد أحاط بها أعداؤها ، وتامت الرجسة المؤدية للخراب فى المكان المقدس ، فحتى الذين

في الحقول ، والذين على السطوح فليهربوا من اليهودية ، وليلجأوا الى التلال ، التي في عبر الاردن من البلايا التي لا يعبر عنها والتي ستبتع بعد ذلك ، ولا يجب حتى ذلك الوقت أن يحملوا بخداع كذاب بسبب حدة الاستياق للآمال الميساوية (٢) . وسيقول لهم البعض : انه هنا وانه هناك ، فلا يجب أن يصدقوا ، لأن مجيئه سيكون مثل البرق الذي يضيء من المشارق الى المغرب ، وسيكون ظاهرا ، ولا يخطئه العالم (٣) «

وفى هذا الحديث مباحث :

(٢) معنى هذا أن الميسا سيأتي من بعد عيسى عليه السلام
(٣) ص ٦٦٠ - ٦٦٣ حياة المسيح

المبحث الأول : العلامات

العلامة الأولى

هدم هيكل سليمان

« لا يترك ههنا حجر على حجر ، لا ينفض » وقد هدم « أدريانوس » الروماني هيكل سليمان سنة ١٣٢ أو ١٣٥ ميلادية . مع ملاحظة أن بدء التاريخ الميلادي غير مضبوط . فقد قال الأتيا اثناسيوس : « ان العلماء المحدثين يرون أن السنة التي ولد فيها يسوع المسيح هي قبل سنة ١ م بحوالى أربعة أو خمسة أعوام » (١) وهذه أول علامة تدين النصرارى بأبلغ أدانة في قولهم بأن الملكوت قد تأسس في انيوس الخمسين لصعود المسيح الى السماء . لأن الهيكل لم يكن قد هدم ، حتى يأتي ابن الانسان . وماذا يعنى عيسى بهدم الهيكل ؟ يقول النصرارى : « هذه النبوءة عن خراب الهيكل النهائى الذى لا اصلاح له : تتضمن نبوءة عن انقضاء عهد الكهنوت اللاوى ، والناموس الطمقى (٢) » ونقول لهم : اذا كان خراب الهيكل يعنى انقضاء عهد الكهنوت فى أبناء لاوى بن يعقوب ، وينهى العمل بالتوراة . فلماذا أنتم متمسكون بالتوراة ؟ ولماذا أنتم متمسكون بعيسى على أنه مشرع منفصل عن موسى ، مع أنه من سبط لاوى ؟ واذا كان خراب الهيكل يعنى : انتهاء عهد ، وبدء عهد . فالذى أسس ملكوته الأرضى بعد خراب الهيكل ، وعلى انقضاء الهيكل ، يكون أولى بالاتباع ، خاصة وأنه ليس من سبط لاوى . بل من نسل اسماعيل الذى بارك الله فى ذريته .

والسؤالان اللذان تقدم بهما التلاميذ ، لما أروه أبنية الهيكل ، وتنبأ لهم بهدمه ، وهما : ١ — متى يكون هذا ؟ ٢ — وما هي علامة مجيئك ، وانقضاء الدهر ؟ ؟ هما لفرض واحد ، وهو بدء تأسيس ملكوت السموات ،

(١) ص ٥٥ تفسير متى — أثناسيوس .

(٢) ص ١١٧ — ١١٨ تفسير متى — متى هنرى ج ٤

الذى أخبر دانيال عن تأسيسه ، بعد هدم هيكل سليمان فى أورشليم (القدس) وقد حذف مرقس ولوقا : « ما هى علامة مجيئك ؟ » فى ذكرهما لهذا النص ، وحذف مرقس ولوقا : « انقضاء الدهر » ايضا فى هذا النص . يقول مرقس : « متى يكون هذا ؟ وما هى العلامة عندما يتم جميع هذا » ؟ ويقول لوقا : « يا معلم . متى يكون هذا ؟ وما هى العلامة عندما يصير هذا ؟ » وعلى ذلك . فالمراد من « مجيئك » : هو مجيء الآتى من بعده ، على نهجه ، من باب الاحترام والتقدير . والمراد من انقضاء الدهر : هو انقضاء الملك ونسخ الشريعة فى بنى اسرائيل . واذا لم يكن هذا هو المراد . فان « علامة مجيئك » تكون موضوعة للبس الحق بالباطل ، لأنها لم ترد عند مرقس ولوقا ، ولأن يوحنا لم يذكر الحديث برمته ولأن المسيح نفسه قد قال : « لست أنا بعد فى العالم » (يو ١٧ : ١١)

وتفسير النصارى لمهذين السؤالين يذكره متى هنرى هكذا :

١ — « يظن البعض أن هذه الأسئلة كلها تشير الى أمر واحد ، أى خراب الهيكل ، وانقضاء عهد الكنيسة اليهودية والأمة اليهودية . الأمر الذى قال عنه المسيح « فان ابن الانسان سوف يأتى فى مجد أبية مع ملائكته ، وحينئذ يجازى كل واحد حسب عمله ، الحق أقول لكم : ان من القيام ههنا قوما ، لا يدوقون الموت ، حتى يروا ابن الانسان آتيا فى ملكوته » (متى ١٦ : ٢٧ — ٢٨)

٢ — ويظن الآخرون أن سؤالهم « متى يكون هذا ؟ » يشير الى خراب أورشليم ، أما السؤالان الأخيران فيشيران الى نهاية العالم .

٣ — أو أن مجيء المسيح يشير الى تأسيس ملكوته ، وأن انقضاء العالم يشير الى يوم الدينونة (القيامة)

٤ — أو أنهم ظنوا : أن خراب الهيكل لابد أن يكون هو نهاية العالم . فان حرب الهيكل لا يمكن أن يبقى العالم « ثم يقول متى هنرى بعد سرد هذه الآراء : « ليس من السهل تحديد تفسير معين لسؤالهم » (٣)

(٣) ص ١١٩ ج ٤ تفسير متى — لمتى هنرى

وقوله ان من القيامة ههنا قوما لا يدوقون الموت حتى يروا ابن الانسان : هذا القول كناية عن سرعة مجيء زمن ابن الانسان .

ونقول : ان الرأى الأول — الذى ذكره متى هنرى — هو الصواب . لأن المسيح عيسى — عليه السلام — يتحدث عن خراب الهيكل وخراب اورشليم ، لغرض انقضاء عهد الملك والنبوة فى بنى اسرائيل ، وبدء عهد الملك والنبوة فى بنى اسماعيل . وقول البعض منهم : ان عيسى سياتى بعد انقضاء ذلك العهد ، وانتهاء ذلك العصر اليهودى ، ليحكم فى الأرض حكما روحيا . فان الانجيل يرده ، كما ذكرنا . ومجيئه فى النص — ان كان النص صحيحا — يعنى مجيء الآتى باسمه ، كما عبر لوقا عنه فى قوله حكاية عن المسيح : « ان كثيرين سياتون باسمى قائلين : انى أنا هو ، والزمان قد قرب » (لوقا ٢١ : ٨) أى سيظهر أنبياء كذبة . يدعى كل واحد منهم أنه الذى بشر به المسيح ، ويقول : انى أنا هو الذى بشر به المسيح . والذى يأتى باسم عيسى — صادقا — يكون كأنه هو ، من باب الاحترام والتقدير ، كما قال النبى ﷺ لسلمان الفارسى — رضى الله عنه — « لئن كنت صدقتنى يا سلمان ، لقد لقيت عيسى بن مريم (٤) » وتعبير لوقا : « الزمان قد قرب » هو كناية عن سرعة مجيء الملكوت وصاحبه . وان لا يعترف النصارى بهذا المعنى الكنائى ، ويصرون على أن ابن الانسان هو يسوع المسيح ، يلزمهم كذب الانجيل . فان المعاصرين لعيسى عليه السلام ، ماتوا من قبل أن يرى أحد منهم ابن الانسان قد أتى فى ملكوته . واذا قالوا : ان الملكوت روحى ، وقد تأسس فى عيد الخمسين بعد رفع المسيح الى السماء . نقول لهم : ان الأحداث التى اشار إليها عيسى عليه السلام ، ما كان شىء منها قد حدث بالفعل . فلم تظهر الأنبياء الكذبة ، ولم تقم الحروب بين الأمم ولم تحدث المجاعات والأوبئة ، ولم يكن الانجيل قد انتشر فى العالم الى آخر العلامات الواردة فى هذا الحديث .

العلامة الثانية

ظهور الأنبياء الكذبة

« سيقوم مسحاء كذبة ، وأنبياء كذبة » وفى الفترة ما بين عيسى ، ونبى الاسلام — عليهما السلام — ظهر كثيرون من ادعيا النبوة « يحدثنا

(٤) السيرة النبوية لابن كثير ص ٣٠٤ ج ١

يوسيفوس عن كثيرين من هؤلاء المدعين ، الذين اظهروا بين ذلك الوقت ، وخراب اورشليم اُحدهم (ثوداس) الذى هزم أمام (كوسبيوس فاروس) وآخر غلب على أمره أمام (فليكس) وغيرهما أمام (فستوس) وتسال (دوستيوس) : انه هو المسيح الذى تنبأ عنه موسى (٥) . . . وفى الأجيال المتعاقبة وجد أمثال هؤلاء المدعين ، ظهر واحد بعد المسيح بمئة سنة دعا نفسه (باركو كوباس) أى ابن نجم (٦) « وقد تحدث لوقا فى سفر الأعمال عن (ثوداس) الذى تحدث عنه يوسيفوس ، وعن رجل آخر اسمه (يهوذا) الجليلي فقال : « قبل هذه الأيام قام ثوداس قائلاً عن نفسه انه شىء . الذى التصق به عدد من الرجال نحو أربعمائة ، الذى قتل وجميع الذين انتقادوا اليه تبددوا وصاروا لا شىء . بعد هذا قام يهوذا الجليلي . . . الخ » (أعمال : ٥ : ٣٦ - ٣٧) ولقد كتب لوقا سفر الأعمال كما يقول النصرى حوالى سنة ٦٠ - ٦٢ بعد الميلاد . وكتب يوسيفوس المؤرخ العبرى تاريخه بعد سنة ٩٤ ميلادية (٧) . الأمر الذى يثبت ان الملكوت لم يتأسس يوم الخمسين . كما يقول النصرى . بل بعد ذلك فى مجيء الإسلام . وقد ظهر بعد كتابة لوقا لسفر الأعمال (مونتانونس) و (ماني) الفارسي وادعى كل منهما انه « بيرقليط » الذى وعد به عيسى عليه السلام .

العلامة الثالثة

حروب تقوم بين الأمم

« تقوم أمة على أمة ، ومملكة على مملكة » يفسر النصرى هذه العبارة بقولهم : « يقوم جزء أو مقاطعة من الأمة اليهودية على الجزء الآخر . تقوم مدينة على أخرى . وفى المقاطعة الواحدة أو المدينة الواحدة يقوم حزب على الآخر فيحطم بعضهم بعضا ، ويلتهم بعضهم بعضا » (٨)

-
- (٥) هذا يدل على أن المسيح الحقيقي ما كان قد أتى بعد .
 (٦) نقلا عن تفسير متى هنرى لمتى ص ١٢٤ - ١٢٥ ج ٤ .
 (٧) ص ٩٢ شرح سفر أعمال الرسل - براون .
 (٨) تفسير متى هنرى ج ٤ ص ١٢٨ .

وهذا غير صحيح . لأن النص يوضح أمة فى مقابل أمة ، لا أحزاب .
يقتل بعضهم بعضاً من الأمة الواحدة . ولماذا لا تتعدى الحروب منطقة
اسرائيل الى أهم العالم وممالك العالم ؟

لقد أحدث اليهود شغباً فى الأرض فأدبتهم روما سنة ٧٠ من الميلاد
بقيادة تيطس ، ثم لما عادوا بالثورة جاءهم ادرينوس سنة ١٣٥ من الميلاد
فحطمهم تحطيماً . وكانت الدولة الرومانية دولة شاسعة الأطراف .
فانقسمت الى شرقية وغربية . « وكان آخر قيصرية المغرب الامبراطور
(رومولو أوجسطولو) وتقتصر سلطته على ايطاليا وحدها . الذى عزله
القائد (ادوكو) فى عام ٤٧٦ م وأعلن انتهاء الدولة فى الغرب ، والاكتفاء
بالامبراطور الحاكم فى التسطنطينية » (٩) ثم ان دولة فارس غلبت الدولة
الرومانية الشرقية ، ثم هزمت الدولة الرومانية الشرقية دولة فارس . — كما
هو مشهور من كتب التواريخ — فهذه العلامة لا تنطبق على تأسيس ملكوت
السموات يوم الخمسين . بل تنطبق على زمن نبى الاسلام ﷺ .

ومع أن عيسى ينبىء بتيام أمة على أمة ، يقول مع هذا : « ليس
المنتهى بعد » . أى أنه مع وجود الحروب لأبد من فترة انتظار بعد الحروب ،
وهذا لا ينطبق على يوم الخمسين .

وهذه الحروب التى أشار اليها عيسى قبل مجىء المسيح (المسيا)
الذى هو نبى الاسلام ﷺ نجد لها صدى فى كتب اليهود . فبعضهم يؤمن
بان الحروب والكوارث لأبد أن تسبق مجىء المسيا يقول الدكتور أسعد
رزوق : « أن الربانيين فى التلمود ، لا يجمعون على رأى واحد حول
كيفية الاستعداد لمجىء المسيا ، فهو تارة يأتى متى شاء ، وطورا تسبقه
الحروب والكوارث التى ترافق آلام المخاض ، وطلقات الولادة (١٠) »

(٩) ص ١٥ دورة روما الأولية ١٩٦٠م

(١٠) ص ٢٤٧ التلمود والصهيونية

العلامة الرابعة

المجاعات والأوبئة والزلازل

« وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل في أماكن » وأول مجاعة نقرأ عنها في الانجيل كانت في فلسطين بين سنة ٤٥ و ٤٨ ب . م وحدثت مجاعة في روما بين سنة ٤١ — ٤٥ ب . م في عصر كلوديوس قيصر فكيف يقول التصاري بتأسيس الملكوت ومجيء ابن الإنسان في يوم الخمسين ؟ يقول لوقا في سفر الأعمال : « وفي تلك الايام انحدر أنبياء (١١) من اورشليم الى انطاكية ، وقام واحد منهم اسمه اغابوس ، وأشار بالروح أن جوعاً عظيماً كان عتيداً أن يصير على جميع المسكونة ، الذي صار أيضاً في أيام كلوديوس قيصر ، فقدم التلاميذ حسباً تيسر لكل منهم . أن يرسل كل واحد شيئاً ، خدمة الى الأخوة الساكنين في اليهودية ، ففعلوا ذلك مرسلين الى المشايخ بيد برنابا وشاول » (أعمال ١١ : ٢٧ — ٣٠) . يقول الدكتور لورانس براون في تفسيره : « ألهم أحد الأنبياء — واسمه اغابوس — أن يعلن نبأ وقوع مجاعة في العالم . ويقول لنا لوقا : ان المجاعة حدثت فعلاً في عصر كلوديوس ، ويشير المؤرخون الى وقوع مجاعات محلية كثيرة في أنحاء الإمبراطورية الرومانية . لا مجاعة واحدة في حكم كلوديوس (٤١ — ٤٥ ب . م) ولعل لوقا اتخذ من هذا كله دليلاً كافياً على تحقيق النبوة . وقد وقعت المجاعة الفعلية في فلسطين بين سنة ٤٥ و ٤٨ ب . م وربما كانت النبوة بين سنة ٤٣ و ٤٤ ب . م وان كانت أنباء المجاعات في أنحاء العالم الأخرى ، قد بلغت اليهودية ، فمن المحتمل أن يكون المسيحيون اليهود في اورشليم ، راحوا يفكرون في أمرهم اذا داهمتهم المجاعة في عقر دارهم (١٢) »

هذا عن المجاعات ، وأما عن الأوبئة . فانها تحل بالعالم نتيجة المجاعات والمجاعات تأتي عقب الحروب غالباً . وأما عن الزلازل فالمراد بها الشدائد

(١١) أنبياء = علماء

(١٢) ص ١٥٣ شرح سفر أعمال الرسل — براون

المروعة . ففي سفر أشعياء : « ليدخل فى نقر الصخور ، وفى شقوقه
المعاقل من أمام هيبه الرب ، ومن بهاء عظمته عند قيامه ليرعب الأرض »
(أشعياء ٢ : ٢١) « ليرعب الأرض » تترجم عند الآباء اليسوعيين « تزلزل »
أو « يهز » حسب الترجمة الانجليزية .

وهذه المجاعات والأوبئة والزلازل اذا حدثت لا يأتى ابن الانسان
بمدها مباشرة . بل ذلك كله هو كما عبر المسيح : « مبتدأ الأوجاع » وكلمة
« الأوجاع » تدل فى أصلها اليونانى على الأوجاع التى تسبق الولادة ،
ولذا ترجمت فى كل من ترجمة اليسوعيين والترجمة القبطية : بكلمة
« الماض » (١٣)

العلامة الخامسة

الاضطهادات

« حينئذ يسلمونكم الى ضيق ويقتلونكم ، وتكونون مبغضين من
جميع الأمم لأجل اسمى » وقد حدث هذا بعنف قبل مجىء نبي الاسلام ﷺ .
أما قبل يوم الخمسين فقد كان التلاميذ « لهم نعمة لدى جميع الشعب »
(أعمال الرسل ٢ : ٤٧) ومن هذه الاضطهادات (١٤) :

١ - اضطهاد نيرون سنة ٦٤ ميلادية ٢ - اضطهاد دومنيانوس
سنة ٩٠ ميلادية ٣ - اضطهاد تراجان سنة ١٠٦ ميلادية ٤ - اضطهاد
دقلديانوس سنة ٢٨٤ ميلادية .

العلامة السادسة

تحريف الانجيل

« وحينئذ يعثر كثيرون ، ويسلمون بعضهم بعضا ، ويبغضون

(١٣) ص ١٣٢ ج ٤ متى - هنرى

(١٤) انظر تاريخ الأتباط ج ١ ص ١٠١ - ١٠٨

بعضهم بعضا ، ويقوم أنبياء كذبة كثيرون ، ويضلون كثيرين ، ولكثرة
الاثم تبرد محبة الكثيرين « بعدما تحدث المسيح عن الاضطهادات ، بدأ
يتحدث عن نتائج الاضطهادات . فأورد ثلاث نتائج :

الأولى : ارتداد البعض . يتعثرون أولا في نصرانيتهم ، ثم يعثرون
عنها . يبدؤون بالتذمر ، ثم تفتت محبتهم فيها ، ثم يملونها . وأخيرا يتهددون
عليها .

الثانية : خيب الآخرين . أى أن الخائنين الذين تركوا دينهم يسلمون
الى الولاة والحكام ، من كان لا يزال متمسكا بالنصرانية . ومن يدعون
صداقته .

الثالثة : الفتور العام والبرود المشامل بين الأغلبية . وهذان
الأمران — الفتور والبرود — يتوقمان في أوقات الضلالات عند قيام الأنبياء
الكذبة ، وفي أوقات الاضطهادات ، عندما يبغض الصالحون .

وقد تحدث الانجيل عن قوم آمنوا بالمسيح ثم ارتدوا . يقول يوحنا في
الرسالة الأولى « وكما سمعتم أن ضد المسيح يأتي ، قد صار الآن أضداد
للمسيح كثيرون . من هنا نعلم انها الساعة الأخيرة . مناخرجوا . لكنهم
لم يكونوا منا . لأنهم لو كانوا منا ، لبقوا معنا » (يوحنا الأولى ٢ : ١٨ —
١٩) وهذا يعنى على أقل تقدير أن المكوت لم يتأسس في يوم الخمسين .

وقد اتفقت كلمة المؤرخين على أن النصرانية الحالية قد اعترف
بها القيصر الرومانى قسطنطين في سنة ٣٢٥ ميلادية . ولا شك أنها
تختلف كثيرا عما نادى به المسيح عيسى عليه السلام . وعلى سبيل المثال :
تقول التوراة بوحداية الله وأنه لا يرى ، ولا يمكن لأحد أن يراه ، وليس
مثل الله . والمسيح الذى جاء مصدقا للتوراة يقول بعضهم انه هو الله ظهر
فى الجسد . وتقول التوراة ان لا نبى من بنى اسرائيل كهوسى ، وهم يقولون
ان عيسى هو النبى المماثل لموسى الذى وعد به فى سفر التثنية .

العلامة السابعة

انتشار الانجيل في العالم

ويتنبأ عيسى عليه السلام عن التبشير بالانجيل في كل العالم قبل مجيء المسيا وملكوته . ولم يحدث هذا الا قبل مجيء نبي الاسلام ﷺ « ويكرز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة ، شهادة لجميع الأمم ثم يأتي المنتهى » ويلاحظ في هذا النص : أن الانجيل دعى ببشارة الملكوت ، وليس هو كتاب الملكوت . هو أولا . وكتاب الملكوت ثانيا . ببشارة الملكوت هي الانجيل ، وكتاب الملكوت هو القرآن . وهذا يبطل قول النصارى : ان الانجيل هو كتاب الملكوت نفسه ، ويبطل قول النصارى أيضا : ان الملكوت هو عصر الانجيل وقد تأسس في يوم الخميس بعد حلول الروح القدس . لأن قوله : « ثم يأتي المنتهى » اشارة الى الوقت الذي ينتهى فيه عصر الشريعة اليهودية ، وهدم الهيكل ، وتأسيس ملكوت السموات بعد حدوث العلامات كلها . بدليل سؤال القلاميذ : « متى يكون هذا ؟ وما هي العلامة عندما يصير هذا ؟ » لما أروه أبنية الهيكل ، وقال لهم : « لا يترك ههنا حجر على حجر لا ينقض » فالكلام كله منسوب على انتقضاء الأمة اليهودية بطقوسها وشعائرها ، وهو الذي يعبر عنه عيسى عليه السلام بقوله : « ثم يأتي المنتهى » وبعد أن ينتشر الانجيل شهادة لجميع الأمم يأتي « مشتهى كل الأمم » ويتأسس ملكوت المسيح المنتظر ، الذي هو ملكوت نبي الاسلام ﷺ . لأن لاسماعيل بركة .

ويعرض متى هنرى وجهة نظر النصارى في هذا التعبير فيقول :

١ - المفهوم ضمنا : أن الانجيل كان لابد أن يسمع ، أو على الأقل يسمع عنه ، في كل العالم المعروف وقتئذ ، قبل خراب اورشليم ، وأن كنيسة العهد القديم لا تنحل تمام الانحلال قبل استقرار كنيسة العهد الجديد . وتوطيد أساساتها . وبعد أربعين سنة من موت المسيح خرج صوت الانجيل الى كل الأرض (رؤ ١٠ : ١٨) وبولس الرسول أكمل التبشير بالانجيل من اورشليم ، وما حولها الى الليريقون (رؤ ١٥ : ١٩) والرسل الآخرون

لم يكونوا كسالى . لقد ساعد اضطهاد القديسين في اورشليم على تثبتهم حتى أنهم جالوا في كل مكان مبشرين بالكلمة (١ ع ٨ : ١ - ٤) وعندما تصل أخبار الفادي الى اقصى العالم حينئذ تزول دولة اليهود . وهكذا نرى أن ما ظن اليهود أن يتحاشوه بقتل المسيح ، قد تموه هم بأنفسهم ، بنفس الوسيلة . فالجميع آمنوا به ، وأتى الرومانيون (١٥) وأخذوا موضعهم وأمتهم (يو ١١ : ٤٨) وبولس يتحدث عن وصول الانجيل الى كل العالم ، والكراسة به في كل الخليقة (كو ١ : ٦ - ٣٢)

والمفهوم ضمنا أيضا : أنه حتى في أوقات التجارب والضيقات لابد من الكرازة ببشارة الملكوت وانتشارها ، ولابد أن يشق الانجيل طريقه وسط اشد المقاومات . سوف يركز بالانجيل ، ولو اشتدت نيران أعداء الكنيسة ، وفترت محبة محبيها ، وحتى ان سقط الكثيرون بالسيف وباللهب . وفسد الكثيرون بالتملقات . فان الشعب الذين يعرفون الهمم تشمتد سواعدهم ، لياوا أجل الأعمال بتعليم الكثيرين (انظر دا ١١ : ٣٢ - ٣٣) وانظر دليلا على هذا في (في ١ : ١٢ - ١٤)

٣ - على أن المقصود هنا بصفة أخص : هو أن نهاية العالم سوف لا تأتي الا حينذا يعمل الانجيل عمله في العالم ، سوف يركز بالانجيل ، ويتم هذا العمل حينما تكونوا أمواتا ، وهكذا يكون أمام كل الأمم ، أولا أو آخرأ : أما أن تتمتع بالانجيل أو ترفضه « ثم يأتي المنتهى » - « متى سلم الملك لله الآب » (١ كو ١٥ : ٢٤) متى انتهى سر الله ، وكمل الجسد الرمزي وتغيرت الأمم ، وخلصت بالانجيل أو دينت ، وأبكت به « ثم يأتي المنتهى » الذي سبق أن تكلم عنه في ع ٦ ، ٧ والذي لا يأتي الا بعد اتمام هذه الأحداث المتوسطة ، سوف يبقى العالم ، طالما بقي واحد من مختارى

(١٥) في برنابا : الاسماء يليون بدل كلمة الرومانيين : وما في برنابا صحيح ، لأن الرومانيين قد احتلوا فلسطين قبل ولادة المسيح ولم يطردهم منها الا نبي الاسلام ﷺ .

الله ، لم تصله الدعوة ، ولكن حينما يجمع الجميع ، فحينئذ يحرق العالم
في الحال » (١٦)

الرد عليه :

ونرد على متى هنرى قوله : بأن هذا الحديث كله من أوله الى آخره ،
يشير الى حدث واحد لا حوادث مجزأة ، حدث واحد يظهر بعد خراب
الهيكل ، وظهور الأنبياء الكذبة ، والمجاعات والأوبئة والزلازل ،
والاضطهادات ، وسماع بشارة الانجيل فى العالم المعروف وقتئذ . حدث
واحد يأتى بعد هذا كله .. فبأى حق يقسم متى هنرى وغيره من المفسرين
هذه الدلالات لتشير الى حوادث مجزأة ؟ قالوا مثلا : بعد خراب الهيكل
نوطد ملك عيسى الروحى على الأرض ، وكان قد تأسس يوم الخميس
لصعوده الى السماء ، فلماذا لا يقال عن بشارة الملكوت وهى انتشار
الانجيل : انه بعد الانتشار الواسع يأتى شىء فى هذه الحياة الدنيا
كنظيره فى الأحداث السابقة التى هى خراب الهيكل ، والأنبياء الكذبة ،
وغيرها ، بدل أن يقولوا : بعد انتشار الانجيل تقوم القيامة ، وتنتهى
الدنيا ؟ يقول متى هنرى : « على أن المقصود هنا بصفة أخص : هو أن
نهاية العالم سوف لا تأتى الا حينما يعمل الانجيل عمله فى العالم » ونسأله :
هذه الصفة الأخص : من خصصها ؟ والحديث كله منصب على انقضاء
الامة اليهودية بطقوسها وشعائرها ، وهو الذى يعبر عنه عيسى بقوله :
« ثم يأتى المنتهى » ثم ماذا يقول متى هنرى للنصارى الذين روى عنهم :
« ان هذه الأسئلة تشير كلها الى أمر واحد ، أى خراب الهيكل ، وانقضاء
عهد الكنييسة اليهودية والامة اليهودية (١٧) » ؟

وعبارة « ثم يأتى المنتهى » يقصد منها متى هنرى : انه فى نهاية العالم
وساعة حدوث يوم القيامة ، ينزل عيسى من السماء ويثبت الأبرار على
برهم ، ويعاقب الفجار على اثمهم ، ثم يسلم الملكة وعظمة السلطان

(١٦) ص ١٣٩ - ١٤٠ ج ٤ تفسير انجيل متى .

(١٧) ص ١١٩ ج ٤ المرجع السابق .

الى الله عز وجل ، وعندئذ تنتهي مهمة عيسى عليه السلام . ومن ينظر منهم فى عقائدهم بأدنى نظر ، لا يسلم بقوله هذا . لأنه اذا سلم عيسى الملك لله عز وجل ، فقد ثبت أن هناك الهان أحدهما يقوم بعملية التسليم والثانى يقوم بعملية التسلم ، وهذا لا تقول به طائفة الأرثوذكس التى تعتقد أن عيسى نفسه هو الله ، والله هو عيسى — تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا —

العلامة الثامنة

حدوث رجسة خراب دانيال

ويظهر عيسى — عليه السلام — علامة مميزة للمسيا ، من التوراة نفسها . فيقول : « فمتى نظرتم رجسة الخراب التى قال عنها دانيال النبىء ، قائمة فى المكان المقدس . ليفهم القارئ » ورجسة خراب دانيال ، مقترنة بمجىء المسيا ، الذى ينتظره أهل الكتاب ، ليزيل الدولة الرومانية . ولقد كان من أسباب الصراع بين الدولة الرومانية وبين النصارى : ايمان النصارى بأن « المملكة الوحيدة الخالدة ليست روما . ولا الامبراطورية الرومانية . وانما هى مملكة المسيح ، أى ملكوت الله ، وآمنت الكنيسة منذ بدايتها الأولى : أن نهاية العالم وشيكة الوقوع » (١)

والنصارى الى الآن : لا يجدون تبريرا لرجسة خراب دانيال . يقول الدكتور وليم ادى الأمريكانى : « لا ريب أن الرسل — أى التلاميذ — عرفوا ما أراد المسيح برجسة الخراب ، لكن يعسر علينا الآن معرفته (٢) » ويقول الدكتور وليم : انها فى سفر دانيال ٩ : ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ١٢ ، ١١ (٣) ويزيد عليه متى هنرى ما جاء فى سفر دانيال ١٢ : ٣١ مع اتفاقه معه فى ان النصارى لا يجدون تبريرا للمراد من رجسة خراب دانيال (٤) وبالإضافة

(١) ص ٣٥ حضارة الاسلام وأثرها فى الترقى العالمى .

(٢) ص ٣٣٦ ج ١ الكنز الجليل .

(٣) المرجع السابق .

(٤) ص ١٤٢ ج ٤ تفسير انجيل متى لمتى هنرى .

الى ذلك : نجدهم مختلفين في ترجمة هذه الفقرة : « وعلى جناح الأرجاس مخرب » أو « وفي الهيكل رجسة الخراب » حسب هامش الكتاب ، وهي الترجمة السبعينية أو « وفي جناح الهيكل تقوم رجسة الخراب » حسب ترجمة اليسوعيين أو « مع الجيوش الرجسة » حسب هامش الترجمة الانجليزية (٥) .

ورجسة خراب دانيال ليست محيرة الى هذا الحد ، ولكنهم من امام الحقائق يهربون ، ويتعللون بالابهام والغموض ، ان رجسة الخراب تعنى : ازالة بنى اسرائيل ، وسلطانهم من الأرض المقدسة ، أرض فلسطين على يد نبي الاسلام ﷺ .

جاء في كتاب تاريخ العرب المطول للدكتور فيليب حتى ، والدكتور ادورد جرجي ، والدكتور جبرائيل جيور ، ما نصه : « ولما سلمت القدس ، جاءها عمر زائرا وأنفذ صالح أهلها ، وكتب لهم به ، فاستقبله بطريرك أورشليم صفرونيوس ، الملقب بـ « حامى الكنيسة المعسول اللسان » وطاف به على أنحاء البلدة وأراه الأماكن المقدسة . وكان لهيئة الخليفة البسيطة ، ولباسه أثر ، أثر عظيم في نفس صفرونيوس ، فالتفت الى أحد مرافقيه ، وكلبه باليونانية قائلا : حقا هذا رجس الخراب الذى تكلم عنه النبي دانيال ، وراه قائما في المقدس » وكتبوا في الهامش هذا المرجع :

Theophores, P. 339 Coustantion Porphyrogenitus, « De administrando imperio » in I.P. migne, Patrologia Vol. ex. III (Paris, 1891) Col. 109 (٦)

ويقول الدكتور رياض باردي « في شتاء سنة ٦٣٧ ميلادية حاصرت جيوش الخليفة عمر بن الخطاب القدس ، وبعد حصار قاس دام أربعة أشهر أبدى ممثل المدينة المطران صفرونيوس رغبته بالتسليم الى الخليفة

(٥) المرجع السابق .

(٦) ص ٢٠٨ القسم الثانى من تاريخ العرب المطول — بيروت — دار الكشاف ١٩٥٨ .

بذاته ، فحضر الخليفة ، ولما اقترب من باب المدينة استقبله المطران والشعب بحماسة شديدة ، وكان لها تأثير كبير على نفسه ، فمنح المسيحيين من حقوق العبادة وحرية التصرف ما لم يحلم به فاتح في التاريخ ، ومنحهم حرية الاعتقاد والقول والتصرف ضمن الولاية ، ومشى مع المطران لزيارة كنيسة القيامة ، فلما دنا وقت الصلاة خرج الى السلم الشرقى ، وصلى خارجا كي لا يتخذ خلفاؤه ما عمله — لو بقى فى الداخل وصلى — حجة لمصادرة الكنيسة لمصالح الاسلام .

وفى قاموس التوراة (صفحة ١٠١٦) أن الخليفة سأل المطران فى سياق حديثه رآيه فى مكان بناء مسجد اسلامى فأيد البناء على الصخرة النبى نام عليها يعقوب ورأى حلمه العجيب والواقعة ضمن بناء هيكل سليمان الذى كان حينئذ كومة خراب ، وكان أن بنى جامع عمر على أسس الهيكل (حائط المبكى) فى نحو السنة ٦٤٠م . وقد أثبت المؤرخ سدرنيوس فى كتابه (صفحة ٤٢٦) أن سفرونيوس مطران اورشليم صرح للمحيطين به حينئذ : أن المسجد الجديد يحقق نبوءة دانيال الواردة بشأن قيام البناء الغريب مكان الهيكل « (٧)

وقال يوسيفوس لعلماء بنى اسرائيل أثناء حرب تيطوس سنة سبعين من الميلاد : « انى لست أعجب من خراب هذا البيت ، وهذه المدينة ، لعلمى أن مدتها قد انتهت . لكنى أعجب منكم ، وأنتم تقرؤون كتاب النبى المعظم دانيال ، وتعلمون ما ذكره من ابطال القرابين ، وعدم الكاهن

(٧) ص ٨٠ — ٨١ اليهودية العالمية من زمن ابراهيم الى وقتنا الحاضر .

ولاحظ أنه يطلق اسم المسجد الأقصى قديما على ساحة الحرم الشريف فى القدس ، وهى ساحة كبيرة محاطة بسور ، يوجد بداخله مسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى المتميز الآن . والمسجد الأقصى المتميز الآن يقع داخل السور جنوبى مسجد قبة الصخرة . وجدار السور الغربى يسمى حائط المبكى وسمى كذلك لأن اليهود اعتادوا زيارته للبقاء على مجدهم الضائع (ص ٧٥ و ١١٤ — ١١٥ بيت المقدس فى الاسلام)

المسيح ، وزوال المسحة ، وترون ذلك قد صبح وثبت ، وأنتم بعد ذلك لا تخضعون لله عز وجل ، ولا تستسلمون (٨) .»

وهذا هو نص حيث دانيال الذي اثنان علماء النصارى الى انه
هو القصود برجسة الخراب . يقول دانيال: « (٢٠) — بينما أنا أتكلم وأصلى واعترف بخطيتي وخطية شعبي اسرائيل وأطرح تضرعي أمام الرب الهى ، عن جبل قدس الهى ٢١ — وأنا متكلم بعد بالصلاة اذا بالرجل جبرائيل الذى رأيته فى الرؤيا فى الابتداء مطارا واغفا . لمسنى عند وقت تقدمه المساء ، ٢٢ — وفهمنى وتكلم معى ، وقال يا دانيال انى خرجت الآن لأعلمك الفهم ، ٢٣ — فى ابتداء تضرعك خرج الأمر ، وأنا جئت لأخبرك ، بأنك أنت محبوب . فتأمل الكلام وافهم الرؤيا ٢٤ — سبعون أسبوعا قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية وتبميم الخطايا ، ولكفارة الاثم وليؤتى بالبر الأبدى ولختم الرؤيا والنبوة ، ولمسح قدوس القديسين . ٢٥ — فاعلم وافهم أنه من خروج الأمر لتجديد اورشليم وبنائها الى المسيح الرئيس سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعا يعود ويبنى سقوق وخليج فى ضيق الأزمنة ، ٢٦ — وبعد اثنين وستين أسبوعا يقطع المسيح وليس له ، وشعب رئيس آت ، يخرب المدينة والقدس وانتهأؤه بغفارة ، والى النهاية حرب ، وخرب قضى بها ، ٢٧ — ويثبت عهدا مع كثيرين فى اسبوع واحد ، وفى وسط الأسبوع يبطل الذبيحة والتقدمة وعلى جناح الأرجاس مخرب حتى يتم ويصب الملقى على المخرب » (دانيال ٩ : ٢٠ — ٢٧)

وفى ترجمة الكاثوليك نجد النص هكذا : « بينما كنت أتكلم وأصلى واعترف بخطيتي ، وخطية شعبي اسرائيل ، وألقى تضرعي أمام الرب الهى ، لأجل جبل قدس الهى . بينما كنت أتكلم بالصلاة . اذا بالرجل جبرائيل الذى رأيته فى الرؤيا عند البداة قد طار سريما ، ولمسنى فى وقت تقدمه المساء . وبين وتكلم معى . وقال يا دانيال : انى خرجت الآن : لأعلمك

(٨) انظر فصل شيلون من هذا الكتاب .

فتفهم : عند بدءة تضرعاتك خرجت الكلمة وأتيت انا لأخبرك بأنك وجل
 رغائب . فتأمل الكلمة وافهم الرؤيا : ان سبعين أسبوعا حددت على
 شعبك ، وعلى مدينة قدسك ، لافناء المعصية ، وازالة الخطيئة ، وتكفير
 الائم ، والاتيان بالبر الأبدى ، واختتام الرؤيا والنبوءة ، ومسح قدوس
 القديسين . فاعلم وافهم أنه من صدور الأمر باعادة بناء أورشليم الى
 المسيح الرئيس سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعا . فتعود تبنى
 السوق والسور في ضيق الأوقات ، وبعد الاسابيع الاثنتين والستين يقتل
 المسيح . والشعب الذى ينكره لا يكون له ، وشعب رئيس آت يدمر
 المدينة والقدس ، وكما بالطوفان يكون انقضاؤها . والى انقضاء القتال
 يكون التخريب المقضى . وفى أسبوع واحد بيت لكثيرين عهدا ثابتا ، وفى
 نصف الأسبوع يبطل الذبيحة والتقدمة ، وفى جناح الهيكل تقوم رجاسة
 الخراب ، والى الفناء المقضى ينصب غضب الله على الخراب » (دانيال
 ٩ : ٢٠ - ٢٧)

ويلاحظ في هذا النص : ثلاثة أحداث : الأول : « سبعين أسبوعا حددت
 على شعبك وعلى مدينة قدسك » **الثانى :** « من صدور الأمر ، باعادة بناء
 أورشليم الى المسيح الرئيس سبعة أسابيع ، واثنان وستون أسبوعا »
 أو حسب ترجمة البروتستانت : « من خروج الأمر لتجديد أورشليم وبنائها
 الى المسيح الرئيس : سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعا » **الثالث :**
 « وشعب رئيس آت ، يدمر المدينة والقدس ، وكما بالطوفان يكون
 انقضاؤها ، والى انقضاء القتال يكون التخريب المقضى »

يقول علماء الكاثوليك في تعليقهم على كلام دانيال هذا : « ٢٤ - ٢٧ -
 هذه الآيات - يقصد من عبارة (سبعين أسبوعا قضيت على شعبك) الى
 آخر النص - تتضمن النبوءة العلنية التى فيها يعين النبى زمان مجىء
 المسيح ، ويحدده بما ينطبق انطباقا مدققا على الزمان الذى ظهر فيه يسوع
 للتاصرى ، وليبيان ذلك نقول : أولا : أن المشار اليه فى هذه النبوءة
 هو المسيح بغير أدنى شبهة ولا خلاف ، والأدلة على ذلك واضحة بنفسها

منها ما وعد به من ازالة الخطيئة . والاتيان بالبر الأبدى ، واختتام الرؤيا (٢٤) وكل ذلك لا يصح أن ينسب الا اليه ، ولا يتم الا عن يده . ومنها تسميته بقديوس القديسين (٢٤) والمسيح الرئيس (٢٥) أو المسيح على الاطلاق (٢٦) ، وهذه الألقاب لا تليق الا به . ومنها أنه بيت لكثيرين عهدا ثانيا . ويبطل الذبيحة والتقدمة (٢٧) وذلك لا يتحقق الا فيه . ثانيا : ان الزمان الذى يعينه النبو لدعوة المسيح وموته ، هو عين الزمان الذى شرع فيه يسوع الناصرى فى اعلان دعوته ، والذى مات فيه على الصليب ، ولا ثبات ذلك : لا نحتاج الى أكثر من تدبر هذه النبوءة . بالنظر الدقيق ، ومقابلتها بما ورد فى التاريخ . ولكن قبل الشروع فى ذلك : لابد لنا من التنبيه على أن الأسابيع المذكورة هنا : **هى أسابيع سنين • لا أسابيع أيام** . لأنا اذا اعتبرناها أياما ، وتتبعنا التاريخ لانجد فيه شيئا يطابق الحوادث المشار اليها فى هذه النبوءة على عقب اصدار الأمر بتجديد بناء اورشليم فلم يبق الا أن نعتبرها أسابيع من السنين ، وهو الراى المعول عليه حتى عند اليهود فضلا عن المسيحيين . ثم أن مبدأ هذه الأسابيع هو كما نص عليه فى الآية (٢٥) **من صدور الأهر بإعادة بناء اورشليم** • غير أننا نعلم : أنه قد صدر لليهود أربعة أوامر من ملوك فارس ، فى أربعة أزمنة مختلفة . فترتب علينا أن نعين المراد منها فى قول النبو ونجعله مبدأ لحساب هذه الأسابيع . الأمر الأول : من كورش (عزرا ١ : ٢ - ٤) وهو منحصر فى إعادة بناء الهيكل . ولا ذكر فيه للمدينة . والثانى من داريوس ابن هستاسب (عزرا ٦ : ١ - ٢١) ولا يتضمن الا تقرير ما أمر به كورش ، والثالث : من ارتخششتا وهو ارتكزركسيس ، المعروف بالطويل اليد . اصدره الى عزرا فى السنة السابعة من ملكه (عزرا ٧ : ١٢ - ٢٦) وهو منحصر فى أمر الذبائح وحقوق أهل الكهنوت ، والرابع ، وهو الأخير من ارتخششتا أيضا . اصدره الى نحميا فى السنة العشرين من ملكه (نحميا ٢ : ١ - وما يليها) وهو يتعلق ببناء أسوار المدينة على الخصوص . وهو الذى أشار اليه النبو دون الأوامر الثلاثة الأولى لانه يتعلق ببناء المدينة كما هو نص النبوءة بخلاف ذلك لانحصارها فى أمر الهيكل والذبائح ومتعلقات

المكتهنة ، ومن تاريخه ينبغي أن تحسب هذه الأسابيع من السنين الى المسيح الرئيس . الا أن قوله : « الى المسيح » : يحتمل أن يكون الى ميلاده ، أو الى معموديته التي منها كان شروعه في دعوته ، والثاني هو المراه . وهو المتفق عليه بين المفسرين عامة ، وتقريره أن الأسابيع التي بين صدور الأمر المشار اليه وظهور المسيح هي تسعة وستون أسبوعا . فيكون ظهور المسيح عند منتهى الاسبوع التاسع والستين . وحينئذ فلا يبق بين وقت ظهوره ، هذا ونصف الاسبوع السبعين الذي فيه يقتل المسيح (٢٧) الاثلاثة سنين ونصف . وهي لاتحتمل أن تكون مدة ما بين ميلاده الى موته . فيتمين ان تكون هي المدة التي أقام فيها يبائشر دعوته ، فتحصل من ذلك كله : ان التسعة والستين أسبوعا هي ٤٨٣ سنة ينبغي أن يكون مبتدأها من السنة العشرين للملك ارتحششتا ، ومنتهاها الى السنة التي اعتمد فيها يسوع المسيح على يد يوحنا المعمدان ، وهذه المدة هي التي تستفاد من علم التاريخ لأننا اذا استقرئنا حساب السنين نجد أن السنة العشرين لارتحششتا توافق السنة ٢٩٩ من تأسيس روميه ، وكان ظهور القديس يوحنا المعمدان ومعموديته للمسيح في السنة الخامسة عشرة لطيطاريوس قيصر ، كما نص عليه القديس لوقا (٣ : ١) وتلك السنة بحسب التاريخ هي السنة ٧٨٢ من تأسيس روميه وهذه السنة كان ٤٨٣ سنة وهي نفس المدة التي بين السنة العشرين من ارتحششتا والسنة التي اعتمد فيها يسوع ، ونفس السنين التي تحصل من التسعة والستين أسبوعا ، المنصوص عليها في هذه النبوءة (٩) .

ونقول : ان هذا الكلام ليس صوابا . وبيان ذلك :

١ - (١) ان الكاثوليك في تعليقاتهم ، لم يبينوا المراد من السبعين أسبوعا . وعدد هم ٤٩٠ سنة . لأن الاسبوع عندهم سبع سنين . فلماذا سكتوا عن البيان ؟ ان ختم الرؤيا والنبوة في بنى اسرائيل ، يتم بعد سبعين أسبوعا من زمان دانيال . ودانيال كان في سبى بابل ، في سنة ٥٨٦ أو ٥٨٨

(٩) ص ٧٨ - ٧٩ حواش على المجلد الأول للكاثوليك .

ق. م. أى أن آخر نبي فى بنى اسرائيل — على ظاهر النص — يكون فى سنة ٩٦ أو ٩٨ قبل الميلاد . لأن ٥٨٨ — ٤٩٠ = ٩٨ سنة . وهذا التاريخ لا ينطبق على عيسى عليه السلام .

(ب) ولا يستطيع أى واحد فيهم أن يقول : ان السبعين أسبوعا ، هى مدة وجود اليهود فى مدينة بابل قبل أن يسمح لهم الفارسيون بالعودة الى فلسطين . لأنه على ظاهر النص تكون النبوة قد ختمت حال عودة اليهود من سبى بابل ، وعلى ظاهر النص لا يكون عيسى نبيا ولا يحيى ولا زكريا ، ولا غيرهم ممن ظهوروا بعد عودة اليهود من سبى بابل . وعلى ظاهر النص أيضا : يكون النبي المنتظر الذى تحدث عن مجيئه موسى فى سفر التثنية قد ظهر من قبل ولادة عيسى بن مريم ، بمئات من السنين وهم لا يقرون بذلك .

هذا عن السبعين أسبوعا .

٢ — وأما عن السبعة الأسابيع ، والاثنين والستين أسبوعا ، ومجموعهم ٦٩ أسبوعا . فعلى تفسير النصارى لا تنطبق أى مدة على عيسى عليه السلام . وبيان ذلك :

اليهود سبوا الى بابل بعد خلع الملك صدقيا سنة ٥٨٨ ق.م ولما تولى الملك قورش ملك فارس سنة ٣٥٧ ق.م أصدر الأمر لليهود بالعودة الى اورشليم سنة ٥٣٦ ق.م وقد رجع اليهود فى عهد ارتكزركسيس الفارسى مع عزرا سنة ٤٥٨ ق.م وظل عزرا واليا على اورشليم الى سنة ٤٤٥ ق.م (١٠) وجاء بعده نحميا فبنى أسوار اورشليم وظل واليا الى سنة ٤٢٠ ق.م وبناء على هذه التواريخ لو أضفنا الى أى تاريخ منها ٤٨٣ سنة التى هى مدة التسعة والستين أسبوعا يكون الحساب هكذا (أ) ٥٣٦ — ٤٨٣ = ٥٣ وهذا لا ينطبق على ميلاد عيسى عليه السلام لأنه قبل الميلاد بثلاث وخمسين

(١٠) التواريخ من كتاب تاريخ الاسرائيليين — شاهين مكاريوس .

سنة (ب) ٤٥٨ - ٤٨٣ = ٢٥. وهذا التاريخ لا ينطبق لانه بعد الميلاد
بخمسة وعشرين سنة (ت) ٤٤٥ - ٤٨٣ = ٣٨ وهذا التاريخ أيضا لا ينطبق .
لانه بعد الميلاد بثمان وثلاثين سنة .

وعلى تفسير الفسارى ينطبق تاريخ السبعة الأسابيع ، والاثنتين
وستين أسبوعا ، على نبي الاسلام هكذا :

«ومن صدور الأمر باعادة بناء اورشليم الى المسيح الرئيس سبعة أسابيع ،
واثنان وستون أسبوعا » : معناها : أنه من هدم الهيكل وخراب اورشليم
الذي حدث نهائيا في سنة ١٣٢م على يد أدريانوس الى بعثة نبي الاسلام
مدة هي ٤٨٣ سنة ، فيكون الحساب هكذا ١٣٢ + ٤٨٣ = ٦١٥ سنة .
ونبي الاسلام ﷺ ولد سنة ٥٧١ ميلادية وبعث على رأس الأربعين سنة
٦١١ ميلادية فانطبق التاريخ عليه ، أقرب من انطباقه على المسيح عيسى
عليه السلام .

وحددنا اعادة بناء اورشليم بهدم الهيكل ، على يد أدريانوس في
سنة ١٣٢م .

(أ) لأنه حرم على اليهود دخول اورشليم ، وهدم الهيكل تماما ،
وقتل جميع اليهود الذين كانوا قد بقوا بعد هزيمتهم على يد تيطوس وعلى
ذلك . فقد خربت اورشليم نهائيا ، وهي في انتظار اعادة البناء .

(ب) ان علماء بنى اسرائيل المعاصرين لهدم الهيكل بعد عيسى
عليه السلام ، ونهم يوسيفوس : أخبروا أن ذلك هو ما أشار اليه دانيال .
كما سبق بيانه .

(ت) ان النصارى الذين رأوا المسجد الأقصى يقام في أرض الهيكل :
أشاروا الى أن ذلك هو ما أخبر عنه دانيال . كما سبق بيانه .

(ث) أنه ورد في كتب السيرة النبوية أن بعض علماء اليهود أخبروا
العرب بقرب زمن النبي ، وحددوه تحديدا ولم يذكر تحديد الزمن الا في

سفر دانيال ، وفى هذا النص . يقول أبو الحسن على بن محمد الماوردى فى اعلام النبوة : « روى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : كان يهودى يسكن مكة . فلما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله ﷺ ، حضر مجلس قريش فقال : يا معشر قريش : هل ولد فيكم الليلة مولود ؟ فقال القوم : والله ما نعلم . قال : الله أكبر أما اذا أخطأكم فلا بأس . انظروا واحفظوا ما أقول لكم : « ولد فى هذه الليلة نبي . . . ذهبت والله النبوة من بنى اسرائيل يا معشر قريش . والله ليسطون بكم سطوة ، يخرج خبرها من المشرق الى المغرب (١١) » وهذا موافق لكلام دانيال . اذ حدد زمنه ، وبين أنه سيزيل مجد الدولة الرومانية . وقد تم ذلك فى حينه .

٣ - وقول دانيال : « وبعد اثنين وستين أسبوعا يقطع المسيح وليس له » ان لم يكن معناه : أن قطع المسيح الرئيس هو رفض اليهود الايمان به . فانه يكون قولاً موضوعاً للبس الحق بالباطل . والدليل على ذلك : أن نبوءات التوراة عن المسيح الرئيس تبين أنه يبقى الى الأبد . ففى انجيل يوحنا : « نحن سمعنا من الناموس : أن المسيح يبقى الى الأبد » (يوحنا . ١٢ : ٣٤) والمراد بالبقاء الى الأبد ، بقاء الشريعة .

(٤) وقول دانيال : « وشعب رئيس آت يخرب المدينة » يشير الى عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فهو خليفة عن رسول الله ﷺ ، وقد حضر الى مدينة القدس ، وكتب العهدة العمرية مع « صفرنيوس » وفى حضرته صرح صفرنيوس . بأن هذا هو ما أشار اليه النبي المعظم دانيال .

وهذا الذى بينته هو على طريقة الكاثوليك فى البيان . فانهم لم يفسروا المراد بالسبعين أسبوعا ، ولم يفسروا المراد بشعب رئيس آت ليخرب المدينة التى هى القدس .

والتفسير الصحيح لكلام النبي دانيال : هو :

أولاً : ان السبعين أسبوعا هى المدة التى حددها دانيال لجيء النبي .

(١١) ص ١٥٣ . اعلام النبوة .

الذى تنتظره الأمم ، وبه تختم الرؤيا والنبوة . والنبي الذى تختم به النبوة لابد وأن يكون هو النبي الذى تحدثت التوراة عن مجيئه مماثلا لموسى فى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية . وعلى اليهود والنصارى أن لا ينتظروا غيره اذا ما ظهر فى العالم . لأن النبوة قد ختمت به . فمن هو هذا النبي الخاتم ، الذى لقبوه بالمسيح الرئيس ، تمييزا عن سائر المسحاء . والذى لقبوه بقدوس القديسين ، تمييزا عن سائر القديسين ؟ لا يمكن أن يكون ختم النبوة بالمسيح عيسى بن مريم عليه السلام . ١ — لأن أوصاف التوراة عن المسيح الرئيس الذى هو المسيا خاتم النبيين لا تنطبق عليه .

٢ — ولأن عيسى عليه السلام وهو جالس على جبل الزيتون تحدث عن خراب الهيكل وتدمير أورشليم على يد غيره ، بعد علامات تظهر فى العالم . فقد حكى متى : « ثم خرج يسوع ومضى من الهيكل ، فتقدم تلاميذه ، لكى يروه ابنية الهيكل . فقال لهم يسوع : أما تنتظرون جميع هذه ؟ الحق أقول لكم : انه لا يترك ههنا حجر على حجر لا ينقض . وفيها هو جالس على جبل الزيتون ، تقدم اليه التلاميذ على انفراد قائلين : قل لنا : متى يكون هذا ؟ » وقد ذكر عيسى عليه السلام علامات . ثم قال بعد ذكر العلامات ، وهى : ١ — ظهور أنبياء كذبة ٢ — حروب تقوم بين الأمم ٣ — اضطهاد الأمم لتلاميذه ٤ — ارتداد بعض النصارى عن دينهم ٥ — انتشار الانجيل . قال بعد ذكر هذه العلامات : « فهتى نظرتم رجسة الخراب التى قال عنها دانيال النبي قائمة فى المكان المقدس . ليفهم القارىء . فحينئذ ليهرب الذين فى اليهودية الى الجبال » وهذه العلامات التى تحدث عنها عيسى عليه السلام قبل رجسة خراب دانيال . تبين أن الرجسة تكون بعد ظهور العلامات . وعلى ذلك فقول النصارى ان الرجسة قد حدثت فى ولادة عيسى أو فى معموديته قول باطل . لأن النص يكذبه ، والتاريخ يكذبه . لأن العلامات لم تكن قد وقعت فى العالم .

ثانيا : ان السبعة الأسابيع مع الاثنتين والستين أسبوعا — أى

التسعة والستون أسبوعا — هم أنفسهم مدة السبعين أسبوعا بفقص أسبوع واحد — وهذا الأسبوع الذى اقتضه الكاتب للصحف ، فقد أثبتته فى نهاية النص لتثبيت العهد مع كثيرين — والدليل على ذلك : أنه يقول فى نهاية السبعين أسبوعا : سيأتى قدوس القديسين . ويقول فى نهاية التسعة والستين أسبوعا : سيأتى المسيح الرئيس . وقدوس القديسين هو نفسه المسيح الرئيس باجتماع الآراء .

وقد لاحظ عيسى عليه السلام أن النص غير واضح فى تحديد السنة بالضبط . ولذلك قال : « وأما ذلك اليوم وتلك الساعة ، فلا يعلم بهما أحد ، ولا ملائكة السموات . الا أبى وحده » (متى ٢٤ : ٣٦) وفى رواية لوقا : « متى رأيتم هذه الأشياء صائرة فاعلموا أن ملكوت الله قريب . الحق أقول لكم : انه لا يمضى هذا الجيل ، حتى يكون الكل . السماء والأرض تزولان ولكن كلامى لا يزول . فاحترزوا لأنفسكم لئلا تثقل قلوبكم فى خمار وسكر وهموم الحياة ، فيصادفكم ذلك اليوم بغتة . لأنه كالفتح يأتى على جميع الجالسين على وجه كل الأرض . اسهروا اذا وتضرعوا فى كل حين ، لئلا تحسبوا أهلا للنجاة من جميع هذا المزعم أن يكون وتقفوا قدام ابن الانسان » (لوقا ٢١ : ٣١ — ٣٦)

ثالثا : ان شعب الرئيس الآتى لخراب المدينة والقدس . هو شعب نبي الاسلام ﷺ من أبناء اسماعيل الذى جعل الله له بركة مساوية لبركة اسحق أخيه . وهذا الرئيس سيبطل الذبيحة والتقدمة . أى سينسخ شعائر التوراة ويبطل رسومها .

هذا هو التفسير الصحيح لكلام دانيال عن رجسة الخراب حسب الواقع .

وفى الامكان تفسير آخر . وهو :

ان سفر دانيال قد سلمه اليهود الى النصارى سنة تسعين من ميلاد عيسى عليه السلام فى مجمع « يمنية » أى بعد رفع عيسى عليه السلام . فلو كان هذا السفر منشورا فى العالم قبل ذلك التاريخ لما سلمه اليهود

الى النصارى فى ذلك الزمان . ولما اختلفت النصارى الى اليوم فى قدسية
الأصحاحات الاخيرة منه . يقول الدكتور الياس مقار : « وقد استلهمت
الكنيسة المسيحية من اليهود ، أسفار العهد القديم ، التى قرر اليهود فى
مجمع « يمنية » عام ٩٠م : قانونيتها » (١٣)

والأسبوع فى لغتهم قد يعنى سبع سنوات ، كما فى الاصحاح التاسع
والعشرين من سفر التكوين . وقد ولد نبي الاسلام ﷺ فى سنة ٥٧٠ أو
٥٧١ ميلادية . ونحن نعلم أن اليهود يلبسون الحق بالباطل . وغير بعيد
ان يجعلوا النص ملفزا . ولو أنك حسبت ٩٠ + ٤٨٣ = ٥٧٣ فالزمن
قريب من نبي الاسلام صلى الله عليه وسلم وقد
بقى من السبعين أسبوعا : أسبوعا واحدا ، هو المشار اليه بقوله : وفى
أسبوع واحد يثبت عهدا مع كثيرين . أى أن المدة كلها سبعون أسبوعا ،
منها أسبوع واحد للعهد وتسيير الجيوش لغزو بلاد الشام . وقوله :
« وبعد اثنين وستين أسبوعا يقطع المسيح » أى أن عمر نبي الاسلام
مقدر بأثنين وستين سنة . لأن الاسبوع عندهم يأتى بمعنى السنة ايضا ،
كما نص عليه ارمياء فى سفره ، ونقله مفسرو النصارى فى تفسير عبارات
دانيال عن الأسابيع السبعين . وقوله : « يقطع المسيح وليس له » أى
يهوت المسيح المنتظر ، وهو النبي ﷺ — وقد لقبوه بالقابهم ليخفوا حقيقته
عن الناس — وليس له أولاد من صلبه يملكون على مملكته (١٤) .

البحث الثانى : أوصاف أيام الضيق العظيم

وفى وقت حدوث رجسة الخراب التى أخبر عن حدوثها دانيال النبي
فى المكان المقدس ، أمر عيسى — عليه السلام — أتباعه بالاستسلام .
لأن المقاومة عديمة الجدوى . ووصف أيام الضيق العظيم بالأوصاف التالية :

(١٣) ص ٢٥٤ — ٢٥٥ ايمانى وانظر ايضا ص ٩٣ الكنيسة المسيحية
— الأنبا يوانس مطبعة دار العالم العربى سنة ١٩٧٠ ط ٢
(١٤) انظر كتاب « فتح الملك العالم فى البشائر بدين الاسلام » فيه
تفسير يختلف عن تفسيرنا .

الموصف الأول

نجاهة المختارين

لقد نصحهم بقوله : « ليهرب الذين فى اليهودية الى الجبال ، والذى على المسطح فلا ينزل لياخذ من بيته شيئا ، والذى فى الحقل فلا يرجع الى ورائه لياخذ ثيابه . وويل للحبالى والمرضعات فى تلك الأيام ، وصلوا لكى لا يكون هربكم فى شتاء ولا فى سبت ، لأنه يكون حينئذ ضيق عظيم ، لم يكن مثله منذ ابتداء العالم الى الآن . ولن يكون . ولو لم تقصر تلك الأيام لم يخلص جسد . ولكن لأجل المختارين تقصر تلك الأيام » .

متى يبدأ الهرب ؟ أثناء خراب أورشليم الذى عبر عنه دانيال بقوله : « وشعب رئيس آت يدمر المدينة والقدس ، وكما بالطوفان يكون انقضاؤها ، والى انقضاء القتال يكون التخريب المقضى » (٩ : ٢٦) هذا الشعب الآتى : شعب نبي الاسلام ﷺ عبر عن مجيئه لوقا بقوله : « متى رأيتم أورشليم محاطة بجيوش ، فحينئذ أعلموا : انه قد اقترب خرابها » (لو ٢١ : ٢٠) وهذا لا ينطبق على أمة الرومان ، كما يفسر النصارى . يقول النصارى : « قد تمت هذه النبوة ، منذ فتح تيطس قيصر : أورشليم ، ولم تبرح الى أيامنا هذه » وهذا لا ينطبق . لأن الرومان كانوا يحتلون أورشليم من سنة ثلاث وستين من قبل الميلاد ، بقيادة القائد الرومانى « بومبيوس » ولم ينزكوا أورشليم الا قسرا على يد المسلمين . واذا كانت لهم محاولات خلال احتلالهم لمعاوية اليهود الثائرين ، فلا يقال فى كل محاولة : ان أورشليم محاطة بالجيوش . لأن الرومان يحيطونها دائما بالجيوش ، ولم يبرح الجيش الرومانى من أورشليم خلال مدة الاحتلال الطويلة . وهذا لا ينطبق ايضا على أمة الرومان . لأنه بعد هذه الحوادث المريرة ، يأتى المسيح المنتظر « المسيا » كما يقول متى على لسان المسيح بن مريم عليه السلام : « حينئذ ان قال لكم احد : هو ذا المسيح هنا ، أو هناك فلا تصدقوا . لأنه سيقوم مسحاء كذبة » وبعد خراب أورشليم سنة سبعين من الميلاد على يد تيطس ، لم يظهر المسيح الصادق الذى ينتظره اليهود

ويتحدث عنه عيسى عليه السلام . وهو محمد ﷺ . لأن علامات ظهوره ما تمت بعد .

ولماذا أمرهم بالهرب ، وشأن الأنبياء أن يحرضوا أتباعهم على الثبات ، والوقوف في وجه الطغاة بما أوتوا من قوة ، حتى آخر قطرة من دمائهم ؟ لماذا أمرهم بالهرب ، مع أنه قد أمرهم من قبل باقتناء السيوف ؟ « قال لهم : حين أرسلتكم بلا كيس ولا مزود ولا أحذية هل أعوزكم شيء ؟ فقالوا : لا . فقال لهم : لكن الآن من له كيس فليأخذه ، ومزود كذلك . ومن ليس له ، فليبع ثوبه ويشتري سيفاً » (لو ٢٢ : ٣٥ - ٣٦)

والاجابة على ذلك : هي أن الشعب الآتى ليخرب المدينة ليس عدوا ، وانما هو حبيب . لا يدعوا لعبادة أوثان ، وانما يدعو الى الاله الواحد رب موسى وعيسى . ولا يقلل من شأن عيسى عليه السلام ، بل يعظمه ويرفع من قدره ، ولولا ذلك ما حرضهم عيسى على الهرب ، لأنه قبل ذلك أمرهم بالثبات أمام الولاة والملوك ، شهادة ضدهم وضد الأمم . وهذا الأمر بالهرب يشير الى أن الخراب نفسه لا يمكن مقاومته . اذ من المستحيل على أشجع المشجعان صد التيار ، ولكن الوسيلة هي اخلاء الطريق . وفي هذا ايحاء لأتباع عيسى عليه السلام أنهم لو فكروا في الاحتماء بدولة تسندهم ، ضد شعب الرئيس الآتى ، فان تفكيرهم لا محالة ضائع . لأنه قضاء ازلى مجرم . ولا راد لقضاء الله . والى أين يهربون ؟ الذين في فلسطين نفسها ، وفي اورشليم بالذات . يهربون الى الجبال القائمة في أطراف البلاد ، والذي على السطح يتخذ اقرب طريق للنزول حتى ينجو بنفسه ، ولا يأخذ من بيته شيئا . والذي في الحقل فليكن حكيما ، وليتخذ أقصر طريق ليركض في الحال . ولا يرجع الى ورائه لياخذ ثيابه ، أو ثروة بيته . وذلك لأن الوقت الذى يصرفه في تحزيم أمتعته ، يؤخر هربه ، ولأن حمل ثيابه ومنقولاته وأشياءه الثمينة معه ، تكون عبئا عليه ، وتعرقل جريه . وهذه التعبيرات كلها تعبيرات مجازية عن عدم المقاومة ، والاستسلام للجيش الآتى .

« وويل للجبالي والمرضعات في تلك الأيام » لأن الهروب يكون شاقا عليهن ، فالحامل لا تستطيع أن تسرع في المسير ، ولا تستطيع أن تسير مسافات طويلة ، والرضع لا يمكن تركهم ، وان أمكن تركهم . فهل تنسى المرأة رضيعها ؟ وان حملوا عرقلوا الأمهات ، وعرضوا حياتهن للخطر . وهذا الإرهاق أشار اليه عيسى في خطابه للنساء في قوله « يا بنات اورشليم : لا تبكين على بل ابكين على أنفسكن ، وعلى أولادكن ، لأنه هو ذا أيام تأتي يقولون فيها : طوبى للعواقر والبطنون التي لم تلد ، والثدى التي لم ترضع » (لو ٢٣ : ٢٧ - ٢٩) وها قد أتت الأيام على يد أصحاب رسول الله ﷺ ، وأزالوا مجد اليهود وسلطانهم .

ومما تجدر الاشارة اليه . قول عيسى عليه السلام في وصف تلك الأحوال : « وصلوا لى لا يكون هربكم في شتاء ولا في سبت » أنه لا فائدة من التضرع الى الله لرفع غضبه ، فقد حم القضاء . بل اجتهدوا أن تنفعوا بأحسن ما يمكن من الأمر الواقع . وان كان لا يمكن أن تصلوا لى تعفوا من الهرب ، فصلوا لى تكون ظروف الهرب مناسبة ، حتى تهدأ الأحوال ، ثم تظهرون أنفسكم للجيش الآتى آمنين مسالمين . وفى هذه الحالة سوف يقبلونكم . وصلوا « لى لا يكون هربكم — ان كانت هى ارادة الله — « في شتاء » حيث يكون النهار قصيرا ، والطقس باردا ، والطرق موحلة . وبالتالي حيث يكون السفر شاقا . سيما لعائلات برمتها . وصلوا أيضا : لى لا يكون الهرب في يوم « السبت » وهو يوم الراحة الأسبوعية عند بنى اسرائيل ، والأمم الذين دخلوا فى دين موسى عليه السلام . وقد أوصى الله فى التوراة بحفظ السبت فقال : « احفظ يوم السبت لتقدسه ، كما أوصاك الرب الهك . ستة أيام تشتغل وتعمل جميع أعمالك . وأنا اليوم السابع ، فسبت للرب الهك . لا تعمل فيه عملا ما . أنت وابنك وابنتك ، وعبدك وأمتك ، وثورك وحمارك ، وكل بهائمك ، ونزريك الذى فى أبوابك . لى يستريح عبدك وأمتك ملكك » (تث ٥ : ١٢ - ١٤) وقال عيسى عليه السلام : « لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء » (متى ٥ : ١٧) فلماذا

غير النصارى يوم السبت بيوم الأحد ؟ ان تغيير السبت بالأحد : خروج بمكابرة على أحكام التوراة المزمون هم بالعمل بها ؟

ثم يقول عيسى — عليه السلام — معللا للهرب : « لأنه يكون حينئذ ضيق عظيم ، لم يكن مثله منذ ابتداء العالم الى الآن ، ولن يكون » حقا كان خرابا منقطع النظير ، خراب أمة بأسرها . زوال مجدها ، ونسخ كتابها . لقد خربت مدن وممالك كثيرة ، ولكن لم يكن خراب كهذا . لأن اليهود ظلموا ، وعندهم التوراة تنهى عن الظلم ، وزاغوا عن الله ، وهم يعرفون نعمته وغضبه على من يزغ منهم عن أمره . وكان عقاب الله أكثر ، لأنه عقاب مقرون بغضب شديد على شريعته ، التي اجترأوا على تحريفها ، ولم يبالوا بعقابه ، ولم يعملوا حسابا ليوم انتقامه .

وقوله « ولن يكون » ينطبق على أمة الاسلام . لأن الله علم ازلا أمانتهم على الشريعة ، وغيرتهم عليها . فحفظهم من الهلاك . يقول الله عز وجل لنبيه الكريم : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » (الأنفال ٣٣) .

« ولو لم تقصر تلك الأيام لم يخلص جسد ، ولكن لأجل المختارين تقصر تلك الأيام » هنا لا نجد فرقا بين هلاك أمة نوح عليه السلام ، وبين أمة موسى عليه السلام . أمة نوح : هلك الضالون ونجا المؤمنون ، وأمة موسى نجا المؤمنون وهلك الضالون . والفرق كان في وسائل النجاة فمع قوم نوح كانت السفينة التي حمل فيها المؤمنين ، ومن كل زوجين اثنين . ومع قوم موسى ما أودعه الله في كتبهم من معرفة نبي الاسلام ﷺ باسمه وصفته . ف « المختارون » اذن هم . الذين صلحت قلوبهم ، وأذعنوا للحق ، واستعدوا لقبوله من أهل الكتاب . وقد جاء في الإنجيل أن مسحاء كذبة وانبياء كذبة سيظهرون « حتى يضلوا لو أمكن المختارين » . ولكن رحمة الله لن تتخلي عن المختارين لصفاء قلوبهم . وسيكون المسيح الحقيقي الذي هو نبي الاسلام ﷺ ظاهرا كالشمس .

الوصف الثانى

هلاك الكافرين

وبين لهم عيسى — عليه السلام — انه فى أثناء الضيقات العظيمة التى تحل باليهود عند زوال ملكهم ، سيظهر من يدعى أنه المسيح المنتظر ، أى النبى الذى وعد به موسى (تث ١٨ : ١٥) وهو محمد ﷺ . وهنا يحذرهم عيسى عليه السلام من المسحاء الكذبة والأنبياء الكذبة فيقول : « حينئذ ان قال لكم أحد : هو ذا المسيح هنا ، أو هناك فلا تصدقوا ، لأنه سيقوم مسحاء كذبة ، وأنبياء كذبة ، ويعطون آيات عظيمة وعجائب ، حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضا . ها أنا قد سبقت وأخبرتكم . فان قالوا لكم : ها هو فى البرية فلا تخرجوا . ها هو فى المخادع فلا تصدقوا ، لأنه كما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر الى المغرب ، هكذا يكون أيضا مجيء ابن الانسان . لأنه حيثما تكن الجثة فهناك تجتمع النسور ، وللوقت بعد ضيق تلك الأيام ، تغظم الشمس ، والقمر لا يعطى ضوءه ، والنجوم تسقط من السماء ، وقوات السماء تتزعزع ، وحينئذ تظهر علامة ابن الانسان »

وهنا نجد النصارى يضطربون اضطرابا شديدا . لماذا ؟ مع ان الأسلوب واضح تمام الموضوع . المفهوم من سياق العبارات : أن التلاميذ سألوا : متى يكون خراب الهيكل ؟ فقال : ان ملكوت السموات اقترب منكم ، وسوف تحدث حروب وأوبئة ، وسوف يقوم مسحاء كذبة ، وأنبياء كذبة من قبل مجيئه . ولكن المسيح الصادق — أى النبى الحقيقى — سيكون ظاهرا ، ولا يخطئه العالم . وهذا المسيح هو المسيح المعهود الذى قال عنه عيسى لتلاميذه فى رواية مرقس : « من سقاكم كأس ماء باسمى ، لأنكم للمسيح . فالحق أقول لكم : أنه لا يضيع أجره » (مر ٩ : ٤١) وهذا المسيح المعهود ليس هو المسيح عيسى عليه السلام ، لأن عيسى يتحدث عن غيره بقوله لأنكم تبشرون بالمسيح ، وتدعون له . وقال عنه عيسى للتلاميذ بحضرة جموع اليهود : « لا تدعوا — بضم التاء — سيدى لأن معلمكم واحد : المسيح . . . ولا تدعوا معلمين لأن معلمكم واحد : المسيح » (متى ٢٣ : ٨ و ١٠)

في لا تعلموا اذا ظهر المسيح المنتظر بتعاليم التوراة ، لأن المسيح المنتظر سييطلها وينسخها .

ويقول المسيح عيسى عليه السلام : ان مجيء ابن الانسان بعد ظهور المسحاء الكذبة سيكون مثل البرق . فمن هو ابن الانسان هذا ؟ اليس هو المسيح الصادق الذي يتحدث عن مجيئه عيسى عليه السلام ؟ ولو كان الآتى هو عيسى نفسه لقال : « هكذا يكون ايضا مجيئه » . ولكنه قال : « مجيء ابن الانسان » ابن الانسان هذا هو الذي اشارت اليه التوراة في قول دانيال : « كنت أرى في رؤى الليل ، واذا مع سحب السماء ، مثل ابن انسان . أتى وجاء الى القديم الأيام ، فقبوه قدامه ، فأعطى سلطانا ومجدا وملكوتا ، لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة . سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول ، وملكوته لا يتقرض » (دا ٧ : ١٣ — ١٤) ولو كان هو مجيء عيسى نفسه ، لكان قد أتى بملك أرضي ، لا بملك روحي . كما يقول النصراني .

ويفسر الدكتور فردريك . فارار عبارة « حيثما تكن الجثة فهناك تجتمع الفسور » بقوله : « أينما وجد شر شخصي ، وأينما وجد فساد شعبي ، وأينما وجد انحطاط علم ، فالى هناك تسرع نسور العدل الإلهي للانتقام . وأورشليم ؟ نعم . وكل الأمة اليهودية كانت تنحدر سرريما الى الاضمحلال الناشئ من الفساد الداخلي . وقد بدأت أصوات أجنحة القمحة تضرب ، وحفيفها يسمع في الهواء (١) » ومعنى هذا التفسير : ان مجيء ابن الانسان سيكون بحرب وقوة ، ليحق الحق ويزهق الباطل . وهذا لم ينطبق على عيسى عليه السلام . والذي أدب اليهود ، ووبخ سلوكتهم ، ونزع الملك الأرضي من أيديهم ، هو نبي الاسلام ﷺ .

ومن النصراني من يفسر عبارة : « حيثما تكن الجثة فهناك تجتمع

(١) ص ٥٤٩ حياة المسيح .

النسور « بقوله : « حيثما كرز بالمسيح ، اجتمعت اليه النفوس » وتفسيرهم هذا ملتوى .

أولا : لأن التوراة تشير إلى طبيعة النسور الجارحة في قول أيوب : « أيامي أسرع من عداء . تفر . ولا ترى خيرا . تمر مع سفن البردى ، كسفر ينقض إلى قنصه » (أيوب ٩ : ٢٥ - ٢٦) وعيسى لم يكن محاربا .
وثانيا : وجد من النصارى من ينكر هذا القول . يقول الدكتور فردريك فارار : « لا يمكن الأخذ بتفسير يوحنا فم الذهب . ونيوكلافت : القائل : بأن الجثة هي المسيح ، والنسور المجتمعة هم القديسيون (٢) »

ويستفاد من هذه العبارات التي تدل على مظاهر العدل والقدره لله عز وجل : أن خراب اورشليم سوف يكون متوقعا بعدل ، كطيران النسور نحو الجثة ، ومهما أبعدها عنهم اليوم الشرير — فى نظرهم — فلا بد أن يأتى الخراب يقينا . كجىء الطيور الجارحة نحو الجثة المكشوفة فى الخلاء .
ومن غير أصحاب رسول الله ﷺ الذين قال الله عنهم : « أشداء على الكفار ، رحماء بينهم » (الفتح ٢٩) والذين قال عنهم داود : « تنويهاً الله فى أفواههم ، وسيف ذو حدين فى يدهم » هم الذين كانوا نسور العدل الالهى لخراب اورشليم ؟ ومن الذى أتى بعدما قامت أمة على أمة ، ومملكة على مملكة ، واضطهد الصالحين من أتباع عيسى عليه السلام ، غير جند الله الذين أسسوا ملك الاسلام الى الآن والى الأبد ، وقضوا على كل نفوذ غير نفوذهم ؟

والمعجب من النصارى : انهم يفرقون فى هذه العبارات بين امرين . الأمر الأول : « هكذا يكون مجىء ابن الانسان » والأمر الثانى : « وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس ، والقمر لا يعطى ضوءه ، والنجوم تسقط من السماء ، وقوات السماء تتزعزع . وحينئذ تظهر علامة ابن الانسان » فقالوا عن الأمر الأول : أنه بدء مجىء عيسى الروحى لينشر الأنجيل ، بعدما صعد عيسى الى السماء بفترة وجيزة . وقالوا عن الأمر الثانى : انه الملكوت

(٢) ص ٥٤٩ حياة المسيح .

الروحي للمسيح فى بدء مجيئه الثانى ، عند زوال هذه الحياة الدنيا (٣) . وهذا لا يستقيم فى المعنى بأى حال من الأحوال . لأن العبارات كلها تتحدث عن أمر واحد . لا عن أمرين ، وعن مجيء واحد . لا عن مجيئين . وهذا الأمر الواحد هو ملكوت السموات الذى ضرب له عيسى أربعة أمثال فى هذا الحديث . وقوله : « وللوقت بعد ضيق تلك الأيام » يفيد : الأيام المشار اليها سابقا فى قوله : « وويل للحبالى والمرضعات فى تلك الأيام » وفى قوله : « ولو لم تقصر تلك الأيام » وفى قوله : « ولكن لأجل المختارين تقصر تلك الأيام » وفى قوله « وحينئذ تظهر علامة ابن الانسان » وهى العلامة التى تجيء مع « مجيء ابن الانسان » فى عبارة الأمر الأول . فكيف يقول النصارى : ان الحديث من أول : « وللوقت بعد ضيق تلك الأيام » . . . الخ . هو حديث عن مجيء عيسى للدينونة الأخيرة فى يوم القيامة ، وما قبله ليس مرتبطا به ؟

الوصف الثالث

هول القتال

ويستمر عيسى عليه السلام فى حديثه فيقول : « وللوقت بعد ضيق تلك الأيام ، تظلم الشمس . والقمر لا يعطى ضوءه ، والنجوم تسقط من السماء ، وقوات السماء تتزعزع ، وحينئذ تظهر علامة ابن الانسان فى السماء ، وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ، ويبصرون ابن الانسان آتيا على سحاب السماء ، بقوة ومجد كثير ، فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت . فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح . من اقضاء السموات الى اقضاءها »

هذه العبارات : كناية عن هول ذلك اليوم ، الذى يأتى فيه المسلمون لتحرير اورشليم (القدس) يقول متى هنرى فى تفسيره : « يظن البعض : أن المقصود بهذه فقط : هو خراب اورشليم ، والأمة اليهودية ، وأن اظلام

(٣) ص ١٥٢ — ١٥٤ ج ٤ تفسير متى . وانظر حواش على المجلد الثالث للكتاب المقدس للكاتوليك ص ٤٧٣

الشمس والقمر والنجوم : يرمز الى احتجاب مجد تلك الدولة وتقلصها ،
والاضطراب العام الذى يقترب بذلك الخراب ... أو قد يكون المقصود
بالشمس ، والقمر ، والنجوم : الهيكل ، وأورشليم ، ومدن يهوذا . التى
كان لابد أن تخرب . أما « علامة ابن الانسان » فالمقصود بها : ظهور
واضح لقوة وعدل الرب يسوع المسيح ، للانتقام لدمه من أولئك الذين قبلوا
جريمة سفكته على أنفسهم وعلى أولادهم . أما جمع مختاربه فيرمز الى
انقاذ بقية من هذه الخطية وذلك الخراب (٤) « وقلنا : أن هذه العبارات :
كناية عن هول اليوم الذى يأتى فيه المسلمون بنى اسماعيل لتحرير القدس .
لأن التعبير نفسه ورد فى التوراة كناية عن الهول والشدة . ومن ذلك
قول أشعيا : « هو ذا يوم الرب قادم ، قاسيا ، بسخط ، وحبو غضب ،
ليجعل الأرض خرابا ، ويبيد منها خطاتها . فان نجوم السموات وجبابرتها
لا تبرز نورها . تظلم الشمس عند طلوعها ، والقمر لا يلمع بضوئه ، وأعقاب
المسكونة على شرها ، والمنافقين على اثمهم ، وأبطل تعظم المستكبرين ،
وأضع تجبر العتاة » (أش ١٣ : ٩ - ١١) والدليل على أن هذا العقاب
فى الدنيا : قول أشعيا بعد ذلك : « ها أنذا أهيج عليهم الماديين الذين
لا يعتقدون بالفضة ، ولا يسرون بالذهب ، فتحطم القسى المفتيان ، ولا يرحمون
ثمرة البطن ، لا تشفق عيونهم على الأولاد ، وتصير بابل بهاء للمالك ، وزينة
خز الكلدانيين : كتقليب الله سدوم وعمورة ، لا تعمر الى الأبد » (أش
١٣ : ١٧ - ١٩)

وعلامات ابن الانسان الذى هو نبي الاسلام ﷺ : هى الامارات التى
أشجار اليها عيسى عليه السلام فى هذا الحديث ، ووضحتها التوراة . وقوله :
ويبصرون ابن الانسان آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير « كناية عن
المجىء العظيم لنبي اسلام ﷺ وهو محاط بعلو وارتفاع ومجد وسلطان ،
ومؤيد بنصر الله وعونه . والنصارى يقولون : ان علامة ابن الانسان هو
للصليب الذى صلب عليه عيسى عليه السلام (٥) وليس هذا هو المراد ،
لأن عيسى عليه السلام كان يتحدث حال حياته ، ولم يكن يعلم أنه سيموت

(٤) ص ١٥٨ ج ٤ تفسير متى .

(٥) ص ٤٧٣ حوش على المجلد الثالث من الكتاب المقدس للكاثوليك

على الصليب أم لا يهوت وفي هذه العبارات ينفى عن نفسه علم الغيب فيقول : « وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات إلا أبى وحده » وقوله : « فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت ، فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح ، من أقصاء السموات إلى أقصائها » معنى « فيرسل ملائكته » : أي جنوده وأتباعه . وعبر عن جنود ابن الانسان الذي هو نبي الاسلام ﷺ بالملائكة . ليشبههم بهم في السمع والطاعة والظهور والصلاح . وقد ورد في الانجيل : أن الملائكة بمعنى الأتباع . في قوله : « وحدثت حرب في السماء . ميخائيل وملائكته ، حاربوا التنين ، وحاربته التنين وملائكته . ولم يتورا فلم يوجد مكانهم بعد ذلك في السماء . فطرح التنين وطرحته معه ملائكته » (رؤيئة ١٢ : ٧ - ٩) .

وذلك التعبير قد اقتبسه المسيح عيسى عليه السلام من قول موسى في التوراة عن نبي الاسلام ﷺ : « جاء الرب من سيناء ، وأشرق لهم من سعير ، وتلألاً من جبل فاران ، وأتى من ربوات القدس . . . الخ » يقول أصحاب تفسير الكتاب المقدس : « أتى من ربوات القدس » : تترجم السبعينية كلمة « المقدس » إلى ملائكة . وهذا غالباً هو المعنى الحقيقي « أي : يأتي النبي الآتي من فاران إلى فلسطين ، مع جماعات طاهرين كالملائكة .

الوصف الرابع

بلاغ الدعوة

(مكاتبة النبي للملوك والأمراء)

وقوله « ببوق وصوت عظيم » كناية عن مكاتبة النبي ﷺ للملوك والأمراء حتى تعم الدعوة ، وتصل إلى القلوب التي عظم شمسوتها . وبهذه المكاتبات ينتشر خبر نبي الاسلام ﷺ في كل مكان ، فيعرفه اليهود والمصلحيين المختارون من الله لصفاء قلوبهم ، وطيب أسقفهم ، فيفتخرون من كل فج عميق . ويقدمون فروض الطاعة والولاء للذين الجديدين . ولذلك عبر عيسى

عليه السلام بقوله : « ببوق وصوت عظيم » ؟ لأن الله عز وجل لما اعطى موسى عليه السلام الشريعة : أمره أن يجمع اليهود الى الجبل ، ويستخدم في جمعهم البوق . وعند صوت البوق يصعدون الى الجبل ليسمعوا الله عز وجل وهو يكلم موسى عليه السلام ، فيؤمنوا به الى الأبد ، ولم تأت شريعة بعد موسى عليه السلام ، غير شريعة نبي الاسلام ﷺ . فعيسى عليه السلام ، استخدم التعبير المصاحب للشريعة القديمة ، على عاداتهم في التعبير ، ليدل به على الشريعة الجديدة . تقول التوراة : « في الشهر الثالث بعد خروج بنى اسرائيل من أرض مصر ، في ذلك اليوم جاءوا الى البرية سيناء . . . فقال الرب لموسى : ها أنا آت اليك في ظلام السحاب ، لكي يسمع الشعب حينها أتكلم معك ، فيؤمنوا بك أيضا الى الأبد . . . وتقيم للشعب حدودا من كل ناحية قائلا : احترزوا من أن تصعدوا الى الجبل أو تمسوا طرفه ، كل من يمس الجبل يقتل قتلا . . . فأنحدر موسى من الجبل الى الشعب ، وقدس الشعب وغسلوا ثيابهم ، وقالوا للشعب : كونوا مستعدين لليوم الثالث . لا تقربوا امرأة . وحدث في اليوم الثالث لما كان الصباح أنه صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل ، وصوت بوق شديد جدا ، فارتعد كل الشعب الذي في المحلة ، وأخرج موسى الشعب من المحلة لملاقاة الله ، فوقفوا في أسفل الجبل . وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار ، وصعد دخانه كدخان الآتون ، وارتجف كل الجبل جدا ، فكان صوت البوق يزداد اشتدادا جدا ، وموسى يتكلم ، والله يجيبه بصوت » (خروج ١٩ : ١ - ١٩)

وقول عيسى عليه السلام : « فيجمعون مختاربه من الأربع الرياح ، من أقصاء السموات الى أقصائها » هو كناية عن انتشار الدعوة الاسلامية في جميع أنحاء العالم . وقلنا : انه كناية . لأن من النصارى الذين يفسرون هذه العبارات لحيء المسيح الثانى في آخر الزمان ، من يقول : ان هذه التعبيرات ليست على حقيقتها . يقول الأنبا أثناسيوس : « وحين يأتى الرب من السماء تظهر علامة واضحة ، ويبصرونه آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير ، وتصير الدينونة ، للجميع ، فيرسل ملائكته ببوق عظيم

الصوت « فيجمعون مختاربه من الأربع الرياح ، من أقصاء السموات الى أقصائها » على أن البعض يقول : ان ما ورد عن نهاية العالم هنا . ليس مجرد تصوير مادي لما يصاحب مجيء الرب ، ولكنه تصوير روحي أيضا للضعف الذي يسبقه . فيقولون ان المقصود بأن الشمس تظلم : هو ضعف الحياة الروحية في الكنيسة ، فلا يرى الناس نور الرب واضحا « (٣)

الموصف الخامس

حتمية المعركة

« فمن شجرة التين تعلموا المثل : متى صار غصنها رخصا ، وأخرجت أوراقها . تعلمون أن الصيف قريب . هكذا انتم أيضا : متى رأيتم هذا كله ، فاعلموا أنه قريب على الأبواب . الحق أقول لكم : لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله . السماء والأرض تزولان ، ولكن كلامي لا يزول »

متى رأى اليهود شجرة التين صار غصنها مورقا ، بعد أن كان يابسا . يعلمون أن وقت الثمر قد حان . وأن الصيف قريب على الأبواب . هكذا يتأكد اليهود والنصارى متى حدثت العلامات التي أخبر بها عيسى عن المسيا ، يعلمون أن نبي الاسلام قد أظل زمانه . اذا حدثت الحروب بين الأمم ، والاضطهادات للمؤمنين ، والزلازل ، والأوبئة ، والمجاعات . واذا ظهر الفساد في الأرض ، وعم ، يعلمون أن نصر الله قريب . يقول متى : « فاعلموا أنه قريب على الأبواب » ولم يوضح ما هو هذا القريب بعد تلك الأحداث ؟ ولوقا يبين أن هذا القريب هو ملكوت السموات . يقول بعد روايته هذه الأحداث : « متى رأيتم هذه الأشياء صائرة ، فاعلموا : أن ملكوت الله قريب » هذا الملكوت الذي بدأ به عيسى دعوته بقوله : « اقترب ملكوت السموات » وبدأ به يوحنا المعمدان . وهذا يؤكد أن الأحداث التي يتحدث عنها عيسى عليه السلام هي مصاحبة لمجيء ملكوت السموات ، ظاهرا في

(٣) ص ٢٤٢ — ٢٤٣ تفسير متى .

هذه الحياة الدنيا . وما يؤكد أن هذه الأحداث إشارة الى نبي سيأتي . ما رواه لوقا أيضا عقب ذكره لهذه الأحداث . وهو : أن عيسى قال لقلاده : « ومتى ابتدأت هذه تكون ، فانتصروا وارفعوا رؤوسكم ، لأن نجاتكم تقترب » فهذا يدل على أن صاحب الملكوت الآتى : مؤيد لدعوة عيسى عليه السلام . ولهذا التأييد سيجد أتباعه الحماية في سلطانه .

ومن كلام عيسى عليه السلام وهو « لا يمضى هذا الجيل ، حتى يكون هذا كله » : نفهم أن النبي الآتى بعد هذه الأحداث ، لن يطول زمنه بعد صعود عيسى الى السماء . والتعبير بهذا الجيل : كناية عن سرعة مجيئه . وهكذا فهم النصارى الأوائل : أن ملكوت الله قريب ، وكانوا ينتظرونه بين لونة وأخرى ، وحتى اضطرب بطرس في رسالته أن يقول : « سيأتي في آخر الأيام قوم مستهزئين سالكين بحسب شهوات أنفسهم ، وقائلين : أين هو وعده مجيئه ، لأنه من حين رقد الآباء كل شيء هكذا من بدء الخليقة ؟ . . . ولكننا بحسب وعده ننتظر سموات جديدة . وارضاً جديدة يسكن فيها البر » (٢ بطرس ٢ : ٣ - ٤ ، ١٣) واضطر بولس أن يكتب الى أهل تسالونيكي : « ثم تسالكم أيها الأخوة من جهة مجيء ربنا يسوع المسيح ، والجماعنا اليه ، أن لا تتزعزعا سريعا عن ذهنكم ، ولا ترتاعوا لا بروح ولا بكلمة ولا برسالة كأنها منا . أى أن يوم المسيح قد حضر . لا يخدعنكم أحد على طريقة ما ، لأنه لا يأتى ان لم يأت الارتداد أولا » (٢ تس : ١ - ٣) ويؤكد عيسى عليه السلام على وعده بهجاء النسيا من بعده فيقول : « السماء والأرض تزولان ، ولكن كلامى لا يزول » لأنه واقع من وحى الله .

الوصف السادس

سرية للمعركة

ويشبهه المسيح عيسى — عليه السلام — دخول المشركين أرض فلسطين ، لنشر الدين ، بالطوفان الذى كان فى أيام نوح — عليه السلام —

وبيين أن يوم المعركة مجهول ، لأنه لا يعلم الغيب إلا الله وحدهم . فيقول :
« وكما كانت أيام نوح ، كذلك يكون أيضا مجيء ابن الانسليم . لأنه كما
كانوا في الأيلام التي قبل الطوفان ، يأكلون ويشربون ويترجون ويذجون ،
الى اليوم الذي دخل فيه نوح الفلك ، ولم يعلموا حتى جاء الطوفان
وأخذ الجميع ، كذلك يكون أيضا مجيء ابن الانسان . حينئذ يكون اثنان
في الحقل يؤخذ الواحد ويترك الآخر ، اثنان تطلقان على الرحي ، تؤخذ
الواحدة وتترك الأخرى »

هذه العبارات مطابقة لعبارات دانيال التي تحدث فيها عن مجيء
نبي الاسلام ﷺ بقوله : « وشعب رئيس آت يدمر المدينة والقدس ، وكما
بالطوفان يكون انقضاؤها ، والى انقضاء القتال يكون التخریب المقضى »
(دا ٩ : ٢٦) والتي عبر عنها عيسى فيها رواه متى ومرقس برجسة
الخراب . وبحساب الأرقام وجدنا أنها قريبة الانطباق على زمن نبي
الاسلام — كما أسلفنا — ووجه المشابهة بين طوفان نوح وبين مجيء نبي
الاسلام عليهما السلام : أن طوفان نوح كان تطهيرا للأرض من الكافرين ،
أذ قد لبث في قومه ألف سنة ، الإ خمسين عاما ، ولم يؤمن به إلا القليل .
وكذلك يكون مجيء نبي الاسلام ، تطهير للأرض من رجس الذين كفروا من
اهل الكتاب ، والمشركين .

ويحذر عيسى — عليه السلام — أتباعه ، لئلا يحملهم العناد على
انكار نبي الاسلام ﷺ ، ويبين لهم : أن من لم يؤمن به ، سوف يهلك ، كما
وقع العذاب بقوم نوح . فقد نجا المؤمن وهلك الكافر . وكذلك في أرض
فلسطين ، في الحقل ، سيكون اثنان ، يقتل أحدهما ويترك الآخر ، ليفر
هاربا مخبرا من وراءه بهول ما رأى ، فلا يقف أحد ليصد عن سبيل
الله ، وستكون امرأتان تطلقان على الرحي . تؤخذ واحدة وتترك أخرى ،
لتخبر النساء في خدورهن . وهذه التعابير كناية عن هلاك الجاحدين
ونجاة المختارين .

ويذكر متى هنرى وجهة نظر التلمسارى في هذه التعابير فيقول :

« يمكن تطبيقها على نجاح الانجيل ، سيما في بدء الكرازة ، فانه قسم العالم ، البعض آمنوا بما تحدث به ، وأخذوا للمسيح ، والآخرين لم يؤمنوا وتركوا ليهلكوا في عدم ايمانهم . أولئك الذين كانوا في عصر واحد ، وفي مكان واحد ، وفي قدرة واحدة ، وفي عمل واحد ، وفي ظروف واحدة في العالم يطحنان معا على رحى واحدة» (٧) وان سألته ماجزاء الذين آمنوا بما تحدث به المسيح ، والذين لم يؤمنوا به في هذه الحياة الدنيا ؟ يجيب : بأن ذلك الجزاء حدث في خراب اورشليم سنة ٧٠م يقول : « لما جاء الخراب على اورشليم ميزت العناية الالهية من سبق أن ميزتهم النعمة الالهية . لأن جميع المسيحيين الذين كانوا بينهم نجوا من الهلاك في تلك المصيبة . وذلك بعناية خاصة من السماء . ان كان هنالك اثنان يعملان في الحقل معا ، وكان أحدهما مسيحيا ، فقد أخذ في مكان أمين ، وأعطيت نفسه غنيمة ، أما الآخر فقد ترك لسيف العدو . بل ان وجدت امرأتان تطحنان على الرحى ، فان كانت احدهما للمسيح أخذت في مكان أمين ، ولو كانت امرأة فقيرة ، خادمة . وتركت الأخرى » (٨)

ونقول : اذا أمكن تطبيقها على نجاح الانجيل في بدء التبشير به ، فانه بالمثل يمكن تطبيقها على نجاح القرآن الكريم ، في بدء التبشير به . واذا أمكن أن يكون الهلاك لليهود في سنة ٧٠م بعد صعود عيسى الى السماء بمدة وجيزة ، فكذلك يمكن أن يكون هلاك اليهود في حياة النبي ﷺ ، والقضاء على نفوذ اليهود والنصارى في بلاد الشام بعد لحاقه بالرفيق الأعلى بمدة وجيزة . وانطباقها على نبي الاسلام هو الصواب . لما سبق أن قدمنا . وأين من ذلك عام ٧٠ من الميلاد ، والأنجيل لما تكتب بعد ؟ ومن يتدبر جليا قول متى — عن المسيح — : « كذلك يكون أيضا مجيء ابن الانسان » يجد أن هذا المجيء ليس لعيسى بأى حال من الأحوال ، لأنه لو كان المراد به مجيئه هو ، لقال : « كذلك يكون أيضا مجيء » لأنه هو

(٧) ص ١٧٥ ج ٤: تفسير متى .

(٨) ص ١٧٥ المرجع السابق .

الذى يتحدث اليهم ، ويؤيد هذا المعنى : عبارة لوقا — عن المسيح — التى تقطع الريب وتزيل الشك وهى : « اسهروا اذا وتضرعوا فى كل حين ، لكى تحسبوا أهلا للنجاة من جميع هذا المزمع أن يكون ، وتقفوا قدام ابن الانسان »

ان الذى سيفنون امامه فى وقت مجيئه الرهيب هو شخص غير عيسى ، والا ما كان يعبر عن السهر والتضرع الدائم ، لكى ينجوا من الهول الذى هو مزمع أن يكون . ولماذا يحذرهم من ابن الانسان ان كان هو نفسه ابن الانسان . وهو من قبل قد قدر لهم مواهبهم وأعطاهم مفاتيح ملكوت السموات ؟ (متى ١٦ : ١٩) — كما يزعمون —

ويؤكد المسيح عيسى — عليه السلام — على سرية المعركة بقوله : « اسهروا اذا . لأنكم لا تعلمون فى أية ساعة يأتى ربكم ؟ واعلموا هذا : أنه لو عرف رب البيت فى أى هزيع يأتى السارق ، لسهر ولم يدع بيته ينتب . لذلك كونوا أنتم أيضا مستعدين ، لأنه فى ساعة لا تظنون ، يأتى ابن الانسان . فمن هو العبد الأمين الحكيم الذى أقامه سيده على خدمه ليعطيهم الطعام فى حينه . طوبى لذلك العبد الذى اذا جاء سيده ، يجده يفعل هكذا ، الحق أقول لكم : انه يقيمه على جميع أمواله . ولكن ان قال ذلك العبد الردى فى قلبه : سيدى يبطئ قدمه ، فيبتدىء يضرب العبيد رفقاءه ، ويأكل ويشرب مع السكارى ، يأتى سيد ذلك العبد فى يوم لا ينتظره ، وفى ساعة لا يعرفها . فيقطعها ، ويجعل نصيبه مع المرائين . هناك يكون البكاء وصرير الأنسان »

والحديث — كما هو مكتوب — متصل عن الاستعداد لملاقاة نبي الاسلام ورسالته . وفيه : « اسهروا لأنكم لا تعلمون فى أية ساعة يأتى ربكم ؟ » من هو ربهم الذى سيأتى فى أية ساعة لا يعلمونها ؟ اما أن يكون الله عز وجل والمراد بمجيئه مجيء أمره ويكون المعنى : لأنكم لا تعلمون فى أية ساعة يأتى أمر ربكم ، فيرسلكم لى لسان موسى عليه السلام (تث ١٨ : ١٥) واما أن يكون معنى « ربكم » : سيدكم . ويكون

المعنى : لأنكم لا تعلمون في أية ساعة يأتي سيديكم الذي وعد الله به وحدثكم عنه ، وهو نبي الإسلام ﷺ . وهذا المعنى مناسبه لمثل العبد الشرير ، فإنه يقول : « سيدي يبطئ قدومه » وهذا المعنى هو الذي أشار إليه داود عليه السلام ، بقوله عن السيا : « قال الرب لسيدى : اجلس عن يمينى ، حتى أجهل أعداءك موطنًا لقدميك » (زمور ١١٠ : ١)

حينئذ يشبه ملكوت السموات

وبعد أن فوّغ عيسى عليه السلام من كلامه عن مجيء ملكوت السموات وعلّمت بهيئته ذكر مثلين بعد هذا الحديث مباشرة ، رواهما متى وحده في هذا الموضع . والفرض منهما : الاستعداد والترقب لمجيء هذا الملكوت . وهما :

١ — حينئذ يشبه ملكوت السموات عشر عذارى ، أخذن مصابيحهن وخرجن للقاء العريس ...

٢ — وكأنها انسان مسافر دعا عبده وسلمهم أمواله ، فأعطى واحداً خمس وزنات وآخر وزنيتين ، وآخر وزنة ..
وقد سبق الحديث عنهما في أمثلة ملكوت السموات .

البحث التاسع

أوصاف نبي الإسلام ﷺ

في هذا الحديث

وقد نكرو متى وهدمه ، من بين كتلب الأتجليل ، عقب مثل العذارى العشر ، ومثل الوزنات . قول المسيح عيسى — عليه السلام — عن نبي الإسلام ﷺ : « متى جاء ابن الانسان في مجده ، وجييع الملائكة القديسين معه ، فحينئذ يجلس على كرسي مجده ، ويجمع أمامه جميع الشعوب فيهبوا بعضهم من بعض ، كما يهبز الراعى الخراف من الجداء ، فيقيم الخراف عن يمينه ، والجداء عن اليسار . ثم يقول الملك للذى عن يمينه :

تعالوا يا مباركى أبى ، رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم . لأنى
 جعلت فاطعتمونى ، عطشت فسقيتمونى ، كنت غريباً فأويتمونى ، عريانا
 فكسوتمونى ، مريضا فزرتمونى . محبوسا فأتيتم الى ، فيجيبه الأبرار
 حينئذ قائلين : يارب متى رأيناك جائعا فاطعمناك أو عطشانا فسقيناك ،
 ومتى رأيناك غريبا فأوتيناك ، أو عريانا فكسوتناك ، ومتى رأيناك مريضا
 أو محبوسا فأتيناك ؟ فيجيب الملك ويقول لهم : الحق أقول لكم : بما
 أنتم فعلتموه بأحد اخوتى هؤلاء الأصاغر ، فبى فعلتم ، ثم يقول أيضا
 للذين عن اليسار : اذهبوا عنى يا ملاعين ، الى النار الأبدية ، المعدة لابليس
 وملائكته . لأنى جعلت فلم تطعمونى عطشت فلم تسقونى ، كنت غريبا فلم
 تأوونى ، عريانا فلم تكسونى . مريضا ومحبوسا فلم تزورونى . حينئذ
 يجيبونه هم أيضا قائلين : يارب متى رأيناك جائعا ، أو عطشانا ، أو
 غريبا ، أو عريانا ، أو مريضا ، أو محبوسا ، ولم نخدمك ؟ فيجيبهم قائلا :
 الحق أقول لكم : بما أنتم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر ، فبى لم تفعلوه .
 فيمضى هؤلاء الى عذاب أبدي ، والأبرار الى حياة أبدية .»

وهذا الجزء من الحديث لم يرد الا عند متى وحده . وهو كما يقول
 متى هنرى : « هناك فقرات مجازية ، تتميز بالخراف عن الجلاء ، والمحاورة
 بين الديان والمذانين . وهذا الجزء توضيح للإمثلة السابقة . أمثلة ملكوت
 السموات (١) » ونحن متفقون معه على أن هناك فقرات مجازية في هذا
 الجزء ، وأن الحديث كله عن كيفية مجيء ملكوت السموات .

وبيان ذلك : أن « ابن الانسان » الذى يأتى ليدين العالم : هو نبي
 الاسلام ، وكذلك : هو « الملك » والمراد بالملك التديسين : أصحابه
 الأخيار ، والمراد بمباركى أبية أصحابه : للباركون من الله عز وجل ، لأنه اصطفاهم
 فى سابق علمه . وليست الأبوة على الحقيقة ، بل على الأبوة الروحية ،
 كما هي العادة فى تعبيرات التوراة والانجيل . والمراد بتميز الخراف من

(١) ص ٢٣١ ج ٤ تفسير متى .

الجداء : كناية عن التمييز بين الأخيار والأشرار . وبين المؤمنين والمنافقين .
والنصارى يتولون في هذه الفقرات : « هنا نرى المسيح كما فى كل مناسبة
أخرى عندما يتكلم عن الدينونة الأخيرة يدعو نفسه « ابن الانسان » لأنه
سوف يدين بنى البشر (٢) » وترد عليهم : بأن عبارات الانجيل ، وهى
مرجعنا الوحيد فى هذا الموضوع ، لا تثبت أن عيسى ديانا ، لا للأحياء
ولا للأبوات ، ولا لليهود . ولا للأمم . وهذه عبارات من الانجيل :

١ — قال عيسى لليهود : « أنتم حسب الجسد تدينون ، أما أنا
فلست أدين أحد » (يوحنا : ٨ : ١٥)

٢ — أنا لست اطلب مجدى ، يوجد من يطلب ويدين » (يوحنا : ٨ : ٥٠)

٣ — « ان سمع أحد كلامى ولم يؤمن ، فأنا لا أدينه ، لأنى لم آت
لأدين العالم ... من رذلنى ، ولم يقبل كلامى ، فله من يدينه » (يوحنا : ١٢ :
٤٧ — ٤٨) ومن هذه الأمثلة يتبين لنا : أن ابن الانسان الذى سيجىء ظاهرا
بملك أرضى ، للتمييز بين الأخيار والأشرار ، ليس هو عيسى عليه السلام ،
بل هو صاحب الملكوت الذى أخبر عن مجيئه عيسى ، وقال عنه فى ما رواه لوقا
شبهها بهذا الموضع : « من استحقى بى وبكلامى ، فبهذا يستحقى ابن الانسان
متى جاء بمجده ، ومجد الآب ، والملائكة القديسين . حقا أقول لكم : ان من
القيام هنا قوما لا يدقون الموت حتى يروا ملكوت الله » (٩ : ٢٦ — ٢٧)
ولو كان الآتى للدينونة هو نفسه ، لكان يقول : من استحقى بى وبكلامى ،
استحقى به أنا ، متى جئت بمجدى ومجد الآب والملائكة القديسين معى ،
ولكنه بالتعبير الوارد فى الانجيل عنه ، يشير الى غيره .

والأوصاف التى تظهر من هذا النص . هى :

الوصف الأول

ملك

« ثم يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يا مباركى أبى ، رثوا الملكوت

(٢) ص ٢٣١ المرجع السابق .

المعد لكم ، منذ تأسيس العالم » لقد عبر عيسى عليه السلام عن نبي الاسلام ﷺ بالملك ، على طريقتهم في التعبير وعبر بالبنوة المجازية على طريقتهم أيضا . لأنه منهم ويخاطبهم بلغتهم على قدر عقولهم . فهم في التوراة يطلقون على الله لفظ « الأب » وعلى جميع الناس لفظ « الأبناء » مجازا ، لا حقيقة . ففى سفر ملاخى هكذا : « اليس أب واحد لكلنا ؟ اليس اله واحد خلقنا ؟ » (ملاخى ٢ : ١٠) وقوله : ان الملكوت معد منذ تأسيس العالم ، أى ان الله قد رتب فى أحكامه الأزلية مجيء « محمد رسول الله والذين معه » ووصفهم فى التوراة والانجيل من قبل أن يكونوا .

الوصف الثانى

أتباعه أطهار

« ومتى جاء ابن الانسان فى مجده ، وجميع الملائكة المقدسين معه » لما كان من المحتمل أن أتباع الملوك على دين ملوكهم . وقد يكون الملوك أشرارا ، وقد يكونون أحيارا ، غير عيسى عليه السلام عن أتباع ابن الانسان بلقب القديسين الصالحين كما حكى الله عنهم فى القرآن بقوله : « أشداء على الكفار رحماء بينهم . تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا . سيماهم فى وجوههم من أثر السجود »

الوصف الثالث

محارب منتصر

« يجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض ، كما يميز الراعى الخراف من الجداء » انه لن يحارب كفار قومه فقط ، بل سيحارب كفار العالم . وسيميز الأخيار من الأشرار . ويتمتع الأخيار فى ملكه بسلام دائم . والأشرار سيهلكهم هلاكا رديا .

الوصف الرابع

صاحب شريعة الهية

« يميز بعضهم من بعض » لما كان ملكه باق الى يوم القيامة ، وأتباعه

على سنته وشريعته ، سيكون معه كتاب فيه تعاليم ، من يعمل بها ينجو ، ومن يهملها يضل . وفيه تعاليم يميز بها الأخيار من الأشرار ، ويميز أتباعه من بعده . ومن الآيات التي في القرآن عن التمييز : « عفا الله عنك . لم أذنت لهم ؟ حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين » (التوبة ٤٣)

الوصف الخامس

فقيه

« جعت فأطعمتموني . عطشت فسقيتموني » ليس الوصف خاصا بنبي الاسلام وحده بل به وبأتباعه ، بدليل : أن الأبرار لما قالوا : « متى رأيناك جائعا فأطعمناك أو عطشانا فسقينك ؟ ... الخ » رد عليهم بقوله : « الحق أقول لكم : بما أنتم فعلتموه بأحد اخوتي هؤلاء الأصاغر ، فبى فعلتم » ومعنى ذلك : إن المؤمنين اخوة . والنصارى يطبقون هذا الوصف على تلاميذ عيسى عليه السلام . يقول متى هنرى : « أى جاع تلاميذى وأتباعى ، أما باضطهاد الأعداء لهم بسبب فعل الخير ، أو لأن الفقير كان نصيبهم » ويقولون : ان هذه التعابير مجازية يقول متى هنرى « ان التعبير مجازى . والقصد منه اظهار هذه الحقائق بشدة » وحيث ان التعابير مجازية ، والأوصاف السابقة كلها تتحدث عن امر واحد هو مجيء ابن الانسان ، فان هذا الوصف لازم له . وفي القرآن الكريم فى سورة الضحى ، عن نبي الاسلام ﷺ : « ألم يجدك يتيما فآوى ؟ ووجدك ضالا فهدى ؟ ووجدك عائلا فأغنى ؟ »

الوصف السادس

غريب

« ومتى رأيناك غريبا فآويناك ؟ » لقد كان النبي ﷺ فى مكة ، فأصبح غريبا فى «يثرب» بعد الهجرة ، وكان أصحبله فى مكة فتغربوا فى أرض السود ويثرب ، وتفرقوا فى الأرض كما جاء فى القرآن الكريم : « واذ يمكر بك الذين كثروا ليثبتوك ، أو يقولوك ، أو يخرجوك . ويهكرون ويهكروا الله والله خير للماكرين » (الأنفال ٣٠)

الوصف السابع

مضطهد

« متى رأيناك مريضا أو محبوسا فاتينا اليك ؟ » ولقد كان الرسول ﷺ وأصحابه في بدء الدعوة ، في غاية الشدة ، حتى أكلوا ورق الشجر من شدة الجوع ، وكانوا يستخفون من الكفار خوفا من الأذى . الى أن أتم الله عليهم نعمته ، وبدلهم من بعد خوفهم أمنا ، ومن بعد عسرهم يسرا . وفي نهاية الأوصاف يقول عيسى عليه السلام : ان الأشرار الى عذاب أبدى يبضون ، ويمضى الأبرار الى حياة أبدية « أى أنهم يرثون الملكوت » كما يفسرها متى هنرى . وهذا كله فى الحياة الدنيا ، وقت الحرب ، التى تحدث فى احتلال أورشليم (القدس) على يد المسلمين . وأنصارى يفسرون العذاب والنعيم فى الجىء الثانى للمسيح . وتفسيرهم خاطئ لأنهم يقولون بتأسيس الملكوت فى يوم الخمسين ، ولأنهم يقولون بالمجىء الروحى . وهذه الأوصاف والعلامات لحدث واحد ، ونبى واحد ، يرى رأى العين فى هذه الحياة الدنيا ، بعد ظهور العلامات التى تحدث عنها المسيح عليه السلام فى هذا الحديث .

ولا يعترض أحد بأن النص يقصد ابن الإنسان بنفسه ، وهو بنفسه لم يذهب الى فلسطين . أولا : لأن أبا بكر رضى الله عنه الذى سير الجيوش لأورشليم (القدس) متبع لا مبتدع ، وثانى اثنين اذ هما فى الغار . وثانيا : لأن رسول الله ﷺ أعد الجيش قبل موته ، ووصى فى مرضه انذى مات فيه بقوله : « انفذوا بعث أسامة » فأبو بكر لما سير الجيش ، كان نفذا لخطة موضوعه من النبى نفسه . وثالثا : لأن الجيوش التى تغزو فى سبيل الاسلام ، كل فرد فى الجيش نائب عن رسول الله ﷺ فى نشر الدعوة . فكانه هو . ورابعا : أن النصارى الذين رأوا فتح المسلمين لأورشليم ، قائلوا : ان ذلك ما يشير

اليه دانيال النبي ، ولو كان المقصود النبي ما قالوا . وخامسا : أن الأتباع في كل ملة يخاطبون بخطاب معلمهم ومرشدتهم . ومن ذلك ما جاء في التوراة « اسمع يا اسرائيل » والمراد بنو اسرائيل ، ومن يدخل في شريعتهم من الأمم .

وقد وضع لنا مما سبق ذكره : أن المراد بالعالم : عالم الملك والشريعة في بني اسرائيل ، وليس المراد بالعالم انتهاء الحياة الدنيا ومجيء الآخرة . ووضح : أن خراب اورشليم وهدم الهيكل توطئة لمجيء ابن الانسان ، الآتي باسم الرب . وليس المراد : التوطئة لانتشار الانجيل ليحل محل التوراة ، ووضح : أن خراب اورشليم وهدم الهيكل ، هما توطئة لمجيء ابن الانسان ، الآتي في قوله : « ومتى جاء ابن الانسان في مجده . . . الخ » هو نبي الاسلام ﷺ . ووضح : أن المسيح — عليه السلام — بين لتلاميذه أن يتيقظوا لعلامة خراب اورشليم ، ولا يجهدون أنفسهم في التنبؤ عن ساعة مجيء ابن الانسان ، وأنه لن تتوقف عجلة الحياة من حركة وعمل ، وتوالد وموت ، الى مجيء ابن الانسان . ثم ذكر الأمثلة التالية للاستعداد للموت السموات الآتي قريبا :

١ — مثل العبد الأمين (متى ٢٤ : ٤٥ — ٥١)

٢ — مثل العذارى العشر (متى ٢٥ : ١ — ١٣)

٣ — مثل الوزنات العشر (متى ٢٥ : ١٤ — ٣٠)

٤ — ثم حديث المكافأة (متى ٢٥ : ٣١ — ٤٦)

الفصل الرابع

في

مبارك الآتي باسم الرب

تمهيد :

يذكر متى أن عيسى عليه السلام لما ضرب مثلا للملكوت السموات ، وهو مثل « عرس ابن الملك » والغرض منه : انتقال الملكوت الى الأمم ، بدل أن كان اليهود يحتكرونه لأنفسهم ، لما ضرب هذا المثل « ذهب الفريسيون وتشاوروا لكي يصطادوه بكلمة » (متى ٢٢ : ١٥) وبعد محادثة بين عيسى عليه السلام وبين الفريسيين « في ذلك اليوم جاء اليه صدوقيون » (٢٢ : ٢٣) وسأله أسئلة فأبكمهم ، فلما رأى الفريسيون أنه أبكم الصدوقيين « اجتمعوا معا » وناقشوه في مسائل دينية ، ثم ألزم عيسى الفريسيين بأن يسلموا بأن المسيح المنتظر — الذي هو المسيا — ليس من نسل داود ، لأن داود — عليه السلام — يدعو سيده في الزبور المئة : والعاشر وليس من اللائق أن يكون الابن سيدا لأبيه ، ثم بعد ذلك مباشرة يقول متى :

النص :

« حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلا : على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون ، فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه ، فاحفظوه وافعلوه ، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا ، لأنهم يقولون ولا يفعلون ، فانهم يحزمون احمالا ثقيلة عسرة الحمل ، ويضعونها على اكتاف الناس ، وهم لا يريدون أن يحركوها بأصبعهم ، وكل أعمالهم يعملونها لكي تنظروهم الناس ، فيعرضون عصائبهم ، ويعظمون أهداب ثيابهم ، ويحبون المتكأ الأول في الولائم ، والمجالس الأولى في المجامع والتحيات

فى الأسواق ، وأن يدعوهم الناس سيدي سيدي . وأما أنتم فلا تدعوا سيدي ، لأن معلمكم واحد : المسيح . وأنتم جميعا اخوة ، ولا تدعوا لكم ابا على الأرض ، لأن اباكم واحد الذى فى السموات . ولا تدعوا معلمين لأن معلمكم واحد : المسيح . واكبركم يكون خادما لكم ، فمن يرفع نفسه يتضع ، ومن يضع نفسه يرتفع . لكن ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المرأؤون ، لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس ، فلا تدخلون أنتم ، ولا تدعون الداخلين يدخلون ، ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المرأؤون ، لأنكم تكلون بيوت الأرمال ، ولعلة تطيلون صلواتكم ، لذلك تأخذون ديونة أعظم ، ول لكم أيها الكتبة والفريسيون المرأؤون ، لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلا واحدا ومتى حصل تصنعونه ابنا لجهنم أكثر منكم مضاعفا ، ول لكم أيها القادة العميان ، القائلون من حلف بالهيكل فليس بشيء ، ولكن من حلف بذهب الهيكل يلتزم ، أيها الجهال والعميان ، أيها أعظم : المذهب أم الهيكل الذى يقدر الذهب ؟ ومن حلف بالمذبح فليس بشيء ، ولكن من حلف بالقربان الذى عليه يلتزم ، أيها الجهال والعميان أيها أعظم : القربان أم المذبح الذى يقدر القربان ؟ فان من حلف بالمذبح فقد حلف به ، وبكل ما عليه ، ومن حلف بالهيكل فقد حلف به وبالسكن فيه ومن حلف بالسما فقد حلف بعرش الله . وبالجاس عليه . ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المرأؤون لأنكم تعشرون النعنع والشبث والكمون ، وتركتم أثقل الناموس : الحق والرحمة والايهان ، وكان ينبغى أن تعملوا هذه ، ولا تتركوا تلك . أيها القادة العميان الذين يصفون (1) عن البعوضه ويبلعون الجمل ، ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المرأؤون ، لأنكم تنقون خارج الكأس والصحفة ، وهما من داخل مملوءان اختطافا ودعارة أيها الفريسي الأعمى : فق أولا داخل الكأس والصحفة لكى يكون خارجها أيضا نقيا ، ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المرأؤون لأنكم تشبهون قبورا مبيضة ، تظهر من خارج جميلة ، وهى من داخل مملوءة عظام أموات ، وكل نجاسة .

(1) « يصفون الماء من البعوضة » ترجمة الأب صبحى قاوشجى ويوسف حوى . والعنى أن البعوضة اذا وقعت فى الماء يعتقد اليهود أن الماء غير صالح للطهارة منه ، كناية عن تظاهرهم بالتشدد فى الدين .

هيكذا انتم أيضا من خارج تظهرون للناس أبرارا ، ولكنكم من داخل مسحوثون رياء واثما ، ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون ، لأنكم تبغون قبور الأنبياء وتزينون ودفن الصديقين ، وتقولون : لو كنا في أيام آباءنا لما شاركناهم في دم الأنبياء فأنتم تشهدون على أنفسكم انكم أبناء قذرة الأنبياء ، فاملأوا أنتم مكيا لآباءكم ، أيها الحيات أولاد الأفاعي ، كيف تهربون من دينونة جهنم ، لذلك ها أنا أرسل اليكم أنبياء وحكماء وكتبة ، فمنهم تقتلون وتصلبون ومنهم تجلدون في جامعكم ، وتطردون من مدينة الى مدينة لكي يأتي عليكم كل دم زكي سفك على الأرض من دم هابيل الصديق الى دم زكريا بن برخيا . الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح الحق أقول لكم : ان هذا كله يأتي على هذا الجيل .

يا اورشليم يا اورشليم ، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين اليها . كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع النجاجة فراخها تحت جناحها ولم تريدوا . هو ذا بيتكم يترك لكم خرابا . لأنى أقول لكم : انكم لا تروننى من الآن حتى تقولوا مبارك الآتى باسم الرب « متى ٢٣ » . (رومس ١٢ : ٣٥ - ٤٠) . (لوقا ٢٠ : ٤١ - ٤٧) .

الشرح والبيان :

قبل أن نذكر ووضع الشاهد في هذه العبارات ، وهو قول عيسى عليه السلام : « انكم لا تروننى من الآن ، حتى تقولوا : مبارك الآتى باسم الرب » والمقصود بالآتى المبارك : نبي الاسلام ﷺ نذكر شرحا وجزا لها مسترشدين بأقوال ومفريهم خاصة تفسير متى هنرى :

١ - « على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون » ، كعملين ومفسرين لتقورا فاسمعوا منهم واحفظوا كلامهم ، لأنى ما جئت لأخالف تعاليم موسى عليه السلام (٢) ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا ، لأنهم يقولون ولا يفعلون ، و « كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » وكانوا قساة

(٢) « قال يسوع : انظنون انى جئت لأحل الشريعة والأنبياء ؟ الحق أقول لكم لعبر الله : انى لم آت لأبطلها ، ولكن لأحفظها » (بر ٣٨ : ٣ - ٣ مت ٥ : ١٧ - ١٩)

فى أن يفرضوا على غيرهم تلك الأمور التى لم يكونوا هم أنفسهم غير مستعدين للخضوع لها ، فهم يحزمون أحمالا ثقيلة الحمل ويضعونها على اكتاف الناس ، وهم لا يريدون أن يحركوها بأصبعهم ، كناية عن تشدهم فى الشريعة مثل تشدهم فى العمل يوم السبت . وكل أعمالهم يعملونها لى تنظرهم الناس ، رياء وسمعة .

ثم يبين عيسى — عليه السلام — علامتين من علامات تظاهرهم :

(أ) فيعرضون عصائبهم : وهذه كما يقول متى هنرى : « كانت تقطعا صغيرة من الورق ، كتب عليها بدقة الفقرات الأربع من الناموس (خر ١٣ : ٢ — ١١ ، ١٣ : ١١ — ١٦ ، تث ٦ : ٤ — ٩ ، ١١ : ١٣ — ٢١) كانت هذه تخاط على جلد ، وتوضع فوق الجبهة وعلى الذراع الأيسر ، وكان هذا أحد تقاليد الشيوخ . وكان يشير الى (خر ١٣ : ٩ ، أم ٧ : ٣) (٣)

(ب) وهم يعظمون أهداب ثيابهم : لقد أوصى الله اليهود بعمل أهداب على ثيابهم (عدد ١٥ : ٣٨) لتمييزهم عن سائر الأمم ، أما الفريسيون فلم يكتفوا بأن تكون لهم هذه الأهداب ، بل عظموها أكثر من المعتاد ، للفت نظر الناس اليهم ، كأنهم أكثر تدينا من غيرهم ، وتظاهروا كثيرا بالعظمة والرياسة . وكان من علامة كبريائهم طمعهم فى أماكن الصدارة والكرامة فى كل المظاهر العامة ، كالولائم وأماكن اجتماع الناس ، ويحبون التحيات فى الأسواق .

٢ — وكان معلمو اليهود — كما يقول متى هنرى — : « قد انتحلوا لأنفسهم قبل المسيح بوقت قصير ، لقب « ربي » وهذه تتضمن معنى العظمة ، وترجمتها الحرفية : معلم أو سيدي . وقد أعطوا هذا اللقب أهمية عظيمة ، حتى سرى بينهم هذا القول المأثور : أن من يحيى معلمه دون أن يقول له « ربي » يثير غضب العظمة الإلهية ، ويسبب ابتعاد الله عن إسرائيل » وعيسى — عليه السلام — يحذر أتباعه من التشبه بهم ويحثهم على التواضع

(٣) ج ٤ ص ٦٧ تفسير متى .

فيقول : « وأما أنتم فلا تدعوا سيدي . لأن معلمكم واخذ : المسيح »
المعهد (المسيا) « وأنتم جميعا أخوة ، ولا تدعوا لكم أباً على الأرض »
لا تقولوا عن أى إنسان انه أب الديانة أى مؤسسها ومتشوها ، لأن الله
وحده أب الجميع ، وهو صاحب الفضل . « لأن أباكم واحد الذى فى
السماوات ، وأكبركم يكون خادما لكم » تواضعا . فمن تواضع لله رفعه ،
ثم يبين عيسى عليه السلام سبب التواضع فيقول : ان الله يعاقب
المتكبرين ، ويرفع المتواضعين : « من يرفع نفسه يتضع ، ومن يضع نفسه
يرفع » .

ثم يوجه عيسى عليه السلام اللوم لهؤلاء العلماء ، ويدعو بالويل عليهم ،
لأنهم يفلقون ملكوت السماوات قدام الناس . ويبتلون كل ما فى وسعهم
لجعل الدين اليهودى مقصورا على اليهود وحدهم دون سائر الأمم ، ولحجب نور
الايهان عن سائر الشعوب والملل ، ومع هذا لم يعملوا بالشرعية ، ولا تركوا
غيرهم يعملون بها ، وكانت تصرفات هؤلاء العلماء مادية بحتة ، لدرجة
أنهم يأكلون بيوت الأرامل ، وفى الترجمة الانجليزية : « يبتلعون بيوت
الأرامل » اما بنزولهم فيها هم وأتباعهم لاضافتهم بما يليق بأئاس فى مراكزهم ،
أو بالتأثير على عقولهن وعواطفهن ، لكى يمتنهن وكلاء وأوصياء على
ممتلكاتهن التى يسهل عليهم ابتلاعها ، لأنه من كان يجرؤ على مطالبة
اشخاص كأولئك بتقديم حساب وكالتهم ؟

وكانوا يدارون هذه التصرفات الشريرة بتطويل صلواتهم ، ومن حبهم
للمال كانوا يطوفون البحر والبر ، ليصطادوا غير يهودى الى الديانة
اليهودية ، ليس تقربا الى الله به ، بل ليأخذوا من ورائه نذورا وهبات ،
ومتى دخل فى الديانة يتشبع بأرائهم ويتشدد هو الآخر ، فيكون مثلهم ابنا
لجهنم أكثر منهم مضاعفا .

وقد وصفهم عيسى عليه السلام بمعنى القلب وانطباس البصرة ،
وبرهن على ذلك بموضوع الحلف . فقد أباحوا الحلف بالمخلوقات على شرط
ان تكون متصلة بتعظيم الله . ومن هذه المخلوقات : الهيكل والذبح
مخالفين بذلك نص التوراة وهو : « الرب الهك تسمى ، وإياه تعبد ، وباسم

تحلف « (تث ٦ : ١٣) ، ولم يكتفوا بذلك بل ميزوا بين الحلف بالهيكل ، والحلف بذهب الهيكل . فمن حلف بالذهب يلزمه اليمين ، ومن حلف بالهيكل لا يلزمه ، ويميزوا بين الحلف بالمذبح والحلف بالقربان الذى على المذبح . فمن حلف بالقربان يلزمه اليمين ، ومن حلف بالمذبح لا يلزمه وفى ذلك تشجيع للناس على تقديم القرابين الى المذبح ، وعلى تقديم الذهب لخزانة الهيكل ، وبذلك يفتنون مغانم كثيرة .

ويجادلهم عيسى — عليه السلام — بالمعقل على فساد هذا الحلف . فيقول : ان الهيكل اقدس من الذهب ، لأنه لولا قداسة الهيكل فى نفوس اليهود ما قدموا الذهب هدايا الى الهيكل . ويقول : ان المذبح اقدس من القرابين ، لأنه لولا قداسة المذبح فى نفوس اليهود ما وضعوا عليه القرابين . فكيف يقول المعلماء : ان الأوانى الذهبية والزخارف والقرابين من البقر والمغنم والابل والطيور التى توكل ، هى أفضل من الهيكل والمذبح ؟

ثم يبين لهم الحق فيقول : من حلف بالمذبح فقد حلف به وبكل ما عليه ، ومن حلف بالهيكل فقد حلف به وبالسكن فيه ، ومن حلف بالسما فقد حلف بها وبعرش الله ، وبالله الجالس على العرش (٤) لأن المقصود بهذا كله : اسم الله تعالى .

ورصفهم عيسى عليه السلام بمحابة الشريعة ، لأنهم كانوا يختارون منها ما يوافق أمزجتهم أو مصالحتهم ، وكانوا يهتمون بالواجبات الأصغر أهمية ، ويتركون الأمور الكبيرة ، فقد كانوا يعشرون النعنع والمشيت والكمون ، وكانوا يأخذون العشور لأنفسهم ، وتركوا الحق والرحمة نحو الناس ، والإيمان بنحو الله وهذا هو الصالح الذى يطلبه الله من الناس . وهذا أيضا هو الثقل الذى يأباه اليهود كل الأباء .

ولقد كانوا يصفون الماء من البعوضة ويبلعون الجمل : كناية عن تظاهرهم

(٤) يفسر علماء بنى إسرائيل والمسيح عليه السلام جلوس الله على العرش بأنه ليس جلوسا حقيقيا ، لأن الله ليس جسما ولا مكان له . وإنما الله يتحدث عن ذاته بلغة بنى آدم على سبيل المشاكل (دلالة الحائرين — تنقيح الأبحاث — انجيل برنابا) .

بالخوف والرعب ، كأنهم يكرهون الخطية جدا ، ويفزعون منها في أنفسه
مظاهرها ، على أنهم كانوا لا يباليون بتلك الخطايا التي تعتبر بالنسبة اليها
كالجمل بالنسبة للبعوضة . وكان اليهود يتمسكون بمظهر الديانة ولذلك
شبههم عيسى عليه السلام بتشبيهين : شبههم باناء نظيف من الخارج ،
ولكنه قذر من الداخل . وشبههم بالقبور المبيضة تظهر من خارج جميلة ،
وهي من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة .

٣ — وادعى اليهود الفرق بذكرى الأنبياء المسابقتين ، بينما أبغضوا
واضطهدوا الذين كانوا بينهم ، لقد أكرموا آثار عظام الأنبياء ، وبنوا مقابرهم
وزينوها ، واحتجوا ضد قاتليهم بقولهم : لو كنا في أيام آبائنا لما شاركناهم
في دم الأنبياء ، وقد نقض عيسى عليه السلام دعواهم بقوله : لو كنتم
تحتجون ضد قتل آبائكم لهم ، فلماذا تطلبون قتلى ؟ إذا أنتم بمحاولتكم قتلى
تشهدون على أنفسكم بأنكم قتلة ، وأبناء قتلة .

٤ — وقوله : « لذلك ها أنا أرسل اليكم أنبياء وحكماء وكتبه ...
الخ » من كلام الله تعالى . وليست من كلام عيسى عليه السلام ، لأنه
جاء بعدها : « يا اورشليم . يا اورشليم . يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين
اليها . كم مرة أردت أن أجمع أولادك ، كما تجمع الدجاجة فراخها تحت
جناحيها ولم تريدوا ... الخ » وعيسى لم يحاول جمع بنى اسرائيل
أكثر من مرة . واذا حدث الانتقام الالهي من اليهود ،
فسوف يأتي عليهم بسبب قتلهم الأنبياء : كل دم زكى سفك على الأرض
من أول رجل وهو هابيل ابن آدم — عليه السلام — وفي الانجيل « أنه
بار . اذ شهد الله لقرايينه » (عبر ١١ : ٤) الى آخر نبي أشجار
اليه عيسى بقوله : « زكريا بن برخيا » وقد اختلف مفسرو النصارى في
المقصود بزكريا بن برخيا . يقول الأنبا اثناسيوس : ا — لعله زكريا ابن
يهوديا داع . ب — أو هو زكريا النبي بن براخيا بن عدو . ج — أو هو
زكريا أبو يوحنا (المعمدان) .

والدليل على انها من كلام الله أيضا : قول لوقا : « لذلك قالت حكمة
الله : انى أرسل اليهم أنبياء ورسلا ، فيقتلون منهم ويطردون . لكى يطلب

من هذا الجيل دم جميع الأنبياء المهرق منذ انشاء العالم من دم هابيل الى دم زكريا الذى أهلك بين المذبح والبيت « (لو ١١ : ٤٩ — ٥١)
 وأخيرا يحكم عيسى عليه السلام على اورشليم بالخراب الأبدى .
 أى بزوال الملك ونسخ الشريعة من بنى اسرائيل عليه السلام .

•••

•••

•••

وموضع الشاهد فى هذا الكلام : « انكم لا تروننى من الآن حتى تقولوا : مبارك الآتى باسم الرب » ومبارك الآتى باسم الرب : اشارة الى نبوءة عن المسيا فى التوراة ، وهذا نص كلام التوراة ، يقول داود عليه السلام مشيرا الى نبي الاسلام ﷺ : « ١ — احمدا الرب لأنه صالح ، لأن الى الأبد رحمته ، ٢ — ليقل اسرائيل : ان الى الأبد رحمته ، ٣ — ليقل بيت هارون ان الى الأبد رحمته ، ٤ — ليقل متقو الرب : ان الى الأبد رحمته ، ٥ — من المضييق دعوت الرب فأجابنى من الرحب ، ٦ — الرب لى فلا أخاف . ماذا يصنع بى الانسان ؟ ٧ — الرب لى بين معينى وأنا سارى بأعدائى ، ٨ — الاحتماء بالرب خير من التوكل على انسان . ٩ — الاحتماء بالرب خير من التوكل على الرؤساء ، ١٠ — كل الأمم أحاطوا بى ، باسم الرب أبيدهم ، ١١ — أحاطوا بى واكتفونى ، باسم الرب أبيدهم ، ١٢ — أحاطوا بى مثل النحل ، انطفأوا كنار المشوك ، باسم الرب أبيدهم ، ١٣ — دحرتنى دحورا لأسقط . أما الرب فعضدنى ، ١٤ — قوتى وترتمى الرب ، وقد صار لى خلاصا ، ١٥ — صوت ترنم وخلص فى خيام الصديقين ، يمين الرب صانعة بياس ، ١٦ — يمين الرب مرتفعة ، يمين الرب صانعة بياس ، ١٧ — لا أموت بل أحيا ، وحدثت بأعمال الرب . ١٨ — تأديبا أدبنى الرب ، والى الموت لم يسلمنى ، ١٩ — افتحوا لى أبواب البر ، أدخل فيها واحمد الرب ، ٢٠ — هذا الباب للرب . الصديقون يدخلون فيه ، ٢١ — أحمدا لك استجيت لى ، وصرت لى خلاصا . ٢٢ — الحجر الذى رفضه البنائون قد صار رأس الزاوية ، ٢٣ — من قبل الرب كان هذا ، وهو عجيب فى أعيننا ، ٢٤ — هذا هو اليوم الذى صنعته الرب نبتهج ونفرح فيه . ٢٥ — آه يارب اخلص . آه يارب أنقذ . ٢٦ — مبارك الآتى باسم الرب ، باركناكم من بيت الرب . ٢٧ — الرب

هو الله ، وقد أثار لنا . أوثقوا الذبيحة بربط الى قرون المذبح ، ٢٨ — الهى
أنت فأحمدك الهى فأرفعك . ٢٩ أحمدوا الرب لأنه صالح ، لان الى الأبد
رحمته » (مز ١١٨)

وفى ترجمة الكاثوليك :

« اعترفوا للرب لأنه صالح لأن الى الأبد رحمته ، ليقل اسرائيل :
ان الى الأبد رحمته ، ليقل بيت هرون : ان الى الأبد رحمته ، ليقل المتقون
للرب : ان الى الأبد رحمته ، من الضيق دعوت الرب فاستجاب الرب لى
بالرحب ، الرب معى ، لا أخاف . وماذا يصنع بى البشر ؟ الرب معى بين
ناصرى فأرى خيبة مبغضى . الاعتصام بالرب خير من الاتكال على البشر ،
الاعتصام بالرب خير من الاتكال على العظماء . أحاطت بى جميع الأمم .
باسم الرب أدمهم ، أحاطوا بى ثم أحاطوا بى ، باسم الرب أدمهم ،
أحاطوا بى كالنحل ، ثم خمدوا كئار الشوك ، باسم الرب أدمهم .
لقد دفعتنى لكى أسقط لكن الرب نصرنى ، الرب عزى وتسبحى لقد كان
لى خلاصا ، صوت ترنيم وخلص فى أخبية المصديقين يمين الرب .
صنعت ببأس . يمين الرب ارتفعت . يمين الرب صنعت ببأس .
لا أموت بل أحيا وأحدث بأعمال الرب ، قد أدبنى الرب تاديبا ، ولكن لم
يسلمنى الى الموت ، افتحوا لى أبواب البر فأدخل فيها واعترف للرب .
هذا باب الرب فيه يدخل المصديقون ، اعترف لك لأنك استجبتنى وكنت
لى خلاصا ، الحجر الذى رذله البناؤون هو صار رأسا للزاوية . عن
عند الرب كان ذلك وهو عجيب فى أعيننا ، هذا هو اليوم الذى صنعه
الرب فلنبتهج ونتهلل فيه ، يارب خلص يارب أنجح . مبارك الآتى باسم
الرب . باركناكم من بيت الرب . الرب هو الله ، وقد أثارنا فزينوا العيد
بأغصان مشبكة الى قرون المذبح . أنت الهى فاعترف لك ، اللهم أنى
أرفعك ، اعترفوا للرب ، لأنه صالح لان الى الأبد رحمته » (مز ١١٧)

والنصارى يقولون : ان هذا المزمور ، اشارة الى « المسيا » الذى
تفسيره المسيح ، ويقولون : ان الأوصاف التى فيه عن المسيا توجد فى
عيسى — عليه السلام —



ووجهة نظر النصارى فى هذا الزمور ، يحكيها الكاثوليك هكذا :
« فى هذا الزمور تنويه باحتفال دخول السيد المسيح الى مملكته أى الى السماء ، وقد وقع هذا الدخول على صفة غير تامة ، فى يوم صعوده له المجد ، حين ارتفع الى السماء محفوا بجميع الأبرار من ذوى الناموس العتيق وسيرفع مرة أخرى مستوفيا جميع أوصاف البهاء والمجد فى اليوم الأخير ، وذلك بعد أن يستأصل السيد المسيح جميع أعدائه ، فيصعد مرة أخرى ، ومعه جميع المختارين . وهم جسده السرى داخلا بهم الى السماء ، حيث الملائكة يفتحون له الأبواب وهم يشيدون بتسبيحه . وقد مثل ذلك تمثيلا محسوسا باحتفال دخول السيد الى اورشليم قبل موته بستة أيام ، وقد أورد له اليهود الآية ٢٥ و ٢٦ من هذا الزمور ، وأورد هو لنفسه الآية ٢٢ وأخيرا نقول : ان دخول المسيح هذا يتم فى كل نفس تصير مملكة له ، بقبول المعمودية ، أو بتوبة صادقة (٥) »

والآيتان ٢٥ و ٢٦ وهما : « يارب خلص يارب أنجح — مبارك الآتى باسم الرب . باركناكم من بيت الرب » والآية ٢٢ وهى : « الحجر الذى رذله البنائون هو صار رأسا للزاوية » يقولون نيهم : أن اليهود قد استقبلوا عيسى عليه السلام وهو داخل اورشليم فى المرة الأخيرة راكبا على حمار وعلى جحش ابن أتان « قائلين : أوصنا (مرحبا) مبارك الآتى باسم الرب ، مباركة مملكة أبينا داود الآتية باسم الرب أوصنا فى الأعلى » (مرقس ١١ : ١٠) ويقولون أن عيسى — عليه السلام — وهو يحاج اليهود فى سبب رفضهم له ، قال لهم : لماذا ترفضوننى ؟ وأنا الحجر الذى رفضه البنائون ، وقد صرت رأسا للزاوية .

ويقول النصارى فى تفسير « مبارك الآتى باسم الرب »

يقول الأنبا اثناسيوس : « لا شك أن من يرفض الرب : يرفض . الى أن يجيء وقت يعترف فيه بخطيئته . ويقول : مبارك الآتى باسم الرب فينال الغفران . أو يخضع له مرغما فى يوم الدينونة » (٦) ومعنى هذا الكلام : أن عندهم رأيان فى تفسير هذه العبارة :

(٥) ص ٣٠ حواش على المجلد الأول من الكتاب المقدس للكاثوليك .

(٦) ص ٢٢٩ ، تفسير متى للأنبا اثناسيوس

الرأى الأول : هو أن كل من يتوب من اليهود ، ويعترف بأنه كان مخطئا في رفضه الايمان بالوهية عيسى ، حين يتوب ينال الغفران ، واذا نال الغفران ، فلسان حاله يقول : مبارك الآتى باسم الرب ، وهذا الرأى يشير اليه « متى هنرى » ويضعفه بتوله : « يظن البعض أن هذه تشير الى تجديد اليهود ، وايمانهم بالمسيح فانهم عندئذ يرونه ، ويعترفون به . ويقولون : « مبارك الآتى » ولكنها على الأرجح تشير الى مدى أبعاد ، لان اعلان المسيح الكامل ، وادانة الخطاة محفوظان ليكونا مجد اليوم الأخير » لان اعلان المسيح الكامل ، وادانة الخطاة محفوظان ليكونا مجد اليوم الأخير « اشارة الى الرأى الثانى ، وهو مجيء المسيح الثانى فى انتهاء الزمان ، واذا أتى المسيح مرة ثانية فى انتهاء الزمان ، ونظره لليهود ورأوه رؤية روحية يقولون له : « مبارك الآتى باسم الرب » ثم يدين الخطاة منهم على خطئهم .

ونرد عليهم :

١ — بالنسبة للرأى الثانى : نقول : ان الانجيل صرح فى أكثر من آية بأن عيسى عليه السلام لن ينزل مرة ثانية الى الحياة الدنيا . ومن هذه الآيات قوله : « لست أنا بعد فى العالم » (يو ١٧ : ١١)

وبالنسبة للرأى الأول : وهو أن الذى يتوب من اليهود ، ويؤمن بعيسى عليه السلام — فكأن لسان حاله يقول مبارك الآتى باسم الرب .

على حد قول الشاعر :

لو تعلم الدار من قد زارها ، فرحت

واستبشرت ، ثم باست موضع القدم

وأعلنت بلسان الحال قائله :

أهلا وسهلا ، بأهل الجود والكرم

(٧) ص ١١٢ ج ٤ تفسير متى

١ — **نقول** : هذا الرأى ينقضه سياق الحديث الذى خاطب عيسى فيه الجموع والتلاميذ ، وينقضه أيضا : كلام داود عليه السلام ، فانه يشير الى رجل ظاهر يرى رأى العين ، وتحاك المؤامرات ضده ولا يضره أحد ، لأن الله معه ، ويكون صاحب مجد وسلطان .

٢ — ان عيسى عليه السلام فى صدر كلامه : صحح اعتقاد اليهود فى المسيح المنتظر فبين لهم : أنه ليس من نسل داود عليه السلام لأنه يدعو بظهر الغيب « سيدى » وقد جرت العادة بأن الابن لا يكون سيدا لأبيه ، ثم ابتداء يوبخ اليهود ، ويندد بأفعالهم ، ويقول لهم : ان الزمان قد كمل وجرائم آبائكم وأجدادكم التى ارتكبوها الى اليوم ، سيضاف اليها جرائمكم أنتم ، وهذا كله سيأتى على هذا الجيل ، وستخرب اورشليم ، وسيهدم الهيكل .

ولما كان الانجيل قد ذكر قبل ذلك الكلام تغيير الشريعة وانتقالها من اليهود الى أمة غيرهم فى هذا النص : « ان ملكوت الله ينفزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره » (متى ٢١ : ٤٣) يكون الآتى باسم الرب هو المراد لهذا الخصوص ، خاصة وأن عيسى عليه السلام يوبخ علماء اليهود على تحريفهم الشريعة ، ويصفهم بالقادة العميان ، وأنهم يفلقون ملكوت السموات قدام الناس فلا يدخلون ولا يدعون الداخلين يدخلون .

وقول عيسى عليه السلام « ان هذا كله يأتى على هذا الجيل » وهو اشارة الى سرعة الانتقام بعدما قال قبلا عن الله تعالى : « ها انا ارسل اليكم انبياء وحكماء وكتبة ، فمنهم تقتلون وتصلبون ، ومنهم تجلدون فى مجامعكم وتطردون من مدينة الى مدينة » يدل على سلب كل امتيازات اليهود من ملك ونبوة ، لأن الأبناء على طول الزمان يتوارثون سنن الآباء .

وفى وقت لم يطل بعد نطق عيسى — عليه السلام — بهذا التهديد جاء نبي الاسلام ﷺ بملكه ونبوته ، ولذلك هو أحق بانطباق هذا الكلام عليه .

دون غيره ، أما عيسى عليه السلام فالى الآن وقد مضت أجيال وأجيال .
لم يأت ، ومن النصارى من ينكر مجيئه الظاهر الى الأبد .

٢ — ان تعبير الانجيل يدل على انتهاء ملك اليهود وزوال الشريعة منهم
بعد هدم هيكل سليمان ، اذ أنه بعد ما انتهى من ذم علماء اليهود « تقدم
تلاميذه لى يروه أبنية الهيكل . فقال لهم يسوع : أما تنظرون جميع هذه ؟
الحق أقول لكم : انه لا يترك ههنا حجر على حجر لا يتفص . وفيما هو
جالس على جبل الزيتون ، تقدم اليه التلاميذ على انفراد قائلين : قل لنا :
بنى يكون هذا ؟ » وكانت اجابة عيسى حاسمة ، وهى بعدما « تقوم
أمة على أمة ، ومملكة على مملكة ، وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل فى أماكن ،
ويقوم أنبياء كذبة كثيرون ، ويضلون كثيرون » ثم قال بصراحة : « متى
رأيتم هذا كله ، فاعلموا انه قريب على الأبواب . الحق أقول لكم : لا يمضى
هذا الجيل حتى يكون هذا كله ، السماء والأرض تزولان ولكن كلامى
لا يزول » والتاريخ شاهد على انه قامت أمة على أمة ، ومملكة على مملكة
بعد رفع عيسى الى السماء ، وكانت الحروب سجال بين الفرس والروم ،
وادعى النبوة فى الفترة من عيسى الى محمد عليهما السلام كثيرون من الناس ،
منهم « تيوداس الذى هزم أمام كوسبيوس فاروس ، وآخر غلب على أمره ،
أمام فيلكس ، وغيرهما أمام فستوس ، وقال دوستيوس : أنه هو المسيح
الذى تنبأ عنه موسى (٨) » وحيث ان نبي الاسلام ﷺ هو الذى جاء
بعد عيسى عليه السلام ، وأسس دولة الآسلام ، وأزال نفوذ اليهود ،
واستمر ملكه الى الآن ، فانه يكون هو النبي الحقيقى الذى أشار اليه
عيسى عليه السلام . خاصة وأن لاسماعيل بركة .

(٨) ص ١٢٤ ج ٤ تفسير متى — لمتى هنرى — وقد ذكر يوسيفوس

اليهودى أسماء كثيرين من الذين زعموا بأنهم هم « المسيح » منهم «فرايورس»
أخو هيرودوس . و « حزقيا » و « يهودا » ابنه ، و « مناخيم » ابنه .
وذكر المؤرخون أن « ابن النجم » الذى هو « باركوخبا » ادعى أنه هو
المسيح . وقد هزمه الرومان فى سنة ١٣٢م .

٤ - وإذا نظرنا في هذا المزمور بعين الانصاف ، نجد فيه : « الحجر الذى رفضه البنائون قد صار رأس الزاوية ، من قبل الرب كان هذا ، وهو عجيب فى أعيننا » وهى عبارة لا تنطبق الا على نسل هاجر جارية ابراهيم عليه السلام ، ونسلها مبارك فيه بنص التوراة ، أى له ملك ونبوة ، مثل نسل سارة ، واليهود لأنهم من نسل سارة زوجة ابراهيم ، وهى الحرة ، يعتبرون أنفسهم أرقى من بنى اسماعيل ، ويحتقرونهم . فالهدف الذى يقصده عيسى من اقتباسه هذا المزمور هو مجيء غيره بعده ، ويكون من غير نسل سارة ، وحيث لاسماعيل بركة ، فانه يكون هو المرموز اليه بالحجر المرفوض من البنائين .

يضاف الى ذلك : أن هناك فروقا فى الترجمة فى هذا المزمور ، تؤكد تحريف معان كثيرة ، وأهم هذه الفروق :

ان بدء ترجمة البروتستانت : « احمدا الرب » وفيها : « افتحوا لى أبواب البر ، ادخل فيها وأحمد الرب - أحمدا لك أستجبت لى -- الهى أنت فأحمدك - احمدا الرب لأنه صالح » ولفظ « الحمد » لا يوجد فى ترجمة الكاثوليك ، مع أن هذا المزمور يتحدث عن المسيا . ولا يستبعد أن يكون مرموزا اليه باسمه ، ان لم يكن بما يشبه اسمه .

وهذا المزمور يشير الى نسخ التوراة : بقوله فيه :

« أوثقوا الذبيحة بربط الى قرون المذبح » ونظيرها : « زينوا العيد بأغصان مثبكية الى قرون المذبح » وهذا النص يعنى : أن الذبائح فى الشريعة اليهودية تربط الى قرون المذبح ، كناية عن انتهاء العمل بالشريعة اليهودية على يد المسيا المنتظر ، لأن فى أول المزمور : « ليقل بيت هرون : ان الى الأبد رحمته » وفى بيت هرون كانت الشريعة ، واختصاص عمل الكهنة .

وأبرز صفات هذا المزمور : أن المسيا ، لا يسلم الى الموت بيد أعدائه لقوله : « والى الموت لم يسلمنى » وأن الأمم تحيط به من كل جانب

للفتك به ، ولكن الله ينصره لقوله : « كل الأمم أخطأوا بى ، باسم الرب أبيدهم » وأين من هذا عيسى عليه السلام ؟ وهذا قد حدث لتبى الاسلام ﷺ فقد أحاط به الأعداء من كل جانب ، ولكنه جرد الجيوش لإبادتهم ، ونجاه الله من شرورهم ، ونصره نصرا عزيزا ، ومات على فراشه عزيزا كريما . وقد قال الله فى حقه : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ، وان لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس » ان الله لا يهدى القوم الكافرين » (المائدة ٦٧)

٥ — وعبارة « باسم الرب » تفيد أن الآتى ليس آتيا من نفسه ، بل آتيا باسم غيره ، باسم رب العالمين الذى هو مرسل للرسل ومنزل للكتب . وهذه العبارة تنطبق على نبي الاسلام ﷺ فإنه يقول عن الله عز وجل : « ما كنت بدعا من الرسل » (الأحقاف ٩) والمسلمون يتولون فى نبيهم انه نبي معظم ورسول . والنصارى الأرثوذكس يقولون : ان عيسى هو الله نفسه حل فى صورة بشرية . فاذا كان عيسى هو الله نفسه — تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا — فكيف باسم غيره يكون آتيا ؟ اذا يلزم على مذهبهم هذا أن يكون هناك اله غير عيسى الاله . وهم لا يقرون بذلك ، وعلى مذهب الكاثوليك والبروتستانت يلزم على مذهبهم أن يكون لاهوت عيسى أقل من لاهوت الله الذى سيأتى عيسى باسمه ، لأن المرسل أعلى من المرسل ، وهم يقولون بالمساواة التامة بين الأقانيم فى درجة اللاهوت مع أنها منفصلة (٩) .

٦ — ولفظ « حتى » يفيد المغايرة بين القائل وبين الآتى . والمعنى :

(٩) اللاهوت : الروح . والناسوت : الجسد ، ويفسرون حياة عيسى هكذا : حينما كان يأكل أو يشرب أو يظهر أمام الناس كان بالناسوت ، أما اللاهوت فكان متصلا بالعالم كله . ويقولون : لم يفارق ناسوته لاهوته طرفة عين (خلاصة الأصول الإيمانية : — حواش على الكتاب المقدس) ويلاحظ أن البروتستانت والكاثوليك فى العقيدة سواء ، ويقولون بانفصال الأقانيم وتزيها . والاقنوم هو الشخص المستغنى بذاته عن غيره وهو هكذا عند الكاثوليك والبروتستانت . وهو عند الأرثوذكس يعنى مرحلة للاله الواحد . ويعبرون عن المرحلة بالخاصية أو الصفة .

لا تروننى من ذلك الوقت ، حتى يأتى المسيا المبارك . فهو اذن غير
المسيا المبارك . والعبارة تنص على أنهم لن يروه حتى يأتى المسيا ،
وسواء كانت رؤياهم له قبل انتهاء الحياة الدنيا ، رؤية روحية — كما
يقولون — أو كانت رؤياهم له يوم القيامة رؤية جسدية كما يقول
المسلمون . فانه يلزم من رؤيته على أية هيئة يكون فيها ، وفى أى وقت
يظهر فيه ، أن تكون رؤيته من بعد ظهور المسيا المبارك . وعلى أى
تفسير فانه لا يكون هو المسيا المبارك . والمسيا المبارك الآتى باسم
الرب ، هو محمد ﷺ ، لأن لاسماعيل بركة ، منصوص عليها فى سفر
التكوين .

الفصل الخامس

في

بيراكليت

ملاحظات تمهيدية :

الأولى : قال للحواريين عيسى — عليه السلام — : « ان كنتم تحبونني ، فاحفظوا وصاياي . وانا اطلب من الآب ، فيعطيكم معزيا » (يوحنا ١٤ : ١٥) وقال النصارى : ان كلمة « المعزى » تعنى العوض والبديل عن عيسى عليه السلام . وقالوا : هى مترجمة عن الكلمة العبرانية « باراكليت » وقالوا : ان كلمة « بيراكليت » العبرانية تترجم فى اللغة العربية « أحمد » ثم قالوا : ان المراد بالمعزى الذى وعد به عيسى — عليه السلام — هو « الأقنوم الثالث » الذى هو الاله الثالث فى الثالوث المقدس . وقد نزل من السماء وغير السنة المؤمنين فى عيد الخمسين ، أى بعد خمسين يوما من رفع عيسى الى السماء .

نريد أن نبين هنا : ١ — أن كلمة « المعزى » التى وضعت بدل « باراكليت » لا تعنى الأقنوم الثالث . بل تعنى شخصا بشريا آتيا من بعد عيسى — عليه السلام — برسالة الهية الى الناس ٢ — وأن عيسى عليه السلام لم ينطق « باراكليت » بل نطق « بيراكليت » التى تترجم « أحمد »

وقبلما نبين نشير الى ما يلى :

١ — صرحت التوراة بأن الله واحد لا شريك له ، ولا شبيه له ولا مثل ، ولا يقدر أحد أن يراه ، وفى سفر التثنية : « اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد » (تث ٦ : ٤) وفى سفر التثنية : « ليس مثل الله »

(تث ٣٣ : ٢٦) وفى سفر الخروج أن الله قال لموسى عليه السلام :
« لا تقدر أن ترى وجهى لأن الانسان لا يراى ويعيش » (خر ٣٣ : ٢٠)
وفى سفر أشعيا : « حقا أنت اله محتجب يا اله اسرائيل » (أش ٤٥ : ١٥)
وفى انجيل يوحنا : « الله لم يره أحد قط » (يو ١ : ١٨)

٢ — ومن عادة بنى اسرائيل المبالغة فى التعبير ، وتفخيم الأساليب .
فمثلا يقولون : ان موسى عليه السلام كان لها لفرعون . أى سيذا ،
ففى سفر الخروج : « فقال الرب لموسى : انظر . أنا جعلتك لها لفرعون .
وهرون أخوك يكون نبيك » (خر ٧ : ١) ويقولون : انهم جميعا آلهة . أى
سادة . فان الله خاطبهم فى الزبور بقوله : « أنا قلت انكم آلهة وبنو
المعلى كلكم » (مزمور ٨٢ : ٦) ويخاطبون الله بقولهم : « أنت يارب أبونا »
(أش ٦٣ : ١٦) ومع هذه المبالغة وهذا التفخيم ، لا يعترفون باله غير
الله رب العالمين .

انهم يقولون بأن الله واحد ، وليس كمثل شئ ، ولا شريك له .
وما ورد من ألفاظ الأبوة أو البنوة ، فهو على المجاز لا على الحقيقة . كما
يقول شيخ لتلميذه : يا بنى ، وكما يقول التلميذ لشيخه : يا أبى . يقول
يوحنا : « وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله ،
أى المؤمنون باسمه » (يو ١ : ١٢) فقد فسر أولاد الله بالمعنى المجازى ،
لا بالمعنى الحقيقى . ولما ذكر يوحنا حديث عيسى عليه السلام عن المعزى ،
ذكر أنه تحدث عنه باعتباره نبيا ، ومؤديا رسالة عن الله الواحد . الله
الذى أرسل النبيين مبشرين ومنذرين . فقد قال لتلاميذه : « قد كلمتكم
بهذا لكى لا تعثروا . سيخرجونكم من الجامع بل تأتى ساعة فيها يظن
كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله » (يو ١٧٦ : ١ — ٢) وقال يوحنا : ان
عيسى عليه السلام قد اعترف بالله وتحدث عنه ، كما اعترف به الأنبياء
السابقون وتحدثوا عنه . وفى ختام حديثه عن المعزى ، خاطب الله
بقوله : « أيها الآب البار . ان العالم لم يعرفك . أما أنا فعرفتك وهؤلاء
عرفوا أنك أنت أرسلتني » (يو ١٧ : ٢٥)

٣ — والمسيح بن مريم عليه السلام جاء مصدقا لما بين يديه من التوراة .
غير ناقض لأحكامها . وكل ما فى التوراة ، بناء على هذا التصديق الذى

صرح به في قوله : « ما جئت لأنتفض الناموس » (متى ٥ : ١٧) ملزم للنصارى تمام الالزام . ويحق لهم اذا أشكلت عليهم آية من آيات الانجيل ، أن يرجعوا الى التوراة ، لمعرفة المحكم من المتشابه . فمثلا صرحت التوراة بوحدانية الله وحدانية مطلقة ، وصرح الانجيل أيضا . ولكنهم يجدون مع هذا التصريح آيات متشابهات ، وآيات فيها مبالغة وفيها تفخيم . وربما يلتبس عليهم أسلوب المجاز وأسلوب الحقيقة . لهذا كله وفى هذه الحالة يلزم أن تكون التوراة ميزان فاصل بين الحقيقة والمجاز . ويلزم النظر في الأساليب المجازية الماثلة ، ورد المتشابه الى المحكم . وهذه امثلة للايضاح :

(أ) يقول النصارى (١) : ان عيسى اله ، نزل من السماء وتجسد ، بناء على قوله في انجيل يوحنا : « أنتم من أسفل . أما أنا فمن فوق . أنتم من هذا العالم . أما أنا فلست من هذا العالم » (يوحنا ٨ : ٢٣) ولا يمكن أن يكون هذا القول دالا على ألوهية عيسى عليه السلام لتصريح التوراة التي جاء مصدقا لها بالوحدانية ، وأن الله لا يرى . ولما أثر عنه في الانجيل ، من أنه رسول الله الى بنى اسرائيل ، ولما صرح به نفسه عن تلاميذه بمثل هذا القول ، فقد قال فى ما رواه يوحنا لتلاميذه : « لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته ، ولكن لأنكم لستم من العالم . بل أنا اخترتكم من العالم . لذلك يبغضكم العالم » (يوحنا ١٥ : ١٩) فقد سوى بينه وبين تلاميذه في عدم الكون من هذا العالم . ولو كان هذا مستلزما للألوهية ، للزم أن يكون التلاميذ كلهم آلهة .

(ب) يقولون أن عيسى متحد بالله . لقوله في الانجيل : « أنا والآب واحد » (يوحنا ١٠ : ٣٠) وما هذا الا اتحاد مجازى أى اتحاد في الهدف . لأنه قال هذا القول لتلاميذه ، ولم يقل أحد منهم بأن التلاميذ متحدون بالله اتحاداً حقيقياً . يقول في انجيل يوحنا : « ليكون الجميع واحداً . كما أنك أنت أيها الآب فى . وأنا فيك . ليكونوا هم أيضا واحداً فينا ، ليؤمن العالم أنك أرسلتني . وأنا قد اعطيتهم المجد الذى أعطيتنى ، ليكونوا واحداً ،

(١) انظر كتاب : ايمانى أو قضايا المسيحية الكبرى .

كما أننا نحن واحد أنا فيهم وأنت في . ليكونوا مكملين الى واحد ، وليعلم
العالم أنك أرسلتني « (يوحنا ١٧ : ٢١ - ٢٣)

(ج) يقولون ان عيسى هو الله نفسه . لما جاء في الانجيل انه قال :
« الذي رأى فقد رأى الآب » (يوحنا ١٤ : ٩) وهذه الآية معارضة لنص
التوراة وهو : « لا تقدر أن ترى وجهي لأن الإنسان لا يرانى ويعيش »
ومعارضة لنص الانجيل وهو : « الله . لم يره أحد قط » فيلزم أن تؤول
الرؤية بالمعرفة ، ويكون المعنى : الذى عرفنى فقد عرف الله .

٤ - وبناء على ما قدمنا : فان تفسير النصارى للمعزى بأنه الأقتنوم
الالهى الثالث ، هو تفسير باطل ، لأول وهلة ، بنص التوراة وبنص
الانجيل .

الثانية : لما قال الله تعالى لابراهيم عليه السلام عن اسماعيل عليه
السلام : « وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه » (تك ١٧ :
٢٠) وبنه موسى عليه السلام على نبي سيأتى من اسماعيل ، لتبدأ منه
البركة فى نسل اسماعيل فى هذا النص : « يقيم لك الرب الهك نبيا من
وسطك من اخوتك مثلى . له تسمعون » (تث ١٨ : ١٥) لما قال الله تعالى
وموسى قد نبه ، أعطى علماء بنى اسرائيل لهذا النبى الآتى ، لقب « مسيا »
الذى تفسره المسيح .

وعيسى عليه السلام بين اسم « المسيا » فى آخر وصية له
تتلايذه ، وقال : ان اسمه « أحمد » باللغة العربية ، واسمه « بيراكليت »
باللغة العبرانية ، و « بيراكليتوس » باللغة اليونانية . وقال النصارى :
ان من القاب « المسيا » لقب « مناهيم » أى « المعزى » والمعزى باللغة
العربية ، مترجم فى اليونانية « باراكليتوس » وفى العبرانية « باراكليت »

والحليل على أن لقب المسيا من قول موسى : « يقيم لك الرب الهك
... الخ » : قول أ. م. هودجكن : « مسيا الموعود : ان سفر التثنية يبلغ

الى ذروة المجد ، حينما انعكس على موسى بهاء جلال المسيا ، بأن يأتى على مثاله « يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك من اخوتك مثلى . له تسمعون » (تث ١٨ : ١٥) نرى هنا : ضرورة التجسد لكل وظيفة من وظائف المسيح الثالث نبى وكاهن وملك ، لأنه ينبغي لكل خدمة من هذه الخدمات الثالث واحد من اخوتنا ، بشر مثلنا ، جسند وهما (٢) « والنصارى يقولون — كما صرح « هودجكن » — بأن المسيا هو عيسى عليه السلام . وقد بينا من قبل بأن المسيا هو محمد ﷺ .

الثالثة : وفى دخول عيسى عليه السلام مدينه « اورشليم » للمرة الأخيرة ، خاطب اليهود بقوله : « الآن دينونة هذا العالم . الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجا » (يو ١٢ : ٣١) وقال : « الذى يؤمن بى . ليس يؤمن بى ، بل بالذى أرسلنى ، والذى يرانى ، يرى الذى أرسلنى . انا قد جئت نورا الى العالم ، حتى أن من يؤمن بى لا يمشى فى الظلمة ، وان سمع أحد كلامى ولم يؤمن ، فأنا لا أدينه . لأنى لم آت لأدين العالم ، بل لأخلص العالم . من ردنى ولم يقبل كلامى ، فله من يدينه . الكلام الذى تكلمت به ، هو يدينه فى اليوم الأخير ، لأنى لم أتكم من نفسى ، لكن الآب الذى أرسلنى هو أعطانى وصية : ماذا أقول ؟ وبماذا أتكم ؟ وأنا أعلم أن وصيته هى حياة أبدية . فما أتكم أنا به ، فكما قال لى الآب هكذا أتكم » ؟ (يو ١٢ : ٤٤ — ٥٠)

والمعنى :

١ — أنه قد حان الوقت لنزع الملك والنبوة من بنى اسرائيل ، وأن من يعاند منهم ويرفض أن يدخل فى ملكوت السموات الآتى مع بنى اسماعيل ، سوف يهلك هلاكاً رديئاً ، وأن قوى رئيس هذا العالم — الذى هو الشيطان ، المضل للناس — سوف تزول .

٢ — وما أورده يوحنا هنا ، وهو يمهد لجزء « بيراكليت » أورده متى ومرقس ولوقا ، فى حديثهم عن دخول عيسى عليه السلام — مدينة

(٢) ص ٧٦ المسيح فى جميع الكتب . هودجكن ٧١٠

« أورشليم » في المرة الأخيرة . وقد بين لليهود في هذا الحديث أن ملكوت الله سينزع منهم ويعطى لأمة تعمل أثماره ، وصاحب الملكوت هو المبروز اليه بالحجر المرفوض من البنائين في نبوءة داود عليه السلام ، ومن سقط على هذا الحجر يترفض ، ومن سقط هو عليه يسحقه . وبين لهم أن المسيا الذي نفسيره المسيح ، لن يكون من نسل داود . لأن داود أخبر عنه بظهور الغيب : بأنه سيده ، والابن لا يكون سيدا لأبيه . وبين لهم أن الآتى الذى قال عنه داود عليه السلام : « مبارك الآتى باسم الرب » سيأتى من بعده . وذلك فى قوله : « يا أورشليم . يا أورشليم . يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها . كم مرة أردت أن أجمع أولادك ، كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا . هو ذا بيتكم يترك لكم خرابا . لأنى أقول لكم : انكم لا تروننى من الآن ، حتى تقولوا : مبارك الآتى باسم الرب »

٣ - وقال لتلاميذه : أنا معلم وسيد . وأنتم تقرون بذلك . ثم قام وغسل أرجل التلاميذ بنفسه . وقال لهم : هل وجدتم المعلمون والسادة يتواضعون مع تلاميذهم ، الى حد أن يغسل المعلم أو السيد أرجل تلاميذه ؟ اننى خالفت عادة المعلمين والسادة وغسلت أرجلكم . لأكون لكم قدوة حسنة فى التواضع . وهو بهذا العمل يحثهم على أن لا يرفضوا الدخول فى ملكوت السموات ، الآتى مع بنى اسماعيل — عليه السلام — لأن اليهود يحتقرون بنى اسماعيل ويتكبرون عليهم . والدليل على ذلك قوله لهم فيما بعد : « أقول لكم الآن ، قبل أن يكون ، حتى متى كان ، تؤمنون »

يقول المسيح : « أنتم تدعوننى معلما وسيدا . وحسنا تقولون لأنى أنا كذلك . فان كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب أن يغسل بعضهم أرجل بعض لأنى اعطيكم مثلا حتى كما صنعت أنا بكم ، تصنعون أنتم أيضا . الحق الحق أقول لكم : انه ليس عبد أعظم من سيده ، ولا رسول أعظم من مرسله . ان علمتم هذا فطوباكم ان عملتموه . . . أقول لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون أنى أنا هو ، الحق الحق أقول لكم : الذى يقبل من أرسله يقبلنى والذى يقبلنى يقبل الذى أرسلنى » (يو ١٣ : ١٤ - ٢٠)

٤ - ثم بين لهم ان واحدا من التلاميذ سيخونه ، ويدل اليهود على مكانه للقبض عليه ، وأنه اقترب رحيله عن هذه الأرض . . قال : « يا أولادى أنا معكم زمانا قليلا بعد ، ستطلبوننى وكما قلت لليهود : حيث أذهب لا تقدرون انتم أن تأتوا . أقول لكم أنتم الآن . وصية جديدة . أنه أعطيكم : أن تحبوا بعضكم بعضا ، كما أحببتكم أنا تحبون انتم أيضا بعضكم بعضا بهذا يعرف الجميع انكم تلاميذى ان يحبان لكم حب بعضا لبعض » (يو ١٣ : ٣٣ - ٣٥)

وعندئذ حزن التلاميذ حزنا شديدا ، لما سمعوا نبأ رحيله . ولما علم بحزنهم ، قال لهم : « لا تضرب قلوبكم . انتم تؤمنون بالله فآمنوا بى » (يو ١٤ : ١) ثم حدثهم حديثا طويلا عن نبي الاسلام ﷺ وأنه حير لهم منه .

النص : « ان كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى ، وأنا أطلب من الآب فيعطىكم معزيا آخر ليكن معكم الى الأبد . روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه . وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكن معكم ويكون فيكم »

ان أحببى أحد يحفظ كلامى ، ويحبه أبى ، واليه نأتى وعنده نصنع منزلا . الذى لا يحببى لا يحفظ كلامى . والكلام الذى تسمعونه ليس لى ، بل للآب الذى أرسلنى . بهذا كلمتكم وأنا عندكم . وأما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى فهو يعلمكم كل شىء ويذكركم بكل ما قلته لكم

وقلت لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون » (يوحنا ١٤ :

١٥ -)

« ان كان العالم يبغضكم فاعلموا أنه قد أبغضنى قبلكم . لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته ولكن لأنكم لستم من العالم ، بل أنا اخترتكم من العالم لذلك يبغضكم العالم . اذكروا الكلام الذى قلته لكم ،

ليس عبد اعظم من سيده . ان كانوا قد اضطهدوني فسيضطهدونكم ، وان كانوا قد حفظوا كلامي فسيحفظون كلامكم . لكنهم انما يفعلون بكم هذا كله من أجل اسمى لأنهم لا يعرفون الذى أرسلنى . لو لم أكن قد جئت وكلمتهم لم تكن لهم خطية . وأما الآن فليس لهم عذر فى خطيتهم . الذى ييغضنى ييغض أبى أيضا . لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالا لم يعملها أحد غيرى لم تكن لهم خطية . وأما الآن فقد رأوا وأبغضونى أنا وأبى .

ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا اليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى ، وتشهدون أنتم أيضا لأنكم معى من الابتداء » (يوحنا ١٥ : ١٨) .

قد كلمتكم بهذا لكي لا تعثروا . سيخرجونكم من الجامع . بل تأتى ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله . وسيفعلون هذا بكم لأنهم لم يعرفوا الآب ولا عرفونى . لكنى قد كلمتكم بهذا حتى اذا جاءت الساعة تذكرون أنى أنا ظننته لكم . ولم أقل لكم من البداية لأنى كنت معكم . وأما الآن فأنا ماض الى الذى أرسلنى وليس أحد منكم يسألنى أين تمضى . لكن لأنى قلت لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم . لكنى أقول لكم الحق : انه خير لكم أن أنطلق ، لأنه ان لم أنطلق ، لا يأتىكم المعزى . ولكن ان ذهبت أرسله اليكم . ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة .

أما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بى ، وأما على بر فلأنى ذاهب الى أبى ولا ترونى أيضا وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين .

ان لى أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم . ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن . وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمر آتية . ذاك يهجدنى لأنه يأخذ مما لى ويخبركم » (يوحنا ١٦ : ١ —)

الشرح والبيان :

مما يقوله عيسى عليه السلام لللاميذه : اننى سأطلب من الله — عز

وجل — أن يمنحكم نبيا من بعدى ، عوضا عنى ، ليعزى بنى اسرائيل في
فقدهم الملك والنبوة . وهذا النبي ستظل شريعته الى الأبد ، وسيستمد
قوته من الله الحق ، وأنتم وغيركم ستعرفونه اذا جاء ، اذا كنتم تفقهون
العلامات التى بينتها لكم عنه .

والذين لم يدرسوا الكتب ، والذين لم يعترفوا برسالات الله لن
يستطيعوا معرفته بسهولة . أما أنتم يا أهل الكتاب فتعرفونه .

ولست أتكم عن هذا النبي من تلقاء نفسى . بل الله الذى أرسلنى
هر الذى أمرنى أن أخبركم بجيئه . وأخبرنى أن أعرفكم أن المعزى اذا جاء
سيعلمكم كل شئ ويذكركم بكل ما قلته لكم . ولا بد أن تؤمنوا به اذا جاء
وتنصروه وتعزروه وتوقروه .

ان الناس قد اضطهدونى ، وأنكروا نبوتى ، وسوف يضطهدكم
الناس كما اضطهدونى ، وسيشكون فى كلامكم كما شكوا فى كلامى . واذا
جاء النبي الآتى الى العالم فسوف يشهد بنبوتى ، وتشهدون أنتم أيضا
بفاء على ما عندكم من علم فى الانجيل .

سوف تضطهدون من الناس كما اضطهدت ، وأؤكد لكم سوف
تضطهدون ، وسوف تطردون من مراكزكم الدينية واذا ما حصل
الاضطهاد والطرد من المراكز الدينية ، لا تشكون فى وجود الله ويقين
الخبر . وقد كلمتكم بهذا لكى لا تعثروا .

سوف يأتى النبي الآتى الى العالم ليعزى العالم ويكتهم على
١ — الخطايا ٢ — والبر ٣ — والدينونة . وسوف يرشدكم الى جميع
الحق ويخبركم بأمور آتية فى المستقبل .

* * *

المباحث في النص :

البحث الأول : الروح القدس :

الكلمة العبرانية « رواه » تدل في معناها الحقيقي على الريح كما يقول اليهود (٣) ثم تدل مجازا على معان كثيرة منها :

١ - (المقبرة) يقول أيوب في سفره « ولكن في الناس روحا ، ونسمة القدير تعلقهم » (أيوب ٣٢ : ٨) أى أن لدى الناس قدرة قد تجمح بهم الى الهلاك ولكن الله يمنهم .

٢ - (الرأى) في سفر الأمثال « الحكمة تنادى في الخارج قائلة : الى متى أيها الجهال تحبون الجهل والمستهزون يسرون بالاستهزاء ، والحقنى يبغضون العلم ، ارجعوا عند توبيخى . ها أنذا أفيض لكم روحى . أعلمكم كلماتى » (أمثال ١ : ٢٠ - ٢٣) « أفيض لكم روحى » أى أعطيكم فكرى ورأى .

٣ - (نفس الانسان) في سفر الجامعة « فيرجع التراب الى الأرض كما كان ، وترجع الروح الى الله الذى اعطاها » (جامعة ١٢ : ٧) « ترجع الروح » أى نفس الانسان بعد الموت الى الله .

٤ - (الالهام) . في سفر حزقيال « حل على روح الرب وقال لى : قل هكذا قال الرب » (حزقيال ١١ : ٥) « روح الرب » أى الالهام من الله .

٥ - (قوة الله) يقول بولس في رسالته الى أهل رومية « ان كان روح الذى أقام يسوع من الأموات ساكنا فيكم . فالذى أقام المسيح من الأموات سيحيى أجسادكم المائتة أيضا بروحه الساكن فيكم » (رومية ٨ : ١١) انه يقول : ان الله وحده هو الذى أحيا المسيح ، وهو وحده الذى سيحيىكم كما أحيا المسيح .



(٣) ص ٢١ ج ٤ تفسير يوحنا لمتى هنرى

٦ — (الخلق والاحياء) يقول أيوب « روح الله صنعني ، ونسمة
القدير أحييتني » (أيوب ٣٣ : ٤) أى أن الله خلقني بروحه وأحياني .

٧ — (منزل الوحي على رسل الله) يقول بطرس « لم تأت نبوة قط
بمشيئة انسان ، بل تكلم اناس الله القديسون ، مسوقين من الروح
القدس » (بطرس الثانية ٢ : ٢١) أى أن الروح القدس حرك الأنبياء
والرسل .

وفى نظر اليهود (٤) أن كل شيء يتعلق بالله يسمى اليها لأنه مثلا :

(أ) يتعلق بطبيعة الله كما تقول قدرة الله وارادة الله .

(ب) يكون فى قدرة الله أو يخضع لارادته وبهذا المعنى تسمى
السموات فى الكتب المقدسة « سموات الله »

(ج) يوهب لله مثل معبد الله — قربان الله — خبز الله .

(د) يذتله الأنبياء الى الناس مثل شريعة الله .

(هـ) يعبر عن أعلى المدرجات مثل جبال الله أى الجبال الشاهقة .

والله عز وجل له أسماء كثيرة حسنة منها : الرحمن — الرحيم —
الملك — القدوس — السلام — الحق ... الخ . فاذا ما قلنا : روح
الله أو روح الرحمن أو روح القدس أو روح الحق فان المعنى واحد وهو
شئ مستمد من الله وله تعلق به وغرض شريف . وعلى العكس من ذلك
اذا ما قلنا : روح الشيطان ، أو روح ابليس أو روح الشر فان المعنى
واحد وهو شئ مستمد من الشيطان وله تعلق به وغرض خبيث .

وبناء على ما تقدم : فاننا اذا قلنا : ان عيسى بن مريم عليه السلام
روح الله فان ذلك لا يعنى أكثر من نسبة عيسى الى الله نسبة
فيها تشريف وتكريم كما يقال بيت الله وشريعة الله وجبال الله وناقحة الله

(٤) ص ١٣٥ رسالة فى اللاهوت والسياسة

وبهذا المعنى عبر عيسى عن نبي الاسلام ﷺ بلغة بئى اسرائيل — كما قال الله تعالى فى القرآن « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم » — عبر بقوله « بيركليت الروح القدس » أى (أحمد) روح الله ، أى النبي المصطفى من الله ، والآتى بأمره ، والنسوب إليه ، والمتعلق به . لا أنه آت من تلقاء نفسه ، أو آت للاضلال من قبل الشيطان . ويحمل هذا المعنى قوله تعالى : « وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس » (البقرة ٢٥٣) فان الله تعالى أيد المسيح عليه السلام بمحمد ﷺ على معنى أن الناس قد شكوا فى أمره فأظهر الله الحق فيه على يديه .

يقول سببنوزا الفيلسوف : « هذه العبارات ١ — كان روح الله فى النبي ٢ — أنزل الله روحه فى المبشر ٣ — البشر ملئ بروح الله أو بالروح القدس . هذه العبارات لا تعنى سوى أنه كانت للانبياء فضيلة خاصة فوق المعتاد ، وأنهم كانوا يثابرون على التقوى دوما . وكانوا بالاضافة الى ذلك قادرين على ادراك فكر الله أو حكمه » (٥)

المبحث الثانى — المعزى :

١ — يقول متى هنرى فى تفسيره أن احد الآباء الأقدمين بين أن معنى المعزى هو « النائب عن المسيح » ويقول فى تفسيره : ان بعض العلماء يظن ان احسن ترجمة لكلمة المعزى هى « نصير » يقول ما نصه : « عمل الروح القدس أن يكون نائبا عن المسيح ، وشفيعا لهم ولغيرهم للدفاع عن قضيتهم والدفاع عن مصالحه على الأرض . أن يكون « نائب المسيح » كما دعاه أحد الآباء الأقدمين ، وأن يكون مدافعا عنهم أمام مقاومهم . . . يظن أحدهم أن أحسن ترجمة للكلمة هى « نصير » ليعلمهم ويحميهم » (٦) .

ويقول متى هنرى : « ان نفس كلمة « يعزى » فى الأصل اليونانى تعنى : يعظ أو ينصح » (٧) .

(٥) ص ١٤٢ رسالة فى اللاهوت والسياسة .

(٦) ص ٣٠٨ — ٣٠٩ تفسير يوحنا — متى هنرى .

(٧) المرجع السابق .

٢ - ويقول يوسيفوس : أن « مناحيم بن حزقيا » ادعى انه « المسيا » في السنة السادسة من بعد الميلاد ، وكان يقول اننى مناهيم ، أى المواسى والمعزى . وقد لقب يوسيفوس أباه « حزقيا » بلقب « ثقيب السراق » لأنه ادعى أيضا أنه هو « المسيا » الذى تنبأ عن مجيئه موسى فى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية .

٣ - وقد ورد فى كتب النصارى أن اليهود كانوا يطلقون لفظ المعزى أيضا على المسيا الذى وعد بمجيئه موسى عليه السلام (تث ١٨ : ١٥) والذى أوضحنا من قبل أنه النبى ﷺ . يقول متى هنرى : « كان أحد أسماء المسيا بين اليهود (مناهيم) أى « المعزى » كان اليهود يسمون يوم المسيا سنوات التعزية (٨) »

٤ - والكلمة اليونانية التى وضع بدلها لفظ « المعزى » كما يقول الأب متى المسكين « كلمة يونانية قديمة مكونة من مقطعين الأول « بارا » ويفيد الملازمة والثانى « كليتوس » ويفيد الدعوة للمعونة (٩) » وهذا يعنى أن « المعزى » ملازم للدعوة ، ونبى الاسلام ﷺ ملازم للدعوة الى يوم القيامة . يقول تعالى فى خطاب النبى ﷺ : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » (النحل ١٢٥) ويقول تعالى : « يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » (الأحزاب ٤٥ - ٤٦)

٥ - وفى هامش كتاب انجيل برنابا تعليقات عربية فى النسخة الايطالية على اسم « محمد » الذى بشر به عيسى صريحا . وهذه التعليقات هى : « فى لسان عرب : أحمد فى لسان عمران : مسيى . فى لسان الاتن (اللاتينى) كنسلا تر . فى لسان روم : باركل تس (١٠) » يعنى أن لفظ المعزى : فى اللغة العربية بدل أحمد ، وفى اللغة العبرية : المسيا وفى اللغة اللاتينية كنسولاتور ، وفى اللغة اليونانية باركلى توس . ومما لا شك فيه : أن كاتبها من اهل العلم .

(٨) تفسير انجيل يوحنا ج ٣ ص ٣٠٨ .

(٩) الباراكليت الروح القدس فى حياة الناس ص ١٩

(١٠) تعليق على برنابا ٤٤ : ١٩ صفحة ٦٩ .

٦ - ويقول الأنبا أناسيوس - أسقف بنى سويف والبهنسا - :
« ان لفظ بارقليط اذا حرف نطقه قليلا ، يصير بيركليط . ومعناه : الحمد
أو الشكر . وهو قريب من لفظ أحمد » (١١)

٧ - ويقول الشيخ رحمت الله الهندي : (وصلت الى رسالة
صغيرة في لسان اردو من رسائل القسيسين في سنة الف ومائتين وثمان
وستين من الهجرة وكانت هذه الرسالة طبعت في كلكته وكانت فى تحقيق
اللفظ فارقليط وادعى مؤلفها ان مقصوده ان ينبه المسلمين على سبب وقوعهم
فى اللفظ من لفظ فارقليط . وكان ملخص كلامه : ان هذا اللفظ معرب من لفظ
يونانى وان قلنا : (ان هذا اللفظ اليونانى الأصل « بيركلوطوس »
بمعنى المعزى والمعين والموكيل وان قلنا ان اللفظ الأسمى « بيركلوطوس »
يكون قريبا من معنى محمد وأحمد فمن استدل من علماء الإسلام بهذه
البشارة فهم أن اللفظ الأسمى بيركلوطوس . ومعناه : قريب من معنى
محمد وأحمد ، فادعى ان عيسى عليه السلام أخبر بمحمد أو أحمد . لكن
الصحيح أنه باراكلى طوس) (١٢)

وأقول : ان الخلاف بسيط للغاية بين (بارا) وبين (بير) فعلى الأول
اسم من أسماء المسيا صفة ولقبا وهو المعزى . وعلى الثانى اسم من أسماء
المسيا دلالة وهو أحمد . وكلاهما منطبق على نبى الاسلام ويدل عليه .

والمتأمل فى تراجم التوراة والانجيل يجد اختلافات كثيرة كهذه ، أو أشد .
مما نعنى به من المؤاخذة لو قلنا انه بيركلوطوس ، وحرف عمدا الى باراكلى
طوس ، لئلا يدل صراحة على الاسم المبارك . خاصة ولهم مواقف
واضحة فى لبس الحق بالباطل .

يقول الأب يوسف قوشاقجى فى مقدمة كتابه « تعريب الأناجيل وأعمال
المرسل » : « عرب الانجيل وطبع مرارا منذ أن وجدت الطباعة وقد طالعنا

(١١) ١١٩ تفسير يوحنا - الأنبا أناسيوس .

(١٢) اظهر الحق ج ٢ ص ١٦٥ - ١٦٦ .

تسع طبعات آية آية فوجدنا في كل منها القليل أو الكثير من العبارات الجيدة نحفظناها ولكننا وجدنا أيضا أن الذين قاموا بها لم يحسنوا فهم المعنى أكثر من مرة . وخالفوا كثيرا من قواعد التعريب « ثم يقول : « أجمع الأدباء من مختلف اللغات في كل مكان وزمان على أن الترجمة فن صعب والمذين يجيدونها قلة من كثرة وذهب بعضهم الى القول أن كل مترجم خائن فليس من ترجمة مطابقة للأصل مطابقة تامة . ذلك بأن المعاني سميت بحق بنات فكر الانسان فهي كالانسان روح وجسد يولد روحها وجسدها معا كما يولد روح الانسان وجسده معا ويحاول المترجم أن يستغل الروح من جسد اللغة ليجعلها في جسد آخر وكلا الأمرين عسير فاللغات يشبه بعضها بعضا على قدر ما يختلف بعضها عن بعض كما تشبه الأمم والاشخاص بعضها بعضا في أمور وتختلف في غيرها ومقياس نجاح المترجم في عمله أن تكون ترجمته آئينة على الجوهر وعلى أقل ما يكون من الخيانة للعرض (١٣) »

ويتكلم عن لغة عيسى التي تحدث بها فيقول : « السيد المسيح كلم الناس بالآرامية أي العبرية الشائعة بين العامة وقد تناقل المسيحيون الأوائل أقواله ورواية أعماله بتلك اللغة ثم دونوا كثيرا منها بتلك اللغة نفسها وترجمت بعدئذ الى اليونانية وضاع الأصل الآرامي (١٤) »

ويشير الى حيرة المترجم بين الآراء المتعارضة فيقول : « ان كانت الصعوبة في ترجمة أكثر الكتب القديمة هي تلة ما يسهل للمترجم تفهم المعنى فالصعوبة الكبرى في ترجمة الانجيل هي كثرة الأبحاث وتشعب آراء أهل الاختصاص فالمترجم يرى نفسه تجاه آراء مختلفة من أناس متصفين جميعا بالعلم الغزير هذا يؤيد رأيه بالحجج والبراهين وذلك يؤيد رأيه بما لا يقل قدرة عن ذلك الرأي فأنى للمترجم وهو أقل علما من الاثنين أن يرجح رأيا على رأي ؟ فهو يضطر أحيانا الى اثبات الرأيين أولهما في المتن

(١٣) تعريب الاناجيل وأعمال الرسل ص ٧ - ٩ .

(١٤) ص ١٠ المرجع السابق .

والآخر في ذيل الصفحة هذا ما شاهدناه في الترجمة الفرنسية للكتب المقدسة التي قام بنشرها الآباء الدومينكان في القدس والغريب أن المترجم الواحد يبديل رأيه فيختار ترجمة يثبتها في الطبعة الأولى ويتركها في الطبعة الثانية (١٥) .

وكلام الأب يوسف قوشاقجي في أن الآرامية لغة عيسى — عليه السلام — وبهذه اللغة كتبت في الانجيل معلومات ، وضاع الأصل الآرامي ، وبسبب ضياعه اختلفت معاني ، نذكر دليلا عليه من كلام « ابن هشام » في السيرة النبوية . وهو أن الاسم الذي فاه به عيسى عليه السلام هو « المنحما » بضم الميم وفتح الحاء والميم وتشديد النون مفتوحة ، باللغة السريانية . ويترجم في اللغة اليونانية « المبرقليس » وأورد عبارات قبل ذكر الاسم هي مذكورة في التراجم الموجودة حاليا . قال ابن اسحق : (وقد كان فيما بلغني عما كان وضع عيسى ابن مريم فيما جاء من الله في الانجيل لأهل الانجيل ، من صفة رسول الله ﷺ ، مما أثبت يحنس الحوارى (يوحنا) لهم حين نسخ لهم الانجيل من عهد عيسى ابن مريم عليه السلام في رسول الله ﷺ لهم أنه قال : « من أبغضنى فقد أغضب الرب ، ولولا انى صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحد قبلى ، ما كانت لهم خطيئة ، ولكن من الآن بطروا وظنوا أنهم يعزوني (يغلبوني) وأيضا للرب ، ولكن لابد من أن تتم الكلمة التى فى الناموس : أنهم أبغضوني مجانا ، أى باطلا . فلو قد جاء المنحما هذا الذى يرسله الله اليكم من عند الرب ، روح القدس هذا الذى من عند الرب خرج ، فهو شهيد على . وأنتم أيضا ، لأنكم قديما كنتم معى فى هذا . قلت لكم لكيما لا تشكوا » والمنحما بالسريانية مجهد . وهو بالرومية البرقليس ﷺ (١٦) .

ولم يختلف النصارى في ترجمة اسم قدر اختلافهم في ترجمة (المنحما) سواء في التراجم العربية أو غيرها . وهذه نماذج من التراجم العربية وغيرها لهذا الاسم :

(١٥) ص ١٣ — ١٤ المرجع السابق .

(١٦) ص ٢٥١ ج ١ سيرة ابن هشام طبعة مصر ١٩٣٧ .

والنص في يوحنا ١٥ : ١٨ ، ١٦ : ١١

أولا : يقول الأب يوسف قوشاتجى : « حار العربون فى كلمة يونانية لقب السيد المسيح بها الروح القدس يوحنا ١٤ : ١٦ و ٢٦ : ١٤ : ١٦ : ١٦ : ٧ فمنهم من ذكرها كما هى باليونانية ، مع بعض التحريف ، ومنهم من عربها :

١ — بارقليط ... ٢ — فارقليط (طبعة رومية ١٥٩١ وطبعة البروباغندا ١٦٧١ وطبعة دير يوحنا الصابغ ١٧٧٦) ٣ — المعزى وردت فى ميمر (مقال) لتاودروس أستقف حران المعروف بأبى قره . عنوانه « فى وجود الخالق والمدين القويم » نشر فى المشرق ١٩١٢ — ٤ — المحامى .

ولا تعجب من ذلك فقد اختلفت الترجمات الاجنبية ايضا فى تلك الكلمة .
قالت الترجمة الانجليزية القديمة (Advocate) N.E.B. Comforter
أما الترجمة الفرنسية فاليك ما جاء فيها :

١ — حفظت بعضها الكلمة اليونانية فقالت :
Paraclet B.J., Bouyer : Le iveme Evangile, le

٢ — جاء فى الكتاب المقدس Le defenseur : Pirot

٣ — جاء فى الترجمة الفرنسية المعروفة باسم
Le consolateur : crampon

٤ — وقال الأب Le Defenseur : osty ثم قال فى ذيل الصحيفة
Ou bien Defenseur, Instercesseut, Consolateur

٥ — قال الأب Spicq L'Assitant : Agape

ذلك بأن هذه الكلمة تفيد جميع هذه المعانى ، وبعض هذه المعانى
أصلح فى بعض الآيات منه فى الأخرى « (١٧)

ثانيا : ويقول المفسر متى هنرى : « ان نفس كلمة « يعزى » فى الأصل اليونانى تعنى يعظ أو ينصح » ثم يقول « لم تستخدم كلمة « بارقليط » الا فى احاديث المسيح هنا وفى (١ يو ٢ : ١) حيث ترجمت بكلمة شفيح ، وترى

(١٧) ص ٦١ — ٦٢ تعريب الأنجيل واعمال الرسل .

معض الكنائس الاحتفاظ بالأصل اليونانى بارقليط « وعلق فى الهامش على كلمة « شفيع » فيقول : محامى Advocate حسب الترجمة الانجليزية » (١٨)

ثالثا : ويقول الدكتور القس أ . ب سمبسون « الاسم المعزى : ليست الترجمة ودقّة جدا » (١٩)



والى هنا نكتفى فى ترجمة الاسم . ونقول : ان لفظ المعزى أو الباراكليت يدل دلالة واضحة على شخص بشرى ، قد نبه على مجيئه عيسى من بعده . والدليل على ذلك فوق ما تقدم :

١ — يقول الأب متى المسكين : « حسب مفهوم اللغة اليونانية القديمة واستعمالاتها كما وردت فى النصوص التفسيرية نجد المعنى ينحصر فى الصفة القضائية للشخص الذى يمكنه القانون من الدفاع والحاماة والشفاعة عن آخر » (٢٠) وقد وردت فى اصطلاحات الربيين اليهود بهذا المعنى وبالذات فى كتابات العلامة فيلو اليهودى (٢١) وانما كانت تنطق باللغة العبرية (٢٢) هكذا : (البرا ايلا) وهذا النطق عينه هو الذى اشتق منه نطق الكلمة باللغة العبرية « البرا قليط » لأن اللغة العبرية تميل الى الأخذ من اللغة العبرية القديمة ، أكثر من اللغة اليونانية ووردت أيضا بهذا المعنى فى كتابات الآباء الرسوايين ، وبالذات فى رسالة برناباس (برنابا) (٢٣) وتوجد وثيقة فى كنيسة فينا ليوسابايوس القيصرى ، وردت فيها كلمة الباراكليت كصفة ، أطلقت على شخص تبنى مسئولية الدفاع عن المسيحيين المنهين بمسحديهم ، وهى مقالة ممتعة ، فيها ينعت المسيحيون هذا الشخص

(١٨) ص ٣٠٦ — ٣٠٧ تفسير يوحنا .

(١٩) الروح القدس أو قوة من الأعلى ص ٢٠٦ ج ٢ .

Bil Encycl (٢٠)

Leisener, observ. ex. Phil, p. 496. (٢١)

(٢٢) المسيح كان يتكلم العبرية والآرامية كما ذكرنا عن الدكتور

فردريك . فارار .

Epistle of Barnabas N. and Pn. Fath. Ch 20 (٢٣)

واسمه (فينوس ايب أجاتوس) بالبراكيتى ، لأنه حامى عنهم وتشفع لهم جهارا معرضا حياته للهلاك . . . وهذه الوثيقة تصور كلمة الباراكليت تصويرا واقعيا حيا ، انما على مستوى بشرى (٢٤) »

٢ — ومما يدل أيضا على أن لفظ المعزى أو باركلى طوس أو فارقليط أو باراكليت ، يعنى شخصا بشريا : ما ورد فى كتب أنصارى فى القرون المسيحية الأولى وهو أن كثيرا من مدعى النبوة ظهروا والمتف حولهم أتباع . ومنهم من سمى نفسه بالباراكليت الذى وعد به عيسى عليه السلام . ونكتفى بالحديث عن اثنين منهم هما : مونتانوس ، ومانى .

يقول القديس الفونسوس ماريا دى ليكورى فى كتابه (تاريخ الأرقطقات مع دحضها المعنون انتصار الديانة) وهو يعدد بدع الجيل المسيحى الثانى : « مونتانوس ولد كما أخبر أورسى (مجلد ٢ ك ٤ عدد ١٧) فى أردابا . وهى قرية صغيرة من مسيا ولتظاهره بأفعال خارجة قد شاع سيطه بالقداسة ولما كان هايمبا الى الولاية سلم ذاته الى الشيطان فتشيطان وطفق يهذو كغايب عن حسه بكلمات مهلهة ويتنبأ ضد تقليدات الكنيسة فمن كانوا يسمعونهم متكلموا على هذا النحو ، بعضهم كان يعتبره معتريا من روح ضلاله وبعضهم يخاله نبيا فتركوا ذواتهم على هذا النحو يخذعون محرضيه ليتكلم حتى لم يعد يكبح نفسه عن شىء .

ثم اتفق مع امرأتين نجستين اسم الواحدة برسিকা ، أو بريثيلا واسم الأخرى مكسيميلا وكان مستوليا عليهن روح الضلاله نفسه وكانتا تتكلمان كهوتانوس بهذيان وأنواع غير معتادة . وكان مونتانوس يقول انه وبنيته قد أخذوا ملء روح الله الذى كان مع الآخرين بنوع غير كامل معكسا ما كتبه الرسول الى قورنثيه (٢٥) اص ١٣ عدد ٩ « اننا نعلم قليلا من كثير

(٢٤) ص ١٢ — ١٣ الباراكليت الروح القدس فى حياة الناس .
(٢٥) يقصد بولس الرسول فى رسالته الأولى الى أهل كورنثوس ١٣ : ٩ ولاحظ الفرق بين قورنثيه المترجمة حاليا لدى البروتستانت كورنثوس لترى تحاملهم على لفظ باراكلى طوس ولفظ بيركليتوس .

ونتنبأ قليلا من كثير « ولذا كانوا يفضّلوا أنفسهم على الرسل قائلين :
انهم قبلوا بالتمام البارقليط الذى وعد به يسوع المسيح (٢٦) »

وقال عن رجل آخر اسمه مانى : « مانى كان أبا المانيين ودعى كذلك
لأنه نسب الى ذاته لقب البارقليط كما فعل مونتانوس لكى يخفى دناءة حاله
اذ كان أسيرا فى بلاد فارس ولما أعتق من هناك تبنى لعجوز فأرسلته
يتهدب بالعلم حيث لم يستفد شيئا أو استفاد قليلا ولما كانت قحته أكثر من
علمه ، طفق يبدع بدعة جديدة واستطاع ذلك ذكر ذلك باروغييس فى تاريخ
سنة ٢٧٧ عدد ١ ونطاليس اسكندر مجلد ٧ رأس ٨ جزء ٩ فصل ١ « (٢٧)

وصاحب تاريخ الأقباط يؤيد هذا ، غير أنه يختلف معه فى السنة التى
ظهر فيها مانى . فيقول : « ولد مانى سنة ٣٣٩ ميلادية وكان مجوسيا ثم
اعتنق المسيحية ، فأراد أن يجمع بين معتقدات المجوس ومعتقدات المسيحية ،
وأشاع بين الناس سنة ٢٦٨ ميلادية أن المسيح ترك عمل الخلاص ناقصا
وأنه هو الذى سيتمه لأنه هو « البارقليط » وتشبه بالمسيح فاتخذ لنفسه
اثنى عشر تلميذا واثنين وسبعين أسقفا وأرسلهم الى بلاد الشرق ، حتى
الهند والصين ليذيعوا تعاليمه ، فانخدع بأقواله وتبعه من الناس عدد
عظيم « (٢٨)

٣ — ومما يدل على أن لفظ المعزى أو « الباراكليت » يعنى شخصا
بشرىا : الأوصاف التى وردت فى النص وسنشرها فيما بعد .

* * *

وبعدما وضع لنا أن « الباراكليت » أو « المعزى » يعنى شخصا
بشرىا وكان اللائق أن ينطقوه «بيركليت» أو «بيركليتوس» . هل لنا أن نقول
انه اسم : أحمد نبي الاسلام ﷺ ، أم نكتفى بقولنا : انه يعنى لقبا

(٢٦) أشار اليه صاحب اظهار الحق باسم منتس وحدد زمنه
ترب سنة ١٧٧م .

(٢٧) ص ٣٤ تاريخ الأرطقات مع محضها المعنون انتصار الديانة .

(٢٨) ص ١٤٨ ج ١ تاريخ الأقباط .

لغنى الاسلام ﷺ كما يعنى لفظ المسيا لقباً ؟ الحق : أنه اسم أحمد الذى أشار اليه القرآن الكريم ، فى قوله تعالى : « واذا قال عيسى بن مريم يا بنى اسرائيل ، انى رسول الله اليكم ، مصدقاً لما بين يدي من التوراة ، ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » (الصف ٦) وممن قال ذلك من علماء المسلمين :

١. — الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره لسورة الصف .

٢ — ان فريفا من النصارى الأوائل أشاروا الى أن لفظ «الباراكليت» يعنى : الحماة أو الحامد . ولما نقل ذلك عنهم « أبو الفضل المالكى المسعودى » قال ما نصه : « انظر — أرشدك الله — الى هذه الجهل ، وما فيها من «الفارقليط» الذى هو روح الحق وتارة روح القدس . المعلم كل شىء هو محمد رسول الله . لأن النصارى اختلفوا فى تفسيرها على أقوال فقيل : انه الحماة ، وقيل الحامد ، وقيل المخلص ، فان فرعنا عليه . فهو مخلص الأمت من العذاب ومن الكفر والمعاصى (٢٩) »



والكاثوليك فى تعليقهم على لفظ « الباراكليت » ينكرون على من قال من النصارى بمعنى الحمد فيقولون « ليس فى المتن الأصلى شىء من معنى الحمد » (٣٠) .

ونرد عليهم بما يلي :

أولاً : فى عبارات يوحنا عن الروح القدس هذه العبارة « روح الحق الذى من عند الآب ينبثق » (يو ١٥ : ٢٦) وأنتم تقولون : لا نحترم النص ، لأنه ينبثق — عندكم — من الآب والابن (٢١) فلماذا . مع أن النص واضح فى انبثاقه من الآب وحده كما يرى منه ؟ واذا كنتم تخالفون فى نص ظاهر

-
- (٢٩) ص ١٤٦ — ١٤٧ المنتخب الجليل من تخجل من حرف الانجيل .
 - (٣٠) حواشى على الكتاب المقدس للكاثوليك المجلد الثالث ص ٤٨٢ .
 - (٣١) حواشى على الكتاب المقدس للكاثوليك المجلد الثالث ص ٤٨٢ .

كهذا ، أفيسقعد عليكم الترمويه والتشويش ؟ انهم حينها يقولون (باركليتوس) لا (بيركليتوس) والحروف متقاربة كما نرى ، يدل اللفظ الذى استبعدوه على ادانة لهم .

ثانيا : أسماء الأعلام نادرا ما تتفق التراجم فيها على لفظ واحد . مثال ذلك فى انجيل يوحنا نفسه اسم (بارباس) فى النسخة البروتستانتية ، وفى نسخة الكاثوليك (بارابا) (يو ١٨ : ٤٠) والاسم (المسيا) فى البروتستانتية ، وفى نسخة الكاثوليك (ماشيح) (يو ٤ : ٢٦) وفى التوراه الاسم (شيلون) فى البروتستانتية وفى نسخة الكاثوليك (شيلو) « (تڤ ٤٩ : ١٠) وفى نسخة البروتستانت « الى فيلمون كتبت من رومية » لا يوجه فى ترجمة الكاثوليك « فيلمون » — « كريسيكس » بروتستانت « كرسكاس » — كاثوليك (٢ تيمو ٤ : ١٠) « كلادية » بروتستانت « كلودية » كاثوليك (بولس الثانية الى تيموثاوس ٤ : ٢١) « فيليتس » بروتستانت « فيلاتس » كاثوليك (بولس الثانية الى تيموثاوس ٢ : ١٧) « ينيس » — « يناس » ، « يمبريس » — « يمبراس » ، « نيكوبوليس » — « نيكوليس » وفى نسخة البروتستانت « خادم للملك » (يو ٤ : ٤٧) وفى اللاتينية « ملك صغير » وفى الكاثوليك « رئيس للملك » وفى القبطية « انسان ملكى » وفى الانجليزية « رجل نبيل » — وفى البروتستانت : « وأيضا : أقول لكم الآن تبصرون ابن الانسان جالسا عن يمين القوة » و « من الآن » تترجم فى اليونانية « بعد وقت قصير » و « أيضا » تترجم فى الانجليزية : « بالرغم من هذا » (متى ٢٦ : ٦٤)

ثالثا : اللفظ العبرى الذى نطق به عيسى عليه السلام هو كما ذكر الأب متى المسكين : « البير اقليط » وهو الذى يهمننا بيانه . وهو باعترافه مكسور الباء وبعدها ياء ، فلو ترجم الى اليونانية ستكون الترجمة : « بيركليتوس » وليست « باركليتوس » وهم يقولون : ان « بيركليتوس » تدل على الحمد ، وليست « باركليتوس » وعليه فان « بير » هى اللفظ الذى عليه الاشكال فى الترجمة .

رابعاً : ان اللغة اليونانية تزيد حرف السين في آخر كل اسم ، وتزيد حرفاً يناسب هذا الحرف في النطق لتحسينه . مثال ذلك : « بومبى » يقولون « بومبيوس » و « يوسف » المؤرخ اليهودى الشهير يقولون « يوسيفوس » فقد زادوا ياء قبل الفاء . ومع أن النصارى يقولون ان المسيح نطق باراكليطوس ، لثلا يعترفوا باسم « أحمد » تجد تراجمهم اليونانية الى الآن ، تترجم بزيادة السين على الكلمة . وهذا يدل على ان الكلمة فى الأصل : اسم . ولو كانت صفة ما زادوا السين على الكلمة . ومن التراجم الانجليزية عن اليونانية التى ذكرت باراكليطوس : بالسين ، ترجمة الكسندر ، المشار إليها فى المصادر والمراجع .

٣ — ويروى الشيخ عبد الوهاب النجار أنه سأل المستشرق التليانى « كارلونيون » الحاصل على الدكتوراه فى آداب اليهود اليونانية القديمة : « ما معنى بريكلتوس » أجابه ان القسس يقولون : ان هذه الكلمة معناها المعزى . قال له انى أسأل الدكتور كارلونيون ولا أسأل قسيساً . قال : ان معناها الذى له حمد كثير . فقال له : هل ذلك يوافق أفضل التفضيل من حمد ؟ قال : نعم « (٣٢) .

٤ — وقد ذكر استاذنا الدكتور محمد أبو شهبه ، هذه المحاورة التى جرت بين الشيخ و كارلونيون وعلق عليها بقوله : وصدق الله حيث قال : « ومبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد » وذكر كلام يوحنا وعلق عليه بقوله : « هى بشارات تكاد تكون نصاً فى الاخبار بنبوته خاتم الأنبياء ، ومع وضوح هذه البشارات ، فقد أرهق اللاهوتيون النصارى أنفسهم ، وما يزالون . ابتغاء العدول بها عن قصدتها » (٣٣)

المبحث الثالث :

وجهة نظر النصارى فى المعزى :

يقول الكاثوليك : ان الروح القدس — وهو المعزى الذى هو باراكليت —

(٣٢) ص ٣٩٧ — ٣٩٨ قصص الأنبياء .

(٣٣) ص ٢٥٨ ج ١ السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة .

الله من آلهة ثلاثة منفصلة هي : الآب والابن والروح القدس (٣٤) وأن لفظ المعزى أو الباراكليت ، لفظ أطلق على الروح القدس الذى هو الاله الثالث ، بمعنى : أن عيسى الاله الابن ، لما أراد أن يصعد الى السماء ليجلس بجوار الله الآب ، وعد بارسال الاله الثالث ليملك فى الأرض .

ويقول الأرثوذكس : ان الروح القدس هو « الباراكليت » وهو المعزى، وهو الله نفسه. ذلك أن تصوير مذهبهم فى العقيدة هكذا : الله عزوجل قد نزل من السماء ، ودخل بطن مريم العذراء ، وظل فى بطنها تسعة أشهر ، ثم خرج من المخرج الطبيعى للأنثى ولدا ، اسمه عيسى . فعيسى هو الله عزوجل فى صورة بشرية ، ثم قتل وصلب وصعد الى السماء . وصار اسمه الروح القدس كما كان قبل انشاء العالم (٣٥) والى مذهب الكاثوليك يشير القرآن الكريم : « لقد كفر الذين قالوا : ان الله ثالث ثلاثة » (المائدة ٧٣) والى مذهب الأرثوذكس يشير القرآن الكريم : « لقد كفر الذين قالوا : ان الله هو المسيح بن مريم » (المائدة ٧٢)

وإذا سألنا الجميع : متى نزل الروح القدس الاله ، الذى يدعون أنه الباراكليت ؟ وفى أى مكان ؟ وماذا حدث منه فى نزوله ؟ لأجابوا بما يلى :

(١) ظل عيسى فى القبر ثلاثة أيام ، ثم قام من الأموات ، وصعد الى السموات ، ثم نزل منها ، وظهر للتلاميذ ، وتحدث معهم عن ملكوت الله مدة أربعين يوما ، وفيما هو مجتمع معهم أوصاهم أن لا يبرحوا من « أورشليم . بل ينتظروا موعد الآب » (أ ع ١ : ٤) ثم صعد والى الآن لم ينزل .

(٣٤) يقول الكاثوليك فى شرح يوحنا ١ : ١ (والكلمة كان عند الله . يعنى أن الكلمة متميز عن ولده فالآب غير الابن : والابن غير الآب ، ومع ذلك فهما شئ واحد فى الطبيعة والذات والحكمة) (ص ٤٧٩ الجلد الثالث حواش على الكتاب المقدس للكاثوليك) .

(٣٥) استنادا على نصوص من كلام بولس (عبرانيين ١ : ٣ أفسس ٣ : ١٦ : ٩ الأولى الى تيموثاوس ٣ : ١٦) « الله ظهر فى الجسد »

(ب) وبعد عشرة أيام من الصعود الأخير ، أى بعد خمسين يوماً من قيام عيسى الأول من الاموات ، وحينما كان يجتمع نحو مئة وعشرين شخصاً من النصارى فى منزل واحد فى أورشليم . ومعهم مريم العذراء رضى الله عنها يذكرون الله ويسبحونه ، يقول لوقا : « لما حضر يوم الخمسين كان الجميع معا بنفس واحدة وصار بفته من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة وملاً كل البيت حيث كانوا جالسين ، وظهرت لهم السنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم وامتلاً الجميع من الروح القدس وابتدأوا يتكلمون بالسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا » (١ ع ٢ : ١ - ٤)

(ج) هذا الصوت الفظيع مثل العاصفة الشديدة الذى جعل لهم السنة غير ألسنتهم ، ولغة غير لغتهم . هذا الصوت كان من تأثير الروح القدس الاله الثالث حال نزوله . وقد امتلاً الجميع من الروح القدس . وأصبحوا ينطقون بجميع لغات العالم . وهذا الروح القدس الاله هو الباراكليت الذى وعد به عيسى - عليه السلام - ويعبرون عنه بـ « موعد الآب »

يقول الأنبا اثناسيوس : « البارقليط هو روح الله القدوس نفسه ، المعزى . البارقليط = المعزى » الروح القدس الذى يرسله الآب باسمى « (يوحنا ١٤ : ٢٦) وهو الذى نزل عليهم يوم الخمسين (أعمال ٢ : ١ - ٤) فامتألوا به ، وخرجوا للتبشير وهو مع الكنيسة وفى المؤمنين ، وهو هبة ملازمة للإيمان والعماد » (٣٦) .

البحث الرابع :

الرد عليهم :

أولاً : ليس فى الأناجيل الأربعة إشارة الى أن الروح القدس ، الاله ،

(٣٦) ص ١٢٠ تفسير يوحنا - الأنبا اثناسيوس .

ينزل ويبلبل السنة التلاميذ ، والذي فيها عن الروح القدس هو الالهام والتأييد . يقول عيسى لتلاميذه : « وتساقون أمام ولاة وملوك من أجل شهادة لهم وللهم فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف ؟ أو بما تتكلمون ؟ لأنكم تعطون في تلك الساعة ما تتكلمون به ، لأن لستم أنتم المتكلمون ، بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم » (مت ١٠ : ١٨ — ٢٠) هذا الروح هو الهام الله وتأييده ، لأن هذه العبارات أوردتها لوقا هكذا : « وتساقون أمام ملوك ولاة لأجل اسمى ، فيؤول ذلك لكم شهادة ، فضعوا في قلوبكم : أن لا تهتموا من قبل ، لكى تحتجوا . لأنى أنا أعطيتكم فما وحكمة لا يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها أو يناقضوها » (لوقا ٢١ : ١٢ — ١٥)

والتضليل في حقيقة الروح القدس لم يكتب الا فى سفر الأعمال « وهو كتاب تاريخى ، لا تعليمى عقائدى (٣٧) » كما يقول الدكتور « لورانس براون » وكثير من المفسرين . واذا أمعنا النظر فى هذا السفر نجد أنه كتب لأغراض بولس العدائية لدين عيسى الصحيح . ودليلنا على ذلك : ١ — ان أقدم نسخة خطية اعتمدت لهذا السفر قد كتبت في القرن الرابع الميلادى . يقول الدكتور لورانس براون : « وفيها يختص بسفر الأعمال يتبين لنا من مجموعات المخطوطات التى بأيدينا : أنه كان في القرن الثانى بعد الميلاد نموذجان من النصوص تناوبتهما الأيدى . ومن الطبيعى : أن الأدلة المأخوذة من المخطوطات ذاتها ، لا تمدنا بأية معلومات الى ما قبل القرن الرابع . وهو التاريخ الذى كتبت فيه أقدم تلك المخطوطات » (٣٨) .

٢ — ان لوقا الذى يقولون انه كاتب سفر الأعمال ما كان يهوديا مقيما في اورشليم « هو الوحيد بين كتبة الكتاب المقدس الذى لم يكن من نسل اسرائيل ، بل كان يهوديا دخيلا ، وحسب رأى البعض اعتنق المسيحية على يد بولس فى أنطاكية وبعد مجيئه الى مقدونية (ع ١٦ : ١٠) صار رفيقة الملازم له ، وقد درس الطب ومارسه . ولهذا قال عنه الرسول بولس : لوقا الطبيب الحبيب (٣٩) » (كو ٤ : ١٤) .

(٣٧) ص ٣٧ شرح سفر أعمال الرسل .

(٣٨) ص ٢٠ المرجع السابق .

(٣٩) ج ١ ص ٥ تفسير انجيل لوقا — لمتى هنرى .

٣ — لما كان صديقا لبولس ولم يكن من أورشليم نفسها ولا مشاهدا الحادثة ، كتب هذا بالتأكيد ان كان هو الكاتب باملاء من بولس . ويؤكد هذا : أن بولس لما سجن وكتب رسائله وهو في السجن ، قال في احدى الرسائل : « لوقا وحده معي » (٢ تي ٤ : ١١) واذا علمنا أن بولس هذا ألغى دين موسى وعيسى بجرة قلم ، لا يكن لدينا شك في هذا الاملاء للتضليل في فهم حقيقة « البركليت » يقول بولس : « فلا يحكم عليكم أحد في أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت التي هي ظل الأمور المعتادة » (كو ٢ : ١٦ — ١٧) انه يقول كل ما تشاء واشرب ما لذ وطاب ، ولا تهتم بالأعياد اليهودية ، ولا تتقدس يوم السبت . في حين أن عيسى يقول « ما جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء » (متى ٥ : ١٧)

٤ — ان سفر الأعمال لم يهتم بإبراز نشاط التلاميذ الاحد عشر ، ولم يشير الى شيء من أعمالهم . الا عن بطرس ، فقد كتب عنه بانفاضة ، مما يدل على أن السفر موشوع ، لخدمة الكنائس الغربية ، لأنهم يعظمون بطرس ، وفي أحضانها أقرت العقائد النصرانية . ولم يشير هذا السفر الى نشاط المسيحيين الأوائل في منطمة الجليل ، التي يدعون أن فيها كانت موعظة الجبل أول موعظة لعيسى فيها روى متى (٧/٦/٥) وفيها أشبع الألوف من الجيعان (يو ٦) .

والماتل في سفر الأعمال يجد من الاصحاح السادس الى الاخير وهو الثامن والعشرين ، حديثا مركزا عن نشاط بولس في أسفاره ورحلاته التبشيرية ، حتى أنه ليخيل الى القارئ والى السامع أن هذا السفر قد كتب من أجله .

ثانيا : المتأمل في نشاط النصارى الأولين ، يجد كثيرا من الناس قد قاوموا بدعة ألوهية عيسى عليه السلام وأنكروها أنكارا تاما ، حتى أنه قد عقد مجمع « نيقية » لهذا الغرض في سنة ٣٢٥م ووضع فيه جزء من قانون الايمان وقاوموا أيضا بدعة ألوهية المعزى الروح القدس ، وأنكروها انكارا تاما . حتى أنه قد عقد مجمع « القسطنطينية » لهذا الغرض في سنة ٣٧٣م ووضع فيه جزء من قانون الايمان . وفي هذا دليل على أن هاتين البدعتين لا أساس لهما من الصحة .

يقول القس الياس مقار : « والروح القدس هو ذات الله وشخصه والتاريخ الكنسى يؤكد أن اعتقاد الكنيسة في لاهوت الروح لم يتزعزع قط على الاطلاق وان كان قد وجدت تلك القلة الضئيلة التى زعمت مع آريوس انه دون الله ، أو ماكيديونيوس سنة ٣٦١م القائل بأنه قوة الله ، وليس شخص الله ذاته ، أو تلك التى لم تنكر لاهوته . وان كانت قد أنكرت أقتوميته فى ذات الله كسباليوس وأشياعه وأذنايه من الموحدين ، ممن ينكرون غكرة وعقيدة الثالوث عند المسيحيين ولكن المرائى الثابت والمدايم فى الكنيسة المسيحية على مختلف العصور هو أن الروح القدس ذات الله ، وهو الأتموم الثالث فى شخص اللاهوت العظيم » (٤٠) .

ويقول حبيب جرجس : « حدث فى سنة ٣٧٣ م أن مكيدونيوس بطريرك انقسطنطينية الحد وهرطق ضد الروح القدس ، واعتقد أن الابن ليس مساويا للآب فى الجوهر ، بل يشبهه فى كل شىء ، وأن الروح القدس مخلوق وخادم للابن فأمر الملك تاو دوسيوس الكبير باجتماع مجمع لادحاض هذه البدعة » (٤١) ... الخ .

ثالثا : لننظر فى الأوصاف التى ذكرها عيسى عليه السلام عن « بريكليت » ونرى هل تنطبق على شخص بشرى أم على روح سماوى ؟ هل تنطبق على نبي الاسلام ﷺ أم على الروح القدس الاله ؟ وقبل أن نبدأ كلامنا عن هذا الأمر نشير الى أمر مهم وهو أن المخاطبين من التلاميذ ، ليس لهم الخطاب وحدهم ، بل الخطاب لهم ولكل أتباع عيسى ممن يؤمن به وبانجيله فى كل زمان ومكان ، بدليل : انه قال عن تلاميذه مخاطبا الله عز وجل : « كما أرسلتني الى العالم ، أرسلتهم أنا الى العالم . ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط ، بل أيضا من أجل الذين يؤمنون بى بكلامهم . ليكون الجميع واحدا » (يوحنا : ١٧ : ١٨ - ٢١)

(٣٩) ج ١ ص ٥ تفسير انجيل لوقا لمتى هنرى .

(٤٠) ص ١٨١ ايمانى .

(٤١) ص ٩٩ - ١٠١ خلاصة الأصول الايمانية .

ثم نقول :

١ — لقد مهد عيسى لهذا الوعد بأنه يجب عليهم حفظ وصاياهم والعمل بها ويجب أن يبوهوا بتعاليمه بأمانة وبإخلاص . فقال : « ان كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى » وفى هذا اشارة الى أن « بيريكليت » سيكون آتيا لنوعظ والنصح والارشاد مثلهم ، وهم يمهدون الطريق ، ليقبل الناس على دعوته . وقد رأينا سابقا أن من معنى « المعزى » النصح والارشاد والمحاماة والتأييد ، فكأن النبى الآتى مؤيد لدعوة عيسى الحقيقية ومثبتا لها ، وناصحا ومرشدا ومدافعا عن حق الناس فى معرفة الله معرفة صحيحة . وفى هذا اشارة بظهور الغيب على أن النصارى ربما يحملهم المال والجاه على أن ينكروا هذا النبى للمهم ولجاههم .

٢ — انهم يقولون ان الروح القدس الاله مساو للآب والابن فى اللاهوت ، فاذا صعد عيسى ونزل الروح القدس ، يلزم أن يكون الروح القدس هو عيسى للاتحاد فى اللاهوت وبناء عليه : لاينصرف لفظ « آخر » الى الروح القدس ، بل ينصرف الى نبى الاسلام ﷺ لأنه شخص آخر غير شخص عيسى — عليه السلام — ولأن عمله يشبه عمل عيسى فى الدعوة الى الله — وقد مزعما أن يغادرهم — فقد وعدهم بمن سيقوم بنفس المهمة ليعلمهم ويحميهم .

٣ — « ليمكث معكم الى الأبد » أى تظل شريعته الى يوم القيامة . وهذا الوصف متحقق فى نبى الاسلام ﷺ لأنه أعلن انه خاتم النبيين . والى الآن لم يظهر ما يكذب هذا الاعلان . ولا ينطبق على الروح الاله ، لأن عيسى عندهم هو الاله وهو الروح القدس ، فكيف يصعد وينزل ليمكث معهم ؟ وما الداعى لأن يصعد . وينزل باسم آخر ؟ وهل تخلى الله عن البشرية من يوم أن خلقها ؟ أليس هو مع الناس بعلمه فى كل زمان ومكان ، تبلى خلق عيسى ومن بعده ؟

٤ — « روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله ، لأنه لا يرام ولا يعرفه . وأما أنتم فتعرفونه » هذا النبى الآتى سيأتى برسالة حقيقية ،

من الحق جل جلاله ، وسوف ينير أذهانكم بمعرفة الحق الذى انحرف اليهود عنه ، وبانحرافهم ضل العالم ، ولجأوا الى معتقدات بشرية . وكل يدعى أنه على حق ، لكن الحق الحقيقى مع هذا النبى « والعالم لن يقبله » : لأن العالم يهوج فى الشر والفساد ، والناس يسعون الى الدنيا وشهواتها ، غير مباليين برسالات السماء ، ولكنكم أيها التلاميذ ستعرفونه بكلامى هذا ، وبما قلت لكم عنه سابقا .

وهذا الوصف لا ينطبق على الروح القدس الاله ، لأن أهل العالم ... واليهود من أهل العالم — يعرفون الله أكثر من معرفتهم لنبى الاسلام ﷺ وكان الصواب أن يقول : « وأما أنتم فترونه وتعرفونه » ولأنه قد حذف الرؤية ، يكون مقصوده بالمعرفة المعرفة الحقيقية ، لأتباعه الموجودين فى زمن ظهور النبى ﷺ لا الرؤيا البصرية . وهذا معناه : أن النبى اذا جاء لمن يعرفه أهل العالم معرفة حقيقية ، وأتباعه سيعرفونه معرفة حقيقية ، لأن عندهم خبر عنه . من الانجيل .

وقد ورد فى الانجيل لفظ الرؤيا مرادا به المعرفة ، ولغظ المعرفة مرادا به الرؤيا . فقد روى يوحنا أن عيسى قال للتلاميذ : « لو كنتم قد عرفتمونى لعرفتم أبى أيضا . ومن الآن رأيتموه . قال له فيلبس : يا سيد ارنا الأب وكنا . قال له يسوع : أنا معكم زمانا هذه مدته ، ولم تعرفنى يا فيلبس ، الذى رآنى فقد رأى الأب » (يو ١٤ : ٧) فقله « لو كنتم قد عرفتمونى » معناه : لو عرفتمونى معرفة حقيقية ، لأن الناس رأوه وعرفوه ، واليهود كانوا يريدون قتله . وقوله : « ومن الآن تعرفونه » معناه : أنهم يعرفونه حقيقة . وقوله : « وقد رأيتموه » معناه : عرفتموه من قبل . لأن رؤية الله مستحيلة . لقوله : « الله لم يره أحد قط » (يو ١ : ١٨) ولأنه فى التوراة يقول الله لموسى : « لا تتدبر أن ترى وجهى ، لأن الانسان لا يرانى ويعيش » (خر ٣٣ : ٢٠) .

وقوله : « الذى رآنى فقد رأى الأب » معناه : الذى عرفنى معرفة حقيقية ، يعرف الله معرفة حقيقية ، لأنه أرسلنى .

٥ — وأما أنتم فتعرفونه ، لأنه ماكنث معكم ويكون فيكم « قسوله
«ماكنث معكم» معناه : يكنث معكم بشريعته . وهذا لا ينطبق على الروح الاله ،
لأن الروح الاله — على زعمهم — لو كان هو ماكنثا فلماذا يعدهم بنزوله عليهم ؟
ومن شأن الاله أن يكون من قبل المخلوقات ماكنثا . ويكون معهم ماكنثا الى الأبد
ليعلم سرهم ونجواهم ، وهذا القول من أقسى الاثـمـارات
على بطلان قولهم بنزول الاله . والمعنى الصحيح لهذا القول تفسره الجملة
التالية وهى : « ويكون فيكم » أى : يكون فيكم مستقبلا أيضا . على معنى
أنه يكنث معكم بشريعته وعبر عيسى عليه السلام بصيغة الحال ولم يعبر
بصيغة المستقبل ، ليدل على أن ذلك آت لا ريب فيه . ونظير ذلك قوله :
« انه تأتى ساعة وهى الآن حين يسمع الأوات صوت ابن الله والسماعون
يحيون » (يو ٥ : ٢٥) فقد دل بالآن على اقتراب مجيئها .

٦ — « الكلام الذى تسمعونه ليس لى ، بل للآب الذى أرسلنى »
هذا تأكيد على أن نبى الاسلام ﷺ آت ، لأن الله هو الذى قال ذلك له .
ولو كان ذلك للروح الاله ما كان من داع لهذا التأكيد و « الآب » كلمة عبرية
بهد الهمزة تعنى الأب فى اللغة العربية . وليس هذا اعتراف من المسيح
عيسى عليه السلام بأن الله أبوه على الحقيقة . بل اعتراف بالبنوة
المجازية . كما هى عادة بنى اسرائيل فى النطق والتعبير . فلقد كتبوا
فى توراة موسى عليه السلام أن الله خاطبهم بقوله « أنتم اولاد الرب
الهكم » (تثنية ١٤ : ١) وعلى عادتهم فى النطق والتعبير تحدث اليهم بلغتهم

٧ — « بهذا كلمتكم وأنا عندكم . وأما المعزى الروح القدس الذى
سيرسله الآب باسمى ، فهو يعلمكم كل شىء ، وذكركم بكل ما قلته لكم »
وهنا نجد أن رسالة عيسى — عليه السلام — تنتهى عند مجيء المعزى .
لأنه يشجعهم بأن ينتظروا معلما آخر ، ويخبرهم بأن هذا النبى الآخر
سيرسل من قبل الله ، بناء على طلب من عيسى نفسه . وذلك أدعى لاحترامه
متى جاء ، لأنه دعوة لله من سيدهم ومعلمهم .

ويعرفهم بأن هذا النبى سيعلمهم كل شىء ويذكرهم بكل ما قاله عيسى

لهم ومجىء نبي الاسلام من الله باسم عيسى ، يلزم اتباع عيسى بشرية هذا النبي والدخول معه فى دينه ، لأنه لم يأت من تلقاء نفسه ، ولأنه عظم عيسى ودعوته الحقيقية ، وأشار الى نزاهته وبراعته هو وأمه من العيوب التى اختلطها اليهود زورا واثما . وقوله عن الأمر الاول « يعلمهم كل شىء » يلزمهم هذا القول بترك القديم الذى يعلمون به ، ويكتفون بكل شىء جاء به هذا النبي ، أى يتركون الشريعة القديمة ويتمسكون بالشرعية الجديدة . والأمر الثانى وهو « يذكرهم بكل ما قاله لهم » فإنه يفيد أنهم سينسون شيئا مما قاله عيسى عليه السلام . ولقد نسوا أشياء كثيرة كما قال الله تعالى فى القرآن الكريم : « ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم ، فنسوا حظا مما ذكروا به » (المائدة : ١٤) ولما جاء نبي الاسلام ﷺ كان معلما ومذكرا . وهذا الوصف بالتعليم والتذكير لا ينطبق على الروح الاله فى يوم الخمسين ، لأنه لم يعلم ولم يذكر ، بل بلبل السنة التلاميذ وانصرف ، ولم يفه بكلمة واحدة .

٨ - « وقلت لكم الآن قبل أن يكون ، حتى متى كان تؤمنون » هذه العبارة تعيد التعظيم للنبي الآتى ، لأنهم لو عرفوا لماذا يأتى وما فى دعوته من اللينس ، لفرحوا فرحا عظيما . وهذه العبارة تهيد لما سيقوله بعد من وجوب ايمان أتباعه به واعتناق مبادئه . - أتباعه الذين يكونون حال ظهور هذا النبي العظيم - ولا ينطبق هذا القول على الايمان بالروح الاله . لأن الروح الاله هو نفسه عيسى ، وهم كانوا مؤمنين به كما فى اعتقادهم ، وانما هو ينطبق على صاحب شريعة يلزمهم عيسى باعتناقها . ويؤكد هذا قوله بعد : « كما أوصانى الآب هكذا افعل » .

٩ - « ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا اليكم من الآب ، روح الحق الذى من عند الآب ينبثق ، فهو يشهد لى . وتشهدون أنتم أيضا لأنكم معى من الابتداء » هذا الكلام لا يصح انطباقه على الروح الاله ، لأن الاله لا يرسل لها مثله .

والمعنى : أن هذا « البيريكليت » سياتى من عند الآب وحده .

وعيسى عليه السلام سيطلب من الله إرساله ، ليفيد تلاميذه أنه يجب عليهم احترامه وتوقيره ، لأنه تسبب في إرساله اليهم من الله . وهذا كما يطلب الطالب من ولي الأمر أن يرسل رسولا أو يولى نائبا أو يعطى احدا . فيقول : أنا أرسلت هذا ووليته وأعطيته ، يعنى أنه كان سببا في ذلك . والله سبحانه اذا قضى أن يكون شيئا ما ، فإنه يهيء له أسبابا يكون بها . ومن تلك الأسباب : دعاء بعض عباده بأن يفعل ذلك ، فيكون . . . ومن أمثلة ذلك : ان الله تعالى وعد نبي الاسلام ﷺ بالنصر في غزوة بدر الكبرى . ومع ذلك كان النبي يدعو ويقول : « اللهم فنصرك الذى وعدتني »

وهذا « البريكليت » عبر عنه عيسى بأنه روح الحق ، وأنه سيظهر من قبل الله وحده ، وسيستبد شريعته ودعوته من الله وحده . وهذا « البريكليت » سوف يشهد لعيسى بالنبوة ، وأنه عبد الله ورسوله . وهذه علامة نطق بها عيسى عليه السلام ليعرف بها صدق نبي الاسلام ﷺ على معنى : ان تشهد بفضل عيسى ونبوته كأن صادقا ، وان جاء ولم يشهد بنبوة عيسى ولم يعترف بفضله يكون كاذبا . وأنتم أيها التلاميذ — ومن يأتى من بعدكم — تشهدون معه بنبوتى وأنى كنت بشرا كسائر البشر ، لأنى أخبرتكم حين كنتم معى أول الأمر .

وهذه الشهادة لم تحدث من الروح الاله حين نزوله ، لأنه لم يزد عن بلبله الألسنة شيئا . والتلاميذ في ذلك الوقت كانوا يعرفون عيسى عليه السلام ولا حاجة لهم فى معرفته بشهادة الروح الاله .

والنص اليونانى هكذا : « يشهد لى وتستشهدون أنتم أيضا (٤٢) » وهذا يعنى أن النصارى يضطروهم الناس الى هذه الشهادة . هل نبي الاسلام صادق أم لا ؟ وحسب هذا النص ، فان الروح الاله لما نزل يوم الخمسين لم يطلب منهم الشهادة ، ولم يضطروهم اليها . ولم يطالبه من الحاضرين احد بها .

(٤٢) ص ٦ ج ٤ تفسير يوحنا لمتى هنرى .

١. — « لكنى أقول لكم الحق : انه خير لكم أن انطلق ، لأنه ان لم أنطلق ، لا يأتيكم المعزى . ولكن ان ذهبت ، أرسله اليكم » كان انطلاق عيسى عليه السلام هو لكى يأتي المعزى ، ولماذا الانطلاق للمجئ ؟ لأن هذا الأمر استقر هكذا فى ارادة الله عز وجل ولا تبديل لكلمات الله . وهذا لا ينطبق على الروح الاله . لأن عيسى هو الاله فى نظرهم ، فما فائدة صعوده ليأتى فى ثوب جديد ؟ واذا كان الأمر كذلك ، فلماذا حزن التلاميذ لفقده اذا كان هو هو ؟ ولماذا عبر بالخيرية اذا كان الروح هو نفسه عيسى ؟ وكيف يكون فى مجيئه الثانى ، افضل منه فى مجيئه الأول ؟ وهذا الوصف يتحقق فى نبي الاسلام ﷺ لأن رسالته سهلة وميسرة ، وباقية الى يوم التيامة ، ومصونة عن التحريف ، والتوراة كانت شريعة محرفة ، ولم يكن مع عيسى شريعة غيرها لقوله : « ما جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء » (مت ٥ : ١٧)

٩. — « سيخرجونكم من الجامع » المراد بالجامع . أماكن العبادة لاجتماع الناس . ويعنى أن اليهود سيضطهدون التلاميذ ويحرمونهم من الوظائف الدينية الرسمية .

١. — « ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية وعلى بروعلى دينونة » « يفحم » حسب ترجمة الأب جورج فاخورى البولسى بلبنان بدل يبكت ، يقال : « أفحمه » أسكته فى خصومه أو غيرها . والمعنى : أن النبى الأسمى الآتى سيكون من شأنه توبيخ العالم ، بحيث يفحمهم عن الرد عليه ، ولا يستطيعون مع هذا التوبيخ مناقضة كلامه . وما المراد بالعالم ؟ يقول النصارى : « العالم اليهود والأمم (٤٣) » ونقول نحن أيضا : اليهود والأمم . فإل لما نزل الروح الاله وبخ اليهود والأمم ؟ بالتأكيد لا . لأنه لم يفتح فاه بكلمة واحدة . ولما جاء نبى الاسلام ﷺ وبخ العالم أجمع ، وبخ اليهود على تحريفهم لكتاب الله ونبذهم وراءهم ظهريا ، وبخ النصارى على مثل ذلك ، وبخ الكفار لعبادتهم الأصنام من دون الله .

(٤٣) ص ١٧ ج ٤ تفسير يوحنا لمتى هنرى .

وسوف يكون توبيخه على جهة الخصوص في مسائل ثلاثة وضحا عيسى بقوله : « على خطية » و « على بر » و « على دينونة »

١١ - « أما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بى » وهذا لا ينطبق على الروح الاله . لأن التلاميذ ساعة نزوله على حد قولهم ، كانوا مؤمنين بعيسى نبيا ورسولا . وانما ينطبق على نبي الاسلام ﷺ لأنه وبخ اليهود لعدم ايمانهم برسالة عيسى عليه السلام .

١٢ - « وعلى بر » قال دانيال النبي في سفره عن نبي الاسلام ان جبرائيل قال له « سبعون أسبوعا قضيت على شعبك ، وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية وتتميم الخطايا ولكفارة الاثم ، وليؤتى بالبر الأبدى ولختم الرؤيا والنبوة ولمسح قدوس القدوسين » (دانيال ٩ : ٢٤) ويريد المسيح عيسى ان يقول انه اذا جاء نبي الاسلام (نبي البر) فسوف يوبخ اليهود على رفضهم اياه لأنه هو البر الأبدى الذى كانوا ينتظروه . وأشارت اليه الكتب ولئلا يتوهم متوهم أن عيسى هو المقصود من عبارات دانيال صرح بقوله « انى ذاهب الى ابي ولا ترونى أيضا » أى أن المقصود بعبارات دانيال عن البر الأبدى شخص غيره .

١٣ - « وأما على دينونة ، فلأن رئيس هذا العالم قد دين » رئيس هذا العالم فسره النصرى بالشيطان الرجيم .

يقول متى هنرى : «ان ابليس رئيس هذا العالم قد دين . قد تبين بأنه مضلل عظيم ومدمر عظيم ، ولذلك دين وبدأ تنفيذ الدينونة جزئيا . لقد طرد من العالم الوثنى عندما أسكتت تعاليمه وهجرت مذابحه » (٤٤) والمعنى : أن نبي الاسلام سيوبخ العالم على عدم ايمانهم به ، في الوقت الذى فضحت دعوته أساليب الوثنية وأوامر الشيطان ، واذا كان هو قد ادان الشيطان وأخزاه ، فهو بالحرى يدين الناس ويخزيهم . وهذا الوصف ايضا لا ينطبق على الروح الاله ، لأنه لم يوبخ العالم على دينونة . واذا كان الشيطان لم يستطع صرف الناس عنه ، فكذلك لن يستطيع الحاقدون أن يطفئوا نور الله بأنفواهم .

(٤٤) من ٢١ المرجع السابق .

ومما يلاحظ فى هذه العبارة : أن العالم كله حال نزول الروح الاله لم يسمع ولم ير . لأن الذين حضروا كانوا مائة وعشرين من النصارى فأين هؤلاء من العالم ؟ وعلى ذلك فانطبق توبيخ العالم على لسان نبي الاسلام ﷺ أحق وأولى من انطباقه على الروح الاله .

١٤ — يقول عيسى عليه السلام : « أن لى أموراً كثيرة أيضاً لا تقول لكم . ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن » هذا عطف كبير منه على تلاميذه . وهذا العطف : لأن اليهود سيؤذونهم والمعاليم سيغضهم . وهذه الأمور الكثيرة ربما هى توضيحات أكثر عن ملكوت السموات ، أو أوصاف أخرى عن هذا النبى . وهذه الأمور الكثيرة حينما نزل الروح الاله لم يظهر منها أمر واحد ، فدل ذلك على أنه غير المقصود بحديث عيسى عليه السلام .

١٥ — « وأما متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق ، لانه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به » اذا جاء نبي الاسلام فهو يرشدكم الى جميع الحق . الحق الذى عرفتمكم به وأنا معكم ، والحق الذى ستنسوه سيذكركم به ، وحق سيأتى به من عند الله . هذا كله سيخبركم به . لأن الله هو الذى سيوحى اليه . ولن يتكلم بشيء من تلقاء نفسه . والروح الاله لما نزل يوم الخميس لم يتكلم بحق أو يبطل .

١٦ — « ويخبركم بأمر آتية » الروح الاله لما نزل يوم الخميس لم يخبر بحق ولا يبطل ، فدل هذا على أن الآتى نبي لا اله .

١٧ — وفى النهاية يشهد عيسى عليه السلام شهادة قيمة لنبي الاسلام ﷺ . وهى : « ذاك يمجدنى » انه يعظم رسالتى ، ويعترف بفضلى . وعلى ذلك فلا تحقروا رسالته ، ولا تنكروا فضله ، بل اتبعوه وعظموه ومجدوه كما يمجدنى .

١٨ — وهذا التمجيد منه لى ، لأنه « يأخذ مما لى ويخبركم » انه يأخذ من الله مما هو معد فى علم الله ، من نفس العلم الذى أخذت منه . ونسب

لى ، لأنى انا الذى أتكلّم معكم . فكلانا فى الهدف سواء . ومن مصدر واحد استقينا معلوماتنا . ومن هذا المصدر الذى أخذت منه سوف يأخذ ويخبركم . ويلاحظ هنا : أن عيسى عليه السلام يقول : « يأخذ مما هو لى » وهذا معناه أن النبى الآتى يشبه عيسى فى صفة الحدودية والخلق ، وهما يأخذان من علم الله القديم الأزلى . ولو كان هذا الآخذ الجديد ، هو الروح الاله ، لكان حادثا . وهم يقولون بقدم الروح الاله ، فيلزم التناقض والاضطراب فى التأويل .



رابعا : لننظر بعد ذلك فى القرآن الكريم لنرى هل هذه الأوصاف التى ذكرها عيسى عليه السلام منطبقة على نبى الاسلام ﷺ أم القرآن لم يشر إليها ؟

١ — بدء سورة آل عمران يفيد أن الله واحد لا شريك له ، وأنه نزل القرآن بالحق « مصدقا لما بين يديه . وأنزل التوراة والانجيل » وبعد ذلك بقليل : « ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب (٤٥) الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم » « ثم توجيه من الله لأهل الكتاب وهم اليهود والنصارى مصدر بكلمة « قل » وهى تفيد الأمر للنبى ﷺ بتبليغ الأقوال « فان حاجوك فقل : أسلمت وجهى لله ومن اتبعنى . وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين : أسلمتم » ؟ وبعد هذين القولين يشر الله الى أن اليهود كفروا بآياته — ولم يكفروا به — وقتلوا الأنبياء بغير حق . ولذلك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة ، ونزع منهم الملك وأخذ منهم الشريعة وسلم الملك والشريعة الى قوم آخرين « قل : اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء » ثم يبين الله عز وجل أن قرب اليهود والنصارى منه بعد ظهور الاسلام ، لا يكون الا باعتناقهم للاسلام « قل :

(٤٥) يقول اليهودى : (هين) : « ان لم أكن مخطئا فالنبى محمد ﷺ هو الذى أطلق على اليهود اسم « أهل الكتاب » (ص ٦٧ فى الفكر اليهودى) .

ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » . « قل : اطيعوا الله والرسول »
وهذا يشير بالمعنى والشبه الى قول عيسى للتلاميذ : « ان كنتم
تحبوننى فاحفظوا وصاياى » ويؤكد نبي الاسلام على هذا القول بقوله :
ان كنتم تحبون عيسى لتصلوا بحبته الى الله ، فعليكم بمحبتى ، فانها توصلكم
الى الله ، لانه نبه على . وكما ان محبتكم لعيسى هى حفظ وصاياه والعمل
بها ، فكذا محبتكم لى تكون بحفظكم لوصاياى وبالعمل بها .

٢ — أشار القرآن اشارات كثيرة الى أن رسالة الاسلام لليهود
والنصارى ولجميع أمم الأرض ، وأنها باقية الى يوم القيامة ومن ذلك
قوله : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » (الأنبياء ١٠٧) وهذا يتمشى
شبهها مع عبارة الانجيل « ليكث معكم الى الأبد » .

٣ — أشار القرآن الى أن اليهود والنصارى معا يعرفون نبي الاسلام
كما يعرفون أبناءهم فى قوله تعالى : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما
يعرفون أبناءهم ، وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » (البقرة
١٤٦) وهذا يتمشى مع قول الانجيل « وأما أنتم فتعرفونه »

٤ — وضح القرآن الكريم أن عيسى رسول من الله فى قوله تعالى
« المسيح عيسى ابن مريم رسول الله » (النساء ١٧١) وفى الانجيل : « الكلام
الذى تسمعونه ليس لى ، بل للآب الذى أرسلنى »

٥ — ويندرج تحت المعانى المستفادة من قول الله تعالى : « الذين
ينبعون الرسول النبى الأمى ، الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة
والانجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم
عليهم الخبائث ، ويضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم . فالذين
آمنوا به وعزروه ووضروهم واتبعوا النور الذى أنزل معه . أولئك هم
المفلحون » (الأعراف ١٥٧) يندرج تحته هذه العبارات : « يعلمكم كل
شئ ويذكركم بكل ما قلته لكم — وقلت لكم الآن قبل أن يكون ، حتى متى
كان تؤمنون » .

٦ — وعن الشهادة يقول القرآن الكريم : (واذ أخذ الله ميثاق
النبیین : لما آتیتم من کتاب وحیمة ، ثم جاءکم رسول مصدق لما معکم
لتؤمنن به ولتنصرنه . قال : أقررتم وأخذتم علی ذلكم اصری ؟ قالوا :
أقرنا . قال : فاشهدوا وأنا معکم من الشاهدین) (آل عمران ٨١)
ونظرها فی هذا النص : « وتشهدون انتم أيضا لانکم معی من الابتداء »

٧ — وعن توبيخ العالم وافحامهم نجد فی القرآن الکریم : « يا أيها
الناس اعبدوا ربکم الذی خلقکم والذین من قبلکم لعلکم تتقون ، الذی جعل لکم
الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا
لکم ، فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون . وان كنتم فی ریب مما نزلنا علی
عبدنا ، فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءکم من دون الله ان كنتم صادقين
فان لم تفعلوا ولن تفعلوا ، فاتقوا النار الی وقودها الناس والحجارة
أعدت للکافرين » « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياکم ، ثم يمیتکم ثم
یحییکم ثم الیه ترجعون » (البقرة ٢١ : ٢٤ و ٢٨)

هل بعد هذا توبيخ وتبکیت واقناع وافحام ؟ انه ما ترك كلمة لمحتج ولا وجهة
نظر لمعترض ، وبعد ذلك بقليل فی نفس السورة نجد توبيخا صريحا لبنی
اسرائیل : « يا بنی اسرائيل اذكروا نعمتی الی أنعمت علیکم ، وأوفوا
بعهدی أوف بعهدکم وایای فارهبون ، وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معکم ،
ولا تكونوا أول کافر به ولا تشنروا بآیاتی ثمنا قليلا ، وایای فاتقون ، ولا
تلبسوا الحق بالباطل ، وتکتبوا الحق وأنتم تعلمون . وأقیهوا الصلاة
وآتوا الزکاة وارکعوا مع الراکعین أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسکم
وأنتم تتلون الکتاب . أفلا تعقلون » ؟ (البقرة ٤٠ — ٤٤)

وفی القرآن الکریم توبيخ صریح فی شأن عیسی علیه السلام : « يا أهل
الکتاب لا تغلوا فی دینکم ولا تقولوا علی الله الا الحق ، انما المسيح عیسی
ابن مریم رسول الله وکلمته ، ألناها الی مریم وروح منه ، فآمنوا بالله
ورسله ولا تقولوا ثلاثة ، انتهوا خیرا لکم ، انما الله اله واحد ، سبحانه
أن یكون له ولد . له ما فی السموات وما فی الأرض ، وكفی بالله وکیلا

لأن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون « (النساء
١٧ - ١٧٣)

٨ - وفى القرآن الكريم : « واذا تلى عليهم آياتنا بينات . قال
الذين لا يرجون لقاءنا : ائت بقرآن غير هذا أو بدله . قل : ما يكون لى
أن أبدله من تلقاء نفسى ، أن أتبع الا ما يوحى الى انى أخاف ان عصيت
ربى عذاب يوم عظيم . قل : لو شاء الله . ما تلوته عليكم ولا أدراكه
به . فقد لبنت فيكم عمرا من قبله . أفلا تعقلون ؟ فمن أظلم ممن افترى
على الله كذبا أو كذب بآياته ، انه لا يفلح المجرهون « (يونس ١٥ - ١٧)
وهذا من معناه أن النبى صادق فى نبوته ، كما قال عنه عيسى عليه السلام :
« لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به »

٩ - واما عن وصف عيسى لنبى الاسلام بقوله : « سيخبركم بأمر
آتية » فهذا تشير اليه آيات كرميات منها : « ألم غلبت الروم فى أدنى
الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ، فى بضع سنين لله الأمر من قبل
ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز
الرحيم ، وعد الله لا يخلف الله وعده ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .
يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ، وهم عن الآخرة هم غافلون « (الروم
١ - ٧) وأيضا : « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ، لتدخلن المسجد
الحرام إن شاء الله آمنين ، ملحقين رؤسكم ومقصرين ، لا تخافون
فعلتم ما لم تعلموا ، فجعل من دون ذلك فتحا قريبا . هو الذى أرسل
رسوله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا «
(الفتح ٢٧ - ٢٨)

١٠ - وقول عيسى عليه السلام : « ذاك يجدنى » يشير اليه قوله
تعالى : « ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وأمه
صديقة ، كانا ياكلان الطعام . انظر كيف نبين لهم الآيات . ثم انظر
انى يؤمنون « (المائدة ٧٥) وهذا تمجيد لعيسى عليه السلام .

١١ - وقولُ عيسى عليه السلام « يأخذ مما لى ويخبركم » يشير الى قوله تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ، والذي أوحينا اليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ، أن أتبعوا الدين ولا تتفرقوا فيه » (الشورى ١٣) فالجميع يستقون معلوماتهم من مصدر واحد .

١٢ - وعن الاسم المبارك يقول تعالى : « ومبشرا برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد » (الصف ٦)

ويقول عيسى عليه السلام : « وأنا أطلب من الآب ، فيعطيك معزيا » والمعزى ترجمة باراكليت . وباركليت هو اسم أحمد ﷺ .

الفصل السادس

في

وجاهة بنى اسماعيل

تمهيد :

بعدها بين عيسى عليه السلام لعلماء بنى اسرائيل أن النبي المنتظر سيأتي من نسل اسماعيل عليه السلام ، ذهب وفد منهم الى « بيلاطس » الحاكم عليهم من قبل الرومان . وقاتلوا له : ان يسوع لا يدعى أن النبي المنتظر سيأتي من بعده ، بل يدعى أنه هو . ونبوءات كتبنا عن هذا النبي تقول : انه سيزيل مملكة « روما » عن وجه الأرض . ولذلك فان يسوع أوهم أتباعه . أنه هو ذلك النبي الملقب بلقب المسيا أى المسيح الذى من صفاته أن يكون ملكا . وهو الآن يحدث شغباً فى البلاد ، ويمنع الناس من أن يطيعوا الرومان . ويخضعوا لهم بدفع الجزية ، فاستدعاه بيلاطوس وسأله قائلاً : « أنت ملك اليهود ؟ فأجابه وقال : أنت تقول « أى أنا لم أقل « فقال بيلاطوس لرؤساء الكهنة والجموع : انى لا أجد علة فى هذا الانسان « (لو ٢٢ : ٣ - ٤)

ولما مثل أمام هيرودوس سأله عما سأله عنه بيلاطوس وحكم عليه بالبراءة كما حكم عليه بيلاطوس . ففى أنجيل لوقا : « فدعا بيلاطوس رؤساء الكهنة والعظماء والشعب وقال لهم : قدمتم الى هذا الانسان كمن يفسد الشعب . وها أنا قد فحصت قدامكم ولم أجد فى هذا الانسان علة مما تتشكون به عليه . ولا هيرودوس أيضاً . لأنى أرسلتكم اليه . وها لا شىء يستحق الموت صنع منه « (لو ٢٢ : ١٣ - ١٥)

وفى الانجيل : أن اليهود أصروا على أن يقتله الوالى ، والا يتوجهون
انى قيصر الرومان نفسه فى « روما » ويطلبون عزله . ولهذا التهديد أقدم
الوالى على قتله . وهذا مستبعد من الوالى . لثبوت براءته فى نظره —
ومن شأن الولاة اقامة العدل لئلا تخرب دولهم — ولما برأه ، منع اليهود
من أذيته ، وتركه يسبح فى الأرض . وآواه الله الى ربوة ذات قرار
ومعين . هذا محتمل . ومن المحتمل : أن الوالى لما أقدم على قتله ببناء
على اصرار اليهود ، ألقى الله شبهه على « يهوذا الاسخريوطى » فقتل
مكانه وصلب . وهذا الاحتمال للجمع بين رواية برنابا ورواية كتاب الاناجيل .
ومن المحتمل أيضا : أن لا تكون المحاكمة قد حدثت للمسيح كما روى برنابا .
وعلى المکتوب فى الاناجيل الاربعة فان الذى يهمنى بيانه فى هذه
المحاكمة : هو أن عيسى عليه السلام سألوه فيها هل هو المسيح المنتظر
الذى أخبر عن مجيئه موسى مماثلا له والذى لقبه دانيال بابن الانسان ،
ولقبه داود بلقب ابن الله . أم ليس هو ؟ وأجاب بلا . وقال لهم : انه
سيأتى من بعدى .

فى انجيل متى : « أجاب رئيس الكهنة وقال له : استحلنك بالله
الحى . أن تقول لنا : هل أنت المسيح ابن الله ؟ قال له يسوع : أنت قلت .
وأيا أقول لكم : **من الآن تبصرون ابن الانسان جالسا عن يمين القوة**
وآتيا على سحب السماء » (مت ٢٦ : ٦٣ — ٦٤) كناية عن سرعة مجيئه
مؤيدا بنصر الله وعونه .

والآن الى بيان الموضوع :

ما الذى دفع اليهود العبرانيين الى التفكير فى قتل عيسى عليه السلام ؟
انه اذا كان يبشر بمجىء المسيح . فان اليهود كلهم يتربصون بمجيئه ،
ولا يمكن أن يكون ذلك سببا مؤديا الى التفكير فى قتله ، واذا كانت التهمة
الموجهة اليه أنه يجدف على الله ، زاعما أنه ابنه ، ابنا طبيعيا ، أو أنه
هو الله نفسه ، فانه دافع عن نفسه كثيرا ، وصرح بأنه عبد لله كمسائر
العبيد ونبي كمسائر الأنبياء ، وبشر كمسائر البشر . وكان ذلك أمام جمع
كبير من اليهود ، وفى اقدس مكان لديهم ، وهو الهيكل .

ومن كلماته لليهود : « ان كنت أشهد لنفسى فشهادتى ليست حقا ، الذى يشهد لى هو آخر ، وأنا أعلم ان شهادته التى يشهد بها لى هى حق » .
أنتم أرسلتم الى يوحنا (المهدان) فشهد للحق ، وأنا لا أقبل شهادة من انسان ، ولكنى أقول هذا ، لتخلصوا أنتم ، كان هو السراج الموقد المنير ، وأنتم أردتم أن تبتهجوا بنوره ساعة ، وأما أنا فلى شهادة أعظم من يوحنا ، لأن الاعمال التى اعطانى الآب لأكملها . هذه الاعمال بعينها التى أنا أعملها هى تشهد لى أن الآب (الله) قد أرسلنى .

والآب نفسه الذى أرسلنى يشهد لى . لم تسمعوا صوته قط ولا أبصرتم هيئته (١) ، وليست لكم كلمته ثابتة فيكم . لأن الذى أرسله هو ، لستم أنتم تؤمنون به . فنتشوا المكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية ، وهى التى تشهد لى ، ولا تريدون أن تأتوا الى لتكون لكم حياة .

مجدا من الناس لست أقبل ، ولكنى قد عرفتكم أن ليست لكم محبة الله فى أنفسكم . أنا قد آتيت باسم أبى ولستم تقبلوننى . ان أتى آخر باسم نفسه فذلك تقبلونه ، كيف تقدرين أن تؤمنوا ، وأنتم تقبلون مجدا بعضكم من بعض ، والمجد الذى من الاله الواحد لستم تطلبونه ؟ لا تظنوا انى أشكوكم الى الآب . يوجد الذى يشكوكم وهو موسى الذى عليه رجاؤكم ، لأنكم لو كنتم تصدقون موسى ، لكنتم تصدقوننى ، لانه هو كتب عنى ، فان كنتم لستم تصدقون كتب ذاك ، فكيف تصدقون كلامى ؟ (يوحنا ٥ : ٣١ - ٤٧)

ما هو السبب اذا فى التفكير فى قتله ، اذا كان هو لم يأت بجديد عما الفوه ؟ فى اعتقادنا أن السبب فى ذلك : هو تنبئه بأن المسيا لن يكون من نسل داود عليه السلام كما كان يتوقع يهود اورشليم الذين بعث فيهم ، وانما سيكون من بنى اسماعيل عليه السلام وأن الملك من اليهود سيزول حتما على يديه ، وسوف يكون ذلك قريبا .

(١) ان عيسى عليه السلام قد سمع اليهود صوته وأبصروا هيئته ، فلا يكون هو الله . لأن الله تعالى لم يره أحدا قط . ولا يقدر انسان أن يرى الله ويعيش (يوحنا ١ : ١٨ : خروج ٣٣ : ٢٠ - ٢٣)

واعتمادنا في هذه الفكرة على ما ورد في الأناجيل في بيان محاكمة اليهود
اليعيسى عليه السلام .

وبيان ذلك :

في هذه المحاكمة أجمعت الأناجيل على أن تلميذا خائنا يدعى
« يهوذا الاسخريوطى » من تلاميذ عيسى عليه السلام ائتمر مع اليهود على أن
يدلهم عليه في مقابل ثلاثين من الفضة . ومقدارهم بالجنية الانجليزية الآن
كما يقول فردريك فارار : « نحو ثلاثة جنيهات وستة عشر شلنا » (٢)
وبالجنية المصرى « أربعة جنيهات وخمسة قروش » (٣) كما يقول الأنبا
انثاسيوس . وقد أخذ الثلاثين من الفضة وانطلق ليلا بصحبة جمع كثير ،
معهم سيوف وعصى ومشاعل ومصاييح من عند رؤساء الكهنة وشيوخ
الشعب ، وذهبوا الى « وادى قدرون » حيث كان بستان مجتمتع فيه عيسى
مع تلاميذه .

والذين أمسكوا يسوع مضوا به الى « قيافا » رئيس الكهنة — كما
يذكر متى — أو الى « حنان » كما يذكر يوحنا ، وأرسله هو موثقا الى
« قيافا » وتمت محاكمة عيسى عليه السلام محاكمة دينية أمام رئيس الكهنة
أولا . ثم حوكم ثانية محاكمة مدنية في دار القضاء ، عند « بيلاطس » الوالى
على « اورشليم » من قبل الدولة الرومانية ، وبعده عند « هيرودس »

وفي المحاكمة الدينية والمدنية ، سئل عيسى — عليه السلام — عما
إذا كان هو المسيا المنتظر ، أم ليس هو ؟ سئل هل هو « ابن الله » أى
هل هو « المسيح » الذى تنبأ عنه داود فى المزمور الثانى بلقب « ابن الله » ؟
وأجاب عيسى عليه السلام : بأنه ليس هو ابن الله ، الذى هو المسيا .
يقول متى هنرى فى تفسير انجيل لوقا : « لقد سأله : هل « أنت المسيح » ؟
كان المعتد بصفة عامة بين أتباعه أنه هو المسيح ، لكنهم لم يسمعوا منه

(٢) ص ٦٧١ حياة المسيح لفردريك

(٣) ص ٢٥٤ تفسير متى للأنبا انثاسيوس .

انه قال هذا بنفسه . لقد كانوا — كيهود — يعترفون بأنهم ينتظرون المسيا ولم يظهر أحد آخر من قبل بأنه هو المسيا .

فسألوه قائلين : « أفأنت ابن الله » ؟ ومن هذا يقضح أن الكنيسة اليهودية كانت تؤمن بأن المسيا ، يجب أن يكون ابن الانسان وابن الله (٤) » .
أ . ه .

ان هذا المفسر يقول : ان المسيا لم يظهر من قبل عيسى عليه السلام ويقول : ان من اللقب المسيا : لقب ابن الله ولقب ابن الانسان . ويقول ان عيسى عليه السلام لم يقل بنفسه حتى ساعة المحاكمة بأنه هو المسيا ،
أى « المسيح »

وهذه هي المحاكمة :

المحاكمة الدينية

السؤال الأول : « تقدم شاهدا زور وقالوا : انك قلت : انى اقدر ان أنقض هيكل الله ، وفى ثلاثة أيام أبنيه » ؟ (هذا السؤال ذكره متى ومرقس)
عيسى عليه السلام : صمت

السؤال الثانى : « أسألك بصفتى رئيسا للكهنة عن تلاميذك وعن تعليمك . فماذا تقول » ؟ عيسى عليه السلام : « أنا كلمت العالم علانية . أنا علمت كل حين فى الجمع وفى الهيكل حيث يجتمع اليهود دائما ، وفى الخفاء لم أتكلم بشيء . لماذا تسألنى أنا ؟ أسأل الذين قد سمعوا ماذا كلمتهم ؟ هوذا يعرفون ماذا قلت أنا » ؟ (السؤال والاجابة عند يوحنا فقط) .

السؤال الثالث : « أستحلفك بالله الحى ان تقول لنا :

(أ) « هل أنت المسيح ابن الله » ؟ (متى) [لاحظ أنهم يسألون عن المسيح المنتظر الذى هو المسيا]

(ب) « أنت المسيح ابن المبارك » ؟ (مرقس) وفى ترجمة الكاثوليك :
« أنت المسيح ابن الله المبارك » ؟

(٤) ص ٢٠٣ ج ٣ تفسير لوقا — لمتى هنرى .

(ج) « ان كنت أنت المسيح فقل لنا » (لوقا)

عيسى عليه السلام :

(أ) « أنت قلت » (متى)

(ب) « أنا هو » (مرقس)

(ج) « ان قلت لا تصدقون ، وان سألت لا تجيبوننى ولا تطلقوننى »

(لوقا)

يلاحظ فى السؤال الأول : أن رئيس الكهنة لم يعترض على صمت

عيسى عليه السلام ، ولم يظهر غيظا ولا حنقا .

ويلاحظ فى السؤال الثانى : أنه هو عينه نفس السؤال الثالث ،

وورد بصيغة العموم ، والثالث ورد بصيغة الخصوص عن شيء معين يهمهم

فى تعاليمه .

والسؤال الثالث هو الذى يهمهم معرفة اجابته عليه . وعليه كانت

المحاكمة لذكره فى الأناجيل الثلاثة . ولأن يوحنا ذكره فى معرض سؤال

بيلاطس ، أمام السلطة المدنية . ولا تههم معرفة اجابته عليه الا علانية

وبوضوح تام . والسؤال هو : هل أنت المسيح المنتظر أم لا ؟ وماذا كانت

اجابته ؟ متى يذكر أن عيسى نفى كونه المسيح المنتظر ، أى المسيا الذى

وعد الله به على لسان موسى عليه السلام فى سفر التثنية .

ورد على « قيافا » أنت قلت . أى أنت قلت : اننى المسيح ابن الله (٥)

أما أنا فلم أقل اننى المسيح ابن الله (أى لست المسيا)

وفى رواية لوقا نجد أنه لم يعترف بأنه هو المسيح المنتظر —

لابصراحة ولا بغير صراحة — لقوله : ان قلت أنا هو أو لست أنا هو ، لا تصدقون .

وان سألت قائلًا : لماذا تسجوننى ؟ لا تجيبوننى ولا تطلقوننى . وربما يريد

(٥) يشير بلقب « ابن الله » الى قول داود عليه السلام فى مزموره

الثانى نبوءة عن المسيا : « قال لى : أنت ابنى . . . الخ » وقد اقتبس

كتاب الأناجيل فى اعمال ١٣ : ٣٣ عبرانيين ١ : ٥ و ٥ : ٥

ان يسألهم عن أوصاف المسيا في التوراة ، ليتأكدوا منها . ان كان هو أو ليس هو . لأن من أوصافه أن تبقى شريعته الى الأبد ، وسلطانه الى يوم القيامة ، والا يقتل بيد أعدائه ، وألا يكون من اليهود . ففى التوراة : « نسله الى الدهر يكون ، وكرسیه كالشمس أمامى ، مثل القمر ، يثبت الى الدهر ، والشاهد فى السماء أمين » (مزور ٨٩ : ٣٦ — ٣٧) وعيسى يبدو أمامهم لا شريعة ولا سلطان ، ولا هو بين أيديهم طليق . فكيف يكون هو المسيا ؟

ورواية يوحنا تؤكد كلام متى ولوقا . فانه أجاب بصراحة مطلقة ، واعترف اعترافا حسنا أمام السلطة المدنية بأنه ليس ملكا . وبالتالي ليس هو المسيا المنتظر فقد قال : « مملكتى ليست من هذا العالم » (١٨ : ٣٦)

ورواية مرقس وفيها ان عيسى أجاب قائلا : « أنا هو » فمعناها : أنه أت باسمى ، ودعوته دعوتى ، فكأنى أنا هو ، أو هو أنا . من باب التوقير والاحترام . وان لم يسلم النصرارى بهذا التأويل ، يلزمهم تناقض الاناجيل واضطرابها ، رواية الثلاثة أقوى من الواحد . وهى لم تتناقض ولم تضطرب فى رواية حادثة ما تناقضت واضطربت فى رواية تفاصيل المحاكمة ، التى أدت الى القتل والصلب .

والى هنا لم يحقق اليهود غرضهم فى أدانة عيسى عليه السلام . لا بالأقوال التى اتهمته بنقض الهيكل ، ولا بالأقوال التى شاعت عنه أنه المسيا .

لكن عندما نطق عيسى بقوله وهو يكمل اجابة السؤال الثالث :

« وأيضاً أقول لكم : من الآن تبصرون ابن الانسان جالسا عن يمين القوة ، وآتيا على سحاب السماء » (متى) وترجمة الكاثوليك : « ابن البشر جالسا عن يمين القدرة »

« وسوف تبصرون ابن الانسان جالسا عن يمين القوة ، وآتيا فى سحاب السما » (مرقس)

« منذ الآن يكون ابن الانسان جالسا عن يمين قوة الله » (لوقا) .

عندما نطق عيسى بهذا الكلام يتول متى : « فمزق رئيس الكهنة حينئذ ثيابه قائلا : قد جدف ما حاجتنا بعد الى شهود ؟ ها قد سمعتم تجديفه . ماذا ترون ؟ فأجابوا وقالوا : انه مستوجب الموت ؟ » وهى نفس رواية مرقس بالمعنى . ولوقا يذكر استفسارا من اليهود عقب قوله : « منذ الآن يكون ابن الانسان جالسا عن يمين قوة الله » وهذا الاستفسار هو ان الجمع قالوا لعيسى عليه السلام : « أفأنت ابن الله ؟ فقال لهم : أنتم تقولون انى أنا هو » فهو يرد على استفسار اليهود ، مصرحا بأنه ليس هو ابن الله ، بل هم الذين يقولون ذلك .

وفى النهاية حكم اليهود عليه بالموت قتلا ، ودفعوه الى بيلاطس الوالى لينفذ حكم الاعدام .

ولما قدموه الى بيلاطس الوالى ، قدموه على أنه هو المسيا المنتظر ، الذى من صفاته أن يكون ملكا ، مخلصا لليهود من ذل الأجانب . الأمر الذى من شأنه أن يغضب الرومان . وقالوا لبيلاطس : انه يزعم أنه ابن الله ، أى المسيا الرئيس ، الذى قال الله له فى المزبور الثانى لداود : « اسألنى فأعطيك الأمم ميراثا لك ، وأقاصى الأرض ملكا لك ، تحطمهم بقضيب من حديد ، مثل اناء خزاف تكسرهم » ففى رواية لوقا :

« فقام كل جمهورهم وجاءوا به الى بيلاطس وابتدأوا يشتكون عليه اننا وجدنا هذا يفسد الأمة ويمنع أن تعطى جزية لقيصر قائلا : انه هو مسيح ملك » (لوقا ٢٣ : ١٠ - ٢)

ترى لماذا مزق رئيس الكهنة ثيابه ؟ لماذا مزقها بعدما سمع أن « ابن الانسان » سوف يبصره آتيا على سحاب السماء ؟ ومن هو « ابن الانسان » هذا ، الذى مزق رئيس الكهنة ثيابه ، لما سمع عنه ؟

« ابن الانسان » هذا الذى أشار الى مجيئه عيسى عليه السلام ، هو نبي الاسلام ﷺ — وابن الانسان هذا هو المسيا — ومعنى « جالسا

عن يمين القوة « أى اذا أتى ابن الانسان ليدين العالم ، وينقض شعائر الهيكل ، ويغير العوائد التى سلمها لليهود موسى ، ويؤسس ملكوته ، فان قدرة الله تسنده .

وقوله عن « ابن الانسان » انه سيكون « جالسا عن يمين المتوة » ذكره عيسى ساعة المحاكمة لرئيس الكهنة — الذى يفهم فى الدين — لأنه هو التعبير المذكور فى التوراة عن المسيا المنتظر ، فقد جاء عنه فى كلام داود عليه السلام : « قال الرب لسيدى : اجلس عن يمينى حتى أجعل أعدائك موطئا لقدميك . . . تسلط فيما بين أعدائك ، ان شعبك متطوع يوم قدرتك ، فى بهاء القداسة ، من الجوف قبل الفجر ، لك ندى ولادتك . . . السيد عن يمينك . يحطم الملوك يوم غضبه ، يدين فى الأمم ، يملأها جنثا ، يهشم الرأس على أرض واسعة »

وعبارة « آتيا على سحب السماء » ذكرها عيسى — عليه السلام — لأن التوراة صرحت بأن ابن الانسان الذى هو المسيا المنتظر ، سيكون آتيا على سحب السماء كناية عن سرعة مجيئه ، وعلوه وارتفاعه على أعدائه ، فقد قال عنه دانيال : « كنت أرى فى رؤى الليل ، واذا مع سحب السماء مثل ابن انسان أتى وجاء الى القديم الأيام فقبوه قدامه ، فأعطى سلطانا ومجدا وملكوتا لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة . سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول ، وملكوته ما لا ينقرض » (دانيال ٧ : ١٣ — ١٤) هذا هو « ابن الانسان » الذى تدور المحاكمة عليه . فهل هو عيسى عليه السلام ، أم هو محمد ﷺ ؟

ان رئيس الكهنة يعلم من نبوءة الزمور الثانى ، ونبوءة الزمور المائة والعاشر ، وما فى سفر دانيال عن ملكوت السموات ، يعلم أنه ليس هو . لأن أوصاف النبوءات لا تنطبق عليه ، ولأنه هو لم يعترف ، لا صراحة ولا ضمنا بأنه هو .

وهذا هو نص الزمور الثانى ، الذى فيه الحديث عن المسيا ، بلقب « ابن الله »

يقول داود عليه السلام : « ٧ — انى أخبر من جهة قضاء الرب . قال لى : أنت ابنى . أنا اليوم ولدتك ، ٨ — اسألنى فأعطيك الأمم ميراثا لك ، وأتاصى الأرض ملكا لك ٩ — تحطمهم بتضيب من حديد ، مثل اثناء خراف تكسرهم ١٠ — فالآن يا أيها الملوك تعقلوا ، تأدبوا يا قضاة الأرض ، ١١ — أعبدوا الرب بخوف ، واهتفوا برعدة ، ١٢ — قبلوا الابن (٦) للنلا يغضب ، فنتبيدوا من الطريق ، لأنه عن قليل يتقد غضبه » (مزور ٢ : ٧ — ١٢)

يقول علماء الكاثوليك : « هذا المزمور الأول غفل من العنوان ، لكن لا خلاف فى أن مصنفه هو داود واليه نسب فى اعمال الرسل (٤ : ٢٥) اما موضوعه : فهو أن الشعب وملوكهم انما يقاومون الرب ومسيحه سدى (١ — ٣) وان الرب يسخر منهم (٤) وسيروعهم بغضبه (٥) وان ملكهم هو المسيح (٦) وهو ابن الله المولود فى الأزلية التى هى حال دائمة (٧) وقد أقامه الله ملكا على جميع الشعوب ، وسيحطم المقاومين بين يديه (٨ ، ٩) اذن فليخضع الملكة جميع الملوك مع شعوبهم (١٠ — ١٣) (٤) المراد بالرب هنا : الآب . وبالسيد الابن كما فى المزمور ١١٠ الذى هو فى معنى هذا المزمور (١٢) قبلوا الابن كانت عادتهم أن يقبلوا الملك تعظيما له ، كما نفعل نحن بتقبيلنا الأشياء المقدسة « أ . هـ .

هذا هو نص المزمور الثانى ، وهذا نص تعليق الكاثوليك عليه . ورئيس الكهنة يسأل عيسى عليه السلام ساعة المحاكمة : هل هو « ابن الله » الذى يتحدث عنه هذا المزمور أم لا ؟ وكانت اجابة عيسى بالنفى قطعاً ، وان لم يجب فحاله تنبىء عن النفى قطعاً ، لأنه لم يحطم المقاومين بين يديه . فان معنى الكلام : هو ان داود عليه السلام يخبر بأن مؤامرات ستقوم ضد المسيح من ملوك الأرض ورؤسائها لاهلاكه ، والله عز وجل يدرته سيحبط هذه المؤامرات ، وسينصر هذا المسيح ، ويثبت مملكته الى

(٦) يقول الدكتور فردريك فارار « اختلف القراؤون من أيام ايرينيوس أن كان معنى الكلمة الأصلية (قبلوا الابن) أم (اعبدوا ببطهارة الابن) (حياة بولس ص ٢١٥ ج ١)

الأبد . مملكته التي ستمتد الى أقاصى الأرض ، وتشمل جميع الأمم ميراثا دائما الى يوم القيامة ، ومن يقف في وجه هذا المسيح ومن لا يقبل دعوته بفرح ، سوف يباد من الطريق . وأين من هذه الأوصاف كلها عيسى عليه السلام ؟ يكفي أن يعترفوا بقتله وصلبه . وهذا الاعتراف وحده كاف في أن يبعد عيسى عن هذه الأوصاف ، لأن الأوصاف تثبت نجاته من جميع المؤامرات . وهم يثبتون بأنه لم ينجو . أما نبي الإسلام ﷺ فقد تأمر عليه الكفار واليهود والفرس والروم ، وأحبط الله مؤامراتهم وأمتد سلطانه من الجزيرة العربية الى بلاد فارس وبلاد الروم ، وعظم نفوذه في أقاصى الأرض . ومعها شريعة هادية باقية الى يوم القيامة ، فضلا عن أنه من بنى اسماعيل الذي قبل الله فيه دعاء ابراهيم بالبركة . والابن في هذا المزمور ، ابن على طريق المجاز في التعبير ، هو ابن نبوة روحية . كناية عن حب الله تعالى لهذا النبي الآتي ، وأنه سيؤيده بنصره ، وبروح من عنده ، وقد سبق في علمه أنه سيرسله نورا الى العالم ، وأخبر عن مجيئه . ومن حب اليهود لهذا النبي وتشوقهم الى مجيئه ، بلغوا عليه أوصاف العظمة والجلال ، وكتبوا عنه الكثير من آيات الثناء والاعجاب . على عاداتهم في النطق والكتابة . ومن عاداتهم أن يكتبوا في كتبهم ألفاظ مجازية كثيرة ، اذا أرادوا المبالغة في التعظيم . ومن ذلك تعبير التوراة أن اليهود آلهة ، وكلهم أبناء الله ، بجانب وصفهم بالغباء وعدم الفهم ، يقول داود على لسان الله عز وجل : « لا يعلمون ولا يفهمون في الظلمة يتمشون ، تتزعزع كل أسس الأرض . أنا قلت : انكم آلهة وبنو العلى كلكم ، لكن مثل الناس تموتون ، وكأخذ الرؤساء تسقطون » (مزمور ٨٢ : ٥ - ٧)

وليس في قول عيسى عليه السلام ان ابن الانسان الذي هو المسيح سوف يأتي ، ما يثير حفيظة اليهود عليه ، فهم ينتظرونه بفارغ الصبر . وانها الذي اثار حفيظتهم عليه هو قوله : انه لن يأتي من نسل داود ، كما كانوا يزعمون في قوله للفريسيين كما حكى متى ومرقس ولوقا وبرنابا : « ماذا تظنون في المسيح ؟ ابن من هو ؟ قالوا له : ابن داود » قال لهم : فكيف يدعوه بالروح ربا قائلا : قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى اضع اعدائك موطئا لقدميك ، فان كان داود يدعوه ربا ، فكيف يكون ابنه ؟ فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة » (متى ٢٢ : ٤١ - ٤٦)

ومعنى هذا : ان المسيح المنتظر لن يكون من نسل داود كما يزعم اليهود الصبرانيون ، لأن داود نفسه لما أشار اليه بظهر الغيب ناداه بسيده ، وكيف يكون ابنه سيده ؟ لأن الأب هو الذى يكون سيديا لابنه . اذن الآتى من غير داود ، والا ما كان يضح الميهود ، لو أن الحديث موافق لاعتقادهم .

ولما ضرب عيسى عليه السلام كثيرا من الأمثال على انتقال الملك والشريعة من اليهود الى أمة غيرهم . ومن هذه الأمثال : مثل الكرامين الأريدياء الذى قال في نهايته : « ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره » (متى ٢١ : ٤٣) . يقول متى : « ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله ، عرفوا أنه تكلم عليهم . واذا كانوا يطلبون أن يمسكوه خافوا من الجموع ، لأنه كان عندهم مثل نبي » (٢١ : ٤٥ - ٤٦) . واستطرد عيسى عليه السلام فى ضرب الأمثال على انتقال الدعوة الى جميع الأمم بدل قصر اليهود لها على أنفسهم . فذكر مثل « عرس ابن الملك » وفي نهايته يقول متى : « حينئذ ذهب الفريسيون وتشاوروا لكى يصطادوه بكلمة » (متى ٢٢ : ١٥) .

وبناء على هذا : لم تكن التهمة الموجهة الى عيسى عليه السلام انه جدف على الله ، أو أنه أخبر بقرب مجيء المسيح المنتظر ، أو أنه زعم أنه هو المسيح المنتظر . فقد رأينا براءة عيسى من هذا كله . وانما التهمة الموجهة اليه والتي جعلت اليهود يفكرون فى قتله من قبل ذلك مرارا ، وأجتمعا ليصطادوه بكلمة . هى قوله ان المسيح المنتظر ليس من نسل داود عليه السلام — خلافا لاعتقادهم — وأن الملك والنبوة سيزولان منهم الى الأبد .

وهذا الذى بيناه قد ورد فى انجيل برنابا بوضوح تام ، فقد بين أن سبب اضطهاد اليهود لعيسى عليه السلام هو قوله لهم : ان المسيا المنتظر سيأتى من أبناء اسماعيل عليه السلام ، ولتصريحه بذلك أعلنوا عن محاكمته وقتله . يقول برنابا : « ولما جاء النهار صعد يسوع الى الهيكل مع جم غفير من الشعب ، فاقرب منه رئيس الكهنة قائلا : قل لى يا يسوع : أنسيت كل ما كنت قد اعترفت به ، من أنك لست الله ، ولا ابن الله ولا مسيا . »

أجاب يسوع : لا البتة لم أنس . لأن هذا هو الاعتراف الذى أشهد به أمام
كرسى دينونة الله ، فى يوم الدينونة . لأن كل ما كتب فى كتاب موسى صحيح
كل الصحة ، فان الله خالقنا أحد ، وأنا عبد الله ، وأرغب فى خدمة رسول
الله الذى تسمونه مسيا . قال رئيس الكهنة : فما المراد اذا من المجرىء الى
التهيكل بهذا الجرم الغفير ؟ لعلك تريد أن تجعل نفسك ملكا على اسرائيل ؟
احذر من أن يحل بك خطر . أجاب يسوع : لو طلبت مجدى ورجبت فى
نصيبي فى هذا العالم ، لما هربت لما أراد أهل ناين أن يجعلونى ملكا .
حقا صدقتنى انى لست أطلب شيئا فى هذا العالم .

حينئذ قال رئيس الكهنة . . . نحب أن نعرف شيئا عن مسيا ، حينئذ
اجتمع الكهنة والكتبة والفريسيون نطاقا حول يسوع ، أجاب يسوع :
ما هو ذلك الشيء الذى تريدون أن تعرفوه عن مسيا ؟ لعله الكذب ؟
حقا انى لا أقول لك الكذب ، لأنى لو كنت قلت الكذب لعبدتني أنت والكتبة
والفريسيون ، مع كل اسرائيل . ولكن تبغضوننى وتطلبون أن تقتلونى ،
لأنى أقول لكم الحق . قال رئيس الكهنة نعم الآن أن وراء ظهرك شيطاننا ،
لأنك سامرى ولا تحترم كاهن الله . أجاب يسوع : لعمر الله ليس وراء
ظهري شيطان ولكن اطلب أن أخرج الشيطان . فلهذا السبب يثير
الشيطان على العالم .

إذا كنت أفعل الاثم وبخوننى ، يحببكم الله ، لأنكم تكونون عاملين
بحسب ارادته ، ولكن اذا لم يقدر أحد أن يوبخنى على خطيئة ، فذلك دليل
على أنكم لست أبناء ابراهيم كما تدعون أنفسكم ، ولا أنتم متحدون بذلك
الرأس الذى كان ابراهيم متحدا به . لعمر الله ان ابراهيم أحب الله ،
بحيث انه لم يكتف بتحطيم الأصنام الباطلة تحطيمها ، ولا بهجر أبيه وأمه ،
ولكنه كان يريد أن يذبح ابنه طاعة لله .

أجاب رئيس الكهنة : انما أسألك هذا ، ولا أطلب قتلك . فقل لنا :
من كان ابن ابراهيم هذا ؟ أجاب يسوع : ان غيرة شركك يا الله تؤججنى ،

* أى انه ابن داود ، لا ابن اسماعيل . كما يقول المترجم فى الهامش .

ولا أندر أن أسكت . الحق أقول : ان ابن ابراهيم هو اسماعيل الذي يجب أن يأتي من سلالة مسيا ، الموعود به ابراهيم ، أن به تتبارك كل قبائل الأرض . فلما سمع هذا رئيس الكهنة حنق وصرخ : لنرجم هذا الفاجر ، لأنه اسماعيلي ، وقد جدف على موسى وعلى شريعة الله » (برنابا ٢٠٦ - ٢٠٨)

المحاكمة المدنية

تذكر الأناجيل الاربعة أن المحاكمة المدنية تمت بعد المحاكمة الدينية ، ثم اختلفوا ، هل حاكمه بيلاطس فقط ، أم بيلاطس وهيودس ؟ وهل حاكمه بيلاطس مرة واحدة أم مرتين ؟

١ - المحاكمة الأولى أمام بيلاطس

يقول متى : « ولما كان الصباح تشاور جميع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب على يسوع حتى يقتلوه ، فأوثقوه ومضوا به ودفعوه الى بيلاطس البنطى الوالى » (٢٧ : ١) . ويقول مرقس : « وللوقت فى الصباح تشاور رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة والجمع كله ، فأوثقوا يسوع ومضوا به وأسلموه الى بيلاطس » (١٥ : ١) . ويقول لوقا : « فقام كل جمهورهم وجاءوا به الى بيلاطس » (٢٣ : ١) ويقول يوحنا : « ثم جاءوا بيسوع من عند قيافا الى دار الولاية ، وكان صبح ولم يدخلوا هم الى دار الولاية ، لكى لا يتنجسوا فيأكلون الفصح » فخرج بيلاطس اليهم وقال : أية شكايه تقدمون على هذا الانسان ؟ » (١٨ : ٢٨ - ٢٩)

وأمام بيلاطس فى دار الولاية ، وجه اليه بيلاطس الأسئلة الآتية :

السؤال الأول :

- ١ (أ) أنت ملك اليهود ؟ (متى) .
- ٢ (ب) أنت ملك اليهود ؟ (مرقس) .
- ٣ (ج) أنت ملك اليهود ؟ (لوقا) .
- ٤ (د) أنت ملك اليهود ؟ (يوحنا) .

عيسى عليه السلام :

(أ) أنت تقول ؟ (متى) .

(ب) أنت تقول ؟ (مرقس) .

(ج) أنت تقول ؟ (لوقا) .

(د) أمن ذاتك تقول هذا ؟ أم آخرون قالوا لك عنى ؟ (يوحنا)

يلاحظ هنا : عدم الاعتراف من عيسى عليه السلام . فلم يقل أنا قلت ، بل رد على الموالى بقوله : أنت تقول ذلك ، أما أنا فلم أقل . والعبارة التي أوردها يوحنا أوفى بالغرض المطلوب ، ومعناها : أنا لم أقل . فهل أنت تقول هذا من نفسك ، لتختبرنى ، أم وشى بذلك الواشون على ؟ السؤال الثانى : « ان رؤساء الكهنة والمكتبة والشيوخ يشتكون عليك ، أما نسمع كم يشهدون عليك ؟ » (متى ومرقس) .

عيسى عليه السلام : صمت

السؤال الثالث : لما رد عيسى عليه السلام على بيلاطس بقوله له : « أمن ذاتك تقول هذا ، أم آخرون قالوا لك عنى ؟ أجابه بيلاطس : العلمى أنا يهودى ؟ أمك ورؤساء الكهنة أسلموك الى . ماذا فعلت ؟ » (يوحنا ١٨ : ٣٥)

عيسى عليه السلام : « مملكتى ليست من هذا العالم ، لو كانت مملكتى من هذا العالم لكان خدامى يجاهدون لكى لا أسلم الى اليهود ، ولكن الآن : ليست مملكتى من ههنا » (يوحنا)

يلاحظ هنا : عدم الاعتراف . ولو كان هو المسيا المنتظر ما أهانه أعداؤه ، فان من أوصافه أن يغلب ، لا أن يغلب هو .

السؤال الرابع : « أفانت اذا ملك ؟ »

عيسى عليه السلام : « أنت تقول : انى ملك . لهذا قد ولدت . أنا . ولهذا قد أتيت الى العالم ، لأشهد للحق ، كل من هو من الحق . يسمع صوتى » (يوحنا)

يلاحظ هنا عدم الاعتراف أيضا . وعبارة « لهذا قد ولدت » معناها : قد ولدت لأخبر اليهود بمجيء المسيح ، لان التوراة تنبأت عن يهية الطريق لنبي الاسلام . في قول ملاخي : « ها انا ارسل امام وجهك ملاكي » وقد أتيت لأشهد للحق ، أى لحيى نبي الاسلام حتى لا يرفضه اليهود فيهلكون (ملاخي ٣ : ١ - ٤) .

السؤال الخامس : « ما هو الحق ؟ » وهنا خرج بيلاطس الى اليهود ، ولم ينتظر حتى يسمع اجابة من عيسى عليه السلام « وقال لهم : انا لست أجد فيه علة واحدة » (يوحنا)

ب - المحاكمة الثانية امام هيرودمس

وانفرد لوقا وحده بان بيلاطس لما فرغ من سؤاله ، قال لرؤساء الكهنة والجموع : « انى لا أجد علة في هذا الانسان ، فكانوا يشددون قائلين : انه يهيج الشعب وهو يعلم في كل اليهودية مبتدئا من الجليل الى هنا ، فلما سمع بيلاطس ذكر الجليل . سأل : هل الرجل جليلى ؟ وحين علم أنه من سلطنة هيرودمس ، أرسله الى هيرودمس اذ كان هو أيضا تلك الأيام في أورشليم . وأما هيرودمس فلما رأى يسوع فرح جدا ، لأنه كان يريد من زمان طويل أن يراه لسماعه عنه أشياء كثيرة . وترجى أن يرى آية تصنع منه . وسأله بكلام كثير فلم يجبه بشيء ، ووقف رؤساء الكهنة والكتبة يشتكون عليه باشتداد ، فاحتقره هيرودمس مع عسكره ، واستهزأ به وألبسه لباسا لامعا ، وردة الى بيلاطس ، فصار بيلاطس وهيرودمس صديقين مع بعضهما في ذلك اليوم ، لأنهما كانا من قبل في عداوة بينهما » (٢٣ : ٤ - ١٢)

نتيجة المحاكمة

روى متى أن بيلاطس الوالى الرومانى « أخذ ماء وغسل يديه قدام الجميع قائلا : انى برىء من دم هذا البار ، فأجاب جميع الشعب وقالوا : دمه علينا وعلى اولادنا . » (٢٧ : ٢٤ - ٢٥)

وروى مرقس أن بيلاطس « عرف ان رؤساء الكهنة كانوا قد اسلموه حسدا » ولما صرخ اليهود يطلبون صلبه بعد المحاكمة « قال لهم بيلاطس :
وأى شر عمل ؟ فازدادوا جدا صراخا : اصلبه » (١٥ : ١٠ - ١٤)

وروى لوقا عن بيلاطس : « أى شر عمل هذا ؟ انى لم أجد فيه
علة للموت ، فأنا أؤدبه وأطلقه » (٢٣ : ٢٢) . وروى يوحنا : « أنا
لست أجد فيه علة واحدة ، ولكم عادة أن أطلق لكم واحدا فى الفصح .
أقتريدون أن أطلق لكم ملك لليهود ؟ فصرخوا أيضا جميعهم قائلين : ليس
هذا بل باراباس . وكان باراباس لصا » (١٨ : ٣٨ - ٤٠)

ج - المحاكمة الثانية عند بيلاطس

وقد أغفلها متى ومرقس ولوقا ، وذكرها يوحنا وحده ، كما ذكر
وحده مثول عيسى - عليه السلام - امام حنان رئيس الكهنة دون
الثلاثة . يقول يوحنا بعد المحاكمة الأولى : « حينئذ أخذ بيلاطس يسوع
وجلده ، وضفر العسكر اكليلا من شوك ، ووضعوه على رأسه والبسوه
ثوب أرجوان ، وكانوا يقولون : السلام يا ملك اليهود : وكانوا يلطمونه ،
فخرج بيلاطس أيضا خارجا ، وقال لهم : ها أنا أخرجك اليكم ، لتعلموا
أنى لست أجد فيه علة واحدة ، فخرج يسوع خارجا وهو حامل اكليل
المشوك ، وثوب الأرجوان . فقال لهم بيلاطس : هو ذا الانسان . فلما
راه رؤساء الكهنة والخدام صرخوا قائلين : اصلبه ، وقال لهم بيلاطس :
خذوه أنتم واصلبوه . لأنى لست أجد فيه علة . أجاب اليهود : لنا
ناموس . وحسب ناموسنا يجب ان يموت لأنه جعل نفسه ابن الله .
فلما سمع بيلاطس هذا القول ازداد خوفا . فدخل أيضا الى دار الولاية .
وقال ليسوع :

من أين أنت ؟

وأما يسوع : فلم يعطه جوابا

فقال له بيلاطس : أما تكلمنى ؟ ألسنت تعلم أن لى سلطانا أن
أصليك وسلطانا أن أطلقك ، أجاب يسوع : لم يكن لك على سلطانا

البنية ، لو لم تكن قد أعطيت من فوق . لذلك الذى أسلمنى اليك ، له خطية اعظم .

من هذا الوقت كان بيلاطس يطلب أن يطلقه ، ولكن اليهود كانوا يصرخون قائلين : ان أطلقت هذا ، فلست محبا لقيصر ، كل من يجعله نفسه ملكا يتقاوم قيصر . . . فحينئذ أسلمه اليهم ليصلب « (١٩ : ١ — ١٢ : ١٦)

وجه الشبه بين المحاكمة الدينية والمدنية

١ — فى المحاكمة المدنية نجد أن السؤال الأول :

أنت ملك اليهود ؟

هو نفس السؤال الثالث فى المحاكمة الدينية . وهو : « أنت المسيح ابن الله » ؟

والسؤال الثالث فى المحاكمة الدينية هو عماد المحاكمة ، والأول هو عماد المحاكمة فى المحاكمة المدنية . والأسئلة التى بعدها تتردد حول معنى السؤال الأول كما ترى . ولذلك لم يذكرها الا يوحنا وحده . وعليه فان غرض المحاکمتين واحد بلا جدال . وكانت الاجابة فى المحاكمة المدنية هى نفس الاجابة فى المحاكمة الدينية . وهى انه لم يصرح بأنه يريد الملك ، ولم يقل انه ملك . ولذلك كان بريئا أمام الوالى .

وافترأ اليهود بأن عيسى — عليه السلام — يرغب فى مقاومة الرومان ، هو افترأ قديم . فكروا فيه من قبل . وسألوا فيه عيسى عليه السلام أمام أنصار هيرودس الملك ليبلغوا هيرودس فيقتله . يقول متى : « أرسلوا اليه تلاميذهم مع الهيرودسيين ، قائلين : يا معلم نعم أنك صادق ، وتعلم طريق الله بالحق ، ولا تبالى بأحد ، لأنك لا تنظر الى وجوه الناس ، فقل لنا : ماذا نظن ؟ أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا ، فعلم يسوع خبثهم وقال : لماذا تجربوننى يا مراعون ؟ أرونى معاملة

الجزية . فقدموا له دينارا . فقال لهم : لمن هذه الصورة والكتابة ؟ قالوا له : لقيصر . فقال لهم : أعطوا اذا ما لقيصر لقيصر ، وما لله الله . فلما سمعوا تعجبوا وتركوه ومضوا » (متى ٢٢ : ١٦ - ٢٢)

ومن هذه الاعترافات التي أجمعت الأنجيل عليها ، يتضح أن المسيح المنتظر ، وهو المسيا الذي أشارت اليه التوراة ليس هو عيسى عليه السلام بأى حال من الأحوال .

ولما فسدت خطة اليهود في حمل الموالى على قتله ، لأنه يريد الملك . لجأوا في المحاكمة الثانية أمام بيلاطس الى ادعاء آخر وهو أنه يزعم أنه « ابن الله » ويقصدون بذلك التهميه على بيلاطس ، فان معنى « ابن الله » ليس ابنا طبيعيا ، حتى يتهم بالتجديف على الله تعالى . وانما هو وارد في التوراة عن المسيح المنتظر الذى هو المسيا ، والذى اذا أطلق هو منفردا ، لا يدل الا على المسيح المنتظر ، وهو لقب وارد في الزمور الثانى لداود عليه السلام فى قوله : « انى أخبر من جهة قضاء الرب . قال لى : أنت ابنى أنا اليوم ولدتك ، اسألنى فأعطيك الأمم ميراثا لك ، وأقاصى الأرض ملكا لك ، تحطمهم بقضيب من حديد ، مثل اناء خزاف تكسرهم » (٧-٩) ولذلك أيضا سأله بيلاطس ، وحكم بنزاهته من هذا الادعاء .

ترى ما السبب اذا فى حنق اليهود عليه . اذا كان هو بريئا أمام السلطة الدينية والمدنية من ادعاء أنه المسيح المنتظر ؟ ولقد قلنا : ان تنبئه بهجاء المسيح من بعده سريعا ، ليس تهمة تستحق الحنق ، فانهم الى الآن فى شوق اليه ، ويكادون يطيطون من الفرح اذا سمعوا عن يقول انه هو المسيح ، حتى ولو كان كاذبا . والسبب فى حنقهم هو تسوله : ان المسيح المنتظر من اولاد اسماعيل عليه السلام . وماذا عليهم فى ذلك ؟ يقول برنابا مبينا تفكيرهم حيال النبي الآتى من بنى اسماعيل : « ماذا يكون الثمر اذا تركنا هذا الانسان يعيش ؟ من المؤكد أن الاسماعيليين يصيرون ذوى وجهة عند الرومانيين ، فيعطونهم بلادنا ملكا . وهكذا يصير اسرائيل عرضة للعبودية كما كان قديما » (بر ١٤٢ : ١٩ - ٢١)

ثم يستطرد برنابا فيحكى كيفية المؤامرة ويقول : « فلما سمع رئيس الكهنة هذا الرأي . أجاب أنه يجب أن يتفق مع هيرودس والوالي ، لأن الشعب كثير الميل اليه ، حتى أنه لا يمكننا إجراء شيء بدون الجند ، وإن شاء الله نتمكن بواسطة الجند من القيام بهذا العمل . فبعد أن تشاوروا مدينا بينهم ائثروا على امساكه ليلا ، متى رضى الوالى ، وهيرودس بذلك » (١٤٢ : ٢٢ - ٢٥)

ثم يذكر برنابا أنهم لما هموا بقتله وصلبه ، التى الله شبه عيسى على الظلمة الخائن وهو يهوذا الاسخريوطى ، فحوكم مكانه ، وقتل بدله وصلب .

وبرنابا صادق في قوله . لأن يوحنا كتب في انجيله ما نصه : « فكثيرون من اليهود الذين جاءوا الى مريم ، ونظروا ما فعل يسوع . آمنوا به . وأما قوم منهم ، فمضوا الى الفريسيين ، وقالوا لهم عما فعل يسوع . فجمع رؤساء الكهنة والفريسيون مجعما . وقالوا : ماذا نضع ؟ فان هذا الانسان يعمل آيات كثيرة . ان تركناه هكذا يؤمن الجميع به . فيأتى الرومانيين ويأخذون موضعنا وأمنا . . . فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه » (يو ١١ : ٤٥ - ٥٣)

لقد بين يوحنا أنهم لو تركوا عيسى عليه السلام ، فسيأتى الرومانيون لاحتلال اورشليم . وبين برنابا أنهم لو تركوه فسيأتى الاسماعيليون لاحتلال اورشليم . فمن منهما هو الصادق ؟ انه اذا تبين للدارسين أن عيسى عليه السلام قد ولد بعد احتلال الرومانيين لأورشليم بثلاث وستين سنة (٧) ، يتبين لهم أن برنابا هو الصادق . واذا تبين

(٧) يقول متى هنرى فى تفسيره لانجيل متى ما نصه : « كانت اليهودية منذ نحو مئة سنة ، قد أخضعها « بومبى » ومنذ ذلك الحين ، صارت مستعمرة لروما ، وكانت أخيرا جزءا من اقليم سوريا ، تخضع لحاكم سوريا ، الذى كان تحته ولاة كثيرون ، كان أهم عمل لهم تحصيل الايرادات ، لكنهم فى بعض الأحيان - كما هو الحال مع بيلاطس - كانت =

لهم أن لاسماعيل بركة في الأمم منصوص عليها في سفر التكوين ، يتبين لهم أن برنابا هو الصادق . واذا قرأوا في سفر أعمال الرسل : ان أول من دعا الناس الى أن عيسى هو المسيا ، هو بولس من بعد رفع عيسى الى السماء يتبين لهم أن برنابا هو الصادق .

ففي سفر أعمال الرسل أن بولس — من بعد رفع عيسى الى السماء — زعم أنه وهو ذاهب الى « دمشق » قد أبرق حوله بغتة نور من السماء ، فسقط على الأرض ، وسمع صوتا قائلا له : شاول . شاول . لماذا تضطهدي ؟ فقال له : من أنت يا سيد ؟ فقال الرب : أنا يسوع الذي أنت تضطهده . وعلى اثر ذلك آمن واعتمد « وتناول طعاما فتقوى . وكان شاول مع التلاميذ الذين في دمشق أياما ، وللوقت جعل يركز في الجامع بالمسيح : أن هذا هو ابن الله « أ ع ٩ : ١٩ — ٢٠ » « وأما شاول فكان يزداد قوة ويحير اليهود الساكنين في دمشق : أن هذا هو المسيح « (أ ع ٩ : ٢٢)

انظر . لقد جهر بولس بأن عيسى هو « ابن الله » أي المسيا المنتظر الذي تنبأ عنه داود بلقب « ابن الله » في الزمور الثاني ، وقال لليهود في دمشق : ان عيسى هو « المسيح » الذي هو المسيا . مع أن عيسى عليه السلام لم يعترف ساعة المحاكمة بأنه هو ابن الله الذي هو المسيا — كما هو واضح من روايات الأناجيل الاربعة وانجيل برنابا —

وفي الأناجيل الاربعة وانجيل برنابا أنه قبل المحاكمة بأيام كثيرة — وكلامه وقت المحاكمة هو آخر كلام يستدل به على دعوته —

= لهم كل سلطة الحكام . كان هذا دليلا واضحا على أن القضيبي قد زال من يهوذا ، ولذا فكان لا بد أن يأتي « شيلوه » وفقا لنبوذا يعقوب (تك ٤٩ : ١٠) أما بيلاطس فقد وصفه كتاب عصره الرومانيين ، بأنه رجل فظ متكبر ، عنيد لا يرحم ، في غاية الجشع والطمع . كان اليهود يكرهونه جدا ، وقد ملوا من حكمه « (ج ٤ ص ٣٤٢)

كان قد وبخ تلاميذه وانتهرهم ، على أنهم ظنوا أنه هو المسيا — الذى تفسيره المسيح — .

ففى الأناجيل : أن عيسى عليه السلام سأل تلاميذه : « ما قولكم فى » ؟ أجاب بطرس : « انك المسيح ابن الله » أى أنت المسيا . فماذا حدث من عيسى عليه السلام لما سمع بهذه الاجابة ؟ يقول برنابا : « فغضب حينئذ يسوع وانتهره بغضب قائلا : اذهب وانصرف عنى . لأنك أنت الشيطان وتحاول أن تسيء الى . ثم هدد الأحد عشر قائلا : ويل لكم ان صدقتم هذا ، لأنى ظفرت بلعنة كبيرة من الله على كل من يصدق هذا » (برنابا ٧٠ : ٤ — ٧) ويقول مرقس : « ثم خرج يسوع وتلاميذه الى قرى قيصرية فيلبس . وفى الطريق سأل تلاميذه قائلا لهم : من يقول الناس انى أنا ؟ فأجابوا : يوحنا المعمدان . وآخرون ايلياء . وآخرون واحد من الأنبياء . فقال لهم : وأنتم من تقولون انى أنا ؟ فأجاب بطرس وقال له : أنت المسيح . فانتهرهم كى لا يقولوا لأحد عنه » (مر ٨ : ٢٧ — ٣٠) ويقول لوقا : « فأجاب بطرس وقال : مسيح الله . فانتهرهم وأوصى أن لا يقولوا ذلك لأحد » (لو ٩ : ٢٠ — ٢١)

ومن هذه الاجابة يتبين أن عيسى عليه السلام لم يعلن لتلاميذه أنه هو « المسيح » وانتهرهم وأوصاهم أن لا يقولوا انه هو المسيح .

والنصارى لما غلبوا على أمرهم من قبل الرومان واليهود ، وزعموا : ان عيسى هو المسيح ، وما كنا عارفين بأنه المسيح إلا بعد قتله وصلبه وقيامته من بين الأموات ، كتبوا عبارات لتدل على زعمهم وحشروها فى الأناجيل حشرا . ففى انجيل متى : « قال لهم : وأنتم من تقولون انى أنا ؟ فأجاب بطرس وقال : أنت هو المسيح ، ابن الله الحى . فأجاب يسوع وقال له : طوبى لك يا سمعان بن يونا . ان لحما ودما لم يعلن لك . لكن أبى الذى فى السموات . وأنا أقول لك ايضا : أنت بطرس . وعلى هذه الصخرة أبنى كنيسة ، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها . واعطيك

مفاتيح ملكوت السموات . فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات وكل ما تحطه على الأرض يكون محلولاً في السموات . حينئذ أوصى تلاميذه أن لا يقولوا لأحد : انه يسوع المسيح .

من ذلك الوقت ابتداءً يسوع يظهر لتلاميذه أنه ينبغي أن يذهب إلى أورشليم ، ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل وفي اليوم الثالث يقوم . فأخذ بطرس إليه وابتداءً ينتهره قائلاً : حاشاك يارب . لا يكون لك هذا . فالتفت وقال لبطرس : اذهب عنى يا شيطان . أنت معثرة لى ، لأنك لا تهتم بما لله ، لكن بما للناس » (متى ١٦ : ١٥ — ٢٣) .

هذا نص انجيل متى بحروفه . فما هي مواضع التحريف فيه ؟ أول موضع للتحريف في هذا النص : أنه مدح بطرس على قوله له « أنت المسيح ابن الله الحي » أى أن عيسى هو المسيح . وهذا المدح موضوع للتحريف . لأنه في نهاية النص أوصاهم أن لا يقولوا لأحد انه يسوع المسيح ، ولأنه قال لبطرس : اذهب عنى يا شيطان .

والموضع الثانى : أنه تنبأ بقتله وصلبه وقيامته من بين الأموات بعد ثلاثة أيام . وهذا باطل من القول ، لأنه دخل القبر — كما يزعمون — في الساعة التاسعة من بدء نهار الجمعة ، وخرج من القبر في ظلام ليل الأحد (٨) — الذى هو أول أيام الأسبوع عند اليهود — فلم يمكث لا ثلاثة أيام ولا ثلاث ليال .

والموضع الثالث : أنه جعل التحريم والتحليل في يد بطرس —

(٨) يقول مرقس « وباكراً جداً فى أول الأسبوع أتينا إلى القبر ، إذ طلعت الشمس » (مرقس ١٦ : ٢) ويقول متى : « وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع » (متى ٢٨ : ١) ويقول يوحنا : « وفى أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية إلى القبر باكراً ، والظلام باق » (يوحنا ٢٠ : ١)

شمعون الصفا — دون سائر التلاميذ ، وهذا لا يناسبه وصف بطرس
بالشيطان دون سائر التلاميذ .

والموضع الرابع : ان اذن عيسى عليه السلام لبطرس بأن يشرع من
تلقاء نفسه ويحل ويحرم كما يرى ، هو مناقض لقول عيسى عليه السلام
في ما رواه متى نفسه في الأصحاح الثالث والعشرين من انجيله وهو :
« على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون . فكل ما قالوا لكم أن
تحفظوه فاحفظوه وافعلوه . ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا ، لأنهم يقولون
ولا يفعلون » فانه في هذا القول يحيل أتباعه الى علماء بنى اسرائيل ،
ليأخذوا منهم الدين ، ومنهم من يؤمن به ، ومنهم من لا يؤمن به . وهو
بهذا القول يكون مصدقا للتوراة ، غير مهيمن عليها . ويكون محرما على
بطرس وعلى غير بطرس أن يشرعوا من الدين ما لم يأذن به الله . فان
صاحب الشريعة من بعد موسى عليه السلام هو محمد ﷺ (٩) .



وقد أوردنا محاكمة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام من الأناجيل
الاربعة ، لتدل على أنه ليس هو المسيا المنتظر ، بحسب ظاهر النصوص
التي يسلمون بقدسيتها . وهذه المحاكمة أوردتها برنابا في انجيله ليهودا
الاسخريوطى ، التلميذ الذى خان معلمه ، ودل عليه الرومان واليهود
ليقتلوه . وهذا هو نص المكتوب في انجيل برنابا :

النص : « خرج يسوع من البيت ، ومال الى البستان ، ليصلى .
فجثا على ركبته مئة مرة معفرا وجهه كعادته في الصلاة . ولما كان يهودا
يعرف الموضع الذى كان فيه يسوع مع تلاميذه ، ذهب الى رئيس الكهنة .
وقال : اذا أعطيتنى ما وعدت به ، أسلم هذه الليلة ليدك يسوع الذى

(٩) أعطى الله بنى اسماعيل الملك ، ونزعه من بنى اسحق . لكى
تتحقق بركة اسماعيل فى الأمم . وفى أول سورة آل عمران تحدث الله
عز وجل عن التوراة والانجيل ، ثم بين أنه أنزل الفرقان ، ونزع الملك
والنبوة من بنى اسحق الى الأبد فى قوله : « قل اللهم مالك الملك .. الخ

تطلبونه ، لأنه منفرد مع أحد عشر رفيقا . اجاب رئيس الكهنة : كم تطلب ؟ قال يهوذا : ثلاثين قطعة من الذهب .

فحينئذ عد له رئيس الكهنة النقود فوراً ، وأرسل فريسيا الى الوالى وهيرودس ليحضر جنودا . فأعطياه منها ، لأنها خافا الشعب . فأخذوا من ثم أسلحتهم ، وخرجوا من اورشليم بالمشاعل والمصابيح على العصى .

ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذى كان فيه يسوع ، سمع يسوع دنو جم غفير ، فلذلك انسحب الى البيت خائفا وكان الأحد عشر نياما . فلما رأى الله الخطر على عبده ، أمر جبريل وميخائيل ورفائيل وأوريل ، سفراءه ، أن يأخذوا يسوع من العالم .

فجاء الملائكة الأطهار ، وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب ، فحملوه ووضعوه فى السماء الثالثة فى صحبة الملائكة التى تسبح الله الى الأبد .

ودخل يهوذا بعنف الى الغرفة التى أصعد منها يسوع . وكان التلاميذ كلهم نياما . فأتى الله العجيب ، بأمر عجيب . فتغير يهوذا فى النطق وفى الوجه ، فصار شبها بيسوع ، حتى أننا اعتقدنا أنه يسوع . أما هو فبعد أن أيقظنا ، أخذ ينتش ، لينظر أين كان المعلم . لذلك تعجبنا وأجبنا : أنت يا سيد هو معلمنا . أنسيتنا الآن ؟ أما هو فقال مبتسما : هل انتم أغبياء ، حتى لا تعرفون يهوذا الاسخريوطى . وبينما كان يقول هذا ، دخلت الجنود وألقوا أيديهم على يهوذا ، لأنه كان شبيها بيسوع من كل وجه . أما نحن فلما سمعنا قول يهوذا ورأينا جمهور الجنود ، هربنا كالمجانين .

ويوحنا الذى كان ملتفا بملحفة من الكتان ، استيقظ وهرب . ولما أمسكه جندى بملحفة الكتان ، ترك ملحفة الكتان وهرب عريانا ، لأن الله سمع دعاء يسوع وخلص الأحد عشر من الشر .

فأخذ الجنود يهوذا وأوثقوه ، ساخرين منه . لأنه أنكر — وهو صادق — أنه هو يسوع . فقال الجنود مستهزئين به : يا سيد : لا تخف لأننا قد أتينا لنجعلك ملكا على إسرائيل ، وانما أوثقناك ، لأننا نعلم أنك ترفض المملكة . أجاب يهوذا : لعلمك جننتم . انكم أتيتم بسلاح ومصابيح لتأخذوا يسوع الناصري ، كأنه لص . أفنوثقوننى أنا الذى أرشدتكم لنجعلونى ملكا ؟

حينئذ خان الجنود صبرهم ، وشرعوا يمتهنون يهوذا بضربات ورفسات ، وقادوه بحق الى اورشليم .

وتبع يوحنا وبطرس الجنود من بعد وأكد للذى يكتب : أنها شاهدا كل التحرى الذى تحراه بشأن يهوذا رئيس الكهنة ومجلس الفريسيين ، الذين اجتمعوا ليقتلوا يسوع . فتكلم من ثم يهوذا كلمات جنون كثيرة ، حتى أن كل واحد أغرب فى الضحك ، معتقدا أنه بالحقيقة يسوع ، وأنه يتظاهر بالجنون خوفا من الموت . لذلك عصب الكتبة عينيه بعصابة ، وقالوا له مستهزئين : يا يسوع نبي الناصريين فانهم هكذا كانوا يدعون المؤمنين بيسوع ، قل لنا : من ضربك ؟ ولطموه وبصتوا فى وجهه .

ولما أصبح الصباح ، التأم المجلس الكبير للكتبة وشيوخ الشعب ، وطلب رئيس الكهنة مع الفريسيين شاهدا زور ، على يهوذا ، معتقدين أنه يسوع . فلم يجدوا مطلبهم . ولماذا أقول : ان رؤساء الكهنة اعتقدوا أن يهوذا يسوع ؟ بل ان التلاميذ كلهم مع الذى يكتب اعتقدوا ذلك ، بل أكثر من ذلك أن أم يسوع العذراء المسكينة ، مع أقاربه وأصدقائه ، اعتقدوا ذلك ، حتى أن حزن كل واحد كان يفوق التصديق . لعمر الله ان الذى يكتب نسى كل ما قاله يسوع : من أنه يرفع من العالم وأن شخصا آخر سيغيب باسمه وأنه لا يموت الا وشك نهاية العالم . لذلك ذهب الذى يكتب مع أم يسوع ومع يوحنا الى الصليب .

فأمر رئيس الكهنة أن يؤتى بيسوع موثقا أمامه ، وسأله عن

قلايذه ، فلم يجب يهوذا بشيء في الموضوع ، كأنه جن . حينئذ استخلفه
رئيس الكهنة باله اسرائيل الحى أن يقول الحق .

اجاب يهوذا : لقد قلت لكم : انى يهوذا الاسخريوطى ، الذى وعد
أن يسلم الى أيديكم يسوع الناصرى . أها أنتم فلا أدري بأى حيلة قد
جننتم ، لأنكم تريدون بكل وسيلة أن أكون أنا يسوع .

اجاب رئيس الكهنة : أيها الضال المضل . لقد ضللت كل اسرائيل
بتعليك وآياتك الكاذبة مبتدئا من الجليل حتى اورشليم هنا . افخييل
لك الآن أن تنجو من العقاب الذى تستحقه ، والذى أنت أهل له بالتظاهر
بالجنون ؟ لعمر الله أنك لا تنجو منه . وبعد أن قال هذا ، أمر خدمه
أن يوسعوه لطما ورفسا ، لكى يعود عقله الى رأسه . ولقد أصابه
من الاستهزاء على يد خدم رئيس الكهنة ما يفوق التصديق . لأنهم اخترعوا
أساليب جديدة بغيرة ، ليفكهاوا المجلس . فألبسوه لباس مشعوز ،
وأوسعوه ضربا بأيديهم وأرجلهم ، حتى أن الكنعانيين أنفسهم ، لو رأوا
ذلك المنظر ، لتحننوا عليه . ولكن قست قلوب رؤساء الكهنة والفريسيين
وشيوخ الشعب على يسوع ، الى حد سروا معه أن يروه معاملا هذه
المعاملة ، معتقدين أن يهوذا هو بالحقيقة يسوع .

ثم قادوه بعد ذلك موثقا الى الوالى ، الذى كان يحب يسوع سرا .
ولما كان يظن أن يهوذا هو يسوع ، أدخله غرفته وكلمه سائلا اياه ، لأى
سبب قد سلمه رؤساء الكهنة والشعب الى يديه ؟

اجاب يهوذا : لو قلت لك الحق لما صدقتنى ، لأنك قد تكون
مخدوعا ، كما خدع الكهنة والفريسيون . اجاب الوالى (ظانا أنه أراد أن
ينكلم عن الشريعة) : ألا تعلم أنى لست يهوديا ؟ ولكن الكهنة وشيوخ
الشعب قد سلموك ليدى . فقل لنا الحق ، لكى أفعل ما هو عدل ، لأن
لى سلطانا أن اطلقك وأن أمر بقتلك . اجاب يهوذا : صدقتنى يا سيد
أنك اذا أمرت بقتلى ترتكب ظلما كبيرا ، لأنك تقتل بريئا . لأنى أنا يهوذا
الاسخريوطى ، لا يسوع الذى هو ساحر ، فحولنى هكذا بسحره .

فلما سمع الوالى هذا تعجب كثيرا ، حتى أنه طلب أن يطلق سراحه .
لذلك خرج الوالى وقال مبتسما : من جهة واحدة على الأقل لا يستحق
هذا الانسان الموت بل الشفقة . ثم قال الوالى : ان هذا الانسان يقول :
انه ليس يسوع بل يهوذا ، الذى قاد الجنود ليأخذوا يسوع . ويقول :
ان يسوع الجليلى قد حوله هكذا بسحره . فاذا كان هذا صدقا ، يكون
قتله ظلما كبيرا ، لأنه يكون بريئا ، ولكن اذا كان هو يسوع وينكر أنه
هو ، فمن المؤكد أنه قد فقد عقله ، ويكون من الظلم قتل مجنون .

حينئذ صرخ رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب مع الكتبة والفريسيين ،
بصخب قائلين : انه يسوع الناصرى فانتنا نعرفه ، لأنه لو لم يكن هو
المجرم ، لما اسلمناه ليديك ، وليس هو بمجتون ، بل بالحرى خبيث لأنه
بحيلته هذه يطلب أن يتجو من أيدينا . واذا نجا تكون الفتنة التى يثيرها
شرا من الأولى .

أما بيلاطس (وهو اسم الوالى) فلكى يتخلص من هذه الدعوى ،
قال : انه جليلى . وهيرودس هو ملك الجليل . فليس من حقى الحكم
فى هذه الدعوى ، فخذوه الى هيرودس . فقادوا يهوذا الى هيرودس ،
الذى طالما تمنى أن يذهب يسوع الى بيته . ولكن يسوع لم يرد قط أن
يذهب الى بيته ، لأن هيرودس كان من الأمم وعبد الآلهة الباطلة الكاذبة ،
عائشا بحسب عوائد الأمم النجسة . فلما قيد يهوذا الى هناك سأله هيرودس
عن اشياء كثيرة ، لم يحسن يهوذا الاجابة عنها ، منكرًا أنه هو يسوع .
حينئذ سخر به هيرودس مع بلاطه كله ، وأمر أن يلبس ثوبا
أبيض ، كما يلبس الحمقى ، وردّه الى بيلاطس قائلا له : لا تقصر فى
اعطاء العدل بيت اسرائيل .

وكتب هيرودس هذا ، لأن رؤساء الكهنة والكتبة والفريسيين ،
أعطوه مبلغا كبيرا من النقود . فلما علم الوالى من أحد خدم هيرودس
ان الأمر هكذا ، تظاهر بأنه يريد أن يطلق سراح يهوذا ، طمعا فى نيل
شئ من النقود ، فأمر عبيده الذين دفع لهم الكتبة نقودا ليقتلوه ، أن
يجلدوه . ولكن الله الذى قدر العواقب ، ألقى يهوذا للصليب ، ليكابد

ذلك الموت المهائل الذى كان أسلم اليه آخر . فلم يسمح بموت يهوذا تحت الجلد ، مع أن الجنود جلدوه بشدة ، سال معها جسمه دما . ولذلك البسوه ثوبا قديما من الارجوان تهكما ، قائلين : يليق بملكنا الجديد أن يلبس حلة ويتوج .

فجمعوا شوكا وصنعوا اكليلا ، شبيها بأكاليل الذهب والحجارة الكريمة ، التى يضعها الملوك على رعوسهم ، ووضعوا اكليل الشوك على رأس يهوذا ، ووضعوا فى يده قصبه كصولجان ، وأجلسوه فى مكان عال . وور من أمامه الجنود ، حائنين رعوسهم ، تهكما ، مؤدبين له السلام ، كأنه ملك اليهود ، وبسطوا أيديهم لينالوا الهبات التى اعتاد اعطاءها الملوك الجدد . فلما لم ينالوا شيئا ضربوا يهوذا قائلين : كيف تكون اذن متوجا أيها الملك اذا كنت لا تهب الجنود والخدم ؟

فلما رأى رؤساء الكهنة مع الكتبة والفريسيين أن يهوذا لم يمت من الجلد ، ولما كانوا يخافون أن يطلق بيلاطس سراحه ، أعطوا هبة من النقود للوالى ، فتناولها وأسلم يهوذا للكتبة والفريسيين ، كأنه مجرم يستحق الموت . وحكموا بالصلب على لصين معه . فقادوه الى جبل الجبجبة ، حيث اعتادوا شنق المجرمين . وهناك صلبوه عريانا ، مبالغة فى تحقيره . ولم يفعل يهوذا شيئا سوى الصراخ : يا الله لماذا تركتني ، فان المجرم قد نجا ، أما أنا فأموت ظلما « (برنابا ٢١٤ — ٢١٧ : ١ — ٧٩) .

تلك هى رواية « برنابا » عن أن عيسى — عليه السلام — لم يقتل ولم يصلب . ويوافقه كثيرون من قدماء النصارى . فقد قال الفيلسوف الايطالى « جيوفانى بابيني » : « وأما فى موت يسوع . فيقولون : انه لم يصلب على الصليب ، كما توهم أتباعه ، وانما خيل اليهم أن اليهود صلبوه وقبروه ، ولكنه لم يمت ولم يقبر ، بل توارى عن الأبصار ، حتى ظن الجميع أنه قد مات » (١٠) أ.هـ

(١٠) حياة المسيح — جيوفانى ص ٤٧ .

الفصل السابع

في

يوحنا المعمدان

حياته ودعوته

لاحظ :

أولا : قال موسى النبي لبني اسرائيل عن نبي يأتي من بعده ، له يسمعون ويطيعون : « يتيم لك الرب الهك نبيا ، من وسطك من اخوتك . مثلى . له تسمعون ... الخ » (تث ١٨ : ١٥) وهذا النبي لم يكن قد ظهر قبل عيسى ويحيى — عليهما السلام — ففي انجيل يوحنا : أن علماء من بني اسرائيل في مدينة « اورشليم » سألوه قائلين : « أالنبي أنت ؟ فتأجاب : لا » (يو ١ : ٢١)

وفي انجيل برنابا أن علماء بني اسرائيل لم يسألوا هذا السؤال ليحيى — الذى هو يوحنا المعمدان — وانما سألوه لعيسى بن مريم عليه السلام . يقول برنابا : « فان رؤساء الكهنة تشاوروا فيما بينهم ليتسقطوه بكلامه . لذلك أرسلوا اللاويين وبعض الكتبة ، يسألون (١) قائلين : من أنت ؟ فاعترف يسوع وقال : الحق انى لست مسيا . فقالوا : أنت ايلياء أو ارمياء أو أحد الأنبياء القدماء ؟ أجاب يسوع : كلا . حينئذ قالوا : من أنت ؟ قل لنشهد للذين أرسلونا . فقال حينئذ يسوع : أنا صوت صارخ فى اليهودية كلها ، يصرخ اعدوا طريق رسول الرب . كما هو مكتوب فى أشعيا (٢) . قالوا : اذا لم تكن المسيح ولا ايلياء أو نبيا

(١) مرقس ١٢ : ١٣ ولوقا ١١ : ٥٤

(٢) يوحنا ١ : ١٩ — ٢٧ ، أشعيا ٤٠ : ٣ — ٥

ما ، فلماذا تبشربتعليم جديد ، وتجعل نفسك أعظم شأننا من مسيا ؟
أجاب يسوع (٣) : ان الآيات التى يفعلها الله على يدي ، تظهر انى أتكلم
بها يريد الله . ولست أحسب نفسى نظير الذى تقولون عنه ، لأنى لست
أهلا أن أحل رباطات جرموق أو سيور حذاء رسول الله ، الذى تسمونه
مسيا « (بر ٤٢ : ٤ - ٩)

ومن هذين النصين يتبين أن النبى الأمى ، الذى تحدث موسى عنه
بأنه سيأتى من بعده ، لم يكن قد ظهر قبل يحيى وعيسى — عليهما السلام —
وليس هو يحيى وليس هو عيسى .

ثانيا : قال دانيال النبى لبني اسرائيل : انه ستنشأ ممالك أربعة
على الأرض : بابل وفارس واليونان والرومان . وفي نهاية حكم الرومان
يقوم ملك سماوى على الأرض ، ويظل الى أبد الأبدى . يقول دانيال :
« هؤلاء الحيوانات العظيمة التى هى أربعة ملوك يقومون على الأرض .
أما قديسو العلى فيأخذون المملكة ويمتلكون المملكة الى الأبد ، والى أبد
الأبدى » (دا ٧ : ١٧ - ١٨) وهذا الملكوت الأرضى ، هو ملكوت
بنى اسماعيل — عليه السلام — لأن الله وعد ابراهيم بالبركة فى نسله ،
فى قوله له : « وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه وأثمره
وأكثره كثيرا جدا . اثنى عشر رئيسا يلد ، وأجعله أمة كبيرة » (تك
١٧ : ٢٠)

ولما ظهر يحيى وعيسى — عليهما السلام — ناديا فى بني اسرائيل
معا ، باقتراب ملكوت السموات ، الذى تنبأ عن تأسيسه دانيال فى الأرض ،
بعد زوال دولة الروم ، التى احتلت فلسطين قبل الميلاد بثلاث وستين
سنة . وفى بعض تفاسير النصارى مائة سنة .

فى انجيل متى : « وفى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان ، يكرز فى
برية اليهودية قائلا : توبوا ، لأنه قد اقترب ملكوت السموات . فان
هذا هو الذى قيل عنه باشعيا النبى القائل : صوت صارخ فى البرية :
أعدوا طريق الرب . اصنعوا سبله مستقيمة » (متى ٣ : ١ - ٣)

(٣) يوحنا ٥ : ٣٦

يريد متى أن يقول : ان يوحنا المعمدان قد تنبأت التوراة بهجيئه
وليهد الطريق أمام رسول الرب ، الذى هو المسيا المنتظر ، وتنبؤ التوراة
بهجيئه مكتوب فى سفر أشعيا . ونصه : « صوت صارخ فى البرية :
أعدوا طريق الرب . قوموا فى القفر سبيلا لالهنا . كل وطاء يرتفع ، وكل
جبل وأكمة ينخفض ، ويصير المعوج مستقيما ، والمراقيب سهلا ،
فيعلن مجد الرب ويراه كل بشر ، لأن فم الرب تكلم » (أش . ٤٠ : ٣ —
٥) .

وقال برنابا : ان الذى تنبأت التوراة بهجيئه ليهده الطريق أمام رسول
الرب ، هو المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، وليس هو يحيى كما قال
متى . وليس من مانع أن يكون التمهيد لمجيء رسول الرب على يد
يحيى وعيسى معا . ليس من مانع أن يكون الاثنان معا مهديين لرسول
الرب الذى هو المسيا . لأن دعوة يحيى الى مجيء المسيا ، هى نفسها
دعوة عيسى الى مجيء المسيا . ولا فرق . فقد دعا يحيى — كما قال
متى — الى اقتراب ملكوت السموات — الذى هو ملكوت المسيا باتفاق
من المسلمين وأهل الكتاب — وقد دعا عيسى الى اقتراب ملكوت السموات
كما دعا يحيى معه . وفى انجيل متى : « من ذاك الزمان ابتدا يسوع
يكرز ، ويقول توبوا فانه قد اقترب ملكوت السموات » (متى ٤ : ١٧)
وفى انجيل مرقس : « وبعدهما أسلم يوحنا ، جاء يسوع الى
الجليل ، يكرز ببشارة ملكوت الله ، ويقول : قد كمل الزمان واقترب
ملكوت الله . فتوبوا وآمنوا بالانجيل » (مر ١ : ١٤ — ١٥) وفى انجيل
لوقا : « وعلى اثر ذلك كان يسير فى مدينة وقرية ، يكرز ويبشر بملكوت
الله ومعه الاثنا عشر » (لو ٨ : ١)

ثالثا : وقد نفى يحيى أنه هو ، المسيا ، الذى تفسره المسيح .
فقد قال لوقا : « واذا كان الشعب ينتظر والجميع يفكرون فى قلوبهم عن
يوحنا لعله المسيح . أجاب يوحنا الجميع قائلا : أنا أعهدكم بماء ، ولكن
يأتى من هو أقوى منى ، الذى لست أهلا أن أحل سيور حذائه . هو
سيعمدكم بالروح القدس ونار . الذى رفشه فى يده ، وسينقى ببيدره ،

ويجمع المصحح الى مخزنه . وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ » (لو ٣ :
١٥ — ١٧)

وعيسى أيضا نفى أنه هو المسيا ، الذى تفسيره المسيح —
والمسيا هو نفسه النبى الذى أخبر عن مجيئه موسى فى سفر التثنية —
نقد قال لوقا : « وفيما هو يصلى على انفراد كان التلاميذ معه . فسألهم
قائلا : من تقول الجموع انى انا ؟ فأجابوا وقالوا : يوحنا المعمدان .
وآخرون : ايلياء . وآخرون : ان نبيا من القدماء قام . فقال لهم : وأنتم
من تقولون : انى انا ؟ فأجاب بطرس وقال : مسيح الله . فانتهرهم
وأوصى أن لا يتولوا ذلك لأحد » (لو ٩ : ١٨ — ٢١)

رابعا : وبعد رفع عيسى الى السماء ، زعم « بولس » أ — أن
يوحنا المعمدان كان يبشر بعيسى عليه السلام (ا ع ١٩ : ٤) ب — وأن
عيسى هو المسيا الذى تفسيره المسيح (ا ع ٩ : ٢٢) وقد اراد بهذا الزعم
أن يختم النبوات فى بنى اسرائيل والعالم بعيسى عليه السلام ويصد
الناس عن الدخول فى دين محمد ﷺ اذا جاء .

وبعد هذه الملاحظات ، نتكلم عن حياة يوحنا المعمدان — عليه السلام —
فتقول :

١ — الاسم : يوحنا المعمدان هو النبى يحيى بن زكريا عليهما
السلام ومعنى « يوحنا فى العبرانى : أى عطية الله » (٤) ويقول الدكتور
ماير : ان « المعنى الأصح : الرب تحنن » (٥) ويقول متى هنرى : ان
معنى الاسم : « بالعبرانية : يوحانان . وهو اسم ورد كثيرا فى العهد
القديم ومعناه : رؤوف أو رحيم أو حنان » (٦) وهو اسم لم يكن شائعا
لدى اليهود فى عشيرته ، ولم يسم به أحد قبله . فقد جاء فى القرآن الكريم :
« لم نجعل له من قبل سميا » (مريم ٧) وفى الانجيل « وفى اليوم الثامن

(٤) ص ٣١ ج ١ الكنز الجليل .

(٥) ص ٣٠ يوحنا المعمدان .

(٦) ص ٢٤ ج ١ تفسير لوقا .

جاعوا ليخبتوا الصبى ، وسموه باسم أبيه زكريا . فأجابت أمه وقالت : لا . بل يسمى يوحنا . فقالوا لها : ليس أحد في عشيرتك تسمى بهذا الاسم « (لوقا ١ : ٥٩ — ٦١) وقد يكون لفظ القرآن على العموم في عشيرته وغير عشيرته ، فان أهل الكتاب قد نسوا حظا مما ذكروا به . ومعنى زكريا : « من يتذكره الله . ومعنى « اليصابات » — اسم أمه — : قسم الله ، أو الله حلفها (٧) »

٢ — **الأسرة** : هو من نسل الكهنة أبناء هارون عليه السلام . وينتهي نسبه الى عمران بن قهات بن لاوى بن يعقوب عليه السلام ، يقول عنه لوقا : « كان فى أيام هيرودس ، ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا من فرقة أبيا ، وامرأته من بنات هارون ، واسمها اليصابات ، وكانا كلاهما بارين أمام الله سالكين فى جميع وصايا الرب وأحكامه ، بلا لوم . ولم يكن لهما ولد ، اذ كانت اليصابات عاقرا ، وكانا كلاهما متقدمين فى أيامهما » (١ : ٥ — ٧)

ولم يذكر القرآن الكريم نسبه الى أبناء هارون ، بل ذكر الصفات التى تهدى الى هذه النسبة ، وهى طلبه من الله « وليا » وفى سبب طلبه يقول : « يرثنى ويرث من آل يعقوب » يقصد وراثة العلم والحفاظ على التوراة من تحريف اليهود لمعانيها . ولما استجاب الله دعاءه « خرج على قومه من المحراب ، فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا » (مريم ١١) المحراب من اختصاص الكهنة أبناء هارون ، وليس لأحد غيرهم من أولاد يعقوب عليه السلام ، الذين هم الاثنا عشر سبطا .

٣ — **موطن الأسرة** : فى منطقة اليهودية نجد اورشليم وبيت لحم وحبرون . وعلى بعد أميال قليلة من حبرون نجد أرض « يوطاه » وفيها كان يعيش زكريا عليه السلام ، وفيها ولد يوحنا المعمدان (٨) . يقول الدكتور فردريك فارار : « يوحنا فى صغره عاش فى منزل أبيه الكاهن ،

(٧) ص ٣٠ يوحنا المعمدان .

(٨) ولأن يوحنا المعمدان من اقرباء عيسى عليه السلام لأن اليصابات قريبة لمريم كما يقول لوقا ، يكون عيسى مولودا فى نفس الموطن الذى فيه ولد يحيى عليه السلام .

الذى بلا لوم فى أرض يوطاه فى الجزء الجنوبى لقسم يهوذا ، غير بعيد
من حبرون » (٩) .

٤ — **زمن الميلاد :** يحدده لوقا فيقول : « وفى السنة الخامسة عشرة
من سلطنة طيباريوس قيصر ، اذا كان بيلاطس البنطى واليا على اليهودية ،
وهيرودس رئيس ربع على الجليل ، وفيلبس أخوه رئيس ربع على
أيطورية وكورة تراخونيتس ، وليسانيوس رئيس ربع على الأبلية ، فى
أيام رئيس الكهنة حنان وقيافا ، كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا ، فى
البرية . فجاء الى جميع الكورة المحيطة بالأردن ، يكرز بمعمودية التوبة
لمغفرة الخطايا » (٣ : ١ — ٣)

٥ — **عمل أبيه :** كان الكهنة أبناء هارون فى ذلك الوقت كثيرين
جدا ، وكان على كل كاهن أن يسكن فى قريته « وكان يذهب الى أورشليم
مرتين فى السنة ، لتأدية وظيفته مدة أسبوع مكون من ستة أيام وسبقتين
يحدثنا يرسيفوس بأنه كان هنالك عشرون ألف كاهن فى اليهودية وقتئذ ، وبين
الخدمات الكهنوتية المختلفة لم تكن هنالك خدمة أسمى من تقديم البخور
الذى كان يقدم صباحا ومساء على مذبح ذهبى خاص فى القدس ، فى ساعة
الصلوة . وكان كل جمهور الشعب يصلون خارجا وقت البخور (ع ١٠) .
كانت هذه الخدمة مكرمة جدا ، حتى أنها كانت تعين بالقرعة ، ولم يكن
يسمح لأحد بتأديتها مرتين . كان يسمح للكاهن مرة واحدة فى حياته ،
بأن ينثر حبات البخور على الفحم المتوهج الذى أتى به أحد المساعدين
من مذبح المحرقة ، ثم يبخر على مذبح البخور أمام الحجاب .

بوق البوق الفضى ، وتصاعد دخان الذبيحة المسائية ، وبدأ
المصلون الذين يحتلون الدور المختلفة ، يخرجون زرافات ، ليقدّموا
صلواتهم فى سكون وصمت . اعتزل الكاهن المساعد . أما زكريا فانه
للمرة الأولى والاخيرة فى حياته ، وقف وحيدا أمام المذبح المقدس ، ونثر

(٩) ص ١١ حياة المسيح . ولاحظ أن يوطاة تنطق أحيانا يوطة
ويطة .

حبات البخور على الفحم المتوهج ، فبدأ البخور يصعد في رائحته الذكية ويحجب عنه ما حوله ، وكان يرمز الى صعود الصلوات والتضرعات ، ليس من قلبه فقط ، بل من قلوب شعبه أمام الله « (١٠) »

٦ — البشارة بيحیی : يقول لوقا : « فبينما هو يكهن في نوبة فرقة أمام الله حسب عادة الكهنوت أصابته القرعة أن يدخل الى هيكل الرب ويبخر ، وكان كل جمهور الشعب يصلون خارجا وقت البخور . فظهر له ملاك الرب واقفا عن يمين مذبح البخور ، فلما رآه زكريا اضطرب ووقع عليه خوف ، فقال له الملاك : لا تخف يا زكريا ، لأن طلبتك قد سمعت وامراتك اليصابات : ستلد لك ابنا وتسميه يوحنا ، ويكون لك فرح وابتهاج وكثيرون سيفرحون بولادته ، لأنه يكون عظيما أمام الرب ، وخمرا ومسكرا لا يشرب . ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس ، ويرد كثيرين من بنى اسرائيل الى الرب الههم ، ويتقدم أمامه بروح ايلياء وقوته ، ليرد قلوب الآباء الى الأبناء ، والعصاة الى فكر الأبرار ، لكي يهيء للرب شعبا مستعدا .

فقال زكريا للملاك : كيف أعلم هذا ؟ لأنى أنا شيخ وامراتى متقدمة فى أيامها ، فأجاب الملاك وقال له : أنا جبرائيل الواقف قدام الله وأرسلت لأكلّمك وأبشرك بهذا ، وها أنت تكون صامتا ولا تقدر أن تتكلم الى اليوم الذى يكون فيه هذا . لأنك لم تصدق كلامى (١١) الذى سيقيم فى وقته . وكان الشعب منتظرين زكريا ومتعجبين من ابطائه فى الهيكل ، فلما خرج لم يستطع أن يكلمهم ، ففهموا أنه قد رأى رؤيا فى الهيكل ، فكان يومئذ اليهم . ويقى صامتا .

ولما كملت أيام خدمته مضى الى بيته . وبعد تلك الأيام حبلت اليصابات امراته . وأخفت نفسها خمسة أشهر قائلة : هكذا قد فعل

(١٠) ص ٢٣ — ٢٧ يوحنا المعمدان .

(١١) هذا النص يبين أن صمته عقوبة له على عدم تصديقه ، وفى القرآن الكريم أن الصمت معجزة له وليس عقوبة .

بى الرب فى الأيام التى فيها نظر الى ، لينزع عارى بين الناس «
(١ : ٨ - ٢٥)

والقرآن الكريم يقول ان مدة الصمت ثلاثة أيام فقط فى قوله تعالى :
« قال : رب اجعل لى آية قال : آيتك : الا تكلم الناس ثلاث ليال سويا .
فخرج على قومه من المحراب ، فأوحى اليهم : أن سبحوا بكرة وعشيا «
(مريم ١٠ - ١١) وفى موضع آخر : « ثلاثة أيام الا رمزا . وأذكر ربك
كثيرا وسبح بالمعشى والابكار » (آل عمران ٤١) وعبارة « فأوحى اليهم :
أن سبحوا بكرة وعشيا » يذكر الانجيل فى معناها : « وامتلأ زكريا أبوه
من الروح القدس ، وتنبأ قائلا : مبارك الرب اله اسرائيل ، لأنه افتقد
وصنع فداء لشعبه ، وأقام لنا قرن خلاص فى بيت داود فتاه ، كما تكلم
بفم أنبيائه القديسين الذين هم منذ الدهر : خلاص من أعدائنا ، ومن
أيدي جميع مبغضينا ، ليصنع رحمة مع آبائنا ، ويذكر عهده المقدس ،
القسم الذى حلف لابراهيم (١٢) أبينا أن يعطينا أننا بلا خوف منقذين
من أيدي أعدائنا ، نعبده بقداسة وبر ، قدامه جميع أيام حياتنا » (لوقا
١ : ٦٧ - ٧٥)

٧ - النذر : يقول الانجيل : أن يوحنا المعمدان كان منذورا لله
تعالى منذ الصغر ، كما كانت مريم رضى الله عنها وعيسى عليه السلام
ففى لوقا : « لأنه يكون عظيما أمام الرب ، وخمرا ومسكرا لا يشرب «
(لوقا ١ : ١٥) وهذه عادة من العادات القديمة فى اليهود . فقد قال :
النبي عاموس : « وأقمت من بنيكم أنبياء ، ومن فتياكم نذيرين . اليس
هكذا يا بنى اسرائيل ؟ : يقول الرب . لكنكم سقيتم الناذرين خمرا ،
وأوصيتم الأنبياء قائلين لا تتنبأوا » (٢ : ١١ - ١٢)

وفى الانجيل أن الله أعطى النبوة ليحيى وهو صغير السن ففى
لوقا : « ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس » (لوقا ١ : ١٥) وهذا

(١٢) قسم ابراهيم فى اسماعيل واسحق كما هو مبين فى الأصحاح
السابع عشر من سفر التكوين .

التعبير عند النصارى للدلالة على التنبؤ بوحي من الله ، كما فى العبارة السابقة عن ابيه وهى : « وامتلاً زكريا ابوه من الروح القدس ، وتنبأ قائلاً . . . » والقرآن الكريم يقول عنه : « وآتيناه الحكم صبياً » (مريم ١٢)

٨ - معجزاته : ذكرت الأناجيل أن يحيى - عليه السلام - صنع معجزات . ولم تذكر الأناجيل تفاصيل معجزاته ، كما ذكرت تفاصيل معجزات عيسى - عليه السلام - . ففى انجيل مرقس : « لأن هيرودس كان يهاب يوحنا عالماً انه رجل بار وقديس وكان يحفظه . واذ سمعه فعل كثيراً . وسمعه بسرور » (مرقس ٦ : ٢٠) فعبارة : « واذ سمعه فعل كثيراً » تفيد أنه سمع عن معجزات فعلها يحيى . وأيضاً فى الانجيل أنه لما قتل يحيى عليه السلام - بيد هيرودوس - وسمع عن معجزات لعيسى ، ظنه « هو يوحنا المعمدان قد قام من الأموات ، ولذلك تعمل به القوات » (متى ١٤ : ١) أى تعمل المعجزات بواسطته .

٩ - صلته بعيسى عليه السلام : كان يحيى وعيسى ابنى الخالة ، يقول الدكتور ماير : « كانت رواية يوحنا المعمدان فى الواقع جزءاً من رواية يسوع ، حتى أن العذراء المباركة لم يكن ممكناً أن تذكر الواحدة دون الأخرى . وعلاوة على هذا ، فقد كانت الیصابات « نسيية » لها كما قال الملك . ولعلها كانت ابنة خالتها ، أو ابنة عمها أو عمها » (١٣)

١٠ - معنى التعميد : ومعمودية يوحنا كانت على نمط فريد ، لم يألّفه اليهود ، ولم يرد فى التوراة . والوارد فى التوراة : هو أن اليهودى اذا أخطأ خطأ ما ، يذهب الى الكاهن بذبيحة فى الهيكل ، ويقر بخطيئته أمامه ، ثم يضع يده على رأس الذبيحة ، فتنقل الخطية الى الذبيحة واذا ماتت الذبيحة ، يموت الاثم بموتها . أما يوحنا فقد قرر لهم : أن من أخطأ ، فان الاعتراف بالذنب يكفيه ، ثم يغطسه يوحنا فى نهر الأردن ،

(١٣) ص ١٩ يوحنا المعمدان .

فيخرج مغفورا له . وكفى . يتول الأبا اثناسيوس : « كان الاعتراف معروفا عند اليهود اذ كانوا يقدمون ذبائح عن بعض الخطايا ، ويقرون بخطيتهم أمام الكاهن ، ويضعون أيديهم على رأس الذبيحة ، فتنتقل الخطية من عليهم الى الذبيحة (لاويين ٥ : ٥ والعدد ٥ : ٧) أما العماد فكان جديدا عليهم ، وكان اعترافهم ليوحنا بدون تقديم ذبائح ، وكان في البرية ، وليس في الهيكل ، وسمى المعمدان لهذا السبب (١٤) » وما كان هذا من المعمدان — في نظرنا — لأنه به يكون ناسخا لحكم في التوراة ، وهو قد جاء مصدقا لها . ولأنه قد ظهر في مخطوطات البحر الميت وجزيرة قمران « ما يدل على أن الجماعة مارسوا معمودية معينة كمعمودية يوحنا أو معمودية الرسل . وجل ما هنالك : وجوب التوضؤ مرارا وتكرارا اناسبات متعددة » (١٥) وعند بدء معمودية يوحنا « قال إيرانيوس : ان يسوع كان اذ ذاك في الخمسين من العمر ، متكلا على بعض التقاليد » (١٦)

١١ — رأى المسلمين فيه : وصفه القرآن الكريم بالأخلاق الطيبة والصفات الحميدة في قوله تعالى : « وآتيناها الحكم صيبا ، وحنانا من لدنا ، وزكاة ، وكان تقيا ، وبرا بوالديه ، ولم يكن جبارا عصيا . وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا » (مريم ١٢ — ١٥)

١٢ — رأى اليهود فيه : يقول الأستاذ عباس محمود العقاد — رحمه الله — : « وليس أدل على مكانة يوحنا من ثناء يوسيفوس المؤرخ الكبير عليه ، وهو شديد الحذر من اغصاب ذوى الرأى والسلطان . فقد قال عنه : « انه كان انسانا صالحا أوصى اليهود أن يبر بعضهم ببعض وأن يتقوا الله » (١٧)

١٣ — رأى النصارى فيه : من أبرز صفاته في الانجيل :

-
- (١٤) تفسير متى ص ٢٠
 - (١٥) ص ٨٢ مخطوطات البحر الميت وجزيرة قمران .
 - (١٦) نقلا عن حياة المسيح لفردريك ص ١١١ .
 - (١٧) ص ١١٦ عبقرية المسيح .

(أ) الزهد فى متاع الحياة الدنيا . يقول عنه متى : « ويوحنا هذا كان لباسه من وبر الابل ، وعلى حقويه منطقة من جلد ، وكان طعامه جرادا وعسلا بريا » (٣ : ٤) يقول الأنبا اثناسيوس فى معنى هذه الآية : « احقتر يوحنا نعيم الحياة ولبس مسحا خشنا ، من وبر الابل ، وسكن البرية القاسية وتمنطق بمنطقة المجاهدين .

وعلى أى حال كان المعمدان مثالا ضخما فى النسك وضبط النفس » (١٨)

(ب) الحزم والعزم فى سبيل الدعوة ، فقد وبخ اليهود وتهكم بهم وندد ببعدهم عن الشريعة وخاطبهم بعنف « قال لهم : يا اولاد الأفاعى من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى ؟ فاصنعوا أثمارا تليق بالتوبة » (متى ٣ : ٧ - ٨)

(ج) لم يشتر بآيات الله ثمنا قليلا ، اذ رفض طلب هيرودس الملك فى أن يعطيه فتوى ، ليتزوج من امرأة أخيه ، وهو حى يرزق ، وفضل القتل — كما يزعمون — على الحياة ، فى سبيل رضا الله عز وجل

(د) ولقد شهد له عيسى عليه السلام بالفضل ، فقال : « لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان ، ولكن الأصغر فى ملكوت السموات أعظم منه » (متى ١١ : ١١) يقصد خاتم الأنبياء ﷺ .

١٤ — نهاية حياته على الأرض :

يقول النصارى : ان هيرودس قد قتل يوحنا ، لأنه لم يوافق هواه . ويقول بعض المسلمين بقولهم . والسبب فى قتل يوحنا على يد هيرودس كما يقولون هو أن هيرودس أراد أن يتزوج بامرأة « فيلبس » أخيه ، من قبل أن يطلقها ، ولما كان هذا الزواج ضد شريعة التوراة ، طلب من يوحنا أن يعطيه فتوى باباحته . ولما امتنع يوحنا قتله . هذا ما فى الانجيل عن سبب قتله . وليس هو بشيء . فان زواج رجل بامرأة فى

(١٨) تفسير متى ص ٢٣ .

شريعة التوراة ، يلزم منه لكى يصح أن تكون المرأة خالية من الاقتران
برجل . والا فإنه يعد زنا ، والزنا محرم . ففى سفر اللاويين : « عورة
امراة أخيك لا تكشف » (لا ١٨ : ١٦) وعلى الزانى والزانية عقوبة مقدره
فى التوراة . هى القتل على المحسن المتزوج (تث ٢٢ : ٢٢) وهذا لا يقدر
عليه هيروُدس الملك ، الذى يريد رضا رعيته عليه ، ولا يريد أن يكون
فى نظرهم كهازل وعابث بالشريعة . وهو قد عمل على ارضائهم من قبل
بعمارة الهيكل ، الذى هو أحب شىء الى نفوسهم .

يقول متى : « فان هيروُدس كان قد أمسك يوحنا وأوثقه وطرحه
فى سجن ، من أجل هيروُديا ، امراة فيلبس أخيه . لأن يوحنا كان يقول
له : لا يحل أن تكون لك . ولما أراد أن يقتله خاف من الشعب ، لأنه
كان عندهم مثل نبى . ثم لما صار مولد هيروُدس رقصت ابنة هيروُديا فى
الوسط ، فسررت هيروُدس ، من ثم وعد بقسم أنه مهما طلبت يعطيها ،
فهبى اذ كانت قد تلقنت من أمها . قالت : أعطنى ههنا على طبق رأس
يوحنا المعمدان . فاغتم الملك ، ولكن من أجل الأقسام والمتكئين معه أمران
يعطى . فأرسل وقطع رأس يوحنا فى السجن ، فأحضر رأسه على طبق
ودفع الى الصبية فجاءت به الى أمها فتقدم تلاميذه ورفعوا الجسد
ودفنوه » (متى ١٤ : ٣ - ١٢)

وظل تلاميذه على الوفاء لمبادئه بعد صعود عيسى الى السماء بكثير ،
فلقد جاء عنهم فى سفر أعمال الرسل : أنهم كانوا يعمدون الناس بعمودية
يوحنا (أ ع ١٩ : ١ - ٥) ، وكانوا يناوئون التعاليم الحالية
للنصرانية .

ولقد قال بولس لأتباعه : « إن يوحنا عمد بعمودية التوبة قائلا
للشعب أن يؤمنوا بالذى يأتى بعده . أى بالمسيح يسوع » (أ ع ١٩ :
٤) يريد بقوله هذا أن يبعد تنبؤات يحيى عن نبى الاسلام الى عيسى عليه
السلام .

وفى القرآن الكريم : أن يحيى مات موتا طبيعيا ، ولم يقتل فى
قوله تعالى :

(أ) عن يحيى « وسلام عليه . يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا » (مريم ١٥)

(ب) عن عيسى : « والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا » (مريم ٣٢)

ووجه الدليل : أن ما جرى على عيسى — عليه السلام — يجرى على يحيى — عليه السلام — ولم يجر القتل والصلب على عيسى لقوله : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » (النساء ١٥٧) ولأن الله تعالى فرق بين الموت وبين القتل في قوله تعالى : « أفان مات أو قتل » (آل عمران ١٤٤) وحكم على نبيه بالموت لا بالقتل في قوله تعالى : « انك ميت » (الزمر ٣٠) ولم يقل له انك مقتول . لأنه قد عصمه من الناس (المائدة ١٦٧)

تقدير عيسى للمعدان

وهو بشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم

وقد ورد في انجيل متى وانجيل لوقا : شهادة تقدير حسنة وجيدة ، ليوحنا المعدان ، من عيسى عليه السلام . وهذه الشهادة تعتبر بشارة بنبي الاسلام ﷺ .

وهذا نص عبارة متى : « أما يوحنا فلما سمع في السجن بأعمال المسيح ، أرسل اثنين من تلاميذه وقال له : أنت هو الآتى أم ننتظر آخر ؟ (١٩) فأجاب يسوع وقال لهما : اذهبا وأخبرا يوحنا بما تسمعان وتظنران ، العمى يبصرون ، والعرج يمشون ، والبرص يطهرون ، والصم يسمعون ، والموتى يقومون ، والمساكين يبشرون . وطوبى لمن لم يعثر في . وبينما ذهب هذان ، ابتداء يسوع يقول للجموع عن يوحنا : ماذا خرجتم لتظنروا ؟ أنسانا لابسا ثيابا ناعمة ؟ هوذا الذين يلبسون

(١٩) يلاحظ في هذا النص : أن عيسى عليه السلام لم يعترف قط أنه المسيا الذى يسأل عنه المعدان . وقد عمل بعض المعجزات أمام تلميذه ليثبت لهما أنه نبي صادق مثل يوحنا المعدان سواء بسواء .

التياب الناعمة هم في بيوت الملوك . لكن ماذا خرجتم لتنظروا ؟ أنبيا ؟
 نعم أقول لكم : وأفضل من نبي . فان هذا هو الذى كتب عنه : ها أنا
 أرسل أمام وجهك ملاكى الذى يهيبىء طريقك قدامك . الحق أقول لكم :
 لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان ، ولكن الأصغر
 في ملكوت السموات أعظم منه . ومن أيام يوحنا المعمدان الى الآن ملكوت
 السموات يغصب والمغاصبون يختطفونه . لأن جميع الانبياء والناموس
 الى يوحنا تنبأوا . وأن أردتم أن تقبلوا فهذا هو ايلياء المزمع أن يأتى .
 من له أذنان للمسمع فليسمع » (متى ١١ : ٢ - ١٥)

وهذا نص عبارة لوقا : « دعا يوحنا اثنين من تلاميذه وأرسل الى
 يسوع قائلا : أنت هو الآتى أم ننتظر آخر ؟ فلما جاء اليه الرجلان قالا :
 يوحنا المعمدان قد أرسلنا اليك : قائلا : أنت هو الآتى أم ننتظر آخر ؟
 وفى تلك الساعة شفى كثيرين من أمراض وأدواء وأرواح شريرة ووهب
 البصر لعميان كثيرين . فأجاب يسوع : وقال لهما : أذهبا وأخبرا يوحنا
 بما رأيتما وسمعتما : أن العمى يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون
 والعم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشرون . وطوبى لمن لم يعثر
 فى . فلما مضى رسولا يوحنا ابتداء يقول للجموع عن يوحنا : ماذا خرجتم
 الى البرية لتنظروا ؟ أقصبة تحركها الريح ؟ بل ماذا خرجتم لتنظروا ؟
 أنسانا لابسا ثيابا ناعمة ؟ هو ذا الذين فى اللباس الفاخر والتنعيم هم فى
 قصور الملوك . بل ماذا خرجتم لتنظروا ؟ أنبيا ؟ نعم أقول لكم : وأفضل
 من نبي . هذا هو الذى كتب عنه : ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكى الذى
 يهيبىء طريقك قدامك ، لأنى أقول لكم : انه بين المولودين من النساء
 ليس نبي أعظم من يوحنا المعمدان ، ولكن الأصغر فى ملكوت الله أعظم
 منه » (لوقا ٧ : ١٩ - ٢٨)

الشرح والبيان :

اتفاق متى ولوقا على أن المعمدان أرسل الى عيسى عليه السلام
 وقال له : « أنت هو الآتى أم ننتظر آخر » ؟ دليل على أن نبيا واحدا ،

سيأتي الى العالم ، وعند جميع بنى اسرائيل فكرة عن مجيئه . والمعمدان كواحد من اليهود يسأل عنه . يقول الدكتور فردريك فارار معلقا على عبارة (أنت هو الآتى أم ننتظر آخر) : « الكلمة الواردة فى مت ١١ : ٣ تعنى حرفيا : أما مسيحا ثانيا أو « خلافا » أما الواردة فى لوقا ٧ : ١٩ فنعنى حرفيا « آخر » (٢٠) ولماذا خفى على المعمدان أن عيسى هو المسيا ، وهو نبي يوحى اليه من السماء ؟ ولماذا نفى عيسى صراحة أنه هو المسيا الآتى الى العالم واكتفى بقوله : « طوبى لمن لم يعثر فى » ؟ ومن هو الأصغر فى ملكوت السموات الذى هو أعظم من يوحنا المعمدان ؟ وما هو المراد من قول عيسى عليه السلام : « وان أردتم أن تقبلوا فهذا هو ايلياء الزمعم أن يأتى » ؟

أولا : « أنت هو الآتى أم ننتظر آخر ؟ المقصود به : النبي الذى وعد به موسى فى قوله : « يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك من اخوتك مثلى . له تسمعون » (تث ١٨ : ١٥) والذى يطلق عليه اليهود والنصارى لقب (مسيا) أو (المسيح) يقول متى هنرى : بصدده تفسيره لعبارات متى : « كان هذا سؤالا خطيرا وجوهريا . أنت هو المسيا المنتظر أم لا ؟ أنت هو المسيح ؟ أخبرنا . كان مجيء المسيا متوقعا كتضحية مسلمة » (٢١) ويقول بصدده تفسيره لعبارات لوقا : « المسيح لم يكن الى ذلك الوقت قد أعلن صراحة بأنه هو المسيح حقا ، بل أنه لم يرد أن يعلن تلاميذه أنه هو كذلك . الى أن تكلم البراهين بقيامته بأنه هو المسيح المنتظر ، وعظماء الكنيسة اليهودية لم يعترفوا به ، ولا بدا أى مظهر يدل على أنه هو الذى أقيم ليجلس على كرسي داود أبيه ، ولا ظهر فيه أى شئ من العظمة والسلطان والقوة التى كان ينتظر أن يظهر فيها المسيا » (٢٢) يلاحظ من كلام متى هنرى ومن عبارات الأناجيل : أن عيسى عليه السلام لم يعلن الى ذلك الوقت ، وهو

(٢٠) ص ٢٥٩ حياة المسيح .

(٢١) ص ١٨٦ ج ٢ تفسير متى .

(٢٢) ص ٢٧٤ - ٢٧٥ ج ١ تفسير لوقا .

وقت سجن المعمدان : أنه هو المسيا أو المسيح . وتلاميذه أيضا لم يعلنوا . وكان التلاميذ كما يقول متى هنرى منتظرين حتى يرفع عيسى الى السماء ، ثم بعد رفعه ، يذيعون بين اليهود أنه كان المسيا . ولماذا يؤخر عيسى هذا الخبر ولم يبد عليه أثر الملك والسلطان . أو مظاهر الأبهة والعظمة . وذلك فى مفهوم اليهود من علامات المسيا ؟

ومن فهم نديهم : ان هذا يدل على أن فكرة المسيا قد ألصقت به من بعد صعوده الى السماء لغرض التحريف . والا فما فائدة ملك لا يعلن عنه الا بعد موته ؟ وما مهمة رسول ان لم تكن واضحة حال حياته ؟

ثانيا : وحينما سأل رسولا يوحنا ، عيسى عليه السلام هذا السؤال : « أنت هو الآتى أم ننتظر آخر » قام عيسى بعمل كثير من المعجزات أمام أعينها « وقال لهما : أذهبا وأخبرا يوحنا بما رأيتما وسمعتما » فاذا كانت المعجزات فى رأى النصارى دليلا على أنه هو المسيا . لأن عيسى لم يصرح بأنه هو المسيا ، فان لنبى الاسلام ﷺ معجزة لا تقل أهمية عن معجزات عيسى ، وتصلح دليلا على أنه هو المسيا . وإذا كانت معجزات عيسى قد جعلته فى نظر النصارى هو المسيا وأغنت عن تصريحه . فهل لهم ولأى عابر سبيل أن يجعل أى فرد من تلاميذ عيسى قد صنع معجزة أن يكون هو المسيا ، لأنه صنع معجزة ؟ انه على سبيل المثال :

- ١ — بطرس أمات رجلا وزوجته (أعمال ٥ : ١)
- ٢ — بطرس يشفى من الأمراض هو وبقية الرسل (أعمال ٥ : ١٢)
- ٣ — فيلبس اخراج الأرواح الشريرة وشفى المفلوجين والعرج (أعمال ٨ : ٤)
- ٤ — بطرس أحيا ميتة (أ ع ٩ : ٣٦)
- ٥ — بولس يشفى مقعدا (أ ع ١٤ : ٨)
- ٦ — بولس يخرج الأرواح الشريرة (أ ع ١٦ : ١٦)
- ٧ — بولس يحيى الموتى (أ ع ٢٠ : ٧)

ثالثا : ويشهد عيسى للمعدان شهادة تقدير ، لأنه زميله في الهدف ورفيقه في الجهاد ونص شهادته : « ابتدا يسوع يقول للجموع عن يوحنا : ماذا خرجتم الى البرية لتنظروا ؟ أقصبة تحركها الريح ؟ لكن ماذا خرجتم لتنظروا ؟ انسانا لابسا ثيابا ناعمة ؟ هو ذا الذين يلبسون الثياب الناعمة هم في بيوت الملوك ، لكن ماذا خرجتم لتنظروا ؟ أنبيا ؟ نعم أقول لكم : وأفضل من نبي »

قال هذا بعد انصراف رسولا يوحنا ، لئلا تظن الجموع من اليهود أنه يتلقى يوحنا ، فتكون شهادة بريئة من كل شبهة . يقول عيسى عليه السلام : سأريكم أى انسان كان يوحنا المعدان عليه السلام :

(ا) كان انسانا ثابتا لا يتزعزع . لم يكن « قصبة تحركها الريح » أنتم كذلك في آرائكم عنه . أما هو فلم يكن كذلك . لم يكن مزعزا في مبادئه ولا معوجا في سيرته ، بل كان ثابتا كالطود الراسخ . ان الضعفاء يتزعزعون . أما يوحنا فكان قوى الروح ، حينما هبت عليه ريح مديح الناس من جهة ، وعصفت عليه ثورة غضب هيرودس من الجهة الأخرى -- كما هو مكتوب -- بقى ثابتا كما هو لم يتغير ، في أى جو من الأجواء .

(ب) كان انسانا منكرا لذاته ميتا عن العالم « أكان انسانا لابسا ثيابا ناعمة » ؟ لو كان كذلك لما خرجتم الى البرية لتنظروه ، بل الى قصور الملوك . أنتم خرجتم لتنظروا شخصا « لباسه من وبر الابل وعلى حقوية منطقة من جلد » تدل سيماؤه ورداؤه على أنه ميت من عظمة العالم وتعمات الجسد ، وتتفق ملابسه مع البرية التى عاش فيها والتعاليم التى يلقيها . أى التوبة واقترب ملكوت السموات .

(ج) لقد كان « نبيا » نعم . وأفضل من نبي ، لقد شهد عيسى للمعدان بالنبوة ، كما شهد المعدان لعيسى من قبل بها ، وافتخر عيسى بشهادة المعدان له أمام اليهود فى قوله طبقا لرواية يوحنا : « أنتم أرسلتم الى يوحنا فشهد الحق ، وأنا لا أقبل شهادة من انسان ، ولكنى أقول هذا لتخلصوا أنتم » (يوحنا ٥ : ٣٣ - ٣٤)

رابعاً : وما المقصود بقول عيسى عليه السلام : « لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان ، ولكن الأصغر في ملكوت السموات أعظم منه » ؟ من هو الأصغر في ملكوت السموات ؟

الأصغر في ملكوت السموات : هو نبي الاسلام ﷺ ليس في الرتبة والمنزلة ، وإنما على معنى : أنه خاتم النبيين كما جاء في القرآن الكريم : « ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين ، وكان الله بكل شيء عليهما » (الأحزاب . ٤)

والنصارى مختلفون في تفسير : الأصغر في ملكوت السموات . وعلماء الكاثوليك لا يخرجون على ما قرره علماء الأرثوذكس والبروتستانت في هذا الشأن . لذلك نكتفي بذكر هذه العبارة عنهم : « ولكن الأصغر في ملكوت السموات أعظم منه : هذا يحتمل تفسيرين . الأول : — ولعله الأرجح — أنه أراد بالأصغر نفسه . لأنه كان أصغر من يوحنا سناً ، وأدنى مرتبة حينئذ في عيون الناس ، لأنه لم يكن قد عرف بعد ، وإنما أورد هذا استندراكاً على ما ذكره من قوله : « لم يقم في مواليد النساء أعظم من يوحنا المعمدان » فأشار بذلك الى أنه هو أعظم منه في ملكوت السموات ، يعنى في الكنيسة . والتفسير الثانى : أن المراد بالأصغر في ملكوت السموات : أدنى المؤمنين بالمسيح رتبة ، ممن حصلوا على نعمة الانجيل ، لأن جميع القديسين من العهد العتيق إنما نالوا التقديس بنعمة الانجيل . ولما كان الناموس يشير الى انجيل المسيح ، كان بالضرورة أدنى منزلة من الانجيل ، وبالتالي كان أهل الناموس أدنى منزلة من أهل الانجيل على الاطلاق . وبناء على هذا يقال : أن أعظم أصحاب الناموس يكون أدنى رتبة من أصغر أبناء الكنيسة » (٢٣)

ونرد عليهم : هل عيسى أفضل من المعمدان ؟ أو المعمدان أفضل من عيسى ؟ وهل دعاة الانجيل الآن يكون أى فرد فيهم أفضل من المعمدان أو أعظم من موسى أو داود أو سليمان عليهم السلام ؟

(٢٣) ص ٤٧٠ حواشى على المجلد الثالث من الكتاب المقدس للكاثوليك .

(أ) أما أن عيسى أفضل من المعمدان فذلك شيء نفاء عيسى نفسه ، لأن سياق الكلام لا يسيغ أن يشهد عيسى للمعمدان بأنه لم يقم بين المولودين من النساء أعظم منه ، ثم يقول الا أنا . وقد أثر عنه في الانجيل التواضع الشديد لدرجة أنه غسل أرجل التلاميذ وحثهم على التواضع (يوحنا ١٣ : ١٤) وقال بصريح العبارة : « مجدا من الناس لست أقبل » (يو ٥ : ٤١) وإذا كان لا يقبل المجد من الناس ، فما فائدة الفخر اذا ؟

(ب) وأما أن العالم النصرانى الذى يدعو بالانجيل أفضل من المعمدان ، فهذا يحتاج الى نص سماوى صريح ، لأن الأنبياء أرفع منزلة من سائر البشر ، ولا يوجد في الانجيل ما يفض من قيمة الأنبياء المعظمين في بنى اسرائيل لدرجة أن يقال : ان ابراهيم واسحق ويعقوب رؤساء الآباء أقل درجة من دعاة النصرانية ، كيف يكون هذا وهم آباء عيسى نفسه ، وهم الذين سلموا التوراة الى النصرانى ؟

ونص الانجيل هو فى المفاضلة بين نبي ونبي ، وليس هو بين نبي وشخص عادى . وصفة النبوة هى الصفة المقصودة بالتفاضل . وسياق الكلام يبين ذلك . فانه قال : « أنبيا ؟ » نعم أقول لكم وأفضل من نبي . صحيح أن هدف الدعاة واحد . ولكن الأستاذ له الفضل على التلميذ ، لأنه هو الذى علمهم ما يدعون به ، وهم يدعون بما علمه لهم ، على حد قول عيسى عليه السلام : « ليس التلميذ أفضل من المعلم ، ولا العبد أفضل من السيد ، يكفى التلميذ أن يكون كمعلمه والعبد كسيده » (متى ١٠ : ٢٤ - ٢٥) فقد بين عيسى نفسه أنه لا يمكن التفاضل بين التلميذ والمعلم ، بل تكفى المساواة . اذا كان لابد من المفاضلة .

(ج) وأما عن قول عيسى فيما انفرد بروايته متى : « وان أردتم أن تقبلوا فهذا هو ايلياء الزمخ أن يأتى » فهذه العبارة تثبت مجيء ايلياء في المستقبل من بعد عيسى عليه السلام ، وجاء في انجيل متى عبارة تفيد أن ايلياء قد جاء من قبل عيسى عليه السلام . وهى : « ان ايلياء قد

جاء ولم يعرفوه » (متى ١٧ : ١٢) ولقد فهم التلاميذ أن ايلياء الذى جاء ولم يعرفوه ، هو يرحنا المعمدان (متى ١٧ : ١٣) يقول الدكتور هانى رزق على لسان الأرثوذكس : « بذلك نجد أن نبوة ملاخى ٤٣٥ ق.م. القائلة بمجىء ايلياء النبى قبل مجىء يوم الرب العظيم ، قد تحققت بمجىء يوحنا المعمدان ، الذى اتضح من هذه الأقوال أنه ايلياء المزمع أن يأتى ، قبل مجىء المسيح ليعد له الطريق » (٢٤) ويقول الكاثوليك عن المعمدان : « هو ايلياء المزمع أن يأتى ، لأنه قد سبق المسيح فى مجيئه الأول ، كما أن ايلياء سيسبقه فى مجيئه الثانى » (٢٥)

وفهم التلاميذ خطأ . لأن يوحنا المعمدان نفسه . قال : لست أنا ايلياء (يو ١ : ٢١) وهو نبى . ولا يمكن أن يكذب نبى من الأنبياء الصادقين . ولأن ايلياء كان قبل سبى آشور سنة ٧٣٨ ق.م. وكان معاصرا لأخاب ملك السامرة سنة ٩٠٠ ق.م. (٢٦)

وهذه قصته بايجاز :

١ — ايلياء هو نبى من أنبياء اليهود الذين أتوا من بعد موسى عليه السلام :

وقد ورد فى الترجمة الانجليزية : ان اسمه (الياس) Elias وهذا هو اسمه عند يهود السامرة . وقد وردت له قصة فى التوراة ، فيها شبه مما جاء عنه فى القرآن الكريم . قال تعالى : « وان الياس لمن المرسلين ، اذ قال لقومه : ألا تتقون ؟ أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين ؟ الله ربكم ورب آبائكم الأولين . فكذبوه فانهم لمحضرون ، الا عباد الله المخلصين . وتركنا عليه فى الآخريين . سلام على الياسين . انا كذلك نجزي المحسنين ، انه من عبادنا المؤمنين » (الصفات ١٢٢ — ١٣٢) قال القرطبي فى تفسيره : « قال المفسرون الياس نبى من بنى اسرائيل . روى عن ابن مسعود قال : ان اسرائيل هو يعقوب ،

(٢٤) ص ٣٦ يسوع المسيح فى ناسوته وألوهيته .
(٢٥) ص ٤٧٠ حواش على المجلد الثالث من الكتاب المقدس للكاثوليك
(٢٦) قاموس الكتاب المقدس — جورج بوست .

والياس هو ادريس » ونصح ما روى عن بن مسعود فتقول : ان اسرائيل هو يعقوب كما ذكر ، أما ادريس عليه السلام فليس هو الياس ، لأن ادريس نبي ، والياس نبي آخر . ذلك أن التوراة ذكرت ادريس باسم أخنوخ ، وكان وجوده في الأرض قبل نوح عليه السلام ، وعاش مئة وخمسا وستين سنة ، وكان صالحا عبدا ورفعه الله الى السماء . ففي التوراة : « عاش أخنوخ خمسة وستين سنة وولد متوشالحو ، وسار أخنوخ مع الله ، بعد ما ولد متوشالحو ثلاث مئة سنة ، وولد بنين وبنات ، فكانت كل أيام أخنوخ ثلاث مئة وخمسة وستين سنة . وسار أخنوخ مع الله ، ولم يوجد ، لأن الله أخذه » (تك ٥ : ٢١ - ٢٤) وقال الامام الزمخشري عن ادريس : « وكان اسمه أخنوخ » .

٢ — « أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين » ؟ ورد في التوراة : أن أخاب ابن عبري ٩٠٠ ق.م . من ملوك يهود السامرة تزوج امرأة تسمى « ايزابل » وعمل صنما وسماه (البعل) وسجد له هو وامراته وأهل مملكته . وكان لهذا البعل من الكهنة خداما أربعمئة وخمسون « ثم قال ايلياء للشعب : أنا بقيت نبيا للرب وحدي ، وانبياء البعل أربعمئة وخمسون رجلا فليعطونا ثورين ، فيختاروا لأنفسهم ثورا واحدا ويقطعوه ويضعوه على الحطب ، ولكن لا يضعوا نارا . وأنا أقرب الثور الآخر واجعله على الحطب ولكن لا أضع نارا ، ثم تدعون باسم آلهتكم وأنا أدعو باسم الرب ، والاله الذي يجيب بنار فهو الله . فأجاب جميع الشعب وقالوا : الكلام حسن . فقال ايلياء لأنبياء البعل : اختاروا لأنفسكم ثورا واحدا وقربوا أولا ، لأنكم أنتم الأكثر وادعوا باسم آلهتكم ولكن لا تضعوا نارا ، فأخذوا الثور الذي أعطى لهم وقربوه وادعوا باسم البعل من الصباح الى الظهر ، قائلين : يا بعل أجبنا ، فلم يكن صوت ولا مجيب . وكانوا يرقصون حول المذبح الذي عمل . وعند الظهر سخر بهم ايلياء وقال : ادعوا بصوت عال لأنه اله . لعله مستغرق أو في خلوة أو في سفر أو لعله نائم فينتبه ، فصرخوا بصوت عال وتقطعوا

حسب عاداتهم بالسيوف والرماح حتى سال منهم الدم ، ولما جاء الظهر وتنبأوا الى حين اصعاد التقدمة ولم يكن صوت ولا مجيب ولا مصغ .
 قال ايلياء لجميع الشعب : تقدموا الى . فتقدم جميع الشعب فرم مذبح الرب المنهدم ، ثم أخذ ايلياء اثني عشر حجرا بعدد أسباط بنى يعقوب الذى كان كلام الرب اليه قائلا : اسرائيل يكون اسمك . وبنى الحجارة مذبحا باسم الرب ، وعمل قناة حول المذبح ، تسع كيلتين من البزر ثم رتب الحطب وقطع الثور ، ووضع على الحطب . وقال : املاوا اربع جرات ماء ، وصبوا على المحرقة وعلى الحطب . ثم قال : ثنوا فثنوا . وقال : ثنوا ، فثلثوا فجرى الماء حول المذبح وامتألت القناة أيضا ماء . وكان عند اصعاد التقدمة : أن ايلياء النبى تقدم وقال : أيها الرب اله ابراهيم واسحق واسرائيل ليعلم لليوم انك أنت الله فى اسرائيل وأنى أنا عبدك . وبأبرك قد فعلت كل هذه الأمور استجبني يارب . استجبني . ليعلم هذا الشعب . أنك أنت الرب الاله ، وأنتك أنت حولت قلوبهم رجوعا ، فسقطت نار الرب . وأكلت المحرقة والحطب والحجارة والتراب ، ولحسنت المياه التى فى القناة ، فلما رأى جميع الشعب ذلك سقطوا على وجوههم وقالوا : الرب هو الله الرب هو الله .

فقال لهم ايلياء : أمسكوا أنبياء البعل ولا يفلت منهم رجل ، فامسكوا فنزل بهم ايلياء الى نهر قيشون وذبحهم هناك « (الملوك الأول ١٨ : ٢٢)
 (٤٠ -

وورد شبيها بهذا فى أقوال المفسرين ، فقد حكى القرطبى عن مقاتل بأن البعل « صنم كسره الياص وهرب منهم ، وقيل من ذهب وكان طوله عشرين ذراعا وله أربعة أوجه ، فثنوا به وعظموه ، حتى أخدموه أربعمائة سادن ، وجعلوهم أنبياء ، فكان الشيطان يدخل فى جوف بعل ، ويتكلم بشرية الضلالة والسدنة يحفظونها ، ويعلمونها الناس » (٢٧) .

وهذا الذى أوردها من كلام المفسرين شبيها بالتوراة ، يدل دلالة واضحة على أن كثيراً من المفسرين كانوا ينقلون عن أهل الكتاب من كتبهم حيناً ، ومن أسنتهم حيناً آخر . يقول أستاذنا الدكتور محمد أبو شهبه معلناً على الاسرائيليات فى قصة الياس عليه السلام : (وكل هذا من أخبار بنى اسرائيل وتزديداتهم واختلاقاتهم . وما روى منها عن بعض الصحابة والتابعين : فمرجه الى مسلمة أهل الكتاب ككعب وهب وغيرهما) (٢٨)

وله معجزات غير هذه : منها أنه أحيا ابن امرأة أرملة من قرية تسمى صرفة وجعل الزيت لا ينقص من كوز الزيت ، وكوار الدقيق لا يفرغ من عندها ، حتى ينزل المطر ، فتخرج الأرض نباتها (الملوك الأول ١٧) ومنها أنه دعا الله أن لا تمطر السماء لثلاثين يوماً فاستجاب الله له (الملوك الأول ١٧)

٣ — « سلام على الياسين » أشهر ما فيها من قراءات : ١ — آل ياسين بمد الألف ٢ — الياسين بقطع الهزة ٣ — الياسين بوصل الألف ويقول القرطبي فى توجيه القرائتين الأوليين : ومن قرأ « سلام على آل ياسين » فكأنه والله أعلم جعل اسم الياس ياسين ، ثم سلم على آله أى أهل دينه ، ومن كان على مذهبه . ومن قرأ « الياس » بالقطع فللعلماء فيه غير قول . فروى هرون عن ابن أبى اسحق . قال : الياسين مثل ابراهيم يذهب الى أنه اسم له ، وأبو عبيدة يذهب الى أنه جمع جمع التسليم ، على أنه وأهل بيته سلم عليهم . وعن القراءة الثالثة بالوصل يقول : وقرأ الحسن « سلام على الياسين » بوصل الألف كأنها ياسين . دخلت عليها الألف واللام التى للتعريف . والمراد الياس عليه السلام . وعليه وقع التسليم . ولكنه اسم أعجمى والعرب تضطرب فى هذه الأسماء الأعجمية ويكثر تغييرهم لها .

(٢٨) ص ٣٦٧ الاسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير .

والصواب في نظرنا : أن الاسم المفرد هو الياس . والجمع في اللغة العبرية للتذكير يكون بالياء والميم لا بالواو والنون كما في لغة العرب . ثم إن الميم تقلب نونا لقربها من المخرج . كأنه يقول : سلام على الياس ومن جاهد معه . أي سلام على الياسيين وخفف الفتح .

يقول مؤلف تاريخ العرب المطول : « والجدير بالذكر أن أسماء شخصيات التوراة الواردة في القرآن جاءت على ما يظهر عن طريق اللغة السريانية . مثل (نوح) واليونانية مثل (الياس ويونس) لا مباشرة عن طريق اللغة العبرانية » (٢٩) . وإلياء في العبرية ينطق إيليا هو ، لا الياس .

٤ - واليهود السامريون لا يقرون بنبوته . يقول اليهودي أبو الحسن السامري : « وكانوا ملوك اليهود منهم من لا يسجد للوثان ، ومنهم من يسجد ، يدعى بيت المقدس قدسا ، ويدعون أن لهم أنبياء ينسبون إلى الله عز وجل ما لم يقل لهم ، ويقولون : أن فيهم من يصدق وما كان فيهم صادقا . وإنما كانوا يتكلمون بطريق السحر والتنجيم ويلهون الناس ويلعبون بعقولهم ، ويدخلون بهم في طريق الآثام والمذنب ، ويضلونهم . وفي ذلك الوقت سمي حنيفة : نبي . والياس : نبي . وهذا الياس غرق في الأردن ومات . وادعوا أنه طلع إلى السماء بعد موته » (٢٨)



وبعدما فرغنا من الكلام على حياة يوحنا المعمدان — عليه السلام — وتقدير عيسى له — وهو تقدير يعتبر من الثبوتات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم — نتحدث عن دعوته التي يتبين منها أنها مشابهة تمام المشابهة لدعوة عيسى — عليه السلام — .

(٣٠) ص ٥٣ — ٥٤ التاريخ مما تقدم عن الآباء .
(٢٩) ص ١٧٢ تاريخ العرب المطول القسم الثاني .

أولا : ملكوت السموات

جاء في انجيل متى : « وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية قائلا توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات فان هذا هو الذى قيل عنه بأشعياى النبى القائل : صوت صارخ فى البرية أعدوا طريق الرب اصنعوا سبله مستقيمة ويوحنا هذا كان لباسه من وبر الأبل وعلى حذويه منطقة من جلد وكان طعامه جرادا وعسلا بريا هينئذ خرج اليه أورشليم وكل اليهودية وجميع الكورة المحيطة بالأردن واعتمدوا منه فى الأردن معترفين بخطاياهم .

فلما رأى كثيرين من الفريسيين والصدوقيين يأتون الى معمديته قال لهم يا أولاد الأفاعى من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى ؟ فاصنعوا أثمارا تليق بالتوبة ، ولا تفتكروا أن تقولوا فى أنفسكم لنا ابراهيم أبنا لأنى أقول لكم ان الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولادا لابراهيم والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر ، فكل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا تقطع وتلقى فى النار .

أنا أعمدكم بماء للتوبة ولكن الذى يأتى بعدى هو أقوى منى الذى لست أهلا أن أحمل حذاءه هو سيمعدكم بالروح القدس ونار الذى رفشه فى يده وسينقى بيده ويجمع قمحه الى الخزن وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ » (متى ٣ : ١ - ١٢)

وجاء فى انجيل لوقا : « فى أيام رئيس الكهنة حنان وقيناى (١) كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا فى البرية فجاء الى جميع الكورة المحيطة بالأردن يكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا كما هو مكتوب فى سفر

(١) قال برنابا : « كان هيرودس فى ذلك الوقت ملكا على اليهودية بأمر قيصر أوغسطس . وكان بيلاطس حاكما (لوقا ٢ : ٤) فى زمن الرئاسة الكهنوتية لحنان وقيناى (لوقا ٣ : ١ - ٢) فعلا بأمر قيصر (لو ٢ : ١ - ٧) اكتب جميع العالم » (بر ٣ : ١ - ٣) يعنى برنابا : أن عيسى قد ولد ، ويحيى قائم بالدعوة .

وهذا قد أكده « ايرانيوس » فى قوله ان يسوع كان فى الخمسين من العمر عند بدء معمودية يوحنا - كما سبق بيانه - .

أقوال أشعيا النبي القائل : صوت صارخ في البرية أعدوا طريق الرب ،
اصنعوا سبله مستقيمة كل واد يمتلىء ، وكل جبل واکمة ينخفض وتصير
المعوجات مستقيمة ، والشعاب طرقا سهلة ، ويبصر كل بشر خلاص
الله .

وكان يقول للجموع الذين خرجوا ليعتمدوا منه : يا أولاد الأفاعي
من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى ؟ فاصنعوا أثمارا تليق بالتوبة ،
ولا تبتدئوا تقولون فى أنفسكم : لنا ابراهيم ابا . لأنى أقول لكم : ان
الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولادا لابراهيم . والآن قد وضعت
الفأس على أصل الشجر ، فكل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا ، تقلع وتلقى
فى النار .

فسأله الجموع قائلين : فماذا نفعل ؟ فأجاب وقال لهم : من له
ثوبان فليعط من ليس له ، ومن له طعام فليفعل هكذا .
وجاء عشارون أيضا ليعتمدوا ، فقالوا له : يا معلم ماذا نفعل ؟
فقال لهم : لا تستوفوا أكثر مما فرض لكم .

وسأله جنديون أيضا قائلين : وماذا نفعل نحن ؟ فقال لهم : لا تظلموا
أحدا ولا تشوا بأحد ، واكتفوا بعلائفكم .

واذا كان الشعب ينتظر والجميع يفكرون فى قلوبهم عن يوحنا لعله
المسيح ؟ أجاب يوحنا الجميع قائلا : أنا أعهدكم بماء ، ولكن يأتى من هو
أقوى منى ، الذى لست أهلا أن أحل سيور حذائه . هو سيعمدكم بالروح
القدس ونار ، الذى رفشه فى يده ، وسينقى بيده ، ويجمع القمح الى
مخزنه . وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ . وبأشياء أخرى كثيرة كان يعظ
الشعب ويبشرهم « (لوقا ٣ : ١٨)

ثانيا : نص شهادته عن النبي الأسمى

وجاء فى انجيل يوحنا : « وهذه هى شهادة يوحنا حين أرسل اليهود
من اورشليم كهنة ولاويين ، ليسألوه : من أنت ؟ فاعترف ولم ينكر ، واقر

أنى لست أنا المسيح . فسألوه : اذا ماذا ؟ ايلياء أنت ؟ فقال : لست أنا . النبى أنت ؟ فأجاب : لا . قالوا له : من أنت : لمنعطى جوابا للذين أرسلونا ؟ ماذا تقول عن نفسك ؟ قال : أنا صوت صارخ فى البرية ، قوهوا طريق الرب . كما قال أشعيا النبى .

وكان المرسلون من الفريسيين فسألوه ، وقالوا : فما بالك تعتمد ان كنت لست المسيح ، ولا ايلياء ولا النبى ؟ أجابهم يوحنا قائلا : أنا أعهد بيه ، ولكن فى وسطكم قائم ، الذى لستم تعرفونه ، هو الذى يأتى بعدى ، الذى صار قدامى ، الذى لست بمستحق أن أحل سيور حذائه . هذا كان فى بيت عبرة فى عبر الأردن ، حيث كان يوحنا يعهد .

وفى الغد نظر يوحنا يسوع مقبلا اليه فقال : هو ذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم ، هذا هو الذى قلت عنه يأتى بعدى رجل صار قدامى ، لأنه كان قبلى ، وأنا لم أكن أعرفه ، لكن ليظهر لاسرائيل . لذلك جئت أعهد بالماء .

ويشهد يوحنا قائلا : انى قد رأيت الروح نازلا مثل حمامة ، من السماء ، فاستقر عليه ، وأنا لم أكن أعرفه . لكن الذى أرسلنى لأعهد بالماء ، ذاك قال لى : الذى ترى الروح نازلا ومستقرا عليه ، فهذا هو الذى يعهد بالروح القدس . وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله .

وفى الغد أيضا كان يوحنا واقفا ، هو واثنان من تلاميذه ، فنظر الى يسوع ماشيا . فقال : هوذا حمل الله ، فسمعه التلميذان يتكلم ، فتبعنا يسوع » (يوحنا ١ : ١٩ - ٣٧)

الشرح والبيان :

أولا : فى عبارات متى - ومرقس لم يأت بزيادة عليها - نجد :

١ - أول حديث ليوحنا المعمدان هو تبشير اليهود وانذارهم فى آن واحد . فانه بشرهم « قائلا : توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات » وأنذرهم

قائلا : « الآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر ، فكل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا ، تقطع وتلقى في النار » ومعناها : أن العذاب قريب كما تقرب الفأس من أصل الشجرة استعدادا للقطع . وإذا كان في الزمن الماضي امهال من الله لليهود ، رجاء عودتهم اليه ، فانه قد جاء الوقت للنقمة وتوقع العذاب . ويستبان لذى عينين من هذا التبشير وذلك الانذار : أن حدثا هاما سوف يقع يغير مجريات الأمور ، وما ذلك الحدث الهام الا اقتراب ملكوت السموات ، وهذا الملكوت الذى اقترب ، كان لىدى اليهود فكرة عن مجيئه وترقب ليوم ظهوره . وما رسالة المعمدان الا اخبار عن قرب وقته وسرعة زمنه ، وأن المعمدان هو الذى بشرت به أسفار الأنبياء ليأتى قبل مجيء الملكوت للتمهيد له . اذ يقصد متى من عبارته . وهى «فان هذا هو الذى قيل عنه بأشعياى النبى القائل صوت صارخ فى البرية ، أعدوا طريق الرب اصنعوا سبله مستقيمة » ما جاء فى أسفار الانبياء على لسان أشعياى وهو «صوت صارخ فى البرية : أعدوا طريق الرب ، قوموا فى القفر سبيلا لالهننا ، كل وطاء يرتفع ، وكل جبل وأكمة ينخفض ، ويصير المعوج مستقيما ، والمعرائب سهلا . فيعلن مجد الرب ، ويراه كل بشر جميعا ، لأن ثم الرب يتكلم » (أشعياى ٤٠ : ٣ - ٥)

يقصد متى : أن يرحنا المعمدان هو الذى تنبأت أسفار الانبياء عن مجيئه ممهدا للمسيا - الذى تفسيره المسيح - ولئن قال قائل : انه لو كان للمسيا ممهد ، لما قال اليهود عن يوحنا : « لعله المسيح » لأنه لا يكون المسيح الا اذا أتى المهد له من قبل . وكيف يكون له ممهد والمسامريون لا يقصدون سفر أشعياى ولا يقولون بمهد للمسيح . لئن قال هذا قائل ، لقليل : انهم قالوا عن يوحنا « لعله » ولم يقطعوا بأنه هو . وقولهم انها كان بسبب تضليل علماء بنى اسرائيل فى حقيقة المسيا ، من بعد سبى بابل ، لأنه من اسماعيل وأرادوا جعله فى اسرائيل . وقد أراد الله الحق ، فى أمره للناس ، على لسان من يشهد له ، ومن يمهد له . ليقطع العذر ، ويزيل العلة .

٢ - وملكوت السموات الذى يعبر يوحنا المعمدان عن اقترابه : هو ملكوت المسيا الذى وعد اليهود بمجيئه موسى عليه السلام فى الاصحاح

الثامن عشر من سفر التثنية . والذي أشار إليه النبي دانيال بملكو
السموات ، ملكوت ابن الانسان الذي سيتأسس بعد انتهاء المملكة الرابعة ،
وهي دولة الرومان (دانيال ٧ : ١٣ - ١٤)

٣ - والنصارى يقولون : ان النبي الذي وعد به موسى ، هو
عيسى ، وأن عصر الانجيل هو المقصود بملكو السموات ، وأنه هو
ابن الانسان المشار اليه في كلام دانيال . في الاصحاح الثامن والسابع من
سفره .

ونقول لهم : ان الأوصاف التي ذكرها يوحنا المعمدان عن الآتى من
بعده ، لا يمكن أن تنطبق على عيسى عليه السلام وتنطبق على نبي الاسلام
ﷺ .

لأن قول المعمدان للفريسيين والصدوقيين : « يا أولاد الأفاعي من
أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى ؟ » دليل على أن غضب الله بالحرب
واقع لا محالة بهم ، وأنه يحذرهم بأنه لا مفر ولا ملجأ من الله الا بالتوبة
النصوح اليه . ولما جاء عيسى عليه السلام لم يكن هو الذي تم على يده
الانتقام ، بل كان هو على حد تعبير الأناجيل موضع استهزاء اليهود
وتعيرهم . وفي النهاية ثار عليه اليهود وأرادوا قتله . .

٤ - وقول المعمدان : « والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر ،
فكل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا تقطع وتلقى في النار » دليل على أن انتقام
الله قريب من اليهود ، كقرب الفأس من أصل الشجرة . وأن امهال الله
لليهود رجاء التوبة قد انتهى وقته ، وليس الا توقع العذاب . فمن
تاب نجا ، لأنه يكون كالشجرة التي تصنع ثمرا جيدا . وان عصي هلك ،
لأنه يكون كالشجرة العقيم التي لا ظل لها ولا ثمر فيها . والتاريخ يشهد
بأن عيسى عليه السلام لم يثر ضد اليهود حربا ، ولا ضد العالم . وأثر
عنه في الانجيل : « أعطوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله » (مرقس ١٢ : ١٧)

٥ - وقول المعمدان : « الذي يأتى بعدى هو أقوى منى » لا ينطبق على

عيسى — عليه السلام — لأنه ما أتى بعده ، وإنما كان معه . ولو كان هو عيسى ما أرسل المعمدان وهو في السجن قائلا له : « أنت هو الآتى أم ننتظر آخر ؟ » (متى ١١ : ٣) والا فما فائدة نبوة المعمدان اذا كان على غير علم بأن يسوع هو المسيا الآتى ؟ وما كان يقول : « بعدى » لأن عيسى كان معاصرا له .

والذى أتى من بعده ، هو نبي الاسلام ﷺ لأنه ولد في السنة الخمسمائة والسبعين من بعد الميلاد . والأناجيل تصرح أيضا بأن عيسى — عليه السلام — كان يعمد ويصير تلاميذ في حياة يوحنا المعمدان . وهذا يدل على أنه لم يأت من بعد يوحنا المعمدان . يقول يوحنا كاتب الانجيل : « وحدثت مباحثة من تلاميذ يوحنا مع يهود ، من جهة التطهير . فجاءوا الى يوحنا ، وقالوا له : يا معلم هوذا الذى كان معك فى عبر الأردن ، الذى أنت قد شهدت له . هو يعمد والجميع يأتون اليه . أجاب يوحنا وقال : لا يقدر انسان أن يأخذ شيئا ، ان لم يكن قد أعطى من السماء » (يو ٣ : ٢٥-٢٧)

٦ — وقول المعمدان : « هو أقوى منى » لا ينطبق على عيسى عليه السلام لأنه هو والمعمدان شبيهان قوة وضعفا . فقد صرحت الأناجيل عنهما بأنهما :

١ — كانا نبيين ولم يزيدا في نظر اليهود عن كونهما نبيين . فقد أورد متى عبارتين عنهما متشابهتين : الأولى : أن اليهود سألوا عيسى قائلين : « معمودية يوحنا من أين كانت ؟ من السماء أم من الناس ؟ ففكروا في أنفسهم قائلين : ان قلنا من السماء يقول لنا فلماذا لم تؤمنوا به ؟ وان قلنا من الناس نخاف من الشعب ، لأن يوحنا عند الجميع مثل نبي » (٢١ : ٢٥ — ٢٦) والثانية : أنه ذكر مثلا ضربه عيسى عليه السلام لليهود ، ومغزاه : أن النبوة ستنقل منهم الى أمة أخرى « ولما سمع رؤساء الكهنة والمفريسيون أمثاله ، عرفوا أنه تكلم عليهم . واذا كانوا يطلبون أن يمسكوه : خافوا الجوع ، لأنه كان عندهم مثل نبي » (٢١ : ٤٥ — ٤٦) وفي ترجمة الكاثوليك للعبارة الأولى « لأن يوحنا كان يعد عنه

جميعهم نبيا » وللعبارة الثانية : « فهما أن يمسكوه ، ولكنهم خافوا من
الجموع ، لأنه كان يعد عندهم نبيا »

٢ — كانت دعوتها واحدة . يقول متى : « وفى تلك الأيام جاء
يوحنا المعمدان يكرز فى برية اليهود قائلا : توبوا لأنه قد اقترب ملكوت
السموات » (٣ : ١) « من ذلك الزمان ابتداء يسوع يكرز ، ويقول :
توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات » (٤ : ١٧)

٣ — لم يكن لهما ملك فى اسرائيل ولا نفوذ . فقد صرحت الأناجيل
بسجنهما وقتلهما . سجن يوحنا المعمدان وقتل (متى ١٤) وكذلك سجن
عيسى وقتل كما يزعمون (متى ٢٧)

٤ — كانت معموديتهما واحدة فى حياتها ، ومع تلايذهما من
بعدها .

وعلى هذا الذى قدمناه يكون الآتى من بعده هو نبى الاسلام ﷺ
لأنه صاحب شريعة جديدة مستقلة عن شريعة موسى عليه السلام ،
أما يوحنا المعمدان وعيسى ، فلم يكن لهما شريعة جديدة مستقلة عن التوراة ،
بل كانا يدعوان الناس الى شريعة موسى ، ويعملان بها . ولأن نبى الاسلام
كان رئيسا مطاعا فى قومه وصاحب نفوذ ، ولم يتمكن منه أعداؤه ، وانتصر
انتصارا مؤزرا ولأن لاسماعيل بركة منصوص عليها فى سفر التكوين .

٧ — وقول المعمدان عن المسيح المنتظر : « هو سيعمدكم بالروح القدس
ونار . الذى رفشه فى يده وسينقى بيده ، ويجمع قمحه الى المخزن ،
وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ » يقول الدكتور وليم أدى الأمريكانى :
« الذى رفشه فى يده » الرفض : الآلة المعروفة التى بها يذرى الحب فى
الهواء ، لفصله عن التبن (المذرة) « وسينقى بيده » تشير الكلمة
اليونانية الى تنقية البيدر تنقية تامة ، لا يترك معها شىء ، غير مذرى .
ويحتمل أن يكون المعنى : تنقية القمح الذى على البيدر من كل الأوساخ
أو تنظيف البيدر برفع القمح المذرى عنه . كناية عن نهاية العمل كله .

ويمكن أن يكون القصد من هذا التشبيه : الاشارة الى تأديب الله للناس وقصاصه لهم فى هذه الحياة (٢) «

وهنا نتساءل : هل عيسى عليه السلام عمد بالروح القدس والنار ؟ وهل كانت المذرة فى يده وهي كناية عن نهاية العمل كله ، اشارة الى تأديب الله للناس وقصاصه لهم فى هذه الحياة ؟ وهل نقى أكوام القمح فى أجرانها ؟ وهل أحرق المتبن بنار لا تطفأ وجمع القمح الى مخزنه ؟

أما أنه عمد بالروح القدس فلم يحدث ، بل عمد بالماء كما عمد يوحنا ، ولم يزد عن فعل المعمدان فى المعمودية بأى حال من الأحوال . يقول يوحنا كاتب الانجيل : « جاء يسوع وتلاميذه الى أرض اليهودية ، ومكث معهم هناك وكان يعمد ، وكان يوحنا أيضا يعمد فى عين نون بقرب ساليم ، لأنه كان هناك مياه كثيرة » (٣ : ٢٢ - ٢٣) وجاء فى سفر أعمال الرسل : أن بولس لما زار مدينة « أفسس » وجد فيها تلاميذ ، فسألهم : « هل قبلتم الروح القدس لما آمنتم ؟ قالوا له : ولا سمعنا أنه يوجد الروح القدس . فقال لهم : فبماذا اعتمدتم ؟ فقالوا له : بمعمودية يوحنا » (١٩ : ٢ - ٤) وهذا يدل على أنه بعد صعود عيسى الى السماء بمدة طويلة ، لم يكن الناس يعرفون التعميد بالروح القدس . وقول المعمدان « ونار » هو اشارة الى أن النبى المنتظر الذى سيأتى من بعده سيأتى بقوة عظيمة ، ليبديد الفجار ولينتقم من الأشرار ولينصف المظلومين وليمكن للحق وللعادل فى أرض الله بسيفه ورمحه . وما حدث شيء من ذلك مع عيسى عليه السلام .

ومما يؤكد أن النبى الذى أشار اليه المعمدان لم يأت بعد : أن الأناجيل لم تنف وجود نبى بعد عيسى عليه السلام فقد قال متى على لسانه : « من يقبل نبيا باسم نبى ، فأجر نبى يأخذ ، ومن يقبل بارا باسم بار ، فأجر بار يأخذ » (١٠ : ٤١) فلو كان المعلوم عدم أنبياء من بعد عيسى عليه السلام لما كان هناك من داع الى قول هذه العبارة أو شبيهها .

وقال أيضا : « احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ، ولكنهم من داخل ذئب خاطفة من ثمارهم تعرفونهم . هل تجنون من الثولج عبا ، أو من الحسيك تينا ؟ هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثمارا جيدة . وأما الشجرة الرديئة فتصنع أثمارا رديئة . لا تتدر شجرة جيدة أن تصنع أثمارا رديئة ، ولا شجرة رديئة أن تصنع أثمارا جيدة ، كل شجرة لا تصنع ثمرها جيدا ، تقطع وتلقى في النار . فإذا من ثمارهم تعرفونهم » (٧ : ١٥ - ٢٠) وهذا القول ينص على الاجتراز من صنف واحد من الأنبياء ، وليس من كل الاصناف . ينص على الاجتراز من الكذبة وليس من الصادقين . وقد وضع هذا القول : طريقة التمييز بين الصادق والكاذب من الأنبياء بعبارة : (من ثمارهم تعرفونهم) وإذا تدبرنا ما جاء به نبي الاسلام ﷺ لوجدناه يدعو الى مكارم الأخلاق ، والبعد عن الدنيا وسفاسف الأمور ، وأنه جاء بتشريع سام مجيد ، لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله . وها قد مرت مئات من السنين ولم يظهر فيها ما ينقضه أو يفض من شأنه . وقد شهد له الأصدقاء والأعداء على حد سواء . وظل سلطان الاسلام عزيز الجانب الى يومنا هذا . ولو كان نبي الاسلام من الأنبياء الكذبة ، لعنا الزمن على دعوته كما عفى على الكاذبين .

ثانيا : وفي عبارات لوقا : تجد زيادات عما أورده متى :

١ - فهو يوضح التاريخ الذي بدأ فيه المعمدان بالخدمة ، وهو : « في السنة الخامسة عشرة من سلطنة طيباريوس قيصر . . . » ثالث الانئي عشر قيصرا . كما جاء في تفسير متى هنرى (٣)

٢ - وهو يوضح أن يوحنا المعمدان هو ابن نبي الله زكريا عليه السلام بقوله : « كانت كلمة الله على يوحنا ابن زكريا في البرية »

٣ - ولوقا يذكر عبارات من وعظ يوحنا المعمدان ، لم يذكرها أحد

(٣) ص ١٣٣ ج ١ تفسير لوقا .

غيره ، فانه لما قال للجموع : « والآن قد وضعت الفأس على اصل
الشجر ... سأله الجموع قائلين : فماذا نفعل ؟ فأجاب وقال لهم : من
له ثوبان فليعط من ليس له . ومن له طعام فليفعل هكذا . وجاء عشارون
أيضا ليعتمدوا فقالوا له : يا معلم . ماذا نفعل نحن ؟ فقال لهم لا تستوفوا
أكثر مما فرض لكم . وسأله جنديون أيضا قائلين : وماذا نفعل نحن ؟
فقال لهم : لا تظلموا أحدا ولا تشموا بأحد ، واكتفوا بعلائفكم »

والعشارون : هم جباة الضرائب من اليهود لصالح الرومانيين
المحتلين . والجنود : هم رجال الشرطة الذين يقومون بواجب الأمن العام .
والمعنى أن يؤثر الأغنياء الفقراء بأموالهم . وعلى جباة الضرائب أن
لا يستغلوا وظيفتهم في ابتزاز أموال الناس ، بل يجمعوا كما حدد
القانون . والجنود لا يظلمون أحدا ولا يشهدوا زورا .

وهذه العظات البالغة من المعدادن ، نجد لها شبيها في عظات
عيسى عليه السلام . مثل قوله : « فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم ،
افعلوا هكذا أنتم أيضا بهم . لأن هذا هو الناموس والأنبياء » (مت
٦ : ١٢) . مما يؤكد قولنا : ان دعوتها واحدة .

٤ - يوضح لوقا : أن الشعب اليهودي لما سمع بدعوة المعدادن
ظن أنه المسيح الآتي الى العالم . وهذا معناه : أن اليهود حتى زمن المعدادن
كانوا ينتظرون هذا النبي . وقد سارع المعدادن فنفي عن نفسه أنه
المسيح الآتي الى العالم ، أمام الجموع ، كما نفى أمام الكهنة واللاويين
لما سأله : « المسيح أنت ؟ فأجاب : لا » وبين أن المسيح سوف يأتي
بعده في قوله : « واذ كان الشعب ينتظر والجموع يفكرون في قلوبهم عن
يوحنا لعله المسيح ؟ أجاب يوحنا الجميع قائلا : أنا أعمدكم بماء ،
ولكن يأتي من هو أقوى مني ... » وعيسى عليه السلام قد نفى
عن نفسه أيضا : أنه المسيح الآتي الى العالم ، وانتهر تلاميذه كي لا يقولوا
لأحد عنه ففي انجيل مرقس : « فقال لهم : وأنتم من تقولون : اني أنا ؟ »

عاجاب بطرس وقال له : أنت المسيح . فانتهرهم كى لا يقولوا لأحد عنه «
(مر ٨ : ٢٩ - ٣٠)

ثالثا : وفى عبارات يوحنا : نجد منها ما هو متفق فى المعنى مع الأناجيل الثلاثة ، ومنها ما هو جديد . فهو متفق معهم فى أن يوحنا المعمدان ليس هو المسيح المنتظر وفى أن المعمدان هو الذى تنبأ عنه أشعيا ليمهد الطريق لرسول الرب الذى هو المسيا .
والجديد عنده :

١ - الشهادة التى شهدها المعمدان عن نفسه بأنه ليس هو المسيح وليس النبى وليس ايلياء .

٢ - ذكره أن المعمدان كان يقصد بالرجل الذى يأتى من بعده عيسى عليه السلام .

وقبل أن نذكر شيئا عن زيادته نقول : ان انجيل يوحنا كتب فى البدء كسائر الأناجيل الصحيحة التى تعنى بالحقائق ولا تأخذها فى الله لومة لائم . ولانجيله أهمية عظيمة عند النصارى الأوائل لقربته القريبة من عيسى عليه السلام فهو ابن خالته ، وسكن كثيرا فى « أورشليم » يقول الدكتور فردريك . فارار : (ورد فى بعض التقاليد : أن يعقوب ويوحنا الصغير ويهوذا ومتى كانوا أولاد خنؤولته) ويقول : (وذكر يوحنا عرضا فى انجيله أنه كان (معروفا عند رئيس الكهنة) ولقد أسلفت الفكرة غير البعيدة الاحتمال : انه سكن كثيرا فى أورشليم) ويقول : (وجاء فى التقليد : أن يوحنا لبس فى أفسس الاكليل الذى يلبسه من هو من سبط الكهنوت على العمامة (خر ٢٨ : ٣٦) و (٢٩ : ٦) (٤) ولما قامت الحملة العنيفة من اليهود بقيادة بولس لتشويه النصرانية ، لم يستطيعوا أن يمحوا انجيل يوحنا ، لاشتهاره عند النصارى وتداوله فى أيديهم . ولذلك لجأوا الى طريقتين : الطريقة الأولى : حشر بعض العبارات داخل الانجيل للبس الحق بالباطل ، والطريقة الثانية : ترك

(٤) ص ٢٢٩ حياة المسيح

العبارات الأصلية كما هي في يوحنا أو غيره ، وعمل رسائل تفسيرية تتمشى مع المبادئ التي ابتدعوها ، وذلك لايهام الناس أن قصد عيسى عليه السلام هو هذا المبتدع . وبمرور الزمن يصبح كلاما مقدسا . ومثال ذلك في الطريقة الأولى : أن الانجيل الثلاثة متى ومرقس ولوقا ، اتفقت شهادتهم على أن المعمدان لم يصرح بأنه قصد عيسى بشهادته ، واتفقوا على أن عيسى لم يعترف أنه هو المسيح المنتظر . فعهد المحرفون الى انجيل يوحنا ليقولوا فيه : ان شهادة المعمدان هي عن عيسى عليه السلام ، وأنه هو المسيح وكتبوا فيه من عندهم : (هذا هو الذي قلت عنه يأتى بعدى) مع أن شهادة الثلاثة أقوى من الواحد ، والأوصاف غير منطبقة . ومثال ذلك في الطريقة الثانية : ما جاء في يوحنا : أن اسم النبي ﷺ هو (بيركليطوس) ولاشتهار هذا لدى الناس ولا يجرؤ على محوه أحد من الانجيل لاشتهاره ، لجأوا الى كتابة سفر أعمال الرسل ، وفي الأصحاح الثانى منه فسروا (بيركليطوس) بالروح القدس الأبنوم الثالث الالهى فى الثالوث المقدس .

وشهادة المعمدان عن نفسه كما يرويها يوحنا الانجيلى هي : أن اليهود من أورشليم أرسلوا كهنة ولاويين ليسألوا المعمدان حين ذاع خبر نبوته :

١- المسيح أنت ؟ ٢- ايلياء أنت ؟ ٣- أالنبى أنت ؟

وقال المعمدان بصراحة : لست المسيح ، ولا ايلياء ولا النبى . وكان المرسلون من طائفة الفريسيين ، وهم طائفة دينية تدعى الغيرة على الشريعة اليهودية . فمن هو المسيح الذى سأل عنه الفريسيون ؟ ومن هو ايلياء ؟ ومن هو النبى ؟

١- أما المسيح (٥) فقد بينا من قبل أنه هو « المسيا » وأنه هو

(٥) قال مفسرو التوراة من النصارى : ان قول موسى في سفر التثنية « يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك من اخوتك مثلى . له تسمعون » هذا النبى هو المسيا الذى تفسره المسيح (انظر : السنن القويم . وانظر المسيح في جميع الكتب لهودجكن . وانظر يسوع المسيح في ناسوته والوهيته للدكتور هانى رزق)

النبي وان لم يكن النص موضوعاً للبس الحق بالباطل ، فان اليهود قد سألوا للتأكيد عنه ، باللغظ الموجود في التوراة (النبي أنت ؟) وسألوا ، ما أصبح متعارفاً ومشتهراً عنه ، للهفتهم على معرفة الحقيقة (المسيح أنت ؟) فالنبي هو المسيح ، والمسيح هو النبي .

٢ — والنبي : الذي كان ينتظره اليهود هو الذي أشار اليه موسى بقوله : « يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك ، من اخوتك ، مثلى . له تسمعون » (التثنية ١٨ : ١٥) — وهو نفسه المسيا الذي تفسره المسيح — و (نبيا) نكرة . ولما سألوا المعمدان سألوا بقولهم : النبي أنت ؟ بلفظ الألف واللام المفيضان للمعهد الذكري . ودل سؤالهم على تخصيص النكرة . مثل قوله تعالى : « كما أرسلنا الى فرعون رسولا ، فعصى فرعون الرسول » (المزمع ١٥ — ١٦)

واذا قلبنا صفحات التاريخ لم نجد كتابا مقدسا ، غير القرآن أشار الى تحقيق النبوة في شخص امرئ ما . والواقع يؤيد قول النبي ﷺ بأنه هو الذي كتب عنه موسى ، وبشر به عيسى وبأنه هو المائل لموسى عليه السلام . كما يقول أستاذنا الدكتور محمد أبو شهبه : « فقد كان موسى عليه السلام صاحب شريعة مستقلة ، وليس بين الأنبياء الاسرائيليين نبي جاء قومه بشريعة جديدة . ومن هنا كان النبي محمدا بوصفه النبي الوحيد الذي أعطى شريعة ، هو وحده النبي الذي هو مثل موسى » (٦)

وانكار المعمدان أنه هو ذلك النبي ، وقد كان معاصرا لعيسى عليه السلام ، وعدم تصريح عيسى بأنه هو ذلك النبي . دليل على أن هذا النبي ما كان قد أتى قبلهما ، ولسوف يأتي من بعدهما .

٣ — وأما ايلياء فهو نبي عظيم من أنبياء اليهود ، واسمه في القرآن الكريم « الياس » وقد ورد ذكره في توراة يهود أورشليم . وينكر نبوته يهود السامرة . ويعتقد اليهود أنه صعد الى السماء بروحه ، وسوف

(٦) ص ٢٥٦ ج ١ السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة .

ينزل ثانية الى الأرض . ومن مميزاتة عند النصارى : أن روحه قد تلبس
 جسد شخص يولد جديدا ، على طريقة تناسخ الأرواح Metempsychosis
 أو العودة الى التجسد Reincarnation . وأيما كان فهم
 عوام اليهود واعتقادهم في ايلياء — كما يحكى كتاب الأناجيل — فقد سألوا
 المعمدان : هل هو ايلياء وقد نزل من السماء ؟ أم أن المعمدان تقمص روح
 ايلياء ، وكانت اجابة المعمدان نفيًا محضًا . لا هو ايلياء نفسه
 ولا هو قد جاء بروح ايلياء يقول متى هنرى : « كان اليهود
 يتوقعون أن يعود ايلياء شخصيا من السماء ،
 ويعيش بينهم ، وكانوا يمنون أنفسهم بآمال كبيرة من هذا . اذ سمعوا
 عن صفات يوحنا وتعاليمه ومعموديته ، ولاحظوا أنه ظهر كأنه هبط من
 السماء ، فى نفس الأرجاء التى سعد منها ايلياء الى السماء ، فلم يكن أمرا
 مستغربا أن يعتقدوا بأنه هو ايلياء أما هو فقد أنكر معتقدا بأنه لا يستحق
 هذا الشرف أيضا » (٧)

هذا هو اعتقاد النصارى فى « ايلياء » يقولون : ان ايلياء الحقيقى
 كان فى نحو سنة تسعمائة ق.م. وأن المعمدان جاء بروح ايلياء الحقيقى ،
 ليهد الطريق لعيسى عليه السلام . وينفى اعتقادهم وينقضه ا — قول
 يوحنا المعمدان : انه ليس بايلياء فى الاصحاح الأول من انجيل يوحنا . وهو
 « فسألوه : اذن ماذا ؟ ايلياء أنت ؟ فقال : لست أنا » ب — وقول عيسى
 عليه السلام : « وان أردتم أن تقبلوا ، فهذا هو ايلياء المزعم أن يأتى »
 (متى : ١٤)

اذن من هو ايلياء المزعم أن يأتى ايلياء الذى سألوه عنه المعمدان .
 وقال : لست أنا اياه ؟ من هو ؟ انه هو النبى محمد ﷺ وبيان ذلك :

(٧) ص ٥٤ ج ١ تفسير انجيل يوحنا .
 واعلم أن تناسخ الأرواح هو انتقال روح الانسان الى جسد آخر
 بعد الموت . للتعلم أو للعذاب .
 والعودة الى التجسد هى أن يموت انسان من قبل أن يتم رسالته ،
 فيعود بعد الموت فى شخص انسان جديد اذا أراد الله . والتناسخ والعودة
 الى التجسد ليسا من أصول الدين الاسلامى .

١ — ان موسى عليه السلام لما أخبر عنه في سفر التثنية بقوله :
« يقيم لك الرب الهك نبيا . . . الخ » صار معلوما لبني اسرائيل ان نبيا
سيأتى من بعد موسى عليه السلام .

٢ — ولأن من عادة بني اسرائيل اطلاق لقب « مسيا » — الذى
تفسيره المسيح — على كل نبى أو عالم أو ملك ، اطلقوا على هذا النبى
الآتى ، لقب « المسيح » فصار النبى هو نفسه المسيح .

٣ — وقد حذف (٨) علماء بني اسرائيل اسم محمد ﷺ ، من كتاب
موسى عليه السلام . ووضعوا بدل « محمد » أ — بهاد ماد ٢ — لجوى
جدول . فى سياق بركة اسماعيل ، لتدل « بهاد ماد » على اسم « محمد »
بحساب الجمل ، ولتدل عليه أيضا « لجوى جدول » .

٤ — وفى سفر ملاخى — وهو آخر مقدس فى التوراة العبرانية بيد
البروتستانت — جاء فى آخره هذا النص : « اذكروا شريعة موسى عبدى ،
التي أمرته بها فى حوريب . على كل اسرائيل الفرائض والأحكام . ها أنذا
أرسل اليكم ايلياء النبى ، قبل مجىء يوم الرب اليوم العظيم والمخوف . فإرد
قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آبائهم ، لئلا أتى وأضرب الأرض
بلعن » (ملا ٤ : ٤ : ٦) ومن هذا النص يتبين مجىء ايلياء قبل مجىء
يوم الرب ، الذى هو يوم القيامة . وعيسى عليه السلام قال بصريح العبارة
ان أردتم ان تقبلوا نبيا غير موسى لتعملوا بشريعته . فان ايلياء مزعج ان يأتى
فاقبلوه وعلى قول عيسى هذا ، يتبين ان ايلياء الذى تنبأ عنه ملاخى ، لم
يكن قد جاء قبل عيسى عليه السلام وليس هو عيسى وليس هو يحيى —
باعترافهما — فمن هو ايلياء ؟

(٨) فى آخر الجزء الأول من التلمود ، للدكتور شمعون مويال . مانصه :
« ولأجل فهم المقصود من لفظة « الحسابات » التي وضحناها ترجمة للفظه
« جيما طريات » الواردة فى الأصل ، نقول : ان علماء التلمود قد كلنوا
منذ الأزل بتطبيق حركاتهم وسكناتهم وأفكارهم على أحكام التوراة . فان
لم يجدوا لآى شىء من شئونهم الحيوية دليلا صريحا من التوراة أو من
أقوال السلف ، فهم يتوسلون بما يسمونه « ريميز » أى ابرز ، وبما يسمونه
« هيفيش » أى تقارب الألفاظ ، وبما يسمونه « جيما طريا » أى حساب
الجمل » أ . هـ .

ان ايلياء هو رمز لاسم « أحمد » بحساب الجمل . و « أحمد » هو اسم النبي الذي أخبر عن مجيئه موسى فى سفر التثنية ، والذي لقبه بنو اسرائيل بلقب « المسيا » . وقد شاع بين عوام اليهود لتضليل علماء بنى اسرائيل فى حقيقة المسيا ، أن النبي غير المسيح ، وهما غير ايلياء . ولذلك سألوا عن الثلاثة . وفى نظرنا أن الثلاثة لواحد ، وهو نبي الاسلام ﷺ .

٥ — وحساب أحمد : الألف بواحد ، والحاء بثمانية ، والميم بأربعين ، والذال بأربعة . فالمجموع : ثلاث وخمسون . وحساب ايلياء هكذا : الألف بواحد ، والياء بعشرة ، واللام بثلاثين ، والياء بعشرة ، والألف بواحد ، والهزة بواحد . فالمجموع : ثلاث وخمسون .

٦ — وفى انجيل يوحنا ان « بيركليت » هو اسم « أحمد » ﷺ . وهو اسم موافق لاسم ايلياء بحساب الجمل . وقد نطق به عيسى عليه السلام ليفسر به قول ملاخى .



٧ — وفى انجيل لوقا اسم أحمد . وهذا هو البيان :

قبل أن يولد عيسى بيضة أشهر ، توجهت به أمه بصحبة « يوسف » الى « بيت لحم » ليسجلا اسميهما فى تعداد السكان الذى أمر به « أوغسطس » قيصر الامبراطورية الرومانية ، وفى بيت لحم نزلا فى منزل خاص بالرعاة . فولدت ابنها وعندئذ جاء نفر من الملائكة يسبحون الله ، ويبشرون الأخبار بسلام وتبدي منهم ملاك للرعاة الذين ارتاعوا من منظر الملائكة وبشرهم بولادة عيسى وبينما هو يبشرهم جاءت ملائكة أخرى غير الأولين يسبحون الله أيضا ، ويبشرون الأخيار بسلام .

يقول برنابا : « جاء جوق غفير من الملائكة الى المنزل . بطرب يسبحون الله ويذيعون بشرى السلام لخائفى الله ، وحمدت مريم ويوسف الله على ولادة يسوع وهما على تربيته بأعظم سرور ، كان الرعاة فى ذلك الوقت يدرسون تمايعهم على عاداتهم ، وإذا بنور متلق قد أحاط بهم ، وخرج من خلاله ملاك سبج الله ، فارتاع الرعاة بسبب النور الذماني وظهور الملك

فسكن روعهم ملاك الرب قائلا : ها أنذا أبشركم بفرح عظيم ، لأنه قد ولد فى مدينة داود طفل نبي للرب ، الذى سيحوز لبית اسرائيل خلاصا عظيما ، وتجدون الطفل فى المنود مع أمه التى تسبح الله ، واذا قال هذا حضر جوق عظيم من الملائكة يسبحون الله ويبشرون الأخيار بسلام « (بر ٣ : ١٤ - ١٥ ، ٤ : ١ - ٩)

البيان : عبارة « ويبشرون الأخيار بسلام » هى التى تفيد البشارة بمجىء رسول السلام ، وهو نبي الاسلام ﷺ ، وقد ذكر لوقا المعترف بانجيله خبر الملائكة والرعاة هكذا « وكان فى تلك الكورة رعاة متبدين يحرسون حراسات الليل على رعيتهم ، واذا ملاك الرب وقف بهم ، ومجد الرب اضاء حولهم فخافوا خوفا عظيما ، فقال لهم الملاك : لا تخافوا . فما انا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب ... وظهر بفتة مع الملاك جمهور من الجند السماوى مسبحين الله وقائلين المجد لله فى الاعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة » (لو ٢ : ٨ - ١٤) وترجمة الكاثوليك هكذا « وظهر بفتة مع الملاك جمهور من الجند السماويين يسبحون الله ويقولون : المجد لله فى العلى ، وعلى الأرض السلام للناس الذين بهم المسرة »

والسؤال الآن : من هم الأخيار المبشرون بالسلام ؟ أو من هم الناس الذين بهم المسرة ؟ جاء فى كتاب الانجيل والصليب للاستاذ عبد الأحد داود ان صحة الترجمة هكذا « الحمد لله فى الاعالى ، على الارض سلامة ، فى الناس حسن رضا » ويقول : ان الملائكة لم يتكلموا باللغة العربية ، بل تكلموا باللغة السريانية لغة الرعاة والكلمتين السريانيتين اللتين نطق بهما الرعاة هما « ايرينى - وأيادوكيا » ومعنى « ايرينى » الاسلام ، « أيادوكيا » افعل التفضيل من الحمد ، أى أكثر الحمد ، أو أحمد والمعنى العام كما يراه هو :

« الحمد لله فى الاعالى ، أو شك أن يجيىء الاسلام للارض ، يقدمه

للناس أحمد» ويقول : لو كان المقصود بكلمة سلام : الأمن وعدم الحرب لاستعملت كلمة « سلم » السريانية « أو شالوم » العبرانية (٩)

موطن التحريف فى كلام يوحنا :

١ — عبارة : « وفى الغد نظر يوحنا يسوع مقبلا اليه ، فقال : هوذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم » ومعناها : أن آدم عليه السلام أخطأ ، فطرده الله من الجنة . وظل أولاده يتوارثون الخطية جيلا بعد جيل . وكل من مات من بنى آدم سواء كان صالحا أو طالعا ، بارا أو شريرا ، يدخل النار ، حتى جاء عيسى عليه السلام فقتل وصلب ، تكفيرا عن خطية آدم وذريته . يقول حبيب جرجس : « أن خطية آدم عمت جميع نسله وعادت بالويل والشقاء على سائر الجنس البشرى ، وصار محكرما عليهم بأن يولدوا أئمة وعبيدا للخطية والموت . . . ولما فسد الجنس البشرى وصار الناس مستعبدين للخطيئة . وأبناء المعصية والغضب لم يتركهم الله يهلكون بانغماسهم فيها ، بل شاء بمجرد رحمته أن ينقذنا من الهلاك بواسطة فاد يفتدينا من حكم الموت . وهذا الفادى ليس انسانا ولا ملاكا ولا خليفة أخرى ، بل هو مخلصنا وفادينا ابن الله الوحيد ربنا يسوع المسيح » (١٠)

وهذه العبارة باطلة ، وهذا الكلام باطل ، بمثل قول التوراة : « لا يقتل الآباء عن الأولاد ، ولا يقتل الأولاد عن الآباء . كل انسان بخطيته يقتل » (تث ٢٤ : ١٦)

٢ — عبارة : « وشهد يوحنا قائلا : انى قد رأيت الروح نازلا مثل حمامة من السماء ، فاستقر عليه » ينتضها : اعتقاد الأرثوذكس فى حقيقة عيسى عليه السلام اذ أنهم يعتقدون أنه هو الاله وقد نزل من السماء وتجدد

(٩) انظر هذا البحث فى الانجيل والصليب ص ٣٣ — ٦١ للأستاذ عبد الأحد داود الآشورى الميراثى .
(١٠) ص ٦٣ — ٦٦ خلاصة الأصول الايمانية فى معتقدات الكنيسة القبطية الارثوذكسية .

فى شخص عيسى . ورؤية الروح تثبت لها ثانيا مستقلا عن الاله الاول .
وينقضها أيضا : نفى عيسى نفسه أنه هو « المسيا »

٣ — عبارة : « وأنا لم أكن أعرفه » تنقضها صلة القرابة بين يوحنا
المعمدان وعيسى عليهما السلام وينقضها قوله : « باتى بعدى من هو أقوى
منى » وينقضها أيضا : أنه أرسل الى عيسى تلميذان من تلاميذه ليسالاه :
أنت هو الآتى أم ننتظر آخر ؟

٤ — وما يؤكد التحريف : قوله : « وأنا قد رأيت وشهدت : أن هذا
هو ابن الله » ان كان التصد من هذه العبارة اثبات ألوهية عيسى — عليه
السلام — فقد وجد فى العصر الحديث من النصارى من ينكر ألوهية عيسى
كما أنكر القدماء ، يقول متى هنرى : ان « أتباع فوسترس سوسينوس
(١٥٣٩ — ١٦٠٤ م) مؤسس شيعة ظهرت فى « بولاندا » تنكر لاهوت
المسيح ، وكفارته ، وحرفية كلام الوحي » (١١)

وان كان المقصد الحقيقى منها اثبات ان عيسى عليه السلام هو
المسيا المعبر عنه فى كلام داود عليه السلام بهذا التعبير : « انى أخبر من
جهة قضاء الرب قال لى : أنت ابنى أنا اليوم ولدتك ، أسألنى فأعطيك
الأمم ميراثا لك وأقاصى الارض ملكا لك ، تحطمهم بقضيب من حديد »
(مزمور ٢ : ٧ — ٩) والمعنى : قال الله عن المسيا : أنت ابنى بمعنى
انك قريب منى ومحبيب الى ، فقد سبق أن بينا : ان هذا التعبير خاص بنبى
الاسلام ﷺ .



وعند هذا الحد من الكلام ، نختم النبوءات التى أوردناها فى هذه
الرسالة ، بالنبوءة التى ختم بها زبوره داود عليه السلام عن نبى الاسلام
ﷺ .

وهذا هو نصها فى ترجمة اليسوعيين : « ١ — اللهم اجعل أحكامك
للملك ، وعدلك لابن الملك ٢ — فيحكم لشعبك بالعدل ولبائسك بالانصاف
٣ — تثمر الجبال سلاما للشعب ، والتلال برا ٤ — يقضى لبائسى
الشعب ، ويخلص بنى المساكين ، ويحطم الجائر ٥ — فيخشونك مادامت
(١١) ص ٣٠ ج ١ تفسير انجيل يوحنا — متى هنرى .

الشمس والقمر الى جيل الأجيال ٦ — ينزل كالطرز على الجزة ، كالغيوث
 انقى تسقى الأرض ٧ — ينبت فى آيابه الصديق وكثرة السلام الى أن يضمحل
 القمر ٨ — ويملك من البحر الى البحر ، ومن النهر الى اقاصى الأرض
 ٩ — أمامه يجثو أهل البادية وأعداؤه يلحسون التراب . ١٠ — ملوك
 ترشيش والجزائر يحملون اليه الهدايا . ملوك شبا وسبا يقربون له العطايا
 ١١ — ويسجد له جميع الملوك وتتعبده كل الأمم ١٢ — لانه ينفذ المسكين
 المستفيث والبائس الذى لا ناصر له ١٣ — يرثى للكسير والمسكين ويخلص
 نفوس المساكين ١٤ — من الظلم والغصب يفتدى نفوسهم ، ويكون دمهم
 فى عينيه ثمينا ١٥ — فيحيون ويؤدون اليه من ذهب شبا ، ويدعون له كل
 حين النهار كله يباركونه ١٦ — يكون للبر قوافر فى الأرض ، غلته فى
 رؤوس الجبال تتموج . كلبنان ، ويزهر أهل المدن مثل عشب الأرض ١٧ — يكون
 اسمه الى الأبد . مادامت الشمس ينمو اسمه ، ويتبارك فيه جميع قبائل
 الأرض ، وتقبطه كل الامم ١٨ — تبارك الرب اله اسرائيل ، الصانع
 المعجزات وحده ١٩ — وتبارك اسم مجده الى الابد ، ولتمتلئ الأرض كلها
 من مجده . آمين ثم آمين « أ. هـ

(١) يقول اليسوعيون فى التعليق على هذا الزبور — وهو الحادى
 والسبعون فى ترجمتهم — ما نصه : « فى هذا الزبور تنويه بملكوت
 المسيح ومدته التى ستكون أبدية (٥) ومداه الذى لا ينحصر ضمن حد
 (١١) فليس فى شىء من ملك سليمان ، وان كان هو المشار اليه فى
 الظاهر ، لان ملكه كان مثالا لملك المسيح « أ. هـ وقد سبقت الردود عليهم
 واعلم : انه ليس فى التوراة ، ولا فى اسفار الانبياء ، أية نبوءات
 عن عيسى عليه السلام . وكل نبوءة تدل على النبى المنتظر ، يقسول
 النصرى فيها : انها تنطبق على عيسى عليه السلام ، فانها لا تنطبق
 عليه . وانما تنطبق على محمد ﷺ وذلك لان اليهود أطلقوا على النبى
 المنتظر لقب « المسيا . الذى تفسيره المسيح » وجمعوا كل النبوءات عليه
 فى مكان واحد . وقالوا : نحى فى انتظاره ولما ادعى النصرى أن عيسى
 عليه السلام هو « المسيا . الذى تفسيره المسيح » طبقوا كل النبوءات
 عليه ليقولوا : انه خاتم النبيين . وقد رأينا أنها لا تنطبق ، ورأينا أن
 المسيا فى نظرهم هو محمد ﷺ وبيننا : أن عيسى عليه السلام مسيح .
 ولكن ليس هو المسيح (انظر : كتابنا المسيا المنتظر) .

الخاتمة والتوصية

أولا : الخاتمة :

أ - خلاصة ما بيناه فى بركة اسماعيل عليه السلام :

أن الله سمع دعاء ابراهيم عليه السلام فى أن يكون فى ذرية اسماعيل عليه السلام ملك ونبوة . كما وعده بالملك والنبوة فى ذرية اسحق عليه السلام . وفى التوراة نبوءات عن الملك والنبوة فى اسماعيل أكثر من النبوءات التى فيها عن اسحق — الذى خصصت بركته فى يعقوب الملقب بإسرائيل عليه السلام — ومن هذه النبوءات :

١ - « وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه . وأثره . واكثره . كثيرا جدا . اثنى عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة » (تك ١٧ : ٢٠) وقد قال علماء من بنى إسرائيل ان « كثيرا جدا » تترجم فى العبرانية « بماد ماد » و « بماد ماد » بحساب الجمل = ٩٢ ومحمد = ٩٢ فيكون مرموزا لمحمد فى سياق بركة اسماعيل باسمه ، وقالوا : ان « أمة كبيرة » تترجم فى العبرانية « لجوى جدول » وحسابها كحساب « بماد ماد » وإذا كانت البركة عن اسحق فى قوله عن والدته سارة : « وأباركها » (تك ١٧ : ١٦) تعنى الملك والنبوة ، وقد جاء من نسله النبي موسى عليه السلام لتبدأ به بركة اسحق ، فان قوله عن اسماعيل « ها أنا أباركه » يعنى الملك والنبوة ، وقد جاء من نسله النبي محمد عليه السلام لتبدأ به بركة اسماعيل .

٢ - « وقال لها ملاك الرب : ها أنت جبلى ، فتلدين ابنا . وتدعين اسمه اسماعيل ، لأن الرب قد سمع لأذلتك ، وأنه يكون انسانا وحشيا . يده على كل واحد ويد كل واحد عليه » (تك ١٦ : ١١ - ١٢) ومعلوم : أن

بنى اسماعيل لم يكونوا مرازجين للأهم ولا مخالطين لهم الا بالاسلام .
أما بنو اسرائيل فقد جعل الله فيهم أنبياء وجعلهم ملوكا ، وآناهم ما لم
يؤت احدا من العالمين ، وورثهم الله مشارق الأرض ومغاربها ، ارث ديانة
لنشر الوراثة بين الأمم ، وتمت كلمته على بنى اسرائيل بما صبروا (١) .
وظل ذلك قائما الى أن جاء محمد عليه السلام فنسخ شريعتهم وأزال ملكهم .

وبينا : أن كاتب التوراة قد وضع العهد المبرم بين الله وبين ابراهيم
فى ولديه اسماعيل واسحق ، بصيغة تحتمل معنيين عن اسماعيل عليه
السلام . اما أنه عهد الختان واما أنه عهد النبوة ، على طريقة تحريف الكلم
من بعد ووضعه . ثم كتب أن اسماعيل قد اخذتن (تك ١٧ : ٢٥ — ٢٦)
وكتب أن لاسماعيل بركة (تك ١٧ : ٢٠) وقد رددنا بأنه اذا كان العهد فى
اسماعيل هو عهد الختان ، فان اسماعيل داخل فيه للنص على أنه قد
خس بالفعل . ويكون العهد لاسحق مثله . ويخرج بذلك اسحق عن عهد
النبوة — وهم لا يتولون بذلك — وأنه اذا كان العهد على الملك والنبوة
لاسحق مأخوذ من نص البركة فى ذريته ، فان لاسماعيل ملكا ونبوة ،
لتماثل النص على بركة اسماعيل واسحق .

وقد ذكرنا وجهة نظر النصارى فى العهد والبركة . التى تتلخص
فى أنها ليسا فى نسل اسحق من وقت ظهور موسى عليه السلام ، بل
من وقت ظهور المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فى من يؤمن بدعوته
الى يوم القيامة . وقد رددنا عليهم بأن التخصيص فى المؤمنين بالمسيح
وحده ، ليس عليه من دليل .

ب — وخلاصة ما بيناه فى « شيلون » :

ان يعقوب عليه السلام تنبأ عن زوال الملك ونسخ الشريعة من بنيه

(١) سنوضح العموم والخصوص عند موسى وعيسى عليهما السلام
فى فصل الدعوات العالمية السماوية من كتابنا : نقد التوراة — أسفار
موسى الخمسة السامرية والعبرانية واليونانية .

على يد «شيلون» فى آخر أيام بركة اسحق على الأرض . فى قول الكاتب :
 « لا يزول قضيب من يهوذا ، ومشترع من بين رجليه ، حتى يأتى شيلون .
 وله يكون خضوع شعوب » (تك ٤٩ : ١٠) ولأنه لا يتم الالزام على أحد
 من أهل الكتاب الا برواية تاريخ بنى اسرائيل ، ليعلم منه متى زال الملك ؟
 ذكرنا مختصرا لتاريخهم من كتبهم وذكرنا وجهة نظر علمائهم التى تتلخص
 فى أن النص قد يكون نبوءة ، ووجهة نظر علماء النصارى التى تتلخص فى أن
 شيلون هو المسيح عليه السلام ، ورددنا : بأن الملك قد زال من اليهود
 من بعد عيسى عليه السلام ، وليس على يده . لقوله : « أعطوا اذا ما لمقيصر
 لمقيصر ، وما لله لله » (لو ٢٠ : ٢٥) وبأن حزة يال تنبأ عن نزع عمامة الكهنوت
 من بنى اسرائيل ، اشارة الى نسخ الشريعة . وبأن دانيال صرح بزوال
 الملك من اليهود عقب زوال دولة الروم .

ت — وخلاصة ما بيناه فى النبى الأسمى :

أن الله تعالى وعد بنى اسرائيل بنبى يأتى فى المستقبل مثل موسى
 عليه السلام فى هذا النص :

« يقيم لك الرب الهك نبيا ، من بينكم . من اخوتك . مثلى . له
 تسمعون ، جريا على كل ما سألته الرب الهك فى حوريب ، فى يوم
 الاجتماع ، قائلا : لا عدت أسمع صوت الرب الهى ، ولا أرى هذه النار
 العظيمة أيضا ، لئلا أهوت .

فقال لى الرب : قد أحسنوا فيما قالوا . أقيم لهم نبيا من بين اخوتهم
 مثلك ، وألقى كلامى فى فيه ، فيخاطبهم بجميع ما أمره به . وأى انسان
 لم يطع كلامى الذى يتكلم به باسمى ، فانى أحاسبه عليه . وأى نبى
 تجبر ، فقال باسمى قولا ، لم أمره أن يقوله ، أو تنبأ باسم آلهة آخر ،
 فليقتل ذلك النبى .

فان قلت فى نفسك : كيف يعرف التول الذى لم يقتله الرب ؟
 فان تكلم النبى باسم الرب ، ولم يتم كلامه ، ولم يقع . فذلك الكلام ،

لم يتكلم به الرب ، بل لتجبره ، تكلم به النبى . فلا تخافوه « (تث ١٨ : ١٥ - ٢٢ يسوعيين)

وبينا أن هذا النبى الأمى ، هو محمد ﷺ لان لاسماعيل بركة ، ولأن موسى نص على أنه لمن يأتى هذا النبى المماثل له من بنى اسرائيل ، فى هذا النص : « ولم يقم بعد نبى فى اسرائيل كموسى ، الذى عرفه الرب وجها الى وجهه . فى جميع الآيات والمعجزات التى بعثه الرب ليصنعها فى أرض مصر بفرعون وجميع عبده وجميع أرضه . وفى كل يد تقديرة ، وكل مخافة عظيمة صنعها موسى على عيون جميع بنى اسرائيل » (تث ٣٤ : ١٠ - ١٢)

وقد قال اليهود فى هذه النبوءة : انها لنبى سيظهر فيها بعد ، ومن المحتمل أن تكون هذه النبوءة لأى نبى كان فى بنى اسرائيل . وقال النصارى : ان هذه النبوءة تشير الى عيسى عليه السلام . وقد ردنا عليهم وبيننا أنها تنطبق على نبى الاسلام ﷺ وانه خاتم النبيين .

ث - وخلاصة ما بيناه فى البركات الثلاث :

أن كاتب التوراة قد قسم البركة بين سيناء وساعير وفاران فى هذا النص : « وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله بنى اسرائيل قبل موته . فقل : أقبل الرب من سيناء ، وأشرق لهم من ساعير ، وتجلى من جبل فاران . وأتى من ربي القدس وعن يمينه قبس شريعة لهم . انه أحب الشعب جميع قديسيه فى يدك ، وهم ساجدون عند قدمك ، يقتبسون من كلماتك . أمرنا موسى بالتوراة مرانا لجماعة يعقوب » (تك ٣٣ : ١ - ٤) وهو قد اشار بسيناء الى شريعة موسى عليه السلام ، وأشار بساعير الى علماء بنى اسرائيل الهارونيين الذين كانوا يفسرون التوراة ، ويسكنون حول جبل ساعير فى فلسطين . وكان منهم المسيح عيسى بن مريم عليه السلام الذى آتاه الله النبوة ، وجعله وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين .

وأشار بفاران الى محمد ﷺ لأن اسماعيل المبارك فيه كاسحق أخيه ، كان يسكن فى فاران فى أرض الحجاز . وصرح كاتب التوراة بذلك فى قوله : « وكان الله مع الغلام حتى كبر ، فأقام بالبرية . وكان راميا بالقوس . وأقام ببيرة فاران ، واتخذت له أمه ، امرأة من أرض مصر » (تك ٢١ : ٢٠ - ٢١) وبيننا : أن النصارى مختلفون حول نص البركات الثلاث ، فمنهم من يقول : انه نبوءة عن المسيا المنتظر ، ومنهم من يقول : انه ليس بنبوءة . وذكرنا فى هذا الفصل كلاما عن المحكم والمتشابه فى لفظة التوراة والانجيل ، وبيننا كيفية رد المتشابه الى المحكم .

ج - وخلاصة ما بيناه فى تغيير القبلة :

أن الله تعالى لم يجعل لبنى اسرائيل قبلة يتجهون اليها فى الصلاة والحج ، وبين لهم فى التوراة : أن الله له المشرق والمغرب ، وأينما يولون وجوههم ، فثم وجه الله . ففى سفر الخروج : « فى كل الاماكن التى فيها اصنع لاسمى ذكرا ، آتى اليك وأباركك » (خر ٢٠ : ٢٤) وظل بنو اسرائيل على احترام الشريعة فى هذا الأمر الى ما بعد عصر داود عليه السلام بسنوات معدودات . وكان داود عليه السلام قد شرع فى بناء « المسجد الأقصى » ليضع فيه « تابوت العهد » بعدما فتح مدينة « القدس » ذلك لأن التابوت أيام كان بنو اسرائيل فى سيناء ، كان الكهنة يحملونه أمام الجيوش فى الغزو لتسكن نفوسهم وثق بنصر الله . وما أمر داود أحدا بأن يجعل المسجد الأقصى قبلة — على جهة الالزام — وما أمر ابنه سليمان — الذى اكمل بناءه — وما أمر باتخاذة قبلة أى نبي من أنبياء بنى اسرائيل .

ولما انفصل السامريون عن العبرانيين من بعد موت سليمان عليه السلام ، عظموا جبل جرزيم واتخذوه قبلة ، بغير سند من كتاب موسى الذى ينص على أن الله له المشرق والمغرب .

وكاتب التوراة لما حرفها — وهو يعلم أن العبرانيين قد التزموا

بمكان ، والنامريين قد التزموا بمكان — كتب لهم فى سفر التثنية :
انهم اذا دخلوا ارض كنعان ، فسوف يرسل الله لهم ، من يعين لهم مكانا
مقدسا . كتب لهم : « احترز من أن تصعد محرقاتك فى كل مكان تراه ،
بل فى المكان الذى يختاره الرب فى أحد أسباطك . هناك تصعد
محرقاتك ، وهناك تعمل كل ما أنا أوصيك به » (تث ١٢ : ١٣ — ١٤)
ونسى هذا الكاتب : أن موسى سلم لهم شريعة كاملة ، وبين أنه لن يظهر
نبي مثله مشرع من بنى اسرائيل .

وظل السامريون على قبلتهم ، وظل العبرانيون على قبلتهم ، حتى
ظهر المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، وذهب الى قرى السامرة ليبشر
بملكوت السموات . وبينما هو جالس على بئر ليستريح من تعب السفر ،
سألته امرأة من يهود السامرة . وقالت له : « أبأؤنا سجدوا فى هذا
الجبيل وأنتم تقولون : ان فى اورشليم الموضع الذى ينبغى أن يسجد
فيه . قل لها يسوع : يا امرأة صدقيني . انه تأتى ساعة لا فى هذا
الجبيل ، ولا فى اورشليم تسجدون للآب . . . ولكن تأتى ساعة وهى
الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق . لأن
الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له » (يو ٤ : ٢٠ —)

وقد رجع البروتستانت الى قبلة موسى — عليه السلام — وظل
الارثوذكس والكاثوليك على قبلة العبرانيين الى هذا اليوم . « وما بعضهم
بنابع قبلة بعض »

ح — وخلاصة ما بيناه فى المسيا المنتظر :

ان أى نبي أو كاهن أو ملك ، يطلق عليه لقب « مسيا » ومسيا
بفسرها مسيح ، ومعنى المسوح على الحقيقة : هو الذى يصب
اليت على رأسه ، ومعناها على الجاز : المصطفى من الله لأداء عمل
سماوى شريف . وقد اطلق بنو اسرائيل على النبي المنتظر لقب « المسيا
الرئيس » كما هى عادتهم مع أنبيائهم وعلمائهم وملوكهم . ولحبهم له

وتشوقهم اليه ، كتبوا عنه بصيغة التعظيم انه أول ذلق الله وخاتم رسل
الله .

وقال علماء بنى اسرائيل : ان نصوص نبوءات التوراة وهى :
النص الاول : « أقيم لهم نبيا من بين اخوتهم مثلك ، وألقى كلامي
فى فيه ، فيخطبهم بجيوع ما آره به ... الخ » (تث ١٨)
النص الثانى : « لا يزول صولجان من يهوذا ، ومشترع من صلته ،
حتى يأتى شيلوا وتطيعه الشعوب » (تك ٤٩)
النص الثالث : « وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله
بنى اسرائيل قبل موته . فقال : أقبل الرب من سيناء ، وأشرقه لهم من
سعير ، وتجلى من جبل فاران » (تث ٣٣)

قالوا : ان هذه النصوص هى التى تدل على مجيء النبى المنتظر .
الثقب بلقب المسيا ، الذى تفسيره المسيح . وهذه النصوص هى التى
يستدل بها علماء المسلمين على أن محمدا مكتوب عنه فى التوراة . فيكون
المسيا هو محمد رسول الله ﷺ ومن هؤلاء العلماء الامام فخر الدين
الرازى فى تفسيره الكبير فى الآية الأربعين من سورة البقرة ، والامام
ابن نبيية فى كتابه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح .



خ — وخلاصة ما بيناه فى المسيح عيسى بن مريم — حياته ودعوته :
انه كان من اليهود العبرانيين ، من سبط لاوى ، وكانت أسرته تقيم
مع أسرة يحيى عليه السلام فى مدينة « حبرون » التى هى مدينة الخليل .
وكان نبيا على شريعة موسى عليه السلام لم ينسخها ولم يبطلها ، وكان
ييشر بمجىء محمد ﷺ .

د — وخلاصة ما بيناه فى ملكوت السموات :
ان دانيال النبى قد أنبا فى الاصحاح الثانى والسابع من سفره
بان ممالك أربعة ستنشأ على الارض هى مملكة بابل وفارس واليونان

والرومان . ثم يأتي « ابن الانسان » ليزيل دولة الرومان ، ويؤسس مملكة لن تنقرض أبدا . وأن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام هو ويوحنا المعمدان ناديا في بنى اسرائيل بقولهما : « اقترب ملكوت السموات » وضرب المسيح أمثلة كثيرة لبيان حقيقته . ومنها مثل الأمة الاسلامية المذكور في القرآن الكريم . وذكرنا وجهة نظر النصارى في الملكوت ، وفي كل مثل . ورددنا عليهم .

ذ — وخلاصة ما بيناه في « ابن الانسان » وفي بعض التراجم : « ابن البشر » :

ان المسيح قد ذكر ثلاثة أحاديث عن محمد ﷺ بلقب « ابن الانسان » الحديث الأول قول المسيح لأتباعه : « انكم لا تكملون مدن اسرائيل حتى يأتي ابن الانسان » (مت : ١٠ : ٢٣) كناية عن سرعة مجيئه .

والحديث الثاني في المائدة التي نزلت من السماء . وقال المسيح بعدها : « اعملوا لا للطعام البائس ، بل للطعام الباقي للحياة الأبدية ، الذي يعطيكم ابن الانسان ، لأن هذا الله الأب قد ختمه » (يو ٦ : ٢٧) كناية عن تقبل الشريعة .

والحديث الثالث في العلامات التي ذكرها المسيح عن مجيء ابن الانسان (مت : ٢٤ : ١ - ٥١ و ٢٥ : ١ - ٤٦) واستشهد المسيح على بعضها بتنبؤ دانيال في الاصحاح التاسع من سفره عن رجسة الخراب التي ستحل بالقدس في وقت ظهور ابن الانسان . وهذه العلامات هي : هدم هيكل سليمان — ظهور أنبياء كذبة — قيام حروب بين الامم — حدوث مجاعات وأوبئة وزلازل وبراكين — اضطهاد الامم لمقلدي المسيح وأتباعه — تحريف الانجيل — انتشار الانجيل في العالم — حدوث رجسة خراب دانيال . وذكرنا الاوصاف التي وصف بها المسيح ابن الانسان — وهو محمد ﷺ — وهي : سيكون ملكا — أتباعه أطهار كالملائكة — حارب منتصر — صاحب شريعة من السماء — فقير — غريب — مضطهد من الناس . وذكرنا وجهة نظر النصارى في كل نص ، ورددنا عليهم .

ر - وخلاصة ما بيناه فى مبارك الآتى باسم الرب :

أن داود عليه السلام قال نبوءة فى الزبور المئة والثامن عشر عن النبى المتنظر ، وفيها : « مبارك الآتى باسم الرب » (مز ١١٨ : ٢٦) وأن عيسى عليه السلام بين أن هذه النبوءة لمحمد ﷺ فى الاصحاح الثالث والعشرين من انجيل متى . وذكرنا وجهة نظر النصارى فى هذه النبوءة ورددنا عليهم .

ز - وخلاصة ما بيناه فى بيركليت :

أن « بيركليت » هى اسم « أحمد » ﷺ . وأن النصارى ينطقونها « باراكليت » لثلاث تدل على الاسم . وهى تدل - فى نظرهم - على من يأتى من بعد المسيح ليعزى بنى اسرائيل فى ضياع الملك منهم والنبوة . تم أنهم فى سنة ٣٨١م قالوا : ان المعزى هو الاله الثالث فى الثالوث المقدس وقد رددنا عليهم بردود منها : أن بيركليتوس يأتى فى التراجم بزيادة حرف السين فى آخر الكلمة واللغة اليونانية لا تزيد السين الا فى آخر الأسماء . ومنها : أن النص عن الفيرقريط أو البيركليت جاءت فيه أوصاف لا تنطبق الا على محمد ﷺ . ومن كلمات هذا النص : « والكلام الذى تسمعونه ليس لى ، بل للآب الذى أرسلنى . بهذا كلمتكم وأنا عندكم . واما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى ، فهو يعلمكم كل شىء ويذكركم بكل ما قلته لكم » (يو ١٤ : ٢٤ - ٢٦)

س - وخلاصة ما بيناه فى وجاهة بنى اسماعيل :

أن المسيح بن مريم لما وضح لبنى اسرائيل أن النبى الذى أخبر عن مجيئه موسى من بعده فى الاصحاح الثامن عشر من سفر التثنية ، سيكون من بنى اسماعيل عليه السلام . ووضح أنه سيأتى لميزيل دولة الرومان ، ويؤسس ملكوت السموات . ذهب علماء من بنى اسرائيل - نكايه فيه - الى الوالى على اليهود من قبل الرومان ، وأوهموه أن عيسى عليه السلام لا يتنبأ عن نبى من بعده - كما يدعى - بل يعنى نفسه بتنبؤاته . ذلك لانه يزعم أنه هو النبى الملك الذى أخبر عن

مجيئه موسى ، والذي أخبر عن مجيئه دانيال لينهى حكم الرومان فى الأرض .
ولهذا الزعم جعل نفسه ملكا على أتباعه ويحرضهم على عدم دفع الجزية
وعدم الطاعة للرومان ، وهذا يجرؤ الناس عليهم ، فلا يسمعون لقولهم
وعندئذ تضيع هيبتهم وكرامتهم .

ولما أقنعوا الوالى بهذه الوشاية ، طلبه وسأله . ولم يعترف عيسى
عليه السلام بأنه هو النبى المنتظر النبى المسيا الذى تفسيره المسيح ،
الذى من صفاته أن يزىل دولة الرومان — كما أشاع اليهود عنه — وإنما
اعترف بأن « ابن الإنسان » سوف يأتى من بعده مؤيدا بنصر من الله .
وذلك فى قوله — ساعة المحاكمة — : « وأيضا أقول لكم : من الآن تبصرون
ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة وآتيا على سحب السماء » (مت
٢٦ : ٦٤) وقد أصر علماء بنى اسرائيل على قتله ، لقوله أن النبى المنتظر
من آل اسماعيل وقالوا : « ماذا تصنع ؟ فان هذا الإنسان يعمل آيات
كثيرة ان تركناه هكذا يؤمن الجميع به ، فيأتى الرومانيون ويأخذون موضعنا
وأمتنا » (يو ١١ : ٤٧ — ٤٨) وكاتب الانجيل حذف كلمة « الاسماعيليون »
من النص ، ووضع بدلها « الرومانيون » ونسى أن الرومانيين قد أخذوا
موضعهم وأمتهم من قبل ولادة المسيح بثلاث وستين سنة .

ثى — وخلاصة ما بيناه فى يوحنا المعمدان — حياته ودعوته :

انه قد ولد قبل المسيح عيسى عليه السلام بقليل ، وأنه هو أبوه والمسيح
أيضا ، كانوا على شريعة موسى عليه السلام ، وأنه لم يقتل وإنما مات
كما يموت الناس . وأنه بشر بمحمد ﷺ :

١ — فقد قال لبني اسرائيل : « توبوا . لأنه قد اقترب ملكوت

السموات » (مت ٣ : ١)

٢ — « الذى يأتى بعدى هو أقوى منى ، الذى لست أهلا أن أحمل

حذاءه . هو سيعمدكم بالروح القدس ونار الذى رفشه فى يده . وسينقى
بيدره ، ويجمع قمحه الى المخزن . وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ »

رمت ٣ : ١١ — ١٢)

٣ - وقد شهد المسيح بأن يوحنا نبي عظيم ، ومحمد الذى هو آخر انبياء الله على الأرض نبي أعظم منه ، فى قوله : « الحق أقول لكم : لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان ، ولكن الأضعف فى ملكوت السموات أعظم منه » (مت ١١ : ١١)

٤ - ولما ذاع فى بنى اسرائيل خبر نبوة يحيى عليه السلام ، ارسلوا اليه يسألونه هل هو النبي الذى أخبر عن ظهوره موسى مماثله أم ليس هو ؟ فاعترف بأنه ليس هو . ففى انجيل يوحنا : « وهذه هى شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من اورشليم كهنة ولاويين ليسألوه : من أنت ؟ فاعترف ولم ينكر وأقر انى لست أنا المسيح . فسألوه اذن ماذا ؟ ايلياء أنت ؟ فقال : لست أنا . النبي أنت ؟ فأجاب : لا » (يو ١ : ١٩ - ٢١) وبينما : ان برنابا قد ذكر هذه الشهادة من المسيح نفسه ، لا من يوحنا . وبينما : ان النبي هو نفسه المسيح بدليل ان أهل الكتاب يقولون : ان نصوص التوراة التى تدل على النبي المنتظر ، هى نفسها التى تدل على المسيح - وهو المسيا - وأن العلماء لما سألوا ، سألوا بها صار معروفا ومشهورا . فان العلماء من سبى بابل كانوا يلبسون على الناس دينهم . وبينما : ان ايلياء هو نفسه النبي وهو نفسه المسيح ، وأن ملاخى فى آخر سفره قد رمز به الى اسم « أحمد » بحساب الجمل .

ثانياً - التوصية :

ولأن هذا الموضوع نافع فى اقناع الناس بصحة دين الاسلام ، كتب فيه من المسلمين من قبلى كثيرون من أهل العلم ، منهم أبو الحسين البصرى المعتزلى فى كتابه « المفرر » (١) ومنهم الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره المسمى بمفاتيح الغيب فى الآية الأربعين من سورة البقرة . ولكن من قبلى لم يكتبوا نصوص النبوءات كاملة ، وتركوا نبوءات كاملة لم يشيروا اليها ، وشرحوا على قدر علمهم . لأن الكتب التفسيرية عند أهل الكتاب لم تكن من الكثرة كما فى هذا الزمان . ولذلك كان الاقناع ناقصا من المسلم .

(١) يقال : ان هذا الكتاب مفقود (انظر شرح الاصول الخمسة)

فخبر الدين الرازي يذكر النص على النبي الأُمى هكذا : « ان الرب
 بالحكم يقيم لكم نبيا مثلى . من بينكم ومن اخوانكم » وفى هذا الفصل :
 ان الرب — تعالى — قال لموسى : « انى مقيم لهم نبيا مثلك من بين
 اخوانهم . واياها رجل لم يسمع كلماتى التى يؤديها عنى ذلك الرجل باسمى ،
 انا أنتقم منه » ثم ذكر نبوءة البركات الثلاث وذكر قبلها نبوءة هاجر ،
 وهى « وتسمينه اسماعيل من أجل ان الله سمع تبثك وخشوعك ، وهو
 يكون عين الناس ، وتكون يده فوق الجميع ويد الجميع مبسوطة اليه
 بالخضوع » ثم ذكر نصا من سفر حبقوق على غير وجهه الصحيح ،
 ونقل نصا من سفر أشعيا — وهما سفران غير مقدسان عند اليهود
 السامريين — ثم ذكر النص على بركة اسماعيل ، وانتقل الى الانجيل
 وذكر منه هذه العبارة : « انا اذهب وسيأتكم الفارقليط روح الحق الذى
 لا يتكلم من قبل نفسه ، انا يقول كما يقال له » ورجع الى أسفار
 الأنبياء فنقل نص الحجر فى نبوءة دانيال . وبعدها قال : « فهذه هى
 البشارات الواردة فى الكتب المتقدمة بهبعث رسولنا محمد ﷺ » وغيره
 زاد عليه قليلا على نفس طريقته ، وكرر النص الواحد وهو يظن المغايرة
 بين النصين .

وقد أعاننا الله وحده ١ — على ذكر النصوص كلها من كتاب موسى —
 الذى يتدسه أهل الكتاب كلهم — ٢ — ومن أسفار الأنبياء نقلنا النصوص
 التى اقتبسها كتاب الاناجيل . ٣ — ومن الاناجيل — التى يقدسها النصارى
 كلهم — ذكرنا وبسطنا وجهة نظرهم فى نصوص النبوءات . وما يصح بعده أن
 نقول : ان هذا الموضوع كما كتبناه صالح للالزام به وللانقاع به .



وقد جاء فى القرآن الكريم من الأدلة على نبوءة محمد ﷺ أنه مكتوب
 فى التوراة وفى الانجيل . وفى قوله تعالى : « الذين يتبعون الرسول
 النبى الأُمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل »

ولهذا الذى هو مكتوب ، وجب على المسلمين بيان الأدلة وتفسيرها ليزداد الذين آمنوا إيماناً . وتفسير الأدلة يساعد أهل الكتاب على الفهم ، وعندئذ يسهل عليهم الدخول فى دين الاسلام . وهذا الوجوب على المسلمين على طريق فرض الكفاية ، لأن أهل الكتاب يكذبون القرآن فى قوله ان النبى مكتوب عنه فى التوراة وفى الانجيل . وتكذيب القرآن لا يرضى به المسلم . ولهذا أوصى المسلمين بأن يدرسوا هذا الموضوع فى معاهد العلم ومدارسه ، وأوصى كل مسلم غيور على دينه أن يساعد غير المسلمين فى الفهم ، وأوصى الجامعات الاسلامية بنشر هذا الكتاب مترجماً بلغات العالم . والله تعالى أعلم .

(تم الجزء الثانى من كتاب البشارة بنبى الاسلام فى التوراة والانجيل .
وبتمامه ثم الكتاب (١))

وكان الفراغ من تأليفه فى اليوم العاشر من شهر يوليه سنة ألف
وتسعمائة وخمسة وسبعين من الميلاد .

د/ أحمد حجازى أحمد على السقا

عنوان المراسلات :

أ - ميت طريف مركز دكرنس دقهلية

ب - ٣٩ شارع الزهور عزبة مرسى - الزيتون - القاهرة .

(١) اقرأ بعده :

- ١ - اقتباسات كتاب الأنجيل من التوراة .
- ٢ - دفاع عن انجيل برنابا .

مصادر ومراجع

- القرآن الكريم :
- صحيح البخارى : طبعة دار الشعب بالقاهرة .
- تفسير الكشاف : مطبعة الحلبي بمصر سنة ١٩٤٨م .
- تفسير القرطبي : دار الكاتب العربى للطباعة والنشر بمصر ١٩٦٧م .
- تفسير ابن كثير وبهامشه البغوى : مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٤٧هـ .
- التفسير الكبير لفخر الدين الرازى : المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٨هـ .
- روح المعانى للامام الآلوسى البغدادي — المطبعة المنيرية بمصر .
- اعجاز القرآن — رد على كتاب الفن القصصى فى القرآن الكريم —
نشر الانجلو المصرية ١٩٧٧ — احمد حجازى السقا .
- القدس الخالد : الدكتور عبد الحميد زايد — الهيئة المصرية العامة
للكتاب ، سنة ١٩٧٤م .
- تاريخ الرسل والملوك : الامام أبى جعفر محمد ابن جرير الطبرى —
دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٩م .
- الفهرست لابن النديم .
- بيت المقدس فى الاسلام : علماء مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر —
القاهرة سنة ١٩٦٩م .

- شمائل الرسول : الامام أبى الفداء اسماعيل ابن كثير — تحقيق
الأستاذ مصطفى عبد الحميد — مطبعة الحلبي بمصر سنة ١٩٦٧م .
- عبقرية المسيح : الأستاذ عباس محمود العقاد — طبعة كتاب اليوم
بمصر سنة ١٩٥٣م .
- المسيح عيسى بن مريم : الأستاذ جودة السحار — نهضة مصر سنة
١٩٥٨م .
- قصص الأنبياء للثعلبي .
- قصص الأنبياء : الأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار — مؤسسة الحلبي
بمصر سنة ١٩٦٦م .
- المسيح اله أم انسان ؟ : الأستاذ محمد مجدى مرجان (مسيحي أسلم)
دار النهضة العربية سنة ١٩٧٠م .
- الانجيل والصليب — عبد الأحد داود الآشورى العراقى (مسيحي
أسلم) طبعة القاهرة سنة ١٣٥١هـ .
- المسيحية : الدكتور أحمد شلبى — طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية
سنة ١٩٦٥م .
- اليهودية : الدكتور أحمد شلبى — طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية
سنة ١٩٧٣م .
- القلمود والصهيونية : الدكتور أسعد رزى ، طبعة منظمة التحرير
ال فلسطينية — مركز الأبحاث سنة ١٩٧٠م .

— **The Babylonian Talmud, Translated into English with Notes,
Glossary and Indices under The Editorship of Rabbi Dr I.
Epstein B.A., Ph. D., D. Lit., The Soncino Press London**

- التوراة عرض وتحليل : الدكتور مؤاد حسنين على — مطبعة دار المستقبل بمصر سنة ١٩٤٦ م .
- حاشية العلامة البناني على شرح جمع الجوامع — المطبعة الأميرية سنة ١٢٨٥ هـ (دار الطباعة)
- السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة : الأستاذ الدكتور الشيخ محمد بن محمد أبو شهبه ، الجزء الأول — دار الطباعة المحمدية بالأزهر بالقاهرة سنة ١٩٧٠ م ، والجزء الثانى : القاهرة الحديثة للطباعة سنة ١٩٧٣ م .
- محصل أفكار المتقدمين — للإمام فخر الدين الرازى — المطبعة الحسينية بالقاهرة سنة ١٣٢٣ هـ
- مجلة الأزهر : عدد مايو ١٩٧٣ م .
- مروج الذهب ومعادن الجوهر — للمسعودى — طبعة مصر بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .
- ثورة الاسلام وبطل الأنبياء : الأستاذ محمد لطفى جمعه — طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٥٨ م .
- المنتخب الجليل فى تخجيل من حرف الانجيل : الشيخ أبى الفضل المالكى المسعودى — مطبعة التمدن بمصر سنة ١٣٢٢ هـ .
- الفتاوى للشيخ محمود شلتوت — نشر دار القلم بالقاهرة .
- الفارق بين المخلوق والخالق . باجه حى زاده — مطبوعات الموسوعات بمصر .

- وعلى هامش الفارق : الاجوبة الفاخرة للامام القرافي .
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح - للامام ابن تيمية الحراني ، مطبعة المدنى بمصر .
- الاعلام بما فى دين النصارى من الفساد والاوهام - منسوب للقرطبي المفسر - مخطوط .
- على التوراة - للمباجى الشافعى - مخطوط .
- الجواب النسيخ لما لفته عبد المسيح - لنعمان الالوسى - مطبعة لاهور ، الجزء الاول والثانى .
- الفصل فى الملل والاهواء والنحل : الامام أبى محمد على بن حزم الاندلسى الظاهرى المطبعة الاميرية بمصر ١٣١٧ هـ .
- الملل والنحل للامام الشهرستانى . على هامش الفصل .
- الرد على ابن النغريلة اليهودى ورسائل أخرى لابن حزم : تحقيق الدكتور احسان عباس - نشر دار العربية بمصر سنة ١٩٦٠ م .
- المسيرة النبوية : الامام ابن كثير - طبعة القاهرة ١٩٦٤ م .
- السيرة النبوية : الامام ابن هشام - طبعة القاهرة سنة ١٩٣٧ م . بتحقيق الشيخ محمد محى الدين عبد الحميد .
- مطلع النور : الأستاذ عباس محمود العقاد - دار الهلال بمصر .
- تلخيص مجمع الآداب فى معجم الألقاب - ابن الفوطى - طبعة دمشق سنة ١٩٦٣ م .
- الارتباط الزمنى والمعتادى بين الأنبياء والرسل : الدكتور محمد وصفى

- طبع المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة سنة ١٩٦٥م .
- دروس اللغة العبرية : الأستاذ ربحى كمال — دار العلم للملايين — بيروت سنة ١٩٦٣م .
- اعلام النبوة : الامام أبو الحسن البصرى الماوردى — طبع ونشر مكتبة الكليات الأزهرية بمصر سنة ١٩٧١م .
- بذل المجهود فى افحام اليهود ، ومعه الرسالة السبيعية : شموئيل ابن يهوذا بن أيوب (يهودى أسلم) — تقديم الشيخ محمد احمد الشامى — مطبعة الفجالة الجديدة — بمصر .
- اظهار الحق : الشيخ رحمت الله بن خليل الرحمن الهندى — المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٩٠٩م .
- التلمود شريعة اسرائيل : سلسلة كتب سياسية بمصر .
- حضارة الاسلام وأثرها فى الترقى العالى — الأستاذ جلال مظهر — طبعة وزارة الاوقاف بمصر — ادارة التدريب ١٩٧٣م .
- الاسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير — الدكتور الشيخ محمد بن محمد أبو شهبه — مجمع البحوث الاسلامية — طبع الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية بالقاهرة سنة ١٩٧٣م .
- أدلة اليقين : الشيخ عبد الرحمن الجزيرى — مطبعة أسعد بشبرا مصر سنة ١٩٣٤م .
- دروس من ماضى التعليم وحاضره بالمسجد الحرام : الأستاذ عمر عبد الجيار — طبعة مهفيس بمصر — سنة ١٣٧٩ هـ

— الصهيونية والماسونية : الأستاذ / عبد الرحمن سامى عصمت — مطبعة
رمسيس بالاسكندرية سنة ١٩٥٠ م .

— مجلة منبر الاسلام .

— هداية الحيارى لابن قيم الجوزية — على هامش الفارق بين المخلوق
والخالق .

— جريدة الأخبار — مصر .

— جريدة الأهرام — مصر .

— The Jerusalem Bible — Alexander — Jones — 1968 with Abri-
dged introductions Darton, Longman & Todd

— الكتاب المقدس : ترجمة البروتستانت طبع مصر سنة ١٩٧٠ م .
— الكتاب المقدس : ترجمة الآباء اليسوعيين — (الكاثوليك) طبع
بيروت — سنة ١٩٦٨ م .

— التوراة المساهرية ترجمة الصورى . وخط أبى البركات .

— التوراة بالخط العبرانى

NORMAN HENRY SNAITH, London, The British Foreign
Bible Society

— تاريخ الاسرائيليين : شاهين بك مكاريوس — من النصارى — مطبعة
المقتطف ببصر ١٩٠٤ م .

— رحلة بنيامين : الرحالة الربى بنيامين بن يونة التطيلى النبارى الأندلسى
(٥٦١ — ٥٦٩ هـ) ترجمها عن الأصل العبرى وعلق حواشيها وكتب
ملحقاتها عزرا حداد — طبع المطبعة الشرقية ببغداد ١٩٤٥ م .

The Niv, Interlinear Hebrew English old Testament Volume 1 /
Genesis – Deuteronomy, Edited by : John R. Kohlenbarger
III, Zondervan, Publishing house Michigan.

– التاريخ مما تقدم عن الآباء رضى الله عنهم – ترتيب الشيخ أبى
الفتح بن أبى الحسن السامرى – طبع جوتا بألمانيا ١٨٦٥م وله
أصل ألماني ومقدمة باللاتينية وملاحظات باللغة العبرية للمسيو
ادوارد دالار .

-- تاريخ يوسيفوس اليهودى : المطبعة العلمية فى بيروت – بدون تاريخ.

– تنقيح الأبحاث فى الملل الثلاث : سعد بن منصور بن كمونة الاسرائيلى
البغدادى – عنى بنشره موسى بروكلمان – من مطبوعات جامعة
كاليفورنيا سنة ١٩٦٧م .

-- اليهودية : مراد فرج – مطبعة التوفيق بمصر ١٩٢٠م

– الكنز المرصود فى قواعد التلمود – تأليف : روهلنج . وترجمة
يوسف حنا .

– الكنز فى قواعد اللغة العبرية – محمد بدر – المطبعة التجارية بمصر
سنة ١٩٢٦م .

– الأرجوزة الفارحية فى الوصايا الالهية : – الدكتور هلال الفارحى –
مطبعة روبرتو موسكوفتش بمصر سنة ١٩١٤م .

– قصة عيد الفصح : جمعية الاخوان القرائين بمصر ١٩٤٥م – مطبعة
أوليمبيا .

– نزهة المشتاق فى تاريخ يهود العراق : – يوسف رزق الله غنيمه –
مطبعة الفرات ببغداد سنة ١٩٢٤م .

– التلمود أصله وتسلسله وآدابه : الدكتور شمعون يوسف مويال –
مطبعة العرب – بالتاهرة سنة ١٩٠٩م .

— التلمود شريعة اسرائيل .
— دلالة الحائرين وتلخيص مناهج السائرين : تأليف موسى بن ميهون
القرطبي الاندلسى — طبعة أنقرة ١٩٧٣ — تحقيق الدكتور حسين
آتاي .

— فى الفكر اليهودى : عنى بجمعه وتنسيقه الدكتور ج. ه. هرتس
نقله الى العربية الدكتور الفريد يلوز — دار مجلتى للطباعة والنشر .
— رسالة فى اللاهوت والسياسة : سبينوزا — الهيئة المصرية العامة
للتأليف والنشر سنة ١٩٧١ م .



— حواش على الكتاب المقدس للكاثوليك (الآباء اليسوعيين) فى نفس
الكتاب المقدس للكاثوليك — طبعة بيروت سنة ١٩٦٨ م .

**The Apocryphal New Testament, Being Tub Apocryphal Gospels,
Acts Epistles, and Apocalypses, Oxford, At The Clarendon
Press.**

— الانجيل الاربعة : ترجمة صبحى حموى ويوسف قوشاتجى — طبعة
بيروت ١٩٧٠ م .

— تراجم مختلفة للكتاب المقدس فى سنوات مختلفة ، مشار اليها فى
هوامش الكتاب وفى أصله .

— قاموس الكتاب المقدس : جورج بوست — طبع فى بيروت — المطبعة
الأمريكية سنة ١٩٠١ م .

— قاموس الكتاب المقدس : الدكتور بطرس عبد الملك وآخرين —
بيروت ١٩٦٤ .

- الأخلاقيات فى محيط الفكر والديانات — الدكتور عزت زكى —
دار النشر والتأليف للكنيسة الأسقفية سنة ١٩٧٤م .
- Jacques de Veragine la legende Doree Traduite du Latin —
Paris 1929.
- اليهودية العالمية من زمن ابراهيم الى العصر الحاضر دراسة وجمع
رياض بارودى — دار الثقافة ببيروت .
- تاريخ الاقباط : زكى شنوده — جمعية التوفيق المبطية بمصر ١٩٦٢م
مطبعة فايقه محفوظ للتدريب المهنى .
- يسوع المسيح فى ناسوته وألوهيته : الدكتور هانى رزق — مطبعة
النصر بشبرا سنة ١٩٧١م .
- دراسات فى الكتاب المقدس — سفر يشوع القس سدراك ابراهيم .
- أطلس الكتاب المقدس : رولى .
- ميزان الحق : لم يكتب اسم المؤلف على الكتاب . وقد نقل عنه
صاحب اظهار الحق وصاحب أدلة اليتيم من طبعات مختلفة . وقالا :
ان اسمه القسيس : فنذر — ورقم ايداعه فى دار الكتب المصرية
٩ — ٨٨ لاهوت .
- ايمانى . أو قضايا المسيحية الكبرى — الياس مقار — دار الثقافة
المسيحية بمصر سنة ١٩٧٣م .
- انجيل برنابا فى ضوء التاريخ والمعتل والدين : — القس عوض سمعان
— نشر مكتبة المحبة . بالقاهرة ١٩٦٨م .

- تفسير انجيل متى : متى هنرى (من البروتستانت) ترجمة القس مرقس داود — طبع ونشر مكتبة المحبة القبطية الارثوذكسية بالقاهرة سنة ١٩٦٧م .
- تفسير انجيل لوقا : متى هنرى .
- تفسير انجيل لوقا : للقس الدكتور ابراهيم سعيد .
- تفسير انجيل يوحنا : متى هنرى .
- تاريخ الارطقات مع دحضها المعنون انتصار الديانة : القديس الفونسوس ماريا دى ليكورى — ترجمه من الايطالية الخورى يوسف الياس الدبس المارونى سنة ١٨٥٢م مطبعة الرهينة اللسانية فى دير سيدة طاميش فى مقاطعة كسروان ١٨٦٤م .
- المسيح فى جميع الكتب : أ. م. هودجكن — مطبعة النيل المسيحية — بيروت ١٩٧٢م .
- حياة المسيح : الدكتور فردريك . و. فارار — تعريب الدكتور جورجى يوسف عقداوى — مطبعة النيل بالمنصورة ١٩٤٩م .
- شرح سفر اعمال الرسل : الدكتور لورانس براون — نقله الى العربية حبيب سعد صدر عن جمعية نشر المعارف المسيحية .
- الكنز الجليل فى تفسير الانجيل (مبنى على آراء أفاضل اللاهوتيين)
- الدكتور وليم أدى الامريكانى — طبعة بيروت فى المطبعة الاميركانية سنة ١٨٩٠م .

-- تفسير الكتاب المقدس : تأليف جماعة من اللاهوتيين برئاسة الدكتور فرنسيس دافدسن — طبعة بيروت ١٩٦٣ م .

A. Greek – English Lexicon, of the New Testament – and other Early Christian Literature A. translation and adaption of Walter Bauer's.

Griechisch – Deutsches Wörterbuch Zu den Schriften des Neuen Testaments und der übrigen urchristlichen Literatur.

Fourth Revised and Augmented Edition, 1952.

By Willamf ; Arndf and F. Wilbur Gingrich – The University of Chicago Press Chicago, Illinois – Cambridge At The University Press – 1957.

-- انجيل برنابا : ترجمة عن الانجليزية الدكتور خليل سعاده — اللبناني — وله مقدمة بقلم ناشره الشيخ السيد محمد رشيد رضا منشىء مجلة المنار — مطبعة صبيح بالقاهرة ١٩٥٨ م .

— تاريخ العرب المطول : الدكتور فيليب حتى والدكتور ادوارد جورجى والدكتور جبرائيل جبور — طبعة دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع — بيروت ١٩٥٨ م .

— دراسات فى الكتاب المقدس — انجيل متى : الانبا اثناسيوس — (من الارثوذكس) لجنة التحرير والنشر بمطرانية منى سويف مطبعة دار العالم العربى ١٩٧٢ بمصر .

— الكتاب المقدس — الأسفار القانونية التى حذفها البروتستانت : تقديم

الدكتور مراد كاهل والأساتذ يس منصور — مطبعة الكرنك بالاسكندرية

— الكنيسة المسيحية — الأنبا يواس — مطبعة دار العالم العربى سنة ١٩٧٠ م .

قصة الحضارة : ول . ديورانت — الادارة الثقافية جامعة الدول العربية .

— مخطوطات البحر الميت وجزيرة قهران : الدكتور أسد رستم مؤرخ الكرسى البطريركى — هدية المسرة السنوية سنة ١٩٥٩ م .

— ملكوت الله : القس الدكتور فهميم عزيز — المطبعة الفنية الحديثة ١٩٧٠ م نشر دار الثقافة المسيحية . بمصر .

Theological Dictionary of the New Testament, Ediled by Gerhard Friedrich, Translator and Editor, Geoffrey W. Bromiley, D. Litt., DD. Wm. B. Eerdmans Publishing Company, Grand Rapids, Michigan.

— مريم العذراء فى التاريخ والطقس والمعقيدة : القس سيداروس عبد المسيح سيداروس — مطرانية كرسى المنوفية للاقباط الارثوذكس بشبين الكوم بمصر ١٩٧٣ م .

— خلاصة الاصول الايمانية فى معتقدات الكنيسة القبطية الارثوذكسية حبيب جرجس — الكتاب الثالث — طبعة وزارة المعارف بمصر سنة ١٩٢٩ م بمطبعة عين شمس .

— نقد انجيل برنابا : پسى منصور — مكتبة المحبة بالقاهرة ١٩٧٣ .

— دراسات فى صور من حياة المسيح : الدكتور جورج مائيسون —

- تعريب عزت زكى — مطبعة النيل المسيحية بمصر ١٩٥٨ م .
- المجيء الثانى للمسيح والأحداث العالمية القادمة : القس لبيب ميخائيل
— المطبعة التجارية الحديثة بمصر ١٩٦٧ م .
- مرشد الطالبين الى الكتاب المقدس الثمين — بدون مؤلف طبع فى
بيروت فى المطبعة الاميركانية اولا سنة ١٨٦٩ ثم سادسة سنة
١٩٠٩ م .
- التربية الدينية المسيحية : طبعة وزارة التربية والتعليم بمصر ١٩٧٣ م .
- دورة روما الأولبية ١٩٦٠ : أصدرته اللجنة الأولبية القومية الايطالبا
ومنظمات صناعات السياحة القومية ورئاسة مجلس الوزراء البريطانى
- يوحنا المعمدان : الدكتور ف. ب. ماير تعريب القس مرقس داود —
طبع ونشر مكتبة المحبة القبطية الارثوذكسية بالقاهرة ١٩٧٠ م
- سفر التكوين باللغة المصرية العامة : طبع بنفقة الجمعية البريطانية
والاجنبية لانتشار الكتب المقدسة سنة ١٩٤٩ م .
- تاريخ التمدن الاسلامى : جورجى زيدان — طبعة دار الهلال بمصر
- الباراكليت الروح القدس فى حياة الناس : الأب متى المسكين —
طبعة ١٩٧٣ م — مطبعة دار العالم العربى .
- تعريب الاناجيل واعمال الرسل : الأب يوسف قوشاقجى — طبع
بيروت بالمطبعة الكاثوليكية ١٩٦٤ م .
- الروح القدس أو قوة من الاعالى : الدكتور أ. ب. سبسون .
نقله الى العربية يوسف اسطفان — مطبعة العاصمة — عمان .
- الآباء الرسوليون : عربيه عن اليونانية : الياس معوض ١٩٧٠، منشورات
النور بالاشتراك مع رابطة الدراسات اللاهوتية فى الشرق الأوسط .
- حياة المسيح : الفيلسوف الايطالى جيوفانى بابيني — ترجمه عن
الانجليزية الارشمنديت انطونيوس بشر مطبعة العرب للبستانى
بمصر سنة ١٩٢٩ م .

Handwritten text, likely bleed-through from the reverse side of the page. The text is mostly illegible due to fading and bleed-through, but appears to be a list or series of notes. Some words like "L'Espresso" and "L'Espresso" are visible in the lower right section of the page.

L'Espresso

L'Espresso

فهرس

فهرس الجزء الأول من كتاب
البشارة بنبي الاسلام
فى التوراة والانجيل

الموضوع	الصفحة
كلمة ناشر الكتاب . الأستاذ عبد البديع فوده	٣
رموز أسفار الكتاب المقدس	١١
صور بالزنكوغراف لنصوص التوراة عن نبي الاسلام ﷺ	١٣
صور بالزنكوغراف لنصوص الانجيل عن نبي الاسلام ﷺ	٢١
صورة الكلمة اليونانية « براكليت » التى تترجم « أحمد »	٣٦
تفسير كلمة « براكليت » فى القواميس الأجنبية	٣٦
مقدمة الكتاب للمؤلف	٤٥
صفحة بالزنكوغراف من كتاب يهودى سامرى يعترف فيها بمحمد ﷺ	٤٩
التوراة	٥٤
(أ) كتاب موسى (البنتاتيك) الأسفار الخمسة	٥٥
مثال على الاختلافات بين التوراة السامرية والعبرانية	٥٧
أمثلة على الاختلافات بين التوراة العبرانية والميونانية	٥٨
نسخة التوراة التى بيد اليهود الآن ، هى التى كانت فى	

- ٥٩ . . . زمان النبي ﷺ . وكذلك نسخ الأناجيل الأربعة . . .
- ٦٠ . . . أدلة من المترآن المكريم على تحريف التوراة والانجيل . . .
- ٦٠ بيان طرق التحريف فى التوراة
- ٦٢ (ب) أسفار الأنبياء
- ٦٦ الانجيل مناقشة النصارى فى قولهم : ان عيسى لمن يسلمهم انجيلا مكتوبا فى أوراق ، وانه ماترك الا وعظا شفويا وخطبا وفتاوى دينية سمعها اليهود ، ودونها بعض تلاميذه الأمانة
- ٦٦ معنى الانجيل هو البشرى المفرحة بخبر سار . والخبر هو تنبيه موسى فى التوراة على مجيء محمد رسول الله ﷺ . مناقشة النصارى فى قولهم : ان الخبر السار هو موت عيسى كفارة عن خطايا بنى آدم
- ٦٨ ابن كمونة اليهودى يقول : ان عيسى لم ينسخ أحكام التوراة بولس يدعى أنه آمن بكلام عيسى عليه السلام ، ثم يحرف كلامه عن مواضعه
- ٧٢ ترجمة الكتاب المقدس الى اللغة العربية
- ٧٥ تعريف بالأناجيل الأربعة الخطوات التى سار عليها اليهود ، من بعد رفع عيسى عليه السلام ، ليجعلوا عيسى هو المسيا الذى تفسره المسيح اليهود يستعينون باهل الروم فى ختم النبوة فى جنس بنى اسرائيل بعيسى عليه السلام
- ٨٠

٨٣

الباب الأول

فى

نبى الاسلام فى التوراة

(أسفار موسى الخمسة)

٨٥

الفصل الأول

فى

بركة اسماعيل

- ٨٥ . موقع « أور » التى ولد فيها ابراهيم عليه السلام
ملك الله يبشر ابراهيم بعد اعتزاله عن لوط ، بأن الله
- ٨٦ سيبارك الأمم فى نسله .
- ٨٧ . ملك الله يبشر هاجر بأنها ستنجب اسماعيل عليه السلام
- ٨٩ . ملك الله يبشر سارة بأنها ستنجب اسحق عليه السلام
- ٩٠ . سارة تطلب من ابراهيم أن يحرم اسماعيل من ارث النبوة
الله تعالى لا يوافق على طلب سارة ويقول لابراهيم
« باسحق يدعى لك نسل ، وابن الجارية أيضا سأجعله
- ٩١ أمة لأنه نسلك »
- ٩٢ . نص التوراة على ذبح ابراهيم لولده البكر
السامريون يقولون ان مكان الذبح هو جبل جرزيم ،
والمعبرانيون يقولون انه جبل صهيون ، والصحيح أنه كان
- ٩٤ فى مكة المكرمة .
- نص التوراة على بركة اسحق عليه السلام وتخصيصها
- ٩٨ . فى نسل ولده يعقوب الذى هو اسرائيل عليه السلام

- ١.١ نص التوراة على بركة اسماعيل عليه السلام
- ١.٢ وجهة نظر علماء بنى اسرائيل فى
 (أ) العهد المبرم بين الله وبين ابراهيم . بأن يسير هو
 وأبناؤه الصاحون ، من اسماعيل واسحق فقط فى
 دعوة الناس الى دين الله عز وجل .
- (ب) وفى البركة التى تدل على ١ — ملك ٢ — ونبوة فى
 نسل اسماعيل واسحق — عليها السلام — .
 كاتب التوراة يضع نص « العهد » محتملا لعهد النبوة
 أو لعهد الختان .
- ١.٣ نص العهد
- ١.٤ المسيح عيسى عليه السلام يوضح لتلاميذه بدليلين من
 التوراة أن بنى اسماعيل غير محرومين من عهد النبوة
- ١.٦ ابن كهونة اليهودى العبرانى يرد على شموتيل بن يهوذا
 الذى أسلم فى قوله : ان ملاك الله لما بشر هاجر بقوله
 عن اسماعيل : « يده على كل واحد ، ويد كل واحد عليه »
- ١.٨ كان تبشيره عن ملك فى نسله ونبوة
- ١١٠ ردنا على ابن كهونة
- الرد على اليهود فى شخص « ابن كهونة » فى قولهم ان
 قول الله لهاجر عن اسماعيل « يده على كل واحد ، ويد كل
 واحد عليه » لا يدل على قيام ملك ونبوة فى آل اسماعيل
- ١١٠ الامام القرطبي المنسرى يحكى خلاف العلماء فى أن النبى
 محمدا ﷺ هل كان متعبدا بدين قبل الوحى أم لا ؟

- ابن كمونة يذكر جميع ما وصى الله به اليهود والأمم على
 لسان موسى عليه السلام ١١٦ .
- وجهة نظر النصارى فى قول ملاك الله لهاجر عن اسماعيل
 « يده على كل واحد ، ويد كل واحد عليه » هى أنها تدل
 على الهمجية فى بنى اسماعيل ، ولا تدل على قيام ملك
 ونبوة فى نسله ١١٧ .
- وجهة نظر النصارى فى « العهد » وهى أن العهد بالنبوة
 مع ابراهيم ، لا يبدأ فى اليهود والأمم ، الا من مجىء عيسى
 عليه السلام ١١٨ .
- الأدلة التى ذكرها بولس على تخصيص العهد فى من يؤمن
 بعيسى عليه السلام ١١٨ .
- ردنا على « بولس » ١٢٣ .
- رد يعتوب على بولس من الاصحاح الثانى فى رسالته
 أشعيا يصف « مكة » ويرمز الى ظهور نبي منها ، فى
 قوله « ترنمى أيتها العاقر ... الخ » ١٢٨ .
- بولس يستدل بترنمى أيتها العاقر على مجد اورشليم
 السماوى الذى يتالق فى ظهور عيسى عليه السلام ١٢٠ .
- الرد على بولس ، وبيان أن نبوءة « ترنمى أيتها العاقر »
 تشير الى مجد « مكة المكرمة » فى ظهور محمد ﷺ ١٢٠ .
- اسم محمد فى أسفار موسى الخمسة ، مرموز اليه بكلمتين
 — بحساب الجمل — فى سياق الحديث عن بركة اسماعيل
 عليه السلام . وهما ١ — بهاد ماد ٢ — لجوى جدول ١٢١ .

- ١٣٢ . . . نص كلام شموئيل فى بيان اسم محمد فى التوراة . . .
- ١٣٤ . . . رد ابن كمونة على شموئيل ، فى انكار اسم محمد فى التوراة
- ١٣٥ . . . حساب الجمل عند العبرانيين والمساوريين . . .
- السماوريون يصرحون فى كتبهم بان اسم محمد موجود فى
- ١٣٩ . . . التوراة بحساب الجمل . . .
- ١٤٣ . . . النصارى يعترفون بحساب الجمل . . .
- عيسى عليه السلام يفسر « بهاد ماد » باسم « محمد »
- ١٤٥ . . . طبقا لرواية برنابا . . .
- ١٤٧ . . . تطابق نبوءة بركة اسماعيل عليه السلام مع القرآن الكريم

الفصل الثانى

فى

شيلون

كاتب التوراة وضع كلمة عبرانية تحتل التضييب أو السبط
فى تنبؤ يعقوب عليه السلام عن نبي الاسلام ﷺ . ووضع
كلمة عبرانية تحتل اسم قرية شيلون ، أو صفة لشخص

- ١٥١ . . . محمد ﷺ . . .
- ١٥٣ . . . نص نبوءة شيلون . . .
- ١٥٤ ق . . . شرح نبوءة شيلون . . .
- ١٥٤ . . . وجهة نظر النصارى فى نبوءة شيلون . . .
- اليهود يردون على النصارى فى قولهم : ان شيلون هو
- ١٥٥ . . . عيسى عليه السلام . . .
- ابن كمونة يقول : الأظهر أن شيلون هو داود عليه السلام

- 106 وليس هو عيسى أو محمد
اثين كمونة يقول : ان عيسى عليه السلام من نسل هرون
ابن كمونة يرد على شموئيل فى قوله ان النبى هو محمد
ﷺ ويرد على النصرارى فى قولهم ان نبوءة التوراة عن
عليه السلام من سبط لاوى ، وليس من نسل داود عليه
السلام من سبط يهوذا 107
- 108 بيان استدلال ابن كمونة على أن عيسى من هرون
حزقيال النبى يتنبأ بنزع العمامة ورفع التاج عن بنى
اسرائيل اذا ظهر شيلون 110
- احتجاج شموئيل بن يوسف بمقام رأس الجالوت فى
الأندلس ، على الامام ابن حزم الأندلسى 110
- 111 بيان بأعمار الأنبياء
مناقشة حجج « ابن كمونة » فى أن قول يعقوب عليه
السلام « لا يزول قضيب من يهوذا . . . الخ » لا يشير الى
محمد ﷺ فى رأيه 112
- 113 الحجة الأولى : ملك بنى اسرائيل
الحجة الثانية : سبط يهوذا 113
- 115 الحجة الثالثة : انقطاع النبوة
شواهد من كتب التواريخ تدل على شعور علماء بنى
اسرائيل بزول بركة اسرائيل الى الأبد 118

- ١٨٤ شواهد من كتاب يوسفوس .
 ١٨٧ يوسفوس يذكر اليهود بنبوءات دانيال عن محمد ﷺ .
 ١٨٩ شاهد من كتاب التلمود عن الرباني شاريفنا .
 ١٩٢ تطابق نبوءة شيلون مع القرآن الكريم .

الفصل الثالث

١٩٥

في

النبي الأُمى

- التوراة تحدد تسعة أوصاف للنبي الأُمى الذى سيظهر
 مثل موسى ١٩٥

- التوراة تنص على أنه لن يظهر نبي بعد موسى مثله فى
 بنى اسرائيل ١٩٦

- مماثلة للنبي الأُمى المنتظر موسى فى أمور ثلاثة : ١٩٨
 (أ) جميع الآيات والمعجائب أمام المصريين وفرعون

(ب) الحروب والانتصار على الأعداء

(ت) المخاوف العظيمة التى صنعها موسى أمام
 بنى اسرائيل .

- المقارنة بين موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام فى
 المعجزات أمام الأعداء ٢٠٢

- المقارنة بين موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام فى الحروب
 والانتصار على الأعداء ٢٠٧

المقارنة بين موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام فى

- ٢٠٩ المخاوف العظيمة امام قومهما
كانت معجزة عيسى من جنس ما برع فيه علماء بنى
اسرائيل
٢١٠ نص التوراة الساهرية على النبي الامى ، وتبهيده التوراة
للنص
٢١٥ التوراة الساهرية ذكرت النص على النبي الامى محدد
مرتين بلفظ واحد ، مرة فى سفر الخروج ، ومرة فى
سفر تثنية الاشرعاع
٢١٨ شرح النص
٢٢٠ المنصارى يقولون ان نص التوراة عن النبي الامى يشير الى
عيسى عليه السلام
٢٢٣ النبي الامى تشير الى عيسى عليه السلام
٢٢٥ الأوصاف التسعة فى التوراة عن النبي الامى
٢٢٦ الموصف الأول : نبى
٢٢٧ الموصف الثانى : من بين اخوة بنى اسرائيل
٢٢٨ الموصف الثالث : مثل موسى عليه السلام
٢٣١ الموصف الرابع : ينسخ شريعة موسى عليه السلام
٢٣٢ الموصف الخامس : امى . لا يقرأ ولا يكتب
٢٣٨ الموصف السادس : أمين على الوحي
٢٤١ الموصف السابع : سيقضى على ملك بنى اسرائيل
٢٤٢ الموصف الثامن : لا يقتل
٢٤٦ الموصف التاسع : يتحدث عن غياب فيكون
٢٤٩ نص انجيل يوحنا عن النبي الامى
٢٥٧

٢٥٧ تطابق نبوءة النبي الأُمى مع القرآن الكريم

٢٥٩ الفصل الرابع

فى

البركات الثلاث

الامام فخر الدين الرازى يشرح قول التوراة « جاء الله من سيناء وأشرق من ساعير وتلأ من فاران » على أنه

٢٦٠ نص فى نبوءة محمد ﷺ

٢٦٢ نص البركات الثلاث ومعناه العام

شموئيل بن يهوذا يقول : ان التلأ من جبل فاران ، هو اشارة الى محمد ﷺ ، وان قول التوراة « ومعه ربوات المقدسين » يشير الى اصحاب رسول الله ﷺ وهم

٢٦٣ متوجهون لفتح المسجد الأقصى

٢٦٤ ابن كهونة يرد على شموئيل

٢٦٤ بيان عن جبل سيناء

٢٦٥ بيان عن جبل ساعير

٢٦٨ بيان عن جبل فاران

٢٧٠ معنى قول التوراة « من ربوات القدس »

٢٧٠ معنى القديس

٢٧١ وجهة نظر النصارى فى نبوءة البركات الثلاث

مناقشة دعاوى أهل الكتاب فى وجهة نظرهم فى نبوءة

٢٧٢ للبركات الثلاث

الدعوة الأولى : هي أن موسى وبنى اسرائيل اجتازوا

صفحة	الموضوع
٢٧٣	بفاران وأقاموا بها الدعوى الثانية : هي أن فاران سمى به موضع فى غير
٢٧٤	أرض الحجاز الدعوة الثالثة : هي أن الكلام كله مختص ببني اسرائيل
٢٧٥	لا ببني اسماعيل الدعوة الرابعة : هي أن الألفاظ فى النبوءة مخبرة عن أمر ماض
	الدعوى الخامسة : هي أنه لو كان المراد بسيناء وساعير
٢٧٥	وفاران الإشارة الى الأنبياء الثلاثة موسى وعيسى ومحمد لكان قوله فى النص « وأتت من ربوات المقدسين » إشارة
٢٧٦	الى شريعة رابعة الرد على المنصارى فى وجهة نظرهم فى نبوءة البركات
٢٧٧	الثلاث
٢٧٧	المحكم والمتشابه فى التوراة والانجيل
٢٧٨	تفزيه الله عن الجسمية
٢٨٢	تفزيه الله عن المكان
٢٩٣	تطابق نبوءة البركات الثلاث مع القرآن الكريم

٢٩٥

الفصل الخامس

فى

تفغير القبلة

نص التوراة على أن الله تعالى لم يحدد لبني اسرائيل

- ٢٢٧ قبله الأرثوذكس والكاثوليك
- ٢٢٨ قبله البروتستانت
- الدليل من التوراة على أن الكعبة المعظمة هي أول بيت
وضع للناس ، وعلى أن سفينة نوح عليه السلام قد
استوت على الجودي في مكة المكرمة ٢٢٠

٢٣٥ الفصل السادس

في

المسيا المنتظر

- نصوص نبوءات التوراة عن محمد ﷺ هي نفسها
النصوص التي تدل على المسيا المنتظر ، فيكون محمد هو
المسيا ٢٣٥
- اليهود يقولون : ان المسيا لم يظهر بعد ٢٣٧
- الدليل على أن نصوص نبوءات التوراة عن محمد هي التي
تدل على المسيا ٢٣٧
- معنى كلمة مسيا ٢٣٨
- السامريون يتولون ان المسيا سيظهر من سبط يوسف
عليه السلام . والعبرانيون يتولون انه سيظهر من سبط
يهوذا أخى يوسف ، من نسل ولده داود ٢٤٠
- عيسى عليه السلام يقنع العبرانيين بان المسيا لن يكون
من سبط يهوذا ، من نسل ولده داود ، بكلام صدر من
داود نفسه ٢٤١
- عيسى عليه السلام يقول : ان المسيا سيظهر من نسل
اسماعيل ، وهو محمد رسول الله ، ويستدل على قوله
بآيات من التوراة ٢٤٢

- ٢٩٨ قبلة
اليهود السامريون والعبيرانيون اتفقوا على تحديد اى مكان
فى ارض اسباط بنى اسرائيل . ولم يعينوه حال
كتابتهم للتوراة فى « بابل »
- ٢٩٨
العبيرانيون قدسوا جبل صهيون وجعلوه قبلة ، والسامريون
قدسوا جبل هرجزيم وجعلوه قبلة . ولما رجعوا من
بابل اختلفوا ولم يتفقوا على مكان واحد
- ٣٠٢
وجهة نظر العبرانيين فى قبلتهم
- ٣٠٤
وجهة نظر السامريين فى قبلتهم
- ٣٠٧
لم يهدف داود عليه السلام من بناء بيت المقدس الى أن يكون قبلة
بناء بيت المقدس كان فى سنة الأربعمئة والثمانين لخروج
بنى اسرائيل من ارض مصر ، فى السنة الرابعة لملك
سليمان على اسرائيل
- ٣١٢
انقسام بنى اسرائيل الى مملكتين من بعد موت سليمان
عليه السلام
- ٣١٢
تاريخ هيكل سليمان الى حين هدمه
- ٣١٣
تاريخ هيكل جرزيم الى حين هدمه
- ٣١٤
نصوص الانجيل على القبلة
- ٣١٥
شرح حوار المرأة السامرية مع عيسى عليه السلام عن
القبلة
- ٣١٧
معنى قول عيسى عليه السلام للمرأة السامرية : « ولكن
صدقتنى انه ياتى وقت يعطى الله فيه رحمته فى مدينة
أخري »
- ٣٢٧

- « بولس » من بعد رفع عيسى الى السماء ينادى فى
 ٣٤٣ اليهود بأن المسيا قد كان عيسى ، وما عرفوه
 نبوءة « ابن الله » فى الزمور الثانى لداود عليه السلام
- ٣٤٥ هى نبوءة عن المسيا المنتظر
 تعليق شيخ الاسلام ابن تيمية رضى الله عنه على نبوءه
 ٣٤٥ « ابن الله »
 تعليق الامام القرافى رضى الله عنه على نبوءة « ابن الله »
 ٣٤٥ وبيانه : أن المراد بابن الله فى النبوءة هو محمد ﷺ
- ٣٤٦ « بولس » يطبق نبوءة « ابن الله » على عيسى عليه السلام
- ٣٤٧ عيسى عليه السلام يطبق نبوءة « ابن الله » على محمد ﷺ
 النصارى يجعلون عيسى « ابن الله » بمعنى الألقوم الالهى
- ٣٤٩ الثانى
- ٣٥١ مبالغة اليهود فى الكتابة عن المسيا المنتظر
- ٣٦٠ وجهة نظر زعماء دولة اسرائيل فى المسيا
- ٣٦٢ المسيا ا - النبى ب - والكاهن ت - والملك
- ٣٦٥ عيسى عليه السلام لم يصرح بأنه هو المسيا
 اليهود طبقا لرواية يوحنا لا يعتقدون أن عيسى هو
- ٣٦٦ المسيا
 القرآن الكريم يبين أن عيسى « مسيح » ولم يبين أنه
- ٣٦٨ « المسيح » الذى هو « المسيا »
 من علماء علم مقارنة الأديان فى الغرب ، من يعترف بأن

عيسى ليس هو « المسيح » الذى هو « المسيا » . . . ٣٦٥
انطباق أوصاف « المسيا » على محمد ﷺ . . . ٣٧٢

تم فهرس الجزء الأول من كتاب « البشارة بنبي الاسلام فى
التوراة والانجيل »

فهرست الجزء الثانى
من كتاب البشارة بنبى الاسلام فى التوراة والانجيل

الصفحة	الموضوع
٣	الباب الثانى فى نبى الاسلام فى الانجيل الفصل الأول فى
٥	المسيح عيسى بن مريم - حياته ودعوته
٥	جغرافية أرض فلسطين
٥	الحالة الدينية لبنى اسرائيل فى زمان ولادة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام
٦	اليهود العبرانيون لا يعاملون اليهود السامريين
٦	مريم فى هيكل سليمان بالقدس
٧	خريطة تبين أرض اليهودية التى ولد فيها يوحنا المعمدان ويسوع ، وتبين تقسيم أرض فلسطين بين ولاة وحكام تابعين للروم
٨	ولادة عيسى عليه السلام
	تكذيب النصارى فى قولهم : أن أهل مريم كانوا يسكنون فى قرية « الناصرة » لأنها من اليهود العبرانيين ، فى أرض يهوذا بن يعقوب عليه السلام ، والناصرة قرية من قرى

- ٨ اليهود السامريين ، فى أرض زبولون بن يعقوب عليه السلام
بيان نسب عيسى الى هرون النبى أخى موسى كما بين
- أ — نسب عيسى فى القرآن الكريم من قوله تعالى
- ١٠ القرآن وبين الانجيل
- ١١ « يا أخت هرون »
- ب — نسب عيسى فى القرآن الكريم من قوله تعالى :
- ١٢ « ومريم ابنة عمران »
- نسب عيسى فى الانجيل الى هرون عليه السلام كما بين لوقا
من قرابة مريم ليلصابات زوجة زكريا عليه السلام . وبيان
١٣ أن زواج زكريا كان على نص من التوراة فى سفر العدد
المسيح والمعمدان كانا من أهل مدينة « حبرون » التى هى
١٥ مدينة الخليل
- ١٦ خريطة تقسيم فلسطين على الأسباط الاثنى عشر
- ١٧ كلمة عيسى من الكلمة اليونانية ايسا
- ١٩ ثقافة عيسى عليه السلام فى كتب النصارى
- عيسى عليه السلام كان « حصورا » أى منذورا لله من
١٩ الصغر ، ولذلك لم يتزوج . كما كان يحيى عليه السلام
٢٠ معجزات عيسى عليه السلام
- عيسى كان كهلا ، أى كان له خمسون سنة فى وقت تبليغ
٢٢ الرسالة

- ٢٤ مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا
تلاميذ المسيح كانوا من علماء بنى اسرائيل ، من سبط لاوى ،
- ٢٦ ولم يكونوا من عوام اليهود ولا من الأمم
- ٢٨ نهاية حياة المسيح — عليه السلام — على الأرض
- ٣٤ مريم — رضى الله عنها — فى كتب النصارى
القاء الأتلام من أجل كفالة مريم ، وليس من أجل زواجها
- ٣٥ من يوسف النجار
خلاف النصارى فى أن لعيسى أربع ذكور اخوة ، وأختين ،
- ٣٥ هما : اسתר وايتامار
- ٣٦ لماذا سموا نصارى ؟
راى النصارى الارثوذكس فى الوهية المسيح وفى الوهية
- ٣٧ أمه ، وراى الكاثوليك والبروتستانت
- ٣٧ راى اليهود العبرانيين فى عيسى عليه السلام
- ٣٧ راى اليهود السامريين فى عيسى عليه السلام
- ٣٨ دعوة عيسى عليه السلام
- ٤٢ أمثلة على الاختلاف فى الراى بين « هليل » وبين « شهاى »
المسيح يبين لليهود بعض الذى يختلفون فيه . ومن هذا
البعض : رأيهم فى الطلاق وفى المسيح المنتظر ، وفى تحريم
العمل فى يوم السبت
- ٤٢ تصحيح المسيح لاعتقادات كانت عند بنى اسرائيل . منها :

أن القريب ليس قريب النسب ، بل القريب قريب المنفعة ،
ومنها تحريم الرياء فى العمل . ومنها أن التفكير فى الشر
يجب أن يكون محرماً كعمل الشر نفسه ٤٥

المسيح يقول للعلماء المخلصين : أنتم ملح الأرض وأنتم نور
العالم . ولا تقدروا أن تخدموا الله والمال . ولا تهتموا للمغد
٤٦

٤٨ الفصل الثانى

فى

ملكوت السموات

ملكوت السموات يعنى حكم الله فى الأرض على يد محمد
ﷺ ٤٨

أصل ملكوت السموات من التوراة من الاصحاح الثانى

والسابع من سفر دانيال ٤٩

المسيح يطبق نبوءات دانيال عن ملكوت السموات على محمد
ﷺ ويقول لليهود العبرانيين : « توبوا فقد اقترب ملكوت

السموات » ٥١

الآباء اليسوعيون يفسرون ملكوت السموات بأنه الملك

الروحى لعيسى — عليه السلام ٥٧

الرد عليهم ٥٧

قول دانيال عن نبي الاسلام ﷺ « لتتعبد له كل الشعوب

والأمم والألسنة » معنى التعبد : هو الخضوع للشريعة
٥٨

- اختلاف النصارى فى بدء الملكوت ، على أنه لعيسى عليه السلام ، على رأيين : أحدهما : أنه يبدأ من مجيئه بالدعوة .
 ٦٠ . وثانيهما : أنه يبدأ من بعد رفعه الى السماء بخمسين يوماً .
 ٦١ الرد عليهم .
 اختلاف النصارى فى نزول عيسى الى السماء فى نهاية الدنيا . على رأيين : أحدهما نزول بملك أرضى . وثانيهما : بملك روى .
 ٦٣
 اختلاف النصارى فى يوم ظهور المسيح فى نهاية الحياة الدنيا . على رأيين : أحدهما : أنه عند ظهوره تفتت السموات . وثانيهما : ان التفتت كناية عن ضعف الحياة الروحية فى الكنيسة .
 ٦٧
 ٦٨ . أمثال ملكوت السموات
 ٦٨ . مثل الزارع ، ووجهة نظر النصارى فيه ، والرد عليهم (١)
 ٦٨ تطابق مثل الزارع مع الحديث النبوى الشريف
 ٧٢ مثل الحبوب التى تنمو فى الخفاء (٢)
 ٧٢ مثل حبة الخردل (وهو مثل الأمة الاسلامية فى الانجيل) (٣)
 ٧٤ مثل الأمة الاسلامية فى التوراة
 ٧٤ تطابق مثل الأمة الاسلامية فى التوراة مع القرآن الكريم
 ٧٥ مثل زوان الحقل (٤)
 ٨١ مثل الخميرة (٥)
 ٨٢ مثل الكنز المخفى (٦)

- مثل اللؤلؤة الغالية الثمن (٧) ٨٣
- مثل الشبكة المطروحة فى البحر (٨) ٨٤
- مثل التين الرديء (٩) ٨٨
- مثل الينوع (١٠) ٨٨
- مثل بائعى التفاح (١١) ٨٨
- ٨٩ تعقيب المسيح عليه السلام على الأمثلة السالفة الذكر
المكاتب المتعلم فى ملكوت السموات هو العالم من علماء
المسلمين ٨٩
- مثل العبد الذى لم يقفر لزميله (١٢) ٩٢
- مثل فعلة الكرم (١٣) ٩٢
- مثل الابنان (١٤) ٩٤
- مثل الكرامين الأردباء (١٥) ٩٥
- ١٠١ أسماء أهل الكهف من كتاب الأساطير الذهبية ١٠١
- مثل عرس ابن الملك (١٦) ١٠٣
- مثل العذارى العشر (١٧) ١٠٥
- ١٠٦ نص المزمور الخامس والأربعين وتعليق اليسوعيين عليه
انطباق المزمور على نبي الاسلام ﷺ ١٠٧
اكليمنضدس الاسكندرى ، وجوستان مارتير ، وأريجانوس ،
وترتليان . كلهم يقولون بان عيسى عليه السلام كان جسده
وترتليان . كلهم يقولون بان عيسى عليه السلام كان جسده
- ١٠٨ ضئيلا وخاليا من الجمال ١٠٨
- مثل الوزنات العشر (١٨) ١١٢

- ١١٦ مثل العشاء العظيم (١٩)
- ١١٧ مثل الخروف الضال (٢٠)
- ١١٩ مثل الابن الضال (٢١)
- ١٢٢ مثل الدرهم المفقود (٢٢)
- ١٢٢ مثل الغنى والعازر (٢٣)
- ١٢٤ مثل العبد المطيع (٢٤)
- ١٢٥ مثل الغنى الغنى (٢٥)
- ١٢٧ مثل شجرة التين الجذباء (٢٦)
- ١٣١ مثل الكيس الضائع (٢٧)
- ١٣٢ مثل الثمار الشهية (٢٨)
- ١٣٣ مثل الدينين (٢٩)
- ١٣٤ مثل السامري الصالح (٣٠)
- ١٣٦ مثل الجريح الكنود (٣١)
- ١٣٨ مثل صاحب البيت وخدمه (٣٢)
- ١٣٩ مثل الوكيل الامين الحكيم (٣٣)
- ١٤١ مثل التينة المورقة (٣٤)
- ١٤٣ مثل وكيل الظلم (٣٥)
- المسيح عبر عن التوراة بمال الظلم ، لأن علماء بنى اسرائيل
تجاسروا على تحريفها فى « بابل » وحرفوها بالفعل .
- ١٤٥ مثل القاضى والأرملة (٣٦)
- ١٤٧ مثل صديق نصف الليل (٣٧)
- ١٤٨ مثل الفريسي والعشار (٣٨)

- ١٤٩ مثل العشرة أمعاء (٣٩)
١٥٠ مثل الكروم الثلاث (٤٠)

تعقيب :

- معنى قول المسيح لنيقوديموس : « ان كان أحد لا يولد من فوق ، لا يقدر أن يرى ملكوت الله » معناه : ان من لا يكون قلبه فارغا من التعاليم الكاذبة ، وخاليا عن الكبر ، فانه لن يفهم حقيقة الملكوت بسهولة ، ولن يدخل فيه ببسر
١٥٣ المسيح يوبخ نيقوديموس بقوله : « أكون معلما في اسرائيل ولا تعلم هذا ؟ » عن حقيقة الملكوت . أى انه سيكون في
١٥٦ بنى اسماعيل — كما روى برنابا —
نيقوديموس يقول للمسيح : انه رأى كتيبا قديما مكتوبا بيد موسى ويشوع . مكتوب فيه : ان اسماعيل هو أب
١٥٧ للمسيا ، واسحق أب لرسول المسيا

١٥٩

الفصل الثالث

في

« ابن الانسان »

- تمهيد عن احاديث المسيح عن مجيء ابن الانسان وابن
١٥٩ الانسان وفى بعض التراجم « ابن البشر » هو محمد ﷺ

١٦١

الحديث الاول

حتى يأتى ابن الانسان

- نص حديث المسيح الذي يقول فيه لتلاميذه عن محمد ﷺ :
- ١٦١ . « لا تكلمون مدن اسرائيل حتى ياتى ابن الانسان » .
- ١٦٤ المعنى العام للنص
- ١٦٦ موضع الشاهد فى النص
- وجهة نظر النصارى فى النص على ثلاثة أقوال : أولهما :
 أن ابن الانسان هو المسيح . ويأتى بعد خمسين يوماً
 من رفعه الى السماء . وثانيهما : أن التلاميذ بعد فراغهم من
 مدن بنى اسرائيل ، يدخل المسيح اورشليم . وثالثها : أن
 ابن الانسان — الذى هو المسيح — يأتى يوم القيامة بالملك
 الروحى
- ١٦٧ الرد عليهم : بأن العلامات التى ستحدث فى العالم قبل ظهور
 ابن الانسان ، لم تحدث الا قبل مجيء محمد ﷺ . ومنها :
 هدم هيكل سليمان ، واضطهاد الأمم لتلاميذ المسيح ،
 وقيام حروب بين الأمم ، وظهور أنبياء كذبة
- ١٧١

١٧٤

الحديث الثانى

طعام ابن الانسان

(مائدة من السماء)

- النص على المائدة السماوية التى طلبها الحواريون من عيسى
 عليه السلام ليؤمنوا به ، من انجيل لوقا ويوحنا ، يشير
 الى محمد ﷺ
- ١٧٥
- النص على المائدة السماوية من القرآن الكريم . وبين أنها
 للبركة فى الطعام الذى كان خمسة أرغفة وسمكتين
- ١٨٥

- ١٨١ . . . شرح نص انجيل يوحنا عن المائدة السماوية
موضع المشاهد من نص نزول المائدة وهو : « اعملوا لالطعام
البائس ، بل للطعام الباقي للحياة الأبدية ، الذى يعطيكم
ابن الانسان »
١٨٥ وجهة نظر النصارى فى المائدة السماوية
١٨٥ الرد عليهم
نص نبوءة « ابن الله » فى المزمور الثانى لداود عليه السلام .
١٨٧ وتعليق الامام القرافى عليها

الحديث الثالث

علامات مجيء ابن الانسان

- نص حديث المسيح عليه السلام عن العلامات التى اذا
ظهرت من بعده ، يستتبعن علماء بنى اسرائيل منها أن
محمدا سيأتى . وهى : هدم هيكل سليمان — ظهور
أنبياء كذبة — قيام حروب بين الأمم — حدوث مجاعات
وأوبئة وزلازل وبراكين — اضطهاد الامم لتلاميذ المسيح
عليه السلام وأتباعه — تحريف الانجيل — انتشار الانجيل
فى العالم — حدوث رجسة الخراب التى أنبأ عن حدوثها
النبي دانيال فى مدينة القدس
١٨٩ المسيح يصف محمدا ﷺ بأنه سيكون ملكا — أتباعه أطهار
— محارب منتصر — صاحب شريعة سماوية — فقير —
مضطهد من الناس
١٩٢ البحث الأول : فى العلامات
١٩٦ العلامة الأولى : هدم هيكل سليمان
١٩٦

الصفحة	الموضوع
١٩٨	العلامة الثانية : ظهور الأنبياء الكذبة
١٩٩	العلامة الثالثة : حروب تقوم بين الأمم
٢٠١	العلامة الرابعة : المجاعات والأوبئة والزلازل
٢٠٢	العلامة الخامسة : الاضطهادات
٢٠٢	العلامة السادسة : تحريف الانجيل
٢٠٤	العلامة السابعة : انتشار الانجيل فى العالم
٢٠٧	العلامة الثامنة : حدوث رجسة خراب دانيال قول جبريل لدانيال : « سبعون أسبوعا قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة » يحدد السنة التى سيولد فيها محمد ﷺ
٢١٠	المبحث الثانى : أوصاف ايام الضيق العظيم
٢١٩	(وهو يوم فتح المسلمين لبلاد الشام فى عهد عمر بن الخطاب)
٢٢٠	الوصف الأول : نجاة المختارين
٢٢٤	الوصف الثانى : هلاك الكافرين
٢٢٧	الوصف الثالث : هول القتال
٢٢٩	الوصف الرابع : بلاغ الدعوة
٢٢١	الوصف الخامس حتمية المعركة
٢٣٣	الوصف السادس : سرية المعركة
٢٣٦	المبحث الثالث : أوصاف نبى الاسلام ﷺ فى هذا الحديث
٢٣٨	الوصف الأول : ملك
٢٣٩	الوصف الثانى : أتباعه أطهار
٢٣٩	الوصف الثالث : محارب منتصر
٢٣٩	الوصف الرابع : صاحب شريعة الهية

- ٢٤٠ الوصف الخامس : فقير
- ٢٤٠ الوصف السادس : غريب
- ٢٤١ الوصف السابع : مضطهد

٢٤٣

الفصل الرابع

في

مبارك الآتى باسم الرب

- ٢٤٣ النص على المبارك الآتى باسم الرب
- ٢٤٥ الشرح والبيان
- ٢٥٠ نص كلام داود عليه السلام عن المبارك الآتى باسم الرب
وجهة نظر النصارى فى المبارك الآتى باسم الرب وهى
تتلخص فى :
- ٢٥١
- الرأى الأول : كل من يتوب من اليهود وقبل دعوة المسيح
فكانه قال مبارك الآتى باسم الرب
- الرأى الثانى : مجيء المسيح الثانى فى آخر الزمان .
فانه اذا جاء يقولون له : مبارك الآتى باسم الرب
للرد عليهم فى الرأى الأول والثانى
- ٢٥٣

٢٥٩

الفصل الخامس

في

بيراكليت (اسم أحمد)

- ٢٦٥ النص على اسم نبى الاسلام ﷺ فى انجيل يوحنا
- ٢٦٦ شرح النص

صفحة	الموضوع
٢٦٨	المبحث الأول : الروح القدس
٢٧٠	المبحث الثاني : المعزى
٢٨١	المبحث الثالث : وجهة نظر النصارى فى المعزى الروح القدس
٢٨٣	المبحث الرابع : الرد عليهم
٢٩٥	تطابق نبوءة المعزى مع القرآن الكريم

٣٠١ **الفصل السادس**
فى
وجاهة بنى اسماعيل

٣٠١	السبب فى ارادة اليهود قتل عيسى عليه السلام أنه كان يبشر بمحمد ﷺ
٣٠٣	محاكمة عيسى عليه السلام لا تدل على أنه هو المسيا . اليهود قالوا للوالى الرومانى كذبا : ان عيسى هو النبى المسيا الذى تنبأ عنه موسى فى سفر التثنية وهو نفسه
٣٠٧	النبى الذى تنبأ عنه دانيال لميزيل الدولة الرومانية . المسيح يبرأ نفسه من افتراءات اليهود عليه ويقول : ان الذى سيزيل الدولة الرومانية هو ابن الانسان صاحب ملكوت السموات ولست انا الذى سآزيلها

٣٢٩ **الفصل السابع**
فى
يوحنا المعمدان — حياته ودعوته

٣٣٢	حياة يوحنا المعمدان تقدير عيسى للمعمدان وهو بشارة بمحمد ﷺ . ونص
-----	--

	التقدير : « لم يقم بين المولدين من النساء أعظم من يوحنا
٣٤١	المعدان . ولكن الأصغر فى ملكوت الله أعظم منه » .
٣٤٢	شرح النص
	وجهة نظر النصارى فى « الأصغر » أى خاتم النبيين .
٣٤٦	على رأيين :
	أولهما : أن الأصغر هو عيسى نفسه . وثانيهما : أنه
	هو رجل الدين النصرانى الذى يدعو بالانجيل
٣٤٦	الرد عليهم
٨	قصة الياس عليه السلام
	دعوة يوحنا المعدان
٣٥٢	أولا : ملكوت السموات
٣٥٤	ثانيا : نص شهادته عن النبى الأمى
٣٦٦	إيلياء المزمع أن يأتى هو نبى الاسلام ﷺ
٣٦٧	إيليا = أحمد ، يحساب الجمل فكلاهما = ٥٣
٣٦٨	اسم أحمد فى انجيل لوقا فى بشارة الملائكة للرعاة
٣٧٤	الخاتمة والتوصية
٤٠٠	المراجع والمصادر